اللسان العربي

مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب

سجل الأعمال

- مجامع اللغة العربية
- المجالس العليا للعلوم والآداب والفنون
- الجامعات والمعاهد العلمية
- الهيئات والمراكز والشعب الوطنية للتعريب
- رجال الفكر والعاملين لإعلاء اللغة العربية وجعلها في مستوى اللغات العالمية الحية

المجلد العاشر

الجزء الأول

يصدرها
المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي
جامعة الدول العربية :
الرباط (المملكة المغربية)

دراسات وأبحاث

من مظاهر الوحدة :

التكامل بين شقي العروبة

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

لن نأتي بجديد اذا قلنا ان المغرب العربي الاسلامي استمد ولا يزال يستمد كثيرا من مقوماته الحضارية من شقه الشرقي وخاصة في الحقل الثقافي فالفكر العلمي الاسلامي عندنا ليس سوى امتداد اصيل مبدع للتراث الذى انبثق من قلوب العروبة النابضة فى الحرمين ودار السلام والقاهرة ودمشق وحتى بالنسبة للعصور الحديثة فان اسبقية الشرق الى تطعيم الفكر العربي بمعطيات الفكر الغربي المعاصر جعلت من اللغة العربية وهي المفهوم الجوهري للوحدة اداة تتصارع فى تصاعد مطرد مع مقتضيات التطور العلمي والتقني الجديد على الصعيد الانساني ولعل من ابرز ما استردناه من الغرب المستعمر ما كان للغتنا من دقة فى التعبير وجلاء فى التصوير وضبط فى التنظير وقد استطاع الفكر اللاتيني خلال فترة الاستعمار أن يقحم لغته وثقافته فى البرامج الدراسية بحصة الأسد حتى اصبحت الفرنسية بالنسبة لجانب مهم من رجال الفكر فى المغرب العربي الجهاز الاساسي للتفكير والتعبير هذا بينما ترك نفس الاستعمار اخواننا فى الشرق يمرحون فى حرية نسبية داخل قفص مقفل معرب البرامج والمناهج ، فحركتنا الهادفة للتعريب فى المغرب العربي لا تنطلق من نفس الأساس الذى انطلق منه التعريب فى الشرق — اذا كان هنالك انطلاق للتعريب فى الشرق حيث احتفظت العربية فى الواقع بمكانتها العريقة مع جمود نسبي ناتج عن عوامل الاستعمار — فنحن بالرغم عن جهدنا الجهيد فى هذه المرحلة الاولى من استقلالنا الفتي لا تزال اللغة الفرنسية مهيمنة بأجهزة فكرية منظمة على جانب من حياتنا الحضارية لذلك يفكر بعضنا فى كثير من الاحايين تفكيرا يستمد جذوره من ثقافة المستعمر حتى ولو كانت لغة تعبيره هي العربية فرسالة التعريب فى المغرب العربي هي غيرها فى الشرق العربي لان الشرق ينطلق من لغة الضاد فيطعمها بلوازم العصر ونحن ننطلق حتما من المزيج الحضاري الغربي العربي الذى عشناه ونعيشه لتخليق تراث جديد يربط ماضينا المجيد فى كامل مقوماته بحاضر انصهرت فى بوتقته عناصر علمية وتقنية وحضارية انسانية فالشيء الذى يهمنا الآن هو تحقيق هذا الهدف القريب الذى يستلزم عجن الطينة العربية عجنا جديدا فى غير هوادة حتى تصبح لغتنا — كما كانت فى العصور الوسطى بل اكثر مما كانت فى العصور — اداة دولية للتواصل بين الاجناس فى دقة علمية ورصانة تقنية وتجاوب عميق مع ما استجد فى العصر من خلجات وولجات فنحن فى المكتب الدائم نعد العدة لهذا التعريب مستمدين من الشرق ما سبقنا الشرق الى تعريبه ومستمدين من الغرب ما يجب أن يدرج بوضوح لتطعيم هذا المدد فلا نقبل من هنا او هناك الا ما يكفل استقصاء عراقة الضاد واستقراء مفاهيم العصر دون لبس ولا غموض فمثلنا مثل الطفل الغرير الذى يسأله والده عن اسم هذه الآلة او تلك فاذا أعطاه اسما ما لمسمى ما قبله ولكن اذا أعطاه نفس الاسم لمسمى مغاير سأل والده

فى غرارة الطفولة كيف اذن نفرق بين مسميين لهما اسم واحد فنحن نريد ان يوفر العرب لكل مسمى علمي قديم اوحديث كلمة موحدة تعبر عنه فى جزالة وجلاء ونحن اذا نقدنا ما بين أيدينا من غث وسمين مما يرد علينا من الشرق فلسنا بزاعمين اننا ننقن الشرق الا بقدر ما يلقن الطفل والده أو التلميذ استاذه فى نطاق الاستمداد البناء واذا كان هنالك شيء سيفيده الوالد من ولده والاستاذ من تلميذه فى هذا المجال فهو احراج هذا ذاك نتعبئة ما له من خبرة اوسع وحنكة أدق وتجربة ابلغ لتجلية الدلالة وتعميق الاصالة وتدقيق العبارة وتوحيد الاشارة .

وقد زاد فى الطين بلة بين شقي العروبة ما بين قوام الاستعمارين اللاتيني والانجلو سكسوني من بون يتسع احيانا ليعمق الهوة بين الثقافتين الاجنبيتين اي بين ينبوعي الاستمداد النسبي فى حضارتنا الموحدة فالمقابل العربي المقترح للتعبير عن مدلول علمي أو تقني حديث مستمد من خلال هذه اللغة او تلك يختلف فى بعض الاحايين الى حد التناقض لما يكون احيانا بين اللغتين من نشاز لا يتلافاه الا من تضلع فيهما ونظر بين قواميهما لاستخلاص القدر العلمي المشترك او المشاع بينهما ويكفي لتدرك هذه الظاهرة ان تقارن بعض ما يرد عليك من دمشق ببعض ما يرد من القاهرة لتلمس صعوبة مجرد التنسيق ولا نقول التوحيد ونحن نعلق على اتحاد المجامع الثلاثة فى القاهرة ودمشق وبغداد اكبر الآمال لتقريب الهوة وتنوير الصوة لان رسالة التوحيد يجب ان تنبثق فى الحقيقة من هذه المجامع اذ لا نتجاوز نحن تجميع وتنسيق ما تتحفنا به هي نفسها غير أن خبراءنا فى الوطن العربي يدفعون دفعا الى ان يتساءلوا ويلحفوا فى التساؤل، انتجاعا للدقة، عما تنطوي عليه بعض المقابلات العربية الشائعة والمقترحة من لبس وسطحية أو عما يتم عنه أحيانا معجمنا الجديد من تنكر للاصالة وللدقة والوضوح .

وهذا مشكل لا تحله معاجمنا التى ترصص فى صف واحد ما يستعمل هنا وهناك فى أجزاء الوطن العربي مضيفة احيانا ما يوحي به اللفظ الاجنبي بكامل الدقة وتاركة لمؤتمرات التعريب المقبلة اصدار الكلمة الفاصلة فى ذلك فهذه مرحلة أولى وضرورية للتوحيد فيها جرد للتراث وتقييم لمعطياته يسهلان مهمة الانتقاء .

فمجامع اللغة والمجالس العلمية العليا والاتحادات التقنية يجب ان تقوم بالبادرة الاولى لتسهيل عملية التنسيق فى المكتب انطلاقا من اختصاصها وعلى المكتب أن يجمع وان ينسق فى استقراء واف واستقصاء كشاف واستكمال للمفاهيم بالمقارنة والتنظير بين محتويات القواميس والمعاجم قديمها وحديثها صحيحها وسقيمها على اختلاف لفاتها وخبرات أصحابها ولا شك ان بذلك تتكون حصيلة لغوية صالحة تساير العصر وتجعل لغة الضاد جديرة — كما كانت — بأن تفرض وجودها فى المحافل الدولية لا استجابة لعوامل وضغوط سياسية بل استنادا الى قيمة حقيقية علمية وتقنية للغتنا كأداة أممية للتقارب والتواصل .

ان سلفنا قد كد واجتهد لاحلال اللغة مكانتها العالمية المرموقة ونحن يجب ان نواصل هذا الجهاد بسلاح العصر ومراوغات العصر للاحتفاظ بهذه المكانة وتصعيدها اذا اقتضى الحال .

واذا كان الناس يعرفون ما حققه الشرق العربي من بادرات لكفالة هذا الاستمرار والاستقرار فى مختلف الامصار والاعصار فان الكثير لا يعرفون بدقة مدى اسهام المغرب العربي فى هذا الجهاد فلذلك ندعم هذه الديباجة بفذلكة موجزة هي انموذج مبسط يلقي ضوءا على جانب من المبادرات المغربية عبر الاجيال فى هذا الحقل الحيوي من جهادنا الحضاري المشترك .

وتجدون فى غير هذا المكان من هذا العدد الممتاز معيجما للغويين يبرز جزءا من التراث اللغوي المغربي الذى هو امتداد أصيل لتراثنا العربي العام .

الدلالة الجديدة والتطور اللغوي

الدكتور إبراهيم السامرائي - بغداد - كلية الآداب .

شارك العرب الاقدمون فى العلم اللغوي كما شارك غيرهم من الامم القديمة كاليونان والهنود والصينيون . ولعله من غير المجدي فى عصرنا الحاضر ان نبحث فى اصل اللغة ، والذي يعنينا من اللغة انها مظهر ونشاط للطبيعة البشرية الانسانية . وينبني على ذلك انها مظهر من مظاهر علم الاجتماع الذي يعنى بالنشاط الانساني فى مختلف احواله .

واتصف « علم اللغة » فى العصر الحاضر بالصفة العلمية الخالصة ذلك انه ليس مادة يستعان على ادراكها بالتأمل كما كان فى عصور سلفت . انه الآن مادة موضوعية يتبع فى علاجها ومعرفتها المنهج الوصفي ، ومن هنا يدخل التطور اللغوي فى هذا المنهج .

ان علم اللغة بهذه الحدود الجديدة من العلوم الغربية الحديثة التي بحثها الغربيون وتشعبوا فيها ، وقد كان ذلك اثر الاهتمام بما دعاه كريم Grimm بالقوانين الصوتية فقد كان سائدا انها قوانين عامة شاملة تنطبق على جميع اللغات وهي كالقوانين الطبيعية الاخرى .

وقد عرضوا لاسباب هذا التطور فى الاصوات فردوا ذلك الى الاختلاف الذى يحصل فى اعضاء النطق ، وقد عرضوا فى ذلك لجملة من الملاحظات والتجارب لاثبات ما يعتور الاصوات من تغيير اذا ما حدث اي تشويه فى اعضاء النطق .

ومنهم من رد هذا التطور اللغوي الى ما يطرأ على المجتمعات من اختلاف الظروف الجغرافية والمناخية . وهم يبنون هذا على جملة وقائع عرضت لشعوب مختلفة فى تطورها التاريخي . على انهم يذهبون مذاهب فى تفسير هذا التطور الصوتي ، غير أن هذه التفاسير المختلفة لا تسلم من الطعن فيها فهي وان كانت وجيهة فانها تفتقر دائما الى الاصالة والشمول ، بحيث يمكن الاخذ بها على انها نظريات ثابتة .

وقد حلا لبعضهم ان يفسر التطور الصوتي بقوانين « مندل » فى الوراثة ، والرد على هذا من الامور الهينة . وقد استعاروا طريقة تشارلز دارون العالم الانكليزي فى التطور وهو ما يدعى ب «المذهب الطبيعي» . قال دارون فى كتابه « اصل الانواع « The Origin of Species » بمسألة تنازع البقاء وظهور صفات خاصة فى بعض الافراد وانتقال الصفات الخاصة بالوراثة الى النسل وشيوع هذه الصفات وكثرتها بحيث يمكن اعتبار من يرثها من النسل نوعا مختلفا عمن لم يرثها . وقد طبق العالم الجيولوجي « ليل » هذه النظريات على اللغة فقرر : « ان الانواع فى الطبيعة ، واللغات فى التاريخ تتغير تبعا لنواميس متشابهة ... والعاملان الجوهريان فى اللغات هما كما فى الانواع الطبيعية التغير والانتخاب الطبيعي . وكما يحصل فى الانواع يحصل كذلك فى اللغات أيضا نتائج عظيمة لتجمع اسباب عديدة صغيرة لا قيمة

نها في حد ذاتها كادخال عبارات اجنبية وكثرة الخطباء والكتبة والاختراعات والاكتشافات وتعلم علوم جديدة وتنازع الالفاظ الى غير ذلك مما يغير اللغة » (1) .

ثم جاء بعد « ليل » العالم اللغوي شليخر فنشر كتابه بعنوان « دارون وعلم اللغات » وقد قرر فيه « ان مبادىء دارون ينطبق جميعها على كيفية نمو اللغات فان جميع اللغات الاوربية يكاد يكون لها اصل واحد هو اللغة الهندية الجرمانية ، ومنها تفرعت عدة فروع باديء ذي بدء ثم تفرع من هذه الفروع فروع اخرى . على أن تفسير التطور اللغوي بهذه المحاولات لم يكن الا مجرد آراء اخذ بها اللغويون في مطلع هذا القرن ، وهي من غير شك محاولات لا تسلم من النقد الذى وجه اليها .

غير انه من الثابت أن التطور اللغوي يحدث فى مادة اللغة التي تؤلف بنيتها وكيانها واعني بذلك الالفاظ التى تبنى منها اللغة . هذه الالفاظ يخضعها الاستعمال فتجد فيها خصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية Sémantique جديدة يستدعيها الزمان والمكان . وليست العربية بدعا بين اللغات ، ذلك أن اللغات كافة تخضع لسنة التطور ، وان الكلمة فى كثير من اللغات مادة حية يعمل فيها الزمان ويؤثر فيها وتجد فيها الحياة فتتطور وتتبدل وربما اكتسبت خصوصيات معنوية ابعدها الاستعمال عن اصلها بعدا قليلا او كثيرا . وليست العربية بنجوة من هذا الذى يطرأ على غيرها من اللغات .

وعلى هذا يتحتم على الباحثين والدارسين ان يأخذوا انفسهم بالمنهج الوصفي ، فان كثيرا من الالفاظ انتقلت انتقالات عدة بحيث أن « المصطلح الفني » يؤلف مثلا مرحلة معنوية من الدلالة التى انتهت اليها لفظة من الالفاظ او تركيب من التراكيب.

فلا بد ان يعنى المعجم الحديث بهذه الناحية ويثبت هذه الالفاظ التى جدت فى العربية واقتضتها ظروف المجتمعات الجديدة .

ومن العجب ان المعجم العربي الحديث لم يول هذه الناحية ما تستحقه من عناية كافية وربما تنكر اصحاب المعجمات الحديثة لهذا النوع من المولد الجديد . وليس عجيبا أن يكون نفر من هؤلاء ما زال يعد الجديد المولد غير فصيح وان اقتضاه عصرنا وجرى عليه الاستعمال ، وشاع وقيد فى النصوص والوثائق . وهذه النظرة وان تمسك بها جماعة من اللغويين فى عصرنا فان المعربين كافة اخذوا انفسهم باستعمال الجديد ، وقد بحث الاوربيون فى هذه الناحية والفوا فيها مصنفات عدة ما زالت تدرس حتى يومنا هذا (2) .

واذا عدنا الى عربيتنا الحديثة وجدناها تزخر بمئات من الالفاظ الجديدة المولدة والمعربة وقد أخذت طريقها الى الاستعمال وصارت مخصصة مقيدة بنوع خاص من المعنى . غير ان اللغويين ما زالوا مترددين فى عد هذا الجديد من الفصيح .

ان عربية يومنا هذا غير تلك العربية التى كان ابناء امسنا القريب فى مطلع هذا القرن يعربون بها . ومن غير شك ان عربية هذا الاقليم تختلف عن عربية اقليم آخر فى هذا الوطن العربي الفسيح الارجاء . ومن غير شك ايضا أن خصائص العصر لا بد ان نلمسها فى لغة اية حقبة . ان هذه الحال تصدق اذا عرفنا أن القدماء قد جردوا من اللغة طائفة من الالفاظ والاستعمالات تتصل بحقبة من الحقب او بنظام سياسي معين او بلون اجتماعي خاص او بفرقة من الفرق ، كأن تكون هناك الفاظ عباسية واخرى من المجازات الاسلامية كمجازات القرآن ومجازات الحديث، وطائفة لغوية ذات علاقة بالتصوف الاسلامي ، وطائفة اخرى تتصل بالفلسفة الاسلامية.

وجاء العصر الحديث وبرزت الحضارة الغربية وتطلع العرب الى الوان هذه الحضارة فوجدوا أن لا ضير على الحضارة الاسلامية من اخذ شيء من الوان هذه الحضارة الوافدة . وسواء رضينا ام ابينا هذه الالوان الجديدة فانها لابد أن تجد سبيلها الينا . وكان من ذلك ان صارت لغتنا العربية معبرة عن خصائص هذا العصر الجديد فحفلت بالفاظ جديدة كما حفلت بطرائق جديدة فى الاستعمال .

قلت : قد حفلت العربية الحديثة بالفاظ جديدة . ان عنصر الجدة فى هذا الموضوع هو ان

---

(1) من المقالة الثانية من كتاب « فلسفة النشوء والارتقاء » لشبلي شميل (مطبعة المقتطف مصر 1910) ص 120 – 121 .

(2) من هؤلاء Darmestetiv فى كتابه « حياة الكلمات » La vie des mots . ومنهم Whiteney فى كتابه « حياة اللغة » La vie du langage . ومنهم Richard و Ogden فى كتابهما The Meaning of Meaning

دلالة جديدة قد وجدت . وهذا يعني ان تطورا ما قد حدث وان المعربين وجدوا أنفسهم محتاجين الى شيء من جديد يؤدي معاني جديدة استحدثت لغرض من اغراض الحياة الجديدة .

اقول : من الواجب علينا ان نفسح لهذا الجديد الذي قذف به المستعملون ، فى كتاباتنا لانه صار من مادة هذه اللغة . وسأعرض لجملة من هذه الالفاظ ولم أرد من ذكرها الا ان تكون أمثلة على النهج الذى أشرت اليه من ذي قبل . وهذه أشتات جمعتها من هنا وهناك ولم اتبع فى جمعي هذا منهجا خاصا فمنها ما شاع فى لغة الصحافة اليومية ، ومنها ما هو جار على السنة المذيعين ، ومنها ما هو مستعمل فى لغة الكتابة الخاصة ، واعني بالخاصة لغة الكتابة غير الادبية كالالفاظ الاقتصادية والسياسية ونحو ذلك .

لعل احدا يقول : ان هذه الالفاظ ينبغي ان تصنف فى مجموعات حسب الاختصاص الذى تنسب اليه ، كان يكون لالفاظ السياسة مجموعة خاصة ينتظمها سفر خاص ، وهكذا فى سائر الاختصاصات. وهذا صحيح غير ان العربية ما زالت مفتقرة اليه .

على ان هذا لا يعني اغفال هذه الالفاظ الجديدة فى المعجم اللغوي ، ذلك أنها معان جديدة ينبغي أن يشار اليها بايجاز فى معجم لغوي حديث (1) .

ودونك شيئا من هذه الالفاظ الجديدة :

1) **الامبريالية** : لفظة اعجمية الاصل عربت على هيأة المصدر الصناعي ، والمصدر الصناعي مادة مهمة فى العربية افيد منها كثيرا فى التوصل الى كثير من المصطلحات العلمية . والكلمة تعريب Imperialisme وهي تعني فيما تعنيه الاتجاه السياسي المتصف بالسيطرة والتوسع . وعلى هذا كانت الامبريالية درجة عليا من درجات الاستعمار . والوصف منها ((**امبريالي**)) وهو مقابل لـ Imperial والاصل الاعجمي القديم الذى بنيت منه الكلمة الغربية هو الكلمة اللاتينية التى ترجع الى العصور المتاخرة Imperialis وهو من Imperium وهذه الاخيرة تعني Empire وقد عربت هذه بـ ((**الامبراطورية**)) او ((**الانبراطورية**)) . و**الامبريالية** كلمة يستعملها صنف كبير من الكتاب السياسيين والاقتصاديين وتظهر فى كتاباتهم للتعبير عن مصطلح أعجمي لا بد من توفيره فى العربية . وهي كسابقتها ((**الامبراطورية**)) من الشيوع والاستعمال .

وبعد فليس من الحق الا يعرض أصحاب المعجمات الحديثة لشيء من هذه المعربات . ومن الناحية التاريخية أن الوصف بـ ((**الامبريالي**)) Impérialiste كان قد عرف فى سنة 1546 بمعنى المتعصب والمنحاز للامبراطورية الالمانية . وفى القرن التاسع عشر كان هذا الوصف يعني من يتعصب للاسرة النابوليونية ، ثم صار يعني من يتعصب ويميل للامبراطورية البريطانية التوسعية .

2) **الانتاجية** : مصطلح جديد قذف به كتاب الاقتصاد يريدون به « قابلية الانتاج » Productivité ؛ وقد بني هذا المصطلح على المصدر الصناعي . واذا كان المصطلح كلمة واحدة كان خيرا من آخر مركب من كلمتين او اكثر . وينبغي أن يراعي فى ذلك اللغة التي عرب منها المصطلح .

3) **الانتهازية** : كلمة تشيع فى كتابات المعاصرين للتعبير عن نمط فى الاخلاق غير مقبول ، فالانتهازي عندهم هو النهاز للفرص بغية الحصول على منفعة . وعلى هذا كان الانتهازي من لا يؤتمن ولا يطمأن اليه ، والكلمة مما ينبز بها فى هذا العصر . والانتهازية الخلق الذى يتصف به الانتهازي ، والكلمة من غير شك ترجمة لـ Opportunisme وهي معروفة مستعملة فى كتابات السياسيين . والانتهازي من الساسة من يحسن الافادة من الظروف خدمة لمصالحه .

فاذا كانت الكلمة بهذه الحدود الواضحة وبهذه الكثرة من الاستعمال فمن الغريب ان يخلو منها معجم حديث للعربية . ومن المفيد أن أشير الى الكلمة القديمة ((**نهاز**)) وهي وزن المبالغة لـ ((**ناهز**)) او **نهزة** على « فعلة » لما قد يؤديان من المعنى الجديد ولما يقتربان مما هو انتهازي » .

---

(1) اغفل « المعجم الوسيط » كثيرا من هذه الالفاظ الجديدة كما اغفل غيرها . انظر مجلة المجمع العربي بدمشق (المجلدات:الثامن والتاسع والثلاثون والاربعون) : نظرات فى المعجم الوسيط لعدنان الخطيب .

4) **الانهزاميــة** : كلمـة اخرى تشيـع فـي كتابات المعاصرين ممن يتناولون المسائل السياسية . وهي نموذج خاص من الخلق ، **فالانهزامي** هو الذى لا يحتمل مواجهة الامور الصعبة والظروف الدقيقة ، وانما يفضل الابتعـاد عـن الصعـاب ولا يستطيـع احتمال النتائج . والكلمة ترجمة للكلمة الاعجميـــة Défaitisme .

واظن من المناسب ان يشــار الى مثـل هـذه المولدات الجديدة فى معجم جديد للعربية .

5) **البرجوازيــة** : مصطلح جديد بني علـى المصدر الصناعي للتعبير عن طبقة اجتماعية خاصة ، وهي الطبقة الوسطـى كما يذهـب اصحـاب علـم الاجتماع . على ان الكلمة قد تكون وصفا فيقال مثلا: **المفاهيــم البرجوازيــة** اي مفاهيم هذه الطبقة وانماط تفكيرها والكلمة تعريب للكلمة الفرنسـية Bourgeoisie .

والاصل فيها كلمة Bourg وتعني المدينة فكأن « **البورجوازي** » فى الاصل ساكن المدينة Bourgeois ثم تطورت فـي الاستعمـال عبر العصـور فصـــار البورجوازي يعني المتمتع بحقوق خاصة يمليها عليه سكنى المدن . ثم صارت تعني الرجل المرفه المترف ، ثم هي عند العمال تعني رب العمل او السـيد المطاع. وربما افادت الكلمة معنى سلبيا فى نظر طائفة من المجتمع ، ذلك ان البورجوازي لدى العمال فى بداية عصر التحول الصناعي ، انسان غير محبوب ، واذا كان غير محبوب فالكلمة تشير الى النبز من هـذه الناحية .

وهي فى كتابات علماء الاجتماع والسياسييـن صارت تعني طبقة من الناس لها افكارها ولها اخلاقها، ثم اندست معربة فى العربيـة بهـذه الخصوصيـــة المعنوية . وعلى هذا كان من المفيد ان يشار اليها فى معجمنا الحديث .

6) **التقدميــة** : مصطلح جديد يفيد طريقة فى التفكير واسلوبا فى العمل وفلسـفـة تجنـح الى التقدم والعزوف عن الجمـود وهي كلمـة جديـدة شاعت فى كتابات السياسيين وعلماء الاجتمـاع فى مطلع هذا القرن ولاسيما فى كتابـات الاشتراكييـن وانصار المذاهب اليسارية . **والتقدمي** هو القائـل بالتقدمية والسالك فى نهجها والآخذ بفلسفتها . وهـي من غيـر شـك ترجمـــة لـ Progressisme **والتقدمـي** يقابله لفظ Progressiste .

ومن المفيـد ان نشيـر الى ان الكلمـة حيـن استعملت فى العربية اوشكت أن تكون من لـوازم الاشتراكية . وهـــذا يعنـــي ان الاشتراكييـــن والشيوعيين من القائلين بالتقدمية . ثم توسـع فى استخدام التقدمية حتى استقرت فى مكانها الصحيح حتى صار التقدمي هو المؤمن بالتقدمية فى المجـالات الاصلاحية . وعلى هذا كان من الضروري ان يشار الى هذه الكلمة فى صورها المختلفة فى معجم حديث للعربية .

7) **الثوريــة** : مصطلح جديد يفيد النزعة الى الثورة والاندفاع اليها . و « **الثوري** » هو المتصـف بهذه النزعة وهذا الاندفـاع . والكلمـة الاخيـــرة ترجمة لـ Révolutionnaire .

8) **الجمهوريــة** : نظام معروف فى الحكم . ولا نرى حاجة للقول ان الكلمة لابد ان يشار اليها ف معجم لغوي لشيوعها واستعمالها .

9) **الديمقراطيــة** : وليس من حاجة للاسهاب فى شرح هذا المصطلح الذى صار من الشيوع بحيث صار مفهوما لدى المختص وغيره . وقد عرب الكتاب العرب هذه الكلمة واجروها على المصـدر الصناعـي للتعبير عن المعاني التي تنطوي عليها كما اخذتها امم كثيرة للتعبير عن المعاني نفسها فلابد أن نشير اليها فى معجماتنا اشارة كافية . وهي تقابل كلمة Démocratie .

10) **الديماكوجية** : وهذه كلمة جديدة اخذت سبيلها فى كتابات المعاصرين من اصحـاب العلـوم الاجتماعية . وهي معربة من Démagogie . وهي تعني فى السياسة الطريقة التى يتملق بها الجمهور والعامة .

والكلمة من اصل اغريقـي هـو Démagogia والمتمذهب بهذه الطريقة يقال له Démagogue اي الديماكوجي . ولابد من الاشـارة الى ان هـذه الكلمة قد استعملها الكتاب العـرب فى المشـرق العربي على هذا النوع من التعريب . غير ان نفرا من الكتاب قد آثر ان يلجأ الى ترجمة هذه الكلمة فاتخذ « الفوغائية » مقابلا للكلمة الاعجمية . وهذه الكلمـة الاعجمية المنسوبة الى « الغوغـاء » اريد بها النبـز والاحتقار حين جعلت مقابلا للأعجمية . ومن الضروري

ان يشار في معجمنا الحديث الى هذه الكلمة ونظائرها مما هو جار في استعمال الكتاب العرب عملا بالنهج العلمي لدى يؤرخ الالفاظ في علم المعجمية الحديثة.

11) **الفوضوية** : وهو اصطلاح جديد يريدون به سيطرة الدهماء والغوغاء . وهو في استعمال الكتاب العرب يتخذ شيئا من النبز والاحتقار ، في بعض الاحيان . وهو مذهب له انصار في المجتمعات الغربية الحديثة وهؤلاء اصحاب افكار غريبة . والكلمة ترجمة لـAnarchisme وقد بنيت هذه الكلمة الجديدة في العربية على كلمة ((**فوضى**)) المعروفة ، وينبغي ان نعرض لهذه الكلمة التي تقلبت في الاستعمال ، فالمعروف أن « فوضى » جمع على « فعلى » والاصل فيها « فضى » جمع فضيض مثل شتى جمع شتيت ثم عرض لها الابدال ، وكثيرا ما يعرض هذا النوع من الابدال . ثم ان المعنى يدل على هذا الاصل ، فكلمة « فوضى » تعني في الاصل « المتفرقين » والى هذا ذهب الشاعر القديم :

لا يصلح الناس **فوضى** لا سراة لهم

ولا سراة اذا جهالهم سادوا

اقول : ان هذه الكلمة اصابها التحول والتبدل بسبب الاستعمال الكثير ، فقد انتقلت من الجمع الى المصدرية اذ المعروف ان « فوضى » في لغتنا الحديثة تعني « عدم النظام » وما ابعد هذا عن المعنى القديم. وفي هذا عرض للتطور الذي يعرض للغة .

12) **الراسمالية** : مصطلح جديد من مصطلحات علم الاقتصاد الحديث . والكلمة مركبة منحوتة ، فان ((**راسمال**)) بالهمز ، او ((**راسمال**)) بتسهيل الهمزة كلمة جديدة ، وكأن تركيبها قد أغفل النظر اليه فصارت تجمع على « رساميل » . على ان تركيبها ما زال منظورا اليه لدى من يجمع الكلمة على « رؤوس أموال » . ومن الطريف أن يشار الى ان العامية العراقية قد اغفلت النظر الى تركيب هذه الكلمة فاشتقت منها فعلا هو ((**رسمل**)) بمعنى ان البضاعة المبيعة قد ردت « راسمالها » اي انها لم تخسر ولم تربح .

13) **الرجعية** مصطلح جديد مبني على طريقة المصدر الصناعي للتعبير عن معنى جديد هو الميل للافكار القديمة وعدم الاقبال على الجديد من الفكر والعمل. ووصف نفر من الناس بالرجعية من باب النبز والاحتقار ، ولا يصفهم بذلك الا اصحاب التقدمية والقائلون بالفكر الجديد . وعلى هذا تكون الرجعية ضد التقدمية .

والكلمة ترجمة للكلمة الاعجمية « Réaction » . وصاحب هذه الصفات ((**رجعي**)) Réactionnaire . ولما كانت هذه الكلمات مما يصف بها التقدميون خصومهم فقد يفرط في استعمالها . وعلى كل حال لابد من الاشارة الى هذه المولدات اللغوية في المعجم الحديث أو على الاقل في المعجمات الخاصة كمعجم المصطلحات السياسية ومعجم المصطلحات الاقتصادية ونحو ذلك .

14) **الكولونيالية** : وهو مصطلح جديد معرب على هذه الطريقة استعمله الكتاب السياسيون. والمراد به ((**الاستعمار**)) وكأن هؤلاء عدلوا عن الاستعمار لعمومه وشموله وعدم تحديده للمراحل السياسية والحدود التي يجري عليها استعباد الشعوب . وعند هؤلاء ان ((**الكولونيالية**)) الصق بنوع خاص من السيطرة لا تؤديه كلمة « استعمار » وهو من « Colonialisme » .

ولا ندري ايكتب لهذه الكلمة المعربة الشيوع والبقاء أم يطويها الزمن كغيرها مما يقذف به الكتاب لحاجة طارئة تقتضيهم ذلك .

15) **المحسوبية** كلمة معروفة يكثر استعمالها في لغة الدواوين ويراد منها ان يكون لبعضهم حظوة لدى جماعة من الحكام والرؤساء فهؤلاء يقدمونه ويخصونه بالمنافع ويؤثرونه على غيره مراعاة له على نحو يبتعد عن العدالة والنصفة دون حساب لمصالح الآخرين . والكلمة ترجمة لـ Favoritisme .

16) **المسئولية** : مصدر جديد يراد به الاضطلاع بالأمر وتحمل العواقب والتهيؤ للعمل الجاد بحيث أن صاحب المسئولية مسئول عما يقوم به . و ((**المسئول**)) نظير الرئيس والحاكم والمتصرف بالامور . وهذا مما ينبغي ان ينبه عليه في كتب اللغة التي تعنى بالجديد من المعاني . والمسئولية يقابلها بالفرنسية Responsabilité كما يقابل كلمة مسئول Responsable .

17) **النضالية** : وهي كلمة جديدة مبنية على طريقة المصدر الصناعي للدلالة على الاستعداد الطبيعي للعمل الشاق في سبيل تحقيق هدف سام كالاعمال الوطنية عامة والنضال ضد المستعمر مثلا. ومجيء الكلمة كما قلت على طريقة المصدر الصناعي يشعر ان هذه الكلمة اصبحت مصطلحا يفيد « القابلية على النضال » أو « الروح النضالية » (Militantisme) (1)

18) **الوصولية** : من المصطلح الجديد وهو مصدر صناعي من « الوصول » للدلالة على ما في « **الوصولي** » من الخلق والعمل . والوصولي من يعمل كل شيء ويسوغ لديه كل عمل في سبيل الوصول الى بغيته . والوصولي من الصفات الجديدة التي يوصف بها هذا النوع من خلق الله . وهو خلق رذيل، ومن هنا كانت الوصولية نبزا وشتما وهي تحضر في كتابات السياسيين في عصرنا . وعلى هذا كان من الضروري الاشارة الى هذا النوع من المولد الجديد . والوصولية ترجمة لـ « Arrivisme » .

19) **مؤتمر** : وهذا مصطلح جديد يراد منه ان يكون مقابلا لـ« Congrès »وهو الندوة التي يجتمع فيها نفر من الناس يتشاورون في امر ما . وهو الائتمار والاستئمار والتآمر والمؤامرة وهو التشاور. وعلى هذا كان **التآمر والمؤامرة** بمعناها الحديث وهو المكيدة والخديعة ، غير معروف في اللغة القديمة . غير ان شيئا من هذا المعنى الحديث وجد في « الائتمار » جاء في التنزيل : « ان الملأ **يأتمرون بك** ليقتلوك » قال ابو عبيدة : اي يتشاورون عليك ليقتلوك . وعلى هذا كانت الكلمتان « مؤامرة » و « تآمر » من الكلمات المعروفة التي شاعت وكثر استعمالها في المعنى المشار اليه في أعلاه وهي تعد من باب المولد الجديد الذي ينبغي ان ينص عليه .

20) **العملاء** : وهي من كلمات النبز والشتم الجديدة . والكلمة جمع مفردها « **عميل** » والمراد به من يعمل لمصلحة دولة اجنبية ضد مصلحة وطنه . وعلى هذا كأنها تقابل « جاسوس » من الالفاظ القديمة . ولا يوجد في العربية صفة على « فعيل» من هذه الكلمة ، فهي جديدة في صيغتها جديدة في معناها . وهي تقابل Agent الاعجمية. والكمة من الشيوع في الاستعمال بحيث يجب أن ينص عليها اذا ما اريد تسجيل العربية تسجيلا تاريخيا .

21) **الرائد** (Pionnier) : وهي كلمة قديمة . والرائد الذي يرسل في التماس النجعة وطلب الكلأ ، وفي حديث امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (ع) في صفة أصحابه : « يدخلون **رودا** ويخرجون ادلة » اي يدخلون طالبين للعلم ملتمسين للحلم ويخرجون هداة للناس . وأصل الرائد الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث .

هذا هو استعمالها المأثور عن العرب الاقدمين ، أما الاستعمال الحديث لهذه الكلمة ففيه شيء من الجدة ينبغي أن يشار اليه ولا يكتفى بتخطئته فيقال: « الزعيم الرائد » في الكلام على زعيم من الزعماء ، كما يقال : الصحيفة الرائدة او الفكرة الرائدة . وهذا نوع من الاستعمال جديد يوصل اليه بشيء من اللطف في فهم التشبيه والمجاز .

هذه جملة مصطلحات جديدة لها مكانها في اللغة الحديثة فهي تستعمل في مقامات مخصوصة بحيث صارت جمهرة القراء تقرؤها كل يوم وتسمعها كل يوم . ولذا كان من الواجب ان تدون هذه الاستعمالات مقرونة بالظروف والاحوال .

ان الجديد الذي نلاحظه في لغتنا الحديثة آخذ بالازدياد لما عرضنا في مقدمة هذا البحث من أسباب. أما القول بأن هذا من لغة الجرائد نبزا له وابعادا فذلك غير سديد . ان طائفة كبيرة من الالفاظ القديمة قد انصرفت الى معان جديدة فينا حاجة ماسة اليها .

فان لم نقبل هذه المعاني الجديدة فكيف نعمل ازاء التأمين ، والتصميم والتخطيط والصمود والمسح والتغطية والتوعية والارضية والخلفية واشياء اخرى ؟ وساعود لابحث في هذه الالفاظ الجديدة في مبحث قابل والسلام عليكم .

---

(1) وردت كلمة Militantisme في معجم لاروس : « Dictionnaire du Français Contemporain »

الأضداد في اللغة

الدكتور حسين

- 3 -

خالفت اضداد ابي حاتم السجستاني ما سبقها من كتب في العنوان ، اذ لم تقتصر على الاضداد وحدها ، بل هي « كتاب المقلوب لفظه في كلام العرب ، والمزال عن جهته ، والاضداد » . والمراد بالجزء الاول من هذا العنوان ما يسمى « المقلوب » مثل تهيبني الطريق وبالجزء الثاني الاضداد نفسها مثل الجزء الثالث ، فالمزال عن جهته هو ما وجه وجهة مضادة غير معناه الاصيل . فالعنوان يصرح اذن ان الكتاب خاص بالاضداد ، والعبارات المقلوبة. ولكن هذا التقسيم لم يثمر ما يماثله في متن الكتاب.

وتشتمل اضداد ابي حاتم على 170 ضدا ، اخذ منها 116 من قطرب ، واتفق ابن السكيت معه في 54 منها . ولم يشترك ابو حاتم مع ابن السكيت في شيء من بقية الاضداد التي لم يأخذها من قطرب ، وقدرها 54 ايضا . فلم يقع بينهما اشتراك الا فيما اخذاه من قطرب . ولكن ابا حاتم لم يأت بهذه الاضداد من عنده ، بل اخذه منها من ابي زيد (166 ، 211 ، 216 ، 243 ، 244) ، و 3 من الاصمعي (214 ، 267 ، 271) ، واثنين من ابي عبيدة (106 ، 118) وواحدا من التوزي (180) وآخر من ابي زيد والاصمعي معا (275) . واشترك مع ابن الانباري في 28 ضدا ، لا ندري مصدرها على وجه اليقين ، وان ورد فيها اسماء بعض اللغويين .

اما ما انفرد به ابو حاتم عن قطرب وابن السكيت فاضداد قلائل ، يمكن ان نفرعها الى الانواع التالية :

أ ـ ما يتبع صيغة انفعل وافتعل من الاجوف والمضاعف ؛ وهما الصيغتان اللتان زادهما هذا المؤلف (175) .

ب ـ ما يتبع صيغة فعول وفعيل (158 ، 160 ـ 165 ، 173 ، 203 ، 204) . وسبب انفراده تجديده في امثلتهما .

ج ـ اضداد كان يشك فيها (246 ، 272) .

د ـ اخطاء (209 ، 231) .

وظننت في باديء الامر انه حذف ما حذف من اضداد ابن السكيت ، لانه لم يرض عنها او عن نوع الاضداد الذي تمثله . ولكن الدراسة بينت انه ذكر من الاضداد ما هو من نوعها . فقد حذف بعض اضداد مجازية (65 ـ 69 ، 71) واضداد اللغات (57 ، 59) واضداد التطير (96) واضداد المتعلقات (13) . واضداد فعول وفعيل (87 ، 30) وغيرها. وكان من هذه الاضداد التي حذفها ما رواه ابو عبيدة (60 ، 67 ، 70 ، 71 ، 100) وابو عمرو الشيباني (12 ، 14 ، 56) والاصمعي (10 ، 15) وقطرب (98) . وكان فيما زاده اضداد الصيغ المختلفة من افعل وفعول ومفتعل وتفعل (246 ، 162 ـ 165 ، 175 ، 203 ، 231) واضداد مجازية (273)

واضداد اللغات (227) واضداد المتعلقات (236) وغيرها . اما الفرق الواضح بينهما فكثرة اعتماد ابن السكيت على أبي عبيدة وابي عمرو الشيباني ، واكثار ابي حاتم الرواية عن قطرب وابي زيد والاصمعي .

وجمع أبو حاتم فى آخر كتابه ثلاثين ضدا ، افردها عن بقية الكتاب لشكه فيها . ووجه اليها نقدا عاما اذ قال (1) : « وقد ذكر بعض اصحابنا حروفا لا علم لي بها : اتقال أم لا » . وكان من هذه الاضداد ما شاركه فيه ابن الانباري (257) وما شاركه فيه قطرب وابن الانباري (252) ، وما شاركه فيه الاصمعي وابن السكيت وابن الانباري والصغاني (187) .

ولا تختلف الخطة التى سار عليها ابو حاتم فى معالجة الاضداد ، فى معالمها الكبرى وان اختلفت فى بعض التفاصيل ، عما رايناه فى اضداد ابن السكيت. فهما متفقان فى تقديم المادة ، فمعنييها ، فشواهدهما تارة ، وتقديم المادة فأحد المعاني وشواهده ، فالمعنى الآخر وشواهده . قال (2) : « بيضة البلد . يقال : فلان بيضة البلد : اذا ذم ، اي قد انفرد ، ويقال ذلك فى المدح ، زعموا . فأما فى الذم فقال الراعي لعدي بن الرقاع العاملي :

تأبى قضاعة ان تعرف لكم نسبا
وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

قال ابو حاتم : يجوز ان يكون قول الراعي هزءا ، يهزأ بهم يقول : أنتم سادة البلد ، وهو يهزأ بهم . وقال حسان لمزينة ، وقد قتلوا اباه فجعلهم جلابيب ، اي سفلة :

أرى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا
وابن الفريعة امسى بيضة البلد

وقال المتلمس :

لكنه حوض من أودى باخوته
ريب المنون فاضحى بيضة البلد

واما قول ابن الزبعرى :

كانت قريش بيضة فتفلقت
فالمح خالصه لعبد مناف

فليس من هذا فى شيء» . وقال (3) : «زهق. الزاهق : الميت . يقال : زهقت نفسه وقال تعالى : « وتزهق انفسهم » و « قل جاء الحق وزهق الباطل » وزهق بين يدي القوم : مضى وتقدم . وقالوا : والزاهق : السمين ، قال زهير :

القائد الخيل منكوبا دوابرها
منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

وقلما كان يسلك الطريقة الثانية ، الا فى المقتطفات التى اخذها من غيره . وكان فى بعض الاحيان يترك الطريقتين ، ويذكر المادة كما تأتي . قال (4) : « ظهر . بطن : وقال الحسن رحمه الله : (بطائنها من استبرق) . ظواهرها . وقالوا : ظهر السماء : وجهها ، وبطن السماء كذلك ، وقرات القرآن عن ظهر قلب . وعن ظهر اللسان . قال الشاعر :

وان من القول التى لا شوى لها
اذا زل عن ظهر اللسان انقلابها

وقالوا فى قوله تعالى : « فيظللن رواكد على ظهره » اي على وجه البحر . وقالوا : امر ظاهر عنك : اي زائل ، قال الهذلي ابو ذؤيب :

وعيرها الواشون اني احبها
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

اي زائل . ويقال : النعمة ظاهرة عليه : اي لازمة له » . فالمعاني والشواهد كلها مختلطة لا نظام لها .

---

(1) ص 148 .
(2) 171 .
(3) 195 .
(4) 240 .

واعتمد ابو حاتم في علاجه على الشواهد ولكنه كان يقلل منها في الشواهد التي انفـرد بها عن ابن السكيت ، ولم يظهر لي انه اخذها من غيـره . ولا يختلف الاستشهاد عند ابي حاتم عنـه عنـد مـن سبقه ، طريقة وانواعا ، غير انه أكثـر من الآيـات القرآنية ، وقلل من الامثال والاقوال . وهذه بعـض امثلة الاستشهاد عنده . قال (5) : « الآدم من الابل ومن الظباء : الابيض . ومن كل شيء بعد ذلـك : غير الابيض على ما يقول الناس . يقولون : رجل آدم ـ (اسمر) وظبية ادماء : بيضاء . وبعيـر آدم : للابيض ،وناقة ادماء » . وقال (6) : « قد قالوا : بصير ، للبصير الاعمى ، وللزنجي ابو البيضـاء . وقال لي رجل من شق الاحساء : لي ام بصيـرة ، يريـد عميـاء .

ولكن ابا حاتم خالـف من قبلـه في ناحيـة واحدة من الشواهد ، هي ايراده احيانا السند في تفسير الآيات والاحاديث . قال (7) : « حدثني ابو عامر العقدي قال : حدثني سفيان بن عيينة ، عـن عمرو بن دينار : ان ابن عباس قرا : (وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) ... » .

وكان في العـلاج يحـاول الا يستطرد كما كان يفعل ابن السكيت ، وان يلتزم بما اتصل بالاضداد وحـده .

ولكن هذا لم يمنعه من الالتفات الى المشتقات المتصلة بالاضداد ، والعناية باللغات ، كما نرى في قوله في « نـد » (8) : « النخـل ، يؤنثـه اهـل الحجاز ويذكره سائر الناس . ويؤمل : من املته ، مخففة ، ويقال : هو مأمول ومن قال املته ، فشدد الميم . قال : هو مؤمل . وقالوا للواحـد : شبـه وشبيه ، وعدل وعديـل . وقد يقال للعـدل مـن الاحمال : عديلة : ايضا » .

وكان الى جانب هذا يلتفت احيانا الى بعـض القواعد والاحكام اللغوية والنحويـة ، ويذكرهـا . قال : « قال ابو حاتم : اجتمعـت العـرب على ان (نـد) الشيء مثله وشبهه وعدله ، ولا اعلمهـم اختلفوا في ذلك ... والجمع انداد .. وكثيـر من العرب يجعلون الند ايضا للجمع من الرجال والنساء. وللاثنين من الرجال والنسـاء ، كما يجعلـون المثـل والشبه والعدل والضد .. ويقال : نـد ، ونديـد ، ونديدة بالهاء ، كما يقال في الحديث : « اذا أتاكم كريمة قوم فاكرموه » : اي كريم قوم ... قال تعالى: « كلا سيكفرون بعبادتهـم ، ويكونـون » اي تكـون الالهة ضدا عليهم . وانما جعل الضد كالمصادر التى تكون للواحد والجمـع سـواء . كقولـك : القـوم رضى ، والقوم عدل . وهم جنب ... وهذا مشهور في المصادر خاصة . ويقال : قوم كرم ، في معنى : كرام وقالوا : قوم شرط : وقزم : للئام ، وقد يجمع فيقال : قزامى واشراط » .

وكتاب الاضداد لابي حاتم اكثر انتظاما من كتاب ابن السكيت ، اذ ينظم اضـداد فعـول ، وافتعـل وانفعل من الاجوف ، وافتعل من المضعف الثلاثي ، ولم يظهر ذلك التنظيم بهذا البروز في اضداد ابن السكيت . يضاف الى ذلك انه آخر مجموعة كبيرة من الاضداد التى شـك فيها الى آخـر اضـداده ، وصرح بشكه فيها . ولكن تسرب اليه الاختلال في مادة « ضنين وظنين » التى لا ندري سبب وضعه اياها في الاضداد ، وفي مادة « قعد » التى كررها مرتين (9) .

يضاف الى ذلك ان ابا حاتم في اضداده امتاز على ابن السكيت امتيـازا كبيـرا ، دل علـى قدرة فائقة . وقد ظهرت آثار هذه القدرة في النقود التى عقب بها على كثير مما اورده من اضـداد . وعندمـا نتتبع هذه النقود نخرج بالملاحظات التالية :

اقام ابو حاتم الشطر الاكبر من نقده ، على عدم معرفته هو بالمعنى المقول به للفـظ . وهو يقيم من نفسه مثالا اللغويين ، فيعني بقوله : « لا أعرفـه » ان اللغويين لا يعرفونه . قال مرة (10) « اجتمعت

(5) 176 .
(6) 225 .
(7) 111 .
(8) 106 .
(9) 212 ، 261 .
(10) 106 .

العرب يجعل الضد مثل الند ، ويقول هو يضادني ، أعلمهم اختلفوا فى ذلك ... (و) زعم قوم أن بعض العرب يجعل الند مثل الند ، ويقول هو يضادني ، فى ذلك المعني ، ولا اعرف انا ذلك . فأما المعروف فى الضد فى كلام العرب فخلاف الشيء ، كما يقال: الايمان ضد الكفر ، والعقل ضد الحمق .. » .

وكان فى اكثر الاحيان يأتي بهذا النقد فى الاضداد المتعلقة بالقرآن تحرجا منه وورعا . مثال ذلك قوله (11) : « كان ابو عبيدة يقول : خاف من الخوف ، ومن اليقين . وكان يقول : « فان خفتم الا تعدلوا » يريد ايقنتم . ولا علم لي بهذا لانه قرآن ، فانما تحكيه عن رب العالمين ، ولا تدري لعله ليس كما يظن » .

والدعامة الثانية عنده . تغليط القائل ، مثل قوله (12) : « قال أبو عبيدة : الخنذيذ من الخيل : الفحل والخصي . وغلط ، انما الخنذيذ الفائق من الخيل ، ومن كل شيء . ويقال خطيب خنذيذ ، وشاعر خنذيذ . وقال خفاف بن عبد شمس :

وبراذين كابيات واتنا
وخناذيذ خصية وفحولا

الخصية : الخصيان . فأراد منها خصيان ومنها فحول . وقال بشر بن ابي خازم فى نعت فرس :

وخنذيذ ترى الغرمول منه
كطي الزق علقه التجار »

وعثرت على نقد واحد من ابي حاتم قام على عدم الثقة بمن روى الضد ، قال (13) : « قال ابو عبيدة: أسررت الشيء : اخفيته واظهرته ايضا . وكان يقول فى هذه الآية : (واسروا الندامة لما راوا العذاب) : اظهروها . ولا اثق بقوله فى هذا ، والله اعلم . وقد زعموا ان الفرزدق قال :

فلما راى الحجاج جرد سيفه
اسر الحروري الذى كان اضمرا

ولا أثق ايضا بقول الفرزدق فى القرآن . ولا ادري لعله قال : « الذى كان اظهرا » اي كتم ما كان عليه . والفرزدق كثير التخليط فى شعره ، وليس فى قول نظيريه جرير والاخطل شيء من ذلك. فلا اثق به فى القرآن » .

كذلك عند ابي حاتم نقد واحد قام على أن الضد من احتيالات النحويين قال (14) : « قال قوم : سوى الشيء ، غيره ، وسواه : هو هو . وقال قوم : بل سوى تكون زيادة احيانا ، كقول ابي النجم : « كالشمس لم تعد سوى ذرورها » يريد لم تعد ذرورها ، أي أن ذرت ، اي طلعت . وانشدنا ابو زيد :

اتانا فلم نعدل سواه بغيره
رسول اتى من عند ذي العرش هاديا

يعني النبي صلى الله عليه وسلم . والمعنى فلم نعدله بغيره . وقال الاخفش : اراد فلم نعدل سواه بغير سواه ، فالهاء ترجع الى سواه . وهذا من احتيال النحويين ، وكلام العرب على غير ذلك».

— * —

كتاب ابن الانباري

وصل الينا ايضا « كتاب الاضداد » لابي بكر محمد بن القاسم الانباري . وقد قدم المؤلف ـ كأبي حاتم ـ بين يدي كتابه مقدمة ، صدرها بالحمد والصلاة ، ثم عرف الاضداد ، وذكر ما دفعه الى التاليف فيها ، وقسم الكلام العربي تمهيدا لوضع الاضداد فى موضعها اللائق بها ، وابان نشأتها الاولى فى اللغة . ونستبين من الاطلاع عليها أن ابن الانباري ادخل فى مقدمته مقدمة قطرب كلها .

وكشف ابن الانباري عن النهج الذى اختطه فى كتابه ، فقال (15) : « وقد جمع قوم من اهل اللغة الحروف المتضادة ، وصنفوا فى احصائها كتبا . نظرت فيها . فوجدت كل واحد منهم اتى من الحروف

(11) 117 .
(12) 115 .
(13) 168 .
(14) 181 .
(15) ص 13 .

بجزء . واسقط منها جزءا ، واكثرهم امسك عن الاعتلال لها . فرايت ان اجمعها فى كتابنا هذا ، على حسب معرفتي ومبلغ علمي ، ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة فى مثل معناه، اذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يعدم منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان ، واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد » .

ووفى المؤلف من الخطوة الاولى من نهجه . فقد ذكر جميع ما فى اضداد ابن السكيت وابي حاتم، ما عدا قريبا من 30 اهملها لشكه فيها — وجميع ما فى اضداد قطرب غير 12 ضدا . وكان قطرب قد انفرد بعشرة منها ، واتفق معه ابو حاتم فى الباقيين 77، 164 . وزاد عليها اضدادا اخرى ، فبلغ المجموع 357 . وكانت هذه الزيادة وفاء منه بالخطوة الثانية من منهجه ، الى جانب ما أورده من فوائد فى اثناء الحديث عن الاضداد نفسها .

اما « حسن البيان » فظهر اولا فى الخطة التى رسمها لنفسه ولم يحد عنها تقريبا . واوجزها فى الابتداء بالتنبيه على ان اللفظ من الاضداد ثم تقديم معنييه المتضادين ، ثم اتباعهما بالشواهد ان كان بين يديه شيء منها . وها انذا افتح الكتاب عفوا ، لالتقط الضد الذى يكون فيها . قال (16) : « وتأثم حرف من الاضداد . يقال : قد تأثم الرجل ، اذا أتى ما فيه المأثم ، وتأثم اذا تجنب المأثم ، كما يقال : قد تحوب الرجل اذا تجنب الحوب . ولا يستعمل تحوب فى المعنى الآخر . اخبرنا محمد بن احمد بن النضر قال : حدثنا معاوية بن عمرو قال : حدثنا زائدة ، عن هشام قال : قال الحسن ومحمد : ما علمنا احدا منهم ترك الصلاة على احد من اهل القبلة تأثما من ذلك ، اي تجنبا للمأثم . .» وكان فى بعض الاحيان يجمع بين كلام قطرب والاصمعي فى سياق واحد ، كما فعل غيره أيضا (ربب) .

وظهر « حسن بيانه وكثرة فوائده » فى حشو المواد . فقد عني بابانه اصل الاضداد وما اتصل بها من مشتقات فى احيان كثيرة ، مثل (17) : « وقال الفراء : حسبت اصله من حسبت الشيء اي وقع فى حسابي . ثم كسرت السين منه ، ونقل الى معنى الشك . . . وقال الفراء : خلت اصله من الخيال اذا تخيل لك الشيء ، ثم اعمل فى الاسم والخبر ، ونقل الى معنى الظن . . » .

وعنى فى بعض الاضداد بايراد معانيها الاخرى غير المتضادة ، مثل (18) : « الظن يقع على معان اربعة : معنيان متضادان : احدهما الشك ، والآخر اليقين الذى لا شك فيه . . والمعنيان اللذان ليسا متضادين : احدهما الكذب ، والآخر التهمة . فاذا كان الظن بمعنى الكذب قلت ظن فلان ، اي كذب ، قال الله عز وجل : « ان هم الا يظنون » .

واكثر فى علاجه للمواد من ايراد الاحكام والقواعد اللغوية والنحوية بشكل بارز لم نره عند من قبله . قال فى « توسد (19) » : « وانشد الفراء :

يا رب ساريات ما توسدا
الا ذراع العنس او كف اليدا

اي كان ذراع الناقة بمنزلة الوسادة . وموضع اليد خفض باضافة الكف اليها ، وثبتت الألف فيها ، وهي مخفوضة ، لانها شبهت بالرحى والفتى والعصا، وعلى هذا قالت جماعة من العرب : قام اباك ، وجلس اخاك ، فشبهوها بعصاك ورحاك وما لا يتغير من المعتلة . هذا مذهب اصحابنا . وقال غيرهم : موضع اليد نصب بكف ، وكف فعل ماض من قولك : قد كف فلان الاذى عنا » . وقال : « الأون حرف من الاضداد ، يقال : الأون ، للرفق والدعة ، والأون : للتعب والمئونة . . . والمئونة اخذت من الأون ، وهو التعب والنصب. والاصل فيه ماونة مفعلة، من الأون، فنقلت ضمة الواو الى الهمزة ، ويجوز ان تكون مفعلة من الأون وهو الرفق والدعة فاذا قالوا هو عظيم المئونة فمعناه : عظيم التسكين والرفق . ويجوز ان تكون المئونة مفعلة من الأين ، والأين التعب. قال الشاعر :

---

(16) 105 .
(17) 4‹3 .
(18) 1 .
(19) 115 .

لا يغمز الساق من أين ولا نصب
ولا يعض على شرسوفه الصفر

واصلها على هذا القول مأينة ، فحولوا ضمة الياء الى الهمزة ، وجعلوا الياء واوا لانضمام ما قبلها ، كما قال الآخر :

وكنت اذا جاري دعا لمضوفة
اشمر حتى ينصف الساق مئزري

فمضوفة مفعلة من الضيافة ، واصلها مضيفة ، ففعل بها ما فعل بمئونة . وتكوين المئونة فعولة من منت الرجل ، فتهمز الواو لانضمامها ، كما قال امرؤ القيس :

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها
نئوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فنئوم فعول من النوم ، همز الواو لانضمامها » وامثال ذلك في الكتاب كثيرة .

وعنى في الحشو ايضا باللغات . فكان يقول : « اخبرنا أبو العباس قال : يقال : هو الباز وهو البازي ، فمن قال : هو الباز ، قال في التثنية : هما البازان والجمع البيزان ، على مثال قولهم : الخال والخيلان ، ومن قال : هو البازي قال في التثنية : هما البازيان ، وفي الجمع البزاة على مثال القاضي والقضاة . قال ابو بكر : في الباز لغة ثالثة لم يذكرها في هذا الكتاب وذكرها لنا في بعض اماليه قال : ويقال : هو البأز ، بهمز الالف مثل الفأس والكأس ، وتجمعه في ادنى العدد من ثلاثة الى عشرة فتقول : ثلاثة ابؤز ، كما تقول : افؤس واكؤس . فاذا كثرت فهي البؤوز ، كما تقول كؤوس وفؤوس . فجمع القلة على افعل مثل الأفلس والأبحر ، وجمع الكثرة على الفعول مثل الفلوس والبحور . قال ابو بكر : في الباز لغة رابعة ، يقال: هو البازي ، بياء مشددة تشبه ياء النسبة .. » .

وكثر في حشوه النقد وخاصة نقد قطرب وابن قتيبة . واقام ابن الانباري كثيرا من نقده على تعارض الاقوال المختلفة من اللغويين . فأورد اقوالهم وقارن بينها ليخلص الى الرأي الصواب عنده ، مثل (20) : « القرء حرف من الاضداد . يقال : القرء للطهر ، وهو مذهب اهل الحجاز ، والقرء للحيض ، وهو مذهب اهل العراق . ويقال في جمعه اقراء وقروء . وقال الاصمعي عن ابي عمرو : يقال : قد دفع فلان الى فلانة جاريته تقرئها ، يعني أن تحيض ثم تطهر للاستبراء . ويقال : القرء هو الوقت الذى يجوز ان يكون فيه حيض ، ويجوز ان يكون فيه طهر ... ويقال : قد اقرات النجوم اذا غابت . قال أبو بكر : وهذا حجة لمن قال : الاقراء الاطهار ، لانها خرجت من حال الطلوع الى حال الغيبة » وقال الاصمعي وأبو عبيد : يقال : قد اقرات المراة اذا دنا حيضها ، واقرات اذا دنا طهرها . قال ابو بكر : هذه رواية أبي عبيد عنهما . وروى غيره : اقرات اذا حاضت ، واقرات اذا طهرت . وحكى بعضهم قرات ، بغير الف في المعنيين جميعا . والصحيح عندي ما رواه أبو عبيد » .

وقد راينا — فيما سبق — ان ابن الانباري نقد بعض الاضداد ، لان المعنيين لصيغتين مختلفين لا صيغة واحدة مثل فعل وافعل ، او لان المعنى الثاني للفظ غير شائع الاستعمال ، او لعدم وجود شواهد تدعم المعنى الثاني . ويمكن ان نضيف اليها ما يحدد السياق معناه ، مثل (21) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم اليت المراة تالى ، اذا عظمت اليتها ، واليت الشاة وغيرها ، اذا قطعت اليتها . قال ابو بكر : وليس هو عندي من الاضداد ، لان كل واحد من الحرفين ينفرد بمعنى واحد ، ولا يقع على معنيين متضادين » .

واذا قارنا بين نقد أبي حاتم ونقد ابن الانباري ، وجدنا الاول منهما معتدا بنفسه ومعلوماته ، عنيفا في هجومه ، ولم نجد شيئا من ذلك عند الثاني . فابن الانباري لا يقارن اقوال قطرب او غيره من مؤلفي الاضداد بمعارفه هو كما يفعل أبو حاتم بل باقوال غيره من اللغويين . ولم يغلط ابن الانباري احدا ، ولا حجب ثقته عنه ، ولا عد أقواله من الاحتيالات كما فعل أبو حاتم . وبينا كان ابو عبيدة هدف نقد أبي حاتم الاول ، كان ابن قتيبة الهدف الاول لنقد ابن الانباري .

ومن مظاهر قدرة ابن الانباري في التمحيص حذفه ما حذف من اضداد ابن السكيت وابي حاتم . فقد حذف من الاول ارقام 14 ، 17 ، 87 ، 96 ،

---

(20) 8 .
(21) 322 .

100 ، 103 ، 105 . وكلها كان ابو حاتم قد حذفها غير رقم 94 الذى اورده فيما شك فيه من اضداد ، ولعل ذلك الذى دعا ابن الانباري الى تركه .

وحذف من ابي حاتم ثلاثة انواع من الاضداد : اولها ما انفرد به ، مثل 246 ، 272 ، 244 ، 266 ، 275 ، 166 ، 109 ، 242 ، 173 ، 236 . واكثرها مما شك فيه ابو حاتم نفسه ، او اقيم على اساس خاطىء 109 ، 166 ، 180 ، 236 . ثانيها بعض ما كان على صيغة فعول ، مثل 160 ـ 163 . ثالثها بعض ما كان على صيغة افتعل وانفعل من الاجوف ، او افتعل من المضاعف ، مثل 118 ، 175 . وكان حذفه لما حذف من هذه الصيغ اكتفاء بما ذكره هو منها لا لشكه فيها .

واخيرا وفى « باستيفاء الاحتجاج واستقصاء الشواهد » . فاتى بالانواع المختلفة من الشواهد : من القرآن ، والحديث ، والشعر ، والامثال والاقوال . كما فعل سابقوه . وقد مرت علينا امثلة ذلك . وعني فى كثير من الآيات والاحاديث وتفسيرها ، بايراد سند اقواله . وكانت عنايته هذه اكبر من عناية ابي حاتم . فكان يقول (22) : « اخبرنا ابو محمد جعفر بن احمد بن عاصم قال : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا ابو عبد الرحمن عثمان بن عبد الرحمن الجزري قال : حدثنا عبيد الله بن ابي العباس ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : سأل نافع بن الازرق عبد الله بن العباس عن قول الله عز وجل : (وانتم سامدون) فقال : معناه لاهون . فقال نافع : وهل كانت العرب تعرف هذا فى الجاهلية ؟ قال : نعم ، اما سمعت قول هزيلة بنت بكر وهي تبكي عادا حيث تقول :

بعثت عاد لقيما
وابا سعد مريدا

وابا جلهمة الخيـ
ـر فتى الحي العنودا

قيل : قم فانظر اليهم
ثم دع عنك السمودا

وكان يأتي بالشواهد على الامور الاستطرادية فى كلامه . ويعلق على الشواهد ويشرحها ويطيل احيانا ، وقد يبين ما فى الشواهد الشعرية من روايات . قال مثلا فى مادة « ماتت بجمع » (23): « وقال الشاعر يذكر ماء ورده :

وردناه فى مجرى سهيل يمانيا
بصعر البرى من بين جمع وخادج

فالجمع : التى فى بطنها ولد ، ويقال : بجمع بكسر الجيم . والخادج : التى القت ولدها ويقال : قد خدجت الناقة تخدج اذا القت ولدها قبل اوان النتاج وان كان تام الخلق ، واخدجت تخدج اذا القته ناقص الخلق وان كان لتمام » . وقال فى « طرب » (24) : « وقال لبيد فى معنى الحزن .

واراني طربا فى اثرهم
طرب الواله او كالمختبل

معناه : واراني حزينا . ويروى : او كالمحتبل ، بالحاء : اي كالذى يقع فى حبالة الصائد » . والشواهد فى الواقع كثيرة عنده جدا ، معنى بها لدرجة كبيرة . فكان يستقصي الاستشهاد على جميع اضداده . ولم يترك منها الا الاضداد التى نقلها عن غيره بدون ان يكون مستشهدا عليها ، او فى المعاني المشهورة . وكان يصرح بانه لا يستشهد على المعنى المشهور ، لانه ليس فى حاجة الى ذلك . فكثيرا ما نرى هذه العبارة التالية عنده :

«لا يحتاج فيه الى شاهد لشهرته عند الناس ». او « لا يحتاج مع شهرته الى ذكر شواهد له » او « شهرته تغني عن اقامة الشواهد عليه » وما ماثلها.

يتضح من كل ذلك ان قول دائرة المعارف صحيح حين وصفت اضداد ابن الانباري بانها اهم كتب الاضداد . فهذا الكتاب قريب من كتاب ابي حاتم ، ولكنه يفوقه فى كثرة المواد وحسن العلاج ، وكثرة الشواهد وتنوعها ، ودقة النقد وكثرته ، وفى الاستطرادات التى تحوي كثيرا من الفوائد النحوية ، عن ائمة الكوفة .

---

(22) 17 .
(23) 152 .
(24) 57 .

ولا يعيب الكتاب غير بعض الاختلال . الذى كان له اربعة مظاهـــر :

1 ـ الاضطراب : فالمؤلف ينظم صيغة فعـول لان قطربا نظمها ، ولا ينظم فعيل ، لان هذا لم ينظمها. وابو حاتم نظـم صيغتي افتعل وانفعل من الاجوف والمضاعف ، والمؤلف لا يفعل ذلك (262 ، 263) . ولا يبين انها قاعدة عامة فيما جاء على هذه الصيغة. ويذكر ابن الانباري كثيرا من الالوان على انها اضداد، ولكنه يفرقها فى اماكن مختلفة ، وحقها الجمـع فى موضع واحد . ونتج عن هذا تكرار الكلام عن بعضها. وينطبق الكلام نفسه على الحروف والادوات التى عدها من الاضداد . ويتصل بذلك تفريقه اشباه الاضداد ، وكان واجبا عليه أن يفصل الاضداد ، عن اشباهها ، ويضع كلا منها على حدة .

2 ـ التكرار : مثل الاخضر (223 ، 245) وطلع (202 ، 257) وزءوم (230 ، 259) كــرر الكلام عنها فى الموضعين مع اتفاق السـياق على وجه التقريب فى (طالـع) واختلافـه فـى (الاخضر) و (زءوم) . وكرر عن فزع ايضا (129،182) وان اختار فى المرة الاولى صيغة (فزع ومفـزع) وفى الثانية (فزع) .

3 ـ اضداد لا ينبه فى صدرها علـى ذلـك ، ويبتديء فى علاجها مباشرة ، مثل نـاء (94) حتى اضطرب الناشر المصـري الاول فيها ، واتى بها فى تضاعيف الكلام عن سابقتها (124) كانمـا ليسـت مادة جديدة .

— * —

كتـاب ابي الطيـب اللغــوي

ظهرت اول محاولة لترتيب الاضداد على يد ابي الطيب عبد الواحد بن على اللغوي الحلبي المتوفـى عام 351 هـ . فقد إطلـع هذا اللغـوي على كتـب الاضداد السابقة ، وجمعها امامه ، ثم نظر اليها نظرة ناقدة ، خرج منها بكتابه . واذن فقد كان يرمي ابو الطيب الى « احكام تصنيفه ، واحسان ترصيفه ، والزيادة على ما ذكر منه ، والغاء ما خلط من غيره فيه ، لتقوى منة القائليـن به ، ويضعـف قـول النافين له » كما يقول فى مقدمته . ويدلنا هذا على ان حركة التاليف فى الاضداد نضجـت ، ووصلـت الى مرتبة التفلسـف والنقد ، بدلا من الاقتصار على الجمع .

وتبين هذه النظرة المدققة الناقدة فى منهـج المؤلف ، اذ قسم كتابه الى قسمين : الاول للاضداد المرضية عنده، والثاني للاضداد التى ادخلها السابقون وليست من الاضداد فى حقيقتها . قال فى مقدمته: « وترى من سبقنا الى هذا الكتـاب قد ادخـل فيه ما ليس منه ، مما نحن ذاكرو صدر منه فى آخره بعد الفراغ من المقصد فيه » .

اما الاضداد المرضية ، او القســم الاول مـن الكتاب ـ وهو الاكبر ـ فرتبه فصولا بحسب حروف المعجم . ووضع فى كل فصـل الالفـاظ المبـدوءة بالحرف المعقود له الفصل معتبرا الحرف الاصلـي فيها . قال فى المقدمة : « وقد راينا أن نبوبه على حروف المعجم ، اذ كانت همـة اهل زماننـا مقصورة عليه ، وقلوبهم مائلة اليه ، وخير ما تحرى ما نفع . وافضل ما انتدب له ما شفى ونجع » . ولكن ابـا الطيب اكتفى بترتيب الفصول ، ولم يحاول ترتيب الالفاظ نفسها فى داخلها .

والقسم الثاني من الكتاب ، الخاص بما ادخله السابقون من اضداد ليست منها فى الحقيقة ورتبه ابوابا . كل باب منها خاص بنوع من هذه الاضداد . وبلغ عددها اربعـة ابواب ، أولها لما استـوى فيـه الفاعل والمفعول من صيغة مفتعـل ومنفعـل مـن الاجوف ، وثانيها لما استوى فيه الفاعل والمفعـول من المدغم العين فى اللام ، وثالثها للمجازي ، ورابعها للمقلوب . والبابان الاولان مرتبان على الحرف الاول ايضا ، اما الاخيران فغير مرتبين ..

وحين يلقي المرء نظرة على هذا الكتـاب يجـده مفتتحا بمقدمة قصيرة ، تستهل بعد الحمد والصلاة بما تحراه المؤلف فى كتابه من احكـام التصنيـف واحسان الترصيف ... ثم تعريف الاضداد ويختمها بمنهجه والدعاء .

وتبدأ الاضداد بعنوان « الالف » الذى يشير الى فصل الالف بالطبع .

ولم يسم المؤلف هذه المجموعـات « فصـولا » ولكني وهبتها هذا الاسم للتيسير .

ويظهر منذ الضد الاول تحري أبي الطيب الجمع والاستقصاء ، اذ يقتبس فيه من جميـع السابقيـن

عليه . قال : « قال ابو زيد : يقال : امر أمم : اذا كان عظيما ، وامر امـم : اذا كان صغيـرا . وقـال الاصمعي : امر أمم : اي قصد . وقال ابو عبيدة : الامم : القريب . وقال عمرو بن قميئة فى الصغير :

يا لهف نفسي على الشباب ولم
افقـد بـه اذ فقدتـه امـمـا

وقال الاعشى :

لئن قتلتم عميدا لم يكـن امـمـا
لنقتلن مثلـه منـكم فتمتثـل

قالوا : معناه لم يكن صغيرا حقيرا . وقالوا : بل لم يكن قصدا . وانشد قطرب فى معنى القصد :

اتانـي عن بنـي الاحـرا
ر قـول لـم يكـن امـمـا
ارادوا نحـت أثلتـنـا
وكنـا نمنـع الخطمـا

وانشد ابو عبيدة فى معنى القريب :

يا ليت شعري عنك والامـر أمـم
ما فعل اليوم اويـس فـى الغنـم

قال ابو حاتم : اظنه والامر قصد ، وانشد فى معنى القريب :

« قومي ايـاد لو انهـم امـم »

اي لو انهم قريب . وقال الآخر :

كوفيـة نـازح محلتهـا
لا امم دارها ولا صقـب

ويروى : « لا سقب » بالسيـن ايضـا : وهو القريب : ولذلك قالوا : دار فلانة مسقبة بدارنا : اي قريبة منها . وفى حديث الشفعة : « الجار اولى – او احق – بسقبه » : اي بما دنا منه وقرب من داره » . ذكر ابا زيد ، والاصمعـي ، وابا عبيدة ، وقطربا ، وابا حاتم .

ونستخلـص من دراسة اضداد ابي الطيـب الظواهر التالية :

الانتظام : فقد بلغت الاضداد عنده نضجها فى الدراسة ، وغايتها فى الانتظام الداخلي . فالمعانـي تقدم فى مفتتح المادة ، ثم ترد الشواهد على المعاني ، ثم تعالج المادة كلها .

وتكثر الشواهد وتتنوع عنده بصورة لا تخطئها عين . فيعتمد على الشعـر كما رأينـا فى المـادة السابقة . ويعتمد على القرآن كما نرى فى قوله (25) : « ومن الاضداد بطانة الثوب ، يكون بمعنى البطانة ، وبمعنى الظهارة . وقال الحسن فى قول الله تبارك وتعالـى : « بطائنهـا من استبـرق » قـال : اراد ظواهرها . قال قوم : لان كـل واحـد من الظهـارة والبطانة يكون وجها . تقول العـرب : هذا ظهـر السماء ، وهذا بطن السماء ، للذى نرى منها . وقال الزبير فى قتلة عثمان رضي الله عنه : « ونجـا من نجا منهم تحت بطون الكواكب » يعنـي هربـوا فـى البلاد . وقال آخرون فى هذه الآية : انمـا اراد الله تعالى ان بطائن هذه الفرش من استبـرق ، وهو الغليظ الفاخر من الديباج ، فالظهائر أشرف واعلى . والله اعلم بكتابه » .

ويعتمد على الاحاديث ، مثـل قوله فى مـادة باع (26) : « وروى ابن شهاب ، عن سالم بن عبـد الله ، عن ابيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من باع عبدا وله مال ، فماله الذى باعـه الا ان يشترط المبتاع » اي المشتري . فالمبتاع يكون بمعنى البائع ، والمبتاع يكون بمعنى المشترى ، والمبتاع يكون بمعنى المبيع ، والمبتاع يكون بمعنى الشيء المشترى . وفى حديث رواه ابن سيرين ، عن شريح ، عن ابن مسعود قال : اذا اختلف البيعـان – يعني البيـع والمشتري – والبيع قائم بعينه ، فالقـول ما قـال البائع ، او يترادان البيع » . يعني بالبيع الشيء المبيع . وفى حديث آخـر : « البائعـان بالخيـار » يريد البائع والمشتري .. وفى حديث آخر رواه ابن

(25) 67 . وانظر فهارس الكتاب .
(26) 47 . وانظر الفهارس .

مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اذا اختلف المتبايعان استحلف البائع ، ثم كان المبتاع بالخيار » .

ويعتمد على اقوال الصحابة، كما راينا في ظهر، وكما نرى في قوله (27) : « يروى عن حذيفة انه قال حين حضرته الوفاة : بيعوا لي كفنا ، اي اشتروه لي » .

ويعتمد على اقوال الاعراب والاقوال المتبادلة بين الناس في حياتهم اليومية ، كما راينا في ظهر ، ونرى في قوله ايضا (28) : « ذكر اعرابي جريرا فقال : كان سفسيرا اي حاذقا بالشعر » .

ويعتمد على الامثال ايضا (29) : « وبشرة الانسان : ظاهر بدنه عندهم جميعا ، والجمع بشرات وبشر ... ابو زيد : تقول العرب في مثل: « اراك بشر ما احار مشفر » وبعضهم يقول : اولج مشفر . قال : سمعتها من رجل من بني اسد يقول : ما اكلت استبان على بشرتك وفي لونك » .

وكثيرا ما كان يورد تعليقات على الشواهد توضحها ، كما نرى في قوله : « وقول الشاعر :

امك بيضاء من قضاعة في الـ
ـبيت الذى يستظل في طنبه

اراد نقية من المعائب ، ولم يرد ان يصف لونها. وكذلك قوله :

امك بيضاء من قضاعة قد
تمت لها الوالدات والنضد

النضد ها هنا : الاعمام والاخوال .. » .

ونسب كثيرا من الشواهد الى من انشدها كما راينا في امم : ونرى في قوله : « الامين : المؤتمن، والامين المؤتمن، بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول . وانشد ابو حاتم للنابغة في معنى المفعول به .

وكنت امينه لو لم تخنه
ولكن لا امانة لليماني »

(27) 45 . وانظر الفهارس .
(28) 45 . وانظر الفهارس .
(29) 74 . وانظر الفهارس .

واغترف ابو الطيب من اضداد سابقيه ، وما اتوا به في سبيل تفسيرها وتعليلها ونقدها والاستشهاد عليها . وكان حريصا كل الحرص على نسبة كل قول الى قائله ، حتى في الاحوال التي لم يلتزم فيها عبارة واحد منهم ، وجمع بين عباراتهم ، اشار الى ذلك . فكان اكثر من جمع بين عبارته قطرب وابو حاتم . وجمع ايضا بين التوزي ، وقطرب وابي عمرو ، وقطرب وابي عبيدة . وجمع احيانا بين اقوال ثلاثة منهم معا، مثل قطرب وابي حاتم والتوزي، وابي عبيدة وابي زيد والاصمعي .

وكانت الثمرة الطبيعية لهذا ان كثرت الاضداد عنده كثرة هائلة تعادل كثرتها عند ابن الانباري ، وان تمثلت في كتابه جميع الظواهر التى وجدت في كتبهم ، في الاضداد والشواهد والتفسير . بل ان ما جاءوا به ولم يرض عنه لم يخل كتابه منه ، وجمعه في آخر الكتاب .

ولكن ذلك لم يلغ شخصية ابي الطيب . فما اكثر تعليقاته الشخصية التى يورد بعضها عن لغويين آخرين ، وياتي ببعضها من معارفه العامة ، ويقصد فيها الى زيادة التوضيح ، والاعتراض ، والنقد ، والترجيح ، وما الى ذلك من امور .

والحق انهيعادل كتاب ابن الانباري قدرا واهمية . ويفوقه في اتجاهه الادبي ، وكثرة شواهده وتنوعها ، وكثرة الاحاديث عنده ، وفوائده التى اضافها ، واصراره على نسبة كل قول الى صاحبه ، وما ادخله على الاضداد من ترتيب . اما ابن الانباري فيفوقه في القرآنيات ، والعلل اللغوية والصرفية ، والعبارات المؤلفة .

— * —

كتاب ابن الدهان

اعلن ابن الدهان في مقدمة اضداده انه نظر في كتب السابقين عليه ، فوجد فيها اختلالا : اذ يذكرون ما يجب عليهم حذفه ، ويتركون ما يجب

عليهم ذكره ، ووجدها مشحونة بالشواهد . فاستهدف ان يخرج مختصرا حاويا للاضداد مجردة عن كل شيء . فهدفه الجمع والاختصار . ثم رد على من انكر الاضداد . واتبع ابن الدهان ما فعله ابو الطيب في ترتيب اضداده ، فلم يراع فيها غير الحرف الاصلي الاول واهمل بقية الحروف .

ولا يزيد الكتاب عن قائمة تورد اللفظ الضد يليه معنياه . وعلق من وقت لآخر على بعض الاضداد بعبارة « وفيه نظر » دلالة على شكه فيه . وطبيعي ان الكتاب حوى الانواع المتعددة من الاضداد ، بسبب اعتماد المؤلف على الكتب السابقة ، التي أشار منها الى كتب الاصمعي والفراء وقطرب وابن السكيت وثعلب والسجستاني وابن الانباري .

وامثل لنهج الكتاب بما يلي :

« الأمين : المؤتمن والمؤتمن .

المأتم : النساء يجتمعن في الحزن ، وفي الفرح ، وفيه نظر .

اذ : للماضي والمستقبل ، وفيه نظر .

اذا : للماضي والمستقبل ، وفيه نظر .

الأمم والأمم : الحقير والعظيم .

الآشرة : الآشرة والمأشورة » .

— * —

كتاب الصغاني

في اوائل القرن السابع ، اخرج الصغاني كتابا في الاضداد ، وصل الينا بتحقيق الاستاذ الدكتور هفنر Dr August Haffner ويفتتح الكتاب بالعبارة التي يبدو ان الصغاني كان يفتتح بها كتبه جميعا مع البسملة والحمد ، والتي تدل على اعتكافه في المسجد الحرام ..

وصرح المؤلف في مقدمته بانه قرا جميع كتب الاضداد ، وذكر ما فيها ، مع تحري الاختصار والترتيب على حروف الالفباء ..

ولم اعثر قبل الصغاني على كتاب في الاضداد مرتب على الحروف في جميع الفاظه ، فلعله اول من فعل ذلك . وكان ينظر في ترتيبه هذا الى اوائل الحروف ، فحروفها الثانية ، فالثالثة فالرابعة اي الترتيب الحديث المعروف لنا ، مع تقديم الواو على الهاء . وكان لا يعتمد في ترتيب الالفاظ الا على حروفها الاصلية . اما الزائدة فلا اعتبار لها عنده . ويبدو من عباراته الاخيرة انه تحرى الجمع وتدوين ما وضعه السابقون في كتبهم بدون تمحيص او نقد ، فهو لا يقبل المرضي وحده ، ويحذف المشكوك فيه ، بل يقبلهما معا . وقد اشار الى ذلك مرة ثانية في خاتمة كتابه القصيرة التي قال فيها : « آخر كتاب الاضداد ، ولله الحمد والمنة . وفيه كلمات ليست هي عندي من الاضداد ، ولكني قفوت فيه آثار من سبقني الى جمعها مثل ابن الانباري وغيره ، حذار ان يقال : اهمل شيئا مما اثبتوه ، فليمهد العذر العاثر عليها ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه كثيرا » .

وحين ندرس الكتاب لنرى مقدار وفائه بوعوده نراه في الخطوة الاولى جمع 337 ضدا ، ولكنه لم يذكر كل ما في اضداد قطرب وابن السكيت وابي حاتم وابن الانباري . فقد حذف من الاولى حوالي 67 ضدا ، ومن الثانية حوالي 10 أضداد ، ومن الثالثة حوالي 55 ومن الرابعة حوالي 40 ضدا . واتى في مقابلها بقريب من 75 ضدا ، ليست في هذه الكتب الثلاثة . ولا يقوم هذا الحذف على اساس الشك والنقد ، اذ لم يحاول المؤلف ذلك بتصريحه . اضف الى ذلك ان كثيرا مما حذفه رواه غير واحد من مؤلفي الاضداد (20 ، 225 ، 217 ، 77 ، 226 ، 193 ، 205 ، 60 ، 219 ، 127 ، 210، 185، 85 214، 218 ، 213 ، 24) . ولكن تجب الاشارة الى ان كثيرا مما حذفه خاطيء (231 ، 180 ، 166 ، 109 ، 255 ، 286) او مشكوك فيه (259 ، 246 ، 272 ، 273 ، 244 ، 270 ، 266 ، 118 ، 275 ، 252 ، 265 ، 243 ، 242 ، 257 ،271) او انفرد به قائلوه (16 ، 100 ، 105 ، 96 ، 17) واكثر ما حذفه من اضداد ابن الانباري ، او ينطوي تحت صيغ فعول (60 ، 158 ، 159 ، 161 ، 162 ، 163 ، 164 ، 165) او فعيل 203 ، 204 او افتعل (175) .

اما المنهج الذي سار عليه فغاية في البساطة : ايراد اللفظ ومعنييه المتضادين . ولا عناية بما بعد ذلك . فلا ذكر للغويين الذين ياخذ عنهم الا قليلا (490، 688، 706) ولا ذكر لشواهد، ولا لمشتقات ولا لمعان اخرى للاضداد ، ولا لفوائد وزيادات واحكام وقواعد . فالكتاب يمكن تسميته « متن الاضداد » . وهاك بعض الامثلة :

« الابض : السكون والحركة .

الأبـــل : الرطب واليبــــس .

المأتـم : النساء المجتمعات على الحزن وعلى الفــرح .

الارة : الحفرة التى تحفر للنار ، والنار نفسها ايضـــا .

الأزر : القوة والضعف .

أســـد : اذا جزع وجبن ، واذا جسر كالأسد .

افـــد : اذا اسرع واذا ابطأ .. الى آخـر الكتـــاب » .

ولكننا نأخذ عليه اضطراب ترتيب بعض الالفاظ عنده . فقد قدم « أون » على « أور » و « تصدق » على « صامت » و « قانـص – قنيـص – قانــع قنوع » على « قموء » والعكس اصح . كما قدم « ناء » فى أول حروف الواو اذ ذكرها مع تاء المتكلم « نؤت » والأصح وضعها فى النون مع الواو .

— * —

كتـاب عبد اللـه بـن محمـد

تقتني دار الكتب المصرية رسالة صغيرة جدا فى الاضداد عنوانها : « ذكر بعـض الاضـــداد التى ذكرت فى القاموس « جمع من يسمى « السيد عبد الله بن محمد ...» . تحت رقم 241 مجاميع وهي ورقات ، ناقصة من آخرهـا . اذ وقفت فى اثنـاء مادة « القتين » .

وواضح من عنوانهـا ان المؤلف جمع ما فيهـا من أضداد من القاموس المحيط للفيروزابادي وحده وقد سار المؤلف على ترتيب القاموس ، اذ يبدو انه فى اثناء اطلاعه كان يدون كل لفظ من الاضداد يعثر عليه . ولم يختر المؤلف الاضداد التى نبـــه عليها الفيروزابادي وحدها ، بل اختار ايضا الالفاظ التى روى لها معنيين متضادين دون تنبيه على انها مـن الاضداد . ولم يغير المؤلف فى ترتيب الالفاظ التى اختارها من القاموس ، فبقيت على ترتيبها فيه ، اي على الحرف الاصلي الاخير اولا ، فالحرف الاصلي الاول ثانيا ، فحروف الوسط الاصول مرتبة ..

وسـار المؤلف ايضا على نهج القاموس فى العناية بالتفسير وحده ، وحذف الشواهـد . فكان يـورد اللفظ ثم معنييـه المتضاديـن . وكـان فى غالـب الاحيان يحافظ على نص القاموس ايضا . وهذه بعض الامثلة من باب الهمزة منه ، تؤكد ما سبق من اقوال: « ثأثأ الابل : عطشها وارواها . وثأثـأت : عطشـت ورويت . جفأ الباب : اغلقه وفتحه كأجفاه . خجيء : استحيا وتكلم بالفحش . وأدأ الشيء : حركه وسكنه. داراته : دافعته ولاينته . رقأ بينهم : افسد واصلح. القرء : الحيض والطهر . ناء بالحمل : نهض مثقلا ، واثقل فسقط . وراء : خلف وقدام » .

— * —

كـتـاب محمـد المدنـي

تقتني المكتبة السليمانيـة بالاستانـة رسالـة اخرى فى الاضداد للشيخ محمـد المدنـي ، تماثل الرسالة السابقة او تكاد ، تحت رقم 1041 . وليس للرسالة مقدمة تبين هدفها ولا منهجها . ولكن لها خاتمة اخذ جزءا منها من المزهـر للسيوطـي ، ومن اضداد ابن الانباري . وصرح فيها : « وقد تتبعت القاموس وغيره من كتب اللغة ، واستخرجـت مـا صادفته ، ولم ادع الاحاطة » .

وعند مقارنة مادة هذه الرسالة بمادة الرسالـة السابقة لا نجد بينهما فرقـا يذكـر ، لاعتمادهمـا الرئيسي علـى القامـوس المحيـط فى الاضـداد ، وترتيبها وتفسيرها . ومثال ذلك قوله :

ثأثأ الابل : ارواها وعطشها ضد . وثأثأت الابل عطشت ورويت ضد . جفأ الباب : اغلقـه كأجفـاه وفتحه ضد . داراته : داريته ودافعته ولاينته ضد . رقأ بينهم رقأ : افسد واصلح ضد . القرء ، وبضم : الحيض والطهر ضد » .

— * —

دورق الأنـداد للأبيـاري وشروحـه

وفى اوائل العصر الحديث شارك الشعـر فى حركة الاضداد ، فألفت فيهـا الرسائـل المنظومـة ووصل الينا من هذه الحركة رسالتـان . اولاهمـا المسماة « دورق الانداد فى نظم اسماء الاضـداد »

للسيد عبد الهادي نجا الابياري المتوفى عام 1305 هـ. وقد الفه قريبا من عـام 1297 ، اذ تمت النسخـة الثانية منه على يد الناظم فى ضحـوة يـوم الثلاثـاء تاسع شوال من ذلك العام ، كما تصرح نسخة دار الكتب المصرية ، التى تحت رقم 844 لغة .

والسبب الذي دفع الابياري الى تأليف نظمه اعانة الادبـاء الذيـن يرمـون الى التأنق بالجناس والتورية والمحسنات . واما المراجع التى اعتمد عليها فالقاموس المحيط للفيروزابادي وشراحـه ، قـال الناظم فى مقدمة قصيدته :

وقد تيسر لي فى جمعها جمـل
تجمل المجتني من روضها كلمـا
كل الذى ذكر القاموس جئت به
الا الذى بصري قد زاغ منه وما
وزدت اشياء من شراحه وسوا
ها ، هكذا منه، لكن بالذي فهما
حتى ظننت بأن لم يبق قط من ال
أضداد شيء، ولكن يا اخي ربما

وشرح لنا الناظم منهجه فى المقدمة ايضـا ، فعرفنا بانه لم يلتزم الالفاظ الواضح تضاد معانيهـا وحدها ، بل ذكر ما أورده غيره ولو كان فيه تجـوز وتوسع ، وان نقده فى احيان اخرى ، قال :

وربما كان فى بعض الـذى ذكـروا
تسامـح بعمـوم او بمـــا لزمــا
فاقتفـي اثرهـم طـورا ، وآونـة
ابـدي الذى يتـراءى فيه للفهمـا

ولم يلتزم ايراد المعنييـن المتضاديـن فى كـل لفظ من الاضداد ، بل حذف احيانا المعاني المعروفة المشهورة واكتفى بايراد المعاني غير المعروفة ، قال :

طورا اجيء بكل المعنيين وطـو
را بالذى كان مجهولا ومنبهمـا
فان تعددت الاضداد جئت بمـا
يغني عن الضد من كل ، لينفهما

ويريد بالبيت الثاني ــ كما نص شارحـه ــ : « ان كثرت الاضداد بأن كان اللفظ مشتركا بيـن اربعة معان مثلا ، كل معنيين منها متضادان ، جئت من الأربعة مثلا ، بما يغني عن الضد من كل منها وذلك اني اذكر معنيين فقط : كل منهما محذوف الضـد لينفهم المحذوف بالمذكور » .
وسار فى ضبط الفاظه على هدى القاموس المحيط ، قال :

ينبيك قاموسهـا بالاصطـلاح لهـا
اذ منه مرجانهـا واللؤلـؤ انتظمـا
ما كان مهملا اومفتوحـا اولــه
اطلقته وضبطت الغيـر معتصمـا
والوزن فيما له قد حركـوا أولـه
قد سكنوا مؤذن بالضبـط للفهمـا
فان ضرورة شعر قد دعت لسوى
هذا ، اشرت اليه خوف ان تهمـا

واتبع ترتيب الفيروزابادي وتقسيمه لقاموسه، فالكتاب مقسم الى ابواب بحسب الحـرف الاخيـر للكلمات التى فيها . وترتب الكلمات فى داخل هذه الابواب بحسب حروفها الاولى فالوســطى . ولكن الشعر ارغمه احيانا على الاخـلال بهذا الترتيب فى داخل الابواب لا بين الابـواب . اعني الاخـلال فـى ترتيب الحروف الاولى ، او الحروف الوسطى ، أما الحروف الاخيرة فلا .

وهاك قدرا مما قاله الناظم فى « باب الهمزة » لتبرز معالم منهجه :

بفـرة الشهر فســر **البـراء** كـذا
بالانس **فسر بساء** واكسرن لهمـا
ثم البـلاء لمنحـة أتــى ولمحـ
ـنة ، كما جاء فى القرآن منفهمـا
ثأثـات ابلى : اي ارويتهـا ، وكذا
ثأثـات هي : اي اضحت ذوات ظما
والاجتداء بسؤال فسـروا وعطـا
كذا **الجداء** ، قاله القالي عن العلما

واجفىء الباب : اغلقه ، **وداداه**
معناه حرك ، والتسكين قد فهما

دارات خصمي ــ مهموزا، كذاك بيا ــ
دافعته ، وكذا لابنته كرما

وقام المؤلف نفسه بشرح قصيدته فى كتاب سماه « الرونق على الدورق » اكثر فيه واطال واستطرد . ولكنه ــ فيما يبدو ــ لم يتمه ؛ وانما اعطانا وصفه احمد بن احمد بن اسماعيل الحلواني ، فى مقدمة شرحه للدورق . قال : « وكان ــ حفظه الله ــ قد ابتدا شرحه الموسوم بالرونق على الدورق، لكنه طال وسار بل سال ، فى رياض الادب الفوال ، عن يمين وشمال . فانه التزم فيه تحف المناسبات الظريفة ، طرق الاستطرادات الشريفة ، وحقق ودقق ، ونمق وانق ، وحرر وحبر ، ونضد ونضر ، ونثر الدر والجوهر ، فاكثر ... فقد رايت منه اربعة كراريس ، يبذل الاديب فى مثلها النفس والنفيس . ولكنه زهر فى الاكمام ، وطفل لم يبلغ حد الفطام.. »

ورجا المؤلف من الحلواني ان يؤلف شرحا مختصرا على قصيدته . فحقق الرجاء بكتابه الذى تحتفظ دار الكتب المصرية بمسودته تحت رقم 844 لغة ، بعنوان « الكأس المروق على الدورق » ، وقد فرغ منها « يوم السبت الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وثلاث مئة والف من الهجرة الشريفة ».

وحدد الحلواني خطوات منهجه بقوله فى مقدمته : « فشرعت فى الشرح وما اطيله ، فالمقصود الدورق وهو سبيله . الا اني ان ظفرت بشيء من الاضداد ، فى باب من الابواب ، فاني اذكره تتميما للمراد ، فى خاتمة ذلك الباب . ولا التزم فى اخذه من نحو القاموس او تاجه : أن تكون نصا فى الضدية ، سيراجع الدورق فى منهاجه من اعتبار العبارة الاشارية . ولا التزم ايضا الاستقصا ، فاني ان رمته استعصى ، كيف واللفة بعيدة الساحل ، مديدة المراحل ؟ ... ولكن ما جاء عفوا اخذته صفوا . ثم لا تراني معاذ الله اعمد الى مقام مشهور ، مجته اسماع الجمهور ، فأسود به وجه السطور ، فذلك مما ينفر الطباع ، ويكدر الاسماع ، ويكون عارا لا يمحوه اعتذار ولا استشفاع ، اللهم الا ان كان من الحقوق الواجبة ، او سيق لمناسبة ، او نكتة مناسبة ، فالشيء بالشيء ، والشمس بالفيء ، فهذا لا اتحاماه ، بل أحمي حماه ، واتقي اذاه ، الى ما ستراه ، ان شاء الله ، من الالماع، بما يسحر الاسماع، من تحقيقات شريفة ، وتدقيقات ظريفة .. تراها مرة شرعية ، وكرة ادبية ، وطورا يمانية ، وحينا معدية ... يرتاح اليها الفقيه ومن حذا حذوه ، واللغوي ومن نحا نحوه .. » .

وداب الرجل فى هذا الشرح على معالجة نص الناظم نحويا وعروضيا وتفسيره تفسيرا كاملا ، وتناول كل ما عن له من مشاكل فى النص . فهو يقوم على طريقة المتون والشروح والحواشي التى كانت تسود العهود الاخيرة من تاريخنا . وصدر كل باب بكلمة عن عنوانه .

منبه الرقاد

تملك دار الكتب رسالة اخرى فى نظم الاضداد، تحت رقم 329 لغة ، باسم « منبه الرقاد فى ذكر جملة من الاضداد » لا يعرف مؤلفها . وقد تم نسخها يوم الثلاثاء الموافق لآخر يوم من شهر رمضان سنة اربع وثلاث مئة والف ، كما فى آخرها .

وتختلف هذه القصيدة عن السابقة فى عدة مظاهر ، اولها ان هذه من المزدوج الذى يقفي شطراه وحدهما ، وتختلف القافية فى الابيات بعد ذلك . اما السابقة فكانت من بحر البسيط ، والتزمت فى رويها الميم المشبعة الفتحة . واتفق الاثنان فى الابتداء بمقدمة شرح كل منهما فيها منهجه . ولكن المنهجين لا يتفقان تماما . فقد صرح ناظم هذه القصيدة بعد الحمد والصلاة بأن قصده بها علمي هو تنبيه الغافلين والجاهلين ــ ومن ثم اسمها ــ على حين كان مقصد الابياري ادبيا علميا كما رأينا . يقول ناظمنا :

وبعد فالقصد بهذا النظم
تنبيه كل غافل وامي

سميته منبه الرقاد
فى ذكر جملة من الأضداد

وأراد ناظمنا ــ كما اراد الابياري ــ الجمع ورجع فى سبيله الى القاموس والصحاح وكتب ابن ابن جني على حين رجع الابياري الى القاموس وشروحه . يقول الناظم فى المقدمة :

احسب ما وجدت منها مع قصور
وغيبتي عن فنها مع الحضور

واحسب هنابمعنى اعد ، ويقول فى الخاتمة :

معتمدا ضبطي على القاموس
لانني فى الفن كالبابوس (30)

وفى الصحاح جاعلا مجني
وربما اخذت فى ابن جني

وجعل من خطته ذكرا للمشتقات المرتبطة بالاضداد وخاصة المصادر والصفات ، على عكس الابياري يقول :

وربما اومي للاشتقاق
والقيد ان كان وللاطلاق

وللمصادر فاضبط الكلم
والوصف مع بعض اللغات المنبهم

وخصص الجزء الاخير من قصيدته للالفاظ المتماثلة — اي الكلمات المتماثلة المعنى مع تغير بعض حروفها بالابدال — والمقلوبة ، يقول :

وللمماثلين والمقلوب
عونك يا مقلب القلوب

ولجأ فى تقسيم قصيدته الى التقسيم الذى ارتضاه صاحب القاموس ، والابياري . فالقصيدة مقسمة الى ابواب بحسب الحرف الاخير من الاضداد التى يحتوي عليها كل باب ، والالفاظ ترتب فى داخل الابواب بحسب حروفها الاولى ، واواسطها ولكن الترتيب كثيرا ما افلت منه فى داخل الابواب.

وختم القصيدة بخاتمة اشارت الى انتهاء ما يريد نظمه ، وأشياء من منهجه ، والدعاء الى الله ان يغفر ذنوبه ، والصلاة على الرسول وآله وصحبه والتابعين .

وهذا باب الهمزة منه ، يمثل تناوله ونظمه :

ثانـا ذا ابله : ارواهـا
كذا اذا اغرى بها صداهـا

وثاثـات هي : اذا ما رويت
يوم ورودها ، كذا ان عطشت

وجفـا الباب : اذا ما اغلقه
كذا اذا فتحـه : فحققـه

دارأت ذا : دفعته لشـره
كذا اذا لابنتـه لعسـره

رقا : افسد واصلح ، خذ
والمصدر الرقؤ، والرقا انبذ

والقرء، بالفتح وبالضم أتى
يكون للحيض وطهر ثبتـا

وناء زيد : خف او قد ثقلا
فمجز الحال به بين الملا

ثم **الـورا** بهمز لا اعتـلال
يكون خلف وامـام تالـي

عكس الذى توهـم الامـام
الجوهري العـالم الهمـام

ويتضح منهذه الابيات ان الناظم خالف الابياري فى عدة مظاهر : اهمها التزامه ذكر المعنيين المتضادين فى كل نفظ ، عدم التزام قافية واحدة فى جميع الابيات ، ثالثها الاشارة الى المشتقات مثل مصدر الرقؤ ، رابعها الضبط واللفات فى القرء ، خامسها نقد الجوهري فى « وراء » اذ جعلها مع المعتل واصلها الهمز ، وقد اخذ هـذا النقـد من الفيروزابـادي ، سادسها انه يترك بعض الاضداد التى ذكرها الابياري، اي عناية الاخير باستقصاء الاضداد اشد من عناية صاحب « المنبه » . ومن اهم اوجه الخلاف ايضـا شعور المرء — بان قصيدة صاحب « المنبـه » أشـد سلاسة ، واعظم وضوحا ، واقل تكلفا من قصيـدة الابياري .

وهناك اوجه خلاف اخرى لم تظهر فى الابيات السابقة ولكنها ظاهرة فى القصيدة كلها ، اهمهـا اهتمام صاحب « المنبه » بذكر المعاني التى لا تدخل فى المعنيين المتضادين للاضداد مثل قوله :

---

(30) ولد الناقة ، والصبي الرضيع .

الأزر للضعف والقوة قل

وللاحاطة وللظهر نقل

فمعاني الشطر الثاني لا تدخل فى الاضداد ، وقوله :

وبتر الرجل : اعطى ومنع

كذا اذا صلى الضحى حين طلع

فصلاة الضحى ليست من المعنيين المتضادين ، وكذلك قوله :

والشسع ـ بالكسر ـ : قبال النعل

ولقليل المال ثم الجسل

فشسع النعل ليس من الاضداد . وامثال ذلك كثيرة ، ولم يعن الابياري بها .

ويعيب هذه القصيدة امران : قلة الاضداد فيها عما فى الدورق ، وكثرة الاضطراب فى الترتيب ، كما يظهر فى باب الباء ، والحاء والدال ، والراء ، والسين ، والضاد ، والعين وغيرها .

(الفصل الرابع)

فصول عن الأضداد

لم يقصر لغويو العرب جهودهم على تاليف كتب مستقلة للاضداد ، بل شارك بعضهم فى هذه الحركة ، بتخصيص ابواب او فصول للاضداد من كتبهم الجامعة . ومن الطبيعي اننا لا نستطيع ان نغفل او نحط من هذه الجهود ، وان كانت بحكم وضعها اقل شأنا من الكتب المستقلة .

وقد وصلت الينا خمس مجموعات تحتوي على ابواب مخصصة للاضداد ، وهي بترتيب ظهورها : الغريب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى بين عامي 223 ـ 230 ـ ، وادب الكاتب لابن قتيبة 270 هـ ، وسر العربية لعبد الملك بن محمد الثعالبي المتوفى عام 429 ، والمخصص لابن سيده المتوفى عام 458 ، والمزهر للسيوطي المتوفى عام 911 هـ .

الغريب المصنف

اما ابو عبيد فاعتمد فى « باب الاضداد » من غريبه على اساتيذه « ابي زيد ، وابي عبيدة ، والاصمعي ، وابي محمد اليزيدي ، والكسائي » (31) والثلاثة الاول خاصة. واورد فى هذا الباب 41 ضدا، كها موجود فى الكتب المستقلة بالاضداد . ولما كان اعتماده على اساتذته ، كان يروي عنهم مباشرة ، فصدر الباب بعبارة : « سممت أبا زيد يقول » . وانواع الاضداد عنده قليلة ، تتألف من الاضداد الحقيقية ، واضداد التفؤل ، واللغات ، والقلب ، وصيغة أفعل .

وسار المؤلف على خطة ايراد اللفظ ، ثم معنييه، ثم شواهده ان وجدت ، ونسبة كل منها الى قائله . وهو فى اغلب المواد قريب من اضداد ابن السكيت متفق معها . قال مثلا : « قال ابو زيد : طلعت على القوم اطلع طلوعا : اذا غبت عنهم حتى لا يروك ، وطلعت عليهم : اذا اقبلت اليهم حتى يروك . وقال : لمقت الشيء المقه لمقا : اذا كتبته فى لغة بني عقيل ، وسائر قيس يقولون : لمقته : محوته » . وقال ابن السكيت (40) : قال ابو زيد : يقال : طلعت على القوم اطلع طلوعا : اذا غبت عنهم حتى لا يروك، وطلعت عليهم : اذا اقبلت اليهم حتى يروك . ويقال : لمقت الشيء المقه لمقا : اذا كتبته فى لغة عقيل ، وسائر العرب يقولون : لمقته : محوته » .

ولكنه كان يميل الى الاختصار ، فاختصر عبارة ابن السكيت ، كما نرى فى قوله : « فرع الرجل فى الجبل : صعد ، وفرع : انحدر ، وقال معن بن اوس :

فساروا ، فأما جل حي ففرعوا

جميعا ، واما حي دعد فصعدوا

ويروى : فافرعوا ، وافرع فى الحالين جميعا». وقال ابن السكيت (41) : « فرع الرجل : اصعد وفرع : انحدر ، قال معن بن أوس :

فساروا : فاما جل حيي ففرعوا

جميعا ، واما حي دعد فصعدا

(31) البغية 376 .

(40) 323 ـ 4

(41) 313 .

ويروى : فأصعدا . ويروى : فأفرعوا . وقد افرع الرجل : اذا انحدر من الجبل ، وافرع : اذا صعد ، قال الشماخ :

فان كرهت هجائي فاجتنب سخطي
لا يدركنك افراعي وتصعيدي

وقال رجل من العبلات من بني امية :

اني امرؤ من يمان حين تنسبني
وفي امية افراعي وتصعيدي

الرواية : وتصويبي » . فحذف ما اورده في « أفرع » حتى التبس قوله بعض الشيء ، وحذف ما بعدها من شواهد . وكثيرا ما كان يحذفها اختصارا .

وبرغم هذا الاختصار ، كان يزيد احيانا على ما في اضداد ابن السكيت ، مثل قوله : « قال ابو زيد : السدفة في لغة بني تميم : الظلمة ، والسدفة، في لغة قيس : الضوء . وكذلك قال ابو محمد اليزيدي ، وانشد للعجاج :

« واقطع الليل اذا ما أسدفا »

اي اظلم . وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة مثل ما بين طلوع الفجر الى الاسفار». ولم يرو ابن السكيت (42) ولا ابو حاتم (43) ولا ابن الانباري (44) العبارة الاخيرة .

ولم يمنعه الاختصار من شرح شواهده ، والالتفات الى ما فيها من رواية . وكان يتفق مع ابن السكيت في اكثر الشرح مع اختصاره . مثال ذلك في قوله : « قال الاصمعي : شعبت الشيء اصلحته، وشعبته : شققته . قال : والشعوب منه ، وهي المنية لانها تفرق . وانشدنا لعلي بن غدير الغنوي :

واذا رايت المرء يشعب امره
شعب العصا ويلج في العصيان

فاعمد لما تعلو فمالك بالذي
لا تستطيع من الامور يدان

قوله : يشعب أمره : يعني يفرقه ويشتته . وقوله : لما تعلو ، يقول : تكلف من الامور ما تقهره وتطيقه » . وشرح ابن السكيت أوفى من ذلك ، اذ قال (45) : « قوله : يشعب امره : يفرقه . يقال : شعبت اهواؤهم: اي تفرقت. وقوله : لما تعلو : يعني تكلف من الامر ما تطيقه وتقهره ، ويقال : هو عال لذلك الامر : أي ضابط له قاهر » .

وتأتي مزايا هذا الباب من الاضداد من أنه يصحح بعض نقول ابن السكيت ، كما فعل في (لمق) اذ نسب معنى (محا) الى قيس . موافقا بذلك ابا حاتم (46) وابن الانباري (47) ، ومخالفا قول ابن السكيت (48) .

ويمتاز ايضا بأنه ينسب كثيرا من الاضداد التي اهملها ابن السكيت وابو حاتم الى اصحابها الذين قالوها ، مثل افاد ، واودع والمشيح وصارخ وهاجد وصريم وبثر وظن ووراء وغيرها .

ومن الطبيعي ان نضع في مزاياه زياداته في تضاعيف الشرح ، والخطة التي اتبعها في علاج الاضداد ، وجعلته لا يعني الا بما اتصل بها ، ويحذف ما عدا ذلك ، ويقلل الشواهد ، حتى صار الباب في مرحلة متوسطة بين كتب ابن السكيت وابي حاتم وابن الانباري الفاصة بالشواهد والمعلومات ، وبين كتاب الصغاني الذى حذف الشواهد جميعها.

ولكننا نأخذ عليه تكرار مادة « وراء » وتبعا لها مادة « دون » مرتين : اولاهما في منتصف الباب عن ابي عبيدة ، وثانيتهما في آخره تقريبا عن غير ابي عبيدة . ولن نعتذر عنه باختلاف الراوي لانه كان يستطيع التنبيه الى ذلك في الموضع الاول ، ويستغني عن التكرار .. والمأخذ الثاني عليه ايراده بعض الاضداد التي نقدها المؤلفون ، مثل خنذيذ

---

(42) 43، 316 .
(43) 1144 .
(44) 645 .
(45) 277 .
(46) 1372 .
(47) 133 .
(48) 50، 324 .

واسر ، التى اوردهما ابو عبيدة ، ونقدهما ابو حاتم ، ونقل النقد ايضا ابن الانباري .

— * —

ادب الكاتب

وافرد ابن قتيبة بابا صغيرا من ادب الكاتب ، « للمتضادين باسم واحد » (49) اورد فيه 27 ضدا. ونهج على ان يقدم اللفظ المراد ثم معنييه المتضادين. واكتفى بذلك كثيرا ، وفى مرات اخرى اورد شاهدا من الشعر ، وكثيرا ما اكتفى بشطر واحد من الشاهد . ونسب فى احد الاضداد قولا لابي عبيدة، وآخر للفراء . واورد فى احد الاضداد ايضا قولا يبطل التضاد اخذه من ابي عبيد وان لم ينبه الى ذلك ..

وامثل له بقوله : « الجون : الاسود ، وهو الابيض ، قال الشاعر :

يبادر الجونة ان تغيبا

يعني الشمس .

والصريم الليل ، والصريم الصبح .

والسدفة الظلمة ، والسدفة الضوء ، وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة كوقت ما بين طلوع الفجر الى الاسفار .

والجلل الشيء الكبير ، والجلل الشيء الصغير » .

سر العربية

وافرد الثعالبي فى كتابه « سر العربية فى مجاري كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن على اكثرها » فصلا خاصا بالاضداد ، سماه « فصل فى تسمية المتضادين باسم واحد (50) » .

وهذا الفصل قصير جدا كبقية فصول الكتاب، يحتوي على ثمانية اضداد فحسب . نهج المؤلف فى معالجتها ، على ان يذكر الكلمة ، ثم معنييها . قال مثلا : « الجون للابيض والاسود ، والقروء للاطهار والحيض ، والصريم لليل والصبح .. » واستشهد على ضدين فقط ، احدهما ببيت من الشعر ، والثاني بآية من القرآن : قال الخيلولة للشك واليقين ، قال ابو ذؤيب :

فبقيت بعدهم بعيش ناصب
واخال اني لاحق مستتبع

اي واتيقن . والند المثل والضد وفى القرآن : (وتجعلون لله اندادا) على المعنيين » . وواضح من هذه الخطة ان المؤلف لا يريد الا ان يأتي ببعض الامثلة على الاضداد فى اللغة ، اذ هي فى رايه « من سنن العرب المشهورة » كما قال فى أول فصل الاضداد . فالاضداد عنده ليست مسألة او مشكلة علمية تبحث ، بل مسالة فرغ البحث منها ، فهو يشير اليها فقط، ويمثل لها ..

ونستطيع ان ندخل من كتابه ثلاثة فصول اخرى ، لان مؤلفي العرب القدامى اعتبروا امثالها من الاضداد ، وهي « فصل فى المفعول يأتي بلفظ الفاعل و « فصل فى الفاعل يأتي بلفظ المفعول (51). و «فصل فى المدح يراد به الذم فيجرى مجرى التهكم والهزل » . ويحتوى الفصل الاول على سبع كلمات. ودرج فيه على ذكر الكلمة فى عبارة ، ثم يفسرها باسم المفعول . قال : « تقول العرب : سر كاتم : اي مكتوم . ومكان عامر : اي معمور » . ولم يورد الالفاظ الباقية فى عبارات ، بل فى آيات قرآنية ، والاخيرة منها فى بيت من الشعر ، وفسرها كالكلمات الاولى . قال : « وفى القرآن (لا عاصم اليوم من امر الله) اي لا معصوم . وقال تعالى : (خلق من ماء دافق) اي مدفوق . وقال : (عيشة راضية) اي مرضية . وقال الله سبحانه : (حرما آمنا) اي مأمونا . وقال جرير :

ان البلية من تمل كلامه
فانقع فؤادك من حديث الوامق

اي من حديث الموموق » .

ويحتوي الفصل الثاني على لفظين ، ذكرهما المؤلف فى آيتين ، وفسرهما باسم الفاعل قال : قال تعالى : (انه كان وعده مأتيا) اي آتيا . وكما قال جل جلاله : (حجابا مستورا) اي ساترا » .

(49) 177 — 181 .
(50) 5652 .
(51) 492 .

ويحتوي الفصل الثالث على اربع عبارات، تجري مجرى الاستهزاء فى كتب الاضداد ، والاخيرتان منها آيتان قرآنيتان . ولم يعلق المؤلف على الأقوال او الآيات ، ولم يفسرهما لوضوح مقصده منها فى عنوان الفصل . قال : « العرب تفعل ذلك (يريد الاستهزاء بالتضاد) فتقول للرجل تستجهله : يا عاقل . وللمراة تستقبحها : يا قمر . وفى القرآن : (ذق انك انت العزيز الكريم) . وقال عز ذكره : (انك لأنت الحليم الرشيد) » .

— * —

المخصص

وافرد ابن سيده فى كتابه « المخصص » (52) بابا للاضداد سماه « كتاب الاضداد » . واعتبر ابن سيده هذا الباب كتابا بالفعل ، والاضداد مشكلة علمية جديرة بالبحث ، فصدر الباب بمقدمة فى بحثها . وتناول فى هذه المقدمة تقسيم الكلام الى مختلف ، ومترادف ومشترك وعلل كل قسم منها ووضع الاضداد فى المشترك وبين ان اصل وجودها اللغات والمجاز ، ورد على منكريها كما رد على منكري الترادف . واقام كلامه هذا فى المقدمة على ما قاله سيبويه فى اول كتابه ، وشرح ابي علي الفارسي لهذه الاقوال .

واورد ابن سيده فى بابه حوالي مئة ضد ، اعتمد فى الشطر الاول منها على أبي عبيد ، وفى الثاني على ابن السكيت ، واورد فى الجزء الاخير منها اضدادا من مصادر متفرقة . ولذلك نرى الشطر الاول يسير متفقا مع ترتيب باب اضداد الغريب المصنف اتفاقا تاما ، عدا مواضع متفرقة قليلة زاد فيها ابن سيده مادة من مصدر آخر، او اختل الترتيب فيها . ونرى الشطر الثاني يسير متفقا مع ترتيب كتاب ابن السكيت تماما ، مع حذف المواد التى سبق اقتباسها من ابي عبيد . اذا كان الاثنان اشتركا فيها .

وسار ابن سيده على النهج الذى سار عليه ابو عبيد الا انه مال الى الاختصار اكثر منه . وتمثل هذا الاختصار فى تغيير عبارته ، وعبارة ابن السكيت ، بما يضغطها ولا يخرجها عن معناها . نرى ذلك فى قوله (53) : « يقال لقت الشيء المقه لمقا : كتبته، عقيلية ، ولمقته محوته ، قيسية » .

ونرى ذلك فى قوله (54) : « المقوي : الذى لا زاد معه ولا مال له ، والمقوي : المكثر : يقال : اكثر من (اتيان) فلان فانه مقو ، والمقوي : الذى ظهره قوي » . وحذف فى بعض المواضع عبارات ضرورية فى المادة ، مثال ذلك قوله (55) « السدفة : اختلاط الضوء والظلمة معا كوقت ما بين صلاة الفجر الى الاسفر » فاقتصر على العبارة الاخيرة من قول ابي عبيد ، ولم يظهر وجه اعتباره المادة من الاضداد لما حذفه منها .

وتمثل الاختصار فيما حذفه من اشياء . فقد حذف اسماء اللغويين الذين رووا الاضداد وذكرهم ابو عبيد وابن السكيت ، واكتفى بنسبتها الى ابي عبيد وابن السكيت . وكان ابو عبيد خاصة يحب ان يشير الى الاضداد التى اتفق فيها بعض اللغويين ، فحذف ابن سيده كل ذلك ..

وحذف بعض الشواهد ايضا .

اما الشواهد التى ذكرها فحذف كثيرا من اسماء قائليها ، وكان ابو عبيد وابن السكيت يذكرهم . وآخر مظاهر الاختصار عدم تكريره اللفظ مع المعنيين المتضادين اكتفاء بذكره مرة واحدة فى اول المادة ، فى بعض الاضداد ، مثل : « شريت : بعت واشتريت ... دحت الشيء دوحا : جمعته وفرقته ..

ولكن — برغم ميله الى الاختصار — كان لا يحذف شرح الشاهد او التعليق عليه ، كما نرى فى شرى ، وشعب ، وجون وخلوف والظن وغيرها . وكان فى بعض المواضع يحذف الشاهد ويأتي بآخر بدلا منه ، كما فعل فى « سواء » .

ويمتاز هذا الباب — الى جانب الاختصار — بما اتى به من اضداد زائدة على ما فى كتب ابن السكيت وابي حاتم وابن الانباري . فقد رجع — للمرة

---

(52) 13 : 258 .
(53) 26 .
(54) 265 .
(55) 261 .

الاولى فى تاريخ الاضداد – الى معاجم اللغة الكبيرة، كجمهرة ابن دريد (دوح والعكوك وخفق وغيرها) والعين للخليل (الحصباء والزاهق) ورجع الى علماء لم يؤلفوا فى الاضداد ، ولكن التقطوا منها أشياء كأبي حنيفة الدينوري (الزاهق) أو الفوا فيها ، ولكن روى عنهم اضدادا ليست فى كتبهم كابن السكيت (الحرج) . ولا يختلف علاجه لهذه الاضداد الزائدة عن علاجه لاضداد ابي عبيد وابن السكيت ، غير أنه خصص لها الجزء الاخير من بابه . وان تناثر منها شيء فى داخل كلامه المقتبس عن ابي عبيد وابن السكيت ..

ولم يزد فى الاضداد وحدها ، بل زاد أحيانا فى الشرح ، مثل ما فى (أودع) ، واحيانا بايراد بعض المشتقات التى لم يوردها سابقوه ، مثل ما فى (المشيح) ، وبعض الزيادات الاخرى التى نرى امثلتها فى نهل . وشرى ، ومثل ، وظن ، وسواء ، وخشب وغيرها . وكان فى بعض الاحيان او اكثرها ينسب هذه الزيادات الى اصحابها .

وفى آخر الباب جمع ابن سيده بعض الالفاظ، وجعل عنوانها « ما هو فى طريق الضد » . وهو فصل شبيه بالقريب من الاضداد او ما يجري مجراها ، مما رايناه فى كتب الاضداد . واورد فيه بعض الالفاظ التى تختلف معانيها اختلافا يكاد يكون متضادا ، مثل قوله : « سنح عليه الشيء يسنح سنوحا : سهل، وسنحت بالرجل : احرجته » . وروى أحد هذه الالفاظ عن ابن السكيت (وليست فى اضداده واحدها عن صاحب العين واحدها عن أبي زيد والخليل معا . ويحتوي الفصل على اربعة الفاظ فقط .

وخلاصة القول ان هذا الباب من المخصص جدير باسم « كتاب الاضداد » الذي اطلقه عليه مؤلفه فهو لا يقل عن الكتب المستقلة فى شيء – لا فى مقدمة تبحث المشكلة ، ولا عدد الاضداد او علاجها او شواهدها ، أو ما الى ذلك . بل ماثلها فى العناية بما يجري مجراها ايضا . ولكنه من الكتب التي تميل الى الاختصار ، فتركز اهتمامها بالاضداد ، وما يوضح تضادها من شواهد وعلاج ، فلا تكثر من الاستطراد وتناول الامور النحوية واللغوية والمعاني الاخرى للاضداد ، وما مائل ذلك من امور وجدناها فى بعض الكتب المستقلة . فهو فى مرحلة متوسطة بين هذه الكتب وبين كتاب الصغاني القاصر على متن الاضداد ، او هو بعبارة ادق ، فى مرحلة متوسطة بين باب الاضداد عند ابي عبيد وكتاب الصغاني من حيث التناول ، ولكنه يفوق باب ابي عبيد من حيث عدد الاضداد التى يحويها . وادق وصف له أنه اعظم باب من مجموعة لغوية فى عدد الاضداد ، ومن احسنها دقة تناول . ولا يعيبه غير بعض ما اجراه من حذف شديد فى بعض الاضداد القليلة حتى جعلها غير واضحة ..

— * —

المزهـــــر

وفى القرن العاشر الهجري افرد السيوطي فصلا من كتابه « المزهر » للاضداد ، وعنوانه « النوع السادس والعشرون : معرفة الاضداد » . وعالج السيوطي الاضداد علاج ابن سيده لها ، اي اعتبرها مشكلة لغوية تستحق البحث والنقاش . فقدم بين يدي فصله مقدمة تناولت تقسيم الكلام ، واقوال بعض اللغويين فى ذلك وفى الاضداد بنوع خاص ، والدفاع عنها ، والرد على منكريها . واقتبس أقواله هذه من علماء لم نرهم فى المخصص ، مثل الكيا ، وابن فارس والمبرد . ثم انتقل من هذه المقدمة الى الاضداد نفسها .

واعتمد السيوطي فى الجزء الاول من اضداده على ما رواه ابو عبيد فى الغريب المصنف ، كما فعل ابن سيده . ولكنه حين انتهى من اضداد ابي عبيد لم يقتبس اضداد ابن السكيت مثله بل تتبع الاضداد فى بعض المعاجم مثل جمهرة ابن دريد ، وديوان الادب للفارابي ، والصحاح للجوهري ، والجمل لابن فارس والقاموس للفيروزابادي ، وكتب الامالي والرسائل الخاصة مثل امالي القالي ، ومجاز الكلام وتصاريفه لثعلب ، وادب الكاتب لابن قتيبة ، ونوادر ابن الاعرابي والمقصور والممدود للاندلسي ، والمشاكهة للأزدي ، والافعال لابن القوطية . ويتضح من هذا ان السيوطي خالف القدماء فى المراجع التى اعتمد عليها . فقد كانوا يستقون من كتب الاضداد نفسها، واستقى ابن سيده للمرة الاولى من بعض المعاجم . فلما جاء السيوطي اكثر من هذا الورد وتوسع فيه حتى صار الاصل عنده .

ونهج السيوطي لنفسه ان يذكر اللفظ ومعنييه المتضادين ، وقد يكرر اللفظ مع كل معنى . ولا يعنى الا بما تعلق بالاضداد نفسها ، اي يحذف

الشواهد ، والشروح ، والمشتقات وما اليها ، فلا ذكر لها عنده ، الا في النادر جدا . فبابه من « متون الاضداد » اي من نوع كتاب الصغاني . يقول مثلا (56) : « اجعلب الرجل : اذا اضطجع ساقطا ، واجعنبت الابل : اذا مضت جادة . وبعت الشيء : اذا بعته من غيرك ، وبعته : اشتريته . وشريت : بعت واشتريت . وشعبت الشيء : اصلحته ، وشعبته : شققته ، وشعوب منه ، وهي المنية لانها تفرق . والهاجد : المصلي بالليل . والهاجد : النائم » .

والجأ في الاضداد التي نقلها عن أبي عبيد الى ترتيبها على قائلها . فقد نثر ابو عبيد أضداد كل لغوي نثرا دون ان يجمعها في موضع واحد ، فكانت عنده مختلطة بما يروى لغيره فلما ادخلها السيوطي في فصله ، فصل كل نوع على حدة ، وقدم اضداد ابي زيد ، فالاصمعي فأبي عبيدة فالكسائي فالاموي ، فما رواه غير واحد ، فأضداد ابي عمرو ، فالاحمر . وكان واجبا عليه تأخير الاضداد المهملة الى ما بعد اضداد الاحمر . ومن الغريب ان «الاحمر» لا يرد له ذكر في فصل الاضداد من كتاب الغريب المصنف الموجود في ايدينا اليوم ، وربما سقط الاسم من نسختنا وكان في نسخة السيوطي . اذ أن هناك بعض الاختلاف بين النسختين ، فبينما تنسب نسختنا : « شعب » للاصمعي ، ينسبها السيوطي لابي زيد ، وسقط من نسختنا احد معنيي « اشكى » المتضادين ، وهو موجود عند السيوطي .

ولكن السيوطي عندما ترك اضداد أبي عبيد اضطرب ، ولم يفلح في ترتيبها حتى على ترتيب الكتب التي اخذ منها ، بل اورد ما وقع منها تحت نظره ، ولو كان سبق ذكره . ولذلك تكررت عنده بعض المواد مرتين واكثر ، مثل « سوى » رواها عن ابي عبيد ــ وابن دريد ، و « الغابر » رواها عن ابن دريد والجوهري ، و«نصل» عن الفارابي والجوهري ، وغيرها . فبلغت الاضداد عنده قريبا من مئة وعشرين ، وهي في الحقيقة اقل من ذلك كثيرا .

وختم السيوطي فصله بفائدة ذكر فيها اسماء بعض من الف في الاضداد ، ثم سرد اكثر مقدمة كتاب الاضداد لابي بكر بن الانباري ..

وخلاصة القول في هذا الفصل انه يضارع فصل ابن سيده ، ولا يقلل من شأنه الا استغناؤه عن الشواهد ، فهو من هذه الناحية يوضع مع كتاب الصغاني ، غير أن هذا يفوقه في الترتيب والتنظيم وخلوه من التكرار .

— * —

« الخاتمـــة »

الاضداد ظاهرة غريبة .

فالذهن ينكرها للوهلة الاولى ، ويأبى ان يصدق وجود لفظ واحد يدل على معنى وضده . فالمنطق العقلي يعرف الضدين بأنهما الامران اللذان لا يقعان على شيء واحد ، وفي وقت واحد . ومن ثم كانت الالفاظ الاضداد غريبة في ماهيتها . وعلى هذا الاساس انكرها من انكرها . ولكن هذا الاساس لم يمنع ان يؤمن بها جماعات من القدماء ، وقلة من المحدثين . وكانت الفئة الاخيرة ــ أو افراد منها ــ هي التي حاولت ان تعلل هذه الظاهرة الغريبة بالرجوع الى التفكير البشري في فطرته وسذاجته ، او بالتأمل في مراحل معينة من التاريخ البشري او التاريخ العربي القديم .

ولعل ظاهرة لغوية اخرى بمثل سوء الفهم الذي احيطت به ظاهرة الاضداد . فمنذ عهد مبكر ، اختلف اللغويون فيها ، ولا زالوامختلفين . فاذا تأملنا ما دار بينهم من نقاش وجدنا الفاظهم وعباراتهم تتنافر وتتصادم ، والمؤدى الاخير لما يقولون واحدا . فهم يتجادلون حول تصورين لا تصور واحد ، وفي مجالين لا مجال واحد . ولو تحدثوا عن تصور واحد ، وفي داخل مجال واحد ، لهدأ كثير من الخصومة ، وبطل كثير من الادلة ، وربما ضاع الخلاف .

فقد كان المنكرون للاضداد ينظرون في مجال ضيق لا يتجاوز اية لهجة قبلية على حدتها . ولما لم يعثروا على اضداد في داخل اللهجة الواحدة انكروا الاضداد برمتها . وابوا ان يسموا بالاضداد ما جاء دالا على معان متضادة في لهجات قبلية مختلفة ، وان ضمتها اللغة العربية بعد .

---

(56) 1 : 188 .

وقصر المنكرون تصورهم على الالفاظ فى وضعها الاول. واعلنوا انهم لم يجدوا لفظا واحدا وضعه العرب حين وضعوه دالا على معنيين متضادين. اما اذا كان الاستعمال او التبدلات اللغوية او التغييرات الصرفية قد ادت بعد ذلك الى ان تزول الفوارق بين بعض الالفاظ ذوات المعاني المتضادة ، فتبدو الآن فى صورة واحدة ، ومتضادة المعنى ، فليس ذلك من الاضداد عندهم .

ونستطيع ان نقول : ان كل لفظ توفر له سبب ما فادى به الى الدلالة على معنيين متضادين يأبى المنكرون ان يسموه ضدا ، مهما كان هذا السبب : لهجات قبلية ، او حذفا ، او تخفيفا او ابدالا ، او اعلالا ، او مجازا ، او تفاؤلا وتطيرا ، او ما شاكل ذلك من امور . وانما الضد عندهم يجب الا يكون هناك سببفى دلالته هذه ، بل وضع اصلا لها .

اما المؤيدون للاضداد فوسعوا نظرتهم ومجالهم. نظروا الى اللغة العربية فى شمولها وعمومها . فلفت نظرهم وجود هذه الفئة من الاضداد . ثم لم يعنوا بالبحث عن اسبابها او — ان شئنا الدقة — لم تهمهم الاسباب — فقد عرفوا اسبابا الظاهرة . واعلن اكثرهم ان كثيرا من الاضداد آتية من اللهجات القبلية ، وكشفوا عن كثير من هذه الطائفة من الالفاظ . ولا خلاف بينهم وبين المنكرين غير انهم ارتضوا تسمية هذه الالفاظ القبلية بالاضداد ، ولم يرتضها الاخيرون .

كذلك لم يقصر المؤيدون نظرتهم على الالفاظ عند وضعها الاول ، بل اغفلوا هذا الوضع عامدين اذ لا اهمية له عندهم . وامعنوا النظر فى الالفاظ العربية التى يسمعونها ، ويتحدثون بها ، ويدونون ما يدونون . فوجدوا فيها فئة من هذه الالفاظ ، التقطوها ومنحوها اسم الاضداد دون ان يأبهوا للاسباب التى ادت بها الى ذلك ، ودون ان ينكروا هذه الاسباب . بل لقد شارك بعضهم كقطرب فى الكشف عن بعضها كالتوسع وما شاكله ، لان وجود سبب للتضاد لا يتنافى عندهم مع التسمية .

ولعل الاجابة عن الاسئلة التالية تزيل كل لبس امام المتنازعين :

1 — هل توجد فى العربية الفصحى التى نعرفها اليوم الفاظ ذوات صورة واحدة ، ومعنيين متضادين؟ اعتقد ان احدا لا يستطيع ان ينكر هذا الوجود .

2 — هل تعد هذه الالفاظ ظاهرة خاصة يجدر بها التسجيل بين الظواهر اللغوية ؟ اعتقد ان احدا لا ينكر هذا ايضا . واضيف الى ذلك ان هذه الظاهرة لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل توجد فى بعض اللغات السامية كما كشف بعض المستشرقين ، وفى بعض اللغات الاوربية كما كشف الاستاذ عبد الفتاح بدوي . واذن فوجود الاضداد ليس منقصة للغة العربية ، كماظن الشعوبيون قديما ، وكما يفهم من اقوال بعض المستشرقين حديثا ، مما كان واحدا من الدوافع — فى اعتقادي — التى حملت عبد الفتاح بدوي على المغالاة فى رفض الاضداد .

3 — هل تستحق هذه الظاهرة تسمية خاصة ؟ اعتقد ان كل ظاهرة مهما كان شيوعها يجدر بها ان يكون لها اسم خاص . اما المؤيدون فقد سموها « الاضداد » ، فاذا كان المنكرون يجدون لها تسمية اكثر ملاءمة ، فأهلا بها .

4 — هل الاضداد بالشيوع الذى صوره القدماء ؟

واضح من الدراسة الماضية ان تصور الاضداد اختلف من وقت لآخر ، ومن رجل الى رجل ، فضاق حينا واتسع آخر . فكان تصور الاضداد ضيق المجال ، بادىء الامر عند المتحدثين فيها دون ان يحاولوا لها جمعا او تدوينا . ولكن هذا التصور اتسع اتساعا غريبا عند اول مؤلف فى الاضداد : قطرب ، فشمل شتاتا غريبا من الالفاظ ، مما يدل على ان قطربا لم يكن يحسن تصور الاضداد ، ولا احسن وضع الحواجز الفاصلة بينها وبين غيرها واضطر اكثر من جاء بعد قطرب الى تضييق المجال الذى وسعه ، ونفي كثير من الفئات والالفاظ التى ادخلها فى كتابه . فأخذ تصور الاضداد فى الوضوح ، وحدودها فى البروز . ثم اتسع المجال مرة اخرى عند ابن الانباري خاصة بما ادخل من انواع جديدة من الاضداد . واذن فالمجال كان متغيرا عند القدماء ، وما اظن الا انه كذلك عند المحدثين ، وان كان اضيق عندهم منه عند القدماء .

5 — هل نعد كل الانواع التى اتفق عليها القدماء من الاضداد ؟.

اعتقد ان احدا لا يجادل فى ان ذلك مستحيل، وان بعض ما عده القدماء من الاضداد لا يستحق هذه التسمية . واضرب امثلة لذلك بما يلي :

أ ـ ما اختلف فى تفسيره من الآيات، والاشعار، والاقوال . فالاتفاق تام بين اللغويين انه لا يوجد فيها لفظ ذو معنيين متضادين . وانما جاء التضاد من اختلاف الناس فى فهم هذه العبارات فى مجموعها . ومثال ذلك الآية التى اوردناها سابقا : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) . فقد اختلف المفسرون فيما يتعلق به الجار والمجرور (من آل فرعون) . فذهب بعضهم الى انه متعلق بمحذوف صفة لـ (رجل) ، فصار القائل عندهم رجلا مؤمنا، من أقرباء فرعون ، يكتم ايمانه عن الناس جميعا . وذهب بعضهم الى انه متعلق بالفعل (يكتم) وان الآية حدث فيها تقديم وتأخير ، وان الترتيب العادي لها : قال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون ، فصار القائل عندهم رجلا مؤمنا ، غير انه يخفي هذا الايمان عن آل فرعون . وليس هذا وامثاله من الاضداد فى شيء .

ب ـ الفاظ وعبارات التفاؤل والتطير والاستهزاء . فاننا يجب ان نعترف ان المتحدث قد يتكلم على وقع ذهني ، يصدق احيانا على الواقع الخارجي ولا يصدق اخرى . فالمتحدث (المتفائل او المتطير) يكره الواقع الخارجي ، ويحاول ان يتجاهله ، فيوفر لنفسه كل السبل التى تؤدي به الى نسيانه. ومن اهمها عدم التحدث عنه او اعطاؤه اسما آخر لا يدل عليه . واذن فالمتفائل حين يسمي الملدوغ سليما ، والمريض معافى ، لا يريد الصورة التى يكرهها ، بل الصورة التى يحبها . فاللفظ اذن مستعمل فى معناه الاصلي ، وان كان لا يتفق مع الواقع الخارجي . اضيف الى ذلك ان المتحدث يريد ان يرسم فى ذهن المستمع صورة متفائلة . فاللفظ لا يدل الا على معناه الاصلي عند المتكلم والمستمع كليهما ، وان كان معناه ذهنيا لا واقع له فى الخارج . لو لم يكن الامر كذلك ، لما كان هناك تفاؤل او تطير او استهزاء . واذن ليس هذا وامثاله من الاضداد فى شيء .

ج ـ ما وضع فى الاضداد تعسفا او تكثرا ، مثل الالفاظ التى تختلف معانيها دون ان تتضاد ، والالفاظ التى تتضاد معانيها بسبب ما يتعلق بها من ادوات كرغب عن والى ، وانصرف عن والى ، وغيرهما .

6 ـ ما السبيل الى معرفة اللفظ الجدير باسم الضد ؟

اعتقد ان السبيل الوحيد الى ذلك هو المعنى الذى يدل عليه اللفظ . وهنا احترز فأقول المعنى الحق للفظ . واعني بهذا الاحتراز أمثال هذه الالفاظ التى لم يحسن بعض اللغويين التنبه الى معناها الحق، ونسبوا اليها معاني بدت متضادة . فالصريم هو الوقت المنقطع ، اعني الوقت المنقطع من وقت آخر، كالليل ينقطع من النهار ، والنهار ينقطع من الليل ، وليس الصريم الليل خاصة ولاالنهار خاصة . والدليل الجلي على ذلك اصل اللفظ ، ومعناه ، فأصله الصرم ومعناه القطع .

والسدفة ليست ظلمة حالكة ولا ضوءا مشرقا ، بل هي الظلمة التى ينبعث فيها الضوء ، او الضوء الذى تشوبه الظلمة ، هي اختلاط الظلمة بالضوء ، سواء كان هذا عند دخول الليل او انبلاج الصباح .

وامثال ذلك كثيرة ، فطن اليها بعض القدماء انفسهم ، كما فعلوا فى المأتم والطرب وغيرهما . وليست هذه الالفاظ من الاضداد فى شيء.

واذن فما وجدنا معانيه تؤول الى معنى واحد لا تضاد فيه يجب أن نخرجه من الاضداد . وما دل من الالفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى خارجيا او ذهنيا ، يجب ان نخرجه من الاضداد .

وانما يجب ان يكون الضد لفظا واحدا ، ذا صورة واحدة ، ومعنيين متضادين حقا لم يمكن الجمع بينهما . تلك هي الصورة الصحيحة للاضداد ، وذلك هو السبيل القويم الى تطبيقها .

« المراجـــــع »

المطبوعـــــة

الاصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قريب :الاضداد ، طبع بيروت 1913 .

ابن الانباري ، ابو بكر محمد بن القاسم : الأضداد ، طبع الكويت 1960 .

الثعالبي : سر العربية فى مجاري كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن على اكثرهـا ، طبع المكتبة التجارية 1938 .

الخليل بن احمد : العيـن ، مصور بمكتبة المجمع العلمي العراقي ببغداد ، وطبع الجـزء الاول منه ببغداد 1967 .

ابن دريد ، ابو بكر محد بن الحسن : الجمهرة ،طبع حيدر اباد بالهند .

ابن الدهان ، ابو محمد سعيد بن المبارك : الأضداد ، المطبعة الحيدرية بالنجف 1371 ــ 1952 فى نفائس المخطوطات .

الـرازي ، ابو الحسـن احمـد بن فـارس :الصاحبي فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامهـا ، طبع بيرت 1964 ــ 1383 .

السجستاني، ابو حاتم سهل بن محمـد : الأضداد ، طبع بيروت 1913 .

سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان : الكتاب ، طبع بولاق 1316 .

ابن سيده : المخصص ، المجلد 13 ، طبـع بولاق .

السيوطي : المزهر فى علوم اللغة وانواعهـا ، طبع دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .

الصغاني ، ابو الفضائل الحسن بن محمـد : الاضداد ، طبع بيروت 1913 .

ابو الطيب اللغوي الحلبي عبد الواحد بن علي :الأضداد فى كلام العرب ، طبـع دمشـق 1382 ــ 1963 .

عبد الفتاح بدوي : دائرة المعارك الاسلامية ، مادة اضداد (الطبعة العربية) .

ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري : ادب الكاتب ، ط الرابعة 1382 / 1963 .

قطرب ، ابو علي محمد بن المستنير : الأضداد، فى مجلة Islamic ، المجلد الخامس ، سنة 1931، من ص 247 الى293 .

المبـرد : الكامل ، طبع مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

منصور فهمي : الاضداد ، مجلة مجمع اللغـة العربية (الملكي) ، الجزء الثاني ، صفـر 1354 ــ مايو 1935 .

المخطـــوطـــة

احمد بن احمد بن اسماعيل الحلواني : الكاس المروق ، مخطوط بدار الكتب المصرية .

عبد الله بن محمد بن القاضي : منبه الرقـاد فى ذكر جملة من الأضداد ، مخطوط بدار الكتب المصريـة .

عبد الله بن نجا الابياري : دورق الانداد فى نظم اسماء الاضداد ، مخطوط بدار الكتب المصرية .

ابو عبيد القاسم بن سلام : الغريب المصنف . مصور بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

محمد المدني : الاضداد . المكتبة السليمانيـة بالاستانة ، فى مجموعة تحت رقم 1041 ، يبـدا الكتاب من وجه ورقة 98 الى وجه ورقة 103 .

المراجع الأجنبية

Abel: Uber den Gegensinn der Urworte, Leipzig 1884.

Giese: Untersuchungen uber die Addad auf Grund von Stellen aus altarabischen Dichtern, Berlin 1894,

H. Hirchfeld: The Journal of Royal Asiatic Society, 1895.
تعريف وتعليق على كتاب جيز السابق .

Landau: Die gegensinnigen Wörter im Alt—und Neuhebräischen, .Berlin 1896.

Landberg, Le comte de: La langue arabe et ses dialectes, Leide 1905.

Leguest: Etudes sur les formations des racines sémitiques, Paris 1858.

Nöldeke: Worter mit Gegensinn (Addad), Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1910.

Th. M. Redslob: Die arabischen Wörter mit entegegengesetzen Bedeutungen, Göttingen 1873.

Weil: Addad, in Encyclopydia of Islam.

دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية وتجربة اللغات الأجنبية في البلدان الإفريقية (1)

إدريس الكتاني
الأستاذ بجامعة محمد الخامس (الرباط)

ان اللغة ليست اداة تفاهم واتصال فقط ، ولكنها أيضا اداة للتفكير والتأمل . والانسان يفكر باللغة التي يتكلمها ، ويعيش تحت تأثير قيمها الثقافية والعلمية والدينية ، وباختصاصه واستيعابه لرموز لغته الوطنية، وكناياتها ، واستعاراتها ، وايحاءاتها ، ودلالاتها الخاصة بالزمان والمكان ، يستطيع أن يدرك الحقائق العلمية ، والظواهر الاجتماعية ، ويتجاوب مع الناس والاحداث، وينمي طاقاته العقلية والبدنية والانتاجية ، وذلك ببذل نفس المجهود المعتاد في البلدان المتقدمة .

لكن عندما يفرض على شعب متخلف استعمال لغة اجنبية عنه ، لاسباب استعمارية أو سياسية او طبقية أو مذهبية ، هل تستطيع اللغة الاجنبية ان تؤدي وظيفة اللغة الوطنية ، وان تصبح اداة سهلة لتحقيق الاهداف الوطنية ، وخاصة ما يتعلق بمحاربة الامية ، وايقاظ الوعي الوطني ، ونشر الثقافة والقيم الاخلاقية ؟ وهل سيكون بوسعها ان تساعد على تعميم التعليم ، وتحقيق تطور اقتصادي واجتماعي لعموم المجتمع ؟ .

ان الدور الهام الذي لعبته اللغات في تاريخ الحضارات والفكر البشري ليس بالشيء المجهول الذي يحتاج الى توضيح جديد هنا ، واذا كانت الدول الكبرى خلال التاريخ ، وفي العالم المعاصر ، تهتم بتطوير ونشر لغاتها الوطنية، فلتقديرها لهذا الدور ، وشعورها بأهميته البالغة في بنيانها الاجتماعي ، وعظمتها الدولية .

وتعتبر فرنسا من اشد الدول المعاصرة احساسا بهذا الدور ، ولذلك فهي تبذل في سبيل لغتها ما لا تبذله اية دولة اخرى .

منظمة اليونسكو تنصح الدول النامية باستعمال لغاتها الوطنية في التعليم

وفي تقرير اعدته لجنة من خبراء اليونسكو كلفت بدراسة مسالة الحفاظ على اللغات الوطنية للشعوب النامية ، وتطورها ، والتدابير التي يمكن اتخاذها للتعجيل باستعمالها في التعليم ، طبقا لرغبات هذه

---

(1) « نشر هذا البحث أولا باللغتين الفرنسية والانجليزية بمجلة « Cahiers Africains d'Administration Publique » التي يصدرها المركز الافريقي للتكوين والبحث الاداري للتنمية « CAFRAD » التابع للامم المتحدة بمدينة طنجة ، في عددها الخاص بتحضير المؤتمر الافريقي المنعقد بطنجة في 18 شتنبر 1972 لدراسة « مشاكل نمو الطاقات البشرية والتسيير في القطاع العام الافريقي » عدد 8 غشت 1972 . وقد تفضل السيد الاستاذ الكتاني باتحاف مجلتنا بهذا البحث القيم الذي نختصره للقراء .

الشعوب ، وعلى اساس التجارب المعروفة في البلدان الاخرى ، اكدت لجنة اليونسكو هذه انه لا يوجد أي عائق في نظام لغة ما يحول بينها وبين جعلها لغة حضارة حديثة ، وترى هذه اللجنة انه اذا كانت (اللغة الأم) كفيلة بأن تكون لغة للتعليم الجامعي والتقني ، فانه يجب استعمالها لهذا الفرض ، وطلبت اللجنة ايضا من هيئة اليونسكو أن « تدرس » امكانيات تنسيق المصطلحات العلمية والفنية للغات العلمية ، وذلك لمساعدة اللغات النامية على ان تكون لها مصطلحاتها الخاصة ، وان تتطابق في ذلك ، بقدر الامكان ، مع مصطلحات اللغات العالمية .

البنك الدولي للبناء والتنمية ينصح باستعمال اللغة الوطنية في التعليم

وهناك مؤسسة مالية دولية اخرى اتخذت موقفا من اللغات الاجنبية يتفق مع موقف اليونسكو ، ففي سنة 1963 طلبت الحكومة المغربية من البنك الدولي للبناء والتنمية القيام بدراسة عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب ، وفي التقرير الذي اعدته بعثة البنك ، بعد ان قضت في المغرب شهرا في الدراسة والبحث ، نصحت الحكومة المغربية ، ومن وجهة نظر اقتصادية بحت ، بأن تضع حدا لتعليم اللغة الفرنسية في المدارس الابتدائية توفيرا لـ 30 ٪ من وقت التلاميذ والمعلمين ، وتوفيرا لنحو 7 ملايير من الفرنك التي تنفق بدون طائل في هذا المجال ، وتخصيص هذا المبلغ الضخم في طبع الكتب ، واعداد الادوات المدرسية ، وتكوين المعلمين ، الى آخر ما جاء في التقرير من النصائح المتعلقة بتخطيط سياسة وطنية ملائمة لحاجاتنا ومصالحنا .

تجربة اللغة الاجنبية في شرق وغرب افريقيا

كانت اللغة الانجليزية حتى سنة 1963 هي اللغة الرسمية لدول افريقيا الشرقية الثلاث : طنجانيقا وكينيا واوغندا ، كما هي الحال في مستعمراتها الافريقية السابقة الاخرى ، ولكن هذا لا يعني أكثر من انها لغة نخبة تمثل نسبة ضئيلة من السكان ، لا يتجاوز مستواها بضعة اعوام في التعليم .

واكبر مشكلة واجهتها هذه البلدان بعد استقلالها السياسي هي ان الاسلوب التربوي عندها من وضع النظام الاستعماري الذي عمل على أن يتناسب ويتطور مع مصلحته هو لا مصلحة البلد الافريقي الذي يعنيه الامر ، ونظرا لذلك فان الشخصية الوطنية لاغلب الدول الافريقية أصبحت هي نفسها من مخلفات الاستعمار ، فليس من المدهش اذن ان عددا قليلا جدا من هذه الدول هي التي استطاعت ان تتبنى لغة فصحى للتلقين (Langue véhiculaire) تكون في نفس الوقت « وطنية » و « افريقية » .

ان الاساتذة لوو وكرانت ووليامس (Low, Grant et Williams) فضلا عما أكدوه من أن الاطفال الذين يدرسون بلغة تختلف عن لغة الامومة لا يتقدمون الا ببطء ، يعترفون بأن الانجليزية تعلم بطريقة سيئة جدا في افريقيا ، واغلب المعلمين في عدة نواح افريقية لم يتلقوا اي تكوين ، وخاصة في افريقيا الغربية ، وحسب تقرير بانجو Banjo سنة 1962 ، كان يوجد في نيجيريا الغربية 000 26 معلم من بين 000 40 لم يقع تكوينهم .

« وهذه الانتقادات تتوجه خاصة الى المدارس الابتدائية ، ومع ذلك فان التعليم الثانوي ايضا لا يقوم الا على اقلية من التلاميذ ، ويوشك الامر ، كما هو حاصل في الهند ، ان تنفصل النخبة عن الشعب ، بسبب استعمال اللغة الانجليزية » .

وبعد استقلال الدول الافريقية استعملت بعض اللغات الافريقية المحلية في نطاق معين ، في المستوى الابتدائي ، ولكن الانجليزية والفرنسية لم تلبثا ان دخلتا في سلك التعليم ، وغالبا في السنة الاولى من الثانوي، واصبحتا لغات فصحى .

ويلاحظ ان طانجانيقا هي احدى البلدان الافريقية النادرة ـ باستثناء الدول العربية الافريقية ـ التي لها لغة وطنية ، هي اللغة السواحلية . وقبل استقلال هذه البلاد في 2 دجنبر سنة 1961 ، عمل حزب الاتحاد الوطني الافريقي لطانجانيقا « Tanu » على تعليمها في مدارس وطنية خاصة تابعة له ، كما عمل على تعليمها للكبار في البلاد كلها ، ولم يتردد بعد استقلال البلاد في استعمالها كلغة رسمية في دوائر الحكومة والبرلمان والتعليم ، وشرع في ترجمة النصوص التشريعية الى هذه اللغة ، وفي سنة 1965 اصبحت اللغة السواحلية اجبارية في جميع المدارس الثانوية ، وفي سنة 1968 فقط نظم اول درس جامعي عن الادب السواحلي في تنزانيا .

ولم تصل سنة 1970 حتى فرض على جميع التلاميذ ان يجتازوا امتحانا فى هذه اللغة فى مستوى البكالوريا . « مع العلم بأن تعليما متقدما باللغة الانجليزية لا يزال مفروضا فى السنة الاولى من التعليم الثانوي ، ويتمنى فى بعض الاوساط ان تصبح التربية الوطنية كلها بما فيها التعليم الجامعي باللغة السواحلية ، ومع ذلك فان اعداد المواد البيداغوجية قلما يتجاوز مستوى المدارس الابتدائية » .

وفى سنة 1970 أيضا اعتبرت اللغة السواحلية الوحيدة التي يمكن لمرشحي الاتحاد الوطني الافريقي استعمالها أثناء حملتهم الانتخابية ، وفعلا فقد صرح نائب رئيس الجمهورية رشيدي كاواوا قائلا : « اذا كان السكان لا يعرفون اللغة السواحلية فان جميع المرشحين يجب ان يكونوا مصحوبين بمترجم » ، وعندما أصدر كاواوا الأمر لجميع الادارات الرسمية ، والى لجان الاتحاد ، سواء على المستوى الاقليمي او فى المقاطعات، باستعمال اللغة السواحلية كلغة تعبير ادارية قدم ، بصفة خاصة ، الملاحظات التالية : « ان اكبر جزء من الاوراق المستعملة لا تزال حتى الآن مطبوعة بالانجليزية مع اننا نعلم جيدا ان أغلبية الذين يعنيهم الامر لا يعرفون هذه اللغة ، انها اهانة موجهة الى الامة » .

وفضلا عن ذلك فقد قام الرئيس نيريري بترجمة يوليوس قيصر (Jules César) لشكسبير الى اللغة السواحلية ، وهو الذي قال : « فى خلال ثماني سنوات لم التجىء لمترجم الا مرة واحدة » .

وقد اكتسبت اللغة السواحلية اهميتها من عدة عوامل ، فهي منتشرة في جزء كبير من افريقيا الشرقية ، وخاصة فى الكونغو الشرقي واوغندا الجنوبية وهي أيضا منتشرة فى كينيا ، فضلا عن انها أصبحت اللغة الرسمية فى تنزانيا ، وهي لغة تعبير عن جميع الاشياء والافكار ، وبفضلها استطاع موظفو الاتحاد الوطني الافريقي لطنجانيقا ان يتصلوا بالقاعدة الشعبية ، وأن يقوموا بنشاطهم فى الاقاليم التي لا تكاد تعرف . يضاف الى ذلك ان اللغة السواحلية كانت دائما مقوما اساسيا للشخصية الوطنية لطنجانيقا ، واحدى خصائصها العميقة .

ومن المفيد ان نشير الى ان اللغة السواحلية ، حسب جميع القواعد ، بعيدة من أن تعتبر لغة «بدائية» ذلك أن أدبها الحي الشعري يرجع الى القرن السابع عشر ، ومن أجله وقع استعمال الكتابة العربية ، ولم يقتصر الامر على الكتابة ، فقد كانت تغرف أيضا من هذه اللغة ، واذا كان الرئيس نيريري قد استطاع ترجمة « يوليوس قيصر » الى اللغة السواحلية فان هذه اللغة لا يمكن أن تكون صعبة للغاية ـ كما حاولت التايمس (Times) فى ملحقها الادبي سنة 1967 اظهار ذلك ـ مثلما يقال بالنسبة للغات افريقية اخرى. وهناك عقبات كبرى وضعت لحذف اللغة الانجليزية او الفرنسية لفائدة لغات محلية ، وحتى لو لم تكن هذه شائعة كاللغة السواحلية .

ونشير اخيرا الى ان وجود لغة وطنية افريقية واسعة الانتشار ، كاللغة السواحلية كان له تأثير كبير على القادة الافارقة الذين كانوا بصدد انشاء منظمة سياسية قوية .

وتلعب اللغة السواحلية فى اوغندا ـ التي استقلت سنة 1962 ، ويبلغ عدد سكانها 10 ملايين ـ دورا اقل أهمية من دورها فى تنزانيا ، فحتى سنة 1963 كان فى اوغندا عدد كبير من الاوغنديين يفهمون اللغة السواحلية فى مستوى قضاء حاجاتهم من السوق ، كما ان عددا اقل من ذلك يتكلم هذه اللغة بسهولة ، مع العلم بأنها تعلم فى المدارس الاوغندية خلال فترة التقارب بين البلدين ، وقبل أن يقع التخلي عنها فى سنوات 1930 . أما النقابات والاحزاب فكانت تستعمل الانجليزية فى اجتماعاتها ، وتترجم خطبها الى اللغة الاوغندية او السواحلية .

ويرجع ضعف اللغة السواحلية بأوغندا لكون الطرق التجارية بها لم تكن قد تطورت بالقدر الذي حدث فى طنجانيقا ، وهناك سبب آخر أكثر اهمية وهو وجود قبيلة كبيرة وقوية كانت تتمسك باستعمال لغتها .

وبالرغم عن القرار الذي صادق عليه مجلس الشعب الاوغندي سنة 1962 بتقوية استعمال السواحلية لفائدة الوحدة بين الشعبين الاوغندي والتانزاني ، فان المسؤولين الاوغنديين ظلوا مستمرين فى استعمال لهجات قبلية فى برامجهم الاذاعية ، ولم يقتصروا على السواحلية .

وكان يبدو أن النخبة الاوغندية قد اختلفت فيما يرجع لمسألة اللغات ، واتضح هذا بمناسبة حوار جرى سنة 1962 حيث انتصر عدد من الشخصيات السامية (ثلاثة منهم أصبحوا وزراء بعد ذلك) لفائدة اللغة السواحلية ، وعلل أحدهم وهو نكوبي موقفه بأنه استحال عليه مدة عشرين عاما القاء خطب بالانجليزية امام الجماهير الشعبية ، بينما عارض سرواتو الذي

اصبح فيما بعد الرئيس المساعد للمجلس ، ونديوب الذي اصبح نائب رئيس الدولة ، بصراحة في استعمال السواحلية .

واخيرا ، في سنة 1963 قرر الوزير الاول ميلتون اوبوت الاستعمال العال للغة السواحلية ، ولكن رئيس .U.P.C جوهن بابيها لم يكن متحمسا ، بينما اكد وكيل الدولة بأن الاوغنديين لن يقبلوا ابدا اللغة السواحلية .

فاذا انتقلنا الى كينيا ، وهي الدولة المجاورة لكل من اوغندا وطنجانيقا على ساحل المحيط الهندي، والتي نالت استقلالها سنة 1963 ، فسنجد انها تتوفر على سكان يتكلمون سواحلية « اهلية » في الساحل ؛ كما كانت صورة مشوهة منها تستعمل منذ زمن طويل بين اصحاب الاعمال وعمالهم ، وهكذا قاومت اللغة السواحلية الجهود التي بذلها النظام الاستعماري لازالتها .

وقد اكد وزير الانباء الكيني السابق السيد اشيانك اونيكو سنة 1963 ، وهو من اكبر انصار السواحلية ، بأن حوالي نصف السكان يفهمون اللغة السواحلية .

ومن الجدير بالملاحظة ، كمثل على صعوبة اختيار لغة وطنية ، انه يوجد بكينيا 42 جماعة قبلية لعدد من السكان يبلغ احد عشر مليونا ، ولا يتجاوز عدد اكبر جماعة منها وهي كيكويو مليونا ونصف مليون ، ومن الوجهة القبلية تعتبر السواحلية الآخذة في الانتشار بكينيا لغة « محايدة » ، لها حظوظ لتصبح لغة وطنية، ولكن الانجليزية حتى الآن لا تزال هي اللغة الرسمية والتربوية .

والارقام المنشورة في الجدول التالي عن اللغات المستعملة في صحف الدول الثلاث تؤكد أن السواحلية هي اللغة الوطنية لطنجانيقا ، وانها لغة مهمة في كينيا، كما انها تستعمل الى حد ما في أوغندا . وهذا التشابه اللغوي بين كينيا وطنجانيقا يوضح الفكرة التي أعلنها سنة 1963 عدد كبير من السياسيين ، والتي تؤكد ان الروابط بين الكينيين والطنجانيقيين أقوى منها بينهما وبين الاوغنديين .

نسبة الصحف المنشورة بمختلف اللغات سنة 1962

		السواحلية	الانجليزية	لغات محلية
طنجانيقا	صحف يومية	70	30	—
	صحف شهرية	72	26	2
كينيا	صحف يومية	36	64	—
	صحف شهرية	46	41	13
أوغندا	صحف يومية	—	49	51
	صحف شهرية	—	7	93

تجربة اللغة الاجنبية في مدغشقر

واذا كانت مشكلة اللغة الاجنبية لا تبرز للعيان بحدة في كثير من الدول الافريقية ، فلأنها غالبا ما تختفي خلف مشاكل التعليم التي تلتحم بها ، وهذه المشاكل نفسها كثيرا ما تندمج في اطار المطالب الوطنية والسياسية العامة التي تتبناها المعارضة ، وتواجه بها الحكم القائم .

لقد حصلت مدغشقر ، البالغ عدد سكانها 6.750.000 ، على استقلالها سنة 1960 ، ومن الجدير بالملاحظة ان طلبة الجامعة وتلاميذ التعليم الثانوي الذين قاموا باضرابات ابريل وماي 1972 التي شارك فيها السكان ، وهزت كيان الدولة ، وارغمت رئيس الجمهورية على تسليم سلطاته للجيش، هؤلاء الطلبة يمثلون الجيل الذي بدأ تعليمه في المدرسة الملغاشية المتفرنسة في عهد الاستقلال . وهذا

يعني ان هذا الجيل لم يندمج اجتماعيا ونفسيا وتربويا فى هذه المدرسة الاجنبية ، ولم تتكامل شخصيتـــه الوطنية بواسطة لغتها ومناهجها واطرها الاجنبيـــة ، وعندما شعر بأنها لن تحقق اهدافـــه ومطامحـــه فى التطور والتقدم ثار ضدها ، ووجد تجاوبا كاملا مـــع جميع المنظمات الملغاشية التي تطالب معه بتعليـــم وطني كشرط اساسي لاصلاح التعليم .

وفى وصف هذه الحالة عقب الاضرابات المذكورة يقول مراسل جريدة « لومند » الباريسية : « كانـت مطالب الطلبة ذات اهمية ، ولكنها لا تخرج عن النطاق الطلابي ، ورغم ذلك فان الرئيس تسير انانا قد وصل الى حد اغلاق الجامعة فى شهر مارس 1971 بعدمـا طالبته الجمعيات بتعليم وطني ، وتخفيـــف برامـــج الدراسات والامتحانات ، وقد اصبحت المساعدات الثقافية الفرنسية بكاملها معرضة للنقـــد من طرف المنظمات التي تدين التبعية الثقافية .

وبعد ان استعرض المراسل المذكور العوامل السياسية الاخرى التي تدعو اغلبية الشبان لاستنكار نظام الحكم الذي يعتبرونه شديد الارتباط بالاستعمار السابق ، اشار الى ان هذا لم يبد فى الشعارات التي حملها الطلبة المتظاهرون يوم 24 ابريل الماضي حيث اكتفوا بشعارات كهذه : « معاهدات التعاون معاهدات استعباد » الفرنسية لغة الاستعباد » .

وقد جاء فى تصريح ادلى به لجريدة «لومند» ريموند وليام ربمننجرا عضو الحركة الجمهوريـــة الملغاشية الحرة ، بعد ان تولى الجيـــش جميـــع السلطات ، حول مستقبل هذه الجمهورية ما يلي : « اما فيما يتعلق بمصير اللغة والثقافة الفرنسية فان للملغاشيين كامل الحق فى الدفاع عن لغتهم الاصلية ، وعن التراث الروحي والثقافي لاجدادهم ، ولكن من الواجب عليهم ايضا بالنظر للحاضر والمستقبـــل ، ان لا يعزلوا عن الفكر العالمي ، وداخل هذا النطاق ، سوف لا نفرط فى كل ما هو فرنسي » .

هذا هو الموقف الصريح والعلني من قضيـــة اللغة الاجنبية فى بلد افريقي نام ، كان لا بد أن تمر اثنتا عشرة سنة على استقلاله قبل أن يلاحظ شعبه انعكاسات هذه التجربة المرة على حياته الاقتصادية والاجتماعية والقومية ، ويعلن سخطه وثورته ضدها.

ومن الجدير بالذكر انه عندما يطالب الطلبة فى مدغشقر ، او فى اي بلد افريقي آخر بتعليم وطني ، فهذا اولا وبالذات ، أن التعليم القائم ليس وطنيا طالما انه لا يعتمد على اللغة الوطنية التي هي شرط اساسي فى نظرهم ليصبح التعليم عاما ، وديمقراطيا ، وفى خدمة المصالح القومية العليا للشعب كله ، ويتخص من التبعية والسيطرة والتوجيه الاجنبي ، ذلـــك التوجيه الذي يحصر هدفه فى تكوين عدد محدود من الاطر التي تحتاج اليها ادارة الدولة فقط .

تجربة اللغة الاجنبية فى الجزائر

وفى اطار النظام الاستعماري الذي عرفتـــه الجزائر من 1830 الى 1962 ، والذي فقـــد معـــه الشعب الجزائري ارضه وسيادته وجميع ثرواتـــه الوطنية ، جاءت اللغة الفرنسية الاجنبية لتحل محل اللغة الوطنية فى الادارة والتعليم والحياة اليومية ، ولتسلب الشعب الجزائري ثقافته العربية الاسلامية، وشخصيته القومية ، حتى تسهل عملية ادماجـــه النهائي فى الامبراطورية الفرنسية .

وفى سنة 1938 ، اي قبيل الحرب العالميـــة الثانية ، وبعد مرور أكثر من مائة عام على هذا النظام، كان يعتقد ان عملية الادماج هذه قد نجحت نهائيا ؛ عندما كتب زعيم وطني جزائري ، عضو فى البرلمان الفرنسي يومئذ ، يتساءل بحسن نية : هل توجـــد حقا امة جزائرية ؟ .

وبعد اعلان حرب التحرير الجزائرية سنـــة 1954 من طرف الشعب الأبي ، اكتشف هذا الزعيم فجاة ظهور هذه الامة التي كان يبحث عـــن لغتهـــا وثقافتها وشخصيتها الوطنية دون جدوى ، فارتمى بين احضان الثورة ليصبح أول رئيـــس للحكومـــة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .

وفى سنة 1962 كان اول عمل للجمهوريـــة الجزائرية المستقلة هو استعادة سيادتهـــا المطلقـــة والكاملة على الارض والثروات الوطنية الجزائرية ، اما العمل الثاني الذي شرعت فيه فور انتهائها مـــن المرحلة الاولى فهو استعادة اللغة والثقافة الوطنية ولم تكن هذه القضية تحتل اية مناقشـــة ، رغـــم الصعوبات التي كانت تكتنف تطبيقها ، ذلك ان كـــل تطور ونمو للشخصية الجزائرية ، ، وكل تعليم ، وكل ثقافة وطنية ، يستحيل قيامها بغير اللغة العربية ، لغة المدرسة الحرة الاسلامية الجزائرية ، باعثـــة النهضة ، وشعلة الثورة ، ولغة تحرير الانســـان الجزائري من العبودية والجهل والاستغلال .

لقد استفادت الجزائر منذ استقلالها سنة 1962 من تجربة المغرب السابقة في سياسة التعليم والتعريب منذ استقلاله سنة 1956 ، واستطاعت بفضل وضوح رؤيتها ، وبعد نظرها ، وعمق تجربتها ومحنتها في عهد الاحتلال ، ان تتجنب الاخطاء التي وقع فيها غيرها ، وان تقرر جعل اللغة العربية أداة علم وعمل في جميع قطاعات النشاط الوطني ، وادخالها الى الميادين العلميه والثقافية ، وخلق مدرسة جزائرية ذات صبغة قومية .

وقد تحدث الرئيس الجزائري هواري بومدين يوم 28 ابريل 1970 أمام اللجنة الوطنية لاصلاح التعليم عن التعريب بوصفه اختيارا اساسيا لا رجوع فيه ، فأكد بأنه مطلب وطني ، وهدف من الاهداف الكبرى بالنسبة للجماهير ، وقال : انه توجد بالجزائر نخبة وشعب وفي مثل هذه الحالة يجب على النخبة ان ترجع للشعب خاصة بالنسبة لهذا الموضوع ، لان الشعب هو الذي احتضن عبر القرون كل ما يمثل عنصرا اساسيا لما نسميه اليوم « بمقومات الشخصية الوطنية » .

وبهذا القرار التاريخي الحاسم ، فتحت الجزائر الباب على مصراعيه لتطبيق مبدأ تعميم التعليم ، ودمقراطيته ، ومحاربة الامية ، وتكوين الاطر الوطنية ، وخلق الوعي لدى الجماهير الشعبية بأهمية التدابير المتخذة في سياسة التصنيع ، والتطور الاقتصادي ، والاجتماعي ، والاصلاح الزراعي .

تجربة اللغة الاجنبية في المغرب

ومنذ استقلال المغرب سنة 1956 حتى اليوم، لم يحدث ان اجمعت الاحزاب الوطنية ، والنقابات العمالية ، واتحادات الطلاب ، والنقابات العمالية ، واتحادات الطلاب ، والمؤسسات العلمية والثقافية والدينية على مبدأ وطني مثل اجماعها على ضرورة استعمال اللغة العربية في التعليم والادارة والحياة اليومية بدل اللغة الفرنسية التي فرضتها الحماية في عهدها السابق .

ففي 13 ابريل 1964 قامت وزارة التعليم بتجربة عندما نظمت مناظره وطنية كبرى حول التعليم دعت لها 400 شخص يمثلون جميع المؤسسات الحكومية والشعبية لوضع سياسة وطنية قارة للتعليم ، وكانت نقطة الصراع الوحيدة والمغطاة بمشاكل التعليم ؛ هي التي جاءت في هذه التوصية التي كانت محل اجماع اعضاء المناظرة ، وانتصر فيها ممثلو المؤسسات الوطنية الشعبية انتصارا ساحقا :

« لغة التعليم هي اللغة العربية في جميع المراحل الدراسية ، ويشرع في تعليم اللغات الاجنبية ابتداء من الطور الثانوي » .

وبعد مصادقة الجمع العام للمناظرة (400 ممثل) على هذه التوصية الصادرة عن « لجنة السياسة العامة للتعليم » تمكنت اللجان العشر الاخرى — بعد اسبوعين من العمل الجاد ليلا ونهارا — من اصدار توصياتها المتعلقة بالسياسة الوطنية العامة للتعليم .

وقد انعقدت مناظرة اخرى في افران للبحث عن اسباب الاضرابات ومحاولة ايجاد حل لها وأصدر المثقفون المغاربة بيانا تاريخيا وقعه 500 من الشخصيات المغربية في طليعتهم كبار العلماء ، وقادة الاحزاب الوطنية ، ونقابات العمال ، واتحادات الطلاب والاساتذة والمثقفون .

ومما جاء في هذا البيان ان الشعب المغربي لا يريد بعد تحرره واستقلاله ان يظل مربوطا بعجلة اية دولة أجنبية ، ويظل فكره القومي محتكرا للغتها ، وانما يريد ان يستوعب الحضارة الانسانية العالمية بمختلف لغاتها الحية ، وعن طريق التبادل الثقافي والعملي والصناعي ، دون ان يتخلى قيد انملة عن لغته العربية ، كلغة رسمية حية ، في التعليم والادارة والعمل اليومي ، فان علماء المغرب ومثقفيه ، ورجال الفكر والاصلاح فيه ، يرون من واجبهم القومي والديني بمناسبة الحوار المفتوح حول سياسة التعليم ومستقبله في المغرب :

اولا — ان يجددوا نصحهم وتحذيرهم من اية سياسة لم تحقق غير المزيد من فرنسة الاجيال المغربية الناشئة ، وفرنسة لغة التخاطب العامية ، وترشيح فرنسة الادارة والمصالح العمومية والخصوصية بالمغرب المستقل ، مما يهدد وحدة وكيان ومستقبل الشعب المغربي ، ويعرقل تقدمه وازدهاره وأمنه الفكري .

ثانيا — ان يذكروا بأن التعريب الكامل العام ، في التعليم والادارة والعمل والشارع هو مطلب قومي

اجمعت عليه الامة منذ الاستقلال ، وهـو لا يتعارض بحال من الاحوال مع دراسة اللغات الاجنبية الحية كلغات ، ولا يتناقض مع رغبتنا جميعا فى التفتح على حضارة القرن العشرين ، وانما يؤكد فقط رغبـة الشعب المغربي فى المحافظة على مقومات شخصيته الوطنية ، ومن المعلوم انه لا يمكن لهذه الشخصية ان تنمو وتزدهر الا فى اطار اللغة القومية ، ولا يمكـن للتعليم ان يصبح شعبيا ودمقراطيا ومزدهـرا الا باللغة القومية .

ثالثا ـ ان ينبهوا الى التجني الذي يرتكب فى حق اللغة العربية عندما يراد ربطها بالوضع الـذي يوجد عليه العالم العربي اليوم ، وبالنقص الـذي يلاحظ فى المصطلحات العلمية الحديثة ، مع انه لا ينكر احد ان اللغة العربية كانت هي اللغة العلمية العالمية الوحيدة فى العصور الاسلامية الزاهرة (القـرون الوسطى فى اوربا) ، وان تخلفها اليوم فى ميـدان المصطلحات الحديثة لا يرجع لعجزها هي ، بـل لجمود المجتمعات العربية التي عليها ان تقوم بسد هذا النقص فى الميدان اللغوي ، فى نفس الوقت الذي تعمل فيه على سد نقصها فى الميادين العلمية والصناعية ، ذلك ان اللغة العربية ، ككل اللغـات الحية ، لا يمكن ان تتطور وتتقدم بمعزل عـن الحياة والعلم والمجتمع ، وابعادها عن أن تكون لغة التعليم والادارة والعمل ، هي الطريق المفضيـة بها الى الموت البطيء ، لا الى الحياة الخالدة .

اسباب المحافظة على اللغات الاجنبية بافريقيـا :

1 ـ ان اغلب المسؤولين والمشرفيـن على سياسة التخطيط يجهلون هم انفسهم لغتهم الوطنية ، لانهم تعلموا باللغة الاجنبية التي لا يـزال نفوذهـا مستمرا بالرغم عن استقلال بلدانهم ، وحيث انهـم عاشوا فى هذا الوضع ، واندمجوا فيه اداريا فهـم يخشون اي تغيير قد يمس مصالحهم بسوء .

2 ـ ان عودة اللغة الوطنية لاحتلال مركزهـا الطبيعي كلغة رسمية للدولة سيؤدي حسبما يزعمه هؤلاء الى خلل فى سيـر الادارة ، والى انخفـاض المستوى فى التعليم والتكوين ، والى عزل الشعب عن تيارات حضارة القرن العشرين . والواقـع ان الخلل الاداري ، وانخفاض المستوى ، هما بعض ما تعانيه هذه البلدان ، بالرغم عن استعمـال اللغـة الاجنبية ، لانها نتيجة لسلوك الرجـل ومستـوى معرفته ، وليسا نتيجة للغته ، أما دعـوى عـزل الشعب عن تيارات الحضارة العالمية ، فهي مجرد خداع وتضليل للرأي العام الوطني .

3 ـ ان السكان يتسابقون ، حسب زعم هؤلاء ايضا ، لتسجيل ابنائهم فى مدارس البعثات الاجنبية ، حرصا منهم على أن يتعلموا بلغتها ، والحقيقة هي ان طبقة من السكان المترفين اذا كانت تفر من مدارس الدولة الرسمية ـ وهذا لا يشرف اية حكومة بهـذا الوضع ـ فليس ذلك لتعلقها أكثر باللغة الاجنبية ، ولكن لانها تخشى المصير التعس الذي ينتظر أبنـاء الشعب الذين يغادرون المدرسة دون أن يحصلـوا حتى على شهادة الثانوية العامة .

4 ـ ان استعمال اللغة الاجنبية أصبح مرتبطا بالمصالح الاقتصادية والثقافية والسياسية للدولة صاحبة هذه اللغة ، وبمساعداتها المختلفة للدولـة التي تستعمل لغتها ، ومن شأن التحول الى اللغـة الوطنية ، حسبما يعتقده هؤلاء ، ان يسـيء الى علاقات الدولتين ، والى مصالح المنتفعين فيهما ، وليس من شأن دولة غير ثورية أن تقوم على مثل هذه الخطوة الجريئة .

5 ـ ان استعمال اللغة الاجنبية قد يكـون ـ فضلا عن الاسباب السابقة ـ لمجرد الحاجة ، لان الدولة المعنية لا تملك لغة علمية مكتوبة ، او بسبب الضغط الاستعماري المتواصل ، او فقط عبارة عن اختيار سياسي لتحقيق أهداف سياسة معينـة ، قلما يقع الانتباه لها . أو لان النخبة الحاكمـة لا تزال تشعر بالنقص تجاه المستعمر القديم وتجاه لغته ، فهي لا تجرؤ على المس بالمؤسسات التي خلفهـا ، وكثيرا ما تجتمع اغلب هذه العوامل فى البلد الواحد .

هذه ، على الاقل ، خلاصة الاسباب التي تجعل اغلبية الدول الافريقية تتبنى اللغات الاجنبية ، دون ادراك واع منها بأن هذا التبني يشكل عقبة كبرى فى طريق نمو شعوبها ، وتقدمها ، واستغلال طاقاتهـا البشريـة .

الافارقة سيتخلصون عاجلا او آجـلا من اللغات الاجنبيـة :

وهناك شعور متزايد لدى الرأي العام ، ولدى المؤسسات الوطنية فى الاقطار الافريقية بأن الدول الغربية المستعمرة السابقة لها ، كانت تهتم بنشـر

لغاتها في هذه البلدان ، اكثر مما تهتم بتطورهـا أو نشر التعليم فيها ، وهذا الشعور تؤكده حتى اليوم الدراسات والمجلات التي تعني بهذا الموضوع .

ان تجارب الشعوب الافريقية مع اللغات الاجنبية اكدت بأن تبني هذه اللغة أو تلك من طرف نخبة قليلة من شعب افريقي لا يعني حصول هذا الشعب على تقدم أو تطور بفضلهـا ، فالشعب الجزائري ، مثلا ، الذي استمرت عملية فرنسته خلال 132 سنة من الاستعمار ، كان قد وصل اقصى درجة من الفقر والجهل والانحطاط قبل قيام ثورته المعجزة سنة 1954 ، وتجربة الشعوب الافريقية بعد الاستقلال ، سواء منها التي ورثت اللغة الانجليزية او الفرنسية ، جعلتها تزداد اقتناعا بأن استعمال هذه اللغات لن يحل مشاكلها ، بل ربما خلق مشاكل جديدة لم تكن في الحساب ، ولذلك فان الشعور الوطني العام يسير نحو التخلص من هذه اللغات التي اقترن تاريخها بالعبودية والاستغلال الاقتصادي .

ان هذا الاتجاه قد ادركه بذكاء المفتش العام للتعليم في فرنسا طابو « R. Thabault » الذي كان آخر مدير للتعليم في المغرب عندما قال : « .. كيفما كان سبب تبني الافارقة للفرنسية ، سواء كان اختيارا ، أو مجاملة ، أو مصلحة ، أو ضرورة ، فان هذا لا ينبغي أن يحجب عنا حقيقة تكاد تكون مجهولة في فرنسا ، وهي انه مهما كانت الصعوبات وعدم الملاءمة مع المشروعات ، فان الافارقة لهم رغبة جامحة في أن تكون لهم لغة خاصة بهم ، لغة افريقية مشتركة تعوض الفرنسية ، وفي الحقيقة فان التحول الى الاستقلال قلل من حدة هذه المشكلة، بيد أن الجذور الاحساسية والعاطفية لهذه الرغبة عميقة جدا ، وتوشك المشكلة أن توضع بقوة من جديد في المستقبل » .

ونفس الفكرة عبر عنها بيير بورني (Pierre Burney) بالنسبة لدول المغرب العربي عندما قال : «كيفما كانت الاسباب التي حددت اختيار الفرنسية كلغة ثانية ، سواء التقاليد ، أو السهولة ، أو المصلحة ، أو المجاملة ، فان تعريبا تدريجيا للتعليم سيتم حتما » .

وقد لاحظ نفس الاتجاه في افريقيا الجنوبية الاساتذة لووكرانت ووليامس السابق ذكرهم قائلين: « .. ومع ذلك فانه يلاحظ في افريقيا الجنوبية انه يقع الالحاح بقوة على التعليم باللغة المحلية اكثر من الانجليزية ، وهذا يعني ان التربية البانتوية (لغة البانتو) لا تعني فقط تلقين مواد ولكن أيضا وجود لغة معبرة » .

وعندما انعقد الملتقى الجامعي الاول حول الوحدة الافريقية بالجزائر في نهاية مارس 1971 ، اكد ما سجله الجميع على البيئة التربوية القائمة في القارة الافريقية المستقلة ، التي تتميز بظاهرة الاستلاب الثقافي ، أو التبعية الثقافية . وهذه التبعية جعلت أغلب المثقفين الافارقة لا يقدرون ثقافتهم الوطنية ، ولا يشعرون بالدور الذي يمكن ان تلعبه هذه الثقافة ، وانعزالهم عن شعورهم لم يكن نتيجة لأفكارهم الجديدة فقط ، بل لانهم أيضا أصبحوا يتحدثون بلغة تختلف عن لغة شعوبهم » .

هذا الموقف الافريقي من اللغات الاجنبية الذي ادركه بوعي وتجربة خبراء اجانب في شؤون التعليم واللغات بافريقيا كالاستاذين طابو وبورني في سنة 1962 ، جاءت اضرابات الطلبة والتلاميذ لتؤكده بقوة في شعاراتها ضد التبعية الثقافية وسيطرة اللغة الفرنسية،بينما غاب هذا الادراك عن بعض السياسيين والمسؤولين الافارقة أنفسهم .

خـــلاصـــــة :

ان تعلم اللغات الاجنبية وخاصة الانجليزية والفرنسية بالنسبة للطبقة الاجتماعية المتعلقة بالقارة الافريقية ، هو مطمح كل متعلم دون جدال ، ووسيلة ضرورية لاغناء الثقافات الوطنية ، وتكوين الاطر العلمية والتقنية الوطنية في سائر المجالات ، وتيسير التبادل العلمي والثقافي مع شعوب العالم المتقدم ، هذه هي الحقيقة الاولى التي لا يجادل فيها أحد .

ولكن اسلوب التعليم الذي فرضه الاستعمار الغربي على شعوب القارة ، كان يهدف بالدرجة الاولى الى نشر لغة الدولة المحتلة ، وفرضها كلغة رسمية في الادارة والتعليم ، وقد تبين لهذه الشعوب ، بعد التجربة المرة ، انه اسلوب خطير ، وان أقل اخطاره القضاء على الشخصية الوطنية ، وعلى الثقافة والقيم التاريخية والدينية ، وعرقلة كل تقدم وازدهار حقيقي للشعب ، واخضاعه باستمرار لتبعية الدولة التي يفكر ويتكلم بلغتها ، وهذه هي الحقيقة الثانية التي بدات هذه الشعوب تدركها .

ومن خلال التجارب الافريقية اتسعت المعرفة، وازداد اليقين بحقيقة علمية ، وهي أن الاطفال الذين يدرسون بلغة أجنبية ، تختلف عن لغة الامومة ـ وخاصة أصحاب الذكاء العادي وهم الاغلبية الساحقة ـ لا يتقدمون فى دراساتهم الا ببطء ويشتد هذا البطء اذا فرض عليهم التعلم باللغة الاجنبية ، وباللغة الفصحى الام للغة الامومة ، أو بلغتين أجنبيتين عن لغة الامومة وهذه هي الحقيقة الثالثة .

وقد برهنت الحركات التقدمية او الثورية التي تغلغلت فى القارة الافريقية على أن دوافعها الاساسية لا تخرج عن النطاق الوطني الذي يستهدف النمو وتقدم الانسان الافريقي ، وتحريره من كل انواع العبودية واعتناق بعض الحركات للشيوعية نفسه ليس اجتهادا فكريا متأثرا بالدعاية الاجنبية ، بقدر ما هو عبارة عن رد فعل اجتماعي قوي للتحالف مع أية قوة خارجية ضد الحكم الذي لا يخدم مصالح الشعب ، وما دام هذا الحكم يؤثر عليها مصالح المستعمر السابق ، ويدعم لغته وثقافته على حساب اللغة والثقافة الوطنية ، فان التيار العام ، وخاصة لدى الطبقة المتعلمة ـ سيزداد اتساعا وعنفا ضد هذه السياسة وضد أصحابها ، وسيعمل على التخلص من هذه اللغات فى التعليم والادارة عاجلا او آجلا ، وهذه هي الحقيقة الرابعة التي نستخلصها فى النهاية من هذا العرض .

ألقاب الصوفية فى المشرق :

الاولى : المجلس العالي يكتب بها لشيخ الشيوخ بالديار المصرية وهي المجلس العالي الشيخي الكبيري العالي العاملي السالكي الخ ..

المرتبة الثانية : المجلس الساميتي (بالياء)

المرتبة الثالثة : المجلس السامري (بغير ياء)

المرتبة الرابعة : مجلس الشيخ (صبح الاعشى ج 11 ص 85)

تنقل الألفاظ

الأستاذ عبد الهادي الفضلي
كلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز

قد تعد ظاهرة تنقل الالفاظ من ابرز الظواهر اللغوية الاجتماعية لشيوعها بين مختلف اللغات ، وبخاصة اللغات الحية منها ، وفى كثير من المجتمعات ، وفى شتى انماط لغاتها من فصيحة وعامية .

وهي : تعني تنقل الكلمة من لغتها الاصل الى اكثر من لغة ، ومن مجتمعها الأم الى اكثر من مجتمع .

وتنشأ تلقائيا كأي ظاهرة اجتماعية اخرى ، وذلك بسبب الاتصال الحضاري عن طريق الترجمات ونقل المعارف وبسبب الاتصال الاجتماعي عن طريق الاسفار والهجرة .

ويفاد من دراستها وبحثها فى التعرف على تاريخ الكلمة فى نشأتها وتطورها وتغيرات هيئتها وتقلبات مضمونها .

وقد توفرت جملة من معجمات بعض اللغات على التعريف بها كالانكليزية فى مثل Webster's (International Dictionary وكالفارسية فى (فرهنك نفيسي) .. غير انا لا نجد مثل هذه المعجمات فى اللغة العربية مع توفر جملة من معجماتها على التعريف بالدخيل أمثال : معرب الجواليقي ومغرب المطرزي وشفاء الخفاجي والالفاظ الفارسية المعربة لادي شير الكلداني ، وتوفرت جملة اخرى منها على التعريف بالكلمات العربية التى استعجمت كقاموس دوزي المستشرق الهولندي الذى جمع فيه المفردات العربية التى دخلت الاسبانية والبرتغالية و (الكلمات العربية فى اللغة البرتغالية) لجورج ليان و (الكلمات العربية الشائعة فى اللغة الانكليزية) لجرجيس فتح الله المنشورة بمجلة المجمع العلمي العراقي .

والفرق بين ظاهرة الاستعجام — واعني بها دخول الكلمة العربية الى اللغات الاخرى — وظاهرة الاستعراب — وهي دخول الكلمة غير العربية الى العربية — وبين ظاهرة التنقل فى مجال الدراسة والبحث ومجال التدوين المعجمي واضح لا يتطلب فيما اعتقد اي شي من التوضيح .

والفرق فى مجال الاستثمار الدراسي هو المهم هنا — فيما اخل — ذلك ان دراسة الدخيل لا تكشف لنا فى الغالب الا عن مجال من مجالات الكلمة قبل دخولها العربية قد يكون الاصل وقد يكون غيره . ودراسة الاستعجام هي الاخرى قد لا توقفنا على اكثر من مجال دخلته الكلمة العربية .

اما فى دراسة تنقل الالفاظ فمجالات الافادة كثيرة ، منها ما ألمحت أليه اعلاه ، ومنها الكشف عن قابلية الاستيعاب فى لغتنا وقوة الهضم والتمثيل وسعة التفاعل مع اللغات الاخرى اخذا وعطاء مما يجعلها مرتفعة الى مصاف اللغات الحية المرنة ، التى اكتسبت صفة التقدم نتيجة التأثير والتأثر والتبادل اخذا وعطاء .

ولعلنا فى ضوء ما نراه من توسع كبير فى الدراسات اللغوية المقارنة يجعلنا نتوقع صدور مثل هذا المعجم الذى يعنى بتاريخ الكلمة العربية المستعربة او المعربة عن قريب بإذن الله تعالى .

وكأمثلة اضع بين يدي القارئ الكريم اضمامة صغيرة من الكلمات المعربة المتنقلة التى أفدتها من بعض المعاجم الانكليزية وبخاصة المعجم المذكور اعلاه ، وبمساعدة زميلي السيد جورج يول George Yule استاذ اللغة الانكليزية بكلية الآداب ـ جامعة الملك عبد العزيز الذى يسر لي كثيرا مهمة الرجوع الى المعاجم الانكليزية . والكلمات هي :

1 ـ موسيقى Music ـ اليونانية . اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .

2 ـ مغناطيس Magnat ـ اليونانية . اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .

3 ـ كريستال Crystal ـ اليونانية . اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .

4 ـ نرجس Narcissus ـ اليونانية . اللاتينية . الانكليزية . الفارسية . العربية .

5 ـ بوليس Police ـ اليونانية . اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . الفارسية . العربية .

6 ـ كلية College ـ اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .

7 ـ بروفسور Professor ـ اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .

8 ـ ليمون Lemon ـ اللاتينية. الفرنسية. الانكليزية . العربية . الفارسية .

9 ـ صراط Street ـ اللاتينية . الالمانية القديمة . الانكليزية القديمة . العربية القديمة .

10 ـ امبراطور Emperor ـ اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .

11 ـ بنك Bank ـ الايطالية القديمة . الفرنسية . الانكليزية . الفارسية . العربية .

12 ـ كاش Cash ـ اللاتينية. الايطالية. الانكليزية . العربية .

13 ـ بلاتين Platinum ـ الاسبانية . الانكليزية . العربية

14 ـ ماركة Mark ـ الالمانية . الانكليزية . العربية .

وكنموذج تطبيقي نأخذ مثالا واحدا من الكلمات المعربات المتنقلة ، هو كلمة (كعك Cake) المعربة عن الفارسية ، وهي من المعرب القديم الذى يمتد فى تاريخه الى اوائل العصر العباسي .

فاننا عندما نرجع الى تاريخها فى لفظها الانكليزي (كيك Cake) نجد انها انتقلت من اللغة النرويجية القديمة الى اللغة الالمانية القديمة ، ومن الالمانية القديمة انتقلت الى اللغة الانكليزية ، ومن الانكليزية انتقلت الى العربية بلفظها الانكليزي (Cake) وراحت تستعمل الى جانب لفظها السابق المعرب عن الفارسية (كعك) وفى معنى آخر يشبه معناها السابق .

وهذا الاختلاف جاءها ـ فيما اخال ـ من انها سلكت فى دخولها الى اللغة العربية طريقين : طريق الفارسية قديما وطريق الانكليزية حديثا ، واخضعت فى اولهما الى اصول التعريب فتحولت الى (كعك) ، بينما لم تخضع فى ثانيهما الى تلكم الاصول فبقيت على لفظها الأعجمي (كيك) ، وربما عاد ذلك الى التفرقة بين معنيي استعمالها والى ضعف الالتزام بأصول التعريب .

وفى ختام حديثي هذا اعود فأقول : ان هذه الظاهرة تتطلب كثيرا من العناية فى دراساتنا اللغوية وبخاصة المعجمية منها لما ستلقيه من الاضواء على الكثير من المسائل والقضايا اللغوية بمختلف حقول اللغة وفروعها .

مظاهر التعريب

الأستاذ محمد بن تاويت

كثيرا ما قلنا ان التعريب كان منصبا على الالفاظ ، بينما التعريب الآن منصب على المعاني

فما معنى هذا الكلام ؟

معناه ان العربي ، كان اذا جلب كلمة او جلبت اليه ، يستغني بالباسها لباسه العربي ولو بغطاء الراس مثلا او الحذاء

جاءته كلمة « كروان » بمعنى القافلة ، فقال فيها قروان ، وغطى راسها بالالف واللام فاصبحت القروان او القيروان ، وبذلك صارت الكلمة تتمتع بكل الحقوق التى تتمتع بها الكلمة العربية فى اعرابها ، فلا تمنع من الصرف لعلة العجمة ، لانها قد ارتفعت عنها بهذا العقال ، الذى هو هنا الالف واللام ، كما حدث فى الهند والصين والروم والترك.

سمع النبي عليه الصلاة والسلام ، من سلمان الفارسي ، كلمة خندق فاستفسره عن معناها، وهي اسم مفعول ، من كندن الفارسي بمعنى الحفر ، فكانت كنده ، وعربت بان ابدلت الهاء التى لا تنطق قافا ، فصارت خندق ، فتقبلها النبي ولم يأنف من استعمالها بل اشتق منها خندقوا ، فسميت الغزوة بغزوة الخندق .

ولعل الكاف كانت فى النطق تميل الى الخاء ، كما هي فى اليونانية والعبرية ، وهي ما تسمى عند مقرئي المغرب بالكاف المسوس ، ولهذا نطقت خندق.

اما ابدال تلك الهاء « المخفي » كما يسميها الفرس ، قافا ، فذلك ما كان مطردا فى العربية ، كما كان مطردا ايضا ابدالها جيما ، كما فى كلمة «برنامه» التى اصبحت برنامج ، وقد عقد سيبويه فى كتابه فصلا سماه « باب اطراد الابدال فى الفارسية » فذكر من هذا كوسه وموزه وكربق وقربق ، الى غير ذلك من الكلمات ، التى يكتفي فيها بهذا الحذاء العربي فى نهايتها ، اعني الجيم او القاف .

وطبعا انهم لا يقبلون الحروف التى لا يستعملونها ولا يألفون اجراسها ، فالحرف P ينقلب باء أو فاء ، والحرف G ينقلب جيما غالبا ، والحرف V ينقلب واوا فى الغالب كذلك .

وبعد هذا لابد من انسجام فى الهيئة والامتداد، فتبدل بعض الحركات بغيرها او تحذف بعض الحروف التى تتعدى الكلمة طورها فى العربية ، ان لم تحذف منها تلك الحروف ، فى الغالب ايضا ، ولم يتحماوا هذا للاضطرار ، بل اخذوا كلمة «جلاب» وهي ماء الورد .

وهكذا كانت مشكلة التعريب فى القديم ، مسألة التعليم بمدلولنا ، ولم تكن مشكلة التعريب كما فهمنا ، فالقضية تهذيب لفظي بوسائل فى غاية البساطة .

لما ترجمت العلوم الى العربية ، اتخذ فيها ما كان معهودا من ذي قبل ، فقيل ، فلسفة فى

Philosophia وفيلسوف Philosophos وقيل ، قاطيغورية Kategoria والسفسطة Sofisikae وايساغوجي Isagoge وغير ذلك من الكلمات اليونانية الاصل ، ولم تجد العربية الفسيحة الصدر فى هذا حرجا او احراجا ، وقد وجدنا الابهري من رجال القرن السابع يؤلف فى المنطق رسالته « ايساغوجي »

كما عربوا الطوس من Taos
والزنار من Zone
والقزدير من Kassitoros
والابريز من Ibrizón
وابليس من Diáblos
والترياق من Thériaka
والقرطاس من Chartés
والجنس من Genos
والاثير من Esthlós
والاجرومية من Gramaatika
والزفت من Asfaltos
والقرنفل من Karyofyllon
والجبص من Gypsos
واصطفلينة من Staflinos
والاسطول من Sotolos
واسطرلاب من Astron-lambauo
والدرهم من Drachmé
والقادوس من Kados
والاطلس من Atlas

ولا شك ان كلمات من هذه عرفتها الجاهلية ، كالقرنفل والدرهم وابليس ، ولكن معظمها لم يعرف الا عند الترجمة ، ولا يعزب عن البال ، ان كلمة الاجرومية ، ليست منسوبة الى ابن آجروم المغربي، كما يتوهم ، فان القضية اتفاقية ، وكثيرا ما يقع هذا الاتفاق فى اللغات .

هذه امثلة بسيطة ، اذا كانت الحياة على نمط من البساطة ، اما الآن فقد تعقدت الحياة وتعاقبت المخترعات وازدحمت فى هذه الدنيا المخلوقات ، فاصبحت وكأنها دار تسكنها عائلة واحدة ، لابد من التعارف التام فيها والاتحاد فى مدلولاتها ومزاولة كل فرد منها ما يزاوله الآخر

فصارت مسؤولية اللغة شاقة ومتطلباتها كثيرة ، وعليها ان تقوم بأعباء ذلك وعليها ان تستنفد كل ما فى طاقتها من قوة فهل العربية قادرة على هذا ؟

نعم ، هي قادرة . لو مكناها من قدرتها ، ونفسها بطول الانفاس ، ان لم نكبته فيها .

والعربية ، الى جانب احتمالها للالفاظ ، تحتمل كذلك ما نطلبه من معان فيها ؛ ان كلماتها لا تنفد . بما فيها من اشتقاق وخيالها بحمد الله خيال خصب ، يسعفها بالتشبيه وما ينشأ عنه من استعارات ، ويسعفها بهذا التداعي الذى تتولد منه الكنايات ، ولا يبخل عليها استعمالها العتيق ، بهذه المجازات المرسلة ، ثم النحت .

لقد تقدمت فى الاشتقاق ، كلمة « خندقوا » من الخندق ، ولنا أن نزيد على هذه الصيغة كل الصيغ المعروفة فى المادة العربية نفسها ، فتسعفنا فى الافعال بأنواعها وأوضاعها ، وتسعفنا فى الصفات بأنواعها كذلك وأوضاعها ، وتسعفنا فى أسماء الزمان والمكان والمصادر على اختلافها ، كما تسعفنا الكلمة العربية ، عند الاحتياج الى نسلها من اولاد واحفاد

هذا الاشتقاق الطليق، لا نجده فى غير العربية ونجد امثلة من البواقي فى غيرها ، مثل ما نجد فى الفارسية والتركية والفرنسية ، ازاء البطاطا ، حيث شبهتها جميعا بالتفاح الذى اضافته الى الارض ، فقالت الفارسية « سيب زمين » والتركية « ير الماسي » والفرنسيةPomme de terre

وسمت الاسبانية ملابس العمال ، ذات القطعة الواحدة « Mono » أي قرد ، كما سمت الآلة التى ترفع بها جوانب السيارة باسم « Gato » أي الهر ، لانها تنشب مخلبها فى جانب السيارة ولم تأنف ان تسمى بالبق « Chinche » المسيمرات التى تثبت الورق ونحوه .

وقالت الانجليزية للقطار السائر تحت الارض Underground أي تحت الارض ، مجازا مرسلا، كما استعمل هذا المجاز المرسل فى نحو «سندويتش» « Sanduich » و«كرافاط» « Cravate » وكان الاصل فى هذين انهما اسمان لرجلين استعملاهما .

وأمعن الالمان ، كما نمعن نحن فى الاشياء لنستخرج اسماءها ، بدقة وطبق الاصل ، فسموا « الهيدروجين » باسم Wasserstoff

فركبوا الاسم من كلمتين Stoff اي جوهر ، و Wasser اي ماء ، فصار الاسم هكذا ، الجوهر المائي ، او جوهر الماء (كمافي الفارسية والتركية مولد الماء)

وقد كلفهم هذا الاعتزاز كثيراً من العنت ، اضطروا معه ، الى تركيب اسم لمسمى واحد من كلمتين او كلمات ، في بعض الاحيان ، فلا يكتفون غالبا بالنحت ، الذي نجده في جل اللغات ، ومنها العربية .

وقبل ان ناتي بأمثلة من العربية لهذا النحت ، نرى ان نقف وقفة قصيرة ، عند اصله اللغوي ..

فالنحت اصله ، النشر والقشر والقطع في الصلب من المواد ، كالخشب والحجر ونحوهما . وقد يكون هذا من قطعتين ، كما ينحت النجار ، خشبتين ويجعلهما قطعة واحدة ، كما يكون من قطعة واحدة ، وهو الاصل ، كالنحيتة التى تنحت من جذم شجرة ، على هيئة الجب للنحل ، وهذه النحيتة هي المعروفة عندنا باسم الجباح ، ومن هذا قول الاعشى :

الست منتهيا عن نحت أثلتنا
ولست ضائرها ما اطت الابل

اما النحت في الحجر ، فمنه قوله تعالى « وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين »

هذا ما يتعلق ، باصل المادة من اللغة .

واما معنى النحت فيالاصطلاح ، فهو صوغ كلمة من كلمتين فأكثر .

ويدخل في هذا التعريف ، تركيب كلمة من كلمتين ، مما تناوله النحاة ، في عدة ابواب من كتبهم . وفي الالفية نجد التعرض للتركيب المزجي، في باب العلم، وباب ما لا ينصرف ، وباب النسب ، كما نجد الاشارة الى المركبات عامة في ابواب غير هذه .

وجملة القول ان النحو تعرض للمركبات من الاسماء الا ان تعرضه هذا كان لمجرد الاحكام النحوية والصرفية الواجب تطبيقها عليها في الجملة .

نعم ان « الكتاب » لسيبويه لم يقف عند تطبيق الاحكام ، بل وقف عدة وقفات، كان منها ما يتصل بالوصف ، وتسجيل خطوات اللغة ، وموقفها من طبيعة الاشياء ، فكان منها بعض اللمحات عن موضوعنا هذا ، مثل « باب الحكاية التى لا تغير فيها الاسماء عن حالها » فالتركيب اذن معروف بين كلمتين عند النحاة ، قديما وحديثا .

اما النحت بهذا الاسم فقليلا ما يتعرض له النحويون . ومن هؤلاء الخضري ، اذ يقول فيه « وهو ان يختصر من كلمتين فاكثر ، كلمة واحدة، ولا يشترط فيه حفظ الكلمة الاولى بتمامها بالاستقراء ، خلافا لبعضهم ، ولا الاخذ من كل الكلمات ، ولا موافقة الحركات والسكنات » .

وبهذا نعمم كلمة النحت في تركيب الكلمة من كلمتين وفي اختصار كلمة من كلمتين أو أكثر ، والنوعان معا موجودان في العربية ، وفي جل اللغات غيرها ، وان كان بعض منها يميل الى التركيب اكثر مما يميل الى الاختصار ، على عكس العربية ، كما سنرى :

تقول العربية « البسملة » و « الحمدلة » و « السبحلة » و « الحوقلة » و « السمعلة » ، من قولنا : « بسم الله » و « الحمد لله » و «سبحان الله » « ولا حول ولا قوة الا بالله » و «السلام عليكم » ، كما تقول « الهيللة » و « الحيعلة » . ويزعم ابن فارس ان كل ما زاد على ثلاثة ففيه نحت وتقول « التحبيذ » كما نقول غير هذا من جمل عديدة ، ونشتق من ذلك الافعال وغيرها مما يشتق من كل مصدر ، وهذا ايضا مما تمتاز به العربية وتفضل على غيرها ، فان باقي اللغات ، تستعمل هذا النحت في حالة معينة ، تستوجب منها هذه العملية ، وتقف عند هذا الحد ولا تتعداه غالبا فهي في ذلك تلتزم ما التزم — غالبا — في اسماء الافعال والاصوات من العربية ، وهذا الباب ايضا ، مما توسعت فيه العربية ، بخلاف غيرها .

مثلا ، نجد الالمانية تمعن في حقائق الاشياء، وتحاول ، مثلنا ، ما امكنتها الحيلة ، أن تدخل المعاني الى لغتها ولا تدخل اليها الالفاظ ، سواء منها ما كان مفردا وما كان مركبا ، فمن المفردات ، نجد كلمة التاريخ ، غير مستعملة عندها ، كما هي في باقي اللغات الاوربية ، بل اشتقت لها من مادتها الالمانية كلمة سرد Gescichte ولكن المؤرخ Historiker والوصف hietorisch فهي اذن لم تبق حرة طليقة وكذا الامر في المركبات،

وتقدم انها سمت «الهيدروجين» باسم أصل الماء او جوهر الماء ، هكذا Wasserstoff ماء Wasser ومادة Stoff مركبين وهي في هذا قد استعانت بأصل الكلمة اليونانية hudór أي ماء ، و gen اي اصل من مصدر genna-ein فحلت مشكلتها ووقفت عند هذا الحد بالرغم من أن لها في لغتها روافد عديدة ، حيث انها تحتوي على عدة لهجات تغنيها عن غيرها غالبا .

ومهما يكن ، فاننا بصدد العربية ، وموقفها من عملية النحت الذى عرفه ابن فارس بقوله « تؤخذ كلمتان وتنحت منها كلمة آخذة منهما جميعا» فقد راينا انها تجمع بين الطريقتين فيه ، والقدامى حاولوا احصاء المنحوت فيالعربية ، فوقف بعضهم عند بضعة عشر من امثلته ، وآخرون لم يتعدوا أو لم يصلوا بها الى المائة .

غير ان ابن فارس جرى بعملية النحت اشواطا، قارب بها نحو الألف ، حيث يرى أن اكثر الرباعي والخماسي منحوت من كلمتين .

والواقع ان هذا العدد لا يعنينا بقدر ما يمكننا من الحرية فى عملية النحت ، الذى اصبحت الحياة المعقدة تلح علينا فيه ، واصبحت الاجناس البشرية، تتقارب فيما بينها وتكون لها مجتمعات على مستوى الدول عامة أو على مستوى جماعة منها او على فكرة من الافكار ، بعد المخترعات العديدة ، التى قد تتطلب مئات الاشياء وآلاف الأدوات ، وكل ذلك لابد من تسميته مركبا بعد أن كان مسمى مفككا او على انفراد أجزائه ، فكان الاتوموبيل والتيلفون والتلغراف ثم التلفزيون والنيلون ، هذه الاشياء تعد من ابسط ما واجهنا به النحت ، كما واجهنا بالديموقراطية والديكتاتورية والنازية ونحوها ، وكانت اليونسكو والمخترعات الكيماوية مما وجدت لها حلا فى اللغات ، فكيف بنا الآن أمام المخترعات الفضائية التى تتألف من مئات الاشياء وآلافها ؟

وعلى كل حال فانا من استعراضنا للوسائل التى تستعملها العربية فى تعبيرها ، وجدنا منها ما استعمل ترفا ، كالتشبيه والمجاز عموما وكالكناية ، ومنا استعمل بداعي الحاجة ، كالاضافة والنسب والاشتقاق الذى يطبق على هذه جميعا ، كما يطبق على غيرها فيما سنرى وعلى العموم فقد دخلت الاولى فى منطقة تجميل الكلام ، وهي « فن البلاغة » ، ودخلت الباقية فى ضروريات الكلام ، فهي فى التصريف والنحو، وضربنا لذلك أمثلة باللغات الاجنبية ، وهي تعم الجميع .

ومن تلك الامثلة ، ادركنا انه لا حدود فاصلة تامة بين النوعين المذكورين ، فقد تدعو الضرورة، فلا تجد من يسعفها الا وسائل الترف ، وقد لا تكون هناك ضرورة ، ومع هذا تستعمل وسائلها . وبذلك ينشأ المترادف ، كما ينشأ بالترف والمعرب وتعدد اللهجات . ومن المفيد أن نأتي ببعض الامثلة التى هي فى العربية مقابلة لتلك التى ذكرناها من غيرها .

فمن الاضافة وجدنا قوس قزح واكسير الحياة ، وحب العزيز فى مصر ، وحب الملوك فى المغرب ، ودار الصنعة ، وبيت المال ، ودار الثقاف بالمغرب . ومن النسب : اليماني والهندي فى الفصحى ، وفى معناه الجديد فى عاميتنا ، كالكومية والوزانية فيها ، والمهلبية بالشرق والمنصورية بالمغرب ومن الاشتقاق ، كالنشيرة ، بمعنى ما يعرف الآن باسم « الفاتورة » ويصح ان نضع فيها « النفالة » أيضا ، وكلتاهما للمفعولية والاخيرة « النفولة » . ومن الاستعارة كبد الدهر ، وراس الكلام ، ومرآة الحياة ، وشباب الزمان ، ولحن السعادة ، ودمدمة الشقاوة ، و « طعام الاثيم » و « العزيز الكريم » تهكما . ومن المجاز المرسل ، شرب الكأس ، (ولا بأس بالجرسى (Jersey والتكلم مع الدار ، وجعل الاصابع فى الاذن وعصر الخمر ، والبرتقال للفاكهة المعروفة، ومن الكناية اهل الحجر والمدر والوبر، وبيت الماء، وأهل الدار، وعريض القفا، للحمار، كما فى حديث من فهم الخيط الابيض والاسود على الحقيقة ، وريق النحل ، والتكفف وخفة اليد ... اما التشبيه ، على ما هو عليه ، فلا وجود له ، فيما نعلم بالعربية ، ولكن خليل التركي استعمله كثيرا ، فى مختصره المعروف ، وقلما يخلو منه باب من أبوابه ، وهذه أمثلة قليلة من ذلك : « بكالعزى » فى اليمين ، « فى كسبيل الله » بالنذر « من كقاعد » فى الجهاد ، « فى كافريقية » بالنكاح « لا بكاعتراض » فى الخيار منه ، « من كابل» فى الصداق ، « عند كأمها » فى نكاح التفويض ، « علي كجدار » فى وليمة البناء بالعروس ، « ولو بكتقويم » فى الطلاق ، « وان بكاحرام » فى الارتجاع، و « بكمشيئتها » فى الظهار ، و « وفى كالثلاثة » ــ الايام ، وفى التطوع او غيره ان خرج ــ «لكرباط» فهذان مثالان وردا فى رفع زوجة المفقود، و«نبذ بكدباء»

فى الطعام المبـاح ، وهو كثير جدا . ويكلف الشراح تأويلا يدعونه بحذف المنعوت والواقع ، ان الصنيـع التركي ، هو الذى شجع هذا التركي العظيم علـى استعماله ، المذكور ، وهو الذى جعل شوقي التركي يقول :

ودخلت فى ليلين فرعك والدجـى
ولثمت كالصبـــح المنـور فـــاك

فهذا التشبيه « كالمنـور » هو المفعول به على الحقيقة ، كما ان ما قام مقامـه ، فى قوله : « مـا يشبه الاحلام » هو الفاعل فى البيت :

يا جارة الـوادي طربـت وعادنـي
« ما يشبه الاحـلام » من ذكـراك

وكذلك نجد لشوقي هذا الصنيع فى نحو قوله :

ولا ينبيـك عن خلـــق الليالـــي
كمن فقد الأحبة والصحابـــا

فقد جعل الفاعل هنا ، المشبه به اداة التشبيه، ولا شك انه نظر فى ذلك الى قوله تعالى : « ولا ينبئك مثل خبير » .

فالفاعل فى الواقع المشبه به اداة التشبيـــه « مثل » اذ هي فى المعنى لا تستقل بنفسها ، وان كانت فى الصناعة فاعلا بنفسها ، مما اهلها فى التركيب العربي ، لما لم تؤهل له كاف التشبيه .

ولكن غير شوقي وخليل ، ان احتاج الى هذا التشبيه ، احتال عليه ، فقـال : « ذهب الاصيـل » و « لجين الماء » و « حمار الشيخ » ونحو ذلك ، مما اضيف فيه المشبه الى المشبه ، وقد استعمله جدا ، ابن خفاجة ، زيادة على الصورتين الاوليـين خصوصا فى قصيدة له مطلعها :

يـا رب ليــل بتـــــه
وكانه من وصف شعـــرك

ومن الوسائل التى تتوســع بها اللغــات فى دلالاتها ، وسيلــة التعميـم والتخصيص ، فالخاص يستعمل فى المعنى العام والعام يستعمل فى المعنـى الخــاص .

وقد تنبه الاصوليون وعلى راسهم الشافعي الى هذا فى النصوص الشرعية بصفة خاصة ، الا انهم توسعوا فيه ، حيث كان قصدهم مناط الاحكام ، ولم يكن مناط الدلالات ، بمعنى انهم أقروا بعض العمومات فى دلالاتها اللغوية وان خصصوها فى أحكامها الفقهية، فجاءتها هذه الخصوصية بنحو الاستثناء الذى اجاز فيه أبو حنيفة وغيره ان يتأخر عن المستثنـى منـه بمدة السنوات ، او نحو الصفات التى تقصر الاحكام على موصوفاتها ؛ وهكذا مما يطـول الكـلام فيه ، وحسبنا أن نجد له نماذج فى باب اليمين بمختصـر خليل عند قوله « وخصصت نية الحالف وقيدت » الى آخر الباب وفيه أيضا تعميم للخصوص والعـام الذى اريد به الخصوص وهو الغالب .

ثم كان البلاغيون والمناطقة يعالجون هذا النوع من التوسع ، فالبلاغيون حينما امعنوا فى المجـازات المرسلة وجدوا من نماذجه ما يتصل بهذا المجاز ، لدرجة ان نشأ الخلاف بين الاصوليين فيه ، هـل هو جميعا من قبيل المجاز هذا ؟ والمناطقــة نظـروا اليه وهو يقوم بمهمة الدلالة اللغوية ، فكان تناولهم فقهيا لغويـا فى الصميـم ، كما نجد فى السلم اذ يقول :

دلالة اللفظ على ما وافقـــه
يدعونهـا دلالـــة المطابقـــة
وجزئه تضمنـا وما لـــزم
فهو التزام ان بعقل التـــزم

وقد توسع فقه اللغة الحديث فى هذه الدلالات وسلط عليها الاستقراء التاريخي والتطور الأجتماعي والجنسي وهي على كل حال خاضعة لهذا الحصـر المنطقـي .

ومهما يكن فالعربية عرفت فى الجاهليـة هذه النماذج التى تتـراوح بين التخصيـص والتعميـم ، وتوسع فيها الاسلام فالشهادة والصلاة والزكـاة والصيام والحج والطهارة والوضوء والكفر والايمان والشرك والجـهاد والتكبيـر والتحميـد والركـوع والسجود وغير هذه من مئات الكلمات التى جـدت دلالاتها فى الدين الجديد ، كلها من هذا القبيل .

وقد الـف الراغب الاصفهانـي كتابه القيـم « مفردات غريب القرآن » فارجع هذه المفردات الى عموماتها او خصوصاتها فى أصل الاستعمال اللغوي، الذى لم يقطع الاستعمال الجديد فى الإسلام صلاته بالقديم فيها .

فهذه الصلاة والزكاة والطهارة ، نجدها فى آية واحدة تمد يدها الى عمومها فتقول « خذ من أموالهم

صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ، ان صلواتك سكن لهم » .

والكفر نجده يستعمل فى معناه من الستر ، نعم الزراع لسترهم البذور ، ولهذا وردت الآية « كمثل غيث اعجب الكفار نباته » اي الزراع ، ومن هذا الستر تكفير السيئات الذى ورد منه فى القرآن عشرات من الآيات ، مثل « كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم » ومثل « ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا »

ومن العجيب ان نجد هذا الستر فى الكلمة باللغات الاوربية ، فى مثل Cover الانجليزي و Cubrir الاسباني ونحو ذلك فى اللغات الآخذة من اللاتينية كالايطالية والرومانية وغيرهما .

ومن الكلمات التى صارت تجنح الى التخصص كلمة الانتقاد ، فهي كذلك فى العربية وكذلك اختها Critic فى غيرها وهكذا العربية استفادت من التخصيص فى عصرنا ، كما نجد ذلك فى تسمياتها الطيارة والدبابة والغواصة والعوامة والمدمرة والمدفع والحافلة والشاحنة والجرار والجراف والسيارة والدراجة والاسعاف والامن والنظام والاستقرار والمخبر والساعي والنجدة والانقاذ والامين والشوكة والسكينة ، وغير هذه مما يجد باطراد مستمر ، وقد يشتق من بعض هذه ، كالطيار والمطار ، كما اشتق من المطبعة الطباعة وغيرها .

فهذه كلها معان جديدة ولدتها أم التخصص لهذه العربية ، ولا افهم مطلقا من يقولون ان دلالات الالفاظ فى العربية لم يطرا عليها تغيير فهذه القولة تسيء الى العربية ولا تشيد بفضلها .

بل ان التطور فى الدلالة ، حاصل حتى فى هذا المتخصص . وهذه الكلمة نفسها ، وقد جاءت عفوا فى عبارتنا تطورت فى مدلولها عما كانت عليه بالامس ، فكلمة « المتخصص » الآن لها مدلول لم يكن يعرف على ما هو عليه عندنا ، فهذا متخصص فى فقه اللغة العام وهذا فى فقه اللغة الخاص ، بالمقارنات او الاشتقاقات أو التاريخيات أو ما الى ذلك من نوع الدراسات اللغوية وهذا متخصص فى امراض الكلى وآخر فى لين العظام وآخر فى الجهاز الهضمى او البولي أو السمعي او التنفسي او ما الى ذلك من الاجهزة الكثيرة ، زيادة على التخصص فى الاسنان والعيون ، مما اصبح مستقلا بنفسه تمام الاستقلال ، وسيأتي يوم يتخصص فيه طبيب الاسنان بالفك الاعلى ، وآخر بالفك الاسفل ، وطبيب العيون ، بالعين اليمنى وآخر بالعين اليسرى ، وطبيب الآن كذلك .

نعود الى هذا العام الذى خصص فى غير العربية ، لنقارن بين طبيعة المتخصص فى العربية والمتخصص فى غيرها فكلمة Avion فى الاسبانية وغيرها ، وكلمة Aviación فيها وفى غيرها ، تقابلان ما تخصص فى العربية بالطائرة والمطار ، بضم الميم ، كما سنرى .

وهنا تقف غير العربية ، فليس فيها طيار مشتق من Aviar بل فيها Piloto ونحوها ، بما لا علاقة لها بمادة الطيران ، بل هو من Pilotear العام فى الجو والبحر والارض ، وان كان قد اشتق له فيما مضى Aviador فى الاسبانية، ونحوها ، و Aviator فى الانجليزية كذلك ، الا ان الاستعمال الآن جنح الى المعروف بكونه يعم القائد والمرشد فى السماء والارض والبحار ، وقد بدأت العربية تجاري هؤلاء فى هذا الانحراف عن المادة الاصلية ، فصارت تسمي الطيار ، ربان الطائرة او ملاحها . ولا لزوم لهذه المجاراة ، خصوصا وانها تستبدل بالكلمة الواحدة ، وهي الطيار ، كلمتين ، وهما ربان الطائرة او ملاحها ،، زيادة على ان العربية لها فضل السبق فى خلق كلمة طيار للادمي ، وقد مضى عليها اربعة عشر قرنا ، منذ لقب بها الشهيد جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه .

نكتفي بهذا المثال ، مما هو فى غير العربية من العام المخصص ، ونتوجه الى مقابله ، الخاص المعمم .

فمن ذلك كلمة الرائد ، فقد اشتق هذا من الورد الى الماء خاصة ، ثم تعمم بالاتيان الى كل مطلوب ، وكان الرائد الذى يتقدم قومه فى السفر ليهديهم الطريق ، ومنه الرائد لا يكذب قومه ، بل صار الورود عاما فى كل آت مادي أو معنوي حقيقي او مجازي ، مثل ورد فلان وورد الخبر علينا وورد الماء والتيار الكهربائي او الضوء ان اردنا .

ومن ذلك كلمة الاستنباط ، فقد كانت خاصة بعمل النبط ، وهو استخراجهم للمياه ، الذى مهروا فيه ، كالفيلاليين فيما مضى عندنا ، ثم صار كل استخراج للمياه يدعى استنباطا ، ولو لم يكن المستخرج نبطيا . ثم زاد التعميم فى كل استخراج للمياه وغيرها ثم تعدى هذا الى المعنويات ، ولازمها حتى اصبح او كاد يتخصص بها فيقع له ما سيقع لرواد الفضاء ، فيطلق عليهم رواد بدون هذا القيد.

ومن ذلك كلمة ماهية التى دخلت الى العربية من « ماه » القمر فى الفارسية ، وهي بمعنى المرتب

الشهري ، ثم اصبحت تطلق على كل مرتب ، شهريا كان أم غير ذلك .

ونظيره كلمة مشهرة التى دخلت الفارسية من العربية بمعنى المرتب الشهري ثم صارت تطلق على كل مرتب شهريا كان أم غير شهري .

ومن ذلك كلمة كفل ، وقد جاءت الي عفوا ، فوجدت أصلها خاصا بالكساء الذى يوضع على ظهر البعير فيعقد طرفاه ويلقى مقدمه على كاهل البعير ومؤخره على عجزه ، فالاكفال غير الاحلاس ، كما فى الامثال ، ثم قيل تكفل الحمار ، اذا حلق ثوبا على ظهره وركبه ، ثم اطلق على كل اشتمال مادي ، ثم معنوي كالنفقة والقيام بالاشياء عامة ومضاعفة الجزاء ، وصارت الكلمة تجنح الى المعنويات فيقال تكفل فلان بالامر ، اذا تعهد القيام به .

وهكذا تتعمم الكلمات فى مدلولاتها التى كانت خاصة ، بالكثرة التى جعلت اللغويين ، يدعون أن الكلمات فى نشأتها كانت خاصة ، وما تعممت الا اخيرا ، حيث ارتقى الانسان ، فادرك الكليات بعد ادراكه للجزئيات ، وهو ما أدركه المناطقة عموما ، فقال السلم مثلا :

من أوليات مشاهدات
مجربات متواترات

الى آخر اليقينيات التى نشأت من المشاهدات

هذه امثلة من العربية ، اما غيرها ، فكلمة Arrive الانجليزية ، كان معناها الوصول الى River اي النهر ، ثم صار معناها الوصول مطلقا وكلمة Salary كان معناها النقود التى تصرف لشراء الملح من كلمة Sal ثم صار معناها ما يدفع للاجير او الموظف عامة وصارت تجنح الى المرتب الشهري وهكذا نجد فى عدد من اللغات يصبح الخاص عاما ثم تدور الدائرة فيصبح هذا العام خاصا فى معنى جديد غالبا واللغة كائن حي نشيط.

ومن هذه الوسائل التى توسلت بها العربية فى توسعها اويمكن ان تتوسل بها الاشتقاق من الزمان والمكان فالزمان ، كالصباح والغداة والمساء والعشاء والضحى والقائلة والليل

فمن الصباح اشتقت العربية اصبح ونحوه ، كما قال الافوه الاودي :

اصبحت من بعد لون واحد
وهو لونان وفى ذاك اعتبار

ومن المساء ، كذلك ، مما نجده فى قول أبي تمام :

وما كان الا مال من قل ماله
وذخرا لمن امسى وليس له ذخر

ومن الغداة كما فى قول الفند الزماني :

مشينا مشية الليث
غدا والليث غضبان

ومن الضحى ، قول عمر بن الخطاب : « اضحوا عباد الله » اي صلوا بالضحى

ومن العشاء ، قول الحطيئة :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره
تجد خير نار عندها خير موقد

فمعنى تعشو تراها ليلا وتقصدها فيه عشاء .

ومن القائلة ، الحديث « قيلوا فان الشياطين لا تقيل » .

ومن الليل ، قول ابن حبوس الفاسي :

والكل فى علم الامام مقصر
حسب المبرز منهم أن ليلا

وقالوا كذلك : اليل فلان اذا دخل فى الليل ، والليل الكروان ، لتغريده ليلا ، ولهذا اسمه بالانجليزية Nightingale ففيها هذا الاشتقاق من الليل كذلك ، كما اشتقت من الصباح Morning واشتقت الاسبانية من الصبح Madrugar فالاول من Morn والثاني من Madrugada التي يرادفها Alba وهو اول ضوء للنهار ، كما اشتقت الانجليزية من المساء ايضا Evening فهو مشتق من Eve اي انتصاف النهار ، ونحوه موجود فى الاسبانية ، وان كانت قد جنحت به الى معنى ما تؤديه « ظل » فى العربية ، وهو تطور فى الدلالة ، من القيد الى الاطلاق ، او من التخصيص الى التعميم ، كما حدث فى العربية ، للافعال السابقة ، اصبح وامسى واضحى وحتى غدا ايضا ، فصارت من الافعال الناقصة ، وهي فى تلك الامثلة السابقة افعال تامة ، والا لما دخلت واو الحال على ما ندعيه خبرا فى غيرها ، كما راينا ، وكما فى قول الفند المذكور :

فلما صــــرح الشـــــر
فأمسى وهو عريـــــان

بل ان « ليس » التي ادعي فيها النقصان دائما، وردت تامة ، كما في قول النابغة :
اذا ذهب العتاب فليس حب
ويبقى الحب ما بقي العتـاب
وهذا مبحث آخر سنتاوله عند تناولنا للغـة في تراكيبها ، اما الآن فنحن بصدد مفرداتها

ومن الاستعانة بالزمان ، قولنا الغداء لطعـام الغداة ، والعشاء لطعام العشاء

ثانيا ــ المكان ، نقول : انجد فـلان صـــار في نجـــد

واسهل صار في سهل
واجبل صار في جبل ، قال ابن حبوس الفاسي:

وتفجرت عيـــن النباهـــة بعدمـــا
قد كان خاطرها اكـل واجبـلا

اي انقطع ، والاصل فيه صعد فـي الجبــال واوقل فيها ، فانقطع خبره ، بل الوقل نفسه من هذا ، فهو الحجارة ، وبذلك يكون من قبيل المكـــان

واتهم صار في تهامة
وايمن صار في اليمن ، وكذلك ، يامن
وعرض صـــار في العــروض ، وهـــي مكـــة والمدينة ، والطريـــق في عــرض الجبـــل ، قال عبد يغـــوث :

فيا راكبـــا اما عرضت فبلغـــا
نداماي من نجـران الا تلاقيـــا

وهكذا استفادت العربيـــة من الزمـــان ، كمـــا استفادت ايضا من المكان ، فقالت اعرق وبدا وتمدن وغار وابلد واعمن واشأم واجنب واشمل وشرق وغـــرب .
فمن نجد ، وغور قول الاعشى :

نبي يـــرى ما لا تـــرون وذكـــره
اغار لعمري في البـلاد وانجـدا

ومن العراق وتهامة وعمان ونجد ايضا ، قول المزق العبدي :

فان تتهموا انجد خلافـــا عليكـم
وان تعمنوا مستحقبي الحرب اعرق

ومن الشام ، قول الشـاعر :
سمعت بنا قيل الوشـــاة فأصبحت
صرمت حبالك في الخليط المشئـم

ومن البداوة ، الحديث الشريف « من بـــدا جفا » أي من سكن البادية اكتسـب منها الجفاء

ومن المدينة ، قولهم تمدن فــلان ، اذا سكــن المدينة .

ومن البلد ، قولهم ابلد بالمكان اتخذه بلدا

ومن الجنوب ، قولهم اجنب القوم ، اذا دخلوا في الجنوب

ومن الشمال ، قولهم : اشملــوا ، اي دخلـــوا الشمال .

ومن الشرق ، قولهم : شرق فلان ، اذا اخـــذ في ناحية الشرق .

ومن الغرب ، قولهم : غرب ، اذا اخذ في ناحية الغرب ، قال الشــاعر فيهما :

سارت مغربة وســـرت مشرقـــا
شتـــان بيـــن مشـــرق ومغـــرب

وبهذا نرى العربية قد استفادت من المكـــان ، استفادتها من الزمان استفادة واسعة، وهو ما لا نجده في غيرها ايضا كذلك فقد نجـــد في الاسبانيـــة من الانـــدلـــس Andaluzada و Andalucismo فالكلمة الاولى يراد بها المبالغات الاندلسية ، والثانية اللهجة كذلك ومـــن قشطيليـــة Castillanizar ، والمراد بها الاسلوب المنسوب لكستيليا يلقن للاجانب عنها ، فالاشتقاق اذن حصل بعد النسبة لها ولا نكاد نجد هذا الاشتقاق في غير هاتين الناحيتين ، وطبعا لا يتوقع ان يوجد شيء من ذلك في الانجليزية التي تتحرك في اشتقاقها بمساعدة فعل الكينونة ، ان لم يكن هناك مصدر تعتمد عليـــه مباشـــرة ، وكذلـــك الشان في الالمانية والفارسية والتركية .

نعم ، قد سبق ان « Arrive » ماخـــوذ مـــن « River » ولكن قواميسهـــم في Etymology تذكر ان الانجليز اخذوا هذه من الفرنسية بعد اشتقاق الكلمة فيها

حقيقة ان الاسبانية اشتقت من الطريق فقالت: Caminar مـــن Camino ولكن الملاحـــظ في هـــذه الحركة اكثر من الصيرورة فيه ، ولهذا لم نذكـــره

في هذه الظروف المكانية ، وبعبارة ان الطريق ، كان بعد الطروق ، فهو مأخوذ من الفعل لا الفعل مأخوذ منه ، ومادة الفعل اوسع منه فهو فعيل من الطرق بمعنى مفعول منه .

وبالجملة فالزمان والمكان لهما اهمية خاصة في العربية ، ولذلك الف المرزوقي الاصفهاني من رجال القرن الرابع واوائل الخامس كتابه القيم « الازمنة والامكنة » وكان استاذنا المستشرق Paul Kraus اذا سأل احدنا عن هذا الكتاب ، فأجاب بأنه لا يعرفه ، ينحى عنه بالتجهيل والتقريع . لان مثل هذا الكتاب ، يجب ان يكون كل طالب في العربية على علم به واطلاع عليه .

ومهما يكن ، فاننا زيادة على تلك الوسائل التي ذكرنا ، لنا وسائل اخرى نجملها فيما يلي :

الالوان ، كتسمية نوع من الحيات ، باسم الاسود، والتسمية بأحمر ثمود، والاعتماد على اللون، نجده حديثا في مثل البطاقة الرمادية والبطاقة الخضراء ، المعروفتين لكل سائق سيارة .

الاشكال ، كما هو معروف عند الموقتين ، في نحو نحو «الربع المجيب» و «الربع المقنطر»،وعند اصحاب الهندسة ، كالمربعات والمثلثات ونحوهما ، وقد تتعاون الالوان والاشكال والاصوات،كما حصل هذا في « المربع الاحمر » لاصحاب زيت لوسيور . وقد ذكر النحاة امثلة لذلك ، في نحو طاق للضرب ، وطق لوقع الحجر ، وقب لوقع السيف ، وساق حر ، لطائر ، قال الشاعر :

وما هاج هذا الشوق الا حمامة
دعت ساق حر ترحة وترنما

وقد وقف فقهاء اللغة عند هذه الكلمة وقفة طويلة ، يعللون اشتقاقها .

اما النحاة ، فعقدوا لهذا باب حكاية الاصوات ، كما ان اللغويين القدامى والمحدثين ، والفلاسفة في القديم ايضا ، استرعى نظرهم

ذلك ، فكان منهم من ادعى ان الالفاظ اللغوية كلها ، انما نشأت حكاية للاصوات ، وهذا لا يعنينا، ان كان صحيحا ام لا ، بقدر ما نستفيد منه ، وهو كائن في اللغة ، ويمكن الاستفادة منه ، وقد رأينا في اللغات الحية ، شيئا من هذا ، كما في تسمية « الطبيلة » باسم طمطم Tomtom وتسمية لعبة « البينكبونك Ping-pong و Croquet ربما تكون كلمة « التراكتور » من هذا القبيل . وعلى فرض انها مأخوذة من اللاتينية ، فان هذه قد حاكت الصوت . فيما سمت به قديما ، وقلدت في ذلك حديثا . قال لي طالب اسرائيلي ، كان يحضر علي درس الفارسية . اني ادركت تماما معنى كلمة « كرفتن » اي القبض والاستيلاء ، ولا شك ان ذلك كان في خفة وانتشال ، وهذا طبعا يفهمه الاسرائيلي اكثر من غيره .

الاساطير ، فنسمي طائرة من الطائرات ، مثلا، باسم العنقاء ، او آلة هائلة باسم الغول ، وقد فعلت هذا انجلترا فسمت الآلة الرافعة للاثقال العظيمة باسم Bogey ومعناه الغول ، واخيرا وجدنا اميركا تلتجيء الى اساطير اليونان ، فتسمي باسم اله الشمس وغيرها Apollo ثم تستعين بالارقام بعد، فيكون ابولو واحد واثنين الى خمسة عشر ، وهكذا دواليكم ، وهي التي سمت طائرتها المدمرة Phantom اي بعبع .

وقد يلعب الخيال ، فيصور الاشياء وهي لا ترى ، بصورة ما ، كدائرة السوء ، او يضفي عليها لونا ، كالحمى الصفراء والاسودين للتمر والماء او يجعلها تصيت كنداء المجهول ، وهذا في الواقع من صنيع الشعراء ، واصحاب الخيال الخصب ، ولكنه اذا ما شهر صار يؤدي ما تؤديه الاسماء المعتادة فمن منا يجهد فهمه في ادراك « صوت الضمير » و « دائرة السوء » التي جاءت في القرآن الكريم ، وادركتها الافهام بلا كلفة او مشقة ، كما ادركت « رؤوس الشياطين » وقد جاءت في القرآن ، وادركت « انياب اغوال » في شعر امريء القيس :

ايقتلني والمشرفي مضاجعي
ومسنونة زرق كأنياب اغوال

وبعد هذا كله فللغة ان تخترع ، وهذا من علامة حيويتها واستجابتها الى كل ما يجد في الحياة ومتطلباتها ، وقد جاء الاسلام بجديد فاحتاجت اللغة الى جديد في اللغة ، فاخترعت الفاظا قرآنية ، لم يكن العرب يعرفونها ، وخصوصا فيما يتصل بالآخرة من تصوير اهوالها وعذابها او نعيم جناتها ، كالسلسبيل ، والصعود ، وسقر ، وسجين ،

وطوبى ، وغساق ، وغير هذه ، وان ادعي كونها معربات .

وهذا ليس بدعا فى اللغات عامة ، وعندنا كلمة Gaz تعيش فى كل مكان . ولا يعرف لها اصل البتة.

واذكر ان احدهم صنع شيئا ، فدخل عليه طفل سأله عن اسم المصنوع . فسأله هذا الصانع : كيف تسميه ؟ قال له . كذا ، فسماه بذلك . ولم يكن لذلك الاسم اصل من اللغة ، وقد وضع احدهم رسوما متكسرة . على شكل زوايا حادة متسلسلة ، ودعاها « كيكريكو » ورسم الى جانبه رسما آخر ، عبارة عن سلسلة من انصاف دوائر ودعاها « امبو » ولكنه وضع الاسمين ، ودعا تلاميذ من مختلف الجنسيات واللغات وسألهم : اي الرسميين « كيكريكو » فكلهم اجاب بانه صاحب الزوايا الحادة ولا شك انهم يدركون العلاقة بين تتره مك التركية والاضطراب و trouble والواقع ان الرسم له صلة بما يعرف عند الرسامين ، باسم « كروكي » . واعرف سيدة اخترعت كلمة « زوطوطو » فسارت الكلمة فى الوسط العائلي ومن الكلمات المخترعة كلمة « روكوكو » Rococo وهو من اسماء الزخارف ، وكلمة « كوداك » Kodak .

ولا شك ان هذه الكلمات ، سيزداد عليها ، ولن تقف مكتوفة ، بل سيشتق منها فيما بعد ، شأنها شأن باقي الكلمات فى العربية . سأل الضيف صاحب المنزل عن طعام ، قد اتى عليه ، فأغاظ صاحب المنزل الاب الفقير ، ما اسم هذا الطعام ؟ فأجابه بفيظ : « الكجدور » فقال له : « على ش ما كجدرتوشي منو بزاف »؟ وهكذا اشتق من الكلمة الغريبة عليه، بمجرد فهم مدلولها ، كما اعتقد ، وهي طبيعة العربية الام الولود ، التى تمكن اولادها من حرية التصرف ، فيشتقون من « الاستيك » ، فعل « استك » وغيره، كما يشتقون من da le المركبة فى الاسبانية من فعل امر من صدر dar اي الاعطاء ، والمفعول فكان التعبير dale اي اعطه ، ولكننا قلنا دالا عليه وبدالي الى غير ذلك من كل ما يدخل الى العربية من كلمات لها اصولها او مخترعة لا اصول لها ، كما تقدمت امثلة له .

وبعدما تعرضنا للتعريب فى مفهومه القديم والحديث والوسائل التى تمكننا من سد الحاجة التى نشعر بها حيال هذا العصر واختراعاته المتلاحقة ، وما تتطلبه حضاراته المختلفة .

نلقي النظرة الاخيرة على ميدان التعريب ، يكون بهذا تلخيص ما تقدم وتبسيط بعض الجوانب منه ، بامثلة منها ما يعايشنا ويسايرنا فى تنقلاتنا اليومية ، ونحن فى مضمار الحياة ومعترك الاحداث .

ولا شك أن امامنا مشاكل متنوعة فى هذا المضمار وذلك المعترك . فهنالك العامية ، التى يجب ان نأخذ بيدها ونسمو بها الى مستوى راق . بدل ان ننزل اليها من هذا المستوى الراقي . وهنالك الفن ومذاهبه ، كما قيل ، فهو يصور الحياة فى لوحاته الزاهية والشاحبة والقاتمة ، برسومه وموسيقاه ، التى اصبحت تتطور مع الايام بأدواتها واصداحها ، الى جانب ذلك الرسم الذى لا يقتصر على المشاهد ، بل اصبح يجاذب الكتابة ويرقى الى الرموز ، التى قد تعجز عنها الكتابة نفسها ، فهو يسبح فى عوالم خارقة للعادات وهو يخاطب او يحاول ان يخاطب وجدانات، بلغات لا تقوى عليها الكتابات والاصوات ، فهو حر طليق لا يعترف حتى بسلطان النفسيات والمسجلات للخطرات الرتيبة ، فى سهولة تراد منه او اسلاس ينقاد به ، انها الثورة التى يريدها الخيال الجامح فى اعلانها المكسرة لاصنامها . وهناك النحت ، لا يقل فى غاياته عن غايات الرسم ، وان كان طريقه وعرا ، تكتنفه الصخور عليه ان ينحت منها ، والاوحال عليه ان يفوض فيها فهو على رعونته ، اصبح لا يقل عما عليه الرسم فى اطيافه واحلامه ، ووداعته وثوراته .

وهناك الكلام ، وهما كما يقول الشاعر :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والفؤاد هذا قلب قلب ، يقلبه من هو كل يوم فى شأن ، فعلى اللغة ان تسجل خطراته ، وان تضبط دقاته ، وهي كما قال شوقي :

دقات قلب المرء قائلة لـه
ان الحياة دقائق وثوان

نعم ، انها دقائق وثوان ، ولكن هذه الدقائق والثواني ، ما اعظم متطلباتها ، وما اشد ما يتحمل الانسان من اماناتها ، وقد أبت السماوات والارض والجبال أن يحملن هذه الأمانات ، كما قال تعالى « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه

لن ظلوما جهولا » هو ظلوم عليه ان ينصف نفسه وينصف الناس . وهو جهول عليه ان يعلم ويتعلم ما يلبي رغبات الافئدة في هوائها. والعقول في مناطقها، والاجسام في عللها واسقامها ، وصحتها وملاذها . من المشاهد والاذواق والمشاعر والاسماع .

فهذا فن الكلام في آدابه ، التي تتولد وتتفاعل في الوانها وامشاجها ومعطياتها ومقاصدها ، وجميعها في تطور مطرد وفي انفصال هلامي مستمر ، وفي استقلال ببيء اصحابها واوطانها ومجتمعاتها وافكارها وثقافاتها ، بعد اللغات ، وقد اصبحت تعد بالآلاف . واصبح على الانسان أن يفهم كل شيء، وقد واجه في حياته كل شيء ، فخيمت عليه الظلال من كل مكان ، ووجهت عليه الانوار والنيران ، فعلى هذه اللغة ان تصمد بكل شجاعة ، وعليها ان تقوم برسالتها ، بكل عزم وقوة، فتمثل دورها في جميع المحافل خير تمثيل ان كانت على قيد الحياة .

ومن وراء هذا كله الفلسفة التي اصبحت من هذا الجيل مطالبة بالجديد ، والا فعليها ان تنزوي من مسرح الحياة الجديد في جميع فروعها ، حتى « الميتافيزيقا » نفسها ، فمهماتها صعبة في هذا العالم الصعب المعقد ، الذى لا يرحم احدا ولا يحجم عن الاخذ بتلابيب العلماء العظام والفلاسفة الكبار ، فعليهم ان يفهموا ويبسطوا وعليهم ان يقنعوا العقول وهي في زيفانها وصراعها للاليكترونية العملاق .

وهذا العالم لم يبق بالرتابة او القداسة التى كان عليها ، فهو يطارد مطاردة لا هوادة فيها ، منذ بداية هذا القرن ، واشتدت المطاردة اثناء الحرب الاخيرة ، وازدادت اشتدادا بعدها ، وصارت الدنيا تميد بها ، واذا بالافلاك والنيرات تناجي الانسان فيطالب العالم بأن يحمله الى هذه الكواكب والافلاك ، فلا يجد المسكين مناصا من ان يستجيب لمطالب الانسان الجبار ، فيبني له المراكب الفضائية ويزوده فيها بما يضمن له السلامة ولا يحرمه مع هذا من الاتصال بالعالم الارضي لحظة ، ويتكفل بالعودة به اليه بعد ان يحط رحاله بتلك الكواكب ويطوف في ارجائها ويحمل من متاعها ويستعمر من بقاعها ، فلا يلبث بعد عودته ان يطالب العلم بدراسة هذه العوالم العليا .

فالجغرافي عليه انيخترع ما يشبه علمه لهذه الكواكب ، بل عليه ان يخترع اسما خاصا لهذا العلم، والجيولوجي عليه ان يدرس طبقات هذه الكواكب ، ويطبق على ذلك قواعد ما يشبه علمه . كما عليه ان يخترع اسماجديدا لهذا العلم ، والكيماوي عليه ان يحلل عناصر ما في هذا الكون او الاكوان ، ويسمي تلك العناصر بما يخترع لها من اسماء ، لان المدلولات قد تكون غريبة عن هذا الكون ، وليس لهؤلاء ان يقولوا لعرائس تلك الافلاك :

صوني جمالك عنا اننا بشر
من التراب وهذا الجسم روحاني

او فابتغي فلكا تأوينه ملكا
لم يتخذ شركا في العالم الفاني

لان هذه العرائس تأوي فعلا هذه الافلاك فلم تتخذ لها شركا في عالم غير عوالمها ، ولكن الانسان هتك استارها وكشف خدورها فتجلت مفاتنها للابصار ، وانبهرت لاسرارها البصائر ، فلا اقل للغة من الوصف ولا مناص لها من الكشف ، بكل دقة وكل تبيان .

ان هذا الاكتشاف الذى ستتلوه اكتشافات ، قد تطلب آلاف الآلات والادوات ، فعلى اللغة ان تسمي كل ذلك بدقة وتفهمه للافهام وليس بقادر على هذا الا اهل العلم انفسهم، وقد وضعت اللغة امامهم وبين ايديهم ما تملك من ادوات التعبير ، ووسائله كالاشتقاق من الحقيقة والمجاز وكالتشبيه وحكاية الاصوات والنحت والتخصيص والتعميم وكالاستعارة من اللغات بعضها من بعض وكالاختراع للكلمات وخلقها من العدم ، اذا لم نجد في هذا الوجود ما نستفيد من لونه او شكله او رائحته او حركته او ما الى ذلك او مما يسعفنا بمماثلة ما ولو في الوهم او الخيال الذى يساورنا او يخلف لنا من اساطيره وخرافاته .

لقد سمى آباؤنا سائل الكلونيا، باسم «مسيكو» فاسعفتهم الرائحة ، واخترع « شيكسبير » اسم « دولار » قبل ان يكون دولار وسمى آباؤنا ايضا الدراجة ، باسم « عود الريح » معتمدين على السرعة في الحركة ، وكان هذا تلقائيا منهم ووفقوا كل التوفيق (وفي الفارسية « دوچرخه » أي فلكتان) اذن فالعزم اولا هو ما نتذرع به ، في مواجهة التعريب ، وفي القديم واجه القوم ، فما وهنوا ولا ضعفوا ، وحلوا مشاكلهم في تدوين الدواوين ، ونقل العلوم المختلفة والآداب المتباينة والعقائد المتضاربة الى لغة الضاد ، ولم يكن اولئك اقدر منا في العربية ولا افهم منا لتلك العلوم

والآداب وغيرها ، بل كانوا دوننا في ذلك ولا شك ، الا انهم كانوا يتوفرون على شيء لا نتوفر عليه ، وهو الشعور بالعزة والكرامة وانهم سادة يجب أن يخضعوا لهم ، لا أن يخضعوا لغيرهم ، وبذلك اخضعوا لغتهم ، في يسر ، كل ما وصلوا اليه أو اتصل بهم .

هذا هو موقفنا الذي يجب ان نقفه ازاء هذا التعريب ، وهو موقف ، لا محالة ، يدعو الى التخصص ، بعد تلك العزيمة ، والى النهل من العربية والتعمق فيها ، حتى يمكن كل عالم او صانع او مفن او متفلسف ، ان يتولى ما يزاوله او يعانيه بالتعريب .

وعليه ، فالطبيب يتولى تعريب ما يتصل بطبه. والمهندس يتولى ما يتصل بهندسته ، والمتفلسف والمفن ، كل لما يتصل بهاويته والصانع كذلك يعرب ما يتصل بصناعته ، وقد مكناه من ذلك بالتعليم ، الذي يسير في ركبه هذا التعريب .

ولا نهمل مع هذا استشارة الشعب ، بل نعود الى قاموسه الحي ، الذي يمدنا بنحو « عود الريح » و « مسيكو » و « والصدفة » و « الكسكاس » و « غويلة » و « ترابية » ، وغير هذه من الكلمات التي تخضع للعربية وقوانينها ، كما نتلقى منهم من غير مشقة ما عربوه هم مثل يكمي ، من Quemar الاسبانية والكرو من Cigarro الاسبانية ايضا الا اننا نخضع الكلمة لقانون العربية ، فلا نتركها لمتنها هذا ، وفي آخرها واو قبلها ضمة لازمة ، بل نختم بهاء مثلا ، كما فعلنا في ينيه ويليه وسيبويه ، وسميت الصورة السالبة باسم « عفريتة » في عامية الشرق ، فلنا ان نستعير حتى من العامية .

كما نستعين برصيدنا في الخارج فالاسبانية اخذت كلمة « كحال » Oculista لطبيب العيون وعنها اخذتها باقي اللغات الاوربية كما اخذتها مباشرة الفارسية فالتركية . فلماذا لا نستعملها نحن العرب فنجاري اللغات الحية التي استعارت منا ولنا الفضل عليهم ؟ ربما نأنف من هذا ، فلم لم يأنف غيرنا أن يسموا طبيب الاسنان بالسني Dentiste كما في اللغات الاوربية والتركية ؟ وعلينا ان نجاري غيرنا في ذلك، وقد استعملت هذه التسمية « دنتيلة » في الاندلس وان كانت في الاحتفال يبدو الاسنان ، وادعى بعضهم ان لها اصلا في الفصحى ، وتوقف الزبيدي هنا .

والفارسية ثم التركية سمت الهيدروجين « مولد الماء » كما تقدم ، واستعملت التركية « تهلكة » بدل « خطر » ، والاسبانية « انبوب » Embubo بدل قمع . وهكذا نجد الفاظا نستفيد من وجودها في الخارج او نختارها منه .

وهذا عمل يحتاج الى تعبئة عامة ، وكفاح يشارك فيه الجميع : الحكومة بتدخلها في تعريب اللافتات والتذاكر واللوائح والصحافة باختيار الكتاب والمثقفين حقا والمتخصصين في العربية تخصصا علميا . فلا تترك الصحافة في ايدي من لا يحسن لغتها من المتطفلين عليها ، والتمثيل المسرحي كذلك له رسالة في هذا التعريب ، فعليه ان يختار الموضوعات التي يستسيغها الشعب حتى يقبل عليها في لغتها ، فتعمل فيه بطريق الايحاء ، وكذلك التمثيل الخيالي ومسرحه في الواقع أفسح من غيره، والأغاني العربية وحتى الشعبية تخدم كذلك التعريب، اذا احسنا استعمالها واخترنا اصواتها الجميلة والحانها السجية واعددناها بالموسيقى العذبة المؤثرة والاذاعة والتلفزة من اقوى دعائم هذه التعريب، فهي الصوت الذي يصبحنا ويمسينا والمشاهد التي تحيينا وتسامرنا وتناجينا .

اما المدرسة والكتاب فغني امرهما عن البيان، ولابد من الاستمرار والتذكير ، فقد كنت كتبت في كون العمالة بالكسر ، فكان لهذا صداه في اذاعة تطوان وفاس ولكن التذكير بهذا انقطع فعاد الناس الى العمالة بالفتح وعدت انا معهم الى هذا الضلال على علم به مني .

واخيرا ، لقد تركنا المفردات وما يمكن ان يستفيد منه التعريب في حركته الدائبة بنشاط هذه الاحياء البشرية وبقي علينا ان نوجه العناية الى المفردات في تركيبها ، أو تعريب الاساليب ، ان صح هذا التعريب .

وموقفنا هاهنا لن يطول ، لانه لن يكون معربا بحق وحقيقة ، فالعربية قد انتهت الى تراكيبها ، وليس في الامكان ابدع مما كان في بنيتها ، وارتفعت الاقلام عن تسطيرها وجفت الصحف بما فيها .

الا ان هناك ، جوانب لا تمت الى الخلق والابداع من جديد ، بل هي في الواقع محافظة على ذلك الكيان اللغوي الذي هو بالنسبة اليها القلعة العتيدة والحصن الحصين ، الذي يجب الدفاع عنه الى آخر قطرة من دماء هذه اللغة الأبية المستميتة الصامدة .

ان العربية كما قلنا ، كريمة كأصحابها مضياف تكرم نزلاءها ، فوجود مائات او آلاف من الكلمات الدخيلة فيها لا يهدد حوزتها ، بل بالعكس يزيدها قوة ويكسبها منعة ، فى مواجهات كل الطواريء .

ولكن العبث بالنظام المتبع فيها ، واحداث الفوضى فى مجتمعها ، هو الذى لا تقبله بحال . وهو الذى يجب الا تقبله ، كما لا يقبله اي عرف من اعراف اللغات قاطبة ، وهي لغات لها كرامتها ونها وجودها الازلي والخالد خلود الدهر .

ونعود فنقول ، اننا لن نطيل فى هذا التعريب التركيبي . وسنقف وقفة قصيرة ، عند بعض الاعراض ولا نقول الامراض التى طرات على هذه العربية فى عصرنا المريض برجاله ومثله العليا .

فأول تلك الاعراض ، بل أول تلك الامراض ، مع المعذرة ، مرض حل بمستقبل هذه اللغة ، نعم ، حل بمستقبلها مع الاسف ،ولكنه حل بمستقبلها السلبي ، لا الايجابي ، لحسن الحظ ، ولله الحمد على كل حال .

من المعلوم ، أن الافعال فى اللغات ، هي مفاتيح تلك اللغات ، بل هي حياتها التى بها يكون حيوانها ، والحيوان فى الواقع ، ما هو الا الحركة الجياشة ، كالفيضان والغليان والثوران والجيشان نفسه ، وبهذا الاعتبار ، قال تعالى : « وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » وبذلك تكون هذه الكلمة فى مدلولها الآن قد انحرفت عما خلقت لاجله .

وهذا لا يهمنا الآن ، فقد انتهينا من المفردات ، كما قلنا وعلينا ان نعالج مستقبل هذه اللغة فى افعالها السلبية ، وهي التى تحتاج الى علاج ناجع وسريع.

نقول سوف نفعل ، كما نقول سنفعل ، وهذا الاخير مختزل من الاول ، وكان قد عمل فيه هذا الاختزال ، فقيل سو افعل ، وسف افعل ، واخيرا سافعل ، فوقع الاقتصار على حرف السين وحده ، واهمل الاقتصار عليه مع الواو او الفاء ، وحوفظ على الأم الرؤوم « سوف افعل » وهذا جميل فى هذه العربية التى تتجدد وتتطور ، ولكنها لا تتنكر للماضي ، ولا تعق الأمومة والأبوة .

هذا هو الفعل المستقبل الموجب فى العربية ، سلمه الله من كل بلاء ، ودرأ عنه كل اذاء ، فبقي كيوم ولدته امه على فراش الصون والعفاف

ولكن المستقبل المنفي وقع فيه من المصائب ما لا عين رات ولا اذن سمعت بمثله فى غير هذه اللغة الشريفة نسمع دائما ونقرا دائما ، وخصوصا فى صحافتنا المسكينة هذا التعبير :

« سوف لا يأتي فلان » ونسمع ونقرأ فى صحافتنا المنكوبة ، ما هو افظع من هذا! وادهى ... نسمع ونقرا :

« سوف لن يأتي فلان » ،، فض الله فم من كان اول الناطقين ، بتلك العبارة الممسوخة ، وهذه العبارة الملعونة من السماء ، لان الله ما انزل بها من سلطان ، ولان كتابه الكريم قال : « لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني » فعلمنا كيف نعبر بالمستقبل المنفي « لن تراني » وقابل به المستقبل المثبت « فسوف تراني » .

اذن فأداة الاستقبال فى الفعل العربي المنفي ، هي الأداة « لن » فنقول « لن يسافر فلان » فى المستقبل من الزمان ، ولا نقول «سوف لا يسافر»،، ومن المخجل ان تستعمل هذه العبارة ، فى التمثيلية التى جابت من مصر فعرضتفى تلفزتنا بمناسبة المولد الشريف ، وهي تحكي حوارا كان على عهد الرسول ، عليه الصلاة والسلام .

وافظع من هذه العبارة ، هو « سوف لن يسافر » ، فتلك جهالة جهلاء، وعدم اكتراث باللغة، التى ظن اصحابها اليوم ، كأنهم قيل لهم فيها : « تكلموا كيف شئتم » ، وصدق الشاعر :

رايت الحلم دل علي قومي
وقد يستجهل الرجل الحليم

ان مثل هذا التعبير انما هو استعمار انجليزي تعدى الى اللغة بعد ان اعتدى على اصحابها ، وما ابغضه من استعمار، تخلص منه الناس، ولم يتخلصوا من ادوائه العديدة، التى منها هذا الداء الوبيل ، فقد تلقى احد الكتاب الطفيليين ، وما اكثرهم .واسمجهم، مثل هذ التعبير الانجليزي I shall not come فقد عليه عربيته المعذبة ، فى قبضته الاثيمة ، فقال : « انا سوف لا آتي » او « سوف لن آتي » ولو امعن جدا فى التعبير الذى سحره ، لقال : « انا سوف لا آتيان » هكذا ، وهو تركيب لا يوجد الا فى الانجليزية والالمانية بهذا النسج وهذا الترتيب ، ولا نعرف له مثيلا فى لغة اخرى غيرهما ، وهكذا نجد

العبارة المذكورة . تكون في الالمانية
ich werde nicht kommen
سواء بسواء ، فتجعل اداة النفي تالية لاداة الاستقبال، كما في الانجليزية وفي تعبيرنا هذا المسوغ « سوف لا » او « سوف لن » كما تقدم ، بينما الفارسية تدخل اداة النفي على اداة الاستقبال ، ولا تجعلها تاليةلها ، فتقول في نفس الجملة « من نخواهم آمد » فالنون نفي وتخالف هذه جميعا التركية ، التى تاتي بالمصدر المرخم وتلحق به اداة النفي ، ثم تأتي اداة الاستقبال فتقول « بن كله ميه جفم » ويبقى بعد هذا اللغات المتفرعة من اللاتينية، كالاسبانية ، فانها تاتي باداة النفي ثم المصدر المرخم ثم اداة الاستقبال Yo no vendre

ويلاحظ أن هذه اللغات — ما عدا الانجليزية — تصل ضمائر الفواعل او علاماتها ، باداة الاستقبال ، وانها جميعا تستعين بالمصادر ، في صوغ فعل الاستقبال ، الا ان الانجليزية وليس لها مصدر غير مؤول ، تحذف الحرف الموصولي to والالمانية تاتي بالمصدر كما هو ، بينما الفارسية والتركية والاسبانية ترخم هذا المصدر عموما .

ثم انها تتحد في كونها لها اداة تدخل عليها او تلحق بها اداة النفي ، وهي واحدة الا في الانجليزية، فتختلف بحسب التكلم وغيره ، فهي للتكلم كما راينا shall ولغيره will وقد يتبادلان قصد التأكيد كما يقول شيلي Our breath shall intermix وربما استعمل هذا الفعل في معناه الاصلي ، اذ لا مهمة له في الاستقبال
« We shall become the same. We shall be one spirit »

وكذلك العربية لها اداتان ، واحدة في الاثبات، وهي « سوف » او ما اختزل منها ، وواحدة في النفي وهي « لن » لا غيرها .

ولعل « سوف » كانت ظرف زمان في اصلها ، بنيت على الفتح لملازمتها الظرفية ، وان كان المستشرق Bergstraesse يرى انها مستعارة من الارامية Saupa ومعنى هذه « النهاية » او « الغاية » ، فكان معنى « سوف افعل » اني افعل في النهاية والغاية .

يقول علماء الالسن ، ان اللغات السامية — ما عدا الاكادية منها — ليس لها الا زمانان ، ماض قد انتهى ، وغيره لم ينته ويشمل الامر والحال والاستقبال .

فكون العربية استعانت بسوف ظرف زمان ، أو saupa الآرامية على تعيين مستقبلها ، هذا شيء ليس بغريب في اللغات فالانجليزية ، في غير التكلم خاصة ؛ والفارسية عموما ، استعانت بفعل الارادة ، الذى ما زال بهما يستقل بنفسه احيانا ، فكان الاصل في « سيفعل » مثلا هكذا « يريد الفعل » وفي التكلم استعانت الانجليزية ، بكون الفعل ملزما ، فكان الاصل « سأفعل » هكذا « يلزمني الفعل » فهو الفاعل على الحقيقة ، وفي الالمانية استعين بفعل اصبح ، فكان الاصل في التعبير السابق هكذا « انا لا اصبح أتيانا » ويستعمل كذلك مستقلا وهذه الاستعانة نجدها في نحو «غادي» او «ماشي» او «خصني» أو «نحب» التى تستعمل بالعامية كما يستعمل الرواج والود بالشرق

وليس لنا اداة لا تؤدي الا هذا الاستقبال المجرد ، سوى الاداة التركية والاداة الاسبانية الآتية من اللاتينية في غير العامية

هذه مقارنات في سوف مثبتة في العربية ، ومطلقة في غيرها .

وبقيت « لن » فما اصلها ؟

اختلف فيها ، فمنهم من يراها خلقت كذلك ، ومنهم من يرى ان النون ، حلت محل الالف من « لا » للتاكيد ، ومنهم من يرى ان اصلها « لا ان » فكان الاصل في « فلان لن يفعل » فلان لا ان يفعل ، فهي تفهم كون فعل لن يقع في الاستقبال .

ومهما يكن فجميع هذه اللغات — ما عدا التركية — استعملت النون للنفي هنا ، اما التركية فالميم وهي اخت النون التى طغت عليها تماما بالفارسية .. والنتيجة ان الفعل المستقبل في العربية ، اذا نفي يكون بلن وحدها ، كما قال الشاعر :

هي الشمس مطلعها في السما
فعز الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع اليها الصعودا
وان تستطيع اليك النزولا

ومن قبل بثلاث وعشرين سنة كتبت في اداة الاستقبال ، فاهتمت بذلك مجلة الروس البيض بتونس وابدته في مجلتها « Ibla »

الفصحى لغة القرآن

لغة فكر عالمي لنمو سبعمائة مليـــون مسلـــم جغرافيا ويمتد اربعة عشر قرنا فى التاريخ والتراث

الأستاذ أنور الجندي (القاهـرة)

ان التاريخ ليذكر ذلك الجهاد المتصل الـــذي حمل لواءه رجال امثال : مصطفى صادق الرافعي ، ومحب الدين الخطيب ، واحمد زكي باشا الملقـــب بشيخ العروبة ، وعبد العزيز جاويش ، وعلي يوسف ، والدكتور محمد محمد حسين ، وأحمد الحوفـــي ، وغيرهم فى سبيل مقاومة الهجوم على اللغة العربية وانتقاصها ، والحملة عليها طوال تاريخ طويل يمتد الآن اكثر من خمسين عاما من خلال حملات المستشرقين والمبشرين ، ومن خلال مقررات حملها وزراء فى عهد الحماية البريطانية ودعوات فى الصحف وبعض المجامع من اجل تجزئة مفهوم اللغة العربية الاصيل المتكامل ، ومحاولة لتصوير اللغة العربية على انها لغة « أمة » ومن حق هذه الامة التصرف فيها .

تلك هي القضية : لقد حاول الاستعمار والتغريب ان يطرح شبهة جزئية وجرت الاقلام في سبيل دعمها واقناع الناس بها ، ان اللغة العربية لغة أمة هي الامة العربية وان كل قطر من شأنه ان يكتب لغة ، وان هذا الامر يستدعي كل بلد ان يتناول هذه اللغة على النحو الذي يرضاه ويراه محققا هذه الغاية .

وكان هذا الاتجاه فى طرح القضية يحمل طابعا خطيرا من التمويه والتزييف والتجاوز .

ان طرح القضية على هذا النحو يمكن ان يكـون صحيحا فى اي بلد من بلاد العالم وفى مواجهة أي لغة ولكنه يصبح عسيرا جدا حين يطرح بالنسبة للغـــة العربية . ولو لم ترتبط اللغة العربية بالقرآن والاسلام لكان يمكن أن يكون هذا الكلام مقبولا .

اما وقد انزل القرآن منذ اربعة عشر قرنا باللغة العربية فانشأ عالم الاسلام الفكري والاجتماعي والديني فقد أصبح للغة العربية وضع مختلف لا شبيه له فى اي لغة اخرى . ولم يعد للعرب وحدهم حق التصرف فى اللغة العربية . ولم تعد اللغة العربية لغة اقليمية تخص قطرا ، بل لم تعد الامة العربية نفسها مطلقـــة الارادة فى التصرف بها .

هذه هي الحقيقة التي واجه بهـــا المفكـــرون المسلمون منذ أكثر من ثمانين عاما تلك المحاولة التي قام بها ولكوكس فى مصر وماسينون فى الشام وكولان فى المغرب ، ثم تابعهم بعد ذلك سلامه موسى والخوري مارون غصن وكثيرون .

ان اخطر ما تمثل اللغة العربية هو ان قارئها اليوم فى العقد الثامن من القرن العشرين يستطيع ان يقرأ ويفهم ما كتب بها منذ القرن الخامس الميلادي (أي ما كتب قبل نزول الاسلام بأكثر من نصف قرن) .

اي ان تراثا حافلا قام فى خلال هذه الفترة كلها ــ واعظمه ما جاء بعد الاسلام بالطبع ــ هذا التراث هو ملك حر لقراء اللغة العربية يلمون به الماما صحيحا دون ان يكونوا فى حاجة الى مراجع أو معاجم ويفهمونه فهما صحيحا . وهذا ما لم يتيسر بالقطع لاى لغة فى العالم كله اليوم ، وذلك ان أي لغة قائمة الآن بخلاف اللغة العربية لا يستطيع قراؤها ان يفهموا من تراثهـا الا ما لا يجاوز الثلاثة قرون ، اما ما يبعد عن ذلك فانهم يلتمسون لفهمه المعاجم . ان مرد ذلك ثبات اللغـة العربية الذي لم يتح لأي لغة اخرى ، ومرجع هـــذا الثبات الى نزول القرآن بها وارتباطها به على النحـــو الذي انشأ هذه الثروة الضخمة من العلم والتـــراث والتآليـــف .

ومن هنا اصبح للغة العربية خاصية متميزة لا تستطيع اللغات الاخرى ان تشاركها فيها ولا تستطيع هي ان تجاوزها : تلك هي انها لغة أمة ولغة فكر ودين . فهي لغة الامة العربية التي يبلغ تعدادها اكثر من مائة مليون يتكلمون بها وبها يتعاملون ، وهي فى الوقـــت نفسه لغة المسلمين جميعا : لغة فكرهـــم ودينهـــم وصلاتهم ولغة ذلك الرباط الذي يجمعهم بالتشريـــع والعقيدة جميعا وهو القرآن الكريم .

ومن هنا كان الخطر الوحيد الذي يواجه اهل اللغة العربية هو ان يسقطوا عن مستـــاى أسلـــوب القرآن ، ليصبح اسلوبهم قاصرا عن فهمه وتعمقه ، لأن ذلك من شأنه ان يفصل بينهم وبينه ، وذلك مـــا تحاوله القوى الهدامة المعادية للعرب والاسلام ، والتي تدعوهم الى ما يسمى باللغات الوسطى أو تقريـــب الفصحى من العامية .

وامامنا القرآن وهو المقياس الثابت وعلينا فى كل حركة من حركات العمل ان نقترب منه ونلتقي بـــه ، فعلى العامية أن تقترب من الفصحى وليس على الفصحى ان تنزل الى العامية .

والتعليم كفيل اذا اتسعت آفاقه ان يقلل مـــن الحاجة الى العامية وان يقرب الاتصال بالفصحى .

والذوق العربي كله متصل بالفصاحة ، وفهـــم الفكر الاسلامي والثقافة العربية متصل بهذا المستوى من الاسلوب والبيان .

لقد كان لارتباط اللغة العربية بالقرآن الذي نزل بها آثاره البعيدة المدى ، فلقد اتصلت اللغة العربيـــة التي كانت تعيش على حدود الجزيرة العربية الى آفاق العالم كله وحملت معها ثقافة القرآن ، وحصيلة العلوم، ونظريات السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وحملـــت معها المنهج العلمي التجريبي . فالقرآن هو الـــذي اعطاها هذه المكانة وفتح أمامها هذه الآفاق ، فهـــي بوصفها لغة الاسلام قد حملت رسالة ضخمة الى العالم كله والى البشرية : هي رسالة التوحيد .

ولقد وهب القرآن اللغة العربية حصيلة ضخمة من المعطيات الفكرية والاجتماعية من خلال رسالتـــه العالمية التي اتخذت من الفاظ اللغة العربية المتناثرة تشكيلا جديدا طرح على البشرية منهجا شاملا مـــن الحياة والفكر والنظر فى الكون وبنـــاء المجتمعـــات والأخـــلاق .

وكان هذا هو مصدر دهشة الناس عند نـــزول القرآن ، فقد كانت هذه الالفاظ معروفة لهم بأعيانها ، ولكن الاعجاز كان متمثلا فى هذا التشكـــل الـــذي تشكلت به فكرا وأداءا ، فى هذه القيم الجديدة التي قدمها ، وهذه الصور المتعددة ، وهذه الروعـــة فى اسلوب الاقناع والحوار ، وهذه المناهج المتعددة فى مخاطبة القلب والعقل .

ومعنى هذا أن ثروة اللغة العربية انما ترجع فى تشكلها القرآني الذي أعطاها هذه القوة ، وفى نفس الوقت اعطاها الاسلام هذا الاتساع والذيوع .

ومن هنا قد اصبحت صلة اللغة العربية بالقرآن والاسلام صلة عضوية تمثل التجربة الاولى والاخيرة من نوعها فى صلة رسالة السماء بلغة من اللغـــات ، ولا ريب أن هذا المفهوم له أثره البعيد فى امتـــلاك المسلمين جميعا لهذه اللغة ، وما يتصل بهذا من خطأ القول بأن لقطر ما أو شعب ما ، القدرة على التصـــرف فى اللغة العربية .

ومن الحق أن يقال ان اللغة العربية هي لغة فكر عالمي يضم سبعمائة مليونا من المسلمين جغرافيـــا ويمتد أربعة عشر قرنا فى التاريخ والتراث .

(2)

هذه الحقائق كانت واضحة فى اذهان اولئـــك المنافحين عن اللغة العربية فى كل عصر : نراه واضحا فى عبارات مصطفى صادق الرافعي قبل خمسين عاما حين يعرض للقول بأن العربية لغة امة أم لغة فكر :

« ان في العربية سرا خالدا هو هذا الكتاب المبين (القرآن) الذي يجب ان يؤدى على وجهه العربي الصحيح ، ويحكم منطقا واعرابا بحيث يكون الإخلال بمخرج الحرف الواحد منه كالزيغ بالكلمة عن وجهها وبالجملة عن مؤادها وبحيث يستوي فيه اللحن الخفي واللحن الظاهر ، ثم هذا المعنى الاسلامي (الدين) المبني على الفئية **والمعقود على انقاض الامم،** والقيم على الفطره الانسانية حيث توزعت وأين استقرت ، فالأمر اكبر من ان يؤثر فيه سورة حمق أو تأخذ منه كلمة جهل » .

« انما القرآن جنسية لغوية تجمع اطراف النسبة الى العربية فلا يزال اهله مستعربين به متميزين بهذه الجنسية حقيقة او حكما ، ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن على الناس وردهم اليها وأوجبها عليهم لما اضطرد التاريخ الاسلامي ولا تراخت به الأيام الى ما شاء الله ولما تماسكت اجزاء هده الامه ولا استقلت بها الوحدة الاسلامية ثم تلاحمت اسباب كثيرة بالمسلمين ونضب بانيهم ولم يبق الا ان تستلحقهم الشعوب وتستلحمهم الامم على وجه من الجنسية الطبيعية لا السياسية فلا يتبين من آثارهم بعد ذلك الا ما يثبت عن طريق الماء اذا انساب الجدول في المحيط » (1) .

(3)

ويرد الكثيرون على شبهة المقارنة بين اللغة العربية واللغة اللاتينية : يقول الأب صالحاني :

ان اللاتينية ماتت كلغة للشعب بموت الدولة الرومانية وبقيت كلغة للكنيسة والعلماء . اما الشعب فكانت اللغات على لسانه تتكيف بتكيفات مختلفة حسب الامكنة والازمنة والعناصر ، ولم تكن اللاتينية لغته الاصلية وانما كانت اخرى : كالسليتة السكسونية والجرمانية الهندية ، وامتزجت بلغة اليونان فلم تثبت تلك اللهجات الا بتمادي الزمان وبتنوع الكتبة وفتح المدارس وتاليف الكتب ، وساعد الشعوب في ذلك انفرادهم في اصقاع متنائية ودول مستقلة،فاين كل ذلك من احوالنا وعلى كل حال فليس من شبه بين اللغات المشتقة من اللاتينية التي كما قلنا كانت لغة ميتة وبين اللغة العربية الفصيحة التي هي لغة حية منذ أربع عشر قرنا ، لم تحط اللغات العامية الكثيرة من قدرها مع شيوعها ، ولو امكنها ان تعزلها عن مرتبتها لفعلت ، لما كانت اللغات العامية سائدة بين الشعب لا تزاحمها المدارس والمطابع والادباء بتآليفهم ومنشوراتهم العمية والسيارة على اللغة الفصيحة (2) .

(4)

وليس ادل على قوة اللغة العربية من عبارة ارنست رينان ، في كتابه تاريخ اللغات السامية :

« أن من اغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء ذي بدء ، فبدات فجأة في غاية الكمال ، سلسة اي سلاسة ، غنية اي غنى ، كاملة بحيث لم يدخل عليها حتى يومنا هذا أي تعديل مهم . فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت لاول امرها تامة مستحكمة ، ولم يمض على فتح الاندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى .

من اغرب المدهشات ان تنبت تلك اللغة القومية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرحل ، تلك اللغة التي فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها .

وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال الى درجة انها لم تتغير اي تغيير يذكر ، حتى انه لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة ، ولا نكاد نعلم من شانها ولا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تباري ولا نعلم شيئا عن هذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج وبقيت حافظة لكيانها خالصة من كل شائبة » .

ومن عجب ان يكون هذا راي اهل العرب فيها ثم يقوم من ابنائها من ينتقص من قدرها ويدعو الى العاميات ويحاول ان ينتزعها من مكانتها العالية .

---

(1) البيان م 1913

(2) م المشرق ص 130 م 23 سنة 1965 .

فلسفة الحركات في اللغة العربية

الأستاذ أحمد الأخضر غزال

مدير معهد الدراسات والابحاث للتعريب

— الرباط —

1 — القسم الاول :

من المعلوم ان اللسان هو العضلة الاساسية التي نستعملها داخل الفم لاخراج الاصوات اللغوية بمشاركة اعضاء اخرى خصتها طبيعة التركيب البدني بالمساهمة فى انتاج الكلام على اساس تبثق نفساني بديع يتصرف فى عمليات بدنية متسلسلة خلاصتها ان موجات صوتية متتالية منشؤها ذبذبات فيزيائية . تنتشر فى الهواء وتدخل فى الاذن فتتحول عندما تصدم العصب السمعي الى سيالة (اي كهرباء بدنية) تتسرب الى ملايير الخلايا الدماغية لتثير صورة سمعية تنشأ عنها صورة بصرية . ويجب ان تكون الصورتان متطابقتين تطابقا تاما والا حصل سوء الفهم . ويحدث فى الدماغ أثناء التفكير وقبل الرد بالجواب بموجات اخرى ما يحدث فتنطلق من فم المجيب ذبذبات اخرى تنشىء موجات بدورها تطير فى الهواء وتصدم اذن المستمع وتلتقي بعصبه السمعي فتتحول الى سيالة اخرى وتصل الى وحداته العصبية لتثير صورته السمعية يجب ان تكون صورتها البصرية مطابقة لها مطابقة تامة والا حصل سوء الفهم من جديد . ويحدث فى دماغه ما يحدث من التفاعلات الكيميائية والفيزيائية والاحيائية (أي البيولوجية) والنفسانية والروحانية والعقلية وغيرها ولا يدوم هذا كله الا مدة رمشة العين قبل ان ينبث الامر بالاجابة فتتسرب بالسيالة من جديد من المراكز والمناطق الخاصة بالكلام والسمع والبصر لتحرك بواسطة أعصابها العضلات المتحكمة فى أجهزة الكلام كالحنجرة وأوتارها وغضاريفها وكالفم وبلعومه وحفافه ولسانه وشفيته فيخرج الكلام بكل انواع أصواته الشديدة منها والمتوسطة والخفيفة والثقيلة والطويلة والقصيرة الى غير ذلك من غرائب خلق الله وعجائبه سبحانه تعالى عز وجل .

الاصوات اللغوية :

واذ لا حركة ولا سكون الا باذن الله فان الاصوات التي يخرجها الانسان من جهازه لا يخرجها بدون سبب كما ان لكل ما يصدر عن الانسان ولكل ما يحصل له اسبابا منها المجهول ومنها المعلوم ، بله : كل ما يقع ويحدث فى هذا العالم بمعناه العام له اسباب ، ولهذه الاسباب أسباب أخرى لها اسبابها التي تنشأ عن أسباب ، منها المجهول ومنها المعلوم الى غير ذلك من اسرار الطبيعة التي لا نعرف عنها الا القليل . وعلم الاصاتيات يخبرنا بالحركات التي تؤدي بالجهاز الاصاتي الى اخراج الصوائت (فونيمات) التي تشكل الحروف ويجعلنا نقف عند حدود الفوارق ومؤثراتها .

ففيما يخص صويتة الباء بالنسبة الى صويتة الهاء مثلا نعلم جميع ما يحدث اثناء التلفظ بهاتين الصويتتين . فان صويتة الباء يتطلب اخراجها مجهودا أكبر من المجهود الذي يقتضيه اخراج صويتة الهاء ، لانه يفرض العمليات الآتية :

يحدث نشاط كيميائي وكهربائي تفاعلي داخل المشتبكات (والمشتبكات هي الامكنة التي تشتبك

فيها الاستطالات الشعرية الخاصة بالوحدات العصبية التي تنساب معها السيالة العصبية ، وهذه المشتبكات تشبه مراكم كهربائية (اي بطاريات) فيها عدة خلايا في كل واحدة منها مادة كيموية اساسها الكالسيوم والبوطاسيوم والصوديوم وأنواع مختلفة من العناصر النادرة كالحديد والمنغانيز والبور والماغنيزيوم والكوبالت الخ ... والكل منماث (ذائب) في سائل خاص يسمى الخليل المراري (الاسيتيلكوليسن) والتفاعل الكيموي الذي يحدث في هذه المشتبكات يخلق الكهرباء الخاصة بالبدن وهي السيالة . وهذه السيالة مهمتها حمل الاهاجات (اي الطلقات العصبية) الى الوحدات العصبية الاخرى او الى أجهزة التنفيذ المحيطة كالعضلات مثلا . وفيما يخص نقطة موضوعنا بالضبط تتسرب طاقات سيالية نحو عضلات الحجاب الحاجز لترتفع الاضلاع فتنتفخ الرئتان اذاك ويحدث امتصاص للهواء الخارجي الذي يتسرب اليهما من منفذ الانف او الفم او منهما معا – بعد ان حصلت في مشتبكات أخرى من الدماغ عمليات أخرى لأمر عضلات الفم بفتحه – فينساب الهواء مع الرغامي (أي القصبة الرئوية) الى القصبتين اللتين تتشعبان في الرئتين ، وذلك بعد حدوث اهاجات أخرى في الدماغ امرت عضلات الحنجرة بابعاد الوترين الصوتيين الواحد عن الآخر لينفسح المجال امام الهواء الجاري نحو الرئتين– ثم بعد ذلك تنطبق الشفتان الاحدى على الاخرى عندما تضغط الرئتان الهواء ليفر منهما متسربا مع الرغامي فيجد الأوتار الصوتية قد تباعدت لتسمح له بالمرور فيصل الى البلعوم وعند ذلك او قبل ذلك بقليل يرتفع الحفاف بلهاته وينطبق على منفذ الانف ليسده مانعا الهواء من التسرب منه حتى لا تحصل الغنة في صوت الباء ثم يصل هذا الهواء الى الفم ويريد النفوذ من بين الشفتين فيجدهما منطبقتين كما اسلفنا فيصدمهما ويحاول تفريجهما فتزداد حركة عضلات الشفتين تقلصا ويزداد انضمام الشفتين شدة لمنع الهواء من الخروج ويشتد ضغط الهواء على الشفتين وعلى الشدقين وعلى الحفاف وكل هذه الاعضاء تقاوم ذلك الضغط بالتقبض والتقلص ، واذا بالوترين الصوتيين يقتربان ويشرعان في التذبذب لانشاء ما يسمى باللحن الحنجري الذي سيجعل من حرف الباء حرفا مجهورا لا مهموسا فتحصل اذاك عملية الترنن وهي فزيائية محضة ، وفجاة تتباعد الشفتان الاحدى عن الاخرى وينفلت الهواء المضغوط بعنف وشدة خارجا من الفم المفتوح وحاملا صوت الباء الجهيرة عبر الهواء الطلق في شكل موجات صوتية .

هذه العمليات كلها بتناسقها العجيب وأنواع حركاتها الدماغيه والعصبية والعضلية الدقيقة هي التي تتطلبها الباء ونحن غير شاعرين .

اما الهاء فلا شيء من ذلك فيها الا خروج الهواء الحامل ذبذبات الوترين الصوتيين بينما تكاد أعضاء الفم تكون في حالة استراحة وارتخاء .

وما يحدث للباء خفيف بالنسبة الى القاف والكاف والراء والخاء والشين والصاد وثقيل بالنسبة الى الحاء والعين والغين والفاء والهمزة الخ ...

واذا اشتد خروج الاصوات الثقيلة فذلك لسبب . واذا خف فذلك لسبب ايضا أراده العقل ليعبر عن الشدة مع الاصوات الشديدة وعلى الليونة مع الاصوات اللينة ومثال ذلك : هف وقض ، فهفت الريح : هبت فسمع صوت هبوبها ، وهب الشيء : خف وهب الرجل : اسرع في سيره والهف الخفيف من الناس ، وكل شيء خفيف لا شيء في جوفه والسمك الصغار ، وسحاب هف : رقيق لا ماء فيه . بينما نرى في قض ما يلي : قض عليهم الخيل ارسلها ونشرها وقض الحائط هدمه هدما عنيفا وقض الوتد : قلعه وقض الشيء دقه وقض السير او الوتر ، سمع له صوت كأنه قطع الى غير ذلك من المعاني . فكلما خفت في هف اشتدت في قض .

وهناك فكرة اخرى وهي فكرة الاستساغة ، استساغة الصوت بالنسبة للمدلول . فان كان صوت الهاء لا يتطلب نفس الجهد الذي تتطلبه القاف والراء مثلا فان اصوات الحروف وانغامها ورنينها وأجراسها موضوع استحسان او استخشان من طرف الانسان (انظروا هنا الى الفرق بين مادة حسن ومادة خشن ، فالحاء لطيفة والخاء ثقيلة) فلكل لطيف وانيق وجميل وحلو ومطرب ومفرح ومسعد اصوات لطيفة لينة موسيقية ، ولكل خشن وثقيل وخبيث وبشع ومقلق ومحزن الخ .. اصوات تناسب تلك الصفات بمعاني اصواتها .

وهذه الافكار انتبه اليها فقهاء اللغة القدماء فخصصوا لها ابوابا مشهورة عنونوها بمطابقة اللفظ للمعنى ، ومن اشهرهم في هذا ابن جني ، كما الفوا فيها كتبا أشهرها قاموس مقاييس اللغة لأحمد ابن فارس ، الا أن علماءنا المحدثين ممن تتلمذوا على

العلماء الاوربيين اقلعوا عن هذه الابحاث النفيسة لانهم عملوا بنظريات العلماء الغربيين الذين فشلوا في بحث هذا الموضوع ولا غرابة ، لانهم لهم يحافظوا على لغتهم الاصلية فأصبحت لغاتهم خليط لهجات لا تطابق طبيعتها عبقريتهم ، اذ لكل شعب خصائصه اللغوية لا سيما في موضوع الاستساغة ، فهذا الشعب الالماني مثلا يستحسن صويتة الخاء وصويتة الراء الرنانة ، بينما الشعب الفرنسي يستقبحها . وهذا الشعب الانكليزي ينفر من « تغنين » الانكليزية ، بينما الشعب الامريكي يستحسنها — وبينما لا نرى شعبا أوروبيا يجيد صوتية الأو (u) اذا بالشعب الفرنسي يكثر منها — وتغلب صويتة الشين في البرتغالية ، كما تغلب عملية التقعر البلعومي في اللغة الروسية ، وما أحلى صوائت الحاء والهاء في اذننا ، وما اقبحها في اذن غيرنا الخ . . من الاعتبارات التي يرجع سببها الى اختلاف الذوق .

لهذا كله لا تصح هذه النظريات الا في موضوع لغة أصيلة بالنسبة الى شعبها الاصيل ، ومعنى هذا انها لا تنطبق على الالفاظ الدخيلة والاجنبية مع مراعاة التفاوت داخل شعب واحد ، ومن قبيلة الى قبيلة ، ومن بطن الى بطن ، ومن حي الى حي ، وحتى من عائلة الى عائلة ، ومن أسرة الى أسرة .

ولا ننتظر الوصول الى نظرية شاملة قائمة على أسس متينة في مدة قصيرة لان في هذا المطلب من التداخل بين الاصوات باعتبار الحقيقة والمجاز وباعتبار الاقدمية والاحدثية وتغير الصوائت عبر التاريخ بالنسبة الى اللهجات العربية من جهة وبالنسبة الى تغير الدلالات من جهة اخرى مما هو في الحاجة الى تضافر الجهود وتبادل الخبرات وتوفر اجهزة العد والاحصاء والترتيب والتصنيف الشيء الذي ينقصنا اليوم . وقد يتبادر الى الذهن انن هذا العلم في متناول اي شخص اذا ما اعتمد على الملاحظة والمقارنة بوسائله الخاصة . كلا ! وحذار ثم حذار ! لان اجدادنا اللغويين وهم المعروفون بالدقة والاجتهاد وسعة الباع ان أجادوا في بعض هذا العلم فان وسائل نقصتهم فتوهموا في بعضه الآخر .

واذا كانت الحروف تتكون من الصوائت فان الكلمات تتكون من الحروف . واذا كان لكل حرف معنى فان مجموع معاني الحروف يؤدي الى معنى الكلمة ومجموع معاني الكلمات يؤدي الى معنى الجملة ، وهنا قال علماءنا بمطابقة التراكيب للمعاني كذلك وقالو ان الزيادة في المبنى زيادة في المعنى ـ بدون اعتبار دوران الحركات في الاوزان . فبحر جمعه بحور وبحار وابحرة واباحير وابحار ، والبحر قليل التركيب لانه يدل على المفرد وجموعه اطول منه لانه يدل على الكثرة . ولكن تحديد المعاني بالتراكيب اختلف فيه كما اختلف في ما سبق لعدم توفر مواد البحث في ما وصل اليه العلم الحديث . الا انهم تركوا هذا الموضوع لتعقده واشكاله فلم يعيروا الحركات الاهمية التي تستحقها وغلبت عليهم نظرية السماع والقياس التي كانت سائدة في العلوم اللغوية آنذاك مما ادى الى ما يسمى اصطلاحا بالعامل المؤثر باعتبار متن اللغة أو في ما هو ضمني باعتبار الاعراب . كل ذلك لغاية واحدة هي المحافظة على التراث اللغوي وعلى القرآن ورفع اللحن الذي كان قد انتشر بصورة مهولة . اضف الى ذلك انه كلما ثبت عند بعضهم القياس الا واضعفته شواهد سماعية شاذة مما ادى الى بلبلة الافكار واللجوء الى السماع مع الابقاء على فكرة القياس رمزيا لأن أحدا من القائلين بالقياس لم يجرؤ على تغيير ما أصبح شائعا من اللغة واحلال القياس محل السماع . فبقدر ما درسوا معاني الحروف وتوفقوا في بعض نواحيها بقدر ما فشلوا في معاني الحركات ولم يصلوا الى نتيجة علمية تجعلهم يشيدونها بمثابة قاعدة . فكلهم قالوا عن الفتحة انها اخف الحركات العربية لذلك كثرت في اللغة وقالوا عن الضمة انها أثقل من الفتحة وقالوا عن الكسرة انها اثقلهما . اذن بنوا حكمهم فيما يرجع الى الحركات على اساس سمعي لا جسماني كما فعلوا ذلك فيما يخص الحروف . وهذا الاساس السمعي هو الذي سنحاول الكشف عنه :

فجاء ابراهيم مصطفى في عصرنا الحديث والف كتابه المشهور « احياء النحو » الذي كان له اكبر صدى في هذا الميدان فعلل الفتحة بأنها أخف الحركات وانها تدل على شيء وعلل الضمة بأنها علم الاسناد ودليل على ان الكلمة المرفوعة يراد بها الاسناد اليها والمحادثة عنها . اما الكسرة فانها علم الاضافة ، واشار الى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء كان هذا الارتباط باداة او بغير اداة ، وقال ابراهيم انيس بعدم معاني الحركات في الاعراب (انظر أسرار العربية) وقال المخزومي : ليست الفتحة علما لشيء خاص ولكنها علم كون الكلمة خارجة عن نطاق الاسناد (الذي هو للضمة) أو الاضافة (الذي هو للكسرة) وان الفتحة هي الحركة الخفيفة المستحبة التي يهرع اليها العربي ما وجد الى الخفة سبيلا ، وهو رأي الخليل وسيبويه ، واما ابراهيم

السامرائي فانه يقول في الفتحة انها وجدت في كثير من اللغات السامية الا انه سرد أقوال « مارسيل كوهن » و « يوهان فوك » الذين يثبتان بأن اللغات السامية كان لها اعراب ، ولم اعثر على نظر له في هذا الموضوع . اما اثبات الاعراب فانه جاء في معظم كتب اللغة من الصاحبي والمزهر الى كتب فقه اللغة الحديثة .

ومن الذين عالجوا هذا الموضوع عبد الله العلايلي الذي قال : « باب ضرب يضرب » يخضع له التلبس بحركة الفعل في الزمن الحاضر ، بينما الخمسة الاخرى فلافادة معنى زائد ... فاذا أردت الدلالة على التفوقية او التركب فوق الدلالة على التلبس بالحال الفعلية تنقل الفعل الى باب نصر ينصر ولذا طرده اللغويون في المفاخرة والمبالغة (فامرته نقمرته فانا اقمره) واذا اردت الدلالة على التقلب والانسراح تنقل الفعل الى فتح يفتح ولا تلق بالا الى ما اشترطه اللغويون من ان هذا الباب خاص بما كان عينه اولامه حرف حلق فهو تقدير واهن .. واذا اردت الدلالة على التغير خلوا وامتلاء وجودا أو عدما تنقل الفعل الى علم يعلم .. واذا اردت الدلالة على الرسوخ والطبع تنقل الفعل الى حسن يحسن واذا أردت الدلالة على التجزؤ (والتقسم تنقل الفعل الى باب ورث يرث (انظر المعجم للعلايلي) .

وهذه الاقوال كلها اما تكرير لما قاله القدماء واما استنباط منها ، اذ قالوا اجمالا ان « فعل » يفتح العين لمعان كثيرة لا تنضبط ، منها الغلب : قامرني نقمرته اقمره اي اغلبه في القمر ، ومنها ان افعال الحدوث تندرج تحت عنوانه ــ بينما فعل يشمل افعال الغرائز والطبائع فيدل على لزوم مداولاتها لان ما يقتضيه الطبع يدوم بدوامه وتكثر فيه العلل والاحزان واضدادها .. وتجيء في غير فعل الا انها فيه أكثر منها في غيره ، وفعل للطبائع وهي الافعال اللازمة الصادرة عن الطبيعة وهي القوة الموجودة في الشيء التي لا شعور لها بما يصدر عنها ، وخص الضم بها لانضمام الطبيعة الى الذات عند صدور هذه الافعال منها كانضمام الشفتين عند خروج الضم منها.

وفي الحرف الاول من الفعل قالوا : لما كانت العرب لا تبتديء بساكن فلا تكون ساكنة فاؤه ساكنة ولا تكون مكسورة ــ الا للضرورة وذلك عندما يكون الفعل اجوف وبني للمجهول او من باب فعل وهو اجوف كذلك وتضم كذلك في الاجوف من باب فعل لا غير ــ اذن لا تكون مكسورة لقوة الكسرة وهو قليل لانه يتغير وليس بثابت كالاسماء ، ولا تضم الا اذا بني للمفعول . فيبقى الفتح في فاء كل فعل ماض ــ اما الحرف الاخير فهو مبني على الفتح الا اذا طرأ عليه ما يضمه أو يسكنه . وحرف الوسط فقد ذكرنا ما جاء عندهم فيه .

ونستنتج مما سبق انه ليس هناك قاعدة عامة يطمئن الفكر اليها ويركن وان السماع هو الاساس بيد انه اذا تتبعنا بازاء معالجة معاني الحروف ، معاني الحركات قد نهتدي الى شيء مضبوط ناتج عن الاحصاء من جهة وعن اعتبار قانون الجهد والكسل المهيمن على كل ما هو من قبيل تصرف الانسان في عميق حياته . اذ منذ ان ظهر الانسان على البسيطة الا وحاول وما يزال يحاول ان يوفر لنفسه أسباب الحياة بأقل جهد ممكن مما ادى به الى هذه الاختراعات العجيبة التي يريد تسخيرها لخدمته ليعيش سعيدا والسعادة لديه معناها الحصول على كل ما من شانه ان يلبي رغائبه وحاجاته وآماله بلا تعب ولا مشقة . اضف الى ذلك ان له نشاطا عقليا جعله يتصور العالم بصورة مختلفة باختلاف الاغراض والهوايا والاماني والخيال والشعور وبما يؤثر به على الطبيعة وعلى غيره من البشر وبما يتأثر به من الطبيعة ومن المجتمع . ومن الاسباب التي دفعتنا الى تركيز البحث على معاني الحركات التناقض الظاهر في مدلولاتها .

فهذه لغة ــ العربية تبدو لك في كتابتها مبنية على اساس حروف صامتة وهذه الحروف لا تصوت الا مع علامات خاصة توضع فوقها او تحتها وهذه العلامات لا تنطلق وحدها لانه لا يوجد في العربية معنى يفاد بصوت حركي مفرد كما هو الشأن في اللغات الاوروبية حيث « أو » ((ou)) مثلا تفيد مدلول المكان ، او التخير يعني انه لا يوجد لفظ مكون من حركة واحدة والكلام كله صوائت (جمع صويتة = فونيم) مركبة من حروف مع حركاتها لا من حروف وحدها ولا من حركات وحدها فالكلام عند العربي من كلم اي جرح وشق بمعنى فتح (الصمت) فهو مكاشفة ومباشرة من الكشف اي رفع الستار عن المختبيء ومن البشر اي الشق والفتح . والعربي يعتبر ان الانسان في سكوت وسكون وهدوء بالنسبة الى العالم الذي يعيش فيه وبالنسبة اليه اي الى وضعه فيه ، فهو يكلم هذا العالم الغريب عند التعبير كما يفطر ذلك الصمت الذي هو الصيام ، لذا سمي افطارا من فطر اي شق وقطع ، الله فاطر السماوات والارض اي خالقها من فعل خلق اي شق : خلق وخرف وخرج وحرك الخ . والحركة

اما يقوم بها الانسان واما تحصل له من غيره من البشر الذي يعيش معه او من العالم الذي هو فيه بالنسبة الى عناصره من ريح ورعد ومطر ونار الخ . . . فهو اما مؤثر على العالم واما متأثر به . فالعربي ، بهذه الفلسفة التي تتجلى في لغته واضحة لانه حافظ نسبيا على أوضاعها بينما نراها اندرست في اللغات الاخرى يرى العالم في ابعاد ثلاثة كما ان لغته مبنية على ثلاث حركات ، حركة الفتح أي التأثير على العالم الخارجي وهو عمل صادر عن الارادة ، مثل ضرب وقتل وخرج ونطح وقطع وأكل وفتح ودحل وصرع الخ . . وكلها افعال مفتوحة العين لان الفتحة تدل على العمل الصادر عن الفاعل بارادة منه حقيقة او مجازا — ثم حركة الكسر اي التأثر الذي يحصل للفاعل من طرف العالم الخارجي ، فالكسر والخسر والقصر والخزل كلها بمعنى حصول الشيء للفاعل المغلوب المقهور . فالفعل المكسور العين يدل على كل ما يحصل للفاعل بدون ارادة منه حقيقة او مجازا مثل مرض وحزن وعطش وعلم وفرح وسقم وغرق وعسور وحدب وجزع الخ . . ثم الضم (والطم والتم وكلها تدل على التجمع والكثرة والدوام والثبات) ك : حسن وخشن وكبر وصغر وقرب وعرج وعور ودخن وشرف وكلها بمعنى حصول الشيء للفاعل لا حصولا طارئا أو مؤقتا كما هو في فعل بل بكثرة ودوام وثبات ونهاية . كل هذا مبني على اساس قانون الجهد والكسل الذي اشرنا اليه . فبما ان الحروف بشدتها ورخاوتها ، برخومتها وخشونتها تصدر عن الانسان للدلالة على الشدة والرخاوة والرخومة والخشونة في الاشياء وأوصافها فان الحركات كذلك يجب أن تعتبر على هذا الاساس الجسماني الا ان فكرة الثقل والخفة بالنسبة الى الاذن حسب ما ذهب اليه الاقدمون فكرة ناقصة لانها مبنية على ظاهر اللفظ لا على باطنه المحرك الذي هو النشاط العصبي الدماغي بالنسبة الى تحكم الانسان في كلامه . واذا كان ذلك كذلك فلنا ثلاث حركات تقوم بها اعضاء الكلام لاخراج ثلاثة انواع من الحركات : الفتحة والضمة والكسرة التي تتصرف في جميع اللغة ، فلماذا الفتحة تدل على العمل الارادي ؟ لان فكي الفم عند اخراج صويتة الفتحة يبتعدان الواحد عن الآخر . وما الذي يبعدهما ؟ ثلاث عضلات : الاولى عضلة قوية جدا عريضة وغليظة تسمى الماضغة Masseter وعضلة ثانية تساعد الاولى وهي الجناحية Ptérigoïdien وعضلة ثالثة هي الصدغية Temporal تساعد الثانية اذن ثلاث عضلات قوية لرفع الفك الاسفل حتى يتمكن الفم من العض والقطع للماكولات وهذه العملية عملية اقفال الفم — هي أساس حياة الرجل لتلبية حاجته الاساسية ليعيش اما ابعاد الفك السفلي عن الفك العلوي فتقوم به ثلاث عضلات كذلك الا انها ضعيفة ، وهي ذات البطنين Digastrique والضرسية الامية Mylohyoïdien والذقنية الامية Géniohyoïdien فعملية الاقفال اذن بفضل عضلاتها القوية اسهل وايسر من عملية الفتح الضعيفة العضلات فاخراج الفتحة اصعب من اخراج الضمة التي تقتضي فتحا اقل من الذي للفتحة وهي اصعب بدورها من الكسرة التي تقتضي انفتاحا قليلا للفم حتى ان صويتة الكسر قد تخرج ويكاد الكفان يكونان منطبقين الواحد على الآخر وفي الحقيقة اذا قال القدماء بخفة الفتحة وثقل الضمة والكسرة باعتمادهم على ظاهرة الجمال الصوتي فذلك له اساس في اعماق الانسان الا وهو الكلام المفتوح يروق لما يوحي به من حركة ونشاط وحيوية وارادة بالنسبة الى الكلام المكسور الذي يشير الى الانهزام والخضوع والرزوخ وبالنسبة الى الضم الذي يدل على التراكم والتفاقم والسكون والركود .

واذا تمهلنا في هذه النظرية وتأملناها تأملا متئدا عميقا في حد ذاته ثم بالنسبة الى أصول اللغة لا الى فروعها وأخطائها وشائعها ، وتبصرنا امورها الباطنية اعتمادا على فلسفة الحركات بالنسبة الى البدن البشري وطبقناها تطبيقا محكما ، امكننا اذاك ان نشيد نحوا جديدا منطقيا يكشف لنا الستار عن النحو القديم الاصيل الذي بنى عليه العرب القدماء لغتهم فأصبحت مطابقة لاغراض عقلهم وشعورهم واحاسيسهم اي بكلمة واحدة مطابقة للحياة ، اذا فعلنا هذا ستصبح اذاك العربية أسهل اللغات بالنسبة الى العقل أي بالنسبة الى ما يريد العقل التعبير عنه فيمكن حينئذ ان نسترجع ملكة اللغة العربية التي ضاعت وبضياعها انزوت في السماع اي في الحفظ بخطئها وصحيحها بدون معيار للتمييز بين الصالح والفاسد وبين التطور الدائر المتكرر والتقدم القاصد الهادف الى الكمال .

الامثلة :

خذوا مثلا مادة « دخن » التي جاءتنا منها الابنية الثلاثة : دخن ودخن ودخن ، فانكم تجدون ما يلي :

دخن (بفتح العين) الدخان : اذا سطع وارتفع ، وهنا تشخيص للدخان وكأنه يرتفـــع بارادة منـــــه .

ودخنت (بفتح العين) النار : ارتفع دخانهـــا (اي اطلقت الدخان فارتفع . وهنا تشخيص كذلك لفعل الفعل اراديا) .

ودخنت (بكسر العين) : القي عليها حطـــب فافسدت فهاج دخانها (والمعنى واضح ، اي حصل لها الدخان وأصيبت به فأصبح الدخان يحصل لها ويؤثر عليهـــا) .

ودخن (بكسر العين) الطعام واللحم وغيرهما : اذا اصابه الدخان فى حال شيه أو طبخه حتى تغلب رائحة الدخان على طعمه (وهنا معنى الحصول واضح) .

ودخن (بكسر العين) الطبيخ اذا تدخنت القدر ــ وشراب دخن (بكســر العين) : متغير الرائحـــة (اي بالمعنى الحقيقي رائحته هي رائحة الدخان وبالمعنى المجازي : لم تبق رائحته الاصلية فتغيرت واطلـــق اللفظ على سبيل العموم) ــ

ودخن (بفتح العين) الغبار : سطع وارتفع (أي كما يسطع الدخان يسطع الغبار) ــ

ودخن (بكسر العين) خلقه : ساء وفسد وخبث (بمعنى حصل لها السوء والفساد والخبث) ودخـــن (بضم العين) النبت ودخنت (بضم العين) الدابـــة دخنة مثل دخن (بكســر العين) (يستخلص منه الثبات والدوام على حالة الدخنة اي الكدرة يعني صار نهائيا فى ذلك اللون او لم يستطع الصبر على كثرة الدخان) .

واذا اخذنا مادة اخرى فيها الابنية الثلاثة مثل « ش ر ف » ومعناه العلو نرى ما يلي : شرفه (بفتح العين) : غلبه فى الشرف . وشرف (بفتح العين) الحائط : جعل له شرفه ، وشرفت (بفتح العين) الناقة : صارت شارفا (اي على سبيل التشخيـــص علت وارتفعت فى السن) وشرف (بكسر العيـــن) الرجل : دام على اكل السنام (بمعنى غلبـــت عليـــه شهوة اكل السنام اي الشرف وهو السنام أصلا من نفس المادة) وشرفت (بكسر العين) الاذن وشـرف (بكسر العين) المنكب : ارتفعا اي شرفا (بكسر الراء) اي صار مرتفعين ــ وشرف الرجل (بضم العيـــن) صار ذا شرف (اي فى حالة ارتفاع وعلو تبتت فيـه واصبح يتصف بها) وشرفت (بالضم) الناقة : صارت شارفا (والفرق بين شرفت الناقة (بالكسر) وشرفت (بالضم) واضح فالاول ملحوظ الوصف بعد عدمـــه والثاني كثرته وتراكمه ودوامه حتى اصبح فى أعلـــى درجـــة منـــه)) .

وفي مادة « حزن » حزن (بالكسر) حزنا ولـــه وعليه : ضد سر اي حصل له الحزن ــ وحزنه (بالفتح) ضد سر (لغة تميم وهي عندي أقرب الى الاصـــل العربي من لغة الحجاز) ، ولم يرد « حزن » (بالضم) فى الاستعمال تلافيا للطيرة مع أن مصدره حزونة بقي مستعملا بالمعنى الحقيقي وهو غلاظة الارض وشدتها .

وفى مادة « بثر » بثر وبثر وبثر بالتثليث وجهه خرج به بثر : (والمفهوم الضمني المعاقبة بين الثـاء والزاي : « بزر » والمعاقبة بين الثاء والصاد : بصرــ ومراعاة القلب المكاني : ثبر ــ فيأتينا منه معنى القروح ومعنى الكثرة ومعنى نوع من الارض . واذا وقفنا على المعنى الاول فمفاده : بثر (بالفتح) وجهه : اخرج بثورا . وبثر (بالكسر) وجهه حصلت له بثور . وبثر (بالضم) وجهه وهو : أصبح ذا بثور فهناك تدرج واضـــح فى المعاني بين فعل (بالفتح) وفعل (بالكسر) وفعـــل (بالضم) وذلك فى الافعال كلها .

وباعتبار هذا كله نصل الى الحقيقة الآتية وهي أن العربي كان ينطق حسب ما في دماغه من أغراض . واللغة العربية ــ داخل حدود نظريات وقواعد ثابتة ــ اداة تمتاز بطواعية للتعبير عن جميع ما يختلج الفكـــر لا ميل لها فى أي لغة من لغات هذا العالم .

التعريب والتفتح في المغرب العربي

الدكتور محمود عبد المولى
« تونس »

يتحدث الناس كثيرا ، هذه الايام عن الانفتاح او التفتح ، حتى غدت هذه الكلمة مبتذلة واصابها ما اصاب بعض العملات ، اثناء الازمات الاقتصادية، من تضخم قد قضى على جزء ضخم من قيمتها الشرائية .

ولا نعدو الحقيقة كثيرا اذا قلنا ان كلمة انفتاح او تفتح او تعصير ، اصبحت ، فى قاموس البعض ، تعلة لاتهام كل من انبرى للدفاع عن حظوظ اللغة والثقافة الوطنية ، بالتحجر والزماتة والانطواء على النفس ...

وبهذه المناسبة ، ونحن نضع بعض ملاحظاتنا حول « جدلية التعريب والتفتح » أو جدلية «الاصالة والتفتح » — نؤكد لادعياء الانفتاح والتفتح والتعصير — دون ذكر اسمائهم — ان كل من يعتز بلغته واصالته الثقافية والقومية بطريقة ، ثورية وموضوعية ، بامكانه ان يستفيد من عملية الاخذ والعطاء مع الحركات الفكرية والعلمية فى العالم . وذلك على شرط ان تكون اللغة والاصالة الحضارية والاجتماعية هي الاصل والمنطلق ، لكل عملية تفتح عبر اللغات والحضارات الاجنبية . لذلك لن يتم هذا الاخذ والعطاء الخصب الا فى شروط موضوعية معينة منها :

— تحريك قيمنا الحضارية الخالدة — وتراثنا الثوري الحافز ، وربطها بالحركات الفكرية والعلمية المتقدمة فى عالم القرن العشرين .

— ان التفتح شطر اللغات الحية والحضارات المتقدمة يجب أن يكون مدروسا — لا متروكا للصدف ، لكي يلعب دوره المكمل الفعال لثقافتنا ولغتنا واصالتنا .. والا انقلب الى خطر ماحق يهدد شخصيتنا وكياننا الاجتماعي والثقافي ، بالمسخ والذبذبة ... كما نرى — لا تناقض بين قيمنا القومية واقيم الاممية فى مضمار الاصالة والتفتح . نستطيع أن ناخذ عن الغير العلم والتقنية والثقافة المتقدمة وذلك بتعلم بعض اللغات الاجنبية الحية بدقة واتقان — اذا أمكن — وفى نفس الوقت نتمسك بمقومات شخصيتنا العربية والاسلامية حيث تكون اللغة العربية والفكر الثوري من عناصرها الاساسية، هذا فى رايي هو الانفتاح المنشود . اما الاقتصار فقط على الاخذ من فرنسا وحدها عن طريق لغتها وثقافتها ، فهذا هو التحجر والذوبان معا .

انه التحجر لان فرنسا هي فى الواقع تعتبر فى خصوص بعض الميادين العلمية والتكنولوجية متخلفة بالنسبة لعدد من البلدان المتقدمة كامريكا وانجلترا وروسيا والمانيا ... الا انها تعتبر طبعا — متقدمة تقدما مهولا — بالنسبة للبلدان المتخلفة جميعها . اليس من الافضل لبلدان المغرب العربي ان تستفيد من اختصاصات — هي فى حاجة اليها — ولا تجدها فى فرنسا بل فى بلدان اخرى متقدمة ، سواء كانت فى الشرق الاشتراكي أو الغرب الراسمالي ..؟ اذا كان الجواب بنعم ، فلا شك أن تعلم لغة من اللغات

الحية كالانجليزيـة او الروسيـة او الالمانيـة ... امر لازم .

ان انفتاح مغربنا على العالم المتقدم ــ عن طريق لغة او لغتين من هذه اللغات الحية سيساعده ــ دون ريب على الخروج من معركة التخلف بنجاح للانطلاق بعد ذلك ــ اي التنمية الاقتصادية والاجتماعية والاشعاع الثقافي والعلمي والتكنولوجي ...

وهو ذوبان وانحلال لشخصيتنا وخصوصياتنا القومية والحضارية اذا استخدمنا اللغة الفرنسية كلغة شبه رسمية واهملنا اللغة العربية .. لان الانفتاح على الثقافة الفرنسية او على اية ثقافة اجنبية اخرى يجب ان يمر عن طريق عروبتنا كما اكد ذلك العالم الاجتماعي الفرنسي جاك بارك (Jacques Berque) في عبارته الشهيرة :

«La francité du Maghreb passe par son arabité»

لذلك طالب المثقفون في تونس والمغرب الاقصى قبل الاستقلال وبعده بالتعريب والاصالة الثقافية لا لاسباب عاطفية ، وانما لانه المطمح الطبيعي والشعبي ، والسبيل الوحيد الى تحقيق ذاتيتنا ونهضتنا ، والمنطلق السليم نحو وحدة مغربنا العربي كخطوة نحو وحدة وطننا الاكبر ...

الواقع ان موضوع الاصالة والتعريب هو موضوع له حساسية خاصة ويتطلب منا قدرا كبيرا من الموضوعية والشجاعة. قد يحدث التباس في الاذهان، ونحن نثير الاسئلة والتساؤلات حول قضية الاصالة والتعريب ، قضية الساعة في مجتمعنا ، هذا الالتباس يتمثل في أن الغرض من اثارة مشكلة التعريب في تونس او الجزائر او المغرب الاقصى هو احراج المسؤولين أو التهجم على هذه السياسة التربوية او تلك . لكن الذى حدانا الى معالجة هذه القضية المصيرية هو حرصنا على بناء المغرب الكبير على اسس متينة ، كخطوة مرحلية نحو بناء الوطن العربي .

فالواجب يفرض علينا النقد النزيه والموضوعي لجوانب حياتنا اللغوية والثقافية وغيرها كلما شعرنا بأن هناك خطرا يهدد كياننا . ان اسلوب السكوت والتغاؤل الكاذب هو بمنزلة الخيانة لانه يقضي على امل شعوبنا في التقدم والتحرر والوحدة .

نحن لا ننكر ان موضوع التعريب والاصالة هو موضوع خطير ، قد حفت به ملابسات سياسية وايديولوجية ونفسية لا تخفى على احد . واذا صارحنا انفسنا وضمائرنا ، فهو ، في حقيقة الامر قضية مصيرية تتحكم فيها السياسة والاقتصاد ، بحيث تتجاوز امكانيات رجال الفكر والتربية والثقافة في المغرب العربي . والراي عندنا ان الحل الجذري لمشاكل كثيرة يتخبط فيها مجتمعنا المغربي اليوم ، يكمن في تبني سياسة التعريب الشامل والمرحلي . فهل لنا ان نعرب ؟ وهل لنا ان نجعل من لغتنا القومية ، لغة المدرسة والادارة والشارع ، والانتاج الفكري والعلمي ...؟

اذ لا يمكن ، اطلاقا عزل المفهوم السياسي لعملية التعريب عن مفهومها الثقافي ، فكلاهما وجهان لعملة واحدة !؟

لذلك ونظرا لتشعب قضية التعريب ، باعتبارها قضية سياسية ومجتمع ، وحضارة ، ولغة ، وشعب ومثقفين ، وهي مطروحة اليوم بثقلها الكامل والملح على الصعيدين الرسمي والقومي ...

لذلك ونظرا لكل هذه الظروف والملابسات الايديولوجية والنفسية التى تحف بالتعريب لا يسعنا الا أن نؤكد الحقائق التاريخية التالية :

اننا لا ننكر ابدا المشاكل والصعوبات النفسية والمادية التى تعرقل سير قطار التعريب ، خاصة ونحن نعلم أن الاوضاع الاستعمارية التى رزحت تحتها بلادنا ، قد فرضت علينا واقعا ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا متخلفا . ان هذه التركة الاستعمارية الثقيلة والبغيضة قد عكست على حياتنا الاجتماعية ارتباطا لغويا وثقافيا خطيرا .

كان هدف الاستعمار في العصور الحديثة سواء كان فرنسيا او انجليزيا يرمي الى تمزيق وحدة الامة العربية وتقسيم الوطن العربي الى دويلات وكيانات سياسية عديدة ، وذلك لغاية السيطرة على مقومات هذه الامة بجماهيرها الكادحة ، اقتصاديا وثقافيا ولغويا ...

وكان من نتائج هذه السياسة الاستعمارية الادماجية في المغرب العربي الكبير بخاصة ، هو تجهيل الجماهير بلغتها وتاريخها وواقعها ... ومن هنا كانت وضعية شعوبنا المغربية مطابقة للحقيقة العلمية التى صدع بها ، منذ قرون عديدة العلامة ابن خلدون وهي تؤكد بان « الامة الغالبة تفرض على الامة المغلوبة حضارتها ولغتها ..» .

لذلك فواقع اللغة العربية يعود تفسيره لظروف تاريخية وحضارية . بدات اثر عصور الانحطاط والظلام ، وبخاصة فى بداية العهد التركي ، ثم تطورت الامور عندما حاولت عائلات دخيلة محاربة اللغة العربية وذلك كخطوة نحو تتريك الاقاليم العربية . وكلمة تتريك هي كلمة دارجة حتى اليوم فى بعض اللهجات العربية فى المغرب وتونس وتعني مثلا العبارة : « يحب يتركني » معناه « يريد ان يهلكني » (1) . من هنا ندرك العلاقة المعنوية بين عملية مسخ العرب الى اتراك عثمانيين . وعملية الهلاك والاهلاك .

ان عملية التتريك هذه قد نادى بها — كما نعلم — وحاول تطبيقها دعاة الطورانية من جماعة تركيا الفتاة . اما فى المغرب باقطاره الثلاثة : فقد قامت محاولات شرسة على يد الاستعمار الفرنسي : ترمي فيما ترمي اليه : الى الفرنسة والادماج ، واحلال لغة المستعمر وثقافته محل اللغة العربية وثقافتها .

لذلك اكد المثقفون المغاربة — مرارا وتكرارا — ان لغة المستعمر ؛ بما تحويه من ثقافة وتقاليد لا تتماشى مع متطلبات السيادة الوطنية ولا تنسجم مع مقومات الشعب العربي فى تونس والمغرب الاقصى والجزائر . وانما هي — بالعكس من كل ذلك — تمسخ او بامكانها ان تسمخ — شخصيته وتلهيه عن مشاكله الحقيقية .

---

(1) كلمة « تركة » بتشديد الراء معناها فى عامية المغرب الاقصى : سلب او نهب كل ما يملكه ، وكأن « المترك » (بفتح الراء وتشديدها) مات فصارت **تركته** تحت رحمة السالب . ومن هنا يتضح اشتقاق الكلمة العامية من الفصحى ، كما يتضح من استعمالها فى المغرب الاقصى بالمعنى الذى اشرت اليه .

اللغة العربية في مرآة قواعدها القومية

الأستاذ أنطون شال (1)
جامعة هايدلبرج

ترجمة الأستاذ إدريس الخطابي

اذا فتحنا كتابا من الكتب الحديثة التي تعالج قواعد اللغة اللاتينية لنستعلم عن انواع الكلمات المكونة للجملة وجدنا التقسيم كما يلي: الاسم والفعل والجزيء (او الأداة) (Partikel) . والعلامات التي يستند اليها هذا التقسيم ذات طبيعة عريضة اي انها ليست من صميم الكلمة : فالأسماء المعربة والأفعال المنصرفة كلمات قابلة للتغير . واما باقي الكلمات غير المتغيرة فيشملها اللفظ العام : جزيء . غير أن علامات التمييز هذه لا تفي بالغرض اذا أردنا أن نقسم الجزيء الى اقسامه المختلفة . ومن ثمة ادخلت فكرة وظيفة الكلمة فى الجملة وتفرع الجزيء الى حال وجار وعطف ونداء . فنحن نرى اذن ، أن قائمة انواع الكلمات او اقسام الكلام ، قد اشتملت على الفاظ ذات طبيعة متباينة تباين وجهات النظر النحوية عبر التاريخ.

واذا رجعنا الى ما قبل اليوم بحوالي قرنين اي الى زمن وضع القواعد النحوية الاولى فى البلاد الغربية ، والقينا نظرة على « فن القواعد اليونانية » لمؤلفه ديونيزيوس تراكس (Dionysios Thrax) الفينا فقرته الحادية عشرة تقول من بين اشياء اخرى: « ينقسم الكلام الى ثمانية اقسام : اسم وفعل واسم مفعول واداة تعريف او تنكير وضمير وحرف جر وحال وعطف » . اما النحويون الرومان فاننا نجدهم يتخذون المصطلحات اليونانية مترجمة بالحرف الواحد . ولذلك ظل نموذج ديونيزيوس تراكس عالقا بالأذهان لدرجة ان الاقسام الثمانية ظلت قائمة على الدوام مع تغيير بسيط وهو احلال حرف التعجب محل اداة التعريف التي لم توجد فى اللاتينية . وقد تولى النحاة الثقات، مثل دونات (Donat) وبريشيان (Priscian) نشر هذا المذهب طوال القرون الوسطى والزموا به الناس . اما التقسيم الثلاثي الذي أوردنا فى مطلع بحثنا فلا يوجد له اثر واحد فى هذا الوقت على ما اظن .

وقد أسس يوهانس رويشلين (Johannes Reuchlin) سنة (1506) فى بفورتسهايم (Pforzheim) قواعد اللغة العبرية عند المسيحيين فى كتابه « مبادىء العبرية » . وفى الصفحة (551) يكتب عند تعرضه لأقسام الكلام

---

(1) جاءنا هذا البحث من مؤلفه من المانيا الاتحادية ورغم بعض الآراء الغريبة التي جاءت فيه فاننا ننشره حتى تكون على علم بكل ما يكتب عنا مهما كانت نوعيته أو قيمته وقد نشرنا الاصل فى مكان آخر من هذا العدد » . وهو عبارة عن كلمة القيت بمناسبة تولي المؤلف الاستاذية فوق العادة للغات السامية الحديثة والاسلاميات فى جامعة هايدلبيرج فى 21 ديسمبر 1971 .

العبري : هنالك ثلاثة اقسام : الاسم والفعل والآتي بمعنى ـ نقول اليوم الجزىء ـ ، ويشتمل الاسم ايضا على الضمير واسم المفعول . ويشتمل الحرف على الاربعة الآتية : الحال والعطف وحرف الجر والتعجب. نرى أن تقسيم كتابنا الحديث للقواعد اللاتينية يتفق مع كتاب رويشلين اتفاقا مدهشا . والجدير بالذكر ان رويشلين والعلماء المسيحيين المعارضين له أخذوا فكرتهم حول اقسام الكلام عن الاعمال النحوية اليهودية القومية حول اللغة العبرية ، غير أن أعمال علماء اليهود النسقية الاولى كتبت باللغة العربية والفت تحت تأثير وحسب نموذج القواعد النحوية العربية القومية .

قادتنا هذه الغارة الصغيرة في تاريخ النحو الى علم هيمن في عهد لمعان الثقافة العربية الاسلامية . وتأثير هذه الثقافة وبقائها في علوم الغرب الطبيعية والرياضيات وعلم النجوم ودورها الوساطي بالنسبة للتراث اليوناني معروف معرفة عامة . غير أن الأثر المتواضع لهذا العلم العربي الاصيل في وسط كتاب من كتب النحو الحديثة لم ينظر اليه بعد ، من هذه الزاوية .

ولم اجد في نطاق عملي ، شعبا من الشعوب القديمة ، عني بلغته وفكر فيها وحاول تنسيق تأملاته حولها الا الشعبين اليوناني والهندي . اما الدور الذي قام به النحو القومي اليوناني فقد سبق أن اشرنا اليه واما الهنود فقد تجاوزوا دقة اليونان في هذا المضمار واظهروا أصالة في ابحاثهم ووصلوا الى القمة بمؤلفات بانيني (Panini) اواسط القرن الاول قبل المسيح . وقد مهدوا بالفعل الطريق امام الباحثين الهندوجيرمانيين في الدراسات المقارنة بين اللغات. ولم تتم الانجازات العظيمة الرائعة في هذا العلم الا بعد دراسة السانسكريتية والبحوث الدقيقة التي قام بها النحويون الهنود الذين القوا الضوء على هذه اللغة واوضحوا غوامضها الدقيقة .

ويقع النحو القومي العربي ، في المكان والزمان، موقع الوسط بين النحوين الهندي واليوناني وهذا الموقع هو الذي جعل الناس يتساءلون الى الآن ، عما اذا كان النحويون العرب قد استعانوا بنماذج اجنبية ونظرا لهذا الوضع ولعدم تمكن العلماء من اعادة المراجع الى اصولها بالدقة المطلوبة اصبح من المستحيل الفصل في هذا الامر ، اذ ليس من المتوقع أن نجد قبل الخليل ، الذي يعتبر المؤسس للنحو العربي ، مصادر أقدم منه للرد على هذا السؤال . وفي القرن الثاني الهجري اي في نهاية القرن الثامن الميلادي ، طلع على الناس بنيان عجيب ، هو بمثابة صرح لقواعد اللغة العربية . والذي شاد هذا البناء الشامخ هو تلميذ الخليل الفارسي سيبويه . واهم اعماله النحوية هو مؤلفه المسمى « الكتاب » . وفيه أول عرض شامل منسق للغة العربية وهو بالنسبة للنحويين العرب « الكتاب » الذي لا يزال ثقة الى يومنا هذا .

اما نقطة الانطلاق بالنسبة لأكثر العلوم العربية نقاوة فتدور حولها مجموعة من الأساطير . فقد كان ابو الأسود الدؤلي ـ احد انصار علي بن ابي طالب آخر الخلفاء ـ قاضيا في البصرة وهي المدينة الكبيرة التي كانت في اول أمرها معسكرا للجنود العربية ، والموجودة اليوم في جنوب العراق . وقد سئل ابو الأسود الدؤلي: كيف تعلم العلوم النحوية فأجاب بأن الخليفة نفسه هو الذي علمه اياها ولم يكن ابو الاسود يعير معلوماته اهتماما كبيرا حتى أمره حاكم العراق بوضع دليل للغة العربية ليتمكن الجمهور من تفهم القرآن كتاب المسلمين المقدس . ولم يبد أبو الأسود رغبة في الانصياع لهذا الامر بيد انه سمع يوما احد الناس يتلو جزءا من السورة التاسعة من القرآن (سورة التوبة : المترجم) كما يلي : « أن الله بريء من المشركين ورسوله (1) » بدلا من ورسوله كما هي القراءة الصحيحة . والقراءة الخطأ ليست اقل من الكفر لان معناها أن الله بريء من المشركين ومن رسوله . فذهل أبو الأسود من هذه القراءة وقرر على الفور تلبية أمر الحاكم .

ليس من الصعب معرفة النواة التاريخية لهذه الأسطورة ، فالمسألة تدور حول المحافظة على تراث مقدس أي حول وقاية ما يعتقده العرب انه كلام منزل من عند الله بلغة عربية خالصة نقية . فكانت اذن الاسباب التي أثارت عند العرب الانتباه الى القواعد النحوية هي أسبابا دينية . كان من الواجب أن يصان القرآن عن الأخطاء في أفواه العديد من الذين كان عهدهم بالاسلام حديثا . والاتصال باللغات الاجنبية في البلاد المغزوة هو الذي نبه العرب الى الاعتناء بلغتهم وليس هذا السبب أقل الدوافع لوضع النحو القومي ، مع العلم بأن الاتصال باللغات الاجنبية في البلاد الغربية

---

(1) بالعربي في الاصل .

في نفس الزمن ـ اي في القرون الوسطى ـ لم يؤد الى الاشتغال باللغة القومية . فاللغة العربية عرفت درجات مختلفة من النمو وكانت هذه اللغات المختلفة المستويات تتنازع الصدارة قبل ظهور محمد (صلى الله عليه وسلم ـ المترجم) . فمن ناحية توجد لغة دارجة منقسمة الى لهجات متباينة ، ومن ناحية أخرى اللغة العربية العتيقة الآتية من القدم ، لغة راقية او لغة الادب . ولا نستطيع اليوم تحديد الزمان والمكان اللذين نشأت فيهما هذه اللغة الراقية ولا متى اعترف لها بالصدارة ولا متى اعتبر استعمالها ملزما بشروط معينة ، والشيء الذي لا يتطرق اليه الشك هو أن هذه اللغة كانت في زمن محمد (صلى الله عليه وسلم) متميزة عن اللهجات الاخرى واصبحت لغة تعم جميع القبائل فيما يخص الشعر والاحتفالات ذات الأبهة والاحترام . وقد احتفظ الشعر العربي القديم ـ بأوزانه الصارمة البنية ـ لهذه اللغة بنقاوتها . واهمية الشعر ـ كبديل للفن التشكيلي ـ الذي كان مستحيلا في الحياة البدوية ـ جعلت من الممكن ابقاء هذه اللغة حية على الدوام .

والتناقض بين لغة العامة ، ولغة الشعراء والقرآن كان لا بد ان يعمق التفكير في اللغة القومية . ومن المؤكد ان الذين اتخذوا تلاوة القرآن مهنة كانوا في نفس الوقت نحاة . فلم يكن تأويل القرآن الذي كان ينظم الحياة العامة والخاصة ممكنا الا بمعرفة دقيقة للغة الراقية . وفي المدينتين الطموحتين الكوفة والبصرة ـ بأدنى العراق ـ نشأت مراكز للعلوم النحوية ، ربما اقتصر هذا العلم باديء ذي بدء على مراقبة كلام البدو وجمع وشرح الاشعار والروايات الخاصة بالحروب القديمة والامثال والتقاليد ، فنعرف ـ مثلا ـ أن معظم اعمال الكوفيين مجرد تجميع . اما البصريون فيظهر انهم بكروا بترتيب المواد المتواترة والممثلان الرئيسيان لمدرسة البصرة الخليل وسيبويه، هما اللذان أتما تنسيق النحو العربي .

نعرض على القاريء فيما يلي تأملا قصيرا عن النظرة الاسلامية للعلوم :

عرف السيوطي العالم العربي المشارك كل العلوم بانها جزء من المنقول المأثور الذي عولج بعقل وتدبر . ويشتمل هذا التعريف على ركني كل عمل علمي : احد هذين الركنين هو المنقول اي المادة المأثورة القابلة للمعالجة والتنقيح ، والركن الثاني هو عقل العالم المنقح مع موهبته البنائية والتركيبية . ويمكن أن يكون هذا التعريف نفس تعريفنا نحن الغربيين ، مع العلم ان العلوم الاسلامية ومعها النحو العربي القومي قد اتجهت وجهة متباينة تمام التباين عن وجهة العلوم الغربية . فنحن نحاول توسيع المادة المأثورة وتنميتها حسب الامكان . ففي مادة التاريخ ـ مثلا ـ نجتهد دائما في ضم مصادر أخرى حتى نستطيع تحديد اسباب مصبرنا بطريقة ادق . **وفي العلوم اللغوية نسعى الى مضاعفة تعميق نظرتنا حول تطور اللغة وذلك بواسطة طبع امهات الكتب والبحث في اللغة الدارجة** . نعم نقيم ـ نحن ايضا ـ نظرياتنا على اساس المواد الموجودة بين ايدينا ، واذا تغيرت هذه المواد او وجدت مواد جديدة يمكن ان تتغير النظريات تحت ظروف معينة تغيرا حاسما . غير أن العلوم الاسلامية نمط آخر : فالمادة المتواترة قد اكتملت ووصلت الى حدودها في زمان معين في الماضي . فبعد ان اقام اللغويون العرب نظريتهم النحوية على أساس الادب العربي المعترف به آنذاك أصبحت هذه المادة المحدودة ، المقياس الوحيد لبناء النسق النحوي .

ولاجل هذا النموذج الذي وضعه النحويون الاوائل لم يؤخذ بعين الاعتبار مع القرآن الكريم الا الشعراء الاقدمون والنصوص النثرية القديمة القليلة من بينها الروايات الخاصة بأيام المعارك التي خاضها العرب الجاهليون والأمثال القديمة واحاديث النبيصلى الله عليه وسلم ، أما الادب النثري الجيد الذي ازدهر بغزارة بعيد عهد الأمويين والذي هو جزء مهم من الادب العربي النحوي فلم يستعن به لبناء قواعد اللغة . والسبب في اهماله وفي عدم محاولة تلاميذ سيبويه استخراج الأمثلة النحوية من النثر يرجع الى قدرة الاسلام على التشبث بالمعطيات الاولية . واذا طبقنا ذلك على اليونان فانه يعني حصر استخراج النماذج النحوية على مؤلفات هوميروس والشعراء الاقدمين واهمال هيرودوت (Herodot) وتوكيديدس (Thukydides) وبما أن لغة القرآن كانت هي اللغة القانونية والمحترمة الوحيدة وبما أن اللغة العامة كانت تختلف عنها في التشكيل وتركيب الجمل كان من الطبيعي أن يرفض العرب رفضا باتا استعمال ظواهر اللغة العامة في بناء النسق النحوي .

ولقد ادت الاعتبارات الدينية هنا الى تقلص المادة المتوارة وظهرت فعلا وفي زمن مبكر معارضة لهذه الفكرة وذلك في القرن الثاني الهجري وكانت المعارضة تتوخى توسيع المأثور اي الزيادة في المادة المستعملة لبناء النسق النحوي . لكن سرعان ما انتصر

مذهب المتواتر المعهود على مذهب التوسيع والتجديد وحتى فى النحو الذي ما كنا نتوقع فيه وجود علاقة بالدين ينعكس النزاع المتواصل الذي نلاحظه فى التطورات المذهبية والشرعية فى الاسلام . وفى هذا النزاع انتصر انصار القديم المتصلبين . ولهذا السبب رفض ممثلو النحو القومي العظام ، الانشغال باللغة العامة او تصحيح اخطائها . ولم يألوا جهدا فى الحفاظ — بغيرة — على القانون الذي هو نموذج الاعمال الادبية العظيمة وعدم توسيعه،ولهذا استعملوا دائما فى مؤلفاتهم نفس الادلة والامثال . وبذلك اتخذ النحو صبغة « علم معيار » واخيرا اصبح هذا المعيار والعبارة « ممنوع » سببا فى أن اللغة العربية الفصحى ظلت هي هي ، فى أساسها ، منذ ثلاثة عشر قرنا .

واذا عرفنا ان النحو العربي لم يتزود بأية مادة حية من اية لغة حية ، سهل علينا أن ندرك كيف غدا هذا العلم بالضرورة ، شيئا فشيئا ، جامدا مثل المومية . ويمكننا ان نأخذ فكرة عن ذلك فى رواية من روايات الشاعر الفارسي الشهير سعدي فى ديوانه « جنة الورد » فى القرن الثالث عشر . ففي احدى رحلاته الى تركستان الشرقية — التي هي ولا شك ، ثمرة خياله الشعري — رأى سعدي فى مسجد كشغار طالبا منصبا بحماس على باب من ابواب كتاب الزمخشري . ويجب هنا أن استطرد لأقول ان النحو العربي يشرح حالات الاعراب فى جمل نموذجية صغيرة وتدرس نهايات الاعراب مرتبطة بنصوص مفترضة لا يحاد عنها قط ، ولذا سمع سعدي الطالب يقرأ : ضرب زيد عمرو وعمرو هذا مفعول وزيد فاعل . وحدث أنه فى السنة نفسها عقد حاكم توران سلما مع القيصر الصيني بعد حرب طويلة . وقال سعدي للطالب الشاب فى سخرية خفية :

لقد تصالح توران والصين ، وما زال زيد يضرب عمرو . والى يومنا هذا يتضارب عمرو وزيد فى جميع المدارس التي يلقن فيها النحو العربي على الطريقة القديمة .

هذا ولم يعتبر المسلمون قط اللغة شيئا متطورا وناميا كما لم يتفهموا الفرق بين اللغة والكتابة التي هي شيء عارض مخترع والسبب فى ذلك هو القرآن أيضا فمعنى كل كلمة فى نصه المأثور لا يوجد فى صورته الملفوظة فقط ولكن يوجد أيضا — بل اكثر منه — فى رسمه المكتوب الذي تناقله الاجيال فى شكل معين . فللرسم والكلام نفس الوزن . وقد بنيت القواعد النحوية على أساس نص القرآن اي حسب صورة الرسم كما ترى بالعين لا حسب صورة اللفظ كما تسمع بالأذن . فأصغر جزء فى الكتابة هو الحرف اما فى العربية فهو الحرف المتحرك فقط (1) ولذلك يسوي فى الاصطلاح النحوي اللفظ والحرف المتحرك والمدلول الذي تدل عليه الكلمة (Silbe) ، والذي هو اصغر جزء فى الكلام الملفوظ المسموع ، لم يكن معروفا عند النحويين المسلمين فى القرون الوسطى ولم تعرف اللغة اصطلاحا عليه ، وبما أنه لم يعمل الا حسب صورة الرسم فكان المدلول الذي تدل عليه الكلمة (Vocal) ينقص فى اللغة . ولم تدخل علامة الحركة فى اللغة الا عند ما ادخلت العلامات الدالة على قصر الحركة . ولم يحدث ذلك الا لأن العرب يرمزون الى الحركة بعلامة خاصة . والشيء الذي يثير الاستغراب هو أن نظرية صوتية تشبه نظريتنا قد بنيت على هذا الاساس . بل تطورت منها الأوزان الشعرية وذلك بدون ان يكون المفهوم من الكلمة (Silbe) معروفا .

وبالاضافة الى معنى ضيق للمادة لا نفهمه نحن الغربيين ، فالمجرى الخارجي الذي اتخذته النظرة الى اللغة القومية فى العالمين الغربي والاسلامي متباين تمام التباين . فاليونان ، وهم أساتذتنا فى العلوم النحوية ، كانوا ، قبل اكتشاف العلوم المختلفة ، قد عنوا كثيرا بالعام الذي يكمن وراء الخاص واهتموا بمبادىء الفلسفة ، وبنوا بالفعل صروح المنطق ، وفى اطار هذا الاخير وجدت المادة التي تستند اليها العلوم المختلفة وخصيصا اللسنيات ارضا صلبة . فالكلام

---

(1) تنقسم الحروف الأبجدية عند الغربيين الى (Konsonant) بالفرنسية (Consonne) وهي ذات المخارج و (Vocal) بالفرنسية (Voyelle) وهي ما يسميه العرب الحركات كالفتحة والكسرة والضمة والسكون — الفرق بين العرب والغربيين هو أن الحركات عند الغربيين (a, e, i, o, u, y) تعد من الحروف وتكتب الى جانبها — ولا تعد فى العربية من الحروف ولا تكتب بالضرورة معها وانما توضع فوقها أو تحتها اذا اشكل النطق — (المترجم)

(2) يعبر عن هذه الكلمة اليوم بـ مقطع (المترجم)

والفكر عند اليونان يشتملان على نفس القوانين المنطقية . ولذلك كان من الممكن ادراك الاثنين في نفس المنهج الفكري . فيتساوى عندهم الحكم والجملة ؛ والمدلول والكلمة . اما في الاسلام فقد تطورت الامور تطورا مضادا على طول الخط ؛ حيث جمع المسلمون ؛ اولا ، المادة اللغوية التي هي موضوع البحث والتنظيم ، ثم كونوا منها بعد ذلك نظرية لغوية ولا نقول ان هذه النظرية الاساسية غير منطقية ولكنها ليست ، كما عند اليونان ، منطقية صرف ، فالنحويون القوميون العرب ينظرون مع وعبر الشكليات والقالب الى محتويات ومعاني الجمل . واليونان ومعهم الغربيون اليوم يرون العام وراء الخاص . اما النحو الاسلامي فلم يستطع ان يخرج من الخاص الى العام الا بشق الانفس . وتصلح نظرية اليونان اللغوية ان تطبق على جميع اللغات لأنها تطورت تطورا موضوعيا . اما النظرة العربية الاسلامية الى اللغة فلا يمكن تطبيقها اساسا الا على اللغة العربية نفسها لأنها لم تنبع من مبادىء منطقية موضوعية صرف . ولذلك يمكن ان يفهم السبب الذي جعل اللغتين الادبيتين الكبيرتين الفارسية الحديثة والتركية العثمانية المعتمدتين على العربية ، لا تستطيعان تطوير نظرية لغوية خاصة بهما . فالفارسية الحديثة الهندوجيرمانية ابت ان تخضع لنسق لا يصلح الا للغة العربية .

وتختلف التقسيمات في النحو الاسلامي ، حتى في مظهرها ، عن التقسيمات في نحونا اختلافا كليا . فعلى اساس التوازن المنطقي بين الكلمة والمعنى وبين الجملة والحكم ، تنقسم قواعدنا النحوية الى دراسة تكوين الكلمات اي علم الاشكال ، ودراسة تكوين الجمل اي (Syntax) . اما النحويون العرب فينهجون نهجا آخر ، فهم يميزون بين المفردات من الناحية النحوية الصرف فقط ، حسب نهاياتها وحسب عملها الذي تعمله في الجملة . ثم يكفي تقسيم المفردات تقسيما خارجيا لا يستند الى بنيتها ، وخلال هذا التقسيم الى مفردات مختلفة الانواع يمكن استخراج نظرية حول تكوين الجمل ، لأن الكلمات تتغير في نهاياتها حسب موقعها من الجملة .

وتقسيم الكلمات هذا الى انواع ، هو الذي ادى بي الى نقطة الانطلاق في هذا البحث . فيقسم العرب جميع مواد كلامهم الى ثلاثة اقسام : الاسم ، (1) والفعل (1)، والحرف (1) الذي نعبر عنه نحن بالجزيىء . وهذا هو التقسيم الذي اخذه رويشلين من القواعد القومية اليهودية المقتبسة هي بدورها من القواعد العربية القومية . وقد ظن الناس في الاول ان العرب مدينون ، في معاني قواعدهم الاساسية هذه لتأثير اجنبي وبالاخص تأثير يوناني . مع العلم اننا ، نحن الغربيين ، لم نعرف الا بعض المؤلفات النحوية التي تحمل آثار التعريفات الارسطوطالية . وقد ظهرت هذه المؤلفات في وقت متأخر نسبيا وجاءت مرتبطة بأصلها ارتباطا جديرا بالملاحظة ولم تنفصل عنها الا نادرا . بذلك كان من الممكن ان ينشأ اخيرا الاعتقاد القائل ان القواعد القومية العربية ارتكزت على الفلسفة اليونانية ، العكس تماما لما تواتر عند العرب الذين يعتبرون القواعد القومية علما عربيا محضا . وبهذا الاعتقاد فقد الغربيون ملكة تقدير المصادر القديمة بموضوعية ونسوا ان هذه المراجع الاصلية اقدم من التاريخ الذي دخلت فيه الحكمة اليونانية العالمية في دائرة الفكر العربي . وقد اتى بعضهم بدلائل ضعيفة جدا ليحاول ان يجد في انشاء المعاني عند النحو العربي تأثيرا من القواعد اللاتينية وذلك عند ما قارنوا بين الاصطلاح اللاتيني (Terminus) والعربي « حرف » مع ان « حرف » يدل على شيء من الملفوظ او المكتوب صغير ليس محدودا في حجمه ، ابتداء من حرف او حرف متحرك حتى الكلمة وعبارة ، وجزء من جملة . ولا ينبغي فهم هذه الكلمة التي نعبر نحن عنها بكلمة (Partikel) اي قسم الكلام الثالث ، كما يفهم اليوم . فالمفهوم العربي لهذه الكلمة ليس كذلك . يقول سيبويه أن الكلام ينقسم الى ثلاثة اقسام : الاسم والفعل والحرف (1) ثم يعرف الحرف ويوضحه كما يلي : يعبر الحرف عن معنى ليس بالاسم ولا بالفعل . ولذلك فكلمة « حرف » تعني شيئا آخر،غير الحرف المفرد او مجموعة من الحروف التي تكون كلمة لا معنى لها بذاتها . كل ما ليس اسما او فعلا ينتمي الى الحرف ويأتي بمعنى . ولا تمت هذه الكلمة الى الكلمة اليونانية (Syndesmos) بصلة . وفي العبارة « حرف معنى (1) » كما كان يسمى القسم الثالث في الاصل يقع الوزن في الكلمة الثانية «معنى» ويمكن التعبير عنه في لغتنا بـ « مجموعة من الحروف الأبجدية الدالة على معنى » .

---

(1) بالعربية في الأصل وترجمها المؤلف الى الألمانية

يستعمل النحويون اليهود مرارا وبكل بساطة ترجمة عبرية لهذه الكلمة « معنى » للتعبير عن القسم الثالث للكلام . ولا يمكن التحدث عن استعارة من اليونان . والمطابقة بين الاصطلاح العربي « اسم » والاصطلاح اليوناني (Onoma) (تسمية شخص أو شيء) على قسم الكلام الاول ليس الا صدفة محضة . ولا علاقة أيضا بين الاصطلاح اليوناني (Rhéma) (هذا الذي يحكى على شخص) والاصطلاح الدال على قسم الكلام الثاني « فعل » في العربية .

فالفاعل عند النحويين العرب ليس هو الفاعل عندنا . كان هذا الاصطلاح في الاصل اصطلاح علم المنطق ونقله اليونان الى النحو ويعبر عندهم عن الكلمة التي يقال عنها شيء . لا يعرف النحو العربي هذا المفهوم الاصلي لكلمة « الفاعل » . فليست الجملة عند النحويين العرب حكما بل سلسلة من الكلمات الدالة على معنى . ولذلك ، فثمة أنواع مختلفة من الافعال حسب هذا الشيء الذي يقال عنه . فاذا بديء بالفعل سمي الفاعل ، الذي في محل رفع ، « فاعلا » . ولكن اذا بديء بالاسم سمي الفاعل « الكلمة التي بديء بها » واذا بنيت الجملة للمجهول اصبح الفاعل غير فاعل ولكن مفعولا وسمي المفعول الذي لم يسم فاعله » .

وقد ظهرت هذه المعاني النحوية الاساسية عند اقدم النسقيين العرب . كانت المادة المخصصة للعمل محدودة للغاية ولذلك كان ينبغي أن يهتموا وخلفاؤهم معهم بالركن العلمي الثاني ، اي العقل ، المدبر والمرتب ، أكثر من اهتمامهم بالركن الاول ، فبهذه الطريقة قد يكون ما يضيفه العالم الى المادة أكثر من المادة نفسها التي يستخدمها .

وبالاضافة الى ما سبق ، فان العرب لم يهتدوا الى مقارنة العربية بلغات سامية اخرى لانهم كانوا يكادون يجهلونها . أما تطبيق المنطق على اللغة فلم يكن ممكنا لانعدام النسق عندهم . ولهذا السبب تمت جميع أعمالهم على أساس مبدأ واحد : القرآن كلام الله وهو العقل والمنطق . ولغة القرآن اذن مثال اللغة العربية ونموذج تعبيراتها ، ولا بد أن يظهر في كل جزء من بنائه المنطق الالهي . واذا كان اليونان قد سووا بين اللغة والفكر وبين قوانين اللغة وقوانين الفكر ، فالنحويون العرب قد سووا بين اللغة العربية والمنطق الالهي وواجب النحويين هو ازالة الحجاب عن المنطق الذي يكمن وراء الكلمات واكتشاف أسرار اللغة (أسرار العربية) (1)

ويسعى العالم النحوي الغربي ، من وراء الظواهر اللغوية الى استخراج قواعد تمكن من تفسير تطور لغوي . أما بالنسبة للعالم اللغوي العربي فاللغة مبنية نفسها بناء منطقيا وينبغي له أن يستدل على منطق هذه القواعد ويبرهن على أن كل كلمة اينما تقع في هذا المكان على أساس من المنطق السليم ، وانطلاقا من ظواهر استثنائية معينة يقيم النحويون العرب المتأخرون — باستدلال صارم — قاعدة لغوية مطلقة وقد لعبت هذه القاعدة دورا صغيرا في مرحلة النحو العربي المتقدمة لانها غير عقلانية ولم تلائم حياة اللغة ، بيد أن هذا الدور نما فيما بعد نموا غير طبيعي واصبح النحو علما محتاجا الى استدلال ومعيار بدلا من أن يكون علما مفسرا وشارحا .

وهذا مثال لمنهجهم : تقتضي كلمة الاستفهام العربية « كم » المنصوب بعدها . لماذا ؟ يفكر العالم النحوي العربي كما يلي : تحل « كم » محل عدد . ولا يعرف السائل هل « كم » حالة محل عدد صغير أو كبير . واعراب ما بعد العدد يختلف اختلاف وقوع العدد في احدى المجموعات الثلاث : (3 — 10) أو (11 — 99) أو (100 فما فوق) وبما ان الجواب غير معروف بالتاكيد فان الاختيار المنطقي الوحيد هو مجموعة الوسط (11 — 99) . وهذه الملجموعةتقتضي المنصوب وكذلك — اذن — « كم » .

هذا مثال نموذجي لحوار النحويين العرب . فالقواعد العربية شاملة صارمة. ولا تقبل الاستثناءات. واذا حدث انحراف عنها يستعان بالتشبيه للدلالة على ان هذا الانحراف منتظم في القاعدة . ويؤتي لأجل ذلك بوجه او اوجه للشبه . واذا كان عاملان متشابهين يختار للثاني نفس العمل الذي للاول . ولا يهم أن يكون هذان العاملان قابلين او غير قابلين للمقارنة . وبما ان كل المفردات تتكون من الحروف المتحركة وبما ان هذه الاخيرة اجزاء اقسام الكلام المختلفة يمكن ايجاد علاقة بين الاسم والفعل الماضي ، مثلا ، وكلما زادت اوجه الشبه الخارجية والداخلية امكن التسوية بين أعمال العوامل المشبهة ، وبما أن هنالك خمسة اوجه للشبه بين الاسم والفعل الماضي فذلك يكفي مثلا

(1) بالعربية في الاصل .

لاثبات أن هذا الاخير له الحق ، بالضبط كالاسم ، ان يغير ، قبل سواه حركاته .

يؤتي بالبراهين من كل ميدان ومجال . فمعروف في الطبيعة مثلا أن السبب يسبق المسبب . ولذلك فلا تسمح اللغة ان تأتي الجملة الشرطية في المقام الثاني بعد جوابها في مركب شرطي . فهذه الجملة تدل على علة ولذلك يجب أن تسبق.اما الايقاع الجميل والعرف الرفيع فيفسران لنا كيف يجب أن يتبع المجرور عامل الجر فيه ، على العبد أن ينتظر حتى يأخذ السيد مكانه . وكذلك يجب على الكلمة المعمول فيها أن تقع وراء الكلمة العاملة . فيأتي مثلا المضاف قبل المضاف اليه ويقع حرف الجر قبل المجرور به.

فاللغة العربية صورة العقل والمنطق ونتيجة الفكر ، والعدالة والانسجام الالاهيين . والاستثناءات من القاعدة توجد في هذا النحو بالندرة التي توجد بها الاستثناءات من العقل في الحياة . بل لقد برر بعض النحويين المتأخرين الاستثناءات من القاعدة بواسطة المنطق . وفي الحالات التي لم يكف فيها المنطق الفيت الاستثناءات بكل بساطة من المادة الاصلية ويقف عقل النحاة فوق المادة ويسهر على عقلانية اللغة ويتساوى في العمل المعياري مع القاضي الذي انيطت به اقامة العدالة الالاهية والمحافظة عليها .

تفصلنا عوالم عن هذا المنهج وهذه النظرة **العلميين بل من الصعب علينا بمكان أن نساير هذا النوع** من طرق التفكير ولا يمكن تفسير هذا المنهج ــ كما قلت آنفا بايجاز ــ خصيصا بالنسبة الى النحو القومي العربي ، بالتأثيرات الاجنبية . فالعلم اليوناني والعلم العربي مؤسسان على مبادىء متباينة تماما . ولكن ليس من الانصاف الاستهزاء بهذا العمل العلمي . فانه يصدر عن سبب سام الا وهو واجب الانسان الاساسي في القرون الوسطى الاسلامية اعني العبادة (1) أي خدمة دين الله . ومن ثمة يأتي واجب الفرد ان يحيا حياة مستقيمة ، ومهمة العلم هي تنسيق وتأويل ما أتى به الوحي والحديث لاقامة هذه الحياة المستقيمة . ومهمة النحو كعلم من علوم اللغة ، في نشر القرآن والحفاظ عليه مهمة ممتازة للغاية ، ومن ثمة يمكن تفسير جموده فيما بعد ولكن من ثمة أيضا جاء الدافع القوي الى العمل .

والمرآة التي بحثنا فيها عن صورة اللغة العربية اكثر من مرآة بمعناها المألوف ، فهي بؤرة اشعاع **ومصدر الضوء فيها هو الدين الذي ذابت اللغة العربية في أشعته لخدمة الالاه .**

(1) بالعربية في الاصل .

الورق المهرق stencil

ذكر ابن الابار (الحلة السيراء ص 137) « انه كان لعبد الرحمن كاتب أعتاد أن ينشيء الرسائل الرسمية في منزله ثم ينفذها الى ديوان خاص يصير فيه اظهارها على الورق وهو من نوع الطباعة فتصدر في نسخ متعددة توزع على عمال الدولة » .

اللغة العربية تماشي الأمة العربية إلى الأمام لأنها جزء حي منها

الأستاذ إلياس قنصل
(عاصمة الأرجنتين)

كل سلاح وصل الى يد الاستعمار ، استعمله ، محاولا القضاء على القومية العربية .

انزل الاستعمار على المدن العربية قنابلـــه ، ووجه الى صدور ابنائها رصاصه ، وهدم ، وخرب ، وشرد ، واعتقل ، **ما شاءت له مطامعه .**

ثم حاول ــ وقد راى ان بطشه المكشوف لـــم يجد ــ زعزعة اركان الوعي القومي العربي من الداخل ، فرشد الانصار ، وجند الاعوان ، واشترى الضمائر ، ولكنه على الرغم من ذلك ، لم يستطع الوصول الى ما يبغي ، فقد كان هؤلاء الانصار والاعوان من القلـــة ، وكانت اليقظة الشعبية من الشمول ، بحيث اخفقت محاولاته ، وراي نفسه كما رآه العالم ، متعثرا بأذيال الفشل ، لا يكاد يلملم ذاته من حفره حتى يقع فى حفرة ثـــانيـــة .

واذا كان الخذلان قد اصابه فى محاولاته ، فليس المعنى ان المعركة التي استهدفت لها الامة او بعبارة اصح أن المعارك التي ساقها اليها ، كانت معارك هينة لينة ، كلا ، لقد كانت جولات عنيفة ، تركت فى جوانب الامة جراحا ضمدت بعضها ، ولا يزال بعضها ينزف بالدم ، الى الآن .

صوب الاستعمار حرابه الى سائر مقومات الامة العـــربيـــة :

الى اخلاقها ، يريد ان ينفـــذ بالفجـــور الى مناعتها ، فينهار تماسكها .

الى تاريخها ، يريد ان يشوه معالمه الواضحـــة العالية ليزيل الاتصال بين الماضي والحاضر .

الى نشئها ، يبغي أن يبث فيه من الانفلات ما يذيب شخصيته المامولـــة .

الى اقتصادها ، يرمي الى وقفه عند حد محدود ، فلا يتفاعل مع امكانيات النشاط .

الى كل شيء .

وقد كان « للغة العربية » نصيب وافر من تلك الحراب المصوبة التي تقطر بالسم الزعاف .

طلعت الدعوات العديدة تشير الى وجوب البحث فى « تطوير » اللغة ، ولم يكن القصد لا التطويـــر ولا ما يشبه ذلك من بعيد أو قريب .

كان القصد ايجاد البلبله فى اجزاء الامة التـــي تتكلم هذه اللغة ، واحداث شكل من أشكال الفوضى قد يمتد الى عوامل لها علاقة وثيقة باللغة .

كان القصد منها ــ الى ذلك ــ شغل فئة مـــن حملة الاقلام بالاخذ والرد والمماحكات والمناقشـــات البيزنطية ، وصرفهم عن اذكاء نيران الحماســـة فى النفوس لمحاربة الاستعمار .

لا نقول ان جميع الدعوات التي تعالت مطالبـــة بالاصلاح ، كانت من ايحاء الاستعمار ، فقد تنزه بعضها ، عن ذلك ، ولكننا نقول **ان معظمها كان مدفوعـــا مـــن الاخطبوط المذكور .**

والذي يراجع تاريخ هذه الدعوات يجد ظاهرة من اغرب الظواهر لا يمكن أن تكون من عمل الصـــدف :

كانت هذه الدعوات **تطل برؤوسها عندما يشتد ضغط الشعب مطالبا بالحقوق المغصوبة .**

ان هذه الدعوات لم تكن تظهر أبدا في فترات السكون السياسي ، والاستكانة القومية وهي الفترات التي كانت حرية بأن تظهر اثناءها ، لان هذا الاصلاح ــ اذا صح ان مرماه الاصلاح ــ يحتاج الى درس ، لا يتم الا تحت ظلال الاطمئنان .

قال هؤلاء فيما قالوا :

ان اللغة العربية فوق مستوى الجمهور ، وانها وقف على طبقة معينة من الامة ، وان هذا عيب من عيوبها ، تلافيه أن تكتب بلغة الشعب بالعامية ...

ولو تم لهم ما أرادوا ، لقضي القضاء المبرم على واسطة التفاهم بين الاقطار التي تضمها الفكرة العربية

لقد رأى هؤلاء ان اللغة العربية ــ في حالتها الحاضرة ــ تجمع السوري الى المراكشي ، كما تجمع المصري الى الويتي ، كما تجمع العراقي الى اللبناني حتى لا يكون بين المجتمعين اي فارق ، مهما كان ، فكان المقيم في أقصى القارة الاسيوية كالمقيم في ادنى القارة الافريقية .

راي هؤلاء المطالبون باصلاح اللغة ذلك ، فهالهم **الامر الذي يكاد يكون منقطع النظير في ادوات التفاهم، فعمدوا الى تفكيك هذه الوحدة ، وبرزوا بالنغمة « النشاز » : تحويل اللغة الفصحى الى العامية ،** اي وضع حدود او شيء كالحدود بين اللهجات المختلفة بحيث يصعب التفاهم بين قطر وقطر ، واذا لم يصعب، فلا اقل من أن يكون ثقيلا .

ولو كانت نية هؤلاء ما قالوه ، لدعوا الى رفع العامية من مستواها الى المستوى الذي تتقرب فيه من الفصحى كما يفعل الزمن دون ان يشعروا ، فالاصلاح الحقيقي هو ان تتجه الى الكمال ، لا ان تنحدر الى الناقص ، ومن البديهي الذي لا يكابر فيه ان الفصحى هي رمز الكمال ، لا العامية .

وقال هؤلاء فيما قالوا :

ان اللغة العربية ذات صرف معقد ونحو غامض ، وان الافكار تنصرف عنها لهذه الاسباب التي يستطاع ازالتها بمحو جميع العقد منها ، وملاشاة الغموض ، اي بترك الحبل على الغارب ، لمن يشاء ، ويتحول الاعراب فيها من قضايا منطقية ذات قواعد،الى مجموعة من عناصر التشويش التي لا يضبطها منطق ، ولا تنتظم في قاعدة . وينسى هؤلاء او يتناسون **ان جميع لغات الدنيا التي تتداولها المحافل المحترمة لا تخلو من قواعد وقياسات وانظمة** وما اليها ، وان بعض اللغات التي يعتبرونها مثالية شواذ لا يقاس اليها ما في لغة الضاد .

وقالوا فيما قالوا :

ان الاحرف العربية في هندستها الراهنة ليست أحرفا تماشي الحضارة التي بلغتها الدنيا ، وان الواجب يقضي باستبدالها بحروف فرنجية ، أو بحروف لا هي بالفرنجية ، ولا هي بالعربية .

وما يرمون اليه من هذا الاقتراح واضح : **انهم يرمون الى وضع حاجز بين الجيل الحاضر والتراث العربي القديم الخالد ، انهم يرمون الى القضاء دفعة واحدة،على ثمرات الفكر العربي في الاجيال الماضية** وينسون او يتناسون ان التراث الفكري العربي القديم لا يشكل مفخرة من مفاخر العبقرية العربية فحسب ، ولكنه يصل الينا ، وهو خلاصة التجارب الفكرية في المدى العربي ، وهو عصارة الفلسفة العربية في نظرها الى الحياة ، والى ما في الحياة من مشاكل .

وقالوا فيما قالوا : اشياء كثيرة لا تحرج عن هذا النطاق ، ولكنها مفضوحة النيات ، مكشوفة المعاقل.

لقد استطاعت اللغة العربية ان تعبر عن ادق الخوالج الانسانية ، وان تستوعب دقائق الفنون والعلوم في مختلف العصور الماضية ، فكيف تعجز الآن عن النهوض بهذه المسؤولية ، وقد سهلت أمامها الوسائل التي لم تكن متوفرة في العصور الفائتة ؟ كيف تعجز الآن عن ذلك ، **وقد تكشف للعلماء كثير من اسرار تراكيبها ومشتقاتها كانت مغلقة على الذين نقلوا اليها العلوم والآداب من الامم الغربية ؟**

نحن لا ندعو الى الجمود .

اننا نعرف ان تقدم الحضاره يتطلب ان ترافق اللغة ما يظهر من اختراعات ، ولكننا نعرف كذلك **ان اللغة العربية في وسعها ان تجاري التقدم مجاراة ليس بعدها زيادة لمستزيد ، فهي لغة لها اتساعها في مفرداتها ولها دقتها في جلاء اخفى ما تنطوي عليه النفس من شعور ، ولها غزارتها في منح ما يتطلبه الراغب في استيعاب مكنوناتها الدفينة ، ولها جمالها الذي لا يماثله اي جمال في اية لغة أخرى .**

ان اللغة العربية فيها ((حياة)) يكاد المرء يلمسها كما يلمس الحياة فى الكائن الحي الانساني ، وهي ، الى انها اداة للتعبير والتفاهم ، **آصرة من أواصر القومية كان لها عملها فى الاحتفاظ بهذه الروح التي نجدها الآن فى العالم العربي .**

والاستعمار لم يكن على خطأ ، حين وجد فيها ، **قوة من قوى العروبة ،** بقاؤها على جبورتها ، نذير له بأن الوحدة العربية التي يخاف منها ، باقية الاصول ، ينميها الزمن ، ويغذيها الجهد المخلص **اربعمائة سنة أو نزيد ، بقيت اللغة العربية تجابه الطغيان العثماني ، مجابهة ، خرجت منها فائزة منتصرة ،** وارتد الطغيان مدحورا مكسورا .

وعادت قوى الشر التي حشدها الاستعمار الحديث ، فشنت عليها الغارات المتواصلة ، ولم تكن النتيجة الا ما شاء الحق ، **وبقيت اللغة العربية فى حصن حصين من مناعتها الطبيعية ،** ولم تؤثر عليها هجمات الموتورين الحانقين .

والقومية العربية تعرف **ان اللغة احد الاسلحة الفعالة فى درء الاخطار المخيفة بها ،** وهي لذلك تحرص على سلامتها حرصا لا يمكن ان يتسرب اليه الوهن ، وهي لذلك تمر بالدعوات التي تبدو بين الحين والآخر مرور الاحتقار والامتهان ، لانها تدرك ان الداعين لا يضمرون لها الاخلاص ، ولو اضمروه لتوجهوا الى ايجاد الاصلاح الحقيقي ، لا الى هذه الحملات التي لم تعد تخدع احدا .

ان لغة الضاد التي رافقت امتها فى جميع الادوار وانبعثت منها الطرائف الخالدة ستظل تماشي هذه الامة فى مراحلها الى الامام لانها جزء حي منها .

تحقيقات لغوية

الأستاذ

عبد القادر زمامة

في مقال سالف تحدثنا عن كلمات : الشكازة والشكاز . والحوالة . والوادي بمعنى النهر والنسبة الى مقرة ... !

وفي هذا المقال نتابع الحديث بالكلام على : المصارة والمسرة ... !

المصارة : كلمة معروفة ومستعملة في كتب المؤرخين والجغرافيين الاندلسيين . كما انها معروفة ومستعملة في المغرب نجدها في عدة مصادر تاريخية مخطوطة ومطبوعة سنشير اليها فيما بعد ... !

والمعنى الاجمالي الذي يتبادر الى ذهننا لهذه الكلمة . عندما نجدها في النصوص الاندلسية والمغربية هو انها تعني عند الذين يستعملونها في كتاباتهم ... الفضاء الفسيح الذي يقع خارج المدن الكبرى وتحيط به الجنات والحقول مما يجعله معدا لاقامة المهرجانات والافراح العامة .. والتمتع بجمال الطبيعة في فصل الربيع ... !

لكن هذا المعنى الاجمالي الذي ندركه من خلال الاستعمال . لا يكفينا في ميدان التحقيق اللغوي الذي يحدد المعاني بدقة . استنادا على نصوص معجمية . او استعمالات اصطلاحية معينة .. !

لذا كان البحث هنا في هذه الكلمة منصرفا الى نقطتين :

الاولى : الدلالة الحقيقية لهذه الكلمة .

الثانية : الرسم الصحيح لكتابتها

ولنبدأ في النقطة الاولى ... بالاشارة الى بعض الكتب الاندلسية التي استعمل مؤلفوها كلمة المصارة لنرى مدلولها هناك ... !

— فمؤلف الكتاب المسمى (باخبار مجموعة) يستعمل كلمة المصارة باعتبارها اسم مكان معين يقع خارج عاصمة قرطبة ... ! جرت فيه عدة احداث ومعارك بين عبد الرحمان الداخل الاموي ... وبين محاربيه قبل ان يتم له الامر ... !

بل اننا نجد مؤلف هذا الكتاب يذكر المصارة في اخبار ثعلبة بن سلامة سنة 124 هـ . قبل مجيء عبد الرحمان الى الاندلس ... وقد اقام ثعلبة هذا سوقا عند المصارة ... وباع بها اساراه من خصومه المغلوبين ... !! (1)

— ومؤرخ الاندلس ابو مروان ابن حيان القرطبي (377 هـ — 469 هـ) يذكر المصارة عدة مرات

---

1) اخبار مجموعة ... ص 45

وذلك فى القسم المطبوع من كتابه (المقتبس) فى بيروت 1965 م ... وذكر ابو حيان فى القسم المذكور استقبالات كبرى جرت فى مصارة قرطبة احتفالا بضيوف الاندلس الوافدين على عاصمتها اذ ذاك..!!(2)

كما ذكر أشياء اخرى وقعت فى هذه المصارة .. !

وفى هذا الكتاب وفى غيره نجد مصلى المصارة (3) لكن المصارة ليست موجودة فى قرطبة

وفى هذا الكتاب ليست موجودة فى قرطبة وحدها بل ان هناك عدة مدن اندلسية نجد فيها مصارات اخرى لا غرض لنا باستقصائها الآن .. !

ويكفينا الآن أن نرجع الى القسم المطبوع من كتاب (ترصيع الاخبار وتنويع الآثار) الذي الفه الجغرافي الاندلسي احمد بن عمر العذري المعروف بابن الدلائي لنجد فيه خبرا عن : « وقيعة المصارة بلورقة » (4) باقليم مرسية ، وبذلك تأكد لنا ان

(المصارة) ليست علما على موضع خاص فى قرطبة . . ! بل هي « اصطلاح » اندلسي عرف واستعمل عند الاندلسيين منذ سنواتهم الاولى ... حتى صار لكل مدينة كبرى هناك مصارة ...!

ولابد ان نتساءل عند البحث ... عن الكيفية اللغوية التي نشأ بسببها هذا الاصطلاح هناك ... ! وعند الرجوع الى (تاج العروس) نجد هذا النص اللغوي :

« مصر الفرس كعني استخرج جريه .. ! والمصارة بالضم الموضع الذي تمصر فيه الخيل ..!»

فالمادة لغوية معجمية ما فى ذلك من شك ...! والمعنى اللغوي لكلمة المصارة كما شاهدنا فى النص . هو الميدان الذي تطلق فيه الخيل لاجل العدو والسباق واستخراج الطاقة الحيوانية .

ومن شأن الميدان المعد لذلك أن يكون خارج المدينة فى فضاء فسيح .. !

فاذا اطلق الاندلسيون كلمة (المصارة) على الفضاء الفسيح المحيط بمدينة من مدنهم الكبرى المشتمل عادة على الحقول والجنات والميادين الواسعة ... فان ذلك ضرب من ضروب المجاز اللغوي المعروفة المستعملة فى فصيح اللغة ...!

اما اذا كان هذا الفضاء مستعملا كلا او بعضا لعدو الخيول وسباقها بالفعل ..! فان الاطلاق يكون اذ ذاك حقيقة لغوية ... لا مجازا ..!

وبهذا ظهر ان كلمة (المصارة) لها أصل لغوي صحيح . وان الاصطلاح الاندلسي مبني على هذا الاصل ...! فلا مجال فيها للتوقف ..! لا من جهة الاصل ..! ولا من جهة الدلالة ..!

وفى المغرب نجد الكلمة مستعملة عند عدد من المؤلفين . الا اننا سنشير الى بعض النصوص التي وردت فيها على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء..!

— فمؤلف كتاب : (روض القرطاس) يقول : « ويحصد الزرع بفحص المصارات — كذا — التي بخارج باب الشريعة من ابواب عدوة القرويين عن اربعين يوما ...! وقد شاهدت الزرع حرث بالمصارة المذكورة فى خامس عشر من شهر ابريل . وحصد فى آخر مايه ..!! » (5)

— ونجد الروض المريني المسمى بروض المصارة مذكورا فى عدة مصادر كتبت بأقلام اعلام ذلك العصر .. ومن بعدهم .. !

— فابن الخطيب فى (نفاضة الجراب) يذكر جنة المصارة ويعبر عنها مرة أخرى بروض المصارة. ويصف المهرجانات والاحداث التي شاهدها هناك ..!(6)

— وابن خلدون فى (العبر) يذكر روض المصارة الذي انزل به ابو الحسن المريني ضيفه ابن الاحمر وكان هذا الروض لصق دار ابى الحسن ..! كما يقول ابن خلدون .. ! (7)

---

2) الارقام المذكورة فى فهرسة القسم المذكور ... !
3) ابن عذاري ج 2 ص 199
4) نصوص الاندلس ص 5 معهد الدراسات الاسلامية بمدريد 1965 م
5) الجزء الاول ص 59 . ط . الرباط 1936 م وانظر ايضا ص 54 من نفس الجزء ... !
6) نفاضة الجراب ص 184 و 213 و 217
7) العبر ج 7 ص 531 . ط . بيروت 1959 م

وغني عن التاكيد اننا هنا بصدد البحث عن (كلمة) المصارة .. ! لا عن (موضع) المصارة ...

واشتهرت هذه الكلمة فى عصر بني مرين وفى الوثائق المتعلقة بعاصمتهم ... ومن اجل ذلك تداولتها الالسنة والاقلام طوال قرون بعدهم . واستمر ذلك الى الآن ... ! فى الوثائق الخطية المتعلقة بالاملاك التي كانت تجاور المصارة لمعينين أو للاحباس ..!

ولا شك ان رسم الكلمة رسما صحيحا يتوقف على استحضار اصلها اللغوي ومعرفته ... ! فاذا نسي هذا الاصل او اهمل ..! فان الكلمة تاخذ طريقا او طرقا الى التحريف والتصحيف ... ! وهذا ما حدث فى كلمة المصارة ...

وقد وصلنا الآن الى النقطة الثانية ... وهي الرسم الصحيح لكتابتها ... !

ونشير هنا الى اننا لاحظنا فى الوثائق التي مرت امام اعيننا « وجلها من الصكوك المخطوطة » ان هناك من يكتبها ... المصارة ..! (بالصاد) ومن يكتبها المسارة ..! (بالسين)

ولا يبعد ان يكون غيرنا قد اطلع على رسمها رسما ثالثا أو اكثر .. !

— وفى مقدمة (جذوة الاقتباس) لابي العباس ابن القاضي نجد ناسخ الكتاب كتب المصارة هكذا « جنات المسارة » بالسين .. !

ولا شك ان ما تدمناه كاف لاقناعنا ان رسم الكلمة الصحيح لغة واصطلاحا هو (المصارة) بالصاد ... لا بالسين .. !

والغريب ان هذا التصحيف الذي لمسناه فيما يرجع للمصارة المغربية فى عاصمة بني مرين قد لحق المصارة الاندلسية فى عاصمة الامويين .. ! بناء على ما جاء فى صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ... ! (8)

وننتقل الى كلمة — المسرة —

ففيما يرجع الى الدلالة اللغوية نجد المسرة مصدرا ميميا للفعل سر ...! كما نجدها اسما لأطراف الرياحين ... (9)

اما فى المسموع بين الناس فى المغرب . وكذلك فى بعض الكتب التاريخية فان المسرة تعني جنة فيحاء من جنات مراكش الحمراء وقد اسست هذه الجنة وغرست وجرت اليها المياه على عهد الموحدين ..!!

وعلى المنهاج الذي سرنا عليه فاننا نبحث عن (كلمة) المسرة ... ! لا عن (موقعها) او (صفاتها) التي ذكرها المؤرخون ..! او بعبارة اوجز وادق .. فاننا نبحث عن الاسم لا عن المسمى ... !

فهل سمى الموحدون منشآتهم التي غرسوها بانواع الاشجار والرياحين فى مراكش بهذا الاسم — المسرة — فعلا ... ؟؟

ومع اعترافنا من الناحية اللغوية بصحة تسمية الرياض وما فى معناها باسم المسرة . لكونها ظرفا للسرور الانشراح ... او سببا من اسبابهما . او لغير ذلك من العلاقات ..! فان البحث هنا منصرف الى شيء آخر ... وهو كما قلنا آنفا .. :

— هل سمى الموحدون منشآتهم التي غرسوها بانواع الاشجار والرياحين فى مراكش بهذا الاسم — المسرة — فعلا .. ؟؟

ونؤكد اننا لا نشك ان الموحدين جملوا عاصمة الامبراطورية الكبرى بعدد من الحدائق والجنات والقصور والمساجد والمبرات ... !

ولكن هناك فرقا بين « انشأوا » وبين « سموا » ونحن نبحث عن الثانية دون الاولى ... دفعا لكل التباس ..!

فالمؤرخون الذين تناولوا تاريخ مراكش وهم كثيرون يذكرون « المسرة » باعتبارها من منشآت الموحدين ونكتفي هنا بالاشارة الى المقدمة الحافلة لكتاب « الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام » لمؤلفه القاضي عباس ابن ابراهيم رحمه الله ... ! فاننا نجد فيها نقلا عن المؤرخين .. ان عبد المومن « انشأ » المسرة ... ! التي بظاهر جنان الصالحة ... كما نجد ان عبد المومن « انشأ » المسرة وهي البستان الذي « جدده » المنصور الذهبي ... ! (10)

وبحثنا — جهد الامكان — منذ مدة فى المصادر والكتب التي لابس مؤلفوها دولة الموحدين وعرفوا

---

8) المجلد الثالث عشر مدريد 1965 م — 1966 م
9) اعتمدنا على تاج العروس فى المادة ..!
10) انظر من الصفحات 67 و 86 و 94 .

عاصمتهم مراكش . ومنهم من سكنها فعلا فى العصر الموحدي ... ! فلم نجد فيها تسمية ما انشاه الموحدون هناك باسم « المسرة » ولا باسم « المصارة » .. !! بل وجدنا اسماء اخرى لا غرض لنا بذكرها الآن ... !

واهم هذه الكتب الموحدية هي :

— الاستبصار فى عجائب الامصار

— المعجب فى تلخيص اخبار المغرب

— القسم المنشور من نظم الجمان لابن القطان .

— تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة

— مجموع رسائل موحدية

— كتاب المؤرخ البيدق

بل اننا نجد المؤرخ البيدق يذكر فى كتابه : اخبار المهدي. ان عبد المومن كلف اميرا من امراء الاندلس وهو احمد بن ملحان ..؟ ملك وادي آش ..! بتنسيق بستانه العظيم الذي انشاه بمراكش وهذا البستان يسميه البيدق « شنطولية » (11) .

فهل جاءتنا كلمة « المسرة » التي نراها عند بعض المؤرخين من تعريب كلمة « شنطولية » التي حافظ لنا عليها المؤرخ البيدق .. ؟؟

ولا بد لنا هنا من تطبيق القاعدة المعروفة فى الابحاث العلمية وهي :

— ان عدم الوجدان لا يقتضى عدم الوجود ... !

فاذا لم يتيسر لنا الآن الاطلاع على نص موحدي فيه كلمة « المسرة » فمن الجائز ان غيرنا من الباحثين — مستشرقين أو عرب — قد اطلعوا عليه فعلا .. أو سيطلعون عليه فى مخطوط أو مطبوع ... !!

اذ ان من السهل ان يثبت الباحث شيئا وقف على نص يثبته ... ولكنه من الصعب أن ينفي شيئا لم يجد له نصا ... !!

هذا اذا كان يحترم منطق العلم .. !

ويطبق آداب البحث ... !

واذا كان المؤرخون الذين كتبوا مؤلفاتهم بعد عصر الموحدين قد استعملوا كلمة « المسرة » فيما يرجع لمنشآت الموحدين بمراكش ...! فانهم استعملوا كلمة «المصارة» فيما يرجع لمنشآت المرينيين بفاس..!

ولكن لا ينبغي ان نستنتج من ذلك نتائج جزافية او نفرض فروضا خيالية لا سند لها من النصوص ... لهذا كان من اللازم ان نتابع البحث الذي بدأناه .. ونسير به فى كتب المتأخرين كما فعلنا فى كتب المتقدمين

— فالمؤرخ اكنسوس فى (الجيش العرمرم) وهو خبير بتاريخ مراكش وفاس .. يذكر فى كتابه ... مسرة الموحدين بمراكش(12) كما يذكر مسرة فاس..! ويقول عن هذه الأخيرة بالحرف : « واما المسرة فليست الا على ضفة نهرها المطرد ... ! (13)

فعن مسرة مراكش فان كلام اكنسوس يدخل فى عموم كلام المؤرخين الذين كتبوا مؤلفاتهم بعد عصر الموحدين ...! حيث اننا تحفظنا ونتحفظ الى ان نجد نصا موحديا يسمي منشآت الموحدين «مراكش باسم (المسرة) فعلا ... !

وعن مسرة فاس ... ؟

فان الامر يستدعي أن يقوم دليل يدل على ان هناك بفاس شيئين اثنين :

(المصارة) التي تحدثت المصادر عنها كما شاهدنا ذلك فى النصوص السابقة ... !

(والمسرة) التي ذكرها اكنسوس ... ! والحالة هذه . ونحن لحد الآن ... لا نعرف الا الاولى .. !

— والمؤرخ الواعية أبو العباس المقري حدثنا فى كتابيه : روضة الآس ... ونفح الطيب عن روض المسرة الذي هو ثالث مصانع المنصور الذهبي .. (14)

للبديع ..! والمشتهى ..! والمسرة ..! والظاهر انها كلها بمراكش ..!

ويقول المقري ان المنصور الذهبي ورى بمصانعه الثلاثة فى بيتين انشدهما ..

11) اخبار المهدي ابن تومرت ص 120 . ط باريز 1928 م .
12) الجزء الثاني ص 10 و 22
13) المصدر السابق ص 55
14) النفح ج 7 ص 80 و 81 . ط . بيروت وزهرة الآس ص 25 ط . الرباط

بستان حسنك (ابدعت) زهراتــه
ولكم نهيت القلب عنه فما انتهــــى

وقوام غصنك (بالمسرة) ينثنـــــي
يا حسنه رمانــة (للمشتهــــى)

فالمنصور الذهبي المتوفى سنة 1012 هـ حينما سمى احد مصانعه العظمى بمراكش .. باسم (المسرة) كان يعبر عن رغبة خاصة ! كالرغبة التي دفعتــــه ليسمي المصنعين الآخريــن باســـــم (البديع) و (المشتهى)

ولهذا تكون (مسرة) الذهبي بمراكش امـــرا واقعا ليس له من دافع .. !

اما (مسرة الموحدين) بهذا الاسم فتحتـــاج فى راينا المتواضع الى نص موحدي يثبت ان الموحديــن استعملوا هذا الاسم .. !!

والذي يزيدنا اطمئنانا على هذا (التحفظ) الذي تحفظنا به فى شأن كلمة (المسرة) هو ان ابا العباس المقري كان متمكنا من معرفة الاسماء والمسميات فى الموضوع ...

فقد وجدناه يفرق بين (روض المسرة) الذي هو من مصانع المنصور الذهبي بمراكــش .. ! فيكتـــب (المسرة) هكذا بالسين وبدون الف ... كما فى النص الذي اشرنا اليه قبل فى نفح الطيب وروضة الآس ...

وبين (قصر المصارة) بفاس الذي هو مـــن منشآت المرينيين فيكتب (المصارة) بالصاد بعدها الف ... كما هو الصواب .

وقد حدثنا المقري عن قصر المصارة المريني وروى لنا شعر ابن خميس الذي سمعه أبو عنان فى هذا القصر ... ! (15)

---

15) ازهار الرياض ج 2 ص 316

دخيل أم أثيل

الأستاذ عبد الحق فاضل

– 4 –

الـدرب :

الطريق ، ار : (دربو darbo)

اصل معنى الدرب هو الباب الاكبر ، وبـــاب السكة الواسع الذي صرنا نسميه البوابة ، مقابل (gate) بالانكليزية.

اما اثل اللفظة فهو (الدار) بالعربية و (دور dour) بالآشورية كالذي تطرتنا اليه في العـدد الماضي من اللسان العربي ، وتوجد الكلمة بشكليها العربيين في الفارسية (در dar) ودرب (darb) بمعنى الباب وبشكلها الآشوري في الانكليزيـة (دور door) بمعنى الباب ايضا .

وهذا ينبيء بكل وضوح ان (الدار) كانـت تعني الجدار الذي (يدور) اي يحيط بالبيت اول الأمر (كما ذكرنا في العدد السابق) ثم اطلقت على البيـت نفسه ، ثم على باب البيت ، ثم على باب السكة ، ثم على السكة اي الطريق . وعندئذ ظهرت في الارميـة بصيغة (دربو) بهذا المعنى الاخير .

الـدراج (زنة الدكان) :

طائر يشبه الحجل ، ار : (دروكو drogo) .

انما سمي الحجل بهذا من مشيته لانه يبدو حين يسير كانه يحجل ، ومثل ذلك سمي الدراج مـن مشيته لانه يدرج اي يمشي قبل ان يطير ، وللدرج في العربية مشتقات كثيرة ليس هناك ما ينبيء أن اسم (الدراج) ليس منها . واثل اللفظة (الدر) — زنة الجر — ومنه الدرير : السريع من الدواب .

الدراعـة (زنة الرمانـة) :

جبة مشقوقة المقدم ، ار : (دورعو dour'o) : ثوب تحتاني من صوف عند الرومان .

ان (الدرع) اثلها (الدرء) اي الدفع وهـذه اثلها (رد) ، وانما سميت الدرع بهذا لانها تدرأ اي ترد عن المحارب ضربات تريعه ، ولما كانت الدرع تلبس كالثوب صارت تطلق على بعض الملابـس استعارة ، ومن ذلك درع المراة : قميصهـا ، ودرع الجارية الصغيرة : ثوب صغير تلبسه في البيت . ومن ذلك سموا الليف الذي يكسو النخلة (درعة) زنـة جرعة . فلا عجب أن أطلقوا (الدراعة) على الجبـة المشقوقة المقدم . وبنفس المعنى قالوا (المدرعة) — زنة المقرعة — ايضا . لكن اللغويين لم يقولوا ان هذه الاخيرة من الارمية لانهم لم يجدوا لها فيها شبيها.

ويلاحظ أن الصيغة الارمية يقابل مبناها درع المراة ، لا الدراعة التي تعني الجبة المشقوقة المقدم ، كما أن معناها لا يطابق الثوب التحتاني الصوف عند الرومـــان .

ادركت الشيء :

علمته ، فهمته ، ار : (درك drak) دخل مكانا .

نشترط في ترسيسنا اللغوي التشابه في اللفظ والمعنى جميعا ، والا فان مجرد الشبه اللفظي لا يؤدي الى نتيجة يعول عليها . فكلمة zink (خارصين) بالانكليزية مثلا لا نستطيع أن نقول انها بنت (زنق) العربية ولا امها ، لأن تباين المعنى لا يسمح لنا بمثل هذا الادعاء . لكن لما كان المعنى الباقي من (الزنق) في المعجم هو جعل (الزناق) تحت حنك الفرس اي ذقنه كان في وسعنا أن نقول ان (زنق) هذه بنت (الذقن) العربية وأم (زنخ zenakh) الفارسية التي تعني الذقن أيضا .

فاذا كانت (ادرك) العربية بمعنى فهم تشبه (درك) الآرمية التي تعني (دخل مكانا) فلا نرى وجها لاعتبار أيتهما مقتبسة من الثانية ، وبينهما هذا التباين في المعنى .

لكننا نستطيع أن نرشدهم الى أثل هذه الكلمة الارمية في العربية وهو (أدرج) الشيء في الشيء : ادخله ، ومن ذلك (الدرج) — زنة البرج — بمعنى السفط والقمطر لانهم يدرجون فيهما الاشياء اي يدخلونها . ومن ذلك قولك أدرجت العبارة بين السطور بمعنى ادخلتها ، وصارت تعني دونتها أيضا .

وما اظننا بحاجة الى تعداد استعمالات مادة (الدرج) وتطوراتها الكثيرة في العربية لنبرهن على انها أثل (درك drak) الآرمية .

داس الحنطة :

درسها ، ار : (دوش doch) .

أثل الدوس في العربية هو (الدش) — زنة الرش . ومن ذلك قالوا دش القمح ونحوه : رضه . والدش أثله ورسه (الدق) ، والدق من محاكاة صوته . ومنه الدك أيضا . فالدش هو أثل (دوش) الآرمية والدوس العربية كليهما . اما في الانكليزية فهي dash : حطم .

الراحة :

هي الاستراحة . ار : (روحتو rawhto) من (روح) : تنفس .

تحدثنا عن الراحة والروح والريحان والمروحة.. في عدد سابق ، وبرهنا على أثالتها في العربية .

الرب (زنة الضب) :

المولى ، ار : (ربو rabo) : كبير ، استاذ رئيس .

وردت الكلمة في البابلية أيضا ومنها اسم حمورابي (= حمو : الحمو او الأب + رابي : الكبير)

وأثلها هو فعل ربا يربو الذي أصل معناه الارتفاع بدليل ان الرابية هي ما ارتفع من الأرض . وهذا الفعل أثله (ربأ) بالهمزة بمعنى ارتفع ، ولكل من هذه الافعال الثلاثة (رب وربا وربأ) اشتقاقات كثيرة لا تدع مجالا للشك في أثالة عروبتها . وان اردنا ترسيسها زيادة في الاقتناع فان (ربأ) أثله رفع وهذا من فرع وهذا من فرق وهذا من فر (أي محاكاة صوت أجنحة الطائر عند فراره) .

الرب (زنة الدب)

ما يخثر من عصير الثمار ، ار : (روبو roubo) .

ان هذه الكلمة وان كانت من نفس مادة الكلمة السابقة فان أثلها يختلف عن أثلها . فالرب هنا من الكلمات المائية الكثيرة التي تنتهي بالباء مثل : الجب والصب والعب والسرب والشرب .. وأثلها جميعا (آب) : ماء . اما (الرب) فأثله المباشر الروب ، وقد قالوا راب اللبن : خثر فهو رائب ، وأصل معنى (راب اللبن) هو موه الحليب اي انفصل (ماؤه) فتكثف قوامه وخثرت مادته : ومن روب اللبن نشأ الرب بمعنى التخثر عامة ومنه تخثر عصير الثمار ، ثم ظهر في الآرمية .

الربة (زنة الخفة) :

الجماعة الكثيرة من الناس ، ار : (ربوتو rêbouto) .

هذه الكلمة أيضا أثلها ربا يربو ، وهذا أثله ربأ يربأ (بالهمزة) بمعنى ارتفع كالذي تقدم بنا . ومن

معنى الارتفاع قالوا ربا النبت بمعنى ارتفع وطال اي نما ، ومن ثم صارت الكلمة تعني النماء والزيادة والتضخم ، ومن ذلك (الربا) عن المال أي الزيادة المستوفاة عن القرض . ومن ثم صارت الكثرة والزيادة من معاني (رب يرب — بالتشديد ايضا — ومنها الجماعة الكثيرة من الناس .

الربل (زنة الخشن)

نعت للرجل يعني الجسيم . أر : (ربل rbal) : انتفخ .

فعل الربل ايضا كثير الاشتقاقات واكثرها تعني النماء والتضخم . من ذلك تربل الرجل : كثر لحمه ، وتربل جسمه : انتفخ . واثله فعل ربا يربو . ومنه ربا الفرس : انتفخ . ومنه ربى (بالتشديد) تربية بمعنى انشأ وانمى . ومنه تربية الولد .

الربالة (زنة الزمالة) :

كثرة اللحم ، يقول انها من اصل الربل الارمي آنفا .

ونقول فى هذه نفس ما قلناه فى تلك .

الربلة (بفتح الباء او تسكينها) :

اصل الفخذ . كل لحمة غليظة ، يقول انها من اصل الربل الارمي .

ونحن نقول فيها ما قلناه فى الربل .

ربا الولد :

نما . أر : (ربو rbo من (ربو rabo) : كبير . نوهنا بمعناها فى (الربل) آنفا .

ربى الولد :

انماه . أر : (ربى rabi) .

هذا الفعل المضعف هو الفعل المتعدي من فعل (ربا يربو) الآنف الذكر .

الربوة (زنة النسوة) :

الجماعة العظيمة من الناس ، نحو عشرة آلاف . أر : (من اصل الربة) .

هذه أيضا من الكثرة والنماء ، ولم يكن بهم حاجة الى ذكر كل هذه الالفاظ المشتقة من لفظة واحدة . لكنهم وجدوا لكل منها ما يقابلها فى الارمية فظنوها الاثول الأرمية بينما يعني الأمر بمفهومنا أن هذه الالفاظ الارمية القليلة هي المقتبسة من بين العشرات من الصيغ العربية .

الراجل :

الجندي من المشاة . أر : (ركلويو regloyo) .

الراجل مشتق من الرجل (بكسر الراء) لانه يسير برجله خلاف الراكب . والرجل — بفتح فضم — أيضا مشتق من الرجل لأنه يسير على رجليه فى العادة خلاف النساء والاطفال . وما زال الرجل يسمى (الراجل) بالدارجة المصرية . والسوريون يسمون الرجلين (اجرين) ، وكنا قبل اهتدائنا الى الترسيس نظن هذه الصيغة محرفة من الرجلين لكن يبدو لنا الآن انها اثيلة وان (الرجلين) هي المحرفة منها . ومفرد (اجرين) السورية هو (اجر) .

وقد قال العرب (جرى) : ركض . وفعل الامر هو (اجر) . ويظهر ان هذه الصيغة هي التي صارت تعني الرجل (بالكسر) ثم اندثرت فى الفصحى وبقيت فى السورية الدارجة . لهذا فان (ركلويو) الأرمية تبدو مقتبسة من (الراجل) وهذه من (الرجل) وهذه من (الاجر) — بكسر الهمزة — وهذه من فعل الامر: اجري اجري اجري .. وصلني يا عم وصلني .. . . .

الرحيق :

البعيد (معنى ممات) ، الخمر . يقول المؤلف « كان الخمر يأتي الى شبه جزيرة العرب من بعد بعيدة » . أر : (رحيقو rahiqo) : بعيد .

لا علم لي بعلاقة البعد بالخمرة العربية ، لكني ارجح أن المعنى من القرح والقراح . ولا شأن لنا هنا بالقرح والتقريح بمعنى الجرح والجريح اللذين اثلهما الحرق .

اما قرحنا (بضم القاف) فهو أول ماء يستنبط من البئر حين تحفر . ومن البديهي ان هذا المعنى الخاص كان عاما أول الأمر . لكن القراح (بفتح القاف) هو الماء الخالص ، وهنا لابد لنا أن نلاحظ ان الرحيق يسمى (رحاقا) — زنة الفرات — ايضا بالعربية ، والرحيق والرحاق من اثل (أهرق اهراقا) و (هرق هرقا) بمعنى اراق أي سكب وسفح . و (هراق) من (اراق) وهذا من (الريق) — زنة العين — أي الماء، وتسمية الخمر من الماء ليست فريدة ، فالفارسية ايضا تدعو الخمرة (مي may) من (ماء) العربية كما تنطق في الدارجات : ماي بالعراقية ، وميه بالمصرية .

واكثر اشتقاقات الرحيق في العربية تعني الصافي والخالص . فالحسب الرحيق : الخالص لا شوب فيه ، والمسك الرحيق : الخالص لا غش فيه .

لهذا يخيل لنا ان معنى (البعيد) الممات الذي كان يعنيه الرحيق له اثل آخر غير هذا الأثل الذي اكسبه معنى الخمر .

الرحمن :

« نعت مختص بالله تعالى » . ار : (رحمونو rahmono) : رحيم .

ان صيغة الفعلان كثيرة في العربية ، منها الغضبان والظمآن والوسنان واليقظان . لكن كون (الرحمن) من الالفاظ الدينية يجعل من المرجح أن تخصيصها بهذا المعنى من فعل الأرمية .

المرزاب والمزراب :

قناة يجري فيها الماء . ار : (مزريبو mazribo) . سبق الكلام عليهما في المزاب) .

رشم :

كتب . ار : رشم rcham) .

اصل معنى الرشم في العربية : الخط والتخطيط. وهذا المعنى جاء من (الرسم) فقد قالت العرب رسم البعير : اثر سيره في الأرض ، ثم صار (الترسيم) يعني التخطيط حيث قالوا : رسمت الثوب (بتشديد السين) : خططته . وقالوا (رسمت) بالتخفيف بمعنى خططت عامة ، ثم صارت الكلمة تعني كتبت ايضا .

ثم اشتقوا الروسم والراسوم بمعنى الختم على الطين وعلى راس الخابية وعلى غير ذلكم ، لأن الختم يكون فيه رسم أو كتابة .

ونطقها قوم بالشين بنفس المعنى اولا ، ثم تطورت الكلمة الشينية مستقلة كما هي الحال في امثال هذه الالفاظ ، فقالوا رشمت (بالتخفيف او التشديد) : كتبت ، وقالوا الارشم : الذي به وشم وخطوط ، وقالوا ارشمت الاناء وارتشمته : ختمته بالروشم ، وهو الختم . ومثله الراشوم . وكلاهما (الروشم والراشوم) يطلق كذلك على لوح منقوش لختم البيادر وغيرها ، أي مثل الروسم والراسوم ، ومثل ذلك قالوا رصنت الدابة : وسمتها بالمرصن اي المرسم كما هو واضح ، فتتبع تطورات الكلمة ، معاني ومباني ، ابتداء من رسم البعير اي تركه أثرا على الارض حين يسير، يرينا بجلاء الى اية من اللغتين تنتمي كلمة الروشم .

الراشوم :

لوح منقوش تختم به البيادر . ار : (روشمو rouchmo) : علامة .

مر الكلام عليها ضمن (الروشم) . ومعناها الأرمي (العلامة) مستحدث بالقياس الى معناها العربي . هي والروشم والروسم والراسوم كلمات حضاريات اخريات .

رشاه :

برطله . ار : (رشمي rachmi) : اهدى هدية .

اثل الرشوة هو الرشم ، فمن تطورات الكلمة انهم قالوا كالذي مر بنا (الأرشم) : الذي به وشم وخطوط . ثم انهم قالوا (الرشم) : السواد في وجه الضبع ، لان جسم الضبع مخطط . اي أن الرشم صار يعني السواد بعد ان كان يعني التخطيط . ومن هنا انتقل المعنى الى النبات فصار الرشم يعني أول ما يظهر من النبات ، وذلك لسواده بالقياس الى ما حوله من تراب الأرض . وعندئذ صارت (ارشية) النبات تعني خيوطه اذا امتدت ، وواحدها (الرشاء) صار

يعني الحبل عموما ، وحبل الدلو خصوصا ، وكما ان (السبب) الذي معناه الحبل صار يعني مجازا : « الذريعة وما يتوصل به الى غيره » على حد تعبير المعجم صار « الرشاء » وهو الحبل ايضا كما قلنا يعني الذريعة التي يتوصل بها لدى الحكام الى قضاء الحاجات ، اي الرشوة وكثيرا ما ورد في مأثورات العرب قولهم لمن يقصد أميرا يسترفده : هل لديك سبب اليه يا اخا العرب ؟ فيجيب : نعم ، ابيات قلتها وهذا كثير الشبه بالرشوة .

اما تطور الكلمة في الارمية وخروجها من معنى الحبل والوسيلة حيث صارت (رشاه) تعني اهداه هدية ، فيدل على انها مستحدثة فيها .

الرصفة (زنة السمكة) :

« البلاط اي الحجارة التي تبلط بها الشوارع وغيرها (معنى ممات) ، حجارة مرصوفة في مسيل الماء » . : (رصوفو rsofo) : بلاط .

اثل الرصف هو الرص ، وهذا اثله الرس اي ابتداء الشيء .

وقد قالوا رص الشيء : الصق بعضه ببعض وضمه ، ومن ثم قالوا رصف الحجارة : ضم بعضها الى بعض . ومن ذلك (الرصف) ـ زنة الاسف : الحجارة المرصوف بعضها الى بعض في مسيل الماء . والواحدة هي الرصفة ـ زنة السمكة ـ وهي موضوع حديثنا . واما استعمالها في الارمية بمعنى البلاط فواضح انه مستحدث مثل استعمال الرصيف في العربية بمعنى الشارع المبلط ، ثم بمعنى طوار الشارع المرصوف ، ثم بمعنى الطوار ولو لم يكن مرصوفا .

الرصيف :

طريق مبلطة . ار : (رصيفتو rsifto) : بلاط مرصوف .

هذه الصيغة الارمية مؤنثة الرصيف اي تقابل (رصيفة) بالعربية . ولا نرى بعد الذي تقدم ما يدل على انها غير مقتبسة من العربية .

رغد :

نعت العيش . ار : (رعدو ra'do) : : لين .

هذه الكلمة تأثيلها يطول ، لكن لا مفر من ايراده، ولا مناص من الاختصار .

قالت العرب ترشرش الماء : سال . ومن ثم رشرش الشيء : استرخى ، ولا سيما الخبز اذا كثر ماؤه وارتخى فقد سموه رشراشا، ثم هم نطقوا الشين خاءا فقالوا : رخخت الشراب : مزجته بالماء، وارخ (بتشديد الخاء) العجين : كثر ماؤه ، والرخخ (زنة القصب) : السهولة واللين ، والعيش الرخاخ (زنة الرجاء) : الهنيء . ورخاخ العيش : رغده وسعته ، ثم كسعت الكلمة بالفاء فقالوا رخف العجين: استرخى ، والرخف : العجين المسترخي ..

ثم هم ابدلوا الغين من الخاء فقالوا رغفت العجين : جمعته وكتلته .. ثم ابدلوا الدال من الفاء فصار (رغد) العيش يعني طيبه واتساعه ، والاصل لينه ، وكثيرا ما عبروا بلين العيش عن رغده ومن ذلك كان الليان (زنة الزمان) يعني « رخاء العيش ونعيمه . ويقال هو في لين من العيش ، اي نعيم ورخاء وخفض » .

رفت العين :

اختلجت . ار : (رف raf) : : تحرك

اثل الكلمة رفرف الطائر اي حرك جناحيه . وهذه من فرفر ، والفرفور : العصفور . واختلاج العين يشبه الرفرفة اي تحريك الجناحين ، ومن هنا جاء معنى الحركة في الارمية .

الرف :

خشبة او نحوها تثبت في حائط لتوضع عليها كتب او غيرها . جماعة من الطيور . ار : (رفو rafo)

ان اطلاق الكلمة على الجماعة من الطيور يرشدنا الى انها من الرفرفة . وعلى المجاز اطلقت على رف الجدار لشبهه بالجناح الناتىء من الجدار . ولا ندري لماذا ظنوا ان العربية هي المقتبسة الا على اعتبار ان الرف من لوازم الحضارة ، وقد سبق تفنيد هذه النظرية ، في مقدمة هذا البحث وفي اثنائه .

الـــرق (بفتح الراء وكسرها) :

جلد رقيق يكتب عليه . أر : (رقو raqo) .

من كونه رقيقا نشأ اسمه . ومثله الورق ، وما دام العرب قد استطاعوا صياغة الورق من فعـــل (رق رقة) فلا يعجزهم صياغة الرق بمعنى الجلـــد الرقيق . وقد تعلم العرب الكتابة — قبل ظهور الأرميين فى المنطقة — فى الرافدانين (العراق القديم) والكنعانية (ديار الشام) ومصر ، وربما فى اليمن أيضا .

وبعد فالرق — بالكسر — يعني ورق الشجر ايضا ، مما يدل على انها اصل التسمية ، ثم اطلقوه على الجلد الرقيق يكتب فيه تشبيها ، مثلما أطلقـــوا الورق على ورق الشجر أولا ثم عمموه على كاغـــــد الكتابـــــة .

الـــرق (زنة الـــرق) :

ذكر السلاحف . أر (رقو raqo) : سلحفاة .

الرق أيضا : الماء الرقيق فى البحر او الوادي . ولما كانت السلاحف تعيش فى مثل هذا الماء سميت الرق من باب تسمية الشيء ببيئته ، ثم تخصص الاسم بذكورها . اما فى العراقية الدارجة فما زالوا يسمون السلحفاة رقة . والرقة فى الفصحى : الأرض التـــي يغطيها الماء ثم ينضب عنها ، وهي بيئة السلاحف أيضا .

الـــرق (زنة البن) :

« الماء الرقيق اي القليل العمق فى بحـــر أو نحوه »٥. أر : (رقوقو rqoqo) .

يلاحظ ان هذه الصيغة الأرمية تقابل لفظيـــــا (رقيق) فى العربية ، لا الرق ، ومهما يكن فان اسرة الكلمة كبيرة فى العربية ، فقد قالوا ترقرق المـــاء : جرى جريا سهلا . والرقارق (زنة المراهق) : الماء الرقيق فى البحر والوادي . والروق من السحـــاب : سيله ، والروق من الماء ونحوه : الصافي . وراق الماء على وجه الأرض : تردد وانصب ، وأراق الماء : صبه. والريق (زنة العين) : الماء ، والريق (زنة العيد) : ماء الفم أي اللعاب ، وأخيرا المرق وهو ماء الطبيخ ... الى غير ذلك ، مما يكفي العرب بعضه ليشتقوا منه (الرق) بمعنى الماء الرقيق .

لابد ان الذين قالوا ان الرق وغيره مـــن الالفاظ مقتبسة من الأرمية قد نقبوا ونبشوا كثيرا فى معاجـــم اللغتين حتى وجدوا الصيغ الملائمة لدعواهم . لهـــذا نساءل : الم يلحظوا كثرة الصيغ العربية الاخرى لنفس الالفاظ ؟

الرقـــاق (زنة الرفـــاق) :

أرض لينة مستوية التراب او نضب ماؤها . أر : (رقوقو rqoqo) .

هذه ايضا من المعاني المائية المتشعبة من : رق وراق ورقرق . يقال فيها ما قيل فى سالفاتها .

مـــــراق البطـــن :

ما رق ولان منه . أر : مرقوقو marqoqo) .

هذا الوزن ليس بدعا فى العربية ، فمثله المساد جمع مسد والمصاف جمع مصف . وتعريف المـــراق بأنها ما رق من البطن ولان يوضح صلة معناها بمبناها فى العربيـــــة .

الركوبـــة (زنة الغضوبة) :

كل حيوان يركب . أر : (ركوبو rkobo) .

تسمى فى العربية كذلك الركوب والمركوبــــــة والمركوب . ومشتقات الركوب فى العربية كثيرة لاتدع مجالا للشك فى أثالتها . ولا نرى وجها للقول ان صيغة (الركوبة) وحدها مقتبسة من الأرمية .

الـــرمـــــح :

أر : رومحـــو roûmho) .

تأثيل الكلمة طويل ، وبعيد عن معنى الرمح ، ايجازه : قالوا غمض عينه وغمضها (بالتخفيـــــف والتشديد) : اطبق جفنيها . ومن هذا نشأ قولهـــم غمص (بالكسر) : كان بعينه غمص (زنة قمر) وهو رشح ابيض دبق يسيل من العين ، ثم سموه الرمص. وقالوا كذلك رمص اليه : نظر اليه نظرا خفيفا ، اي تشبيها بنظرة من رمصت عينه . ومن هذا نشأ قولهم: رمقته : لحظته لحظا خفيفا ، أو أطلت النظر اليه ، ومن فعل (رمق) نشأ : رنا ورمى ، ومن كثـــــرة

تشبيههم اللحاظ والنظرات (الرنوات) بالسهام قالوا: (رميت) السهم عن القوس ! والمرماة : سهم صغير ضعيف .

ان اندثار الكثير من المعاني وتطور الكثير منها يضيع آثار الصلات بين الالفاظ لكن بعضها يبقي منه اثر يمكن تقصيه كاثر المسافر الهارب، فلمعرفة العلاقة بين الرمص والرمح نلاحظ قولهم رمصت الدجاجة : ذرقت ، وقولهم رمج الطائر : القى بذرقه ، وهم صاغوا الرماج (زنة الزمان) بمعنى كعوب الرمح وانابيبه . ثم قالوا رمحته : طعنته ، ورمحته الدابة : رفسته . ومن معنى الطعن صيغ الرمح لأنه اداته . ثم ظهر الرمح بنفس صيغته فى الأرمية (رومحو) .

الـرمـص (زنة القفـص) :

وسخ ابيض فى مؤق العين ، ار : (رمصو remso) .
اثلها غمص ، وهذه اثلها غمض ، كالذي قلنا توا .

الرمكـة (زنة السمكـة) :

الفرس أو انثى البرذون يتخذ للنسـل . أر : (رمكو ramko) : فرس .

يخيل لنا ان اثل الكلمة هو رمحته الدابة بمعنى رفسته ، ثم تخصصت بالفرس والبرذونة المتخذتين للنسـل .

الـرمـان (زنة الدكان) :

أر : (رومونو roumono) .

اثل الكلمة هو النار ، ومنها نشأ النور (زنة البوق) اي الضوء ، والنور (زنة الثور) اي الزهر ، وقد سمي زهر الرمان قديما (النار) لشبه لونه بلونها فيما نرى ، ثم اطلقت الكلمة على الثمرة ايضا والشجرة ، وما زالت الكلمة باقية بهذا المعـنى فى التركية (نار) وفى الفارسية (انار anar)
غير أن صيغة (النار) قد اندثرت فى العربيـة او بالاحرى تحرفت وتطورت حتى صارت تنطق (رمان). ولا يستبعد أن تكون الارمية قد ساعدت فى هـذا التطوير ولو اننا لا نجد ما يدل على ذلك ، لكن المادة اللغوية عربية على كل حال .

الـروح :

النفس . ار : (روحـو rouho) :
تنفس . نفس سبق الكلام عليها فى الفصل الاول من هذا البحث .

مـروحـة :

أر : (مروحتو marwahto) من (روح rawah) : انعـش .

سبق الكلام عليها كذلك ، واصل المعنى من الريح واستعمالها فى الأرمية بمعنى الانعاش مستحدث يقابل فى العربية (الترويح) عن النفس . اي عكس ما يظنه اللغويون الارميون من أن معنى المروحـة فى الأرمية هو الناشيء من معنى الانعاش .

الروسـم والروشـم :

سبق الكلام عنها فى (الراشوم)

الـريـح :

هواء متحرك ، أر : (ريحو riho) .

الريح هي اثل اشتقاقات الروح والراحـة والاستراحة والمروحة والريحان والرائحة والترويح .. فما أثلها يا ترى ؟ انها من الكلمات المائية التي ترجع الى الريق والريل والريق والري .. وقد قالـوا راه الماء : اضطرب على وجه الارض . والري : ارتوى النبات والشجر ، والريا — زنة هيا — الريح الطيبة كأنما قصدوا الريح التي تأتي من جهة الشجر المرتوي. والرية — زنة النية — هي الرئة التي تدخلها الريح ومن هنا صارت الريح تعني الهواء ومنها الروح اي النفس — زنة النفع — التي صاغوها من النفـس — بفتحتين — اي الهواء الذي يدخل الرئة ايضا .

الـريـر (زنة الطير) :

« ريق يخرج من فم الطفل » . أر : (ريرو riro) : ريـق .

قلنا فى حديث سابق ان (آب) نشأت منها كلمات مائية كثيرة منها آل ولاب وبال ورال وراف وراق وراه ... كالذي نوهنا ببعضه توا ايضا . ونزيد الآن فعل (لاب يلوب) الذي بقي من معناه العطش اي تطلب الماء ، والحوم حول الماء . ومنه (اللواب) ومن هذا نشأ (اللعاب) وكلاهما يعني الريق . ومثل ذلك قالوا من (الريل) رال الصبي : سال رياله او ريله ، اي لعابه ، ومن هذا الأخير نشأ (الرير) ، ثم ظهر فى الارمية

الـزجــاج :

ار (زكوكيتو zgoguîto) .

اثل الكلمة الجزاز . والعراقيون يسمونه الكزاز (gzaz) . وهو من فصيلة جز وقز وقص . وقد قال العرب : جز الصوف او العشب : قطعه ، وهنا يساعدنا علم الآثار على تأثيل الكلمة . ذلك ان القدامى اكتشفوا حجرا بركانيا شفافا اذا انكسر كان حرفه حادا ماضيا يصلح للحلاقة ، وتدل الحفريات على انهم استعملوه فعلا . وقد جرب احد الآثاريين — سيايزر — فحلق وجهه فى العراق بحجر من هذا الطراز حلاقة قال انها كانت جيدة نظيفة . فهذا الحجر سموه الجزاز أو القزاز كما لا يزال يسمى فى بعض الدارجات ومنها العراقية التي ينطق القاف فيها كافا مخففا احيانا فسموه (الكزاز) كالذي قلنا ، وقد كانت الفصحى ايضا تنطقه بالقاف وبقيت من ذلك اثاره هي (القازوزة) : القارورة الصغيرة ، اما فى المصرية فالقزازة (وتنطق الازازة) هي التي تعني القارورة .

ويبدو ان هذا قد تم فى جزيرة العرب اولا ، ثم قلبت الكلمة — الجزاز — فصارت (الزجاج) — بفتح الزاي او كسرها او ضمها . ومن ثم ظهرت فى مختلف لهجات القبائل ومنها (زكوكيتو) فى الأرمية .

زفــر :

« اكل اللحم . ار : (زفر zfar) : توسخ ، سبب التوسخ ما يبقى فى الاصابع من آثار اللحم » .

الزفر — زنة المطر — بالدارجة العراقية هو الدسم من لحم او دهن او نحوهما ، وتزفرت يده : تدسمت . وفى الفصحى تدسم الشيء : علاه الوسخ والدنس

واصل المعنى ناشيء من الزفير أي اخراج النفس بعد الشهيق ، ولما كان زفير بعض الناس والحيوانات كريه الرائحة صار يعني خبث الرائحة اولا ثم الدسم ثانيا . ومن ذلك سمي الاسد (الزفر) — بضم وفتح — لبخره ، اي كراهة رائحة فمه . ومن ذلك نشأ (الزفر) فقالوا زفر الشيء : ظهرت رائحته واشتدت اطيبة كانت ام خبيثة . فأصل المعنى هو الزفير ، ثم تكون معنى الوسخ متأخرا حيث ظهرت فى الارمية .

زل الدرهــم :

نقص وزنه . ار : (زل zal) : كان مفرط الخفة فى الميزان .

اثل زل هو زلق . والأرض الزلق : الملساء ليس بها شيء . والزلقة : الصخرة الملساء . ومن ذلك قالوا زل زللا : كان ازل ، اي خفيف الوركين . ومن ذلك قول المتنبي فى وصف الأسد : « كتفا ازل وساعدا مفتولا » . ومن هنا صار الزلل يطلق على الخفة . وصار الدرهم الناقص الوزن اي الخفيف يسمى الزال. وزل الدرهم : نقص وزنه ، ومن ذلك (زلل الميزان): نقصانه . ومن ثم ظهر فى الأرمية . (زل) : كان مفرط الخفة فى الميزان .

واخوات زل فى العربية ليست بالقليلة : زلق ، زلج ، زلحف ، زحل ، زحف ، وحلف ، زحلق ، زلح، زلج ، زلزل ، زلم .. سحف ، سحج ، سحا ، سحل، سحب ، سح ، سحح .. سل ، سلب، سلت .. سلحب سحلف (ومنه السلحفاة) ، سلخ ، سلس (ومنه السلسبيل) ، سلف ، سلك ...

زمــن ، زمــان :

ار : (زبنو zabno) من (زمن zman) : عين زمانا .

هذه الكلمة تتنازعها عند اللغويين ثلاث لغات : العربية والأرمية والفارسية التي يسمى الزمان فيها (زمانه) .

والذي نعتقده انها عربية لأن اثلها دمن ، فقد قالوا دمنت باب فلان : لزمته ، وادمنت الشيء : ادمته

كما قالوا ازمن الشيء : دام ، وازمن بالمكان : اقام زمانا ، ومثل ذلك مدن بالمكان ومتن به . ونعتقد ان آثل هذه الكلمات الثلاث (زمن ، دمن ، متن) هي دمن وهي من دم الأرض : سواها ، واصل المعنى كما في الدراجة العراقية دم الشيء : طمره ودفنه ، واثلها طم بمعناها ومنها الطمي اي الغرين الذي يغمر الأرض ، والطمر من الغمر ، وغمر من غم اي غطى...

الـزورق :

ار : (زورقو zawrqo) .

ان الزلق والانزلاق من الزرق وهو معنى مائي اثله الرق (زنة البن) : الماء الرقيق في البحر او الوادي ، وترقرق الماء .. مما سلف ذكره . والماء الأزرق الصافي ، وقد صار الزرق يعني الزلق وبقي من ذلك قولهم ازرقت الناقة حملها : اخرته الى الوراء ، اي زلقته .

وقد ضاعت بعض المعاني المائية من الزرق لكن بقي قولهم زرق الطائر : رمى بسلحه ، والزراقة (زنة السيارة) : المضخة ، و « المزراق : الرمح القصير » ، لانه ينزرق حين يرى ، و « الرزيق : طائر اكبر من العصفور قليلا » لانه ينزرق في طيرانه ، ومن هذا المعنى سمي الزورق لانه ينزرق اي ينزلق على سطح الماء .

زوق تزويقا :

زين تزيينا . ار : (زيق zayeq) : سطوع .

الزواق (زنة الزواج) : زينة الجارية . والذي يغلب على ظننا ان اثل قولهم زوقوا الجارية هو : زوجوها ، لان التزويج يقتضي التزويق ، ولابد ان الكلمتين كانتا مترادفتين اولا ثم اختصت الثانية بمعنى تزيين العروس ، ثم التزيين عموما . وما زال الزواق (بضم الزاي) يعني بالدارجة العراقية زينة المراة خصوصا ، ويقولون عنها زوقوها وتزوقت . كذلك ورد في الفصحى تزيقت المراة بمعنى تزوقت .

الـزاوية :

ار : (زوويتو zowito) .

قالوا في العربية طويت الشيء اي ثنيته . ومن الطي نشأ التو (الفرد من الطيتين) والزو (الشفع اي كلا جانبي الشيء المطوي) . ومن الزو نشأ الزوج، كما نشأ زويت الشيء : طويته . ومن هنا نشأت الزاوية .

الـزيت :

ار : (زيتو zayto) .

قال العرب زاب الماء يزوب زوبا : جرى . والأزيب (زنة الاشيب) : الماء الكثير . ونطقت الكلمة بالدال فنشأت منها صيغ مما بقي منها المزادة : جلود يضم بعضها الى بعض ويوضع فيها الماء ، وكانهم قصدوا المزابة . ومن ثم صارت (المزادة والمزاد والمزود / تعني الوعاء الذي يوضع فيه الزاد ايضا ، وهو الطعام في الأصل ، ثم خصوه بطعام السفر .

ومن ثم قالوا زات القوم يزيتهم زيتا ، وزيتهم (بالتشديد) تزييتا : « اطعمهم زيتا أو جعل (زادهم) الزيت ؟ والظاهر ان (الزيت) اطلق اولا على السمن ونحوه من الدسم عامة ، ثم اختص بالزيت وهو دهن الزيتون .

الزيتون :

ار : (زيتونو zaytouno) .

صيغ اسم الزيتون من اسم (الزيت) الذي يعتصرونه منه . ومن ثم ظهر في الأرمية . هل نعده مادة حضارية ؟

الـزيز :

حشرة . ار : (زوزو zouzo) .

هذه كلمة صوتية ، اي ان هذه الحشرة انما سميت بهذا محاكاة لصوتها (زيز زيز زيز ..) . ويجوز ان نجاري الأرمية الى حد ما فنقول ان الصوت (زوز زوز زوز) . لكن كثرة الكلمات الصوتية في العربية من اسماء الطيور والحشرات يجعلنا نرجح اثالة العربية ، مثل : الجدجد ، الصرصر ، صرار الليل ، الرتيلاء (تطلق على انواع من العناكب والهوام كالذباب ، والاغلب من صوت ترتيلها) ، والبلبل والهدهد .

المسبـــــار :

آلة لسبر الجرح ، ار (سبر sbar) : حكم .. قدر .

اثل رسب يرسب هو رسا يرسو ، ورسب الشيء في الماء سقط الى اسفله اي قعره . ومن هذا نشأ قولهم سبرت الجرح او البئر : امتحنت غسوره لتعرف عمقه ، والبئر هي الأصل ثم استعير المعنى للجرح . ومجازا قيل سبرت الأمر : جربته واختبرته، ومن هنا قالوا شبرت الشيء : قدرته ، وصار الشبر يعني مسافة ما بين الخنصر والابهام يقيسون بها .

ويلاحظ أن الفعل الأرمي يعني الحكم والتقدير مثل فعل الشبر العربي بالاضافة الى سبر الأمر ، اي نتيجة السبر والشبر .

والمسبار اداة حضارية اخرى (طبية هـذه المرة) تنشئها العربية كما هو واضح لتبطل الحجة الحضارية في غزو الالفاظ العربية الى الأرمية .

السبـــط :

صفة الشعر المسترسل . ار : (شبط chbat) امتـــد .

ان للسبط في العربية اسرة كثيرة العدد نذكر منها لغرض التاثيل وحسب : سبط ، وسبد رأسه : سرح شعره ، واسبل الستر : أرخاه ، ثم اسدلـه ومنه (السدل) — زنة الفكر — و (السدل) — زنة الكفر : الستر . وهذا يرجع بنا الى افعال سـدف وسجف وسجا الليل ...

اما (شبط) الأرمية فلها واحد من هذه المعاني وهو الامتداد الناشيء من الانبساط والانسدال .

سجـــد :

ار : (سكد sgued) سجد . ركع .

يبدو لنا ان فعل (سجد) اثله (الجسد) اي الجسم ، مثل مثل (جثم ? الذي نشأ منه (الجثمان) اي الجسم ايضا .

سجـر التنـــور :

ملاه وقودا ثم احماه . ار : (شكر chgar) اشعل .

مثلما قولهم سقرته الشمس : لوحتـه وآذت دماغه بحرها . وكلتاهما من اثل (شعل) ، وهـذه اثلها شعت الشمس : نشرت اشعتها . لهذا كان من المعقول أن يكون معنى (شكر) في الأرمية : شعل واشعـل .

سجـن المـاء :

تعكر وفسد . ار : (شكش chgach) هيـــج .

ان المعنى العربي هو الاصل ، لأن الكلمة مائية وهي من اخوات سجلت الماء : صببته ، وسجـجت السحابة الماء : صبته . وهذه اثلها سجر الماء النهر : ملاه ، وسجر البحر : فاض ...

وبعد ان تطورت الكلمة لفظا فصارت (سجس) ومعنى فصارت تعني تعكر الماء وفساده ظهرت في الارمية بمعنى التهيج الذي اصله التعكير .

السجـــس :

الاضطراب . الشغب ، ار : (من أصل سجس)

هذا صحيح ، فقد ورد التنويه بظهور معنـى الشغب اي التهييج توا في (سجس الماء) .

السجف (زنة الزحف والحزب) :

الستر . ار (شكف chgaf) غطى .

ومثل السجف : السجـاف (زنة اللحـاف) والسجيف (زنة النحيف) . وسجفت البيت واسجفته: ارخيت عليه سترا ، اي سترته ، وكان اولى بهم ان يقرنوا هذا الفعل العربي بهذا الفعل الأرمي ، بدلا من ان يقرنوا بين هذا الاخير والاسم العربي الستر) وفعل سجف نشأ منه في العربية فعل سجا يسجو ، فقد قالوا سجا الليل وسجف بمعنى ، اي امتـد واستطال .. واصل المعنى : اظلم .

اما اثل السجف فهو السدف قيل اسجفـت الستر : ارخيته ، كما قيل اسدفت الحجاب : ارخيته. والسدف (زنة الخزف) والسدفة (زنة الغرفة) هي الظلمة اصلا ، وصارت تعني مجازا : السترة تكـون على الباب تقيه المطر .

والسدف اثله السدل ، فقد قالوا اسدلت الشعر او الثوب : ارخيته . وفعل سدل من دلس ، وهذا من دمس ، وهذا من طمس ؛ وهذا من طم وطمي ...

هذا والسجف يعني الستر بالعربية بينما (شكف) يعني غطى بالأرمية كالذي تقدم بنا . ولو كان العكس، اي لو كان السجف اي الستر والستار والسجاف والسدفة .. هي التي فى الأرمية لكان من الصعب اقناعهم بأثالتها فى العربية لأنها كلمات (حضارية)

اسجت الناقة :

كثر لبنها . ار (اسكى asgui) كثر

السجو كلمة مائية . من اخواتها : السجل والجسم والسجن والسج . فقد قالوا سجلت الماء : صببته ، ثم صار السجل يعني الدلو العظيمة ، ومن ثم (الضرع العظيم) ، (والضرع السجيل) — زنة السجين : الواسع المتدلي .

كذلك قالوا سجمت السحابة الماء : صبته كما تقدم ، وانسجم الماء : انصب . (وناقة سجوم وسجام) : كثيرة الدر .

ومن مادة السجن بقي من معنى الماء (الساجنة): مسيل الماء من الجبل .

ومن السج نجد (السجة والسجاج) — زنة الحجاج : اللبن الكثير الماء .

فلا غرابة أن قالوا من السجو ايضا (اسجت الناقة) غزر لبنها ، ومن ثم تطويرا (ناقة سجواء) : تسكن عند حلبها . ثم ظهر معنى السكون : (امراة سجواء الطرف) : ساكنته ، و (ليلة سجواء) : ساكنة ، (واسجى البحر) : سكنت امواجه ، و (سجا الليل حتى هاج لي الشعر والهوى ...

ومن كل هذه المراحل التطورية تظهر فى الأرمية مرحلة (اسجت الناقة) : كثر او غزر على تعبير المعجم ، لبنها ، فى صور (اسكى) : كثر .

ونضيف بالمناسبة أن هذه الصيغة الأرمية توحي لنا بأن (السقي ، والساقية ، والساقي) ايضا قد تطورت من نفس المادة اللغوية .

السحتوت (زنة الانبوب)

والسحتيت (زنة الابريق) :

سويق قليل الدسم كثير الماء . ار : (شحتيتو chahtito) : حنطة محمصة .

فعل السحت اثله الحت ، ومن اخواته النحت ، فقد قالوا سحل الشيء : نحته ، كما قالوا سحت الشحم عن اللحم : قشره ، ومن ثم قيل سحت الشاة: ذبحها . ومعنى الحت والقشر والذبح والاهلاك يظهر فى اخوات فعل (سحت) مثل سحجت الشيء : قشرته .

وسحطه : ذبحه ذبحا سريعا .

وسحف الشعر عن الجلد : كشطه ، وسحف الراس : حلقه ، والسحفة : الشحمة التي على الظهر ، والسحفة : آلة يقشر بها اللحم ويكشط الجلد . وهي اداة حضارية عربية ايضا ، لا دخل للغة اخرى فى تكوينها .

ومثل ذلك ايضا سحقته : اهلكته او دككته ، وسحقت الريح الأرض : قشرت وجهها بشدة هبوبها، وسحقت الراس : حلقته .

ثم سحن الشيء : دقه او كسره .

وسحا الشيء يسحاه ويسحوه ويسحيه سحيا: قشره ، ومنه المسحاة وهي اداة كالمجرفة ، وهما حضاريتان ايضا وعربيتان .

فمن قولهم سحت الشحم عن اللحم (اي قشره) نشأ معنى قلة الدسم لأن كشط الشحم يقلل دسم اللحم عند طبخه ، وعلى التشبيه استعير المعنى للسويق الذي قل دسمه وكثر ماؤه . وبعد هذا ظهر فى الأرمية (شحتيتو) بمعنى الحنطة المحمصة اي التي يصنع منها السويق .

السحاف (زنة السلاف) :

مرض السل . ار : (سحيفتو shifto) خراب .

السحف صيغه ومعانيه كثيرة فى العربية اوردنا بعضها آنفا ، وانما اختاروا من بينها السحاف لانه اسم مرض وقد عدوا تسمية الامراض من الشؤون

الحضارية التي لم يعرفها العرب ، فيما يبدو ، ولو انهم لم يجدوا مقابلة فى الأرمية .

لقد استعمل السحف ايضا فى العربية بمعنى كشط الشحم ، ومن ذلك (السحيفة) : ما يقشر من الشحم ، و (السحوف) : الناقة التي ذهب شحمها، وقد اشتق اسم مرض السل من هذه المادة اللغوية لانه يذهب بشحم المبتلى فيصيبه الهزال ومن ثم الهلاك . وقد قلنا ان اصل المعنى هو الحت والنحت، وليس قليلا قول العرب براه السقام او الغرام بمعنى انحله وابلاه ، وما معنى الخراب فى الأرمية الا تطور متأخر .

السخلة (زنة النخلة) :

ولد الشاة . ار : (سحلتو sahlto) .

نرجح ان الاثل هو (السلخ) زنة السجن : جلد الحيوان المسلوخ . وقد جاء ذلك من قولهم سلخت الخروف : كشطت جلده . ومما يؤيد ذلك ان (السليخة) تعني الولد ، واثل السلخ هل السل — زنة التل) الذي منه ايضا صيغ السليل بمعنى الولد .

سخم الله وجهه :

سوده . ار (شحم chahem) سود

اثل الكلمة سحم يسحم (كعلم يعلم) : اسود فهو اسحم ، وكما قالوا سخم الله وجهه قالوا أسحم وجهه بنفس المعنى . والتسخيم يعني التسخين ايضا. واثلها جميعا قولهم حم الماء : سخنه . وقد سبق الحديث عن تأثيل (حم) وترسيسها عند الكلام على (الحمام) فى العدد الماضي .

السخم (زنة الصنم)

السواد . ار : (شحومو chhomo) .

هي من نفس المادة .

سدر الجمل :

« اصابه الدوار واختل نظره من فرط الحر » .
ار : (سدر sdar) اصابه الدوار .

اصل المعنى اظلم بصره ، واثل اللفظ سدرت الشعر فانسدر : سدلته فانسدل . ومن هذا الباب ايضا : سترت الشيء : غطيته ، وسدفت الحجاب : ارخيته ، واسجفت الستر : ارخيته ايضا ... كما تقدم .

وقد تقدم بنا كذلك معنى الظلمة فى هذه الالفاظ مثل سجا الليل واسجف واسدف ارخى سدوله .

ومن الظلمة تحير البصر والاصل غموضه واظلامه . وقد قالوا من مادة السدف « اسدف المرء : اظلمت عيناه من جوع او كبر » .

ويمكننا ان نضيف : او من سبب آخر . ثم ظهر المعنى فى مادة سدر بقولهم « سدر البعير : تحير نظره من شدة الحر » . ثم ظهرت الظلمة فى الارمية بمعنى الدوار لأن الدوار ايضا يسبب تحير النظر .

السدان (زنة السجان)

« مسند يطرق عليه الحديد » . ار : سدونو (sadono .

اصاب المؤلف بتسميته مسندا فان (السند) هو اثل الكلمة .

و (السدان) هذا لغة ضعيفة فى السندان ، الذي اكتسب اسمه من كونه مسندا يوضع عليه الحديد عند طرقه . وخلو الصيغة الأرمية (سدونو) من النون الاول دليل حداثتها . وهذه كلمة حضارية اخرى ..

السرج :

الرحل ، ار : (سركو sargo) .

مادة التسريج اثلها التشريج . وشرجت الشيء تعني فى الأصل شققته ، لكنها خرجت عن معناها هذا ، وبقي فيها من معنى الشق صيغ مثل انشرج الشيء : انشق نصفين ، والشريج : فلقة العود اذا شق فلقتين متساويتين ، ومن هذا المعنى نشأت (الشريجة) . وهي جوالق كالخرج ينسج من سعف النخل ، سميت بذا لانها فلقتان تتدليان على جانبي الدابة . ثم تطور المبنى والمعنى فنطقوه (السرج) بمعنى الرحل وغلب استعماله للخيل .

السراج (زنة السلاح) :

اداة يستضاء بها وهي وعاء يشعل فيه فتيل مغموس فى الزيت . ار : شروكو (chrogo من (شرك (chrag اضاء .

اثل الكلمة (السيرج) وهو دهن السمسم ، بدليل قولهم اسرج السراج : اوقده ، واصل المعنى فيما يخيل لنا : ملأه بالسيرج الذي يظهر انهم كانوا يستعملونه للاستضاءة ثم استعملوا سواه من الزيوت ايضا . واثل السيرج هو (الشيرج) : زيت السمسم ايضا اي عصيره . وهذا اثله (الشرو) — زنة الصنو — اي العسل ، وينطق بفتح الشين كذلك . ومنشؤه فيما نرى عسل الفواكه اي عصيرها من فعل (جرى يجري لأن عسل الفاكهة ولا سيما التمر يجري عند تكدسها ، ثم استعيرت الكلمة لعسل النحل)

ومن الشرو — بالكسر — نجد فى الفارسية (شيره) بمعنى عصير الفواكه ونحوها ، اي عسلها

على ما تقدم يمكننا تصحيح تاثيل الكلمة فى الارمية فان فعل (شرك : اضاء) هو المشتق من (شروكو : السراج) المقتبس من العربية ، كلمة حضارية اخرى

السرو :

شجر قويم الهيكل . ار : (سروو (sarwoo) .

معنى فعل سرا يسرو سروا هو علا يعلو . ومنه شرف (من باب كرم) بنفس المعنى . ومن معنى الانتصاب فى مادة (شرف) قالوا استشرف الشيء : انتصب .

والسرو شجر منتصب متجه بجذعه واغصانه الى اعلى ، ويكون بعض انواعه سامقا سحيقا فى الفضاء ، فلا غرو أن يسموه (السرو) من معنى الارتفاع والانتصاب . واذا كانت الارمية قد سبقت الى هذه التسمية — وليس لدينا ما يرجح ذلك — فالمادة اللغوية عربية عريقة .

المسطح (زنة المنجل) :

البيدر . ار : (مشطوحو (machtoho ميدان .

اي ان كل صيغ مادة (س ط ح) فى العربية اثيلة ، عدا (المسطح) بمعنى البيدر على رايهم لانهم وجدوا (مشطوحو) فى الارمية ولو بمعنى آخر .

معلوم ان فعل سطح يسطح يعني فى العربية بسط وسوى . وصيغة المسطح نفسها تعني فى العربية عدا البيدر اشياء اخرى لها علاقة بالتسطيح ، فهي اولا آلة التسطيح لأي شيء ومن ذلك اطلق على المرقاق الذي يسطح به الرغيف ، كما اطلق على موضع تجفيف التمر لانهم يسطحون فيه التمر اي يفرشونه ليجف . معان حضارية اخرى .

اما (مشطوحو) فيظهر انها من قول العرب « رايت الارض مساطح : اي لا مرعى بها ، شبهت بالبيوت المسطوحة » .

سطره :

كتبه . ار : (سرط (srat : خط ، رسم

الذي نراه ان السطر اثله الشطر، وما الساطور الا الشاطور . وشطرت الشيء اثلها : شرطته ، وهذه من شرتته وهذه من شققته .. ومن اخواتها شرج وشرح وشرخ وشرز وشرع وشرك .

فأصل معنى سطرت الشيء هو قطعته ، وقديما قالوا سطره بالسيف : قطعه ، ومجازا قالوا سطرت الرجل : صرعته .

والسطر يعني الصف من الكلمات او الشجر او البناء أو غيره ، ويبدو لنا ان اصل المعنى هو تخطيط المحراث الذي يخدد الأرض اي يشرطها صفوفا ، ثم اطلق على الصف من كل شيء . وقد شاع استعمال السطر لصف الكلمات ومن ثم قالوا سطرته : كتبته . وبعد أن صار السطر يعني الصف من الكلمات المكتوبة، نشأت الاسطورة التي ظهرت فى اللاتينية بصيغة historia بمعنى التاريخ والاحدوثة القديمة .

وبعد هذا ظهرت فى الارمية بمعنى الخط والرسم.

السطر (بسكون الطاء او فتحها) :

صف الكلمات أو الشجر. ار : سدرو (sedro ترتيب . من (سدر (sdar : رتب .

هذا المعنى الارمي مجازي متطور من المعنى العربي ، من مثل قولهم « سطرت القرطاس : رسمت عليه خطوطا يحتذيها » .

الساطـــور :

سكين كبير لقطع اللحم . ار : (سوطـــورو (sotouro) سكين الطباخ الكبير .

ورد ايضاحها ضمن (سطره) .

سطـم البـاب :

اغلقه . ار (سطم (stam اغلق .

(سطم) الباب : اغلقه ، ومثله (سدمه) : رده ، اثلهما الصدم وهذه من الصد ، بدليل قولهم : رد الباب بمعنى اطبقه . والمقصود من اغلاق الباب وسده وصده ورده واحد . وقد استعملوا (الصـــد بمعنى السد في مثل قولهم صد الطريق : اعترض دونه مانع من عقبة ونحوها ، أي صار ما نسميه بالطريق المسدود .

السطـــام (زنة السلاح)

سداد القارورة ، ار : يقول انها من اصـــل سطم) .

نعم ، نؤيد ذلك . فانظر (سطم الباب)

— يتبع —

امـــي شاعـــر :

هو الزبيري صاحب ابي العلاء صاعد بن الحسن اللغوي ، كان اديبا شاعرا فطنا بديهيا ذكره ابو عامر بن شهيد وقال كان أميا لا يقـرأ ولا يكتب وكان مع هـذا من اطبع الناس شعرا واسرعهـم بديهة (جذوة المقتبس في ولاية الاندلس لمحمد بن فتوح الحميدي مخطوط 488 — ص 384)

اختلاف المفاهيم اللغوية بين الأمم، ما المجتمع مثلاً ؟

الأستاذ عبدالرحيم أبواليمن
أوبلادن - ألمانيا الغربية

يكثر الكتاب والمفكرون في العالم المسمى بالعالم الحر من ذكر المجتمع وتحليله على اعتبار ان المجتمع هو مجموعة الناس من البلد أو البلد باعتبارها مسكونة بالناس . فيقولون قضايا المجتمع ، والنهوض بالمجتمع أو القضايا المادية للمجتمع وما شاكل ذلك . والعالم الغربي أو ما يسمى بالعالم الحر هو المسيطر على اكثر أجزاء العالم ومنه العالم الاسلامي بحضارته ومفاهيمه ، ولذلك تركز هذا المعنى للمجتمع في اذهان الناس في العالم الاسلامي ولا سيما في أذهان المثقفين والمفكرين وحتى جمهرة اليساريين بجميع أنواعهم . وبالرغم من وضوح خطأ هذا المعنى ، ومن مخالفة الفكرة الاشتراكية له فانه ظل هو الغالب لدى المثقفين والمفكرين بل ظل هو المسيطر . ولما كان هذا المفهوم للمجتمع من الافكار الاساسية لدى الغرب ولدى الحضارة الغربية ، ولما كنا نحن المسلمين نعمل على قلع الحضارة الغربية من جذورها لازالة الخطر وخطر الغرب كله كان لا بد من توضيح معنى المجتمع بشكل شامل لمن سيطرت ثقافة الغرب على عقولهم من أبناء المسلمين ومنهم من يعتنقها ، لادراك واقعه حين ادراك مدلولاته .

واقع المجتمع انه مجموعة الناس بما بينهم من علاقات ، وليس مجموعة الناس فقط . فمجموعة الناس هي جماعة وليست مجتمعا . والذي يكون المجتمع هو العلاقات وتتميز المجتمعات عن بعضها بحسب هذه العلاقات ، والا فالناس في كل بلد هم الناس ، أي هم اشخاص من بني الانسان لا تتميز جماعة عن جماعة الا بالعلاقات . ان المجتمع في حقيقته التفصيلية هو اناس ، وافكار ، ومشاعر ، وانظمة . هذه الامور الاربعة هي المجتمع . ذلك ان الذي ينشيء العلاقة بين الناس هو المصلحة ، فاذا وجدت مصلحة كانت العلاقة ، واذا لم توجد مصلحة لا توجد علاقة . والمصلحة مبنية على أفكار عن الشيء او الامر بانه مصلحة ، فاذا توافقت افكار الناس على امر بانه مصلحة وجدت بينهم علاقات وتوحدت هذه العلاقات ، واذا اختلفت أفكارهم على أمر من حيث المصلحة ، هذا يراه مصلحة وذاك يراه مفسدة فانه لا توجد بينهم علاقات . فالذي يوجد العلاقات بينهم هو اتفاق أفكارهم على ان هذا الامر مصلحة . وهذا اول شيء في وجود العلاقة . الا ان هذا لا يكفي وحده بل لا بد ان تتوافق مشاعرهم نحو هذه المصلحة ، فاذا توافق فرحهم للمصلحة وتوافق حزنهم عليها وتوافق رضاهم عنها وتوافق سخطهم عليها الى غير ذلك من مظاهر المشاعر فان العلاقة توجد ، واذا لم تتوافق هذه المشاعر لا توجد العلاقة حتى لو وجدت الافكار ، فاذا حينئذ تكون مجرد افكار فلسفية كفلسفة اليونان عند الفرنسيين مثلا ، فان الفكر لا يكون فكرا له واقع اي لا يكون مفهوما الااذا ارتبط بالمشاعر، فبوجود الافكار والمشاعر تتكون العلاقة . الا ان هذه العلاقة لا تخرج الى حيز الوجود ولا تكون لها ثمرة الا اذا توحدت بينهم الانظمة التي تنظم هذه العلاقة ، فوجود العلاقة ملموسة

ومثمرة لا يتأتى بتوحيد الافكار والمشاعر بل لا بد من توحيد الانظمة التي تنظم هذه المصلحة . بل ان الانظمة التي تنظم المصلحة اذا وجدت ، ولو بطريق الفرض والاجبار ، تنشأ عنها الافكار والمشاعر ، ولذلك كانت الانظمة في تكوين المجتمع عاملا وان كان دون اهمية المفاهيم أي الافكار التي أصبحت مفاهيم .

وعلى هذا فانه من الخطأ ان يقال قضايا المجتمع ويراد الناس ، بل قضايا المجتمع هي قضايا العلاقات بين الناس وليست قضايا الناس ، ولذلك فان اصلاح المجتمع هو اصلاح العلاقات وليس اصلاح الناس ، وتغيير المجتمع هو تغيير العلاقات وليس تغيير ما يستعمله الناس من أدوات ولا تغيير ما يلزم لحياة الناس . ومن هنا لم يكن جعل الغسالة الكهربائية مكان لجن (طشت) الغسيل ، وجعل المكنسة الكهربائية مكان مكنسة القش ، ولبس السروال الاجنبي مكان القنباز أو الجلباب ، لم يكن ذلك كله وسيلة لتغيير المجتمع ولا اصلاحه ، فانه لا علاقة له في المجتمع . صحيح انه قد يؤثر على الافكار، وقد يؤثر على المشاعر، ولكنه تأثير انطباع وتقليد لا تأثير فهم وأصالة ، وهو تأثير مؤقت من السهل ازالته ، ومع ذلك فانه لا ينشيء علاقة ولا يكون مجتمعا . بل اصلاح المجتمع وتغييره انما هو بتغيير الافكار والمشاعر والانظمة ، ولا يصلح ولا يتغير الا بذلك ، أي الا بالافكار والمشاعر والانظمة.

وانه وان كان ذلك ، أي فهم المجتمع هذا الفهم المغلوط يؤثر وقد أثر فعلا على الناس بوصفهم أفرادا وبوصفهم جماعة ، وحال دون نهضتهم وجعلهم في حلقة مفرغة عشرات السنين ، ولكن تأثيره على السياسة اي على رعاية شؤون الناس كان افظع بل كان الكارثة التي حلت بهم والتي نقلتهم دون ان يشعروا الى أخذ الحضارة الغربية أخذا يصل الى حد الاعتناق في بعض الاحيان ، وجعلهم ينتقلون حتى في أذواقهم نحو مفاهيم الغرب من شدة تأثير الحضارة الغربية عليهم في اغتنامها فرصة الفهم المغلوط لمعنى المجتمع .

ولنأخذ من ذلك مثالين اثنين هما ــ مفاهيم الحكم ومفاهيم الاقتصاد ، لانهما اظهر المفاهيم التي اخذت عن طريق الفهم المغلوط للمجتمع ، وأثرت على تصرفات الناس وأذواقهم . فالغرب يرى أن الحكم للشعب ، وان السيادة للشعب ، وان القيادة جماعية ، وان الامة مصدر السلطات . وهذه المفاهيم هي أفكار تتعلق بالعلاقات في السياسة ، اي بالعلاقات في رعاية الشؤون . وهي مفاهيم نشأت عند الغرب نتيجة الظلم السياسي الذي حصل في اوربا ثم في أمريكا من قبل الملوك والامراء والاقطاعيين ، ومن قبل الدول الاستعمارية في أمريكا حين كانت مستعمرات ، فنشأت عن هذا الظلم محاولات من قبل المفكرين أدت الى هذه المفاهيم . فجعل كل للشعب من اجل رفع الظلم السياسي عن الناس . وبالرغم من لمسهم ان واقع الحكم هو غير هذه المفاهيم ، ومع ذلك ظلت هي المسيطرة عليهم وعلى مفكريهم وتناسوا ان الواقع لا يمت بصلة الى هذه المفاهيم . ولما كان المجتمع عندهم هو مجموعة الناس فانهم لم يلاحظوا رعاية الشؤون أي السياسة هي علاقات الناس فيمن يحكمهم وليست حاكما ومحكوما . ولهذا اعتبروا مجموعة الناس هي المجتمع ، واعتبروا ان الناس هم الذين يحكمون انفسهم ، أي يرعون شؤونهم أي يرعون شؤون انفسهم ، فظلوا تائهين عن معاني هذه المفاهيم، يعتنقونها وان خالفت الواقع الذي هم فيه . فهم لم يلاحظوا ان الشعب لا يحكم ، فهو لا يتولى السلطة وانما الذي يتولاها نيكسون في أمريكا ، وبريجنيف في روسيا ، وبومبيدو في فرنسا الخ . ومع ذلك ظلوا يقولون ان الشعب هو الذي يحكم ، ولم يلاحظوا ان الشعب لا يتولى القضاء وانما يتولاه قضاة قد درسوا القانون ، وانه كما يستحيل على الشعب ان يتولى السلطة كذلك يستحيل عليه ان يتولى القضاء ، فانهم ظلوا يقولون ان الشعب هو الذي يتولى القضاء تماما كما يقولون ان الشعب هو الذي يتولى الحكم . ولم يلاحظوا ان الشعب لا يتولى التشريع وانما يتولاه رجال القانون وتسنه الحكومة ، ومع ذلك ظلوا يقولون ان التشريع للشعب وان الشعب هو الذي يتولى التشريع ولم يلاحظوا ان الشعب ليس له في الواقع الا اختيار الحاكم وليس له عزله ، وان الحاكم هو الذي يشرع ، وهو الذي يسيطر على القضاء وانه لا توجد الا سلطة واحدة هي سلطة الحاكم . ومع ذلك قالوا ان هناك ثلاث سلطات هي السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسلطة القضائية ، وان الشعب هو مصدر السلطات. نعم لم يلاحظوا مخالفة مفاهيم الحكم لواقع الحكم ، اذ اعماهم عن ذلك الفهم المغلوط عن المجتمع ، الى جانب ما سمعوه عن الظلم السياسي وما يتصورونه من هذا الظلم اذا لم يكن الشعب هو كل شيء .

هذا بالنسبة لمفاهيم الحكم ، اما مفاهيم الاقتصاد فان ما عانته أوربا من ظلم الاغنياء والاقطاعيين والتفاوت الفاحش بين الناس في العيش ، وما عانته أمريكا من ظلم الاستعمار واستيلائه على خيرات البلاد الى جانب

ظلم الاغنياء والتفاوت الفاحش بين الناس في العيش قد أوجد عند المفكرين فكرة توفير المال للناس يأخذونه بمقدار قدرتهم على تحصيله وتوصلوا الى ان المشكلة الاقتصادية هي الندرة للمال ، اي عدم كفاية المال في البلد بكميات تكفي لحاجات مجموعة الناس، كان الفقر هو حاجة البلاد للمال وليست حاجة أفراد الناس له ، فصار الفقير هو المجتمع حسب فهمهم وليس الافراد ، أي هو مجموعة الناس وليس أفراد هؤلاء الناس ، وبناء على ذلك انصب التفكير على ايجاد المال في البلد بكميات تكفي لحاجات مجموعة الناس ، وليس توفير حاجة كل فرد من الناس . وبالرغم من لمسهم ان واقع الاقتصاد هو حاجة كل فرد من الناس وليس مجموعة الناس ، وبالرغم من لمسهم ان ظلم الاغنياء لا يزال قائما بل ازداد ، وان التفاوت الفاحش بين الناس في العيش قد ازداد ، اي بالرغم من لمسهم ان واقع الاقتصاد هو غير هذه المفاهيم . ومع ذلك ظل مفهوم المشكلة الاقتصادية عندهم هو القدرة النسبية، وظلت هذه المفاهيم الاقتصادية هي المسيطرة عليهم وعلى مفكريهم ، وتناسوا ان الواقع لا يمت بصلة الى هذه المفاهيم ، ونظرا لأن المجتمع حسب فهمهم هو مجموعة الناس ، لم يلاحظوا ان الاقتصاد أي التوفير توفير المال هو علاقات بين الافراد مع بعضهم ، وعلاقات بين مجموعة الناس ومن هو مسؤول عن توفير حاجاتهم ، وليست مالا يوضع في اليد ويأخذ منه كل بحسب قدرته . ولهذا اعتبروا مجموعة الناس هي المجتمع، واعتبروا ان الناس هم الذين يوفرون لمجتمعهم المال ، وان الحاكم لا عليه الا ان يوفر المال للبلد بوصفه كلا اي لمجموعة الناس ، **فظلوا تائهين عن معاني** هذه المفاهيم يعتنقونها وان خالفت الواقع الذي هم عليه وان الحقت بهم الاضرار وركزت ظلم الاغنياء ووسعت التباعد الفاحش بين الناس في العيش .

هذا هو المفهوم المغلوط للمجتمع ، وهذه المفاهيم المغلوطة عن الحكم وعن الاقتصاد وكل ما ترتب على معنى المجتمع عندهم من مفاهيم اخرى هي التي نقلت العلاقات بين الناس ، ونقلت مفاهيم الناس وحتى اذواقهم الى الخضوع للحضارة الغربية بل الى طريقة العيش (عند الغرب) ووجهة نظره في الحياة . لذلك كان **من أهم ما على الناس جميعا حتى في الغرب ، ولا سيما المسلمين في العالم الاسلامي ان يتبنوا معنى المجتمع ، وان ينبذوا ثم يحاربوا مفهوم الغرب عن المجتمع كخطوة أولى لنبذ سائر مفاهيمه لا سيما مفاهيم الحكم والاقتصاد لأنهما الركيزة الأساسية في التأثير .** لذلك كان لا بد من ان يتركز عند الناس ولا سيما المسلمين في العالم الاسلامي ان المجتمع هو مجموعة الناس بأفرادهم بما بينهم من علاقات وليس البلد ولا مجموعة الناس ، وبناء على هذا التركيز يبنون عليه ان ما بين مجموعة بأفرادها هو علاقات ، وان ما بين مجموعة ومن يتولى السلطان فيها أي يتولى رعاية شؤونها هو علاقات ، وان ما بين مجموعة الناس هذه ومجموعات اخرى اي أمم ودول اخرى هو العلاقات ، وان المسألة كلها تتعلق بالعلاقات فيكون البحث هو من هذه العلاقات .

اعلانـــات :

الـواح تعلق في الاسواق (كامل ابن الاثير ج 10 ص 171 و ج 11 ص 29 وتاريخ ابن الفرات (ج 4 ص 17 و 64) .

الألفاظ الهندية المعرّبة

من مظاهر الوحدة :

الدكتور محمد يوسف
أستاذ اللغة العربية - جامعة كراتشي (باكستان)

امتازت الهند منذ أقدم العصور بوفرة وتنوع انتاجها النباتي والحيواني والمعدني كما انها اشتهرت بجودة الصناعات المختلفة المرتكزة على ذلك الانتاج الطبيعي ، ثم هي تصاقب من الناحية الشرقية بلاد الصين التي اختصت بطائفة اخرى من الحاجيات والكماليات التي لم يكن للعالم الغربيبدمنها ، ومن هنا نشأت « التجارة الشرقية » التي تنافس عليها المتنافسون من الفرس والعرب والروم ، واخيرا اقوام اوربا الغربية ، اعني البرتغاليين والفرنسيين والهولنديين والانجليز ، وقد استمرت هذه التجارة العالمية تجري من الشرق الى الغرب حتى غير مجراها الآلات والمخترعات الحديثة وما ادت اليه من الانقلاب الصناعي والتقدم الاقتصادي فى الممالك الغربية .

لقد كان لهذه التجارة اثرها الفعال فى مداولة الايام بين الناس ، فمثلا يقول العلامة بارتولد : « صارت ايران مزاحمة قوية للدولة الرومانية فى زمن الساسانيين ... واستولت **برا وبحرا على طريق تجارة الهند والصين ذات الخطر لجميع العالم المتحضر ،** وبهذا الحادث يبتدىء انتقال التفوق فى الحضارة من اوربا الى الشرق الادنى » (الحضارة الاسلامية ، 1950 ، ص 4) . كذلك يعتبر اهتداء واسكو دي كاما (Vasco da Gama) الى طريق الهند نقطة التحول فى العلاقات بين الشرق والغرب ، وحقا لئن كانت صفقة تفوق صفقة أبي غبشان فى الخسارة والغبن ، فهي تلك التي جعلت اسد البحر ابن ماجد يقود رائد البرتغاليين الى ميناء كاليكت (Calicut) فى سنة 1498 م .

فاثر تجارة الهند والصين فى التطورات السياسية بين الامم الشرقية والغربية معروف عند كثير من المؤرخين بابرازه وتقدير خطورته ، الا ان هناك ناحية اخرى طالما بقيت غامضة مطوية لم تلق الاهتمام اللائق بها الا منذ زمن قريب ، الا وهي تأثير العلاقات التجارية بالهند وما وراء الهند فى حضارات الفرس والعرب والروم فى العصور القديمة والوسطى ، ولا اجد ما اقدم به لهذا الموضوع أحسن مما كتبه البروفسور هيرن (Heeren) العالم المتخصص فى العلاقات التجارية الدولية القديمة وهذا نصه :

"Of all the divisions of Asia the southern, containing the territory of Hindustan, is distinguished by the richness and diversity of its productions. Here we not only find, with very few exceptions), all the products of other parts of civilised Asia, but so great a variety peculiar to its own climate, that it would appear as if a new and more beautiful creation had sprung up under the hand of nature. Nearly all the spices, which become necessary to mankind in exact proportion to the progress of luxury and refinement, have at all times been peculiar to this region, while two of the most important articles used in clothing, viz., cotton and silk, were first produced here, and continue to be so in an especial degree, though their cultivation has been gradually extended to other countries .... The influence which an intercourse with India may have had on the civilisation of mankind, is a question worthy the close attention of the philosophical student of history; and one which, not withstanding the important illustrations it has of late received, has been by no means sufficiently elucidated, It is of the greatest consequence to ascertain the channels through which, at various periods, it found its way, or into which it was conducted; and the whole course of history tends to prove that the countries which became the staples or depots of this commerce, uniformly attained a high degree of opulence and refinement; which, however, gradually changed the habits and corrupted the manners of their inhabitants; at the same time that these were softened, sowing among them the seeds of luxury, and consequently of decline and ruin." **A. H. L. Heeren: Historical Researches into the Politics, Intercourse and Trade of the principal Nations of Antiquity,** Oxford, 1833, vol. I, pp. 35-56.

اذن كان من اثر تجارة الهند ان تطورت سبل المعيشة وأساليب الحياة ، بل وتغيرت الأمزجة والطباع لغير واحد من الشعوب القاطنة غربي الهند، وغني عن القول أن العرب ، بالاشتراك مع الفرس سكان الخليج الفارسي ، كانوا ، بطبيعة مركزهم الجغرافي ، اكثر تلك الشعوب اتصالا وحرصا على الاحتفاظ بدورهم فى حركة استيراد المنتجات الهندية المختلفة ونقلها عبر أراضيهم الى شواطىء البحر الابيض المتوسط ، ولئن كنا نأسف حقا لعدم وجود المصادر اللازمة للحصول على معلومات وافية عن نشاط العرب فى هذا الميدان فيما يتعلق بالعصور السابقة للاسلام ، ففي وسعنا ان نتلافى هذا النقص بالرجوع الى لغة العرب وآدابهم (1) ودراستهما دراسة مقارنة الى جانب اللغات الهندية مثل ما فعل العلماء الافرنج بشأن دراسة علاقات الروم بالهند ، وبما أن العرب كانوا فى موقع وسط بين الروم والهند فقد القت بحوثهم اضواء على العلاقات العربية الهندية الا أنها ، بطبيعة الحال ، اضواء جانبية فقط ، اما موضوع العلاقات العربية الهندية بالذات فقد بقي مغمورا مجحودا لا لشيء الا لعدم اتساع علم اللغويين الاول والمعنيين بالمعرب والدخيل فى العربية الى الهند ولغاتها ، نراهم — وكثير منهم ينتمون الى اصل فارسي — يقتصرون على ارجاع الكلمات الى الفارسية ، وفى بعض الأحيان يقفون حائرين أمام كلمات لا يجدون لها اصلا بالفارسية فيأتون بتعليلات من الخيال (2) ان دلت على شيء فهو أن الكلمة عدت غريبة فى نظرهم ، واخيرا لفتت دراسات الغربيين النظر الىهذا الموضوع الشيق فاقبل عليه العلماء الهنود بجد واهتمام ، وفعلا أثمرت جهودهم ثمرة طيبة من حيث أنها مهدت الطريق أمام الباحثين فى المستقبل الى ميدان واسع بكر .

/*\

هناك ثلاث طرق سارت عليها تجارة الهند الى موانىء البحر الابيض المتوسط :

---

1) يقرر الاستاذ هيرن هذا الاصل بقوله :

"We too often find curselves without the information necessary to follow the course of trade into the most remote regions; but when we meet with the mention of articles which are unquestionably peculiar to certain countries, we are warranted in concluding that a communication then existed with those countries, though we may be unable to define its nature and extent. A piece of sugar or a morsel of pepper in a neglected corner of a villageinn would be a certain proof of the trade with either Indies, even if we possessed no other evidence of the commerce of the Dutch and English with these countries." Heeren, 139-40.

2) راجع مثلا تحقيقنا عن « الفالج » و « القلقي » والكلام على « الشال » فى الصفحات التالية .

1) برا من المرات على الحدود الشمالية الغربية للهند الى بلخ ، ثم على خط سير القوافل شمال صحراء كرمان الى المدائن الى انطاكية والموانىء المجاورة لها .

ب — بحرا من الساحل الغربي للهند الى الخليج الفارسي مصعدا بالفرات ثم برا الى انطاكية والموانىء المجاورة لها .

ج — بحرا من الساحل الغربي للهند الى ساحل عمان الى ساحل اليمن ومن هناك اما على طول ساحل البحر الأحمر او على خط سير القوافل الى موانىء سوريا وفلسطين .

غني عن القول ان الطريق البري استخدم قبل أن يستخدم الطريقان البحريان ، وفعلا وجد علماء الآثار ما يؤكد ان العلاقات بين أرض الأنهار الخمسة (البنجاب) وارض الرافدين ترجع الى عشرات القرون قبل عهد التاريخ المنتظم (3) الا ان التجارة عن هذا الطريق كانت عبارة عن انتقال البضائع من قبيلة الى اخرى ضد احوال طبيعية صعبة وكانت ايضا متارجحة لعدم استقرار الأحوال السياسية ، ولذلك كان التحول الى الطريق البحري ايذانا بزيادة ملحوظة فى التبادل التجاري بين البلدين .

والدليل الموثوق به على جلب البضائع برا من الهند فيلة (4) على مسلة (Shalmanassar) (858 — 824 ق . م) ذكرت باسم غير معهود فى الآشورية هو (Baziati) عن السنسكرتية (Vasita) وبما ن الفيلة ذكرت الى جانب « الابل من (Bactria) ذات السنامين » يتاكد لدينا انها نقلت بالطريق البري عبر الحدود الشمالية الغربية للهند (5) .

ولا باس بأن نقف قليلا عند ذكر « الابل من Bactria » فى القرن التاسع ق.م فنلاحظ أن من اشهر واعز أصناف الابل عند العرب « البختية » وهي على حد قولهم « الابل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج » (اللسان) والفالج : البعير ذو السنامين... يحمل من السند للفحلة (الصحاح) وصف الفالج بهذه الصفة ابن حوقل سنة 350 هـ (6) والمقدسي سنة 375 هـ حيث يقول هو الآخر :

(من خصائص السند) « الفالج الذي تراه بالمشرق وفارس يولد البخاتي وهو أعظم من البخت له سنامان مليح لا يستعمل ولا يملكه الا الملوك ولا تكون البخت الا منه » (7) .

والفالج كلمة سندية محلية والجيم فيها علامة العجمة لا غير مع ان بعضهم لم يعد مهم التعليل بأن الفالج « يسمى بذلك لأن سنامه نصفان » (المخصص 68/7) ! ! ! وكذلك البختية « دخيل فى العربية اعجمي معرب » (اللسان ومثله فى المخصص 135/7 عن صاحب العين) . اذن فما هو اصل الكلمة ؟ لم ينصوا عليه بل ربما لم يهتدوا اليه حتى أن بعضهم اجترأ على القول بأن الكلمة عربية (انظر اللسان) ... على كل حال ما من شك فى ان « البختية » لم تكن غير « الابل من « Bactria » .

ومن الجدير بالملاحظة ايضا فى هذا الصدد ان اصحاب المعاجم قد فرقوا ، جريا على عادتهم ، بين مادتي « بخت » و « بختر » الا أن مشية الجمال البختية طوال الاعناق ذات السنامين هي اشبه شيء بمشية الخيلاء وقد جرت العرب على هذا المنوال فى قولها «تفخّت» من مشي الفاختة (المخصص 109/3) ومن الثابت ايضا انها كانت تصف النساء « بالبخت » قال الشاعر :

وفيهن من بخت النساء سبحلة
تكاد على غر السحاب تروق (9)

---

3) Wilson: The Persian Gulf, p. 28

4) الفارسية « pil » السنسكرتية « pilu » الا أن بعض العلماء يذهبون الى أن هذه الكلمة ليست اصيلة فى السنسكرتية . انظر Hobson-Jobson, (Supplement, « Elephant »

5) Kennedy, J.; Early Commerce of Babylon with India. JRAS, 1897, p. 242-288

6) المسالك والممالك ص 231 .

7) احسن التقاسيم ص 482 .

7) احسن التقاسيم ص 482 .

8) انظر Dozy: Supplement

9) سمط اللآلي 351 .

اما العلاقات التجارية البحرية بين المنطقة الممتدة من الخليج الفارسي الى البحر الأحمر وبين الهند فمن المقطوع به انها راسخة فى القدم الا ان الأدلة فيما يتعلق بالفترة السابقة لسنة 700 ق.م ليست بكثيرة ، من اهمها :

1 — ورد فى الكتابات التي ترجع الى ما قبل 2000 ق.م أن الاكاديين كانوا يستوردون الاخشاب من (Magan) اي عمان ، ويرجح أن تلك الأخشاب انما كان اهل عمان بدورهم يجلبونها من الساحل الغربي للهند (10) .

2 — كلمة (Sindhu) الواردة فى مكتبة (Assurbanipal) (668 — 626 ق.م) انما يرجع اصلها الى الهند وهي تعنى « القطن الهندي » ومنها العبرية (Sadin) والعربية « سدين » (11) .

3 — كلمة « Karpas » العبرية توافق السنسكرتية « Karpasa » .

4 — فى القرن العاشر ق.م استعان سليمان ، جريا على سياسة ابيه داود ، بالفينقيين لتنشيط حركة الملاحة والتجارة بين ميناء (Ezion Geber) (العقبة) (12) و Abhira = Ophir أعالي الساحل الغربي للهند (13) وتعد الكلمات الآتية من آثار هذه الحركة التي كانت ولا شك اقدم بكثير من عهد سليمان ، ولم يكن منه الا ان جعلها مباشرة بعد أن كانت تجري على ايدي وسطاء كثيرين :

1 — العبرية« Shen Habbin »= « سن النيل » (العاج) عن السنسكرية « ibha-danta » .

2 — العبرية (almug) (14) عن السنسكرتية والتاملية (valgu) .

3) العبرية (Koph) القردة عن السنسكرتية (Kapi) (قارن المصرية القديمة (Kafu)] .

4 — العبرية(thuki-im)عن التاملية(tokei-togai) وعنها الفارسية والعربية « طاووس » .

هذا بالاضافة الى الذهب والفضة والأحجار الثمينة التي تتألف منها قائمة البضائع المستوردة من الهند على ذلك العهد (15) .

ولا يخفى ان هذه الأدلة ، قليلة كما هي ، قد تناولها بعض العلماء بالتجريح والرفض (16) الا انهم فى الوقت نفسه اكدوا **أن عدم توفر الدليل لا يعني وجود ما يمنع التجارة البحرية ، بل بالعكس امتاز الدراوريون (Dravidians) سكان جنوب الهند منذقديم الزمان بالاتجاه الى الملاحة .**

ومنذ القرن السادس ق.م ينقشع الظلام وتتوفر لدينا الأدلة القاطعة على ازدهار التجارة البحرية ، منها :

1 — العثور على قطع من الساج (المرهتية (Sag)] وغيره من الاخشاب الهندية فى قصر نبخت نصر (Nebuchadnezzar) (604 — 562 ق.م) وفى معبد اله القمر الذي جدد نبخت نصر بناءه بـ(Ur) .

2 — انتشار عدد كبير من البضائع الهندية فى اليونان حيث كانت ترد عن طريق بابل ولا تزال

---

(10) انظر Wilson: The Persian Gulf, p. 27 ولعل Magan هي « مزون » بالعربية .

(11) H. J. Rawlinson: Intercourse Between India and the Western World, Cambridge. 1926, p. 2-3

(12) لقد امكن تحديد الموقع بتل الخليفة غربي العقبة على اثر الأعمال التي قامت بها بعثة أمريكية هناك اثناء 40 — 1938 م .

(13) اختلف كثيرا بشان Ophir بعضهم قراوا الكلمة Sophir « سوبارة » بالهند ايضا او « ظفار » باليمن او « سفالة » الزنج ، الا ن المرجح انها كانت بالهند .

(14) نوع من الخشب الثمين ، الصندل الاحمر على الأرجح راجع Cheyne : Ency. Biblica

(15) Rawlinson, pp. 10-11

(16) فى مقدمة هؤلاء الأستاذ J. Kennedy الذي مضت الاشارة اليه .

اسماؤها اليونانية والعربية ترشدنا الى أصلها فمثلا :

السنسكرتية (Chandan) = العربية (صندل) .
التاملية (Arisi) = العربية (الأرز) (17) .
التاملية (Karppu) = العربية (قرفة)
التاملية (Inchiver) = العربية (زنجبيل) .
التاملية (Pippali) = العربية (فلفل) .
السنسكرتية والتاملية (18) (Vaidurya
= العربية (بلور)
السنسكرتية (Kirmi) = العربية (قرمز)

فهذه هي بعض الكلمات الهندية الأصل التي دخلت اللغة اليونانية عن طريق بابل فى الفترة التي نحن بصددها (19) .

وقد بحث العلماء عن التطورات التي أدت الى نمو التجارة البحرية بين بابل والهند فى القرنين السابع والسادس ق.م فوجدوا أن تلك الظاهرة توافق تنكيل (Sennacherib) بالكلدانيين واحلال الفينيقيين محلهم فى سنة 694 ق.م لأن الكلدانيين الذين سكنوا « سيف البحر » (20) منذ القرن التاسع ق.م لم يكن لهم من التفوق فى الملاحة ما كان لأقرانهم الفينيقيين الذين جلبهم الملك الآشوري من اعالي دجلة والفرات وعلى هذا يمكن القول بأن شجاعة الفينيقيين وخبرتهم باعمال الملاحة والتجارة التي اكتسبوها فى موطنهم الغربي هما اللتان تغلبتا على مخاوف البحر الهندي (21) . ومن ناحية اخرى نجد فى المصادر الهندية الراجعة الى هذا العهد ولاسيما المجموعة المسماة بـ « Baveru Jataka » قصصا عن التجار الهنود (أغلبهم من الدراوريين الذين مضى الالماع اليهم) قيل انهم اثاروا اعجاب أهل بابل بالغراب تارة وبالطاووس تارة اخرى .

ولا يفوتنا فى هذا المقام التنويه بأن تجارة الهند هذه كانت السبب الرئيسي فى رخاء بابل وعظمتها التي بلغت أوجها فى هذا العصر حتى أثارت حسد فرعون مصر (نخاو) (Necho) 612 — 596 ق.م) فما كان منه الا أن بذل الكثير من الاموال والارواح فى سبيل اعادة بناء القناة الموصلة من النيل الى البحر الأحمر، تلك التي كان افتتحها لأول مرة (Sesostris) فى القرن العشرين ق.م .

*/

وقد كان لهذه العلاقات ايضا اثر خالد فى أربع من اهم نواحي الحضارة فى الهند :

1 — الخط البراهمي (Brahmi) ، الذي تفرعت منه الخطوط الهندية المختلفة، انما كان من أصل سامي قوي الشبه بالحروف الفينيقية الى درجة تؤكد أنه دخل الهند عن طريق الساحل الغربي على أيدي التجار الفينيقيين وقد حدد الدكتور بوهلر (Dr. Bühler) تاريخ دخوله الهند بسنة 800 ق .م ومع أن هذا التحديد لا يزال موضع نقاش الا انه من البديهي أن الخط لابد أن يكون قد مضى عليه قرون قبل أن يتطور فيتلاءم مع مقتضيات اللغات الهندية كما يبدو

---

17) الرز والآرز والرنز لغات فيه (* الانجليزية « Rice ») وقد اتجه بعض العلماء أخيرا الى الاعتقاد بأن المركز الذي انتشر منه الأرز فى العالم هو التركستان ولذلك قالوا ان أصل الكلمة هو « virinzi/virinza » بالفارسية القديمة = « briinj » بالفارسية الجديدة = « vrihi » بالسنسكرتية .
انظر : Sir George Watt: The Commercial Products of India : London, 1908, p. 824 etseq.
وليعلم ان كلمة اخرى مماثلة « البهط : الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة » هندية ايضا كما جاء فى المخصص 3/5 واصلها « bhata » .

18) بالبراكرتية « Vailurya » انظر : « Beryl » Hobson-Jobson .

19) Rawlinson, p. 14

20) « Sealand » الوارد ذكره فى الكتابات المسمارية والممتد من مصب الفرات الى Dilmun = البحرين (فارس نامه لابن البلخي تذكارجب، 1921 م ص 140) ويظهر أن العرب كانوا يعنون بـ « السيف » هذا السيف الغربي للخليج الفارسي خاصة ، قال الأخنس بن شهاب :
لكيز لها البحران والسيف كله وان يأتها بأس من الهند كارب (المفضلية 41 / 9)

21) راجع مقال Kennedy السالف الذكر .

فى الكتابات التي يرجع عهدها الى القرن الثالث ق م وهي اقدم الكتابات التي عثر عليها فى الهند (22) .

2 ــ نظام منازل القمر المعهود عند الهنود (Nakshatras) انما هو مأخوذ من بابل .

3 ــ يرجح الاستاذ كينيدي (Kennedy) أن الهنود انما اقتبسوا نظام التعامل بالعملة المعروفة بـ « Puranas » مما كان متبعا عند اهل بابل (23) ولا يخفى أن (Puranas) اقدم عملة عرفت بالهند وقد استمر التعامل بها الى عهد قريب ، ويرى كاتب هذا المقال انها هي المعنية بـ « النهري » عند مسعر بن مهلهل (24) و « القنهري » (تصحيف « النهري » أو « الفنهري ») ، عند المقدسي (25) .

4 ــ يتبين بعض العلماء علاقة ما بين الاوزان الهندية القديمة وبين مثيلاتها عند اهل بابل مثل « المن » اذ أن امرها مشكوك فيه جدا (26) .

*/

فى سنة 538 ق.م : امتدت سيطرة الفرس على بابل وغرب آسيا كلها وامتازوا بالجمع بين مصر من جهة ووادي السند من جهة اخرى فى جوزتهم الا ان هذه الميزة ، التي لا يمكن التقليل من اهميتها ، لم تستخدم ، كنتيجة للمنازعات السياسية ، لتسهيل التبادل بين المناطق الثلاث (البنجاب وبابل ومصر) التي كانت اهم مراكز التجارة الدولية ، ومن ثم يعتبر هذا العهد ــ عهد الأخمنيين (Achœmenians) الذي امتد الى ظهور الاسكندر (القرن الرابع ق.م) ــ عهد ركود على الرغم مما هو معروف عن دارا الأكبر (521 ــ 485 ق.م) ــ انه جهز وحدة بحرية تحت قيادة (Scylax) اليوناني للسفر وتفقد الأحوال من نهر السند الى مصر كما انه انشأ قناة من النيل الى السويس وارسل من هناك سفنا الى فارس .

لكن العلاقات التجارية بالهند كانت قد توطدت الى حد انها ابت الا ان تتخذ لها مجرى آخر (27) ، فان الفرس لما لجأوا الى التنكيل بأهالي بابل وتخريب موانيهم وسد دجلة والفرات ما كان من الكلدانيين ، الذين قد عرفناهم من قبل ، الا أن نقلوا انفسهم ونشاطهم الى (Gerrha) (على شاطىء الحسا) (*) التي سرعان ما اصبحت مدينة تجارية معروفة ، وبعد قليل ظهر اليمنيون كمنافس قوي للكلدانيين فى هذا الميدان فاتخذوا من (Mouza) = موخا وقنا (Kane) وعدن مراكز لهم وما لبثوا ان جذبوا اليها معظم تجارة الهند وافريقيا الاستوائية ايضا بالاضافة الى التجارة فى انواع الطيب المحلية من جنوب جزيرة العرب وكلما تدفقت هذه التجارة على خط سير القوافل من اليمن الى الشام ــ ذلك الخط الذي ربما سارت عليه بلقيس لزيارة سليمان ــ اشتهر قوم سبأ بالثروة والبسطة اللتين ضرب بهما المثل . وسنرى كيف ان فقدان هذه التجارة أدى الى خراب العمران الذي اصبح هو الآخر مضرب المثل .

*/

فى النصف الثاني من القرن الرابع ق.م. قلب الاسكندر الاوضاع ببسط سلطانه الى حدود السند

---

(22) Cam. Hist. of India I, pp. 140-142 وانظر ايضا دائرة المعارف البريطانية « Sanskrit » كذلك الخط الخروشتي الذي انتشر فى المناطق الشمالية الغربية للهند كان من اصل سامي آرامي .

(23) راجع الجزء الثالث من مقاله الذي سبقت الاشارة اليه .

(24) البلدان لياقوت « الصين » : « درهمهم (اهل كله) يزن ثلثي درهم ويعرف بالنهري » .

(25) احسن التقاسيم 482 ــ فى نسخة « الفهري » وليعلم ان المقدسي نفسه ينص على القنهريات غير « القاهريات » أو « القندهاريات » (كما عند ابن حوقل 228 والاصطخري 173) = كل درهم منها خمسة دراهم .

(26) Rawlinson, p. 15

(27) لعل تحول تجارة الهند من طريق الخليج الفارسي الى طريق البحر الأحمر كان قد بدا فى عهد نبختنصر ويعلل ونسنت Vincent تخريب ذلك الملك لمدينة صور بهذا السيف نفسه . انظر Wilson, p. 33 .

(*) بحذاء هجر فى الجنوب الغربي من مدينة القطيف تقع « العقير » وهي الآن ميناء صغير وعلى مقربة منها خرائب يعتقد العلماء انها موضع (Gerrha) = جرهاء . (الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام 140/1) .

وسرعان ما ابدى اهتمامه باعادة النشاط التجاري بين ساحل السند والخليج الفارسي فارسل بعثـــــة استكشافية لهذا الغرض تحت قيادة (Nearchus) على غرار ما كان فعله دارا الاكبر من قبل الا ان موته حال دون القيام بأي عمل آخر فى هذا الشأن. اما خلفاؤه الذين اقتسموا المملكة بينهم فقد شغلوا بالحـروب الاهلية حتى ان السلوقيين (Seleucids) لم يكن يهمهم غير الحصول على الفيلة من الهند عن طريق ايران كما ان خصمهم فى مصر بطليموس الثاني كان معنى بجلب ذلك الحيوان من الحبشة لأغراض حربية ولكن الـى جانب ذلك نلاحظ ان العلاقات بين ملوك الهند مـن جهة وملوك الشام ومصر من جهة اخرى كانت فىهذه الفترة اكثر توثقا من ذي قبل ، لا ادل على ذلــك من وفــود (Megasthenes) و (Dionysius) سفيرين لسلوكس وبطليموس على الترتيب لدى بلاط جندر كبت موريا (Chandragupta Maurya) ومما يذكر عن ملك الهند هذا انه اقام عددا من الموظفين للاتصــال بالاجانب والسهر على راحتهم اثناء زياراتهم للهنــد ويستنتج من هذا كله ان التجارة بين الهند والخليج الفارسي لم تكن قد وقفت او هبطت الى درجة كبيرة، ثم ساعدت الأحوال السائدة بأعالي الخليج على تركيز هذه التجارة فى ايدي اهل Gerrha الذين ربمـا كانت تتألف اغلبيتهم الآن من العرب وفى نفس الوقت كان نشاط سبأ فى ازدياد مستمر وقد شاركهم فى هذا النشاط النبطيون بأعالي البحر الأحمر ، اولئك القوم الذين ما كانت عاصمتهم الرقيم (Petra) لتنـال شهرتها فى التاريخ لولا انها وقعت موقعا هاما على خطي سير للتوافل من اليمن ومن العقبة (Aelana) ايضـــا .

*/

لقد اتضح مما سبق ان مصير سبأ ورخاءهـا وحضارتها كانت مرتبطة ارتباطا تاما باستمرار تجارة الهند على الخط البري المحاذي لساحل البحر الأحمر الى اسواق الشام ، وفعلا نرى تجار سبأ حريصـين حرصا بالغا على الاحتفاظ بهذا الخط الى حـد ان الروم واليونان كانوا يعتقدون طوال هذه المـدة ان المنتجات الهندية التي كانت تنقل اليهم عن هــذا الطريق كانت من منتجات اليمن المحلية (28) . ويجدر بالملاحظة فى هذا المقام ان الأخطار الشديدة التـي كانت تحدق بالملاحة فى البحر الأحمر فوق عدن من عدم وجود موانىء صالحة وقلة الماء والقرصنة ومـا اليها كانت من اهم العوامل التي جعلت من الخـط البري الطريق المفضل قرونا عديدة ، الا ان اليونانيين كانوا دائما يبذلون محاولات جدية للتغلب على تلك الصعاب من قاعدتهم فى مصر مما جعل اليمنيينيرقبون تصرفاتهم بيقظة وحذر ، فمثلا لما عمد بطليمـوس الثاني (285 — 246 ق.م) ، الذي كانت سلطتـه تمتد الى فينيقية وفلسطين ، الى اعادة فتح القنـاة القديمة بين النيل والسويس (Arsinoe) اولا وانشاء الطريقين الصحراويين من (Koptos) الى (Berenike) ومن (Koptos) الى (Myos Hormos) ثانيا احدث ذلك رد فعل قوي بين اليمنيين . على كل حال اقصى ما توصل اليه اليونان ، بعد هذه الجهود المضنية ، هو ابتياع البضائع الهندية من حين الى آخـر فى الموانىء اليمنية ، خاصة (Mouza) ، ثم نقلها الى (Koptos) كما مر بدون ان يتسنى لهم الاستغناء عن وساطة سبأ ومن المعتقد ان النساء والكلاب والثيران والابقار والتوابل الهندية المحملة على الجمال ، تلك التي ازدان بها الموكب التاريخي لبطليموس الثانـي سنة 271 — 270 ق.م انما وصلت الى عاصمـة مصر بعد اعادة شحنها فى الموانىء اليمنية . نعم وقد برز فى هذه الآونة ايضا اسم جزيرة سقوطـرة (29) كسوق دولي هاجر اليها واستوطنها اليونانيون (30) للمشاركة فى تجارة الهند والحبشة .

فخلاصة القول ان تجارة الهند ما زالت تتحول من الخليج الفارسي الى البحر الأحمر منذ بدايـة عهد الفرس الاخمنيين ، بل وقيل ذلك منذ أيام بخت نصر الى أن أصبح الطريق الأخير هو الطريق الرئيسي فى القرن الثاني ق.م وفى هذه الفترة بالذات اي منذ انتقال الكلدانيين الى (Gerrha) بدأ العرب سكان المناطق الساحلية الجنوبية الشرقية والجنوبيـة

(28 Hitti : Hist. of the Arabs, p. 48

(29 السنسكرتية «Dvipa Sukhatara» اي جزيرة السعادة.

(30 يقول ابو زيد السيرافي ، سلسلة التواريخ ، باريـس 1845 ، ص 133 — 134 ، ان الاسكنـدر هو الذي اهتم باسكان اليونانيين تلك الجزيرة تحقيقا لرغبة ارسطاطاليس فى الاستيلاء على منابت الصبر بها .

يمارسون هذه التجارة ويستولون عليها أكثر حتى اصبحوا محتكرين لها يعضون على احتكارهم بالنواجذ ولم يستطع عملاؤهم اليونان ، مع شدة تلقهم ، احداث اي تغيير جوهري فى الوضع حتى القرن الثاني ق.م.

*/

ولكن ما كاد القرن الثاني يقترب من النهايةحتى حدث ما كان فى الواقع بداية لنهاية أمر العرب وهو أن ملاحا هنديا غرقت سفينته فوصل فى قارب النجاة الى الساحل الغربي للبحر الأحمر حيث تولى الخفر نقله الى الاسكندرية ، وبينما هو فى تلك المدينة وقد اخذه الحنين الى الوطن اذ التقى بـ (Eudoxus of Cyzicus) الذي كان له باع فى علم الجغرافيا ، ولم يمض وقت طويل حتى تواعد الاثنان وحصلا على موافقة الملك (Euergetes II) ومساعدته للقيام برحلة الى الهند وقد تم ذلك فعلا ما بين 120 — 110 ق.م (31) فرجع الملاح الهندي الى اهله بعد أن دل يودوكسس على الطريق الى الأرض التي كان يسمع عنها اليونان أن بها « أشجارا تنبت الصوف » و « احجارا تذوب فى الفم فتكون أحلى من التين ومن العسل » (القطن والسكر على حد تعبير Herodotus, Megasthenes) على الترتيب) .

ولم تكن نتائج هذه الرحلة ، التي كانت الأولى من نوعها ، لتضيع على الملاحين اليونان فقد اتبعها يودوكسس نفسه على الأقل برحلة أخرى وما من شك أن آخرين حذوا حذوه من حين لآخر لأنا نفاجأ قبل مضي فترة طويلة بسبق الملاح اليوناني ، المتمثل فى (Hippalus) ، على العرب الى الاكتشاف عن طريقة استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية فى السفر الى الهند أيام الصيف . من المؤكد ان العرب لم يكونوا يجهلون الرياح الموسمية ، كفى دليلا على ذلك أن الكلمة العربية « موسمية » هي التي انتقلت وتطورت الى (monsoon) لكنهم ، لسبب ما ، لم يكونوا قادرين على استخدامها ابانهياج البحر فى فصل الصيف بالذات (32). مهما يكن من أمر فان ما امتاز به اليونان كان كشفا عظيما أدى الى انقلاب خطير فى طريق الملاحة والتجارة ويؤرخ هذا الكشف ــ كشف (Hippalus) ــ فى سنة 45 م الا أن بين أيدينا أدلة على تغلغل اليونان وكثرة ترددهم على المناطق التجارية بالهند قبل ذلك، منها ايفاد بعثة من قبل الملك (Pandion) بأقصى جنوب الهند (33) الى (Augustus) بمصر فى سنة 20 ق.م ، كذلك شهادة استرابو (Strabo) الصريحة بأن 120 مركبا سارت الى الهند فى سنة واحدة (25 ق.م) من ميناء (Myos Hormos) ، ثم لا يخفى أن حملة (Aulius Galus) على اليمن فى عهد (Augustus) نفسه سنة 24 ق.م لم تكن الا حلقة فى سلسلة الخطوات لانتزاع تجارة الهند من ايدي العرب (34) . وذلك بالتواطؤ مع النبطيين شركاء سبأ الذين سبقت الاشارة اليهم ، لكن الحملة فشلت فشلا ذريعا وظل مركز العربتويا وكان ناقوس الخطر قد دق والخراب يتسرب الى اليمن رويدا رويدا .

وبمناسبة ذكر الملك (Pandion) لا بأس بأن نستطرد قليلا لنضرب مثلا للفائدة التي تعود على الادب العربي من الدراسات المقارنة فنقول ان مملكة (Pandye) بأقصى جنوب الهند قد اشتهرت من قديم الزمان بمغاصات اللؤلؤ الواقعة فى المياه الضيقة بين ساحل الهند وجزيرة سيلان وجاء عنها فى الأساطير الهندوكية أن الاله كرشن (Krishna) جمع اللآلىء من انحاء العالم وركزها فى تلك المنطقة لتتزين بها ابنته ملكة (Pandye) . لقد ذكر (Megasthenes) المغاصات والأسطورة المتعلقة بها (35) كما لم يغفل الاشادة بها احد من الزائرين لتلك المنطقة فى جميع العصور من بينهم سليمان التاجر (36) وماركو بولو(37)

---

31) انظر : Rawlinson, p. 96-99

32) سيجد القارىء بحثا قيما عن هذا الموضوع فى: George Fadlo Hourani
Arab Sea-faring in the Indian Ocean, Princeton, 1951, p. 25

33) Pandya = « Pandion » هذا هو التفسير السائد وقد ذهب البعض الى أن المراد به « Porus » (Kadphises I) بالمنطقة الشمالية الغربية انظر : Rawlinson, p. 108

34) انظر : Hitti, p. 46

35) Cam. Hist. of India

36) سلسلة التواريخ ص 120 .

الا انه كان بهذه المنطقة ميناء هام ربما سار اسمه مع اللآلي التي كانت تصدر منه وهو (Kolkai) (38) وبما ان مياه البحر انحسرت وابتعد الساحل من موقع هذا الميناء اثناء العصور القديمة نفسها اختفت الاشارة اليه فيما عدا المصادر اليونانية الراجعة الى الفترة التي نحن بصددها ، ثم مضت قرون فاجأنا على اثرها الشاعر العربي علقمة بقوله :

محال كأجواز الجراد ولؤلؤ
من القلقي والكبيس الملوب (39)

كذلك قول ابن الرومي ايضا :

يفتر ذاك السواد عن يقق
من ثغرها كاللآ القلق (40)

« القلقي » ؟ = الـ (Kolkai) لا غير . لكن انظر ما جاء عنه في اللسان « القلقي ضرب من الحلي، قال ابن سيده : ولا ادري الى اي شيء نسب الا أن يكون منسوبا الى القلق الذي هو الاضطراب كانه يضطرب في سلكه ولا يثبت .. » ! وفي بعض الاحيان الجات الحيرة النساخ الى التحريف : « القلعي » بدل « القلقي » — الا أن الامر لم يزل مغلقا .

لقد سبق أن رأينا ما كان لـ (Gerrha) من شأن كبير في التجارة الدولية ، يبين لنا (Eratosthanes) (276 — 194 ق.م كيف أن اهلها — ولاشك أن غالبيتهم كانت من العرب — كانوا يقومون بنقل انواع الطيب والبضائع الأخرى المجلوبة من جنوبي جزيرة العرب والحبشة الى بابل و (Seleucia) كانوا ينقلونها بالقوافل البرية وربما ايضا بالسفن التي كانت تصعد بدجلة الى (Seleucia) نفسها (41) وقد كان لهم نصيب من تجارة الهند ايضا مع ان معظمها كانت قد تحولت الى اليمن والبحر الأحمر . ومن الجدير بالملاحظة ان هؤلاء التجار الوسطاء على ساحل الخليج الفارسي استمروا في اعمالهم ونشاطهم طوال قرون عديدة بدون اية محاولة للتدخل من قبل السلوقيين اللهم الا ما كان من (Antiochus III) الذي اغار على (Gerrha) حوالي سنة 205 ق.م لكنه سرعان ما رضي بالرجوع قانعا بالغنائم والهدايا من البضائع التي كان الأهالي يتجرون بها ولا يخفى أن السلوقيين كانت لهم تجارة واسعة بالهند عن طريق البر (ايران) وهكذا ظل الحال ايام البارثيين (Parthians) الذين استولوا على بابل والمدائن ما بين 140 و 130 ق.م فهم ايضا قصروا اهتمامهم على تجارة الهند (والصين ايضا) عن طريق البر فقط (42) وقد كانت تكفي لتدر عليهم ارباحا طائلة . على كل حال لم يحدث في منطقة الخليج الفارسي مثل ما حدث في منطقة البحر الأحمر من منافسة اليونان للعرب .

*/

لم تكد دعائم الامبراطورية الرومانية تتوطد في سوريا وفي مصر قبيل بدء التقويم المسيحي حتى نعمت البلاد بالاستقرار وتأمين السبل والقضاء على القرصنة مما ادى الى شدة الاقبال على سلع الكماليات المستوردة من الهند والصين في روما والاسكندرية والمدن الأخرى ، ولذلك يعتبر القرن الأول المسيحي ازهى عصور تجارة الهند بالغرب ، اما التطورات التي كانت قد حدثت في سير هذه التجارة بالنسبة الى العرب فنتبينها بوضوح في مذكرات بحار يوناني مجهول كتبها حوالي سنة 80 م باسم (The Periplus of the Erythraean Sea) — نتبين منها ان الملاحين الروم كانوا اذ ذاك يبحرون راسا من قنا أو من (Ocelis) الى (Cranganore = Muziris) بالجزء الاسفل من الساحل الغربي للهند وذلك في الحقيقة يمثل تقدما كبيرا على ما جرت عليه العرب

---

37) The Travels of Marco Polo, Broadway Travellers, London, 1931, pp. 292-293

38) على نهر Tamraparni باقليم Tinnevelly انظر The Periplus of the Erythraean Sea (Schoff), 1912, p. 237

39) العقد الثمين ق 4/1

40) كتاب التشبيهات لابن أبي عون — تذكاركب — ص 97 .

41) Wilson, p. 45

42) Hourani, p. 14

من السير بمحاذاة الساحل الى «منطقة البوازيج»(43) اي كجرات (Gujerat) وربما انحدروا من هناك الى ساحل المليبار أيضا — الا ان الروم ، على الرغم من تفوقهم هذا ، كانوا لا يزالون بعيدين من القضاء على نفوذ العرب القديم في الأسواق الهندية ، يذكر ان الروم لم يكونوا يستطيعون الحصول على القرفة (اللحاء) الا في رأس (Guadrafui) لانها كانت تحجب عنهم في الأسواق الاصلية بينما كان ورق تلك الشجرة، شجرة القرفة نفسها ، معروضا عليهم في المليبار حتى اشتهر بينهم باسم (Malabathrum) (44) وهذا اطرف مثال للاواصر الوطيدة بين المصدرين من التجار الهندوس والوسطاء العرب ضد عملائهم الروم .

لكن لا يظن أن الاتفاق بين الشريكين القديمين كان كفيلا بمقاومة تغلغل الدخيل الجديد الذي اقتحم الميدان مسلحا بالتفوق في طرق الملاحة فان المصدر نفسه اعني (Periplus) يحدثنا ايضا عن الموالاة بين الروم وبين حمير ملوك ظفار الذين كانوا قد حلوا محل سبأ منذ حوالي 115 ق.م ، وذلك شاهد على ان العرب وان لم يكونوا قد تركوا الميدان الا انهم كانوا قد بداوا يهادنون خصومهم وهل ذلك الا كنتيجة للضعف والوهن ؟

ومما زاد الطين بلة ظهور منافس جديد للعرب في تجارة الهند . لا يخفى أن الهندوس كانت لهم علاقات تجارية قديمة جدا بساحل الصومال والحبشة ، لا ادل على ذلك من ان المصادر الهندوسية تحتوي على اقدم الاشارات الى « رجال القمر » و « جبال القمر (45) ، ثم أن العرب ، وان لم يرحبوا بالتجار الهندوس في الموانىء اليمنية ، كانوا قد امسكوا عن مزاحمتهم في منطقة شرق افريقيا (46) حتى اصبحت ملتقى للتجار الهنود والعرب واليونان والروم ايضا وقد ظلت على حالها هذه الى ان بدأ الحبشيون يتطلعون في الفترة التي نحن بصددها الى نصيب اكبر لانفسهم من تجارة الهند وسرعان ما راحوا ينشدون تحالفا مع الروم ضد العرب لهذا الغرض (47) وهكذا اصبحوا عاملا جديدا كان له شأن يذكر فيما بعد .

على كل حال بلغ استهلاك البضائع الشرقية ، ولاسيما انواع الطيب ، ذروته في عهد نيرو (Nero) — 54 — 68 م — فقد ذكر بلني (Pilny) أن المملكة الرومانية كانت تتكبد ما يقدر بمليون ومائة الف جنيه سنويا ثمنا لمشترياتها من جزيرة العرب والهند والصين وكان نصف هذا المبلغ تقريبا من نصيب الهند وحدها (48) . وقد اضطر الملوك الذين جاءوا من بعد الى فرض بعض التقشف صونا للمركز المالي الا أن حركة الاستيراد ما زالت قويةحتى كان عهد طراجن (Trajan) 98 — 117 م — الذي سعى لتضييق الخناق على العرب وذلك باعادة فتح القناة القديمة بين النيل والبحر الاحمر . (وكانت قد انسدت منذ عهد البطليموس الثاني) وتوصيلها الى بابل مصر ثم بضم اقليم النبطيين ، الذين كانوا قد ساعدوا (Aulius Galus) ضد اليمنيين ، الى مملكته وانشاء طريق رئيسي من العقبة الى دمشق واخيرا بانتزاعه جميع الأراضي الممتدة الى (Charax) و (Apologus) باعالي الخليج الفارسي من ايدي البارتيين . لاشك أن فكرة السيطرة على هذين المناءين كانت فكرة سليمة جريئة لأنهما كانا على اتصال بحري شرقا بالهند وقد أتفق لطراجن نفسه حينما كان واقفا على رصيف Charax أن رأى سفينة تتأهب للاقلاع الى الهند فأسف على أنه لم يكن في وسعه التقدم الى تلك البلاد لكبره وكانت تمتد ايضا من المناءين خطوط تجارية غربا الى موانىء الشام وعلى ذلك فقد أراد طراجن أن يتم له الجمع بين منطقتي الخليج الفارسي والبحر الأحمر تحت سيطرته وتلك ميزة لم تتيسر منقبل لغير دارا الاكبر والاسكندر وكان يرجى أن تكون لمثل هذه الخطوة آثار بعيدة لولا أن البارتيين سرعان ما استردوا ما كانوا قد فقدوه فاقتصرت النتيجة على أن برز اسم مدينة (Palmyra) تدمر كخلف للرقيم التي خربها طراجن سنة 105 م وقد نال هذا المركز التجاري الجديد قسطا وافرا من الازدهار لأن الفريقين رأيا من مصلحتهما عدم التعرض له حتى بقي اهله يتجرون

(43) هكذا يسميها أبو الفداء : التقويم (باريس) ص 358 .
(44) Periplus ص 4
(45) المصدر نفسه ص 87 نقلا عن Speke : Discovery of the Source of the Nile
(46) المصدر نفسه ص 3
(47) Hitti ص 59
(48) Rawlinson ص 103

فى كلتا المملكتين المتخاصمتين وينقلون البضائع بينهما وذلك الى سنة 273 م — الوقت الذي راى فيه الروم ان الفرصة قد سنحت للاستيلاء على تدمر كما كانت قد استولت على الرقيم من قبل .

يتجلى لنا فى جغرافية بطليموس (حوالي 150 — 160 م) مدى التقدم الذي كان قد احرزه التجار الروم فى الاستيلاء على التجارة الشرقية وذلك طبعا على حساب نفوذ العرب ومصالحهم فقد كانوا عرفوا خليج البنغالة بما فيه مصب نهر الكنك (Ganges) و « بلاد الذهب » (جنوبي ملايو) كما ان واحدا منهم على الاقل يسمى الاسكندر كان قد زار طونكنج (Tong King) ، كذلك وصل وفد منهم فى سنة 166 م الى عاصمة الصين ليشكو من احتكار الايرانيين لتجارة الحرير ويعرض انشاء علاقات مباشرة عن طريق الهند (49) ومن جهة اخرى تفيدنا المصادر الهندية التاملية (Tamil) عن وجود جاليات للروم فى جنوب الهند وانخراطهم فى خدمة الامراء الهنود (50) كما أن ظهور التجار الهنود فى أسواق الاسكندرية — الأمر الذي يشهد به Dio Chrysostom على عهد طراجن(51) يعد دليلا على نمو العلاقات التجارية المباشرة بين الروم والهند .

وهكذا استمرت هذه الحركة قوية طوال القرنين الثاني والثالث بينما اصبحت العرب غير ذات شأن الى ان حدثت تطورات سياسية جديدة وساءت احوال روما الاقتصادية وانخفضت قيمة عملتها التي كان يتعامل بها كل من العرب والهنود فكانت النتيجة ان ركدت التجارة وتضاءلت الى ادنى حد بدليل انه لم يعثر فى الهند على العملة الرومانية الراجعة الى ما بعد 211 م الا القليل النادر (52) .

*/

لقد راينا آنفا كيف ان العرب غلبت على تجارة الهند ولكن القضاء لم يمهل الروم طويلا ليجنوا من ثمرات نصرهم فسنرى كيف ان الفرس حلوا محل العرب والروم جميعا اثناء القرون التالية ، نعم وقد اشتد ايضا فى الوقت نفسه مركز الأحباش حتى اصبحوا المنازع الوحيد للفرس فى تجارة الهند :

انتقل زمام الحكم من البارتيين الى الساسانيين فى سنة 225 م ومن اهم ما امتاز به الساسانيون اهتمامهم بتشجيع الملاحة عند الفرس — الناحية التي لم يلتفت اليها اسلافهم قط ، يتجلى هذا الاهتمام فيما قام به اول ملوك الأسرة الجديدة ، اردشير الأول (225 — 241 م) من انشاء الموانى وما اليها . وفى مطلع القرن الرابع نسمع عن حملة العرب سكان الساحل الغربي على الفرس بالساحل الآخر عبر الخليج الفارسي ثم عن انتقام سابور الثاني من العرب بعد ذلك بزمن قليل مما يدل على تقدم الملاحة واجتياز المنصرين دورا من المزج والصهر فى بوتقة واحدة. وفى هذه الأثناء زالت روما وخلفتها قسطنطينية سنة 330 م كما ان حمير استكملت سيادتها على الجزء الجنوبي من جزيرة العرب حتى اصبح التبع « ملك سبأ وحضر موت ويمنات ونهامة » لكن حمير كانت الآن مهددة تماما من قبل الحبشيين الذين كان يجري فى عروقهم دم المهاجرين من اليمن نفسها وفعلا بدا ملوك كسوم (Axum) يتحرشون بسكان الساحل الشرقي للبحر الاحمر منذ اواخر القرن الثالث حتى نجحوا فى النصف الاول من القرن الرابع فى اخضاع حمير لسيادتهم ، ومع أن سيادتهم لم تدم الا برهة قصيرة استأنفت حمير بعدها استقلالها الا ان الحبشيين بقوا عاملا يعتد به فى كل ما يتعلق بالتجارة والسياسة فى البحر الأحمر .

لقد مررنا سريعا بالقرن الثالث والرابع والخامس لقلة المصادر عنها غير ان الوقائع التي سردناها تعطينا فكرة عن التيارات الآخذة فى النمو والاشتداد وما ان نصل الى القرن السادس حتى نرى نتائجها واضحة مستكملة وهي تتلخص فى استيلاء الحبشيين مرة اخرى على حمير سنة 525 م ، ومما يسترعي الانتباه ان ذانواس لم يكن يملك اسطولا ولم يظهر اية مقاومة الا بعد وصول المهاجمين الى البر ، ثم جاءت النهاية الكبرى للخراب الذي كان يتسرب

(49 انظر Hirth: China & the Roman Orien, 1885 ص 173 — 178 .

(50 Rawlinson ص 121

(51 المصدر نفسه ص 140

(52 المصدر نفسه ص 151

الى اليمن منذ قرون بشكل انشقاق سد مارب ما بين 542 — 570 (53) أما الفرس فكانت مكانتهم عالية ممتازة جدا ، كانوا قد اكتسحوا الروم من الموانىء الهندية وكانوا كما يشهد به (Procopious) و (Cosmos) يتسلمون الحرير الوارد عن طريق البحر من « الصين » (Sinae) الساحلية في سيلان بينما كانوا هم انفسهم مسيطرين على الخطوط البرية الموصلة عبر وسط آسيا الى (Seres) مصدر « السرق » 54) اي الصين الشمالية . فخلاصة القول انه لم يكن احد ينفذ من الحصار المضروب من قبل الفرس على الموانىء الهندية الا الحبشيون الذين كثيرا ما ترددوا ببضائعهم ، ولا سيما العاج ، على سيلان والساحل الغربي للهند حتى على موانىء الفرس انفسهم وكانت (Adulis) (حاليا Massawa) ميناء الحبشة الرئيسي (وقاعدة الهجوم على اليمن) ، في هذا الوقت مركزا تجاريا هاما لأن الروم كانوا قد اضطروا الى قصر نشاطهم على الاتصال بها والحصول على طلباتهم منها ولم يكونوا يستطيعون التجاوز عن باب المندب الا قليلا ، وهل ادل على تحرج موقف الروم وعجزهم من انهم تو ما سمعوا عن استيلاء الحبشيين على اليمن بعثوا بعيد 531 م بسفارة من قبل الامبراطور (Justinian) الى اكسوم يطلبون من الحبشيين أن يحاولوا شراء الحرير راسا من الهنود وبيعه لهم (الروم) لكي تتوفر الأموال التي كان الروم مضطرين الى دفعها لأعدائهم الفرس، وفعلا حاول الحبشيون العمل بهذا الاقتراح الا انهم لم ينجحوا في ذلك لما كان يتمتع به الفرس من النفوذ وحسن ادارة الأمور في أسواق سيلان والهند. ولم يقتصر نفوذ الفرس عند هذا الحد بل تعداه الى انشاء مراكز لهم في سقوطرة وفي (Adulis) نفسها واخيرا نراهم يطردون الحبشيين من اليمن وينتزعونها لأنفسهم حوالي 570 م .

هكذا تمت للفرس السيطرة على جميع المياه الواقعة بين سيلان من جهة وساحل شرق افريقيا من جهة اخرى ، وكان من الطبيعي أن يصبح الخليج الفارسي الطريق الرئيسي لتجارة الهند في عهدهم ، كما كان البحر الأحمر ابان نبوغ الروم من قبل . ونجد هذه الأحوال منعكسة على الشعر الجاهلي العربي والروايات التي وصلتنا عن ذلك العهد : افهل ادل على الاتصال الوثيق المستمر بين الهند والخليج الفارسي من أن الأبلة كانت تعرف بـ « فرج الهند » (55) كذلك يرجح أن « عدولية » في قول طرفة :

عدولية أو من سفين ابن يامن (56)
يجور بها الملاح طورا ويهتدي

هي السفينة المنسوبة الى (Adulis) مما يدل على الاتصال بينهما وبين الخليج الفارسي .

بقي أن نتساءل : ماذا كان نصيب العرب من الملاحة والتجارة في هذا العهد ؟ يبدو انه لم يكن لهم صفة مستقلة ، انما كان أهالي عمان وما حواليها

---

53) المهم ان انشقاق سد مارب كان نتيجة لا سببا لخراب اليمن وتشتت سبا . انظر Hitti ص 65

54) ظل العالم الغربي يجهل حقبة طويلة أن (Sinae) التي كان الوصول اليها عن طريق البحر و (Seres) التي كان الوصول اليها عن طريق البر انما كانتا تمثلان جزئين لبلد واحد ، كما أن سكانهما كانوا من شعب واحد ، وتمثل كلمة « السرق » بالعربية (* بالانجليزية « Silk ») الحرير الوارد عن طريق البر اي ايران (بالفارسية « سره » والاصل بالمنغولية (sirkek) والصينية « ssi ») انظر (Periplus) ص 266 .

55) تاريخ الطبري (ليدن 12 / 2021 ، انظر ايضا 2023 حيث جاء : « كان فرج الهند اعظم فروج فارس شأنا واشدها شوكة وكان صاحبه يحارب العرب في البر والهند في البحر »

56) ورد ذكر ابن يامن في بيت لامرىء القيس ايضا:

او المكرعات من نخيل ابن يامن دوين الصفا اللائي يلين المشقرا

المشقر : قصر بالبحرين (البلدان لياقوت) . يرجح الدكتور سليمان الندوي انه كان تاجرا عربيا يهوديا هناك (عربون كي جهاز راني ص 26) .

57) انظر (Hourani) ص 42 . اما اللغويون فنجد اقوالهم متناقضة مما ينم على نوع من التخبط : عن الأصمعي عدولي قرية بالبحرين ، وقيل موضع يسمى عدولاة ، وعن ابن الكلبي : عدولى ليسو من ربيعة ولا مضر ولا ممن يعرف من اليمن انما هم أمة على حدة (كذا في اللسان « عدل ») .

قد اختلطوا اختلاطا كبيرا بجيرانهم الفرس ، وكان من الطبيعي ان يشاركوهم اعمالهم مما اكسبهم دراية وخبرة . او لا نرى الى ازد عمان وهم يحتقرون لكونهم « مزونيين » وملاحين كما أن كبراءهم ربما نسبوا في معرض الهجو الى أصل فارسي (58) . أما الصور الرائعة لمناظر البحر واهواله وسير السفن فيه التي يزخر بها ديوان العرب ، فلا يصح أن تتخذ دليلا على مزاولة العرب للملاحة أو اهتمامهم بها ولاسيما اذا كان هناك ما يؤكد استهجانهم لها ، انما كانت تلك الصور كليشهات نقلت الى داخل الجزيرة من المناطق الساحلية (59) .

*/

على ضوء ما سردناه آنفا من الاوضاع السائدة في القرن السادس نستطيع ان نفهم جيدا بعض الحوادث التي وقعت في أوائل العهد الاسلامي، فمثلا حملة اهل عمان البحرية على فارس وحتى سواحل السند وكجرات بدون سابق اذن من الخليفة الثاني عمر انما تدل على المعرفة القديمة والتحمس الجديد لاثبات استقلالهم عن الفرس الذين كانوا متفوقين عليهم من قبل ، كذلك نرى كيف ان عمر الذي كان حذرا خائفا من « حمل الدود على العود » اضطر الى السماح بمهاجمة (Adulis) لاشعار الحبشيين بانتهاء سيطرتهم السابقة على المياه المجاورة ثم توسعت الفتوح الاسلامية حتى شملت مصر من جهة والسند من جهة اخرى فكانت النتيجة ان اصبح طريقا الخليج الفارسي والبحر الأحمر تحت سلطة واحدة وتلك غاية طالما تاقت الحكومات المختلفة الى تحقيقها فلم توفق الى ازالة الحدود بين العراق وسوريا كما قد رأينا من قبل وتبع هذا التطور الجديد ان ارتفع التنافس والتسابق بين المنطقتين ورجع نشاط كل منهما الى ما كانت تقتضيه طبيعة العمران والاستهلاك المحلي ، وبما أن خط الخليج الفارسي كان اكثر استقامة واقرب مسافة واوثق اتصالا وان التجار لم يلجأوا الى البحر الأحمر الا للضرورة ، لذلك استمر هو الأول الطريق المفضل لتجارة الهند كما كان منذ عهد الساسانيين ومما زاد في نشاط هذه الناحية زيادة ملموسة انتقال عاصمة الخلافة ومركز الحضارة الى بغداد ولعل قول مستشار المنصور الذي يبسط فيه مزايا الموقع الجغرافي لتلك المدينة يقوم أوضح دليل على اهمية العلاقات التجارية التي نحن بصددها، قال دهقان بغداد للمنصور : « ... تحمل اليك طرائف الهند والسند والصين والبصرة وواسط في دجلة ... » (60) .

يصدق هذا القول ما أورده الرحالون والجغرافيون امثال سليمان التاجر (237 هـ) وابن خرداذبه (232 هـ) والمسعودي (332 هـ) والمقدسي (375 هـ) بشأن ازدهار التجارة والعمران في الابلة وسيراف والبصرة ، لقد كانت المراكب تقلع من هذه الموانىء الى مسقط ومن هناك رأسا الى كولم ملى (Quilon بجنوب الهند حيث كانت تفترق الطرق فاما الى ساحل الدكن (جنوب الهند) الشرقي واما الى سرنديب (جزيرة سيلان) وكله Kedah بملايو) على الطريق الى الصين ، هذا فضلا عن حركة التجارة المتصلة بالموانىء القائمة على الساحل الغربي للهند فوق كولم ومن اشهرها الديبل على مصب نهر السند وكنبايت وبروص (Broach الحالية) بكجرات وتانه وصيمور (Chimur وسوباره (Churparaka = Sopara) باقليم بومباي ولنقدر مدى توثق العلاقات بين المصدرين الهنود وزبائنهم بقول سليمان عن ملوك الكمكم (Konkon) انهم « يعمرون ربما ملك احدهم خمسين سنة وتزعم اهل مملكة بلهرا (Rashtrakutas = « Vallabhrai ») انما يطول مدة ملكهم واعمارهم في الملك لمحبتهم للعرب وليس في الملوك اشد حبا للعرب منه وكذلك اهل مملكته (61) لم لا والرخاء الاقتصادي في البلاد كان يتوقف على تصريف المنتجات في أسواق العرب ؟

ومما يلاحظ في هذا الصدد ان انتشار الاسلام الى الجانب الشرقي للخليج الفارسي ساعد كثيرا على تكوين شعب واحد من الفرس والعرب سكان السواحل في تلك المنطقة وقد كانوا اختلطوا

---

(58) المهلب بن أبي صفرة مثلا .

(59) انظر دائرة المعارف الاسلامية « السفينة » .

(60) البلدان لياقوت (ط اوربا) 681/1 .

(61) سلسلة التواريخ ص 27 .

وامتزجوا الى حد كبير فى العصر السابق ، ولذلك نراهم فى العصر الاسلامي يشتركون فى أعمال الملاحة والتجارة اشتراكهم فى استعمال اللغة العربية كتابة وخطابة مما يجعل من العسير التمييز بين المنصرين ، الا أن نظرة واحدة على اسماء النواخذة الوارد ذكرهم فى كتاب عجائب الهند لبزرك بن شهريار (62) تكفي للتدليل على وجود العنصر الفارسي بل وعلى غلبته ايضا .

اما مقدار التجارة عن طريق البحر الأحمر فكان ونقا لحاجة مصر لا غير وللسبب نفسه يرجح انه زاد كلما ارتفع شأن مصر على اثر انحلال الدولة العباسية لاشك ان عمر كان قد جدد فتح القناة القديمة بين النيل والقلزم الا انه لم يكن يستهدف من ورائه غير نقل الميرة الى الجار ميناء المدينة .

واخيرا يجب التنبيه على ان ظهور الاسلام وان ادى الى قيام دولة واحدة تشرف على طريقي الخليج الفارسي والبحر الأحمر الا انه فى الوقت نفسه سبب القطيعة بين الدولة الجديدة وبيزنطة ، تلك القطيعة التي استمرت طوال القرون المتعاقبة بحيث لم تكن تسمح لتجار احدى الدولتين بالاطمئنان الى انشاء صلات مستديمة مع الدولة الأخرى فكانت النتيجة ان انحصرت مهمة نقل البضائع بين دار الاسلام وبلاد المسيحية فى ايدي اليهود الذين يتحدث عنهم ابن خرداذبه بقوله :

« يتكلمون بالعربية والفارسية والرومانية والافرنجية والاندلسية والصقلبية وانهم يسافرون من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق برا وبحرا ، يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف ، ويركبون من فرنجة فى البحر الغربي فيخرجون بالفرما (Pelusium) ويحملون تجارتهم على الظهر الى القلزم ... ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم الى الجار وجدة ، ثم يمضون الى السند والهند والصين فيحملون المسك والعود والكافور والدار صيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا الى القلزم ثم يحملونه الى الفرما ، ثم يركبون فى البحر الغربي فربما عدلوا بتجاراتهم الى القسطنطينية فباعوها من الروم وربما صاروا بها الى ملك فرنجة فيبيعونها هناك ، وان شاءوا حملوا تجارتهم من فرنجة فى البحر الغربي فيخرجون بانطاكية ويسيرون على الأرض ثلث مراحل الى الجابية ثم يركبون فى الفرات الى بغداد ، ثم يركبون فى دجلة الى الابلة ومن الأبلة الى عمان والسند والهند والصين كل ذلك متصل بعضه ببعض (63) .

ثم يحدثنا ابن خرداذبه عن التجار الروس الذين كانوا يقومون بالعمل نفسه :

« هم جنس من الصقالبة فانهم يحملون جلود الخز وجلود الثعالب السود والسيوف من اقصى صقلية الى البحر الرومي فيعشرهم صاحب الروم وان صاروا فى تنيس نهر الصقالبة مروا بخليج مدينة الخزر فيعشرهم صاحبها ثم يصيرون الى بحر جرجان ... وربما حملوا تجاراتهم من جرجان على الابل الى بغداد ويترجم عنهم الخدم الصقالبة ويدعون انهم نصارى فيؤدون الجزية ، فاما مسلكهم فى البر فان الخارج منهم يخرج من الاندلس او من فرنجة فيعبر الى السوس الأقصى فيصير الى طنجة ثم الى افريقية ثم الى مصر ثم الى الرملة ثم الى دمشق ثم الى الكوفة ثم الى بغداد ثم الى البصرة ثم الى الأهواز ثم الى فارس ثم الى كرمان ثم الى السند ثم الى الهند ثم الى الصين (64) .

أما البضائع والمنتجات التي عرفت الهند بها بين العرب فقد أشار اليها بالاجمال ايوب بن القرية (من اصحاب عبد الرحمن بن الأشعث) حينما سأله الحجاج عن الهند فأجاب بقوله : « بحرها در وجبلها ياقوت وشجرها عطر » (65) — وقد عرض لها بالتفصيل أبو زيد السيرافي حيث قال :

« بحر الهند والصين الذي فى بطنه اللؤلؤ والعنبر ، وفى جباله الجوهر ومعادن الذهب ، وفى افواه دوابه العاج ، وفى منابته الابنوس والبقم والخيزران وشجر العود والكافور والجوزبوا والقرنفل والصندل وسائر الافواه الطيبة الذكية وطيوره الفغاغى (يعني الببغاوات والطواويس) وخرشات

---

62) Leide, 1883-86

63) المسالك والممالك 153 — 154 .

64) المسالك والممالك 153 — 155 .

65) الاخبار الطوال للدينوري ص 326 .

ارضه الزباد وظباء المسك وما يحصيه احد لكثرة خيره » (66) .

هذا وقد جمع احد من الشعراء الموالي اسمه ابو الضلع (كذ في معجم المرزباني 513 وفي الفهرست 174 « ابو الصلع ») السندي كل ما امتازت الهند به من وفرة الانتاج واشتهرت به من جودة الصناعات في ابيات رائعة في معرض المدح والافتخار ، قال :

لقد انكر اصحابي ، وما ذلك بالأمثل
اذا ما مدح الهند وسهم الهند في المقتل
لعمري انها ارض اذا القطر بها ينزل
يصير الدر والياقوت والدر لمن يعطل
فمنها المسك والكافور والعنبر والمندل
وأصناف من الطيب ليستعمل من يتفل
وانواع الأغاويه وجوز الطيب والسنبل
ومنها العاج والساج ومنها العود والصندل
وان التوتيا فيها كمثل الجبل الأطول
ومنها الببر والنمر ومنها الفيل والدغفل
ومنها الكرك والببغاء والطاووس والجوزل
ومنها شجر الرانج والساسم والفلفل
سيوف ما لها مثل قد استغنت عن الصيقل
وارماح اذا ما هزت اهتز بها الجحفل
فهل ينكر هذا الفضل الا الرجل الأخطل ؟

(الآثار للقزويني ص 85 وانظر الحيوان 50/7) .

الألفاظ الهندية المعربة

ان العلاقات التجارية بين الهند والعرب راسخة في القدم تتمثل في الاسماء الهندية المعربة اكثر منها في اشارات او روايات في بطون المجاميع الادبية والتاريخية او المؤلفات الجغرافية ، وقد استحضرت في ذهني عددا من المفردات المتعلقة بالتجارة وما اليها اتوسمها لعلها قد بقي فيها بعد طول اغترابها ما يمكننا من ردها الى اصلها الهندي العتيق ، واقدم فيما يلي بعض النتائج التي وصلت اليها بشأن اصل طائفة من الالفاظ المعربة ، والتي ربما اعتبر بعضها عربيا محضا .

ويهمني ان انوه في هذا المقام بظاهرة ربما يكفل ابرازها القضاء سلفا على اي استغراب يلحق القارىء فيما بعد ، وهي ان العرب الأول الذين نراهم عبر التاريخ يغامرون بحياتهم في لجج البحر الهندي انما دابوا على ذلك ليجلبوا من الهند وما وراء الهند لا البضائع فحسب بل اسماءها المحلية ايضا كما سمعوها من افواه الذين اختلطوا بهم وعاملوهم ، وسيبدو ذلك طبيعيا اذا نحن قدرنا ان معظم تلك البضائع هي التي لم يعرفها العرب في اوطانهم وغير اوطانهم من قبل ، بل انما عرفوها لاول مرة في الهند ثم عرفها العالم الغربي عن طريق العرب فيما بعد . وعلى هذا فالتأكد من كون الهند الموطن الاول لبضاعة من البضائع اذا اقترن بثبوت استيراد العرب لتلك البضاعة منها (الهند) ينهض دليلا قويا ، بل قاطعا ، في كثير من الاحوال ، على ان الاسم هندي الاصل كالبضاعة ذاتها . فمن الامثلة المتفق عليها من هذا القبيل الموز والكافور والقرنفل والصندل والساج والمسك والليمون والنارجيل واسماء عدد من العقاقير كالاطريفل وجميع اصناف التوابل تقريبا كالفلفل ؛ وسنرى اننا لو سرنا على هذه القاعدة لكان في وسعنا ان نلقي بعض الضوء على اصول عدد من الكلمات التي لا يزال يكتنفها شيء من الغموض .

ولا يخفى ان لبحثنا هذا جانبا آخر على درجة كبيرة من الأهمية وهو ان معظم تلك الكلمات التي يقل عنها انها عربية دخيلة في اللغات الأوربية ؛ ولاسيما الاسبانية والفرنسية والانجليزية ، هي في الاصل معربة عن الهندية واللغات المحلية لمناطق اخرى شرقي الهند ؛ وذلك لان تلك الكلمات انما شقت طريقها الى اوربا عن طريق التجارة على ايدي العرب ، ولكن العرب لم يكونوا منتجين في اي من حقلي الزراعة والصناعة لا لشيء الا لان الطبيعة حرمتهم من الثروة النباتية والمعدنية . اذن فكأن

66) سلسلة التواريخ 137 — 138 .

الاقدار حتمت عليهم ان يقوموا بدور الوسيط فى جلب البضائع الهندية والصينية وتوصيلها الى اوربا الى ان قدر لأوربا الاتصال مباشرة بالشرق الاقصى فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، وهو لعمري دور لعبه العرب لا بجراة وكفاءة فحسب بل بأمانة تركت أطيب الاثر واعمقه فى نفوس السكان غير المسلمين لمختلف مناطق الهند الساحلية. فهذه الظروف تقرر عنينا . كلما وجدنا فى اللغات الاوربية كلمة تتعلق بالملاحة (67) او التجارة على ايدي العرب فى المحيط الهندي ؛ ان نواصل البحث عن اصلها الهندي بعد ان نهتدي الى شكلها المعرب فى العربية . ولعل فى مقارنة الطرفين الأوربي والهندي ما يكشف لنا بعض ما غمض على المتاخرين من العرب انفسهم فى بعض الاحيان .

فمثلا كلمة (Almanac) لم يشك احد فى أنها انتقلت الى اوربا عن العرب لكن حار الباحثون فى الاهتداء الى أصلها فقالوا انه « المناخ » (محيط المحيط — ن و خ) او ان العرب الاندلسيين استعاروا كلمة ЬAЬIXIΛ3WYЬ (68) من المصريين وبداوا ينطقونها« المناخ» . .(2) الحقيقة ان اصلها « رهمانج » عند ابن ماجد (69) وهو تحريف البحارين لكلمة « الراهنامج » التى جاء عنها فى التاج 51/2 : « فارسية استعملها العرب واصلها « راه نامه » ومعناه ، كتاب الطريق) . . . ؛ وهو الكتاب الذى يسلك به الربابنة) . . . فى سفر البحر ويهتدون به فى معرفة المراسي وغيرها ؛ كالشعب ونحو ذلك » .

صناعة السيوف وما اليها

(1) الآنك : لقد اصاب ادى شير القول بانها قريبة من « Ranga » بالسنسكريتية (الفارسية : آهك) ، والرصاص الابيض معروف الى الآن فى الهند بذلك الاسم ، وهو جزء من كلمة « الاسرنج » — لعل اصلها ان يكون « h'sang » (70) (لا «اسرخ + آنك » كما اورده ادى شير)

اما معدن الرصاص فيقول عنه مسعر بن مهلهل (القرن الرابع الهجري) : « انها (كله) اول بلاد الهند مما يلي الصين ، وانها منتهى مسير المراكب ؛ ولا يتهيأ لها ان تجاوزها والا غرقت ،

---

(67) لقد صرح المسعودي ؛ فيما يتعلق بالملاحة ، ان العرب حرصوا على الأخذ بالالفاظ المحلية فى مختلف المناطق التى ترددوا عليها ، انظر الى قوله : « انما نعبر بلغة اهل كل بحر وما يستعملونه فى خطابهم فيما يتعارفونه بينهم » المروج 332/1 (ايضا 343 : « انما نخبر عن عبارة كل بحر وما يستعملونه فى خطابهم » .

ويلاحظ ايضا فى هذا الصدد ان العرب لم ياخذوا الكلمات الهندية من اللغة السنسكرتية الفصيحة ، ولاهم اعتنوا بأشكالها الصحيحة فى الكتابة ، بل انما أخذوها من افواه التجار وسكان المناطق الساحلية التى كانوا يترددون عليها ، ولا يخفى ان تلك المناطق كانت ولا تزال تسودها لهجات متعددة بل لغات مستقلة .

(68) Hob.-Job. - « Almanack »

(69) Ferrand : Instructions Natiques, Tome I ص 60 « رهمانج » — 88 « رهمانجات » — 76 « رهمانجا » .

واللبس مثل الذى نشاهده فى اول هذه الكلمة كثير شائع فيما يتعلق بالكلمات الاعجمية التى فى اولها حروف تقارب الالف واللام . فكلمة « انجر » (Anchor) مثلا اصلها بالفارسية « لنكر » (القاموس — نجر) ، اضاف العرب عليها الالف واللام (ال لنكر) ، ثم التبس عليهم الامر فظنوا ان اللام ليست من الحروف الاصلية (النكر) وقالوا « انجر » — وكذلك الرصاص من « ارزيز » (انظر ادى شير) ؛ والماس من « Adamas » (Periplus) ص 224 وانظر بزرك ص 128 « الادماس ») بتمامه كلمة غير عربية والالف واللام من بنية الكلمة ، كذا فى شفاء الغليل واللسان (ماس) عن ابن الاثير — وسياتي الآنك من « Ranga »

يلاحظ ايضا انهم كثيرا ما يحذفون الكاف والميم من الاول فى التعريب ، انظر مثلا الرند = كرندة و « انباتي » نسبة الى كنبات و « انبجاني » نسبة الى « منبج » واترج / ترنج تعريب « ما تلنفا » — وكذلك الواو يسقط من الاول مثل « النج » من « valgu » وارز من « virizl »

(70) Watt ص 707 .

وبها قلعة يضرب بها السيوف القلعية . وهي الهندية العتيقة لا تكون في سائر الدنيا الا في هذه القلعة .. وليس في جميع الدنيا معدن الرصاص القلعي الا في هذه القلعة » (71) .

فالنسبة في «السيوف القلعية» و «الرصاص القلعي » (الفرنسية : Alkalap الى هذه القلعة بكله (72) وقد شهد الادريسي ايضا بأنها المعدن الوحيد للرصاص الابيض بالنسبة الى العالم أجمع في زمانه ، فانه يقول :

« وبهذه الجزيرة (كله) معدن الرصاص القلعي . وهو بها كثير صافي الجوهر ، والتجار يفشونه بعد خروجه عنها ، ومنها يتجر (يجهز) به الى جميع الارض » (73) .

ثم يظهر أن مثل هذا المعدن نجم في الاندلس ايضا فيما بعد ، فبدأ التجار يتجولون عن الهند اليها ، حتى اذا مضى زمن خلط الناس بين المعدنين كما في قول ياقوت :

« القلعة فيما زعم مسعر بن المهلهل بلد في أول بلاد الهند من جهة الصين ، واليه ينسب الرصاص القلعي والسيوف القلعية ، واقليم القلعة من كورة قلبرة بالاندلس ، وانا اظن الرصاص القلعي منسوبا اليها او الى قلعة بالاندلس فانه من هناك يجلب » (74) .

ان شهادة مسعر بن المهلهل والادريسي ليست موضع الشك ، وكل ما افادنا ياقوت هو ان الرصاص الابيض كان في ايامه يجلب من الاندلس بعد ان كان يجلب من القلعة بكله من ذي قبل . ولعل في الاخذ باسم « القصدير » ــ الذى يرادف الآنك الا انه معرب عن اليونانية ــ ايضا دلالة على التحول المشار اليه من الشرق الى الغرب .

ثم انه يرجح عندي ان المراد ليس « القلعة بكله » بل كلمة « قلعة » هي تعريب « كله » لا غير ، والمعدن المسمى « كله » باللغة المحلية انما كان واقعا على الساحل الغربي لشبه جزيرة ملايو ، وقد ذهب الباحثون الى ان « كله » توازي « Kedah » أو « Kra » الحالية (75) .

ويلاحظ ان اهم ما اشتهرت به سيوف الهند جودة الصقل ، وهو عمل لا يتأتى الا بالآنك الذى استأثرت القلعة بانتاجه ، أما الحديد اللازم لصناعتها فقد اورد الادريسي بشأنه ما يلي :

« ان بلاد سفالة (سفالة الزنج أي شرق افريقيا) يوجد في جبالها معادن الحديد الجيد الكثيرة ، واهل الرانج (الزانج ؟) وغيرهم من ساكني الجزائر المطيفة لهم يدخلون اليهم ويخرجونه من عندهم الى سائر بلاد السند وجزائره فيبيعونه بالثمن الجيد ، لان بلاد السند اكثر تصرفهم وتجاراتهم بالحديد ، ومع ذلك وان كان الحديد موجودا في بلاد الهند ومعادنه بها ففي بلاد سفالة هو أكثر واطيب وأرطب ، لكن الهنديين يحسنون صنعته وتركيب اخلاط الادوية التي يسبكون بها الحديد اللين فيعود هنديا منسوبا الى الهند ، وبها ديار الضرب للسيوف وصناعهم يجيدونها فضلا عن غيرهم من الامم ، وكذلك الحديد السبتي (كذا وفي نسخة اخرى: السندي) والسرنديبي والبينماني كلها تتفاضل بحسب هواء المكان وجودة الصنعة واحكام السبك والضرب وحسن الصقل والجلاء ، ولا يوجد شيء من الحديد امضى من الحديد الهندي، وهذا شيء مشهور لا يقدر احد على انكار فضيلته » (76)

هذا وقد كانت البيامان (البينمان) مركزا آخر هاما لصناعة السيوف تنسب اليه السيوف البيلمانية ، وكانت تقع على ملتقى حدود السند والهند كما يتضح مما ورد في شأنها في فتوح البلدان للبلاذري ص 440 و 442 ، أما القول بانه « يشبه ان يكون (البينمان) من ارض اليمن » (انظر البلدان لياقوت والقاموس « ب ل م ») فلا يقوم على سند .

---

(71) القزويني 69 وياقوت « القلعة » و « الصين ».
(72) المعرب للجواليقي ، تحقيق احمد محمد شاكر ــ ص 276 .
(73) دار الكتب المصرية ، جغرافيا رقم 150 ص 130 .
(74) المشترك والمفترق 357 .
(75) انظر دائرة المعارف الاسلامية « Kalah » و « Kal'i » .
(76) ص 108 ــ 109 . قارن ابن الوردي ، القاهرة 1328 هـ، ص 51 .

الرمـــــــاح

تلك هي قصة السيوف التى لم تزل تحمل نسبتها الى الهند كشعار لجودة الصنعة وحسن الصقل ، ولننتقل الآن الى الحديث عن الرماح التي طويت نسبتها الى الهند على مر الزمان ، الا انه يمكننا اذا امعنا النظر ان نستشفها من وراء كلمات لا تزال تحمل سمات الغرابة والغربة مع انها كثيرا ما عدت عربية لا لشيء الا لعدم الاهتداء الى اصلها .

يتكون الرمح من جزئين : الاول هو النصل او السنان ، والثاني هو القناة . وغني عن البيان ان صناعة السنان متجانسة مع صناعة السيوف بل هما صناعة واحدة ، وعلى هذا يصبح من الطبيعي ان يغلب الظن بأن العرب ربما استعملوا الأسنة المصنوعة فى الهند الا انه لا يعدمنا من الدليل الايجابي ما يرتفع بهذا الظن الى درجة اليقين ، فاننا نراهم يستعينون ببعض الكلمات الهندية للتعبيرات الدقيقة المتعلقة بهذه الصناعة . انظر الى كلمة « الخرص » تبدو كأنها دخيلة على مادة « خ ر ص » العربيـــة . فالخرص تعني الجزء الاعلى الذى فيه الحد من السنان ، وهي بهذا المعنى توازي كلمة « Kirch » بمليالم (Malayalam) احدى اللغات الدكنية ـ والأردوية ايضا ، ولعل اصلها فى لغة جاوة وملايو « Kris, Kiris, Kres » (77) ـ وربما اطلقت الكلمة على القضيب والرمح نفسه كما قال حميد وابن ثور : « عض الثقاف الخرص الخطيا » (78) ولا يخفى ان هذه النسبة الى الخط هي اقوى ما يؤيد الاصل الهندي للرماح المنسوبة اليها لان الخط لم تكن الا مرفأ لسفن الواردة من الهند كما سنبين ذلك بالتفصيل فيما بعد .

اما الجزء الثاني ، وهو بلا شك اهم الجزئين فقد كان العرب شديدي الاهتمام بالقنا والانتقاء لها حتى ان الشعر العربي يزخر بأوصافها ونعوتها الا ان كثرة استعمال العرب للاسماء المختلفة للقناة وما يتبعها وجريها على السنتهم مجرى الكلمات العربية فى الاشتقاق وما الى ذلك جعلا اصل تلك الاسماء نسيا منسيا . هذا مع انه قد ثبت بصورة قاطعة لا يتطرق اليها اي شك أن منبت القنا الذى كان العرب يعتمدون عليها لسد حاجتهم ـ وما اكثر تلك الحاجة ـ لم يكن غير الهند كما سنبين ذلك آنفا بعد ان نسوق بعض المقدمات ونتعرض لبعض الملابسات التى لا بد منها نظرا الى غموض الموضوع.

أولا : القنا = قصب السكر . لا يخفى ان اطلاق القنا على هذا المعنى انما هو على سبيل التبعية والمجاز . وان كان ذلك مطابقا للمألوف فى اللغة السنسكرتية وبعض اللغات الهندية الاخرى . وعلى كل حال فالمرجع عند العلماء هو ان موطن قصب السكر الاصلي لا يتجاوز ما بين بنغالة والهند الصينية (79) والدليل على ذلك ان جميع منتجات قصب السكر اشتهرت فى العالم بأسمائها الهندية وهاكها فيما يلي :

1 ـ Candy = الفارسية والعربية « قند » = سنس « Khanda » ومليالم « Kandi » (79) .

2 ـ العربية « فانيذ » = الفارسية « بانيد » = سنس « Phanita » ـ قارن « Med. Lat, « Penidium وقد ذكر ابن حوقل والبشاري الفانيذ من اهم الصادرات من مدن السند: فنجبور ومولتان وطوران.

3 ـ Sugar = العربيـــة « سكـر » = الفارسية « شكـر » = البراكرتية « Sakkara » / سنس « Sarkara » .

ومن الطريف فى هذا الضدد ان الهنود ، وان كانوا اول من قام بانتاج السكر ، سرعان ما بداوا يستوردونه من الصين ومن مصر ، وذلك لان الصينيين والعرب ، الذين نقلوا زراعة قصب السكر من الهند الى الصين والى مصر (ثم الى صقلية والاندلس) ، لم يلبثوا ان سبقوا الهنود فى ابتكار وسائل جديدة للتكرير ، ففاق الصينيون فى صنع سكر ناصع البياض بشكل قطع صغيرة ، كما ان المصريين اختصوا بصنعه بشكل قطع كبيرة ، ولم تزل الهند تستورد ذينك الصنفين من السكر من

---

(77) Hob.-Job. - « Crease, Cris »

(78) اللسان 8 / 287 .

(79) Hob.-Job. - « Candy »

الصين ومن مصر الى مطلع القرن الماضي حتى انهما يعرفان الى الآن فى أسواق الهند باسم « صيني » و « مصري » على الترتيب (80) .

ثانيا : القنا بمعني الرمح . يلاحظ فى هذا الصدد ان هناك شيئا يشبه السكر كثيرا ما يتكون داخل القنا (Bamboo Sugar) يسمى عند العرب والفرس « الطباشير » وكان استعماله كدواء شائعا جدا فى العصور الوسطى ؛ ومن المتفق عليه أن كلمة الطباشير انما هي منقولة عن سنس « Trakkshira » اي انها هندية الاصل (81) .

ثم ان الخيزران يصفه العرب انفسهم بانه شجر هندي وهو عروق القناة (انظر الصحاح والتاج « خزر ») أفلا يكون القنا اذن شجرا هنديا ؟ والخيزران الهندي (82) هو الذي يتمثل به فى

(80) Hobson-Jobson - « Sugar »

ومما يشهد ببراعة المصريين فى هذا المضمار القطعة التالية منقولة عن ماركو بولو (Ramusio II, 44) :

« And before this city » (a place near Fu-chau) « came under the great Can these people knew not how to make fine sugar ; they only used to boil and skim the juice, which when cold, left a black paste. But after they came under the Great Can some men of Babylonia » (i.e., of Cairo) « who happaned to be at the court proceeded to this city and taught the people to refine the sugar with the ashes of certain trees » - 1298 A.D.

ومجلة « اللسان العربي » تلاحظ ما يلي :

كان السكر يصنع فى شقي العروبة بافريقيا : المغرب ومصر وقد حدثنا القريزي انه كان بسمهود سبعة عشر حجرا لعصر القصب كما كان بعلوى عدة احجار (الخطط ج 1 ص 203) وكذلك فى قابس وجلولا (البكرى فى المسالك جزء افريقية والمغرب ص 17 و 32) .

وقد اكد ماس لاطري Latrie ان المغرب كان يصدر السكر فى القرن الثالث عشر الميلادي الى الفلاند والبندقية (علائق وتجارة افريقيا الشمالية ص376) وقد نبه الحسن بن محمد الوزان المعروف ـ Léon l'Africain على وجود السكر بسوس قبيل السعديين ولكن الشرفاء السعديين هم الذين جلبوا اساليب تصفية هذا السكر وتبييضه فى معاصر ساهم الاسرى المسيحيون فى تأسيسها باكادير وخاصة سكساوة وشيشاوة (مستندات دوكاستر ج 1 ص 303) .

ويوجد نص رسالة موجهة من مولاي محمد بن عبد الغالب ـ المسلوخ ـ عن اذن والده الى ملك فرنسا مؤرخة من قصر الدار البيضاء (فاس الجديد) فى رجب 968 (مارس 1561 م) حول استعداد المغرب للسماح للملك شارل التاسع باحتكار سكر المغرب بشرط دفع ثمنه بالسعر المغربي مع زيادة نسبة فى المائة وكذلك اصدار النحاس المغربي لفرنسا طبقا لرغبة ملكها بشرط دفع ثمنه سلاحا وعتادا (السلسلة الاولي ـ السعديون ج 3 ص 746) .

ولما عجز الاوربيون المجلوبون لعصر قصب السكر فى معمل اكدال بمراكش وتصفيته واخراجه من القوة الى الفعل عن اتمام عمليتهم جلب محمد بن عبد الرحمن الصناع المهرة من مصر القاهرة (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 556) .

واسس مولاي الحسن عام 1878 مصنعا للسكر بمراكش وكلفه ذاك نفقات باهظة. ولكن هذا المصنع احيل بعد سنوات الى مدبغة للجلود (كامبو ص 59).

وقد كان البلاطان الفرنسي والانجليزي يتنافسان فى القرون الاخيرة على اقتناء السكر المغربي المكرر لصفائه وجودته .

(المعجم التاريخي للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ص 38) .

(81) Hob.-Job. - « Tabasheer »

(82) لقد عرف العرب ان بلاد الروم كانت تمتاز بمنابت الخيزران كما يقول النابغة الجعدي : « بلادهم بلاد الخيزران » (انظر اللسان ـ خزر) الا انه من المحقق أنهم كانوا يجلبونه من الهند ويتمثلون بالهندي منه فى شدة اللين . كذا فى محيط المحيط ـ خزر . وقد أورد القزويني فى الآثار ص 38 عن كله : « بها منابت الخيزران منها يحمل الى سائر البلاد » .

(×) وقد كان اهل Magan اي عمان يستوردون الاخشاب من نفس هذه المنطقة وذلك أربعة آلاف سنة قبل المسيح ـ انظر : Wilson : The Persian Gulf, p. 27

شدة اللين ومنه قولهم : الخيزرى والخوزرى والخيزلى = مشية فيها تفكك .

وربما اقترن اسم القنا بالقسط ما عدا الخيزران عند الربابنة والجغرافيين العرب كما سنرى ، ومن المسلم به أن القسط او الكسط هندي بحت (سنس « Kustha ») وانما نسبوه فى بعض الاحيان الى ظفار باليمن لانه كان يجلب اليه من الهند ، القاموس « ظفر ») .

ولنبحث الآن عن المواضع التى كان العرب يترددون عليها لجلب القنا منها . نجد انها لا تتجاوز ساحل السند والساحل الغربي والجنوبي لمنطقة الدكن بالهند (*) : فهذا قول ابن خرداذبه 62 : « ومن السند يجيء القسط والقنا والخيزران » ويقول ايضا : « ومن مهران الى اوتكين وهي اول أرض الهند مسيرة اربعة ايام ، وفى هذه الارض ينبت القنا فى جبالها والزرع فى أوديتها واهلها عتاة مردة لصوص » ـ كذلك يقول ابن الفقيه 251 : « خص الله بلاد السند والهند ب ... القنى والخيزران ... » ـ وهذه شهادة مسعر بن مهلهل يقول : « وخرجت الى سواحل البحر الهندي متياسرا فسرت الى بلد يعرف بمدورقين منابت غياض القنا وشجر الصندل ومنه يحمل الطباشير وذلك ان القنا اذا جف وهبت عليه الريح احتك بعضه ببعض واشتدت فى الحرارة الحركة فانقدحت منه نار فربما احرقت منه مسافة خمسين فرسخا او اكثر من ذلك ، فالطباشير الذى يحمل الى سائر الدنيا من ذلك القنا . فاما الطباشير الجيد الذى يساوي مثقاله مائة مثقال او اكثر فهو شيء يخرج من جوف القنا اذا هزت وهو عزيز جدا ... » ثم يقول عن مدينة كولم ايضا : « والخيزران والقنا بها كثير جدا » (انظر ياقوت « الصين ») . كذلك يقول الادريسي : « ومدينة تانة (بالقرب من بومباي (جايلة ... وبجبالها وارضها ينبت القنا والطباشير يتخذ فيها من اصول القنا ومنها يحمل الى سائر البلاد من المشارق والمغارب » ـ ص 297.

وبعد أن تفقدنا منابت القناوجب علينا ان نقتفي آثار نواخذة العرب لنرى اين تفرغ سفنهم حمولتها وهاك ما يقوله ابن سيده (المخصص 34/6) عن « الرماح الخطية » اشهر الرماح عند العرب : (الخط مرفأ السفن بالبحرين (*) ينسب اليها الرماح وليست الخط بمنبت لها ولكنها مرفأ السفن التى تحمل القنا من الهند كما قالوا مسك دارين (*) وليس هناك مسك ولكنها مرفأ السفن التى تحمل المسك من الهند) .

ترى كيف ان القناة المجلوبة من منابتها بالهند والتى ركب عليها خرص او سنان مصنوع فى مصانع السيوف حول معادن الرصاص القلعي بالهند ، كيف أن هذه القناة هي التى تصبح « رمحا خطيا » بمجرد دخولها حدود جزيرة العرب ؟

السمهري :

والحديث عن « الخطي » يذكرنا على الفور ب « السمهري » و « الرديني » . لو رجع احد الى اللغويين وأصحاب المعاجم لوجدهم يقولون ان السمهري نسبة الى سمهر والرديني نسبة الى ردينة وهما زوجان كانا يقومان ببيع الرماح بالخط، ولكن المتتبع للشعر العربي والمتأمل فى اقوال اللغويين واصحاب المعاجم انفسهم لا يلبث ان يتبين ان السمهري يغاير الرديني تماما من حيث الصفات المنسوبة الى كل منهما ، فالسمهري يمتاز بصفتين هما : ـ 1 ـ الاعتدال ، ـ 2 ـ الصلابة ، اما الرديني فيتميز بضد الصلابة وهو اللدونة لانه هو الذى يهتز دون السمهري . وعلى هذا فيا له من تحديد الاختصاص بحيث يمارس الزوج والزوجة بيع رماح من نوعين مختلفين ـ ولعل المفروض انهما كانا يتخذان محليهما جنبا الى جنب فى سوق الخط ـ بدون ان يطغى الواحد منهما على الآخر ! ويا لها من مراعاة للمناسبات والصلاحيات بحيث يكون بيع الرماح الصلبة من حصة الزوج وبيع الرماح اللدنة من نصيب الزوجة !! ومما يزيد اقوالهم ارتباكا كما يزيدنا ارتيابا أن احدا منهم على الاقل ـ وهو الزبير بن بكار ـ ذهب الى أن سمهر كانت قرية بالحبشة (انظر التاج حيث جاء ان الصاغاني انكر هذا القول) كما ان بعضهم قال ان سمهر اسم امراة كانت تقوم الرماح !!!

(*) ذكر Pliny اسم موضع Chateni يقع على سواحل الخليج هو الخط ولا شك ، (الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام 309/2) .

(*) Daden/Dirin = البحرين أو جزيرة بالقرب منها ـ (Heeren, II, 230)

ان المهم فى هذا كله هو ان الزوجين ، على حد تعبير اللغويين ، كانا يبيعان الرماح بالخط والخـــط ، كما راينا آنفا ، لم تكن الا مرفأ للسفن الواردة من الهند ، اذن فمن المؤكد أن السمهريات والردينيـــات كانت رماحا هندية ، هذا بغض النظر عن من قـــام بأعمال بيعها او توزيعها فى الخط . افيستغرب بعد هذا أن يكون التجار العرب قد اخذوا اسمى الصنفين من الرماح ــ الصلب واللدن ــ من افـواه التجـار الهنود ؟ ان مثل هذا القياس يوافق مقتضى طبيعـة المعاملات التجارية كما انه يصادف حرص العرب على تسمية الاشياء والبضائع التجارية بأسمائهـا المحلية . فربما يكون سمهر اسما هنديا جلبه العرب مع مسماه (اي الرماح الممتازة بالاعتدال والصلابة) الى الخط وطبعا خفي امـره على النـاس لكونه غير عربي ، فلذلك لم يفقهوا غير انه انتشر بين العرب عن طريق ذلك المرفأ بالبحرين (83) .

ولعل القاريء الأريب يتبيـن فى قول ياقـوت الآتي تأييدا لجميع ما قدمنا آنفا . يقـول ياقـوت : « سمهر قرات بخط ابي الفضل بن العباس بن على الصولي المعروف بابن برد الخيار ... قال حدثني سليمان المدائني قال حدثنـي الزبيـر بن بكار قال الرماح السمهرية نسبت الى قرية يقال لها سمهـر بالحبشة ... قلت انا وحدثني بعض من يوثق به ان هذه القرية فى جزر من النيل (الآثار للقزوينـي ص 30 « جوف النيل ») يأتي من ارض الهند على راس الماء كثير من القنا فيجمعـه اهـل هـذه القريـة ويستوقدون زواله ويبيعون جيـده وهـو معـروف بأرض الحبشة مشهور ــ وقول من قال ان سمهـر اسم امراة كانت تقوم بعمل الرمـاح فانه كلـف من القول وتخمين (*) » .

الــرديـنـــي :

لكن انتفاء شخصية سمهر يستلزم ايضا عدم بقاء ردينة كارملة تخير فى خطابها من يخلف فى بيع الرماح الصلبة ، الا ان تلك مسألة لا تستدعـي كبير عناء بعد ان حطمنا الاغـلال التى كانت تقيـد فكرنـا . كفانـا ان ننظـر الـى كلمـة « Rattan » بالانجليزية هي اسم لنوع معين من الخيزران غايـة فى المتانة والجودة وتمتاز قناته اكثـر من اي شيء آخر بالمرونة واللدونة ، انظر « Rattan » - .Hob.-Job) ومما لا يشك فيه ان هذه الكلمة بالانجليزية منقولة عن « Rotan » بلغة ملايو والهند الشرقية . افهل يستبعد ان تكون (ردينة) الحلقة الوسطـى بيـن « Rotan » من جهة و « Rattan » مـن جهـة اخرى ليس الا ؟

القـنـــــا :

لقد آن لنا ان ندون بعض الملاحظات عن اصل كلمة «القنا» . انناراينا ان العرب ، مع كثرة وصفهم للرماح ، لم يذكروا اي منبت للقنا فى ديارهـم . بل بالعكس اجمعت الادلة كلها على انهم كانوا يعتمدون على منابت القنا بالهند ، ولا يفوتنا فى هذا المقام ان نذكر ما اورده الجاحظ (البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون 16/3) من ان الشعوبية طعنوا فى العرب بقولهم : « انما كانت رماحكم من مران واسنتكم من قرون البقر ... » ــ لعل مغزى هـذا المطعن لا يعدو ان العرب لم يجـدوا فى ديارهـم ما يمكنهم من صنع الرماح بجزئيها القناة والسنان ــ واخيرا يجب علينا ان لا نغفل اعتبار الاحوال الطبيعية اللازمة لنمو القنا وهي تنحصر فى سفـوح جبـال تهطل عليها السماء مـدرارا ثلاثة او اربعـة اشهـر متتالية فى السنة . افيوجد مثل هذه الاحـوال فى جزيرة العرب او شرقيها وغربيـها الا فى السنـد والدكن اي الساحل الغربي والجنوبي للهند ؟ ويخيل الي ان قول الزبير بن بكار السالـف الذكـر (بأن سمهر كانت قرية بالحبشة) يخفـي وراءه حقيقـة ثابتة وهي ان العرب فى وقت من الاوقات اتخـذوا من الحبشة بديلا من الهند ، مرجعهم المفضـل ،

---

(83) لم استطع الجزم بالاصل الهندي الا انه لفت نظري الكلمتان التاليتـان المعبرتـان عن الاعتـدال والصلابـة : SAMA, even, level... straight - Williams: Sanskrit-English Dictionary, p. 1066. KHARA, hard, harsh, rough... dense - **Ibid.**, p. 74

(*) هذا ونجد مثالا آخر لهذه الاسطورة بالذات فيما يتعلق بكلمة « السندرة » (انظر ص 68 الآتية) وقد ادرك القتيبي ان القول « السندرة امراة كانت تبيع القمح وتوفي الكيل » مجازفة لجأ اليها الذين وقفوا حيارى أمام كلمة اعجمية الفـوا استعمالها وعرفوا مدلولها لكن لم يدروا ما اصلها .

ولا ننسى كيف ان ياقوت خلط بين كله (القلعة) وبين معدن القصدير بالاندلس لاسباب متشابهة (*)

اذن لعل كلمة « قنا » نفسها معربة من الهندية « ganna » لبراكرتية « gandoo » السنسكرتية « gandaka » (*).

الوشيج :

اذا كان « الخطي » هنديا فهل من الغريب ان يكون « الوشيج » – الذي لا ينبت الخطي الا هو – هنديا ايضا ؟ ان اصل هذه الكلمة هو (Vansha) والجيم في الآخر علامة العجمة لا غير . وقد عهدنا العرب دائما يظهرون ملكة قوية لملاحظة الطبيعة بالدقة والاتقان وان كلمة الوشيج وما اشتق العرب منها الا دليل على التأثر بالطبيعة واستخلاص المعاني العامة من مظاهرها فان كل من اتفق له أن يتمتع بنظرة الىمنبت القنا ليقدر تمام التقدير ان أهم ما يروع المرء من أشجاره هو التفاف سيقانها وتعانق أغصانها ، ومنه قولهم الوشيج بمعنى القرابة ، والوشج بمعنى الاشتباك . واذا كان احد في شك من هذا فلينظر الى كلمة « البيش » (84) لا ريب في انها هندية معربة اصلها (Visha/Bisa) استخلص العرب من شجرته معنى الخضرة والنضارة فقالوا « بيش الله وجهه » ولاحظوا ايضا ان شجرة البيش شديدة الثبات والتأصل فقالوا « اباش الشجرة » .

القسي

اما فيما يتعلق بالقسي ، فقد كفانا الجاحظ مؤنة البحث عن اصلها بقوله: «وكل قوس بندق فانما جيء بقناتها منبروص ومدح ببريها وصنعتها عصفور القواس . وقال الرقاشي :

انعت قوسا نعت ذي انتقاء
جاء بها جالب بروصاء
بعد اعتيام منه وانتصاء
كافية الطول على انتهاء
مجلوزة الأكعب في استواء
سالمة من آبن السيساء

(البيان والتبيين 3/93 – 94)

وانظر ايضا الى قول آخر للرقاشي في صفة القناة التي تبرى منها القسي :

من شقق خضر بروصيات
صفر اللحاء وخلوفيات
جدلن حتى اضن كالحيات
رشائقا غير مؤبنات
انفهن متمطرات
عمرو بن عصفور (85) على استثبات

(المصدر نفسه 3 / 71)

لا يخفى ان بروص (كما وردت الكلمة مضبوطة في القطعة الثانية والتي جعلها الشاعر « بروصاء » – « بروضاء » بالضاد المعجمة تحريف من الكاتب ليس الا – في القطعة الاولى لضرورة الشعر) كانت ميناء هاما على ساحل كجرات فوق بمباي حاول العرب عدة مرات ، قبل فتحهم للسند وابان حكمهم لها ؛ الاستيلاء عليها (راجع فتوح البلدان للبلاذري) وهي لا تزال مدينة معروفة باسمها القديم « Bharoch »

والشريج بمعنى العود يشق منه قوسان (انظر قول الشماخ : « شرائج النبع براها القواس ») هي « chari » بالجيم علامة العجمة بآخرها . ومنه يقال لخطي نيري البرد شريجان .

(*) انظر ص 34 السابقة .

(*) Nainar, S. Muhammad Husayn : Arab Geographers' Knowledge of Southern India, Madras, 1942, p. 193, note 29, vide Platts : Hindustani Dictionary.

(84) « البيش وهو نبت لا يوجد الا بالهند » كذا في الآثار للقزويني ص 85 .

(85) لو كان سمهر مثقفا للرماح او بياعا لها لكان من الواجب ان نظفر من شاعر من الشعراء القدماء باشارة صريحة الى ذلك مثل ما نجد امامنا بخصوص عمرو بن عصفور ، ولكنا بخلاف ذلك نراهم، حسبما أعرف ، دائما يذكرون « السمهرية » و « الردينية » و « رماح ردينة » (الشماخ ، ديوانه ص 98) من غير ان يزيدوا شيئا ثم يجيء اللغويون فيفسرون هذه النسبة كما بدا لهم بدون اي سند على نحو ما فصلنا الكلام عنه .

وصفوة القول ان قضب الهند على العموم هي التي كان يضرب بها المثل مما يقول الشاعر :

قضب الهند والقنا اخدانك
والمقادير في الورى اعوانك

(النويري 54/2 . وجاء في كنايات الجرجاني 63 ان الشاعر هندي)

القطــن ومنسوجاتــه

لا شك ان الهند هي الموطن الاصلي لشجرة القطن الا ان الشجرة الهندية الاصلية كانت طويلة العمر كما يبدو من اقوال القدماء . أما الشجرة التي تزرع سنويا فالمظنون انها نتجت على أيدي العرب في العراق وسوريا والبلاد المجاورة . على كل حال اقترنت هذه الشجرة بالعرب الى حد انها هي والسكر والدين ربما اعتبرت المقومات الثلاثة لحضارتهم في نظر الاوربيين (Watt, p. 569) هذا وقد اشتهرت الهند منذ قديم الزمان بالجودة ودقة منسوجاتها التي كان الثوب منها يدخل في حلقة خاتم ، كما شهد بذلك سليمان التاجر (سلسلة التواريخ ص 30) ؛ ويذكر ابن خرداذبه (ص 70) ان الثياب القطنية المخملة كانت تجيء من الهند كما ان « الشال » و « الشيت » و « الفوطة » من الاسماء الهندية المعربة .

وبالاضافة الى منسوجات القطن امتازت الهند ايضا بصناعة الثياب من الحشيش (ابن خرداذبه ص 70) .

الكــلاب السلوقيــه

يذكر عند العرب ذكر الكلاب « السلوقية » وهي على حد قولهم منسوبة الى ساوق قرية باليمن الا انهم لا يستقرون على رأي بل يظهرون كأنهم يحومون حول (Sileucia) = سلقية التي يصفونها بمدينة الروم (معجم البكري) ومدينة اللان ومدينة بالشام (البلدان لياقوت واللسان) . لكن الجدير بالاهتمام تصريح القزويني بأن « الكلاب يسفدها الذئاب (86) فتاتي بالكلاب السلوقية » (الآثار ص 29) . وذلك يذكرنا بمشاهدة الاسكندر بارض الهند وبصحبة الملك (Saubhuti) لكلاب لا ترخى قبضتها على الاسد حتى ولو قطعت ارجلها . قيل انها من نتاج الكلاب من النمور (87) ، ثم نذكر ايضا ان اهل بابل كانوا يستوردون الكلاب من الميناء الهندي المعروف (Barygaza) = بروص (88) كما نعرف ان الموكب التاريخي لبطليموس Philadelphus كان حافلا بالكلاب الضواري الهندية الى جانب النساء الهنديات والتوابل الهندية ؛ وبعد هذا كله نعثر على قول ابن رسته الآتي في معرض الكلام عن ملوك الهند : ـ

« وبعده ملك يقال له نجابه (؟) وهو شريف فيهم وبلهرا الملك يتزوج فيهم ؛ وهم السلوقيون ولا يتزوجون الا فيهم لشرفهم **وهذه الكلاب السلوقية يقال انها وقعت من بلادهم** ولهم الصندل الاحمر في بلادهم وغياضهم .. الخ » (89) .

---

(86) من طرائق النساخ ان « الذئاب » تحولت الى « الثعالب » حيث جاء في صبح الاعشى 42/2 نقلا عن المقر الشهابي ابن فضل الله ان السلوقية « مولدة بين الثعالب والكلاب » !!

(87) Cam. Hist. of India, 1/407

(88) Heeren, 2/207

(89) الاعلاق النفيسة ص 135 .

معجم
الالفاظ الهندية المعربة

ابق = القنب او قشره ◆ × « abaqa »
بلغة الفلبين (Watt, 790)

ابنوس = كلمة من الهند الصينية سارت شرقا وغربا . هي بالصينية « wu-mon-tzi » وبلهجة « O ban-tzi » : Amoy
(Chau Ju Kua, 216)

اترج / ترنج ◆ سنس « ماتلنفا »
(matulunga/matulanga)
(Watt, 325 Williams, 768)
(راجع ما ذكرناه آنفا)

ادماسه ◆ سنس « ادهماسا »
انظر ايضا ص 88 الآتية ، الحاشية (3) .

ارجوان ◆ ف « ارغوان » ◆ سنس
« Ergewan/Argawan »
يقال له ايضا « داذاروان / دار اروان (دار ارغوان) ، وهذا اللون من الملابس مما كانت القياصرة تختص به فيما مضى وتحظره على غيرهم — كذا في ابن العبري 491 وانظر Vullers « أرغوان » .

أرز / رز / آرز / رنز — قد اتجه بعض العلماء اخيرا الى الاعتقاد بأن المركز الذى انتشر منه الارز فى العالم هو التركستان ، ولذلك قالوا ان أصل الكلمة هو virinzi/virinza بالفارسية القديمة = brinj بالفارسية انجديدة = virihi بالسنسكرتية arisi بالتاملية — قارن « oryza » باليونانية و Rice بالانجليزية.
(Watt, 824 et seq.; Periplus, 176; Rawlinson, 14)

ارزيز — راجع ما ذكرناه آنفا

ارين = قبة الارض ، تحريف «ازين» ◆ « Ujjiyaini » اسم مدينة بوسط الهند —
(Legacy of Islam, p. 93)

اشتيام = رئيس الركاب ، راس الملاحين ، صاحب المتاع المحمول فى السفينة (90) ، صاحب السكان (91) (حيث يدخر المتاع) — معرب من « Creshthin » الكلمة المالوفة فى المصادر الهندية القديمة بمعنى راس التجار Cam. Hist. of India) ص 137 و 207 و 477) مشتقة من سنس « Sreshti » وقد تطورت الى « chatim » و « chetty » بجنوب الهند (توازي « بانانيه » بشمال الهند) ومنها سارت عند الاتراك (بارتولد : الحضارة الاسلامية ص 88) وهي Seth بالهندية الدارجة ، وربما تكون هي أصل كلمة « ستي » عند ابن بطوطة (259/4) كلقب للتجار الكبار فى الصين .
(Hob.-Job. - « Chetty »)

اطريفل ◆ سنس « Triphal »

النج / يلنج / النجوج / يلنجوج / النجيج = عود الطيب وقيل هو شجر غيره يتبخر به — قارن به كلمة « Algum/almug » بالانجليزية عن سنس « valguka » والتاملية « valgu » وهو نوع احمر من عود الصندل كان كثيرا ما يستعمل لنحت الاصنام وصناعة أعمدة البيوت ، ومع أن مثل هذا الاستعمال لم يذكر فى المصادر العربية الا ان الصندل من أعواد الطيب بدون شك والمقارنة بين الكلمتين قوية واضحة .
(انظر اللسان « لجج » ، المخصص 198/11 ، O.D. « Algum » Watt ص 24 و 909
راجع ما ذكرناه آنفا

الماس —
راجع ما ذكرناه آنفا

الوه / الالوه / الوه / لوه / ليه = العود الذى يتبخر به ، قال ابو منصور : اراها هندية (اللسان) ، اصلها سنس « Laghu/Lauha »

(×) ◆ رمز معناه « أصله من .. »
(90) Bibl. Geog. (Glossary)
(91) شرح ديوان زهير ص 118 .

ف « alwa ») ــ وقد كان هذا العــود . ولاسيما الذى ينسب الى سقوطره ، يستعمل كـدواء ايضــا فان عصارتــه هــي الصبــــر (السقوطري) . قارن « aloes » بالانجليزية .
ومنعود البخور هذا ما يسمى بالسنسكرتيـة « Agaru » (التاملـيـة « Aqhil » . لغة ملايـا « Uggar/Gahru » ؛ الهندية « Agar ») . العربية « الغار » (※) ـ و « Agaru » معناه الذى لا يطفو على الماء
و « Laghu » ضده اعنـي الذى يرسب فى الماء ــ ولما انتقلت هذه الكلمة الى الانجليزية عن طريق البرتغاليين
(Portg. : Aquila ; Fr. : Bois d'aigle)
صارت « Eagle-wood » لتقارب فى المخرج، ثم بدا الناس يبحثون عن وجه لنسبة هذا العود الى العقاب فقالوا ان قشرة العود تشبه ريش العقاب ! ولكن هذا محض اختلاق .
(Watt, 72 ; Hob.-Job. - « Aloes » and «Eagle-wood »)

انـبـج / عنـبـه . الهندية ــ « amba » والأنبجات هي المربيات (او المربات = المعمولات بالرب) جمع « انبج » وهي فاكهة هندية تربى فأطلق عند الاطبـاء على ما سواه . كـذا فى شفاء الغليل .

انجـــدان . ف « Anguzan » . سنس « hingu » ابن البيطار : قال بعض الاطباء هو (انجدان) ورق شجرة الحلتيت ، والحلتيت صمغـه ، والمحروث اصله ــ ابو حنيفة : المحروث اصل الانجدان ومنابته فى الرمـل التى بين بسـت وبلاد القيقان ــ
(انظر ابن العبري و Watt ص 533)

انـجـــو ــ
(راجع ما ذكرناه آنفا)

اوج . سنس « uchcha » - (Rawlinson, 174)

بارجـــه . الهندية « بيره » ــ انظر البيروني : كتاب الهند ص 102 و Fahmy ص 106

باسنـــه = آلات الصناع وجوالق غليـظ مـن مشاقة الكتان ، ليس بعربي محض ، «باسن» بالهندية الاناء ، لف القماط) ــ وربما كانت الكلمة برتغالية الاصل كما فى
Hob.-Job. - « Basan »
و « سبنية » = البقشه ، ابن بطوطة 232/4 ، مقلوب من « بسنية » . سنس « vasana » = الهميان .

بانـــانيـــه . الواحد منه « بنيان » . الكجراتية « vaniyan » . سنس « vanij » .

بخـــت / فالـــج ــ
(راجع ما ذكرناه آنفا)

بـــد / بـــوذا . Buddha او تمثالـه ، ومنه ولد العرب : باذيبوذ اي افتقر بما أن الفقر من اشهر خصائص الديانة البوذية .

بـــرمـــك ــ
انظر مقالنا الملحق عن العلاقات العلمية (ص 89 وما بعدهــا)

بـــقـــم ــ لم يأت « فعل » الا قليل بالعربيـة (شرح ديوان زهير 54) ــ ابن دريد : فارسي معرب (الجواليقي) ــ الدينـوري : ليـس فى شجر بلاد العرب ولكنه من نبات ارض الهند وأرض الزنج (92) ، . « بكم » . الهندية « بكـــم » .
انظر ايضاً « الصرف » و « الورس » .

بـــلاذر . الهندية « Bhilawa » . سنس « bhallatka » [Anacardiaceae =] جيـــد لفساد الذهن وجميع الاعـراض الحادثـة فى الدماغ من البرد والرطوبـة ، وهو من جملة السموم ايضا (ابـن البيطـار) ــ وقـد لقب صاحب فتوح البلدان ب « البـلاذري » لانـه شرب من عصير هذا النبات فجن ومات .
انظر E.I. : « Baladhuri » Watt ص 981 ، ابن العبري ــ رياض النفوس ص 416 الحاشية (1) ، سواء السبيل) .

بلـــور . البراكرتيـة « vailurya » . سنس والتاملية « vaidurya » .
Hob.-Job. « Beryl ») E.I. « Billaur »
Rawl ص 14 ، Watt ص 556)
راجع ما ذكرناه آنفا

(※) قال عدي بن زيد :
« رب نـــار بـــت ارمقـهـــا تقضـم الهنــدي والغـــارا »
(البخلاء نشر فان فلوتن ، ص 257 .

(92) مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق) المجلد 26 الجزء الثـالث ــ « الجزء الخامس من كتـاب النبـات » .

بنـــــج = قال ابن دريـد : لا احسبـه عربيـــا
المخصص 38/10 ، • سنس « Bhanga »
ـ ومنه بنجه أي نومه بالبنج ـ

بهـــار = الصنم . الكلمة بهذا المعنى منقولة عن « vihara » وهو معبد البوذيين .
انظر مقالنا الملحق عن « العلاقات العلمية » .

بهـــار = شيء يوزن به . ومنه البهـار بمعنـى العدل وحمل البعير ومتاع البحر، قال القتيبي: « يحملن البهار، » أي يحملن الاحمال من متاع البيت . الكلمة غير عربيـة كما اجمـع عليـه الجميع . ما عدا الازهري . وليست قبطية كما ذهب اليه ابو عبيدة ؛ بل هي هندية اصلهـا « Bhara » ـ وهي انما تعني الحمل ويختلـف مقداره باختلاف البضاعة وما تحمل هي عليـه والبلد ايضا (93) وهذا هو منشـأ البلبلـة وتضارب الاقوال بشأن تحديده (94) .

بهطـــة = الارز يطبخ باللبن والسمن خاصة . هندية (المخصص 3/5 والخوارزمـي 177) . اصلها « Bhata » .

بهنـــد = الذى لا يجـوز عليـه الحكـم لقلتـه ومهانته وسقوطه مثل المغني والزامر وما اشبـه ذلك (بزرك 117 • سنس « Bhanda »

بيـــش ـ
(راجع ما ذكرناه آنفا)

تكـــري = القائد من قواد السند والجمع تكاترة قـــال :
لقد علمت تكاترة ابن تيـري
غـداة البـد اني هبـــرزي
وفي التهذيب الجمع تكاكـرة وبذلـك انشـد البيت (اللسان « تكر ») • الهندية « thakur »

تـــلاج / ثـــلاج = بركـة مـاء (بزرك 106) ؛ الحوض الذي يزيد على عشر في عشر الى ما يمكـن ان يـكـون (ظفـر الوالـه 2 ـ 3) • الهندية « talla »

تنبـــول • سنس « tambula » .

تنكـــار • سنـس « tunkar/tankar »
ـ قارن « tingkal » بلغة ملايو و « tincal » بالانجليزية . (O.D. « Tincal » ; Watt. 171) .

توتيــــاء ـ قال صفوان : « ومن توتياء في معادنه هندي » (البيان والتبيين 1 / 38) • سنس/ ف « tutha » .
(انظر Watt ص 403)

جلفـــاط ـ يقول الجواليقي : في حديث عمر ان معاوية كتب اليه يستأذنه في غـزو البحـر . فكتب اليه : اني لا احمل المسلمين على اعواد نجرها النجار وجلفطها الجلفـاط ـ اصل هذه الكلمة غير عربي ـ
وجلفطـة السفـن كانت من اختصاص الهنـد لاسـباب طبيعية .
يقول الادريســـي :
« وكل ما يجري في بحر الهنـد والصيـن من المراكب السفرية صغارا كانت او كبارا فانها منشأة من الخشب المحكم نجره وقد حملت اطرافه بعضهـا على بعض وهندم وخرز بالليف وجلفط (بالدقيق) وشحم البابة ، والبابة (95) دابة كبيره تكون في بحر الهند والصين منها ما يكون طوله نحوا من مائة ذراع في عرض عشرين ذراعـا ينبت على سنـام ظهرها حجارة صدفية ، وربما تعرضت للمراكب فكسرتها وحكى (ايضا) الربانيون انهم يرشقونهـا بالسهـام فتنحى عن طرائقهم ؛ وذكر انهم يتصيدون ما صغر منها فيطبخونها في القدور فيذوب جميـع لحمهـا وتعود شحما مذابا ، وهذا الدهن مشهور ببلاد اليمن في عدن وغيرها ... وهو عمدتهم في سد خروق المراكب » (دار الكتب المصرية جغرافيا رقـم 150 ص 154 ، والزيادة ما بين المحققين عن نسخة اخرى رقم 263 .
واليك قول لبيد العامري شاهدا على اشتهار الهند بالبراعة في هذه الصناعة ، يقـول لبيـد في تشبيه الناقة :
كسفينـة الهندي طابق درءهـا
بسقائـف مشبوحـة ودهـــان
(الديوان، طبعة الخالدي ؛ فينا 1880 ، ص 65)
لا شك ان الكلمة انتقلت من الهند الى العربية ومنها الى اللغات الاوربية ، فالكلمة الهندية والبنغالية Kalapatti ان كانت مأخـوذة مـن البرتغاليـــة

(93) Hob.-Job. - « Bahar »
(94) انظر المعرب للجواليقي .
(95) كذا ـ « البالـة »؟
(96) Hob.-Job. « Calputtee »

« Calafate » (96) فالظاهر انها بضاعة الهند ردت اليها .

جـونـة ـ لم يستورد العرب من الهند انواع الطيب فقط بل جونة العطارين ايضا، اصلها « Goni » ـ ولا املك في هذا المقام الا ان اردد قول الاعشى يصف نساء تصدين لرجال حاليات :

اذا هن نازلن اقرانهن
وكان المصاع بما في الجون

(اللسان (« ج و ن » والمخصص 11 / 202) قارن الانجليزية « Gunny » (Hob.-Job.) ـ انظر ايضا Watt ص 261

جيـب (من مصطلحات علم الهيئة) • سنس « jiva » .

جتـره بالجيم الفارسية) = مظلة من ريش الطواويس ، يتخذونها لرؤساء الهند (السيرافي 145) والكلمة هي هي بالهندية (والفارسية ايضا كما اوردها ادى شير)

خـرص = سنان الرمح وقيل ما هو على الجبة من السنان ، اللسان « خ ر ص ») • الهندية « Kirich » وبلغة ملايو « Kris » ـ قارن بالانجليزية « Crease/Cris » .
(Hob.-Job. « Crease », etc.)
(راجع ما ذكرناه آنفا)

الخـطـي ـ (راجع ما ذكرناه آنفا)

الخيـزران ـ (راجع ما ذكرناه آنفا)

خيـش ـ فارسي محض (ادى شير) ، لعل اصلها بالسنسكرتية « Kosh »
انظر Watt ص 406 .

داذي ـ نوع من الخمر كان العرب يستوردونه من الهند (انظر ابن خرداذبة ص 71) يقول عنه سليمان التاجر : « شراب النارجيل وهو شراب ابيض ، فاذا شرب ساعة يوخذ من النارجيل فهو حلو مثل العسل ، فاذا ترك ساعة صار شرابا ، وان بقي اياما صار خلا » (سلسلة التواريخ ص 18) (*) ـ اصل كلمة الداذي هو « Tari » بالهندية وهي بالانجليزية « Toddy »

دلـو ـ مثل « دول » معنى وقريب منه لفظا (ادى شير) .

دوينـج • انهندية « دونكي » • سنس « Drona »
(ياقوت : البلدان ـ « قيس » وسليمان ندوي: عرب وهندكي) تعلقات 63 و Williams ص 441) .

ذريـره • ف «ذريره/زيره» • سنس « Jira » من مـادة « Jri » بمعنى الهضم) ـ انظر 442 Watt, 442
فتات من قصب الطيب الذى يجاء به من بلد الهند (اللسان) .

رانـج = الجوز الهندي، كأنه اعجمي (الجواليقي) • بلغة بورما « Ong »

رخ ـ من اداة الشطرنج ، الليث معرب من كلام العجم من ادوات لعبة لهم • سنس « رتـه » (سواء السبيل) .

ردينـي ـ (راجع ما ذكرناه آنفا)

رهمانـج ـ (راجع ما ذكرناه آنفا)

زنجبيـل • التاملية « Inji-ver » • سنس « Sringavera » ـ قارن الانجليزية « Ginger » .
(Watt, 1139 ; Cam. Hist. of India, 593)
راجع ما ذكرناه آنفا

سـاج • المهرتية (Mahratti) : « Sag »
سنس « Shaka »
راجع ما ذكرناه آنفا

سـاسـم / سـاسـب / سيسـب ـ ابو حنيفة : هو من شجر الجبال ، وهو من العتق التي يتخذ منها القسي ، وزعم قوم انه الابنوس ، وقال آخرون هو الشيز ، قال : وليس واحد من هذين يصلح للقسي ، ويتخذ منه السهام ايضا (اللسان « سسم ») = Dalbergia Sissoo • الهندية « shisham » • سنس « sinsapu » .
وربما تسوى منها الشيزي اي القصاع من خشب ، كما يقول ابن الاعرابي وابو عمرو (اللسان « سسم » و « شيز ») • سنس « S'ans'apa » اي القصعة المتخذة من خشب ساسم ـ انظر Williams ص 998 .

سانـه ـ الادريسي (دار الكتب المصرية جغرافيا رقم 150 ص 114) : ويسمون هؤلاء المخنثين السانه • سنس « Santha (Sanda) » .
(Williams, 989)

(*) قارن به ما قاله ماركو بولو عن الداذي :
The Travels of Marco Polo, Tr. by Prof. Aldo Ricci, London, 1931, p. 285.

سديـــــن ـ (راجع ما ذكرناه آنفا)

ســـــرق ـ (راجع ما ذكرناه آنفا)

ســروة / سريـــة = نصل صغير مدور مدملك لا عرض له كأنه مخيط او مسلة أدق ما يكون من نصال السهام يدخل فى الدروع (اللسان) ♦ الهنديـة « ســروة / سريـــة » ♦ سنس « S'ora » ـ قارن ف « سرى = تيربي بسر » (نفائس اللغات لأوحد الدين البلكرامي) (Williams, 994)

سكـــــر ـ (راجع ما ذكرناه آنفا)

سمهــــرى ـ (راجع ما ذكرناه آنفا)

ســـــن ـ نظرا الى سبق أهل الهند فى الصقل وما اليه ، لا يفوتنا البحث عن اصله فى سنس « shan » (قارن الانجليزية « Hone »] .

سنـبـــة ـ أي الـدهـــر :

رب غلام قد صرى فى فقرتـه
ماء الشبـاب عنفـوان سنبتـه

(الاضداد لابن الانباري ص 31)

هذه الكلمـة هي فى الواقـع دليل على معرفة العرب بالتقويم الهنـدي فان « Samvat » انما تعنـي السنـة ، ولا شـك ان العلاقـات التجارية ، قبل الاطلاع على علم الحساب عند الهنود ، هي التى ادت العرب الى تلك المعرفة.

ســنـــدر ـ « السندر الجريء المتشبع والسـندرة ضرب من الكيل . . والسندر مكيال معروف . . قال ابن الاعرابي وغيره هو مكيال كبير ضخم . . وقيل السندرة امراة كانت تبيع القمح وتوفي الكيل . . . قال القتيبي : ويحتمل ان يكون مكيالا اتخذ من السندرة وهي شجرة يعمل منها النبل والقسي ومنه قيل سهم سندري ـ ويقال قوس سندرية منسـوب الى السـندرة أعني الشجرة التى عمل منها هذا القـوس ، وكذلك السهام المتخذة منها يقال لها سندرية وسنـان سنـدري اذا كان ازرق حديـدا » (اللسان).
اصلها « Chandra » لا « Sundara » كما أورده ادى شير ، بالسـنسكرتيـة تعنـي ـ 1 ـ شجرة معينة و ـ 2 ـ الرجل البارز الشهير و ـ 3 ـ اللامـع البـراق ـ قـارن « سنان سندري » ـ
(انظـر (Williams, p. 315

ســنـــدروس ـ السيـرافي 117 : « وهـو مع النار كالنفط » ♦ سنس « Sindur »
. (Williams, p. 115 ; Watt, p. 707)

الشـــــال ♦ سنس « Shala » (؟) وانظر الى قول صاحب التاج : « والشال هذا الرداء الذى يعمل بكشميـر ولاهـور ويجلب به الى البلاد ويقال انه وبـر الجمل سمي به لانه يرفع على الاكتاف ان كانت عربية » ـ لا شك انه تحفظ بقوله « ان كانت عربية » لان نسبة الشال الى كشمير كانت ولا تزال شائعة معروفـة الا ان تعليله لهذا الاسم بكونه مرفوعا على الاكتاف يبين لنا طريقة اللغويين فى البحث عن الاصول الغامضة لبعض الكلمات .
(Platts, John T. : A Dictionary of Urdu, Classical Hindi and English, Oxford University Press).

الشبه والشبــه (بالفتح والكسر) = النحاس يصبغ فيصفر ، وفى التهذيب ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفر ، قال ابن سيدة : سمي به لانه اذا فعل ذلك به اشبه الذهب بلونه (اللسان) ـ لقد اشتط ابن سيده ولا شـك ، انمـا هـو تعريب Shenbu بالهندية (من الحملانات المتازة بالنعمان ـ انظر ايضا الحيوان 83/1).
(Watt, 401)

شريـــج ـ
(راجع ما ذكرناه آنفا)

شطـرنـــج ـ اللعبة من ابتكار الهند، انظر اليعقوبي 99/1 وما بعدها ♦ سنس « Chaturanga » .
(سليمان ندوي : عرب وهندكي) تعلقـات ص 181 وما بعدها .

شكـــــي ـ من ثمار بلاد الفلفل ، ذكره الادريسي وابن بطوطة • بلغة مليالم « Chakka » • سنس « Chanpkalu » (Chau Ju Kua, 212)

شلقـــاء ـ الشلق : الضرب والبضع والشلقاء السكين • سنس « S'alaka » = آلة محددة من آلات الجراحين ، كانوا يستعملونها للبضع. وقد جاء في اللسان ان الكلمة ليست بعربية محض . (Williams, 995 ; Vaidya, 711)

شمنيـــة = العباد والنساك من البوذيين ؛ كما عند البيروني) • اللغة البالية :

« Samana » : (Pali) • سنس « Çramana » (Hob.-Job. - « Gautama » ; Cam. Hist. of India, 420)

والكلمة بالفارسية « شمن » اي عابد الاصنام. انظر الى قول رودكي :

« اين جهان جون بت است وما شمنيم »

وقول الفردوسي :

« برستش كنم جون بتان را شمن »

وذهب صاحب القاموس وتبعه الخفاجي في شفاء الغليل الى ان «صنم» معربة من « شمن » الا ان ذلك خطأ كما جاء بهامش لف القماط بدليل ان شمن يعني العابد لا الصنم .

شـــنـك = البوق الذي ينفخ فيه (سليمان 7)، معدنه في البحر بين الهند وسرنديب ، • الهندية وسنس « S'ankh » . (Watt, 989; Hob.-Job. - «Chank»; Williams, 988)

شنكل / شناكل • سنس « S'rinkala » اي سلسلة من الحديد ـ (Williams, 1018)

شيت • سنس « chitra » ,لا يخفى ان الاقبال كان شديدا جدا على المنسوجات الملونة التى اشتهرت الهند بصناعتها .

صــرف (= البقم / الـورس) • التاملية « Shappu »

صـلا / صـلاءة وصلاية = ما يسحق عليه الطيب (المخصص 11 / 202) • سنس « s'ila » والهندية « سل » .

صنــج ، يتخذ من صفر يضرب أحدهما بالآخر • الهندية « جهانجهه » واجتماع الصاد والجيم فى كلمة واحدة علامة العجمة لا غير . (انظر فرهنك آنندراج) . والصنج ذو الاوتار معرب « جنك » بالفارسية .

صنــدل • سنس « Chandan » .

صنفــي = العود المنسوب الى صنف South Cochin China = « Champa »

ضمـر / صمـر = الشعر الذى يتخذ منه المذاب بنصب العاج والفضة الذى يقوم به الخدم على رؤوس الملوك (من مملكة رهمي ــ المروج 1 / 385) ، شعر ذنب الحيوان التبتي المعروف بـ« Yak » سنس « Chamar » (Hob.-Job. - « Chowry »)

طــاووس • التاملية « tokei / togai » قال المسعودي : « للطواويس بأرض الهند شان عجيب ، والذى يحمل منها الى ارض الاسلام وتخرج عن ارض الهند فتبيض وتفرخ تكون صغيرة الاجسام كدرة الالوان ، لا تعطي انوارا للابصار وبادراكها وانما تشبه بالهندية بالشبه اليسير » .. (المروج 2 / 438) .

طباشيــر • سنس « Trakkshira » (راجع ما ذكرناه آنفا)

طـــن = حزمة القصب ونحوها ، وهو عربي صحيح لا دخيل ؛ وقال فى كتاب البيان الطن من القصب ومن الاغصان الرطبة اعواد تجمع وتحزم ، ويسمى الكنشه واصلها نبطية يقال لها « كنشا » ولا اظن الطن عربيا ــ وقال فى كتاب التنبيه على الغلط للبصري : الصواب ان الكنثا وقاية بين السفينتين تدفع ضرر احداهما عن الاخرى شبه بها الطن وليس باسم خاص له بالنبطية ، واما الحرف العربي فالطن مشبه بطن الانسان وهو قامته (شفاء الغليل)

انما يرتفع كل هذا الارتباك والتخبط اذا تذكرنا ان «Tun/tundu» (Cedrella Toona) اسم لشجرة هندية ربما استعملت لغرض الوقاية بين السفينتين وأغراض اخرى مماثلة ، ولها أسم آخر مترادف وهو «Kac'cha» .
(Watt, 290 ; Williams, 194)

عـــاج = انياب الفيلة ، عظم الفيل ♦ Singhalese (لغة سرنديب) : «ala» = الكبير (العاج – ال من اصل الكلمة –اي الناب الكبير) او سنس «ibha-danta» ، قارن العبرية : «Shen habbin» أي‌سن الفيل .
(Hob.-Job. (Supplement) - «Elephant» ; Raw., II ; Williams, 141)

عدوليـــــة – (راجع ما ذكرناه آنفا)

غــــــار – انظر الالوه .

غـــــري = صبـغ احمـــر : قــال الشاعـــر :

« كانما جبينه غري » – (المخصص 211/11)
قريب الصلة بالهندية «geru» = سنس «gairika» (*)

غريـــن / غريـــل = ما بقي فى اسفل القارورة من الدهن ، ثفل ما صبغ به ، ما بقي فى اسفل الحوض والغدير من الماء والطين ، الطين الذى يحمله السيل فيبقى على وجه الارض رطبا او يابسا (اللسان) ♦ سنس «Khal» بتلك المعاني سواء بسواء (97) والنطق بالهندية «Kharya» اشبه بالكلمة العربية .

فالـــــج
– انظر ما سبق –

فانيــــــذ
– انظر ما سبق –

فلفـــــل ♦ سنس «pipali» .

فنجـــــان ♦ الهندية « بنكام » (ادى شير) .

الفنهـــرى / الفهـــرى
– انظر ما سبق –

فوطـــــة – قال الازهـري : رايت بالكوفة ازرا مخططة يشتريها الحمالون والخدم فيتـزرون بها ، الواحدة فوطة ، قال الجواليقي : فلا ادري أعربي ام لا » (انظر المعرب) والاصل بالهندية «Pata» .

فوفـــل ♦ الفارسية «pupal» ♦ سنس «Kubara» – قال المسعودي :
«الفوفل وهو الذي قد غلب على أهل مكة وغيرهم من الحجاز واليمن فى هذا الوقت مصغه بدلا من الطين ،، (مروج الذهب باريس 2 / 84) .
(Watt, 83)

فيـــــل ♦ ف القديمة « بيل » ♦ سنس «pilu» مع بعض الشك . يقال ان الفهلوية هي الاصل ومنها انتقلت الكلمة الى السنسكرتية .
(Hob.-Job. (Supplement) - «Elephant» ; Jefferey : Foreign Vocabulary of the Quran, Baroda, 1938)

القـــاقلـــى – العود المنسوب الى قاقله – مرسى على الساحل الشرقي لشبه جزيرة ملايـو بالقرب من Kelantan (كذا عند ابن بطوطة 242/4 – 243) – والقاقلة (= الهال بوا) الكبيرة لها صلة بمقاطعة Krakor ببلاد Kamboja .
(Vide Gerini, G.E. : Researches on Ptolemy's Geography of Eastern Asia, London, 1909, p. 444)

القامـــرونـــي = العـود المنسـوب الى قامـرون بشرق الهند ، Assam = «Kamarupa» وانظر وصف هذا العود فى سلسلة التواريخ ص 130 .

قتـــــارة = حديدة شبه سكة الحرث بدخل الرجل يده فيها فتكسو ذراعه ويفضل منها مقدار ذراعين وضربتها لا تبقى (ابن بطوطة 4 / 31) ♦ سنس «Katar»
(Hob.-Job. - «Kuttaur»)

---

(97) «Khal» = sediment, drugs, the deposit of oil, etc. - Williams, 274.

(*) Platt : Dictionary of Urdu, Classical Hindi and English, Oxford University Press.

قرفــــة • التاملــيــة « Karppu » = دار صيني (Watt, 313 ; Raw, 14 ; Cam, Hist., 593)

قــرمـــز • سنس « Kirmi » اي الدودة (قارن الانجليزية (« Crimson » (Raw., 14)

قرنـــفـــل • لغات الهند الجنوبية « Kirambu/Karampu » توازيها باليونانية « Caryophyllon » ويذهب البعــض الى أن الكلمــة ســارت مــن اليونانية الى الهند الجنوبية عن طريق العربية . (Watt, 526)

قســـط • سنس « Kushta » . — انظـر ما سبــق —

القلعـــــي — انظـر ما سبــق —

القلـــقـــي — انظـر ما سبــق —

القمـــــاري = العود المنسوب الى قمار Cambodia = « Khmer »

قـــنـــــا — انظر ما سبق —

قـــنـــــد — انظـر ما سبــق —

قنـــقـــن (الادريسي ، نسخــة الدار ، ص 114 اللقنقــن) • سنس « Kankan » نــوع مــن الحلى كالسوار .

كــاغــــــذ • Kodzo = شجرة موطنها الاصلي الصين وأعالي بورما ، صنع منها الــورق في قديم الزمان = « الكاذي » عند المسعودي : المروج 2 / 202 — . (Watt, 186)

كــافــور • سنس « Karpura »

كبـــتــــح = الودع (سلسلة التواريـخ ص 6) • الهنديــة « Kavadi »

كـــــــر — انظر « كنبار » .

كركـــدن — « لا أحسبه عربيا لانه مفارق لابنيتهــم » (المخصص 8 / 58) • سنس « Khadgadanta » اي ذو سن كالسيــف —(« E.I. - « Sofula) .

كرنـــــدة (بزرك 118) • سنس « Karanda » وربما حذفوا الكاف فقالوا « الرند » — قــال الازهري : وا'رنــد عند أهل البحرين شبــه جوالق واسع الاسفل مخروط الاعلى يسف من خوص النخــل ثم يخيــط ويضــرب بالشرط المفتولة من الليف حتى يتمتــن فيقــوم قائما ويعرى بعرى وثيقة ينقل فيه الــرطب أيــام الخراف يحمل منه رندان على الجمل القوي ؛ قال ورايت هجريا يقول له « النرد » وكأنــه مقلوب ويقال له « القرنة » ايضــا .

كشـــلـــي = الزر والمــاش ، يجمعــون بينهمــا ويسمون المجموع منهما كشلي ياكلونه بالشيرج (نخبة الدهر للدمشقي ص 169) • الهندية « Khichri »

كنبـــــار —الغزل المفتول من ليف النارجيل لخرز المراكب (البيروني 103) .

كـــر — ايضا قيد من ليف او خوص ، حبل السفينة • بلغة مليالم « Kaiyar » والتاملية « Kayiru » وهي أصل « Coir » بالانجليزية بالاتفــاق ، وهل يستبعد ان تكون هي أصل كلمة « Cable » ايضا ، فان مدلولها الاصلي لم يتجاوز ذلــك النوع الخاص من الحبل ؟ (Watt ص 355)

لكيشـــا = الكثّير (المقدسي • سنس « laksha »

ليمـــــون • سنس« Limpaka, nimbuka »الشك. (Watt, 325)

مســـــك • سنس « mushka » .

مصـــريـــة (ابن بطوطة) = الناموسية • سنس « Masa-hari » (Williams, 752)

مطيــــــال (بزرك 36) = قارب صغير يشد الى سفينة كبيرة • الهندية « Patela »
(Periplus, 248)

المنــدلــي = العـــود (98) المنسوب الى منــدل (Mandal) وهي تعني « الاقليـم » عامـة والمشهور « كورومندل » بجنوب الهند الا انه قد ورد في بعض المصـادر ما يشعـر بوجـود « مندل » (= اقليم) آخر بالقرب من قامرون بشرق الهند . اما ما ذهب اليه Ferrand من أن النسبة الى « Mandri » مكان بعينه على الساحل الجنوبي للهند فاحتمال بعيـد جـدا (انظر حدود العالم ، تذكارجب ؛ 1937 م ص 240) . هذا وقد سجل الشاعر ضياء الديـن نسبة المندلي الى الهند بقوله :

المنـــدلي كـريـــم
سقيالـــه ولغرســـه

لمـــا اراد يريـــنـــا
للهنـد نسـبـة جنسـه

غدا علـى النـار ملقـى
يجـود فيـهـا بنفســه

(حلبة الكميت ص 153)

وذكر ان الحسين بن برمك هو الذي حمل العود « المندلي » (كذا في صبح الاعشى 2 / 124 – وفي النويري 29/12 « الهندي ») معه اثر عودته من الهند وعرضه على المنصور فاستحسنه وامر ان يكتب الى الهند بحمل الكثير منه فاشتهر بين الناس وعز من يومئذ واحتمل ما فيه من مرارة الرائحة وزعارتها لانها تقتل القمل وتمنع من تكونه في الثياب .

مـــــوز • سنس « mocha » .

نارجيـــــل • « narikila » .

نارنـــج • سنس « Nagaranga » – قال المسعودي : « شجر النارنج والاترج المدور جلب من ارض الهند بعد الثلاثمائة فزرع بعمان ثم الى البصرة والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغر الشامي وانطاكية وساحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف ، فعدمت منه الروائح الخمرة الطيبة واللون الحسن الذي يوجد فيه بأرض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصية البلد (المروج 2 / 438 – 439) – هذا وقد جلب النارنج الى الهند من الصين حيث موطنه الاصلي (Watt ص 318) .

النــرديـــن = هو السنبل الهندي (باليونانية « Nardos ») أصلها بالسنسكرتية « Nalada » (بالفارسية القديمة « ناردا ») – انظر ادى شير – « الرند » .

النمـــط – أصلها « Namata » بالسنسكرتية (= ف : نمد) وربما استعملوا هذا النوع من الصوف الغليظ لتغطية المرات ، ومن هنا نشأ معنى الطريقة والمذهب .

النيـلـج • سنس « nili » .

هـــرد • سنس « hari dra » اي الخشب الاصفر = الاردوية « haldi » (Watt ص 445) وهو الكركم كانوا يأتون به من الهند (ابن البيطار) وفي الحديث « ينزل عيسى بن مريم في ثوبين مهروديـن (المخصص 211/11) .

هـرهـرة = حكاية اصوات الهند في الحرب • « Hari Hari »

هنـــدول – مثل لحفة على اعناق الرجال (بزرك 118) • سنس« hindola » – قارن « Andor » بالبرتغالية (H.J.) – ومنه :

هنبويـــل = الضخم الانوك المسترخي الضعيف

(98) العود الهندي « سمي عودا حتى صار اسمـا علما من قبل انه اشرف انواع العود » (المخصص 198/11) .

الهيـــل أو الهـــال ، هي بالسنسكرتية « ايـل » وبالفارسية « هيل » وكان معدنه راس هيلى / ايلى على الساحل الغربي بجنوب الهند وذكره الجغرافيون العرب وابن بطوطة (الرحلة 81/4).

ورس (= البقم / الصـرف) ـ شاعـت كلمـة « الورس » وانتقلت من العربيـة الى اللغـات الاوربية فى العصور الوسطى (الايطالية « verzi ») حتى انه يقال انالبرازيل Brazil من الورس، سميت تلك الخطة من العـالم الجديد كذلـك لوجود هذا النوع من الخشب فيها .

(Hob.-Job. - « Sappan Wood » ; « Brazil Wood »

وشيـــــج =
ـ انظـر ما سبـق ـ

اليســـــارة = « التى تكون ببلاد الهند وتفسيرها المطر فانه يدوم عليهم فى الصيف ثلاثة اشهر تباعـا » (ابو زيـد السيرافـي فى سلسـلة التواريخ ص 126) ـ كانوا يقولون « فـلان يسر بأرض الهند اي شتا هنالك (المسعودي : مروج الذهب 1 / 327) ـ اصـل الكلمـة بالهندية « varsha » .

الرمــوز

سنس = اللغـة السنسكرتيـة
ف = اللغـة الفارسيـة
• = ان اصل الكلمة باللغة الفارسية او السنسكرتية او .. ما هو كذا وكذا .. الخ.

المراجـــع

1 ـ الآثار للقزويني = آثار البلاد واخبار العباد ، صنيف زكريا بن محمد بن محمود القزويني .
E. Wustenfeld, Gottingen, 1848

2 ـ الاخبار الطوال للدينوري ، ليدن ، 1888 م

3 ـ الادريسي = نزهة المشتاق للشريف الادريسي ، نسخة دار الكتب المصرية ، جغرافيا رقم 150 .

4 ـ ادى شير : الألفاظ الفارسية المعربة .

5 ـ بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية.

6 ـ ابن بطوطة = الرحلة له ، طبعة باريس .

7 ـ بزرك = كتاب عجائب الهند ، تأليف بزرك بن شهريار الناخداه الرام هرمزي ،
Par P.A. Van Der Lith, Leide, 1883-1886.

8 ـ البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون .

9 ـ البيروني = كتاب الهند ، طبعة زخاو

10 ـ الجواليقي = المعرب له ، طبعة الدار ، 1361 هـ .

11 ـ سلسلة التواريخ (سليمان التاجر وابو زيد السيرافي) ، باريس 1811 م

12 ـ سليمان ندوي : (عرب وهندكي تعليقات ، اله آبـاد ، 1930 م .

13 ـ شفاء الغليل للخفاجي .

14 ـ سواء السبيل فى المعرب والدخيل ، تأليف توما آرنلد وقاضي ظفر الدين احمد ، مطبع رفـاه عام 1903 م .

15 ـ ظفر الواله بمظفر وآله للحاج دبير ، طبعة السير دنيسن روس .

16 ـ ابو الفداء : تقويم البلدان ، باريس ، 1830م .

17 ـ لف القماط = لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب والدخيل والاغلاط، لابي الطيب الصديق بن حسن القنوجي ، بهوبال ، 1296 هـ .

18 ـ المروج = مروج الذهب للمسعودي ، طبعة باريـس .

19 ـ نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، تأليف الشيخ شمس الدين ابي عبد الله محمـد بن ابـي طالب الانصاري الصوفي الدمشقي ، بطـر سبورغ ، 1865 م .

20 ـ ابن الوردي (سراج الدين) : خريدة العجائب وفريدة الغرائب .

21 ـ ياقوت : معجم البلدان .

المراجـــع الانجليزيـــة

(1) Bibil. Geog. = Bibliotheca Geographorum Arabicorum, Ed. de Geoje, Leiden, 1870-94.

(2) Chau Ju Kua : Chu-fan-chi, translated and annotated by F. Hirth and W.W. Rockhili St. Pertersburg, 1911.

(3) Fahmy, Ali Muhammad : Muslim Sea-power in the Estern Mediterranean, 1950.

(4) Hirth : China and the Roman Orient, 1885.

(5) Hob.-Job. = Hobson-Jobson : A Glossary of Anglo-Indian Collquial words and Phrases and of kindred terms by Col. Henry Yule & Arthur Coke Burnell, London, 1886.

(6) Hourani, George Fadlo : Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Mediaeval Times, Princeton University Press, 1951.

(7) Legacy of Islam, ed. Sir Thomas Arnold, Oxford University Press.

(8) Periplus = The Periplus of the Erythraean Sea (Shoff), 1912.

(9) Rawlinson, H.G. : Intercourse Between India and the Western world, Cambridge, 1926.

(10) Smyth, W.C. : Dictionary Hindustani and English, London, 1820.

(11) Vaidya, L.R. : The Standard Sanskrit - English Dictionary, Bombay, 1889.

(12) Watt, Sir George : The Commercial Products of India, London, 1908.

(13) Williams = Sanskrit - English Dictionary by Monier, Williams, Oxford, 1872.

بـــدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب

من المعروف أنه لم يكن هناك اسم واحد يطلق على الشبه قارة الهندو ـــ الباكستانية بأكملها بل كانت الأقاليم المختلفة تعرف بأسمائها كل على حدة وربمـــا شمل اسم العاصمة جميع المناطق الواقعة تحـــت سلطتها أو نفوذها . وكان نهر « السند » الذي يذكره العرب القدماء باسم « مهران » ـــ معروفا باسمـــه الحالي الى أن امتد اليه نفوذ اهل فارس فى العصر القديم فسموه « هندهو » جريا على عادتهم فى ابدال السين فى السنسكرتية بالهاء ، ولذلك امثلة كثيرة فى اللغة الفارسية القديمة . ثم جاء العرب فاقروا اســـم « السند » للأراضي الواقعة على ضفتي ذلك النهر ، وبدأوا يطلقون « الهند » على ما وراءها (1) .

كان العرب قد عرفوا الهند قبل الاسلام واحبوها الى حد انهم اتخذوا منها اسما لنسائهم ، ولكنهـــم انما عرفوا عطورها واحجارها وسيوفها وثمارها ولما كانت تجارتهم عن طريق البحر كان من الطبيعـــي ان يقتصر اتصالهم علـــى الشواطىء والسواحـــل ، ولاسيما الساحل الغربي والجنوبي ، لا ادل على ذلك من اسماء فى العربية هي فى الأصل اسماء للأمكنـــة التي كانت تستورد منها مسمياتها، مثل المندل والهيل(2) ثم جاء الاسلام فصارت هذه المعرفة والصلة التجارية من اهم ما وجه المسلمين من عرب عمان والمناطـــق الساحلية المجاورة لها الى شن الغارات البحرية بغية تأسيس دعائم حكمهم على مواقع من ساحل السند وكجرات ، تهانة (تانه) بالقرب من بومباي وبهـــروج (بروص) وديبل بالقرب من كراتشي ، وكان ذلك فى عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي كان شديد الحذر من « من حمل الدود على العود » ثم تكـــررت محاولة من هذا القبيل فى عهد عثمان ايضا ، ولكن لم يكن لهذه الغزوات اثر يذكر ، ومضى العرب فى هذه الأثناء قدما من نصر الى نصر حتى تم لهم فتح بلاد فارس كلها وصارت حدود دولتهم الشرقية تتاخـــم حدود مملكة السند الغربية مباشرة بحيث تسنـــى للبغاة والطغاة التسلل عبر الحدود والالتجاء بملـــك السند ، مما زاد فى اهتمام العرب بجارتهـــم ، وفى الوقت الذي كانت الممالك الشرقية للدولة الأموية قد استكملت قوتها واستعدادها لشن هجوم شامل برا وبحرا معا بعد ان انتظمت امورها وسلست صعابها تحت امرة حاكمها الحازم ذي البأس الشديد الحجاج ابن يوسف الثقفي ، فى ذلك الوقت سببت الصلـــة التجارية بصورة مألوفة فى التاريخ القديم والحديث على السواء ، التدخل السياسي والعسكري مـــن جانب العرب ، وذلك بأن بعض القراصنة استولـــوا بالقرب من ديبل على مركب كان ينقل الى العـــراق عددا من الأرامل واليتامى لبعض التجار العرب الذين وافتهم آجالهم فى جزيرة سيلان ثم اعتذر داهر ملـــك السند بعجزه عن تنفيذ طلب الحجـــاج بمعاقبـــة المجرمين وتسليم الأسرى ، فلم يكن منه هو الآخر الا ان ندب ابن اخيه الشاب محمد بن القاسم الثقفي لغزو السند نهائيا (3) .

دخل محمد بن القاسم السند فى سنة 89 هـ ووفق فى انجاز مهمته توفيقا تاما ، فانه تمكن فى بحر خمسة اعوام من القضاء على مملكة داهر وفتحهـــا للمسلمين من منابع نهر جهيلم بكشمير فى الشمال الى البحر في الجنوب ، الى حدود مملكة قنوج (كنوج) بالقرب من ملتان وحدود كجرات فى الشرق ومنذ ذلك الحين ظل اقليم السند جزءا من الدولة الأمويـــة ، تعاقب على حكمه عدد من الأمراء العرب ، سعـــى بعضهم لتوسيع نطاقه فى الشرق وعلى ساحـــل كجرات فلم يلقوا فى ذلك كبير نجاح ، ولكنهم على كل حال بقوا اقوياء قادرين على اخماد الثورات مالكين لأزمة الأمور فى الداخل .

وهكذا اصبحت للعرب علاقات سياسية وطيدة مع الهند بعد ان كانت لهم علاقات تجارية قوية معها فيما قبل الاسلام ، وكان من المحتوم على هذه القاعدة الجديدة للعرب داخل اراضي الهند أن تصبح مبـــدأ

---

1) الدكتور السيد سليمان الندوي : عرب وهندكي تعلقـــات ص 12 .
2) على الترتيب ، العود المستورد من « كورومندل » كان العرب يطلقون عليها « المعبر » أيضا وفوه « هال » أو « هيل » (بالعامية : حب هان) المستورد من (راس) هيلي او « ايلي » بجنوب الهند بالقرب من كورومندل ، كانت ميناء ومدينة عـــامرة ايام زيارة ابن بطوطة لها ، راجع الرحلة 81/4 .
3) الفتوح للبلاذري 431 ـــ 432 و 435

خط لسير العلوم والآداب الهندية الى عاصمتهم ؛ ولكن الحركة — لأسباب طبيعية عامة — انما نمت وازدهرت فى العهد العباسي الأول . اما فى العهد الأموي فلا يلفت نظرنا الا ظواهر معينة ، هي بمثابة المقدمة لما نحن بصدده فى مقالنا هذا .

كان العرب قد عرفوا من قبل الزط (جات) والميد وهما قبيلتان من قبائل السند عرفتا بالغزو والتهور والشراسة فجندهما الفرس ، وربما كثر احتكاكهما بالعرب حتى اننا نجد عبد الله بن مسعود يقول عن بعض من رآهم فى صحبة النبي صلى الله عليه وسلم « رجال كأنهم الزط أشعارهمواجسامهم » (سنن الترمذي ؛ باب الأمثال) مما يدل على انهم كانوا معروفين لدى العرب تماما فى ذلك الوقت (4).

ثم بعد أن تم فتح فارس على ايدي العرب انخرطت هاتان القبيلتان ولاسيما الزط فى جنود الاسلام ؛ استخدمهم علي رضي الله عنه لحراسة أموال البصرة فى وقعة الجمل ، وانزلهم معاوية فى مدن الشام الساحلية لمواجهة الروم ، وعمرهم وليد ابن عبد الملك فى انطاكية (5) . هذا ما يتعلق بالعصر الذي سبق فتح العرب للسند ، أما بعد ذلك فقد تيسر للعرب أن يعرفوا لا الزط المحاربة فحسب ، بل السنديين عامة ومن اهم ما ساعد على ذلك نقل عدد كبير من العبيد والأماء اسرى الحرب الى العاصمة(x) وبعض المدن الكبيرة الأخرى ، وهنالك بدأ العرب يتبعون خصائص وعوائد هذا العنصر الجديد بعناية كبيرة ، كما ان اولئك الدخلاء اقبلوا على الأخذ بأسباب الحضارة العربية بجد واهتمام ؛ ولم يلبث العبيد من اهل السند ان بدأوا يساهمون مساهمة فعالة فى الحوادث الجارية حتى انه ذكر أن أحدا منهم (ابن زياد بن ابي كبشه) اشترك فى قتل الخليفة الوليد بن يزيد فى سنة 126 هـ (6) أما مدى سرعة تعربهم واندماجهم فى المجتمع والثقافة العربية فيمكن أن نقدرها بوجود علماء أجلاء امثال ابى معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي (7) وابن الاعرابي (8)، ورجال الحكومة مثل السندي بن شاهك (9) وشعراء امثال ابى عطاء السندي وأبي الاصلع (10) كلهم موال انحدروا من أصل سندي لم يتجاوز عهدهم جيلين و ثلاثة على فتح السند ، وقد استغنيت بذكرهم عن التعرض للذين نشأوا فيما بعد .

لا شك ان الارقاء وغيرهم من عامة اهل السند لم يكونوا ليعرفوا العرب الا برطانتهم وجعلهم الجيم زاء وببعض الملح تتعلق بالعجائز والخصيان منهم (11) وما الى ذلك من عجائب العوائد وغرائب الاخلاق كما اشرت اليه آنفا وربما كان وجودهم مثار التساؤل بين أهل الفكر عن مدى الحضارة والعلوم وحكمة الهند ومبعث تطلع الاذهان الى الوقوف عليها ، ولكن التبادل العلمي ونقل الآداب الهندية الى العربية انما كان يتوقف — ولا غرو فى ذلك — على الجمع بين الخاصة واهل العلم من الطرفين العرب والهنود ، وهل يتأتى ذلك الا اذا استقرت الأحوال الداخلية

---

4) يرجح أن الامام ابا حنيفة كان من سلالة هؤلاء الزط ، فانه ذكر أن جده زوطي كان من كابل (حسب الرواية المشهورة . راجع ابن خلكان وتهذيب الاسماء للنوي) نقل الى الكوفة بين أسرى الحرب أما ادعاء حفيده اسماعيل بن حماد ، الانتساب الى اسرة مالكة من الفرس فتلك محاولة معروفة حاولها كثير من الموالي لاثبات أصالتهم فى العز الذي نالوه فى الاسلام .

5) البلاذري الفتوح : 375 — 379 .

x) انظر قول ابي النجم العجلي : علقت خودا من بنات الزط الخ (الاغاني)

6) ابن الأثير 217/5 .

7) شذرات الذهب 278/1 سمع عنه الواقدي بالمدينة .

8) « كان أبوه زياد عبدا سنديا » ياقوت : معجم الادباء .

9) السندي بن شاهك مولى جعفر المنصور ، كان اميرا على دمشق فاخرب سورها فى فتنة ابي الهندام فى سنة ست وسبعين ومائة فى خلافة هرون وولي القضاء ببغداد وكانت وفاته هناك . ترجمته فى مرآة الزمان نسخة دار الكتب المصرية الجزء السادس الورقة 42 ، وكان للسندي هذا ابن يسمى ابراهيم روى عنه الجاحظ كثيرا (البيان والتبيين 1 \ 141) .

10) ابو عطاء معروف ترجمته فى الاغاني وابو الأصلع الهندي له ذكر فى المرزباني 513 (« ابو الضلع » كذا فى الفهرست 164) والحيوان 171/7 .

11) البيان والتبيين (تحقيق عبد السلام هارون) 70/1 ، 74 ، والحيوان 118/1

وتفرغ أولو الامر لتشجيع الحركات العلمية ورعاية الادب وذويه ؟

كانت أواخر أيام بني أمية الوهن والاختلال والفتن اعقبها الانقلاب العباسي فلاقى أبو مسلم الخراساني بعض العناء فى اخضاع منصور بن جمهور الكلبي ذلك الطاغية الذي كان قد اغتصب ولاية السند منذ زمن غير بعيد ، ولكنه نجح أخيرا فى ضم هذه الولاية للسفاح على يد موسى بن كعب التميمي فى سنة 134 هـ . وقد اقترن ظهور العباسيين بنقل العاصمة من دمشق الى بغداد فازداد التقارب من السند جغرافيا ، مع ما هو معروف عن الخلفاء العباسيين واعيان السلطنة فى عهدهم من الميل الشديد الى الفرس والعجم وحضاراتهم وآدابهم .

لم تكد الأمور تنتظم فى العهد الجديد حتى نرى وفدا من اهل السند يفد على السفاح ، وذلك قبل موته بثلاثة ايام (12) . لا نعلم اذا كان هذا الوفد يضم احدا من أهل العلم ، ولكن على كل حال لم يكن له اثر يذكر لمصادفة وصوله فى وقت غير ملائم .

ثم استمرت الأحوال تتهيأ لجلب العلوم من الخارج فى عهد المنصور مما حفز اهل العلم فى السند الى عرض ما لديهم ، فوصل احد منهم كان متضلعا فى علم الهيئة والرياضيات ، الى بغداد فى سنة 154 هـ ، فتقدم الى الخليفة بكتاب «سدهانت» (السند هند ×) الذي قام ابراهيم الفزاري بترجمته الى العربية (13) واطلاع العرب على « سد هانت » يعد نقطة هامة لا من حيث كونه بداية حسنة للتبادل العلمي بين الهند والعرب فحسب ، بل من حيث الآثار المترتبة على ذلك ايضا ، فانه وان يعلم بالضبط متى تعلم العرب « الأرقام الهندية » فالمظنون انهم تعلموها عن طريق ترجمة « سدهانت » الذي يحتوي البابان الثالث عشر والرابع والعشرون منه على بسط وبيان لتلك الأرقام (14) . على كل حال نال « سدهانت » من اقبال العرب وتقديرهم ما كان سببا لرفع صيت الهند الى درجة عالية ، آية ذلك انهم قاموا فى مدة قصيرة بترجمة كتابين آخرين فى علم الهيئة هما « ارجبهذ » (الأصل : آرية بهت) و « أركند » (الأصل كهندكهنديك (Khanda-Khadyaka . نقل الأول ابو الحسن الأهوازي والثاني يعقوب بن طارق فى سنة 161 هـ (15) .

---

12) تاريخ اليعقوبي 433/2 .

× قال البحتري (د الجوائب 160/2) : الست بالسند هند ذا بصر أن لم تفق حاسبيه تنتصف

13) البيروني : كتاب الهند ص 208 .

14) عرب وهندكي تعلقات ص 134 هذه الارقام معروفة عند العرب بـ « الارقام الهندية » وعند الافرنج بـ « الارقام العربية » [Arabic figures] لأنهم بدورهم اخذوها من العرب ، اعني عرب الاندلس وربما سماها عرب الاندلس « حساب الغبار » لأن الهنود كانوا يرسمونها على التراب او الرمل بدل اللوحة او السبورة لتعليم الاولاد كما يشاهد ذلك فى بعض أرياف الهند الى يومنا هذا . انظر قول الشاعر يصف التخت الذي يضرب عليه حساب الهند :

وقلم مداده تراب
فى صحف سطورها حساب
يكثر فيها المحو والاضراب
من غير ان يسود الكتاب
حتى يبين الحق والصواب
وليس اعجام ولا اعراب
فيه ولا شك ولا ارتياب

(الحصري : زهر الآداب 90/2)

15) هاك الالفاظ الهندية التي بقيت كمصطلحات علم الهيئة بالعربية : « كردجه » (الوتر المستوي) اصلها بالسنسكريتية « كرمجيا » ، « جيب » اصلها « جيوا » ، « أوج » اصلها « اوج » بالجيم الفارسية ، « ارين » من « اجين » اسم لبلدة فى وسط الهند ، « ادماسه » أصلها « ادهماسا » .

وعلى أثر هذه البداية الحسنة لابد ان الأمراء واهل العلم فى بغداد قد عرفوا واعترفوا ببراعة اهل الهند فى ميادين اخرى ، ولاسيما الطب ، فلذلك نراهم يشيرون على هارون الرشيد ابان مرضه باستقدام الطبيب الهندي الشهير « منكه » (مانك) وورد الطبيب الهندي فنج فى علاج الخليفة وحظي عنده وبقي يشرف على نقل الكتب من اللغة السنسكريتية (16) .

وفى هذه المرحلة اي بعد أن كان الطريق قد مهد لحركة نقل العلوم من الهند الى بغداد يطالعنا التاريخ بظاهرة قوية ، يجدر بنا أن نقف عندها لعلنا نكتشف حقيقة طالما غمضت على كثير من المؤرخين القدماء والمحدثين . وتلك الظاهرة هي التي اشار اليها ابن النديم بقوله :

« الذي عني بأمر الهند فى دولة العرب يحيى ابن خالد وجماعة البرامكةواهتمامها بأمر الهند واحضارها علماء طبها وحكمائها » (كذا / . الفهرست 345 .

فما هو مبعث هذه النزعة الى الهند وعلومها فى نفوس البرامكة ؟

لنبحث عن أصل البرامكة حتى نصل الى جواب لهذا السؤال .

البرامكة من أصل بوذي لا مجوسي

المعروف عن البرامكة ان اجدادهم كانوا يتولون قبل الاسلام معبدا للمجوس ببلخ ، وكان « برمك » لقبا لرئيس سدنة ذلك البيت الذي كان يسمى « نوبهار » . اما اصل كلمة « برمك » من ناحية اللغة فلم يتعرض له القدماء ، وجاء المتاخرون من المؤرخين واصحاب المعاجم من الفرس فقالوا بأن الكلمة مشتقة من المصدر « برمكيدن » اي المص بالفارسية وأيدوا قولهم هذا برواية مؤداها ان اول « برمك » أسلم (بعد ان خرب قتيبة بن مسلم « نوبهار » فى سنة 86 هـ) لما وقف أمام الخليفة اضطر الى الاعتراف بأنه كان يحمل معه سما فى خاتمه حتى يمصه (بالفارسية : « برمكم ») اذا وجد الموت خيرا من حياة الخزي ،

وهذه الرواية مختلقة بدليل أن المؤرخين مجمعون على أن « برمك » لقب قديم كان يلقب به رؤساء « نوبهار » قبل الاسلام بكثير . وقال بعض آخرون ان « برمك » اسم لمكان والنسبة اليه « برمكي » . وأتى ابن الفقيه الهمداني وياقوت بتعليلين فى منتهى الغرابة حينما قال الأول ان « برمكة » يعني حاكم مكة (17) وذلك لأن معبد بلخ كان قد انشىء ليكون نظيرا لمكة ، وقال الثاني ان « بر » هنا بمعنى الابن وأن « برمكة » انما يعني ابن مكة (18) وهذه الأقوال كلها ظاهرة البطلان لا تستحق التعليق عليها بشيء .

وذهب الكاتب الهندي عبد الرزاق مؤرخ « البرامكة » (باللغة الاردوية) الى أن اصل «برمك» هو « برمغ » — « بر » يعني « كبير » و « مغ » [magos بالبونانية و « مجوس » بالعربية) يعني عبدة النار — وعلى هذا « برمك » يكون معناه « رئيس المجوس » وهذا القول يظهر انه قريب جدا الى الصواب ، مع انه لم يعرف بعد مثال آخر لابدال « الغين » « بالكاف » فى التعريب ، الا انه قد بقي ان نتأكد اذا كان معبد بلخ معبدا للمجوس يعبدون فيه النار او معبدا للبوذيين يعبدون فيه الأصنام أو « البد » على حد تعبير المؤرخين العرب .

من حسن الحظ ان بأيدينا وصفا مسهبا لهذا المعبد عند المسعودي والهمداني وياقوت يمكننا ، اذا أمعنا النظر فيه ، من الاهتداء الى جواب على هذا السؤال وهاك ما يقوله ياقوت عنه :

« قال عمر بن أزرق الكرماني : كانت البرامكة اهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف، وكان دينهم عبادة الاوثان ... ونصبوا حوله (اي حول بيت النوبهار) الأصنام وزينوه بالديباج والحرير وعلقوا عليه الجواهر النفيسة ... وكانت الفرس تعظمه وتحج اليه ، وتهدي له وتلبسه أنواع الثياب وتنصب على أعلى قبته الأعلام ، وكانوا يسمون أعلى قبته « الاستن » وكانت مائة ذراع فى مثلها وارتفاعها فوق مائة ذراع باروقة مستديرة حولها وكان حول البيت ثلثمائة وستون مقصورة ليسكنها خدامه وقوامه

---

16) ابن ابي أصيبعة 33/2 .

17) كتاب البلدان ص 323 « فسموا سادنها الاكبر برمكا » اي انه باب مكة ووالي مكة فصار كل من ولى منهم ذلك يسمى برمكا » .

18) معجم البلدان (نوبهار) « كانوا يسمون السادن الاكبر « برمكا » لتشبيههم البيت بمكة يسمون سادنه ابن مكة فكان كل من ولي منهم السدانة برمكا » .

وسدنته ، وكان على كل واحد من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعوذ الى الخدمة حولا كاملا ، ويقال ان الريح ربما حملت الحرير من العلم الذي فوق القبة فتلقيه بترمذ وبينهما اثنا عشر فرسخا ... وكانت ملوك الهند والصين وكابل شاه وغيرهم من الملوك تدين بذلك الدين وتحج الى هذا البيت ، وكانت سنتهم اذا هم وافوه أن يسجدوا للصنم الاكبر ويقبلوا يد برمك » .

هذا الوصف لياقوت فى معجم البلدان (النوبهار) يطابق لفظا ما اورده الهمداني (البلدان ص 3 — 322) بحيث يصبح من المؤكد انهما استقياه من مصدر واحد وان لم يذكر هو الآخر اسم عمر بن ازرق الكرماني كما فعله ياقوت هو الأول . كذلك يوافق هذا الوصف معنى ما جاء فى مروج الذهب — 48/4 — للمسعودي (ايضا آثار البلاد للقزويني 221) ومما يجدر بالملاحظة والتنبيه عليه فى هذا الوصف :

اولا : لم يرد فيه ذكر للنار حتى يقال ان النوبهار كان بيتا من بيوت النار .

ثانيا : بالعكس نص فيه على أن معبد بلخ لم يتجاوز أن يكون بيتا لعبادة الأوثان والأصنام التي كان من بينها « الصنم الاكبر » الذي كانت سنتهم ، اذا هم وافوه ، أن يسجدوا له .

ثالثا : من المعروف أن « ملوك الهند والصين وكابل شاه » ولنضف اليهم نيزك طرخان ملك تركستان الذي جاء عنه فى الهمداني وياقوت (وستنقل هذه القطعة فيما بعد) أنه غضب من قبول البرامكة الاسلام وزحف اليهم بجيشه ونكل بهم كل هؤلاء الملوك لم يكونوا يدينون الا بالدين البوذي (Budhism) .

رابعا : ان (« الاستن » « آسبت » « است ») ليست الا اشكالا محرفة لكلمة « استب » بالأصل « استوب » (stupa) وهي تطلق على معبد البوذيين الذي أودع فيه رماد جثة بوذا ، وقد كان الرماد قسم ودفن داخل قباب مبعثرة فى عدد من الممالك التي كانت البوذية سائدة فيها ، ولا تزال المعابد من هذا النوع موجودة فى الهند منها « استوب سانجي » بالقرب من مسقط راسي مدينة بوفال فى وسط الهند . يظهر

ان الكتاب كانوا اعرف بكلمة « الاستن » اي العامود بالفارسية فحرفوا « استب » الى ذلك الشكل .

ثم هناك ادلة اخرى ترشدنا الى الجزم بأن معبد بلخ انما كان معبدا للبوذيين وهي :

أ) ان بلخ جزء من اقليم خراسان وما وراء النهر ومن المحقق ان « على هذا المذهب السنمية اي البوذية ، كان اكثر هل ما وراء النهر قبل الاسلام » (الفهرست 345) .

ب) يزيد المسعودي فى وصف النوبهار فيقول : « وقد ذكر بعض اهل الرواية والتنقير انه قرا على النوبهار ببلخ كتابا بالفارسية ترجمته : قال بوذاسف ابواب الملوك تحتاج الى ثلاث خصال عقل وصبر ومال واذا تحته بالعربية (19) كذب بوذاسف الواجب على الحر اذا كان معه واحدة من هذه الخصال ان لا يلزم باب السلطان » .
اما « بوذاسف » فلاشك أن المراد منها « بوذا » لا غير ولعل أصلها « بودهاستور » كما ذهب اليه المحقق زخاؤ (انظر مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند) .

وقد وردت هذه الحكاية ايضا فى مسالك الابصار (224/1) لابن فضل الله العمري وهناك « سوراشف » بدل « بوذاسف » مصحفا

ج) قال العمري ايضا : « بناه منوشهر الهندي وكان يأتيه من الصائبة من يتقرب بالقمر » لا يستبعد ان يكون المراد من المتقربين بالقمر » الهندوس لا غير بناء على أن البعض يرون أن أصل «هندو» هو « اندو » اي القمر (قارن المسعودي : « النوبهار ... بناه منوشهر ... على اسم القمر »).

د) قد ورد لهذا المعبد ذكر كمعبد للبوذيين فى مذكرات السائح الصيني هوان كوانك الذي زار بلخ فى القرن السابع الميلادي اي قبيل او بعيد فتح العرب لها (دائرة المعارف الاسلامية « Barmakids » .

فهل من شك فى أن النوبهار لم يكن بيتا من بيوت النار يعبد فيه المجوس بل انما كان معبدا للبوذيين يعبدون فيه الأصنام او «البد» واذا وثقنا من هذا فليس من الصعب الاهتداء الى ان اصل النوبهار هو «نووهار» وهار اسم معروف لمعبد البوذيين والخانقاه حوله ولا

19) فى مسالك الابصار : « ثم لما ملك الاسلام مدينة بلخ ، كتب تحت هذه الكتابة بالعربية ... الخ » .

يزال اقليم الهند الشمالية الذي ولد فيه بوذا يسمى « بهار » (Bihar) الى وقتنا هذا . وليس بمستغرب ان خفي الامر على العرب فانهم كانوا أعرف بكلمة « بهار » الفارسية فلذلك قالوا : « وتفسير النوبهار البهار الجديد لأن « نو » الجديد ، وكانت سنتهم اذا بنوا بناء حسنا او عقدوا بابا جديدا او طاقا شريفا كللوه بالريحان وتوجوا ذلك بأول ريحان يطلع في ذلك الوقت، فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه اول ما يظهر من الريحان ، وكان البهار فسمي نوبهار لذلك » (ياقوت)، هذا وقد اتفق للعرب ابان فتحهم للسند « ان عرفوا معابد للبوذيين من قبيل وهار ، وهاك ما أورده البلاذري في وصف واحد منها :

وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل طويل وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الريح اطافت بالمدينة ، وكانت تدور ، والبد فيما ذكروا منارة عظيمة يتخذ في بناء لهم فيه صنم لهم او اصنام ليشهر بها وقد يكون الصنم في داخل المنارة ايضا ، وكل شيء اعظموه من طريق العبادة فهو عندهم بد والصنم بد ايضا » .

او لا تؤكد المقارنة بين وصف معبد البوذيين هذا وبين وصف النوبهار بأن الواحد لم يختلف عن الآخر ؟

كذلك نرى العرب يخبطون خبط عشواء في تفسير « برمك » فانهم لم يكونوا ليتصوروا ان تكون كلمة « مك (مكا) » غير « مكة » فاضطروا الى القول ان البرامكة « وصفت لهم مكة وحال الكعبة بها ولما كانت قريش ومن والاها من العرب يأتون اليها ويعظمونها فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام » (ياقوت) أما « بر » فقد كان في متناولهم كلمة « بور » بمعنى الابن بالفارسية فلجأوا اليها . ثم جاء المؤرخون واللغويون من الفرس فلم يكن منهم الا ان اعتمدوا على علمهم باللغة الفارسية فتخرصوا بأن تكون « برمك » مشتقة من « برمكيدن » ثم دعمسوا هذا التخرص برواية مختلفة كما مر . ولكن الحقيقة التي تنسجم « وهار » واباها هي ان « برمك » اصلها باللغة السنسكريتية « برمك » ومعناها الصدر او ذو الرئاسة العليا ، لم يلقب بهذا اللقب احد من سدنة بيوت النار أو معابد المجوس ، بل انما اختص به رؤساء النوبهار لأسباب ذكرناها آنفا .

ولعل من الواجب في هذا المقام ان اثبت ان اول من اشار الى كون « النوبهار » معبدا للبوذيين (وهار) هما المستشرقان زخاو (مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند ص 31) وبرتهالد (Barthold) (دائرة المعارف الاسلامية) (Barmakids) كما ان الأول هو الذي بحث عن الأصل السنسكريتي لكلمة « برمك » ثم تتبع نتائجهما الكاتب الهندي الدكتور السيد سليمان الندوي الذي يرجع اليه الفضل في بسط الدلائل كما قد اقتبستها هنا من كتابه « عرب وهندكي تعلقات 102 — 124 » ثم يمضي الدكتور السيد سليمان الندوي خطوة اخرى فيلفت النظر الى ان القول بانحدار البرامكة من اصل ايراني ينتقض ايضا بما جاء به ابن الفقيه الهمداني (وياقوت حرفا بحرف) وهذا نصه :

« فلم يزل يليها برمك الى ان فتحت خرسان ايام عثمان بن عفان وقد صارت السدانة الى برمك ابي برمك ابي خالد فوجه برمك الى عثمان في الرهائن فورد المدينة ورغب في الاسلام فأسلم وسمي عبد الله ورجع الى ولده وصارت البرمكة في بعض ولده فكتب بعض الملوك الى برمك يعظم ما اتى من الاسلام ويدعوه الى الرجوع في دين آبائه فكتب اليه برمك اني انما دخلت فيه اختيارا وعلما بفضله عن غير رهبة (ولا رغبة) (20) ولا ارجع الى دين بادي العوار متهتك للاستار فغضب الملك وزحف الى برمك بجمع كثيف فكتب اليه برمك قد عرفت حبي للسلامة واني ان استنجدت عليك الملوك انجدوني فانصرف والا صرت الى لقائك ، فانصرف عنه وودعه ثم لم يزل ذلك الملك واسمه نازك (نيزك) طرخان يغتر برمك ويطلبه حتى بيته وقتله وعشرة بنين له فلم يبق لهم برمك سوى برمك أبي خالد فحملته امه وهربت به وكان صغيرا الى بلاد قشمير ، فنشأ برمك وتعلم النجوم والطب وانواع الحكمة ، وبقي على شركه واصابهم وباء فتشاءموا بمفارقة دينهم فكتبوا الى برمك فقدم عليهم فأجلسوه في موضع أبيه فتولى أمر النوبهار فسمي برمكا وتزوج ابنة ملك الصغانيان فولدت له الحسن وبه كان يكنى وخالدا وعمرا وام خالد ، وسليمان بن برمك من امراة غيرها من اهل بخارى وكان صاحب بخارى اهدى الى برمك جارية فولدت له كال بن برمك وأم القاسم وبنتا اخرى (كتاب البلدان 323 — 324) .

---

20) كذا . زيادة في ابن الفقيه لا توجد في ياقوت .

هذا وقد جاء في النويري (نهاية الارب 29/12) عن محمد بن العباس المسكي عن الاسباب التي حملت البرامكة على اللجوء الى الهند ما هو اقرب الى الصواب فانه يقول : « لما قلت الاموال في ايديهم (الامويين) شرعوا في مصادرات الرعايا واخذوا الاموال من غير وجوهها وتعرضوا الى اموال الاوقاف والايتام فتعرض ولاة خراسان لبرمك ولولده وطالبوهما بالاموال وكان تحت يد برمك اوقاف جليلة فهرب هو وولده من اعمال خراسان الى بلاد الهند فاقاموا بها الى ان ظهرت الدولة العباسية ... ثم قدم خالد بن برمك واخوه الحسين واهلهما على المنصور ، ابي جعفر لما افضت الخلافة اليه فاصطنعهم وادناهم وقربهم الخ (نفس الرواية في صبح الاعشى 126/2)

اولا يجدر بنا ان نتساءل : لماذا هربت ام ابي خالد الى بلاد قشمير ؟ لان اصل البرامكة كان من الهند لا من ايران ولا يخفى ان تشمير كانت مركزا من مراكز البوذية مثل خراسان وتركستان وهناك نشأ برمك ابو خالد على دين آبائه . لاشك ان الفرس ادعوا انتماء البرامكة الى جاماسب وزير كستاسب ليثبتوا انها اسرة ايرانية عريقة في الوزارة ، كما ان العرب حاولوا ضم عظمة البرامكة الى انفسهم بدعوى ان ام خالد حبلته من عبد الله اخي قتيبة لكنها دعاو بقيت موضع الشك الى ايامنا هذه . اما الماع الشعراء الى عبادة النار في معرض هجو البرامكة فمن السهل جدا عدم الاخذ به لجهل العرب عامة بالفرق بين المجوس والبوذيين ولاطلاقهم « المجوس » على العجم كلهم . واخيرا لا ننسى انه كان في مصلحة البرامكة التضامن مع الفرس لأغراض سياسية ظاهرة .

اذن يتضح لنا كل الوضوح تلك الظاهرة القوية التي تستوقف كل من يتتبع حركة نقل العلوم والآداب الهندية الى بغداد ، وهي عناية البرامكة التامة بهذا الموضوع ، فاننا نراهم يستخدمون جميع الوسائل الممكنة لعرض ما للهند على العرب وهم في ذلك يبدون كانهم يعرضون شيئا من عندهم على غيرهم . انظر اليهم يستقدمون ابن دهن فيعهدون اليه بادارة المستشفى المعروف باسمهم والاشراف على ترجمة الكتب من السنسكريتية (الفهرست 2/45) ثم انظر الى جعفر البرمكي يقدم صالح بهلة الى الرشيد لمعالجة ابن عمه ابراهيم بن صالح (21) ويمنح ابان الشاعر جائزة تدرها مائة الف درهم على نظمه قصة كليلة ودمنة (22) اما قصب السبق في هذا الميدان فكان ليحيى بن خالد — حفيد ابي خالد الذي نشأ في بلاد تشمير وتعلم هناك « النجوم والطب وانواع الحكمة» فانه هو الذي جلب من الهند علماء واطباء امثال بهلة ومنكة وبازيكر تلبرقل وسندباد الذين اقاموا ببغداد ، وربما اسلم بعض اولادهم مثل صالح بن بهلة والذين عرفوا العرب الطب والبلاغة عند اهل الهند (23) ، ولكن اهم الاعمال التي تمت على يدي يحيى بن خالد اطلاقا هو ارساله رجلا في بعثة علمية الى الهند « ليأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم وأن يكتب له اديانهم » (الفهرست 345) فان التقرير الذي وضعه هذا المبعوث ربما كان هو المرجع الوحيد للعرب والمسلمين في كل ما يتعلق بالموضوع طوال مدة قرنين الى ظهور ذلك النابغة المحقق ابي ريحان البيروني . وقد وقع في يد ابن النديم نسخة من هذا التقرير مكتوبة « يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم سنةتسع واربعين ومائتين » ومطابقة حرفا حرفا نسخة اخرى بخط يعقوب بن اسحق الكندي ، اورد منه ابن النديم مقتطفات تتضمن وصفا لبعض المعابد وفرق الهنود (الفهرست 345 — 349) ونجد بمقارنة بعض اجزاء هذه المقتطفات بما جاء في كتاب البدء والتاريخ (9/4 الى 19) ان مؤلفه مطهر بن طاهر المقدسي ، ربما اقتبس من ذلك المصدر نفسه . ثم ان بيان مطهر ابن طاهر المقدسي كانه جزء مما جاء (مترجما بالفارسية) في كتاب زين الاخبار لكرديزي في هذا الباب (24) وقد نص الكرديزي على انه اخذ عن كتاب التواريخ لأبي عبد الله محمد بن احمد الجيهاني وزير بني سامان (أوائل القرن الرابع الهجري) ويذهب البروفسور مينورسكي الى ان الجيهاني ربما اعتمد بدوره على كتاب المسالك الكبير (أصل المختصر الذي نشره دي غويه) لابن خرداذبه . هذا وقد عثرت اخيرا على مقطوعتين في كتاب اخبار الزمان المنسوب الى المسعودي (القاهرة 1938 م ص 27)

---

21) ابن ابي اصيبعة 34/2 .

22) الجهشياري 259

23) البيان والتبيين 1 / 92 — منكه كان صحيح الاسلام ، كذا في الحيوان 213/7 .

24) V. Minorsky: Gardizi on India, Bulletin of London, School of Oriental Studies, 1948, XII/3 & 4.

كانهما اصل الترجمة الواردة فى كرديزي (البندان 41 و 42) .

فهذا هو الجو الذي ازدهرت فيه حركة نقـل العلوم والآداب الهندية الى العرب وانما قصدنـا الى ابراز بعض العوامل التي سـاعدت فى قيامها ، ولاشك انها بدأت قوية بحيث تكونت للعرب فى اوائل القرن الثالث للهجرة فكرة واضحة جلية عن مدى براعـة الهنود فى العلوم والفنون المختلفة ، كما بسطهـا الجاحظ فى رسالة فخر السودان على البيضان ، وكما يجملها قوله : « انما الأمم المذكورون من جميع الناس اربع : العرب وفارس والهند والروم » (البيـان والتبيين 1/ 137) أما استقصاء نتائج هذه الحركة فهو موضوع مستقل لا سيما اذا تذكرنا انها استمرت فيما بعد الى ان بلغت ذروتها فى شخصية البيروني الذي مر ذكره آنفا .

البرانـــس (جبـــال) :

جبال البرانس ويقول لها العرب ايضا جبال البرنات ويقولـون اذا تجاوزت معابر البرانصة فاعلم انك قد دخلت فى افريقية (الحلـل السندسية فى الاخبار والآثار الاندلسية لشكيب ارسلان ج 1 ص 24 ط مصر 1355 ـ 1936) وذكر ارسلان انها تسمى ايضا الجبل الحاجز او الفاصل (ص 36) ويسمون جبـال قشتالـة بجبـل الشـارات .

أبحاث عامة

تاريخهم من لغتهم

أطلنطة

عبد الحق فاضل

فحين لاحت للبصر
اولى طلائع السحر
انبعثت من اصل افق السماء
غمامة سوداء
فى جوفها يلعلع الرب « ادد »
يسعى امام فيه « خانيش » و « شولات »
لينذرا بين يديه فى السهول والجبال
واقتلع الدعائم الاله « **ايراقال** »
(فانهال ماء العالم السفلي)
وجاء بعده « نترتا »
(رب الوغى ، بعزمه القوي)
وفتق السدود ...
وزمجرت
عواصف الجنوب ، يوما اكملا
احتدمت
حتى طغى هبوبها العاتي فغطى الأجبلا
تفتك فتكا بالنفوس
هوجاء كالحرب الضروسي !
ولم يعد اخ يرى اخاه ..
... الخ

هذا جانب من وصف ذلك (الطوفان) المدمر الذى اغرق البشرية ، كالذى جاء فى ملحمة قلقميش (1)

والشطران الموضوعان بين قوسين (...) هما من اضافاتي لشرح المعنى الذى كان معروفا لدى القارىء البابلي الذى له نظمت الملحمة فلم يجد مؤلفها ضرورة لايضاحه . والذى يهمنا هنا ، فى هذا الحديث القريب موضوعا والعجيب نتيجة ، هو (ايراقال) الذى يرد اسمه فى المصادر الانكليزية (Irragal) ، وهو عند البابليين الاه مياه العالم السفلي التي تحسبها دعائم او اعمدة ، وكأنهم كانوا يتصورونها مثل دعائم السدود والخزانات تقام لحبس مياه السيول والانهار . وكان اقدام هذا الاله السفلي الشرير على قلع تلك الاعمدة هو تفسير زيادة مياه الانهار عندهم وارتفاعها عن المستوى المعقول احيانا ، ايام الفيضان كل عام . وكثيرا ما كان انفتاق السدود يغرق القرى والزروع كما شهدنا مرارا فى الثلاثينيات والاربعينيات ، قبل بناء السدود المهمة الاخيرة التى الجمت واسرجت دجلة والفرات ايام

(1) ملحمة شعرية بابلية ، سبق التنويه بها فى حاشية موضوع « عشتار » فى العدد الماضي . ولكاتب السطور كتاب عنوانه « هو الذى راى » يتضمن ترجمة شعرية للملحمة تتقدمها دراسة عنها .

هياجهما . وما دامت دعائم السدود الفوقيـة هذه قوية محكمة لم يعد يهمنا اقتلاع دعائم المياه السفلية التى تسبب فوران الانهار .

ويبدو ان ولعي بمقارنة الالفاظ وتمحيص معانيها واستعراض متشابهاتها قد ابتلاني بحساسية خاصة لا شعورية في بعض الالفاظ ، فما سمعت عيني كلمة **(ايراقال)** ، اعني ما وقعت عليها عيني وتحسستها اذني ، حتى قفز الى ذهني اسم **هرقـل** (Herakles بالاغريقية و Hercules باللاتينية) . لكني في العادة سرعان ما أنبذ الاهتمام بالتشابه اذا لم اجد صلة معنوية تربط بين اللفظين . اما الشبه بين **(ايراقال)** و **(هرقـل)** فلم استطع ان انبذه بهـذه السهولـة لان شيئا آخر قفـز معه الى ذهنـي هو « اعمـدة هـرقـل » Pillars of Hercules بالانكليـزيـة و Hercules columnae باللاتينية) .

واذا لحظنا ان اقدم اسماء هرقل على اختلاف صورها في اللغـات الاوربيـة هو الاسـم الاغريقـي (هراكلـس Herakles) الشبيـه جـدا باسـم (ايراقـال Irragal) البابلي لم يسعنا الا ان نتساءل جادين : هل **اعمـدة هرقـل** هي نفسهـا **اعمـدة ايراقـال** ، او هل هي مقتبسـة منها ؟ هل هـي اعمدة مائية ؟

ان **اعمدة هرقل** ليس لها تعريف واضح محدد، وانما يطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في المحيط الاطلسي بالقرب من جبل طارق . ويطلقها بعضهـم على جزيرتين او اكثر في البحر المتوسط بالقرب من جبل طارق ايضا . ولا يـدري أحـد سبـب هـذه التسمية .

ثم قفزت الى خاطري مسألـة اخـرى . كنت قرات في كتاب عربي أن هذا المضيق كان يقوم عليه جسر بأعمدة يعبر عليه الناس والدواب !

ومسألة رابعة . لنترك المسألـة الرابعـة الآن، لكي نعود اليها حين يجيء دورها في تفسير غـرق (اطلنطة) الذى تجرنا اليه ذكرى الطوفان البابلي .

اطلنطـة (Atlantis او Atlantica) — قـارة او جزيرة أسطوريـة كـانت في المحيـط الاطلسـي ، كالذى رواه افلاطون نقلا عن بعض قدامى الكتاب . وخلاصة المعروف عنها ان كهنة مصريين تحدثوا الى (صولون) عن تاريخ غابر لامته فقالوا له ان أعظـم مآثر اثينة قاطبة هو دحرها لجزيـرة اطلنطـة التى يجدون في مدونات لهم قديمة ، انهـا كانـت قبـل تسعة آلاف عام — من ذلك العهد — دولة عظيمة تقع قبالة اعمدة هرقل ، ويربو امتدادهـا على مجمـوع ليبية وآسيا الصغرى . وقد كانت ممرا الى جزر اخرى وقارة اخرى ، وكان البحر المتوسـط مجـرد ميناء لها . وتمتد امبراطورية اطلنطـة من الاعمـدة حتى مصر وتيرهنية (Tyrrhenia) . ويقول الكهنـة المصريون « ان هذه الدولة القوية كانت قد عبئت قواتها ضد مصـر وهيـلاس (Hellas) — اليونـان — وجميع الاقطار المحاددة على البحـر المتوسـط . وعندئذ دحرتها مدينتك بشجاعة ، فذاعت شهرتها في الارض قاطبة. فقد قامت، معرضة حتى وجودها للهلاك وقد تخلى عنها الهيلانيون الآخـرون ، بصـد المغير فوهبت الحرية عـن طواعيـة لجميـع الامـم الواقعة ضمن الاعمدة . وبعد ذلك بقليـل حـدث زلزال عظيم فغار كل قومك الصناديد في الارض واختفت جزيرة اطلنطة كذلك في البحر . وهذا هـو تفسير الضحاضح التى توجـد في ذلـك الجزء من المحيط الاطلسي* » .

وتقول المعلمة البريطانية — ط 9 — عام 1875 ! — التى استقينا منها هذه المعلومات ان هذي هـي المادة الاساسية لحكاية الجزيرة كما رواها القدامى، وهي حكاية ان لم تكن خيالية بجملتها فهي تعود الى اشد اصقاع التاريخ غموضا . ولعل القصة تجسـد أسطورة شعبية ، ولعل الاسطورة قائمة على ظروف تاريخية معينة ، اما ماذا كانت هذه (الظروف) فمن المتعذر البت فيه الآن » .

لكننا نستبعد القول بانها اسطورة شعبية لان الاغريق الذين تخصهم الحكاية احرياء عندئذ ان يكونوا قد سمعوا بها خلال ذلك العهد المتطاول . هذا الى ان الكهنة الذين رووها قالوا انها من مدوناتهم ، لا من الاساطير المتداولة. ويصدق قول المعلمة فقط اذا قلنا أن تلك المدونات القديمة نفسهـا تعتمـد علـى اسطورة شعبية .

اما طبعة عام 1960 — الحديثة — من المعلمـة البريطانية فتشكك في صدق افلاطون نفسه حيث تقول « ويتعذر البت الى اي مـدى تعتمـد هـذه الاسطورة على اختراع افلاطون والى اي حد تقوم على وقائع لم يبق تسجيل عنها » .

والطبعة القديمة ــ الآنفة الذكر ــ اقرب الى الانصاف والمنطق حين تعزو الشك فى صدق الاسطورة الى تقادم العهد وطبيعة المأثورات الشعبية بدلا من اتهام افلاطون باختلاق الرواية من اساسها.

ومهما يكن فقد اثارت المسالة مجادلات طويلة. فكذبها قوم لهم وزنهم وصدقها قوم لهم وزنهم . لكن كاتب المادة فى هذه الطبعة الحديثة من المعلمة اميل الى التكذيب حيث يقول كالمستنكر حتى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كان صدق الاسطورة يناقش فى جد ، وفى تصديق أحيانا حتى من قبل مونتاين (Montaigne) وبفون (Buffon) وفولتير (Voltaire) » !

ومما اضعف الحكاية واوهى حجتها كثرة الاساطير الشبيهة بها ــ والمنبثقة منها فيما نخال ــ منذ اودية هوميروس التى وردت فيها قصة شبيهة عن جزيرة الفاياقيين (Phaeacians) . وقد اهتم الباحثون بعد عصر النهضة بتحقيق اسطورة اطلنطة ، وقال بعضهم انها امريكة ، وآخرون اسكندناوية ، او الكناري .. وقال بعضهم انها فلسطين !

وارتأى بعض الاعراقيين (1) أن اخلاف أولئك الاطلنطيين المغرقين هم الباسكيون او قدامى الايطاليين او غيرهم .

لقد انكر الكثيرون وجود اطلنطة لكن احدا من المنكرين لم يستطع أن يدعم انكاره ببرهان مقبول . وقد ايد الكثيرون صحة وجودها لكن احدا منهم لم يتمكن من اثبات تأييده بدليل معقول . فهل فى وسع اللغة ان تساعفنا ولو ببصيص من النور فى هذه المتاهة المظلمة ؟

ارشدتنا اللغة الى الشبه بين اسم هرقل وايراقال ، والى دعائم هذا واعمدة ذاك . وقد جرنا الطوفان الذى احدثه قلع اعمدة ايراقال واغرق البشر فى العراق الى ذكرى تلك الجزيرة او القارة التى اغرقها الزلزال فى المحيط الاطلسي . فهل لهرقل علاقة ما باغراق اطلنطة ؟ هل قلع هو الآخر دعائمه فاهلك تلك الامبراطورية المتجبرة ؟

ان اسطورة اطلنطة هذه تغرقنا بدورها فى بحر من الغموض والمتناقضات . فقد سلف انها تقع فى « المحيط الاطلسي » من جهة وانها « تمتد من أعمدة هرقل حتى مصر » من جهة اخرى . فكيف نوفق بين هاتين القالتين ؟ كذلك سبق أن امتدادها « يربو على مجموع ليبية وآسية الصغرى » .. فما الداعي الى مقارنة اطلنطة بهاتين الرقعتين الكبيرتين من الارض فى شرقي البحر المتوسط وهي واقعة فى المحيط الاطلسي ؟

كذلك غرق الاثينيين ــ فى البحر المتوسط طبعا ــ لا يتفق مع اسم اطلنطة الذى هو اقرب الى اسم المحيط الاطلنطي او الاطلسي منه الى اسم اي بحر آخر .

ثم ما معنى قول الرهبان المصريين ان اثينة بدحرها جيوش اطلنطة « وهبت الحرية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة » ؟ فهل كانت هناك اعمدة لهرقل تحيط بالقطر الأثيني وعدد آخر ــ يبدو انه عدد كبير ــ من الاقطار ؟ .

هنا يأتي دور الحقيقة الرابعة التي خطرت لي مع اعمدة هرقل وكان نصيبها الارجاء حتى الآن .

يقول الجغرافيون أن البحر الابيض المتوسط كان ارضا يابسة تصب فيها الانهار من أوربة وافريقية اللتين كانتا من ثم متصلتين وان جبل طارق كان يمتد بينهما فى اقصى الغرب منهما كالجسر ، او بالحري انه كان يقوم بوجه مياه المحيط الاطلسي كالسد . ثم حدثت تقلبات ارضانية من الزلازل فانفتق الجبل وانقصم ، فتدفقت مياه المحيط الاطلنطي من ذلك الخرق العظيم الذى نسميه الآن مضيق جبل طارق فاغرق ارضا شاسعة هي التى تسمى الآن بالبحر الابيض المتوسط .. فانفتقت القارتان اللتان كانتا رتقا .

واذن فان كان لاسطورة اطلنطة نصيب من الصحة فلابد انها كانت فى منطقة هذا البحر الابيض المتوسط، لا فى المحيط الأطلسي .

وتشابه العقائد بين شعوب العالم القديم فى كثير من الكليات وبعض الجزئيات ، مثل عبادة الشمس والنجوم والظواهر الطبيعية .. يدل على أن عقيدة الاعمدة التى تحجز المياه ويحكمها الاه ، قد كانت شائعة أيضا منذ ذلك العهد السحيق يفسرون بها

---

(1) نقصد بهم علماء الاجناس او الاعراق البشرية « ethnologists » ونقترح لعلم الاعراق البشرية « ethnology » مصطلح « الاعراقيات » على غرار الارضانيات لعلم « الجيولوجية » .

فيضان الانهار . واذن فهذا الجبل المنقصم هو المقصود بأعمدة هرقل ، لا الجزر القريبة منه شرقا او غربا . واذن فالالاه هرقل هو المجرم الذى قلع اعمدة مياهه فأغرق اطلنطة وبعض المناطق المحيطة بها مثلما كان ايراقال يرتكب جريمة قلع اعمدة المياه السفلية في الرافدانية كل عام فيحدث الفيضان الذى يتقونه بالسدود الكثيرة المنتظمة ، الا اذا فتق الاه الحرب (نترتا) بعض السدود فيغرق الاراضي الفسيحة أحيانا ، وذات مرة بالاضافة الى تفتيقه السدود اغدق الالاه (أدد) مياه العالم العلوي ايضا فحدث الطوفان الأكبر الذى أغرق العالم كله واهلك الحرث والنسل .

كان هرقل الاها عند الاغريق ، ابوه جوبيتر ، وامه (الكمينة Alcmena) . وكان اسم (هرقل) يطلق كذلك على بطل اغريقي انجز اثنتي عشر فعلة يتعذر انجازها على البشر العادي . لكن المعلمة البريطانية ـ ط 1960 ـ تقول ان هرقل ، اشهر ابطال الاغريق ، لا يمكن ان يكون الاها في الاصل لان اسمه الاغريقي (Herakles) ربما كان يعني « العطية المجيدة من (هيرة Hera) » ، لانه لم يكن للاغريق قط الاه يتركب اسمه من اسم الاه آخر . «فلعل رجلا حقيقيا ، او رئيسا .. يكمن وراء اسطورة هرقل البالغة التعقيد » ـ (مادة Hercules) ,

بعد الذى رأينا لا نستطيع ان نطمئن الى صحة هذا التأثيل القائم على تجزئة الاسم لمجرد الشبه اللفظي الذى وجوده بين اسم هيرة والنصف الاول من اسم هيراكلس ـ بالرغم من علمهم بمخالفة هذا التأثيل لطريقة الاغريق في تسمية آلهتهم . بل يغلب على الظن ان الاسم منقول بتمامه من اسم (ايراقال) او من اسم آخر كان آثلا لكليهما .

وشبيه بهذه التسمية المنقولة اسم (لاتو Lato) أم ديانة وابولو ، اللذين انجبتهما من جوبيتر ايضا . وهو نفسه بدون تحريف او تحوير ، اسم اللات باللغة البابشورية (1) . ويسميها اللاتين (لاتونة Latona) ايضا . ومن فرط افتتانهم باللات وتقديسهم اياها سموا من باب التبرك والتشريف على ما يظهر ـ ولديها من جوبيتر هذين باسمين مشتقين من اسمها بالاضافة الى اسميهما الأصليين ، وهما (لاتويوس Latoius) : ابولو ، و (لاتوية Latoia) او (لاتوية العذراء Latoia virgo) : ديانة (2) .

فهذا الذى تقدم هو الذى يبرر لنا الى حد ما اننا رجحنا كون اسم (هيراكلس) مقتبسا بكامله ، غير مجزأ ، اطلقه الاغريق على الاه الدعائم المائية اولا ثم على البطل الانسان ، الاغريقي المشهور .. لا كما ذهب اليه كاتب المعلمة البريطانية من ان « شخصا حقيقيا او رئيسا .. يكمن وراء أسطورة هرقل البالغة التعقيد » .. التى زادها ذلك التأثيل الخاطىء من اسم (هيرة) تعقيدا . وتسمية الاشخاص البشر بأسماء الآلهة مألوفة منذ القدم ، منها تسمية بعض الملوك الرافدانيين نستشهد منهم بالالاهين اللذين مر ذكرهما في اطلاق بلاء الطوفان وهما (أدد Adad) : الاه الزوابع والرعود والامطار ، و (نترتا Ninurta) : الاه الحرب .

اما التناقضات التى مر حديثها عن موقع اطلنطة فتنحل مشكلتها بمجرد قولنا انها كانت في البحر المتوسط ، لا في المحيط الاطلسي كما توهم الاقدمون الذين خدعتهم مشابهة اسم هذا المحيط لاسم تلك الجزيرة . والذى يهدينا اليه التأثيل ان أسماء اطلنطس (Atlantis) واطلنطيقة (Atlantica) والمحيط الأطلنطي (Atlantic) ترجع الى أثل واحد هو الصحيح الصريح وتعني (أطلس) ، وهو اسم عربي خالص يدل على قدم اكتمال اللغة العربية وسعة امداء انتشارها في ربوع العالم القديم .

(1) اللغتان البابلية والآشورية متقاربتان لان الشعبين بطنان من قبيل واحد . وحين استولى الآشوريون على بابل اتخذوا اللغة البابلية الفصحى ـ اي الرسمية ـ لغتهم الرسمية والثقافية ، وتكونت على مر الزمن لغة قوامها مزاج من اللغتين يسميها علماء الرافدانيات اللغة « البابلية الآشورية » . ونقترح ادماج الاسمين اختصارا في اسم واحد هو (البابشورية Babissyrian) .

(2) ويحتمل بالاضافة الى ذلك ان يكون اسم « لاتو » أو احد مشتقاته اثل كل من «لاتيوم Latium» اي الموقع الذى تقوم عليه مدينة روما ، و «لاتينيوم Latinium» اي اللاتيومي (اللاتيني) واللغة اللاتينية .

والأطلس (Atlas) اسم اطلقه الاغريق على الاه يسند الاعمدة الباسقة التى تستبقي الارض والسماء منفصلتين ، ثم مسخه الالاه (بيرسوس Perseus) جبلا صخريا عقابا له على سوء استقباله . لكن الذى نخمنه ان العكس هو الصواب اي ان الاسم كان يطلق اولا على جبل اطلس ثم مسخته الاسطورة الاها . . على عادة الاساطير مع الجبال الاخرى والانهار والآبار والاشجار والاحجار . وامتداد جبل اطلس حتى المحيط الاطلسي هو الذى جعل هذا المحيط يسمى اولا « البحر الاطلسي» ثم « المحيط الاطلسي » ، نسبة الى الجزء العربي الاخير ، المجاور للمحيط ، من هذه لسلسلة الجبلية الطويلة .

وهذا ايضا يؤيد ان اطلنطة كانت فى البحر المتوسط لأن جبال اطلس موازية ومحاذية له ، فمن المعقول عندئذ ان تسمى هذه الجبال باسمها . وهو من جهة يفسر قول اولئك الكهنة ان امبراطورية اطلنطة كانت تمتد من الاعمدة حتى مصر وبيرهنية ، ويوحي الينا من جهة اخرى ان ارض اطلنطة ربما كانت تتضمن هذه السلسلة من الجبال اي انها لم تغرق كلها طبقا لحدودها السياسية بل غرق الجزء المنخفض الاهم المأهول او المزدحم بالسكان منها ومن بعض الاقطار المجاورة لها ، فقالت الاسطورة انها غرقت كلها ، كما ان الفيضان البابلي اغرق جزءا كبيرا من جنوبي العراق . فقالت اسطورتهم انها اغرقت العالم كله . فعلى هذا ربما يمكن القول ان بعض اراضي المغرب العربي الكبير — من ليبية الى المحيط — كان جزءا من امبرطورية اطلنطة

ويذكر القارىء ان الكهنة قالوا لصولون انه بعد حدوث الزلزال العظيم « غار كل قومك الصناديد فى الارض، واختفت جزيرة اطلنطة كذلك فى البحر . وهذا هو تفسير الضحاضح التي توجد فى ذلك الجزء من المحيط الاطلنطي » .

ان النصف الاول من هذه العبارة يؤيد كذلك كون اطلنطة فى البحر المتوسط لان قوم صولون الصناديد فيه تقع بلادهم . واما تلك الضحاضح « فى ذلك الجزء من المحيط الاطلنطي » فلا نعرف المكان المقصود به لكننا واثقون ان أمم هذا المحيط مقحم هنا فى غير موضعه بسبب مشابهة الاسم التى ضللت الرواة منذ قديم الزمان . غير انه يمكن تطبيق الضحاضح على بحر ايجة الذى يكتنف ارض اليونان وعلى الارخبيل بوجه عام .

ومما يستأهل الذكر هنا ان الباحثين المحدثين قد وجدوا بقايا من طمي دلتة النيل فى ذلك الارخبيل قرب اليونان ما ينبىء أن هذا النهر كان ينصب هناك ذات زمان ، أي أن أرض مصر كانت تمتد حتى الارخبيل الايجي قبل الفرق . وذلك تأييد اي تأييد لقول الكهنة العلماء ان اطلنطة كانت قد عبأت قواتها ضد مصر وهيلاس ، لان امتداد الارض المصرية حتى السواحل اليونانية يعني طبعا انهما كانتا متجاورتين.

وقد تساءلنا آنفا عن معنى كلام الكهنة عن تحرر جميع الامم الواقعة «ضمن الاعمدة» ، الذى يوهم ظاهره ان هناك اعمدة كانت تحيط بعدد غير قليل من الاقطار . فالآن تجيبنا حقيقة انفتاق جبل طارق عن تسؤلنا . فالمقصود هو جميع الاقطار التى تقع ضمن المنطقة التى اغرقها اقتلاع الاعمدة ، او البحر الذى لا منفذ له الى المحيط الاطلنطي غير تلك الاعمدة التى انقلمت وزالت وبقي اسمها يطلق على مكانها .

واما نعت اطلنطة بالقارة تارة وبالجزيرة طورا من قبل الكهنة انفسهم فالظاهر انها تسمية متأخرة . سميت قارة تعبيرا عن اتساع رقعتها ، وسميت جزيرة على اعتبار انها كانت فى المحيط الاطلسي .

لكن العجب العجاب هو شان اولئك الباحثين الذين شخصوا الارض المفرقة بأمريكة واسكندناوية والكناري وفلسطين ، بعد عصر النهضة . ولم تذكر المعلمة حجة كل منهم . لكن هذه اراض موجودة لا مفقودة ، ويجوز ان يقال ان زلزالا قد ابرزها من البحر لا ان يقال ان زلزالا قد اغرقها فى البحر .

واما قول القائلين ان جسرا كان يقوم على مضيق جبل طارق فوهم صراح ، لان العالم المتحضر لم يستطع حتى اليوم أن يقيم جسرا على مثل هذا المضيق البحري العريض .

لكن هذا الوهم قد سببه فيما يظهر ان بعضهم صار يسمى المضيق نفسه « اعمدة هرقل » فأول ما يخطر على بال سامع هذه التسمية هي دعائم الجسر ، فخالوا ان جسرا كان وزال . وحين يكون جسر يعبر الناس ، والدواب ايضا .

ونعود الى قول الكهنة ان تاريخ اطلنطة يرجع الى تسعة آلاف عام قبل عهد صولون ، فهذا لا نشك فيه لان الحضارات وتأسيس الامبراطوريات الضخمة والجيوش المعباة المنظمة الجرارة لم تكن قد ظهرت فى ذلك التاريخ البعيد . ولا نستطيع نحن تحديد تاريخ

ولو تقريبي ، لاننا لا نعرف متى وقع الزلزال الوخيم . وانما هم الارضانيون الذين يسعهم ان يفيثونا في معرفة ذلك . لكن الواضح ان الرقم (9000) المبالغ فيه يتفق مع طبيعة الاساطير والتواريخ الموغلة في القدم ، التى كثيرا ما يداخلها الخلط والتزيد ، حتى لو كانت قائمة فى اصلها على حقائق من الواقع .. كالذى نراه حتى فى (تواريخنا) المعاصرة .

الأرجح عندنا اذن ان اسم (**اطلس**) قد كانوا اطلقوه على اطلنطة نفسها اول مرة ، ثم انتقل الى سلسلة الجبال الموازية لها ، او التى كانت ضمن امبراطوريتها أو حدودها كالذي نوهنا به قبل ، ومن ثم انتقلت التسمية الى المحيط الأطلسي .

ومعنى (الأطلس) فى عربيتنا الباقية : الاغبر الى سواد . واصله فيما نعتقد : الاسود ، وهذا اصله المظلم ، من قولهم طلس البصر : ذهب ، واثله طمس البصر او النجم : ذهب ضوؤهما ، أي أظلما . ومثل ذلك دلس ودمس ... (وقد ورد تأثيل هذه الالفاظ وتجانس معانيها فى موضوع « دخيل ام اثيل » فى مكان آخر من هذا العدد من «اللسان العربي») .

ويبدو ان تلك الارض انما سميت بالاطلس كناية عن خصبها على غرار تسمية العراق « ارض السواد » .

والذى يرجح ذلك ويؤيد ان الاقدمين كانوا يطلقون السواد على الارض المخصاب لشدة خضرتها هو ان قدامى المصريين أيضا كانوا يطلقون نفس الاسم على بلادهم .

ومعلوم ان العرب كثيرا ما كانوا يذكرون بعض الالوان مكان بعض على المجاز او الاستعارة ، ومن ذلك اطلاق السواد على خضرة الزروع بوجه عام حتى صار قولهم « سواد البلدة » يعني ما حولها من الريف والقرى (1) .

فاسم قارتنا المفقودة اذن هو (**اطلس**) على ما يبدو لنا من تسلسل تطور الكلمة ، ثم اطلقت على الجبال المغربية الموازية لها ، او الداخلة ضمن منطقتها على الأرجح ، أو المعينة لحدودها الجنوبية . وقد سماها الاجانب **اطلنطس** (Atlantic) ، ثم سموا **المحيط الاطلسي** (Atlantis) نسبة اليها ، ثم هم عادوا الى القارة فسموها **اطلنطيقة** (Atlantica) نسبة الى هذا المحيط ، الذي حسبوها غرقت فيه .

كان الاغريق يسمون الثور tauros واللاتين يسمونه taurus) وهو اسمه العربي الواضح . حتى زيادة السين فى آخر الاسم سبق أن أثلناها فى العربية (فى عدد سابق من « اللسان العربي » وفى كتابنا « مغامرات لغوية ») . وكان القومان ــ الاغريق واللاتين ــ كلاهما يطلقان الاسم على جبال طوروس . وربما كان الذين بدؤوا هذه التسمية قوما اقدم كثيرا من اللاتين والاغريق ، أي قوما كانوا يتكلمون العربية، او كانوا يتكلمون لغة اقرب الى العربية من الاغريقية التى تدل الملابسات اللغوية على انها هي الاخرى كانت فى عهودها الاولى اقرب الى العربية .

فمن اجل هذا وامثاله من القرائن يسعنا القول ، انه لايستبعد ان يكون هذا شان الذين اطلقوا اسم (**اطلس**) على الارض التى التهمها البحر المتوسط ، بمعنى الارض السوداء .

ولو اتسع بنا الوقت ومصادر البحث لاتيننا بالكثير من التسميات الاوربية القديمة التى تتأثل فى العربية . ولعل لنا عودة الى تفصيل ذلك اذا تيسرت لنا الفرصة ذات حين . ويكفينا الآن أن نقول مثلا ان اسم قرطبة Corduba باللاتينية) الذى اثلة (قريت طيبت) اي البلدة الطيبة (2) ، كما سماها بناتها الكنعانيون (الفينيقيون) (3) .. وكما يقول الباحثون .. يذكرنا باسم (ثيباي Thebae) الذى كان الاغريق يطلقونه على مدينة (طيبة) فى مصر العليا ، وعلى مدينة ثانية فى (بوبوتية Boiotia) اسسها قدموس الكنعاني ، وعلى مدينة ثالثة فى (تساليــة

---

(1) من امثلة خلط العرب الالوان بعضها ببعض تسميتهم الاسود اخضر ــ على العكس مما تقدم ــ فى مثل قولهم « اخضر شاربه » اي اسود ، واصل المعنى نبت . كذلك قولهم « القبة الخضراء » اي الزرقاء ، و « زرقاء المنايا » اي سودها . والبغداديون يقولون ان الخوخ مثلا « ازرق » اي اخضر ، فج لما ينضج .

(2) جاء فى الآية : «بلدة طيبة ورب غفور » مما قديدل على ان هذا التعبير كان مالوفا ومستحبا عند العرب ، ومن ثم سموا به قرطبة ، وغيرها ايضا فيما نظن .

(3) يراجع فصل لنا فى المصدرين المذكورين عن تسمية « فنيقية » .

فيثيوتيـــس Thesalia Phthiotis) ، وعلى بلدة رابعة فى (ميسيـــة Mysia) وهي التى دمرها أخيل .

وان كان بعض هذه المدن حديثا كنعانيا كتلـك التى بناها قدموس فى بويوتية فلعل (طيبة) مصـــر وبعض الاخريات اقدم عهدا من ذلك بأحقاب كثيرة ، ولعلها معاصرة لقارة اطلس .

ولولا خشيتنا الاغراق لقلنا ان بـلاد (التيبـــت Tibet) فى احضان هملاية ايضا قد تكـون من هـذه المجموعة الأعربية ولاسيما اذا كان الاسم يعني فى لغتهم قديما او ما زال يعني الطيبة او الحسنة ، او ما الى ذلك . فان صح هذا كان لنا أن نستنتج أن فريقا من العرب سموا التيبت بالطيبة ربما فى نفس الحقبة التى سمى فيها فريق آخر منهم ذلك الربـع الفريـق (اطلــــس) .

ولنزد الامـر غرابة وتطلبا للتأمل وانعام النظـر فنقول لعل اسم (**تايــوان**) (1) ـ اي جزيرة فرموزة كما سماها البرتغاليون الفاتحون ـ ايضـا من هـذه الفئة فهو قريب من اسم (تيبت) ولاسيما اننا سمعنا من أحد الصينيين ان اسمها يعني الأرض او الجزيرة الجميلة !

فمن من قرائنا الكرام تتاح له الفرصة لمعاونتنا فى التحقق من هذه وتلك ؟

---

(1) ان الحـروف B و W و V ـ كثيرا ما يحل بعضها محل بعض فى مختلف اللغات . وفى الفارسية ينطق الواو باء فى بعض الالفاظ مثل كـــاب وكاو : بقرة . لهذا تنطق تايـــوان فى الفارسيـــة مثلا : Tayban و Tayvan .

ملاحظات منهجية حول الدراسات الاجتماعية في الوطن العربي

الدكتور محمد عبد المولى (تونس)

ان مجتمعاتنا العربية الاسلامية ، والمجتمع المغربي جزء منها ، في اشد الحاجة الى دراسات اجتماعية لجميع مشاكلها ومؤسساتها ونظمها وقطاعات حياتها الاقتصادية والسياسية والثقافية ...

فالبحث العلمي الاجتماعي يعد في الواقع تقليدا جديدا في مجتمعنا ، وليس للعرب فيه اسهام حديث يستحق الذكر . هذا اذا استثنينا العلامة العربي عبد الرحمان بن خلدون (1332 — 1406) الذي كرسنا له ، خارج هذا العرض بحثا خاصا .

فلم يصل ، الى علمنا ، ان احد الباحثين العرب تمكن من ربط تراثنا العلمي العربي في حقل الدراسات الاجتماعية والسياسية بالحركات الفكرية والعلمية في العالم ، وخاصة ربط هذا التراث بحقول علم الاجتماع ، وعلم النفس الاجتماعي ، والانثروبولوجية الاجتماعية..

ان محاولات اجراء البحوث الميدانية والعلمية في حقول علم الاجتماع (سوسيولوجيا) وعلم النفس الاجتماعي ، في المجتمع العربي ، ما تزال في بدايتها ..

— فالبنسبة لجمهورية مصر العربية ، فان البحث الاجتماعي ما زال في بداية المحاولة وليس له جذور راسخة ... ويعتبر انشاء المعهد القومي للبحوث الجنائية عام 1956 نقطة الانطلاق في هذا المجال :

اقتصر هذا المعهد في البداية على البحث في العلوم الجنائية كعلم الجريمة وعلم كشف الجريمة ، وعلم العقاب ليصبح بعد ذلك سنة 1960 « المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية » . وانطلاقا من هذا التاريخ اصبح المعهد يعنى بالعلوم الاجتماعية بمعناها المعروف ، ونعني بذلك علم الاجتماع ، وعلم النفس ، وعلم الانتروبولوجيا الاجتماعية (1) .

— وتأسست ، حوالي سنة 1962 ، دائرة لعلم الاجتماع في كلية الآداب والعلوم الانسانية بالجامعة اللبنانية ويمكن للطالب ان يتخرج منها بالاجازة في علم الاجتماع .

— وفي تونس تأسس فرع خاص بالعلوم الاجتماعية سنة 1964 ... كما تأسس مركز للبحوث الاجتماعية الى جانب مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية (C.E.R.E.S.) ومن المعلوم أن هذا المركز يضم الى جانب البحوث الاجتماعية شعبا عديدة مثل شعبة الألسنية والحقوق والاقتصاد والديمغرافيا . ومن ميزة هذا المركز — الذي كان يتلقى اعانة مالية من مؤسسة فورد الأميركية حتى سنة 1971 —) أنه يهتم بالبحوث الميدانية وخاصة في الحقول الاجتماعية والديمغرافية (2) .

---

1) انظر : الدراسات الاجتماعية . وتطوير المجتمع للسيد ياسين . (الطليعة — العدد العاشر — اكتوبر 1971 — ص 95 — 100) ص 95 و 96 .

2) انظر مشاريع البحث العلمي في نشرتين خاصتين : (1969 و 1970) .

1) Programme des Travaux de Recherche - (I.P.S.E.J.E.S.), 23, rue d'Espagne.
2) Programme des Travaux de Recherche - 1970 (C.E.R.E.S.), 23, rue d'Espagne.

— ومنذ سنوات قليلة تأسست جمعية جزائرية للدراسات الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية Aardes ، وهي تقوم بتنفيذ طلبات وزارة التخطيط والاقتصاد الوطني . كما اكد لي ذلك مديرها — واعمال هذه الجمعية لا تعدو ان تكون جمع المعلومات الحيوية واحصاءها وفرزها .. حول ناحية معينة او موضوع معين كالملكية الخاصة ، او الاستهلاك العائلي ، أو احصاءات تتعلق بالسكان ..الخ بحيث ليس هنا بحوث اجتماعية بالمعنى العلمي للكلمة.

— وفى المغرب الأقصى انشىء معهد العلوم الاجتماعية ثم الحق بكلية الآداب .

اما دائرة العلوم الاجتماعية فى جامعة الجزائر، فبحكم حداثة سنها لا اشعاع علمي لها .. ربما ذلك راجع الى قلة الباحثين والأساتذة الاكفاء .. وفى سنة 1967 تأسس قسم خاص بعلم الاجتماع فى جامعة بغداد .

هذه هي ، باختصار محاولات الاعتناء بالبحوث الاجتماعية ، وهي تجربة لا تزال تلتمس طريقتها الى النمو والأصالة والابداع .

ولا يسعنا امامها الا ان نبدي الملاحظات المنهجية التالية :

1 — ان اللغة الاساسية لتدريس العلوم الاجتماعية والبحث العلمي الاجتماعي ، فى كليات ومعاهد الشرق العربي هي اللغة العربية .. الى جانب لغات أجنبية مساعدة .

اما اقطار المغرب العربي ، فان الفرنسية هي المعتمدة كاساس للتدريس والبحث فى حقول الدراسات الاجتماعية ، نستثني من ذلك دائرة العلوم الاجتماعية بجامعة الجزائر التي قطعت خطوات موفقة فى تعريب العلوم الاجتماعية . ومن المالوف ان نلاحظ أن جل الباحثين فى علم السوسيولوجيا بتونس والمغرب الاقصى ، عندهم جهل يكاد يكون تاما باللغة الوطنية والتراث الشعبي ، وبالتالي بلغة المجتمع ورموزه وتاريخه ...

2 — اقتصر الجيل الاول من الباحثين واساتذة علم الاجتماع — وكان تكوينهم فى الغالب فلسفيا — على تدريس علم الاجتماع (سوسيولوجيا) ، على غرار التقاليد الفرنسية التي تهتم شديد الاهتمام بالمقارنة بين الأفكار والمدارس السوسيولوجية ، مقارنة تفتقر الى الدراسات الميدانية والواقعية ... ! وانصب جزء كبير من اهتمامهم على شرح اعمال المدرسة الدوركايمية (1) ابتداء من مؤسسها أميل دوركيم ومرورا بأعمال فوكوني (2) عن المسؤولية وسلاستين بوقلي (3) فى كتاباته عن المساواة : والديمقراطية امام العلم ورينـي هيبر (Hubert) ، 1885 — 1954) فى قواعد السلطة فى الديمقراطية.. ودراسات ليفي بريل الانثروبولوجية ... الخ .

وقد اقتصر هؤلاء الأساتذة والباحثون الرواد : كما فعل زملاؤهم فى أمريكا اللاتينية على النقل دون الفحص والتفسير والتأصيل . وهذا يعني ان هؤلاء جميعا لم يهتموا بربط النظريات الاجتماعية بالظروف الاقتصادية والسياسية التي نشأت وترعرعت فى ظلها، فلا يمكن بأية حال من الأحوال ان نفهم مدرسة أميل دود كيم الا فى ضوء أوغست كونت (4) الذي هو الآخر لن يفهم فى معزل عن ظروف العصر الذي عاشه : مثلا الصراع بين البورجوازية والطبقات الكادحة على مستوى حركة المجتمع ، وبين الايجابية الوضعية (Positivisme) والاشتراكية على مستوى الصراع الايديولوجي .

أن الدراسات داخل هذا الاطار تساعدنا كثيرا على فهم أوغست كونت وبالتالي اميل دوركيم .

ويقول كاتب معاصر فى هذا الصدد : « عجز هذا الجيل عن تقديم منظور سوسيولوجي للمعرفة يربط بين الفكر وبين البناء الاجتماعي برباط وثيق ، وبالتالي قدم الفكر السوسيكولوجي الفرنسي معزولا عن جذوره ، وبكل ما يتضمنه من تحيزات ايديولوجية صارخة ، لم يكن الغرض منها سوى الحفاظ على مصالح الطبقة البورجوازية الأروبية ، .وأهم هذه التحيزات ضرورة الفصل بين القيم والواقع ، ومنع

---

1) Emile Durkheim (1858-1917)

2) Paul Fauconnet (1874-1938)

3) Célestin Bouglé

4) Auguste Comte (1793-1857)

الباحث الاجتماعي من تقييم الظواهر الاجتماعية أو الحكم عليها نزولا عن رغبة « موضوعية » العلم و « حياده » .

3 — وبعد سنوات جاء جيل من الأساتذة والباحثين العرب فأدخلوا ، لأول مرة ، فى البيئة العلمية العربية مناهج وطرائق البحث الاجتماعية الميداني ، وشرعوا فى تطبيقها على نطاق محدود جدا لا يتعدى الدراسات والبحوث ، للحصول على درجة الدكتوراه او فى صورة اعداد بحوث جزئية لدراسة موضوعات خاصة .

ومن الملاحظ ، فى هذه المرحلة بالذات ، تأثر الباحثين والاساتذة العرب ، أو جلهم على الاقل ، بالمناهج الغربية وبأدوات البحث المستعملة فى الغرب الراسمالي وكان من الصعب ان تتوفر الفطنة النظرية لدى الباحث الاجتماعي العربي حتى يكشف عن الجذور الايديولوجية التي يزخر بها علم الاجتماع .

ولم يكن من الهين ، فى هذه المرحلة الانتقالية على الباحثين العرب هضم ما درسوه فى الشرق أو فى الغرب ، والاستقلال بوضع طرائق علمية وعلم اجتماع عربي — اسلامي له أساليبه وطرائقه لدراسة واقع المجتمعات العربية — الاسلامية ، ببنيانها وطبقاتها الاجتماعية ومشاكلها ومؤسساتها ، وفى تحليل هذا الواقع بما احتوى عليه من قيم غنية خالدة ، الى جانب ما تضمنه من فوضى وتناقض ، صنعت بعضها ، عصور الانحطاط والظلام ، وصنع بعضها الآخر التخلف الفكري والمادي طوال الاحتلال الاستعماري فى العصر الحديث .

4 — ان استعمار المناهج المستوردة فى دراسة المجتمعات العربية الاسلامية : دون نظر الى طبيعتها الخاصة وظروفها وتطورها التاريخي والسياسي والاقتصادي ، ورموزها وحركيتها ، هو خطأ منهجي فى منتهى الخطورة . انه مصدر سوء التفاهم والخلط الذي كثيرا ما يحدث فى استعمال المناهج العلمية فى غير ما وضعت له . واذ عمد الباحثون الأجانب ، الى دراسة المجتمعات العربية الاسلامية ، رغم جهلهم الظاهر بطبيعتها ورموزها ولغتها ، وحركيتها وتفكيرها الديني ، — استعملوا طرائق منهجية قد تكون صالحة لدراسة مجتمعاتهم ، والتطور التاريخي والاجتماعي والفكري لها — فاذا ما تهافت الباحثون العرب وخاصة فى المغرب العربي — الا من رحم ربك — على هذه الدراسات التي وضعها الأجانب عن المجتمع العربي وتاريخه، فانهم يفقدون بذلك موضوعية بحثهم ويرتكبون بذلك ، خطأ منهجيا ، خطير العواقب (1) .

لابد اذن ، والحالة هذه ، من اعادة النظر فى دراسات الأوروبيين والأجانب من مستشرقين ومن دار فى فلكهم من اساتذة ودكاترة ، ان عدم ثقتنا بأنفسنا وتخلفنا العلمي والتكنولوجي ، والاقتصادي قد حبب الينا كل ما هو أجنبي « الى حد ان هناك جماعات تعتقد ، كما اكد علال الفاسي ، أن الخير كل الخير هو فى تقليد أروبا الغربية ، وأمريكا السكسونية ، وروسيا السلافية ، والمانيا الجرمانية » .

5 — ان التقاليد الفرنسية فى علم الاجتماع ، جعلت جل الدراسات الاجتماعية مبنية على مبدأ الحياد وتعلة الموضوعية ، وهذا الموقف لا يمكن ان يفسر الا بتطور المجتمع الأروبي نفسه . ذلك ان المجتمعات الأروبية — والمجتمع الفرنسي جزء منها ، — قد تأثرت بمؤثرات وحفت بها ملابسات ، ما عاشتها مجتمعات العالم الثالث ، والمجتمعات العربية الاسلامية خاصة : مرت هذه المجتمعات (الغربية الراسمالية) بعصور الاقطاع والجهل والظلام ، الى عصور الثورات التي عصفت وما تزال : فمن ثورة فكرية فى القرن السابع عشر ، الى ثورة سياسية فى القرن الثامن عشر ، الى ثورة اقتصادية فى القرن التاسع عشر الى ثورة اجتماعية فى بداية القرن العشرين .... كل هذه الثورات بمذاهبها المختلفة وملابساتها الخاصة جعلت للمجتمع الأروبي تركيبات وأنظمة خاصة بها ، وبالتالي تفكيرا اجتماعيا وسوسيولوجيا خاصا . ولا يتسع المجال هنا لعرض تطور الفكر الاجتماعي فى أروبا (2) : بل نشير فقط الى أن علم الاجتماع قد ولد بصفة رسمية فى أروبا فى القرن التاسع عشر ، (وفى الوطن العربي فى القرن الرابع عشر على يد العلامة

---

1) انظر بحثنا عن التحليل العلمي الشامل ... اللسان العربي — المجلد السابع الجزء الاول — يناير 1970 الرباط . ص . 342 — 349 .

2) انظر كتابا مبسطا لبوطول وهو معرب :

Bouthoul, **Histoire de la Sociologie**, Que sais-je ? - PUF, Paris.

عبد الرحمان ابن خلدون) ، لكن لابد من الرجوع الى القرن السادس عشر لنعرف « أن ازمة المؤسسات السياسية والدينية والتربوية قد ادت الى خلق علم اجتماعي لم ينضج بعد ، ولكنه كان نقديا على اية حال ، للنظام السائد والأفكار التي تؤيده . مثلا : قام رابلي ، قبل الثورة الفرنسية (1789) بنقد اجتماعي كما قام منتاني (Montaigne) بتحليل عملية جعل الثقافة والعلم والتربية ، لانكية ، يعني ان التربية، بعد أن كانت جهازا تابعا للكنيسة ، تصبح شيئا فشيئا جهازا تابعا للدولة . وقد قال ما معناه : « أن العلاقة بين الكنيسة والدولة أو العلاقات بين الكنائس وجميع اشكال الدولة فى أروبا ، وعلاقات الكنائس بالمدارس والمؤسسات ، وكذلك علاقة العائلة بالكنيسة ... يجب ان تنقلب راسا على عقب وذلك حسب عملية انتقال لها جميع خصائص الزلازل الأرضية (أو السماوية ؟) . ان هذا التحليل والموقف الانفجاري لا يعدو ان يكون ، فى ذلك الوقت ، محاولات انتقادية اشبه ما تكون بالادب الساخر . نظرا لفقدان الكشوف الميدانية والاحصاءات .. (1)

6 — ومن المألوف ، فى تاريخ الفكر الاجتماعي الحديث ان علم السوسيولوجيا قد ولد فى نفس الوقت الذي اخترع له اوغست كونت (1798 — 1857) هذا الاسم (Sociologie) فى اغلب الأحيان ينسى ان هذه التسمية قد وضعت كرد مضاد لمؤسس آخر وهو كاتلي (Quetelet) عندما كان اوغست كونت سكرتيرا خاصا لهنري سان سيمون (H. de St Simon) (1760 — 1825) الذي استوحى « فكرة علم الانسان » من كتاب دائرة المعارف ، ولا شك ، أن لهم اهمية فائقة فى عصر سان سيمون : كانوا أول من عمل على جمع العلوم فى مؤلف واحد ، بعد ما أكدوا وحدة المعارف الاجتماعية ، ثم توصلوا الي وجوب نصل النظرية عن الواقع ، وهذا الفصل أصبح ، فيما بعد ، اساس علم الاجتماع الفرنسي . لقد وصلت مقومات فكرة علم الانسان هذه الى سان سيمون ، عبر الفلاسفة المثاليين والأطباء . واحد هؤلاء الأطباء هو الدكتور بيردان (Dr Burdin) الذي أوحى الى سان سيمون بأن يلقب علم الاجتماع بعلم ايجابي — وضعي ، وكأنه علم الحياة العضوية (Physiologie)

أما اوغست كونت ، فابتدا اول الأمر بتسمية علم الطبيعة الاجتماعي كما فعل سان سيمون قبله ، والقصد من هذه التسمية ، هو المناداة بقيام علم جديد يكون على غرار علم الموجودات الطبيعية (Sciences naturelles) غايته دراسة الأحداث الاجتماعية ويتجانس مع بقية اقسام الطبيعة . وفى سنة 1835 تمكن الفلكي البلجيكي كاتلي من نشر تأليف عنوانه : « الانسان وتطور ملكاته » أو فى سبيل فيزياء اجتماعية ، ثم اعاد نشره سنة 1860 تحت عنوان « فيزياء اجتماعية » (2) (Physique sociale) كانت منهجية كاتلي فى كتابه الآنف الذكر تعتمد على معطيات مختلفة ديمغرافية واحصائية فى دراسة الجريمة مثلا . وقد اتضح له من خلال البحث والملاحظة ان القوانين التي تظهر فى المجتمع ، تخضع لنفس النظام الذي تخضع له القوانين فى الطبيعة . وقد توصل عبد الرحمان ابن خلدون ، قبل كاتلي بقرون ، الى نفس الملاحظة ، اذ قال : « فشأن المجتمع فى ذلك (النواميس والعلل) شأن عالم الطبيعة وناموس العلة واحدتيهما (3) .

أما أوغست كونت فكان ينتهج طرائق مغايرة ، وهي أن هناك انقطاعا بين علوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية ، فبالاضافة الى كراهيته الشديدة للاحصاءات وحساب الاحتمالات ، رفض أن يسمي هذا العلم العلم الجديد بالفيزياء الاجتماعية واختار له أخيرا اسما آخر هو علم الاجتماع (سوسيولوجيا) ، وذلك لاسباب شخصية بينها فى كتابه : « دروس فى الفلسفة الايجابية » (4) .

---

1) انظر كتاب :
Clefs pour la Sociologie, Seghers, Paris 1971 (par Georger Lapassade et René Lourau), p. 25

2) Sur l'homme et le développement de ses facultés, ou essai de physique sociale.

3) انظر : المقدمة (فى النصوص الفلسفية الميسرة) لكمال اليازجي . ص : 408

4) الجزء الرابع ، الدرس 47 . ص : 252

ابن الحاجب المصري
وأثره في الدراسات اللغوية

للدكتور عبد العال سالم مكرم
أستاذ النحو العربي بجامعة الكويت

الحركة النحوية فى عصره :

كان للخلفاء الفاطميين قبل بني ايوب عناية خاصة بالنحو العربي وفضل كبير فى نشره ، ورعاية كتبه ، ورصد الجوائز للنابهين من ابنائه وحرصهم على ان تسير كتبهم وتعاليمهم ورسائلهم على نهجه حتى انه بلغ بهم الامر ان عينوا ابن بابشاذ النحوي محررا فى ديوان الرسائل والانشاء ، وكان ابن بابشاذ من كبار النحويين والقراء فى هذه الدولة .

واذا كان الشأن كذلك فى الدولة الفاطمية فان دولة بني أيوب لم تكن اقل منهم عناية بهذا العلم ، بل ان ملوك هذه الدولة جعلوا النحو فىمقدمة العلوم التي يتعلمونها لما له من فضل كبير فى تقويم الالسنة ، وفهم القرآن ، ومعرفة اسرار السنة هذا فضلا عن انهم لم يكونوا عربا ، لانهم اكراد ، واللحن فى السنتهم سليقة وطبيعة ، وقد جاءوا على انقاض دولة عربية ، كانت العربية فى ابنائها جبلة وطبعا ، ومع هذا لم يقصروا فى تعليمها ، والالمام بقواعدها والزموا ابناءهم بتعلمها لاختلاطهم بغيرهم ممن فسدت السنتهم ، وكثر اللحن فى كلامهم .

لهذا فقد راى ملوك بني ايوب انهم احوج الى تعلم العربية ممن سبقهم من الفاطميين حتى تستقيم السنتهم ، ويصلح كلامهم ، وتفهم رسائلهم ، ويكونوا قريبين من هذا الشعب العربي الذي يخضع لحكمهم .

من أجل ذلك لم يكن عجيبا ان يضرب ملوك هذه الدولة بسهم وافر فى ايجاد حركة نحوية قوية .

وقد بلغ بالملك العزيز أن ينتقل لطلب العلم بين الاسكندرية والقاهرة ولا يجد حرجا فى أن يجلس مجلس التلميذ امام معلميه ، وكما اخذ هذا الملك الحديث فى الاسكندرية عن الحافظ السلفي ، والفقه من ابي طاهر بن عوف الزهري اخذ النحو بمصر عن العلامة ابن بري النحوي (1) .

اما الملك الكامل فانه اشتهر بصفة خاصة بعلم النحو، وله فيه آراء وافكار مما هيأ له أن يكون عالما بهذا الفن ، مسلما بمسائله ، خبيرا بمشكلاته فاهما لخلافاته والغازه .

وهذه المنزلة التي بلغها الكامل جعلت العلامة ابن بري يمنحه اجازة فى هذا الفن (2) .

ومعنى هذه الاجازة ان هذا الملك وصل الى درجة الافتاء فى النحو والتعمق فى مسائله والقدرةعلى حل مشكلاته .

---

1) النجوم الزاهرة ج 6 ص 127
2) النجوم ج 6 ص 228

يقول صاحب النجوم « ... وكان عنده مسائل غريبة من الفقه والنحو يوردها فمن أجابه حظي عنده » (3) .

على ان هذه المنزلة التي وصل اليها الكامل فى علم النحو لم تصل الى الدرجة الكبيرة التي وصل اليها اخوه الملك المعظم عيسى ملك الشام فى هذا المضمار فقد كان المعظم عيسى اديبا نحويا ، يحب الادب ، ويقدر النحو والنحاة ولعل نشأته بالشام ، وقراءته الادب والنحو على تاج الدين الكندي كان لها اثر كبير فى تكوين شخصيته النحوية الادبية هذه الشخصية التي كانت المع شخصيات ملوك هذه الدولة ، وبخاصة فى الميدان العلمي .

وقد قرأ المعظم عيسى كتاب سيبويه على التاج الكندي والم بشرحه الكبير للسيرافي وكتاب سيبويه فى حقيقة امره مدرسة قائمة بذاتها فكل من فهم هذا الكتاب ، وركب هذا البحر ، ووقف على اسراره ، وغاص الى درره كان حريا به أن يتصدر فى النحو ، وان يكون علما من أعلامه .

ولم يقف امر المعظم عند هذا الحد ، بل انه نبغ فى القراءات والقراءات والنحو متلازمان ، فقرأ كتاب الحجة لابي على الفارسي فى القراءات علىشيخه تاج الدين الكندي وقرأ ايضا عليه كتاب الايضاح لابي على الفارسي حفظا (4) .

لهذا كله يحق لنا أن نقول : ان احتضان الملك المعظم عيسى لعلم النحو والقراءات افاد هذا العلم فائدة جليلة ، لان الناس على دين ملوكهم كما يقولون فقد اقبل المتعلمون على النحو ، وفتح لهم الملك المعظم عيسى ابواب تعليمه ، وتعلمه بل انه جعل لكل من يحفظ كتاب سيبويه جائزة كبرى فتنافس الطلاب فى حفظه وتعاونوا على فهمه مما كان له اثر كبير فى ايجاد حركة نحوية ، وبخاصة فى اقليم الشام حيث يعيش هذا الملك ، وتعيش معه عطاياه وجوائزه .

ومن حسناته التي خلدها التاريخ انه انشأ مدرستين للتخصص فى الدراسات النحوية ، واحدة فى القدس والاخرى بدمشق .

«ومدرسة القدس تقع على طرف صحن الصخرة من جهة القبلة الى الغرب بناها المعظم عيسى سنة 604 هـ وكان يدرس فيها الكتاب لسيبويه (5) .

هذا ، وقد كانت الدراسات النحوية قبل المعظم تدرس جانب المواد الاخرى فى المدارس المتعددة التي انشأتها هذه الدولة .

« ولم تخصص مدرسة لدراسة النحو الا هاتين المدرستين ، وكان معنى التخصص فى هذه المدارس ان المادة الاساسية فيها هي التي أنشئت المدرسة من اجلها وليس ذلك بمانع من ان تدرس الى جانبها مواد اخرى (6) .

فى هذه الحياة الفكرية المتوثبة ، وفى هذه البيئة العلمية الناهضة عاش ابن الحاجب ، ولمع نجمه فى سماء النحو فى هذه الفترة من التاريخ فأصبح علما من اعلامه .

والحقيقة ان ابن الحاجب لم يحظ بعناية الباحثين كما يجب ، لان اخباره وآراءه ، واتجاهاته مبعثرة فى مراجع عديدة تحتاج الى عناء لجمعها ، وقيام دراسات حولها .

وقد شعرت بتوفيق كبير حينما استطعت ان اكشف عن شخصية هذا الرجل العظيم واميط اللثام عن آرائه واتجاهاته ، ومن غير فخر استطيع أن اقول ان هذه الدراسة لم يسبقني احد اليها .

من هو ابن الحاجب ؟

1) نسبه :

علم من اعلام مصر فى النحو واللغة ، والأصول والقراءات ، صاحب مدرسة فى النحو ، قائمة على نهج جديد .

وهو عثمان بن عمر بن ابى بكر بن يونس ، الامام العالم جمال الدين ابو عمرو المعروف بابن الحاجب الكردي .

---

3) النجوم ج 6 ص 237 .
4) النجوم ج 6 ص 267 .
5) خطط الشام ج 6 ص 119 لمحمد كرد علي .
6) الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ص 41 .

2 ـ نشـاتـه :

ولد في اواخر سنة 570 هـ باسنا من بـلاد الصعيد « وهي بلدة كبيرة خرج منها جمع كبير من اهل العلم والادب (7) .

وقد انتقل الى القاهرة صغيرا ، لانه كما تحدثنا دائرة المعارف الاسلامية قد حفظ القرآن الكريم ، ودرس العلوم المتصلة به كالفقه واصوله على مذهب الامام مالك ، وكذلك النحو والادب (8) .

واشتهر بابن الحاجب ، لان اباه كان حاجبا للامير عز الدين موسك الصلاحي (9) ووظيفة الحاجب كانت في هذا العصر وظيفة لها مكانتها الاجتماعية ، لان الحاجب « كانت مهمته ادخال الناس على السلطان حسبما تقتضيه الضرورة بالسماح لهم بالمثول بين يديه ، مراعيا في ذلك مقامهم ، واهمية اعمالهم ولم تقف مهمته عند هذا الحد ، بل كان يفصل فيما يحدث بين الامراء والجنود ، وذلك بعد استشارة السلطان أو نائبه (10) .

وهناك رواية اخرى يرويها بعض المؤرخين حيث يقول : ان اباه لم يكن حاجبا ، وانما كان يصحب بعض الامراء فلما مات كان ابو عمرو صبيا فرباه الحاجب فعرف به ، ولكن الادفوي في الطالع السعيد ينفي هذه الرواية ، ويؤكد أن الرواية الاولى هي المشهورة (11) .

3 ـ شيوخـه :

وانتقاله الى القاهرة ، واقامته فيها يسرت له الاتصال بكبار الشيوخ والعلماء والجلوس في حلقاتهم، والاخذ عنهم ، والتأدب عليهم .

قرا علي ابى الفضل الغزنوي ، وابي الجود اللخمي ، واخذ عن الشاطبي القراءات كما اخذ عنه النحو (12) .

ولم يقتصر ابن الحاجب على ما اخذ من علماء القاهرة فاتجه الى دمشق ليأخذ عن أساتذتها ، وكبار علمائها مما كان له اثر كبير في تكوين شخصية ابن الحاجب العلمية التي استطاع صاحبها بفضل ما اوتيه من قوة في التفكير وقدرة في الذكاء ، ونبوغ في العقل ان ينتفع بما اخذ من كبار العلماء في عهده .

4 ـ حيـاتـه :

ولما تسلح ابن الحاجب بما يتسلح به العالم من شتى أنواع العلوم والمعرفة جلس للافادة وتردد بين القاهرة ودمشق مرات كثيرة ، واقامته بدمشق مكنته من أن يكون « مدرسا للمالكية » وشيخا للمستفيدين عليه في علمي القراءات العربية (13) .

وقد كانت المادة التي تشغل حيزا كبيرا من تفكيره هي مادة النحو فقد ظل في دمشق يؤدي رسالة العلم والمعرفة ، وكان الاغلب عليه دراسة النحو(14). واقامته في دمشق لم تستمر بسبب حادث العز بن عبد السلام مع الملك الاشرف فقد كان هناك خلاف بين العز وبين الاشرف ولم يجد العز من يقف في جانبه من العلماء ويشد أزره في محنته غير ابن الحاجب ، وكان هذا الموقف من ابن الحاجب سببا في تغير الملك الاشرف عليه ، وكراهيته له ، مما ادى به ، وبصاحبه الى الخروج من دمشق والعودة الى مصر (15) وكانت عودته الى مصر سنة 628 (16) وفي مصر تصدر بالفاضلية ، وجلس في موضع الشاطبي (17) .

---

7) الطالع السعيد للادفوي ص 16 مطبعة الجمالية.
8) دائرة المعارف الاسلامية المجلد الاول ج 2 ص 126 .
9) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .
10) الظاهر بيبرس للدكتور جمال الدين سرور ص 132 .
11) الطالع السعيد من صفحة 188 الى 195 .
12) الطالع السعيد من صفحة 188 الى 195 .
13) البداية والنهاية ج 13 ص 179 .
14) روضات الجنات ص 8 ـ ع ص .
15) شذرات الذهب ج 5 ص 646 .
16) الذيل على الروضتين وفيات 646 هـ .
17) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ص 139 د . بدوى .

وكان الشاطبي امام مصر فى علمي القـراءات العربية ، وبالفاضلية كثر الطلبة وتصدوها من كـل مكان من اجل ان يأخذوا العربية عن ابن الحاجب .

وظل ابن الحاجبمتصدرا بالفاضلية يفيد تلاميذه ويملي عليهم من مختلف العلوم وبخاصـة علم النحـو والقراءات حتى انتقل للاسكندرية للاقامة فيها .

ويذكر الدكتور بدوي فى كتابه « الحياة العقلية » أن ابن الحاجب انتقل الى الاسكندرية بعد تصـدره بالفاضلية ، ولا يدري سببا لهذا الانتقال (18) .

ويظهر لي ان ابن الحاجب — وان فتح له باب الفاضلية ، وجلس فى موضع رجل من كبار شيـوخ مصر ، وهو الشاطبي — فقد كان مورده ممن قصدوه بالفاضلية لم يمكنه من الحياة الهادئة المستقرة التـي تتطلبها حياة العلماء لتجود قرائحهم وتنتج عقولهم .

ولم يجد فى القاهرة من يحس بحاله ، ويشعر بحاجته ، فيكفيه مؤونة البحث عن الرزق . فهاجـر الى الاسكندرية عله يجد فيها ما فقده فى القاهرة .

وقد اوحي الي بهذه الفكرة هذان البيتان اللذان يدلان على نفس قلقة وروح مضطربة ، وحياة بائسة.

يا اهل مصـر رأيـت ايديكـم
عن بسطهـا بالنـوال منقبضـة

مـذ جئـت نـازلا بأرضكـم
اكلت كتبـي كأننـي ارضـة (19)

على اية حال فقد القى ابن الحاجب عصـا التسيار فى الاسكندرية ولم تطل مدة اقامته هناك ، فوافاه الاجل فى ضحى نهار الخميس سادس عشر من شوال ودفن خارج باب البحر بتربة الشيخ صالح بن ابي شامه سنة 646 هـ (20) .

5 — تـلاميـذه :

واشهر تلاميذه الذين اخذوا عنه : المنـذري الدمياطي اخذ عنه الحديث . اما علم العربية فقد اخذه عنه الرضى القسطنطيني (21) .

6 — ثنـاء العلمـاء عليـه :

وصفه شهاب الدين أبو شامة فقال : « وكان من اذكى الائمة قريحة وكان ثقة حجة ، متواضعـا ، عفيفا ، كثير الحياة ، منصفا ، محبا للعلم ، واهله ، ناشرا له محتملا للاذى صبورا على البلوى (22) .

واثنى عليه ابن خلكان فقال : وجاء لي مـرارا بسبب اداء شهادات وسألته عن مواضع فى العربية فأجاب ابلغ اجابة بسكون كثير وتثبيت تام (23) .

7 — كتبـه :

خلف ابن الحاجب وراءه تراثا ضخما من العلم، وبخاصة علم النحو وكان هذا التراث ممثلا فى كتبه . وقد قالوا عن هذه الكتب التي تركها لتحيي ذكره وترفع قدره عند النحويين ، والدارسين للنحو ، « انها كانت فى غاية الحسن ورزقت قبولا تامـا بحسنهـا وجزالتها » (24) .

وكتبه النحوية كانت مدرسة قائمة بذاتهـا ، عاش على مائدتها النحويون . وقد قال عنه الـرواة انه : « خالف النحاة فى مواضع ، واورد عليهـم اشكالات والزامات مفحمة يعسر الجواب عليها (25).

وقد قال الادفوي يصف كتب ابن الحاجب : « ان الناس انتفعوا بتصانيفه لما فيها من كثرة النقل مع صغر الحجم ، وتحرير اللفظ » (26) .

---

(18) نفس المصدر والصفحة .
(19) روضات الجنات فى باب العين ص 8 ع . ص .
(20) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .
(21) شذرات الذهب ج 5 ص 234
(22) البداية والنهاية ج 1 ص 179 .
(23) وفيات الاعيان ج 1 ص 314 ط بولاق .
(24) روضات الجنات ، باب العين ص 48 .
(25) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .
(26) تاريخ سورية ج 6 ص 237 ليوسف الياس مطران بيروت (ط بيروت) مطبعة بيروت سنة 1902

ومعنى هذا انه كان متمكنا من اللغة ، ملمـــا باسرارها يسر له كثرة النقل والرواية .

ولاجل ان ينتفع الناس بتراثهم الماضي استطاع بسلامة ذهنه وقوة فهمه ، فجاءت كتبه وافية بالغرض الذي الفت من أجله ، وهو تيسير العلم ونشـــره فى وضــــوح وايجاز .

ولهذا السبب راجت كتبه فى بلاد العجم ، واهتم الناس بها هناك لما فيها من ايجاز وترتيب وتنظيم ، وتنسيق وتبويب .

قال صاحب كتاب تاريخ سورية : « ذكر هذين الكتابين » اي الكافية ومختصره فى اصول الفقه ــ جميع البلاد خصوصا بلاد العجم واكب الناس على الاشتغلال بهما الى زماننا هذا .

واشهر كتب ابن الحاجب النحوية كتاب للكافية.

1 ــ الكافيـــــــة :

عرفها كشف الظنون بانها : ((مختصرة معتبرة، مغنية عن التعريف ، وهي دستور هذا الفن ، اذ بها يعرف أكثر مسائله)) .

ولما كانت الكافية تشبه القوانين العامة ، أو الخطوط الرئيسية منها وتحتاج الى تفسير وايضاح ــ الف لها شرحا ليبين الغرض من مسائلها والهدف من قوانينها وقد تداول الناس هذا الشرح ، واكبوا عليه وافادوا منه وشغلوا به وبالكافية .

وفى عهد ابن الحاجب كان الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى الايوبي محبا للنحو كابيــه فلما رحل ابن الحاجب عن دمشق الى الكرك نظم لهذا الملك مقدمته الكافية ، وسمى هذا النظم بالوافية ، ولم يكتف بنظمها ، بل شرحها له (27) .

وهذا الصنيع من ابن الحاجب يدل على رغبته القوية فى تذليل النحو وتسهيله من أجل ان تهضـــم قواعده ، وتشرح غوامضه .

هذا وقد تسابق العلماء على شرح كافيتــه ، فظهر لها شروح كثيرة باللغة العربية ، وبالفارسية والتركية .

واهم شروحها باللغة العربية :

1) شرح الشيخ رضى الدين محمد بن الحســـن الاستراباذي النحوي .

قال السيوطي : « لم يؤلف عليها ، بل ولا على غالب كتب النحو مثله جمعا وتحقيقا فتداولــه الناس ، واعتمدوا عليه ، وله فيها ابحاث كثيرة ومذاهب ينفرد بها ، فرغ من تأليفه سنـــة 686 هـ (28) .

2) وصنف السيد ركن الدين حسن بن محمـــد الاستراباذي الحسيني ثلاثة شروح علـــى الكافية : كبير وهو المسمى بالبسيط ، ومتوسط وهو المسمى بالوافية ، وهو المتداول وصغير وتوفي سنة 777 هـ .

3) وشرحها تاج الدين ابو محمد احمد بن عبد القادر ابن مكتوم القيسي الحنفي المتوفى سنة 749 هـ.

4) **ومن الملوك الذين اهتموا بشرحها : الفاضـــل الملك المؤيد عماد الدين بن الافضل علي الايوبي المعروف بصاحب حماة المتوفى سنة 732 هـ وهوشرح لطيف علقه من شرح المصنف لهـذه المنظومة ومن غيرها من شروح الكافيـــة ، وفرغ من تأليفه فى شعبان سنة 722 هـ .**

5) **وقد اسهم فى شرحها الامام تاج الدين ابو محمد على بن عبد الله بن أبى الحسن الاشبيلي ثـم التبريزي ، نزيل القاهرة المتوفى فى رمضـــان سنة 746 هـ وهو شرح كبير كشرح الرضى ، وفرغ من تسويده لثلاث بقين من محرم سنـــة 742 هـ سماه : مبسوط الكلام فى تصحيح مـــا يتعلق بالكلم والكلام .**

6) **ولشمس الدين محمود بن عبد الرحمن الاصفهاني المتوفى سنة 749 هـ شرح كبير كالرضى ، قدم فيه عشر معلقات نافعة . (29)**

---

27) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1370 وما بعده .
28) نفس المصدر والجزء والنهر ، وما بعده .
29) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1370 وما بعده .

وبعد ، فلا استطيع فى هذا المقام ان اعدد جميع شراح الكافية ، واكتفي بما ذكرت ، وقد سجل حاجي خليفة فى كشف الظنون شراح هذه الكافية (30) والحواشي التي وضعت على هذه الشروح ، ولا يسعني فى هذا المقام الا ان ابين ان الكافية شغلت العلماء طوال العصور منذ عصر ابن الحاجب الى يومنا هذا ، ومن ثم كثرت الشروح والتعليقات عليها ، ولا زالت الكافية وشروحها مصدرا كبيرا من مصادر الدراسة النحوية فى عصرنا هذا .

والحق الذي لا ينكر ان الذي اضفى على هذه المقدمة شهرة واسعة النطاق هو شرح الشيخ رضى الدين الاستراباذي ، هذا الشرح الذي انتشر ذكره وعمت دراسته ، وبخاصة فى بلاد العجم حيث ترجم الى الفارسية .

وكان انتفاع العجم بالمقدمة وشروحها اكثر من انتفاع مصر والشام بها وذلك لانه وان اسهم بعض علماء هذين الاقليمين بشرح هذه المقدمة والتعليق عليها فان هذه الشروح لم تنتشر بين الطلاب ويشتهر امرها كما كان ذلك فى بلاد العجم .

ولعل لهذا سرا ، فان ابن الحاجب كان يميل الى الفلسفة والمنطق والقياس والتعليل ، وقد سادت فيه هذه الروح منذ ان نبغ فى علم الأصول وعلم الأصول تقوم قضاياه على النهج المنطقي .

وكان اهل مصر ينفرون من الفلسفة ، ويفرون من المنطق ، ويحبون الوضوح فى كل شيء ، فى حين ان اهل العجم كانوا يميلون الى الفلسفة ويتجهون فى دراستهم الى المنطق ، فكان ذلك ادعى الى ان تروج كتب ابن الحاجب وبخاصة الكافية فى بلاد الفرس ، على حين انها تقف فى دائرة ضيقة محدودة فى الاقليمين المصري والشامي .

ـ وكما تدمت سابقا ـ ان هذه المقدمة نفخ فيها من روح الحياة ووضع فيها سر الخلود هو الرضى بشرحه ، ولم ينتفع اهل مصر والشام بهذا الشرح لانه نقل الى مصر فى زمن متأخر ولم ينتقل الى مصر الا بعد عصر ابي حيان وابن هشام ، فلم يقفا على هذا الشرح (31) .

ولقد طغت شهرة كتب ابن مالك فى الاقليمين على هذه المقدمة وشروحها فلم يكتب لها الحياة فى مصر والشام الا فى زمن متأخر حينما نقل شرح الرضى الى الاقليمين .

منهجه فى الكافية :

رغب ابن الحاجب فى ان تيسير النحو لطلابه ، فعمد الى كتاب المفصل للزمخشري واختصر منه هذه المقدمة الصغيرة وسماها : الكافية ، ولعل اسمها يدل على الغرض الذي من اجله الفت فهي تغني الناشىء او المتعلم عن كتب النحو المعقدة التي تحتاج الى ملم بهذا الفن ، خبير بمسائله .

وقد سار ابن الحاجب فى ترتيبه لابواب الكافية كما فعل الزمخشري فى كتاب المفصل فالناظر فيه يرى انه مقسوم على اربعة اقسام : الاول ـ فى الاسماء ، والثاني ـ فى الافعال، والثالث ـ فى الحروف والرابع ـ فى المشترك من احوالها .

وقد نهج على هذا التقسيم ابن الحاجب ، فقسم الكافية الى اربعة اقسام : اسماء ، وافعال ، وحروف ، ومشترك من احوالها .

واغلب الظن ان هذا الترتيب والتقسيم لم يكن من مبتكرات الزمخشري فقد سبقه فى هذا ابو علي الفارسي فى كتابه « الايضاح » فقد كان اول من ابتكر هذا الترتيب ، وسنه للمعاصرين له من تلاميذه وللخالفين من النحاة من بعده (32) .

على ان ابن الحاجب لم يكن بعيد الصلة عن كتاب الايضاح لابي علي ، لان هذا الكتاب عني به المصريون منذ ان بدأ النحو فى مصر يستقر على دعائم ثابتة على يد النحو المصري ابن بري ، وابن بري من الذين عنوا بالايضاح وشرحوه (33) .

---

30) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1370 وما بعده .
31) هامش كشف الظنون نهر 1370 مجلد ـ 2 .
32) ابو علي الفارسي للدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي ـ ص 521 ـ مطبعة مصر الجديدة .
33) سيبويه امام النحاة ـ للاستاذ على النجدي ص 187 .

وظل هذا الكتاب المحور الذي يدور حوله النحاة منذ القرن الرابع الهجري حتى عصر ابن الحاجب الذي اسهم بنصيب كبير فى شرحه لهذا الكتاب .

فابن الحاجب اذن لم يكن تاثره بالايضاح اقل من تاثره بالمفصل ، فقد شرح الكتابين وكان لهما عليه تأثير كبير فى نحوه ، بل وفى آرائه مما سأبينه بعد .

على أية حال ، فقد كانت الكافية تسير مقتفية خطى المفصل والايضاح فى الترتيب والتنظيم وفى التبويب والتقسيم ، وان كان كل من المفصل والايضاح كتابا كاملا جمع النحو ، وحوى قواعده ، فان الكافية تلخيص موجز غاية الايجاز لهذين الكتابين مما ادى الى صعوبة فهمها ، وادراك مسائلها الامر الذي حدا الكثير من النحويين للتصدي لشرحها ، والتعرض للتعليق عليها ، حتى بلغت تعليقاتها وشروحها ما يربو على الستين شرحا (34) .

اسلوب الكافية :

ابن الحاجب فى الكافية عمد الى التلخيص والايجاز لدرجة ان الدارس لها يجد صعوبة فى فهمها ، وحل تراكيبها ، والوقوف على الغرض من عباراتها فهو وان حاول بهذا العمل ان يلخص النحو ، ويقدمه قواعد سهلة للمبتدئين الا انه خانه الحظ فى الوصول الى هذا الغرض ، فجاء تلخيصه يحمل الفاظا غير واضحة ولعل ابن الحاجب احس انه لم يوفق فى هذا التلخيص كل التوفيق فاتجه الى شرحه لينير الطريق لسالكه ، ويعبد السبيل لدارسه .

ولا ادل على ذلك من أن الرضى شارح الكافية كان يعاني من اسلوبها وتراكيبها الشيء الكثير مما ادى به الى مهاجمة المصنف ولومه على هذه الصعوبة التي كانت شعار أسلوبه فى مقدمته فيقول :

« قال ابن الحاجب فى مقدمته فى اعراب الاسم « وهو معرب ومبني فالمعرب المركب الذي لم يشبه مبنى الاصل » .

وعلق الرضى بقوله « ولفظ المركب يطلق على شيئين على احد الجزاين او الاجزاء بالنظر الى الجزء الآخر او الاجزاء الاخرى ، كما يقال فى ضرب زيد مثلا ان زيدا مركب الى ضرب ، وضرب مركب الى زيد فهما مركبان .

ويطلق على المجموع فيقال ضرب زيد مركب من ضرب ، ومن زيد ، وهذا كما يقول مثلا لاحد الخفين هو زوج الآخر ، ويقول لهما معا : زوج .

ومراد المصنف المعنى الاول ، وليس بمرض ، لان المركب فى اصطلاحهم فى المجموع اشهر منه فى كل واحد من جزئيه ، أو اجزائه ، فيوهم ان المعرب من الأسماء لا يكون الا مركبا فى شيئين فصاعدا كخمسة عشر ونحوه (35) .

ثم قال الرضى : وهذا داب المصنف يورد فى حدود هذه المقدمة الفاظا غير مشهورة فى المعنى المقصود اعتمادا منه على عنايته وينبغي ان يختار فى الحدود والرسوم أوضح الالفاظ فى المعنى المراد ويحترز عن الالفاظ المشتركة فكيف باستعمال لفظ هو فى غير المعنى المقصود اظهر (36) .

2 — الشافية :

وكما الف ابن الحاجب كافيته فى النحو الف الشافية فى الصرف وكدابه فى شرح ما الف ، وتوضيح ما انتج شرح الشافية .

واشهر من شرحها من نجاة مصر فى القرن الثامن الهجري ابن هشام الذي الف لها شرحا فى مجلدين سماه : عمدة الطالب فى تحقيق تصريف ابن الحاجب وتوفي ابن هشام سنة 672 هـ .

وكما انتشرت الكافية فى مصر والشام فى العصور المتأخرة انتشرت أيضا الشافية وظلت محور الدراسة والبحث حتى عصرنا هذا فقد قرر تدريسها فى بعض المعاهد العلمية المهتمة بالنواحي اللغوية والنحوية .

---

34) كشف الظنون ج 1 ص 212 .
35) شرح الرضى على الكافية ج 1 ص 14 .
36) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1020 .

3 — الامـــالـــــي :

امالي ابن الحاجب تضمنت آراءه فى بعـــض المشكلات النحوية وتوجيهات لبعض الآيات القرآنية وتعليقات على كتاب المفصل للزمخشري وآراء فى بعض الابيات لكبار الشعراء وتخريجها .

وقد أملى هذه الامالي على تلاميذه فى حلقات متعددة وازمنة مختلفة وامكنة متباينة .

وفى النسخة المحفوظة بدار الكتب (رقـم 1007 نحو) نقرأ فى الصفحة الاولى من الامالي ما يأتي :

« هذه الاجزاء مشتقة على امالى متفرقـة فى النحو جليلة ، من كلام الشيخ الامام العلامة حجـة العرب وفخرهم منشىء العلوم والمرجع اليـــه فى تقريرها وتحريرها جمال الدين عمرو بن الحاجب برد الله مضجعه وطيب مهجعه ، منها ما يتعلق بكتاب المفصل للزمخشري . ومنها ما يتعلق بأبيات عربيـة ومحدثة وغير ذلك . وهذه الامالي عزيزة الوجـــود مضنون بها على غير اهلها ، بل على اهلها لغايـة شرفها وعظيم نفعها (37) .

وكطبيعة كتب الامالي لم تكن فى امالي ابـــن الحاجب وحدة ، أو تنظيم وترتيب ولكنها خواطـر وآراء امليت فى أزمنة متعددة فى القاهرة ودمشق .

وقد بدأ بها سنة 609 هـ فى القاهرة ، لانه قد جاء فى اماليه ، وانه قال ايضا ممليا فى القاهرة سنة تسع على قوله تعالى « ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا » (38) .

وقد تتبعت سنوات الاملاء فى القاهرة ، فلم اجد له املاء قبل هذا التاريخ وظل يملي آراءه فى القاهرة حتى سنة 616 هـ بدليل ما جاء فى اماليه « انه املى فى القاهرة سنة ست عشرة على قوله تعالـى : « ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى » (39) .

وفى سنة 617 هـ نجده ينتقل الى دمشق ويملي بها ، ويظل يملي حتى سنة 625 هـ (40) . وهي السنة الاخيرة فى سنوات املائه هذه الآراء مما يرجح ان ابن الحاجب مكث فى القاهرة يعلم ويملي حتى سنة 616 هـ ثم انتقل بعد ذلك الى دمشق سنة 617 هـ ، وبقي يقرأ بجامعها ، ويملي هذه الامالي حتى سنة 625 هـ وظل بدمشق بعد ذلك ينشر رسالة العلم حتى سنة 628 هـ حيث وقعت الفتنة بين الملك الاشرف ، وبين عز الدين هذه الفتنة التي ادت بابن الحاجب الى العودة الـى القاهرة ، ثم الانتقال منها الى الاسكندرية حيث لقي ربه سنة 646 هـ .

4 — شـــرح الايضاح لابي علي الفارسي :

وكتاب الايضاح هذا شرحه كثير من النحويين قبل ابن الحاجب وعنوا به عناية فائقة وكان هـــذا الكتاب يسير جنبا الى جنب مع كتاب سيبويه .

وهو كتاب متوسط يشتمل على مائة وستـــة وتسعين بابا منها الى مائة وستة وستين نحـــو ، والباقي الى آخره تصريف .

ومن الذين صنفوا له شروحا ابن الحاجب وسماه — المكتفي للمبتدىء (41) .

5 — شـــرح المفصـــل :

ولم ينس ابن الحاجب ان يشرح كتاب المفصل للزمخشري فى كتاب سماه « الايضاح » وهو الــذي تأثر بالزمخشري فى مفصله ، حتى اختصر كافيته . وهذا الشرح منه نسخة بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم 545 ب وأخرى بمكتبة ابراهيم باشا رقم 18 وثالثة بمكتبة سوهاج رقم 5 نحو (42) .

6 — شـــرح كتـــاب سيبـويـــه :

ولكتاب سيبويه ، كما قلت سابقا منزلة كبيرة عند النحاة المصريين والشاميين فقد اهتموا به منذ أن عرفوا هذه الدراسات النحوية .

---

(37) الامالي — ابن الحاجب ، مخطوط رقم 1007 نحو (دار الكتب)
(38) الحجـر — 47 .
(39) البقـــرة — 282 .
(40) الامالي — ابن الحاجب مخطوط رقم 1034نحو.
(41) كشف الظنون — ج 1 نهر 212
(42) الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ص 107 .

وقد شرحه أبو جعفر المعروف بابن النحاس المتوفى سنة 338 هـ .

وشرحه ايضا وانتقده ، وانتصر له احمد بن محمد بن ولاد المتوفى سنة 332 هـ وشرحه ايضا ابن الحاجب ليقرب نحوه لابناء عصره ويوقفهم على أسراره وتركيبه (43) .

7 — ولابن الحاجب قصيدة فى المؤنثات السماعية طبعها هافنر وشيخو فى بيروت سنة 1908 (44) .

8 — رسالة فى العشر — وهو بحث صغير فى استعمال كلمة عشر مع الصفتين اول وآخر ، طبعت فى بولين رقم 6894 (45) .

9) وكما كان ابن الحاجب علما فى النحو والصرف كان علما ايضا فى علم العروض فله منظومة من البحر البسيط عن العروض سماها : « المقصد الجليل فى علم الخليل » فى ليدن فهرس 2 رقم 273 ، وبرلين رقم 7126 (46) .

وبعد ، فلست فى حاجةالى ان ابين شخصية ابن الحاجب فى علمي الاصول والفقه ، فقد كان فى هذا المضمار وحيد عصره له انتاج ضخم يشيد بقدره ويشير بفضله ، ويرفع من ذكره .

وهكذا كان ابن الحاجب علما فى النحو والصرف والعروض ، ونابغة فى الفقه والاصول . وقلما تيسر العالم ان يجمع بين هذه العلوم وينبغ فيها ويجلس على قمتها اللهم الا اذا كان يتمتع بعقل ناضج ، وفكر ثاقب ، وذكاء لامع ، وقريحة وقادة ، وادراك واسع .

وقد وجد هذا كله فى ابن الحاجب ، كما شهد له بذلك العلماء واثنى عليه الفضلاء .

ويكفي ان مؤرخيه ذكروا عنه انه كان ركنا من اركان الدين والعلم .

8 — آراؤه واتجاهاتـــه :

1) أثر الفلسفة والمنطق فى اتجاهاته النحوية:

صلة النحو بالفلسفة قديمة ، بدات حينما ظهر المنطق اليوناني فى مدينة البصرة التي كانت حينئذ مركزا كبيرا لفلاسفة المعتزلة الذين تأثروا بالمنطق الارسطي فى اتجاهاتهم الكلامية .

ومن غير شك ان نحاة البصرة وعلى راسهم سيبويه لم يكونوا فى معزل عن هذا التيار الجارف ، تيار الفلسفة والمنطق فتأثروا به .

وقد كان النزاع الذي ظهر منذ القرن الثاني بين مدرسة القراء وبين مدرسة الكلام كان له اثره فى اتجاه النحاة البصريين الى الاخذ بمبادىء مدرسة الكلام وتجنبهم الخصائص التي تتجه اليها مدرسة القراءة التي تعتمد على الرواية والنقل ، فى حين تعتمد المدرسة الاولى على القياس والعقل .

يدل ذلك على ما رواه الشعبي : «من ان القراءة سنة فاقرءوا كما قرأ اولكم » (47) .

وفيما قاله الداني من ان ائمة القراءة لا تعمل فى شيء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة ، والأفيش فى العربية، بل على الاثبث فى الاثر، والاصح فى النقل والرواية ، واذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لان القراءة سنة متبعة ، يلزم قبولها والمصير اليها (48) .

واستمرت النزعة الكلامية التي تقوم على الجدل والمنطق تعمل عملها فى النحو منذ عصر سيبويه الى عصر ابن الحاجب ، فلقد تسربت اصطلاحاتهم وطرائقهم الى النحو حتى انه روي عن ابن جني انه قال ان اصحابنا انتزعوا العلل عن كتب محمد بن الحسن وجمعوها منه بالملاحظة والرفق .

---

43) سيبويه امام النحاة — ص 188 الاستاذ على النجدي .
44) دائرة المعارف الاسلامية م 1 ص 127 .
45) المصدر السابق .
46) المصدر السابق .
47) غاية النهاية ج 1 ص 357 لابن الجزري (مطبعة السعادة)
48) النشر فى القراءات العشر ج 1 ص 10 لابن الجزري ، تحقيق محمد احمد دهمان ط اولى مطبعة التوفيق بدمشق .

والحق الذي يقال — ان ابن جنى قد وضع الامر فى نصابه حينما قرر العلاقة القوية بين النحو وبين علم الكلام والاصول ، بل انه لم يقف عند هذا الحد فقرر ان علل النحو انتزعت من كتب محمد بن الحسن وجمعت منها ، وكتب محمد بن الحسن تقوم على الاصول والمنطق لان اصول الفقه تعتمد كل الاعتماد على الاقيسة العقلية ، والقضايا المنطقية وقد نقل السيوطي فى الاقتراح : « ان ابن جني قال ، اذا ادرك القياس الى شيء ما ، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره ، فدع ما كنت عليه ، ثم علق عليه بقوله : وهذا يشبهه فى أصول الفقه نقض الاجتهاد اذا بان لنص بخلافه » (49) وهذا النص الذي ذكره ابن جني يوضح تمام الوضوح ، كيف يقتفي النحاة اثر الأصوليين فى نظرياتهم وقواعدهم ومناهجهم .

وبعد :

فاننا اذا أردنا ان ننظر الىاتجاهات ابن الحاجب النحوية فلا ننسى انه كان اصوليا بل وقد كان ضليعا فى علم الاصول ، فقد صنف فيه مختصرا وآخر اكبر منه سماه المنتهى (51) .

ولغلبة المنطق والفلسفة على ابن الحاجب ، قال عنه المؤرخون انه كان فقيها مناظرا مفتنا (52) .

وكل الذين كتبوا عن ابن الحاجب ذكروا انه خالف النحاة فى مواضع ، واورد عليهم اشكالات والزامات تتعذر الاجابة عنها (53) .

وتقول دائرة المعارف الاسلامية انه اشتهر فى النحو على وجه خاص وهو فى هذا الميدان يختلف من عدة وجوه عن اسلافه (54) .

وحينما يورد ابن الحاجب اشكالاته والزاماته للنحويين ليجيبوا عنها ، وهي اشكالات ملحمة والزامات معقدة وحينما تذكر عنه دائرة المعارف ، انه يختلف عن اسلافه من عدة وجوه اليس هذا دليلا واضحا على ان الرجل كان يمزج النحو بالفلسفة وكان يورد القضية النحوية ووراءها دليلها المنطقي . كل ذلك يوضح لنا اثر علم الاصول ، وقضاياها واقيستها ومنطقها فى نحو ابن الحاجب .

واذا حاولنا ان نأتي بأمثلة تؤيد هذا الاتجاه ، فاننا نجد الكثير منها .

مثال ذلك :

1) فى موضوع مسوغات الابتداء بالنكرة يرى ان كل ما دل على معنى العموم صالح للابتداء ، وخرج الآية القرآنية ، « ولعبد مؤمن خير » على هذا الاتجاه (55) .

قال ان المسوغ للابتداء فى الآية انما هو معنى العموم وخير خبر المبتدا « قال لانا قاطعون بأن المراد المفاضلة بين الجنسين لا افرادهما المخصوصة » .

واذا قرر ابن الحاجب ذلك لا يكتفي بمجرد سرد الفكرة ، وذكر الراي انما يحاول ان يدعمه بحجته المنطقية ، وادلته الفلسفية ما استطاع الى ذلك سبيلا وسبيله الى هذا سبيل الحوار والجدل يورد اسئلة يقتضيها المقام ، ثم يجيب عنها اجابة تكشف حقيقتها ، وتوضح غموضها وهذا من غير شك اثر من آثار الفلسفة والمنطق وهاك الدليل :

يقول : فان قلت — المسوغ هنا الصفة ، قلت لا يستقيم لانها انما تكون معتبرة فى الموضع الذي لا يراد فيه الجنس ، وتاتي هي مخصصة لذلك المفرد المقصود ، وهو مع ذلك ضعيف ، قليل استعماله ورب فكرة بلا صفة اخص مما لها صفة ، والذي اضعفه انه اذا صح جسم حي فى الدار لوجود التخصص بالصفة ينبغى ان يجوز ، رجل فى الدار لانه أخص منه بدرجات ثم قال — « فان قلت الدليل

---

49) الاقتراح ص 86 .
50) الاقتراح ص 86 .
51) روضات الجنان باب العين ص 8 — ع — ص .
52) نفس المصدر .
53) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .
54) المجلد الاول ج 2 ص 126 .
55) البقرة 221 .

على ان المخصص بالصفة انك لو قلت : ولعبد خير باسقاط الصفة لم يجز ، قلت هو مستقيم فى الاعراب، الا ترى انك اذا قلت — العالم قديم لكان كلاما مع انه كذلك (56)

اليس هذا الحوار فلسفة ؟ وماذا تكون الفلسفة اذا لم تكن هذه النظرات فلسفة ؟ والذي لا شك فيه ان الفاظ العموم ، والخصوص والاعم والاخص اصطلاحات اصولية تقوم عليها نظرات علم الاصول .

وطريقته فى الاستدلال من غير شك طريقة منطقية فهو يذكر القضية ويورد الاعتراضات عليها ، ثم يهدم هذه الاعتراضات اعتراضا اعتراضا ليخرج بالنتيجة التي قررها أولا .

2) القياس اصل من اصول الفلسفة وركن كبير من اركان الاصول كان ابن الحاجب يستخدمه فى كثير من آرائه النحوية ، فاذا ما خرج شيء عن القياس ، وشذ عنه فان هذا لا يقنع ابن الحاجب ، بل يحاول ان يبحث ويدقق حتى يجد له نظيرا فيلحقه به .

يقول فى كتاب الامالي فى مطلب ربه رجلا : الضمير فى قوله ، ربه رجلا ليس بنكرة وانما كان حكمه حكم النكرات باعتبار كونه مبهما اطلق عليه النكرة لذلك ، ولذلك لم يوصف لانه ضمير بلا خلاف ، والضمائر لا توصف ، ثم قال انه مفرد على كل حال لانه مضمر على خلاف القياس أتى به لغرض الابهام فوجب أن يكون مفردا قياسا على نعم .. انتهى (57) .

3) ونراه يعقب على الزمخشري تعقيبا فلسفيا منطقيا حينما قال — ممليا على قوله فى المفصل — المبني هو الذي سكون اخره وحركته لا بعامل — قال ابن الحاجب هذا الحد ليس بمستقيم لانه اتى فى الحد بواو العطف فان قصد الجمع لم يستقم اذ ليس شيء فيه سكون وحركة فى آخره وان قصد معنى أو كان فيه تزود لفظي فى استعماله الواو بمعنى او ، واستعماله لفظ أو فى الحد الواحد (58) .

4) وابن الحاجب له بصر بفلسفة الكلمات ، ولمس المعاني الخفية التي تتحملها والتي لا يبصرها كثير من الناس وذلك لان دقته فى الاصول كشفت له عن كثير من جوانب اللغة والمعاني التي ترمز اليها الكلمات فقد أملى بدمشق سنة أربع وعشرين وستمائة — على قوله فى المفصل فى حروف التخصص:

« ان قبل ان حروف التخصص اذا وقع بعدها الماضي فيستحيل فيها معنى الطلب لاستحالة طلب الفعل بعد مضي وقته وان لم يكن فيها معنى الطلب تعذر النصب بعدها بالفاء ، والجزم بغير فاء » .

وهذا اعتراض فى ظاهره وجيه ، لانه اعتراض واقعي ، فما دامت حروف التخصيص ليس فيها معنى الطلب لاستحالة طلب الفعل بعد مضي وقته ، فلا يصح حينئذ ان ينتصب بعدها الفعل أو يجزم بغير فاء .

ولكن ابن الحاجب تسعفه فلسفته فى هذا المقام فيجيب عن هذا الاعتراض بما يقنع به نفسك ، او يجعلها قريبة من الاقناع حينما يقول :

« فالجواب انها لا تنفك عن افادة معنى الطلب فى الوقت الذي كان صالحا له ، وانما اوقع بعدها الماضي تنبيها على ان المطلوب منه ذلك ، توته حتى انقضى وقته ، فصار كالتوبيخ واللوم على ترك المطلوب فباعتبار ما فيه من معنى الطلب المقدر فى وقته نصب جوابه بعد الفاء ، وجزم بغير فاء » ... انتهى (59) .

هذا الاتجاه الفلسفي أو الأصولي فى نحو ابن الحاجب ظاهر فى معظم آرائه وتوجيهاته النحوية ، مما يدل على ان الرجل كان بصريا فى اتجاهاته منطقيا فى آرائه فلسفيا فى تحقيقاته اصوليا فى تعبيراته وتخريجاته » .

2 — ابن الحاجب مع البصريين :

نحو البصرة كان النحو السائد لعلماء مصر والشام منذ الرحلات القديمة التي قام بها علماء مصر اذ ذاك امثال ابن ولاد ، وابن النحاس الى العراق ، والتزود من الدراسات النحوية فيه .

---

56) حاشية ياسين ج 1 ص 169 (الحبلي) .
57) الأمالي لابن الحاجب ص 63 من النسخة رقم 1034 نحو دار الكتب .
58) نفس المصدر .
59) الامالي لأبن الحاجب ص 67 مخطوط نسخة رقم 1034 نحو دار الكتب .

وكتاب سيبويه الذي حوى مسائل النحو البصري ، والذي احاط بكثير من اصولها وفروعها وعللها، واقيستها ، سار هذا الكتاب سير الشمس فى جميع الاقطار الاسلامية واشتغل الناس به درسا وتمحيصا وشرحا واختصارا .

ويحدثنا التاريخ انه ما من عالم مصري ، او شامي ذهب الى العراق الا وكان كتاب سيبويه هو غايته الاولى ، يدرسه على كبار الشيوخ ثم يعود الى مصر والشام لينشر هذا الكتاب بين الطلاب ، اما بشرحه كما فعل ابو جعفر المعروف بابن النحاس (60)

واما بنقده والانتصار له كما فعل احمد بن محمد ابن ولاد (61) ولم يكن الامر مقصورا على هذه الرحلات الى العراق فحسب ، فقد كان هناك كثير من علماء العراق يفدون الى مصر أو الشام ويطيب لهم فيها المقام ، ويتصدرون فى النحو على اصول كتاب سيبويه فابن بري قرأ العربية على مشايخ زمانه من المصريين والقادمين على مصر ، وحصل له من ذلك ما لم يحصل لغيره وانفرد بهذا الشأن ، وقصده الطلبة من الآفاق وكان عالما بكتاب سيبويه وعلله واكثر الرؤساء بمصر استفادوا منه واخذوا عنه (62) .

وعبد الله بن اسحاق الصيمري النحوي ابو محمد قدم مصر وحفظ عنه شيئا من اللغة وغيرها ، وصنف كتابا فى النحو سماه (التبصرة) .

وهذا الكتاب احسن فيه التعليل على مذهب البصريين (63) .

وعبد الرحمن بن اسحاق ، ويعرف بالزجاجي صاحب الجمل نزل بغداد ولزم الزجاج حتى برع فى النحو ، ثم سكن طبرية ، واملى وحدث بدمشق عن الزجاج ونفطويه وابن دريد ، والاخفش الصغير وغيرهم (64) .

وكتاب الجمل « هو كتاب المصريين والشاميين الى ان اشتغل الناس باللمع لابن جني ، والايضاح لابي علي الفارسي » (65) .

والجمل واللمع والايضاح منابع من معين كتاب سيبويه البصري . وعلي بن سليمان الاخفش الصغير الذي قد قرأ على المبرد ، زعيم المدرسة البصرية فيما بعد . قدم مصر سنة سبع وثمانين ومائتين وخرج الى حلب سنة ثلاثمائة وله شرح لسيبويه (66) .

هؤلاء العلماء الوافدون الى مصر من العراق ، وعلماء مصر الذين وفدوا الى العراق احدثوا فى مصر نهضة نحوية قوامها كتاب سيبويه ، وما اشتق منه من كتب وظل الامر كذلك حتى تسلم ابن الحاجب هذا التراث البصري الممثل فى كتاب سيبويه فحافظ عليه ، وعمل على نشره لانه الف فيه شرحا (67) .

لهذا لم يكن عجيبا ان يكون ابن الحاجب بصريا فى آرائه وميوله فى اقيسته وتعليلاته ، واثر سيبويه فى ابن الحاجب واضح وضوحا لا ينكر .

والامثلة التي تدل على تأثر ابن الحاجب بالبصريين كثيرة سجلتها مختلف الكتب النحوية واني اكتفي هنا بمثال واحد تتبين فيه حرارة الدفاع عنهم ، وعمق التأثر بهم ، نراه فى هذا المثال يعرض آراءهم ثم يترصد للنقد الذي وجه أو من الممكن أن يوجه اليهم فيهدمه بأدلة منطقية ليدعم مذهب البصريين .

قال فى « الأمالي » فى خبر ما ، ولا المشبهتين بليس » .

« واختلف الناس فى ــ لا ــ هذه ، فقال البصريون : هي المشبهة بليس لانها الحقت التاء المختصة بالافعال ، فلولا شبهها بالفعل لم تلحقها واذا كانت المشبهة بالفعل فهي التي بمعنى ليس .

وايضا ، فان المعنى على قولك ، ليس هذا الحين حين مناص ، وشبهه بما تقع فيه لات، وافترقوا

---

60) سيبويه امام النحاة على النجدي ص 188 .
61) نفس المصدر ص 188 .
62) انباه الرواة ج 2 ص 111 .
63) انباه الرواة ج 2 ص 123 .
64) البغية ص 297 .
65) الانباه ج 2 ص 161 .
66) البغية ص 338 .
67) دائرة المعارف الاسلامية م 1 ص 126 .

ما يلزمهم لقيام هذا الدليل ، والذي يلزمهم ان لا بمعنى ليس شاذ وجوابه انه شاذ ما لم تدخل التاء، فاذا دخلت فليس بشاذ ومنها ما يلزمهم من اضمار الاسم في الحرف ، لان المعنى عندهم ليس الحين حين مناص ، والحروف لا يضمر فيها .

وجوابه انه قد قوى شبهه بالفعل فأجرى مجراه في هذا المثال لكثرة الاستعمال مثله .

ومنها ما يلزمهم من الاضمار قبل الذكر ، لان المعنى ليس الحين حين مناص وجوابه : ان مثل هذا الاضمار جائز لقيام القرينة الحالية عليه ، واذا قامت القرينة على الاضمار كان بمثابة تقدم الذكر (68) .

3 — ابن الحاجب مع الكوفيين :

ومع هذا الدفاع الحار عن البصريين فانه لم يكن يسلم لهم في مسائل عديدة من مسائل هذا العلم ، لانه امام مجتهد يأخذ ما صح في منطقه ولا يكون معهم كالآلة التي لا ارادة لها ولا عقل .

وقد عرفنا ان من مميزات هذا الرجل ، صحة الذهن ، وقوة الفهم ، وحدة القريحة ومن اجل ذلك نراه يوافق الكوفيين في طائفة من المسائل النحوية اكتفى بذكر بعضها كدليل يسند ما اقول :

1) اللغة عند الكوفيين رواية ونقل ، لا قياس وعقل كما يدعي البصريون حيث يعتدون بالقياس والمنطق ، ولا يعتمدون على الرواية والنقل .

وابن الحاجب يؤمن بالاتجاه الكوفي في هذا المضمار لانه ذكر في اماليه في مسألة دخول الفاء في خبر ان ، واختلاف سيبويه والاخفش في هذا الدخول .

ذكر ان « الاحكام اللغوية لا تثبت بقياس ، وانما تثبت بالنقل ثم تعلل » (69) .

وعند ابن الحاجب « ان رفع الفاعل ونصب المفعول انما ثبتا بطريق الاستقراء (70) .

2) مذ ومنذ : مذ ومنذ يستعملان اسما في موضعين : احدهما ان يدخلا على اسم مرفوع لكرة ، وهما حينئذ مبتدآن ، وما بعدهما خبر عنهما واجب التاخير اجراء للرفع مجرى الجر ، وهو مذهب طائفة من الكوفيين واختاره ابن الحاجب (71) .

4 — المسائل التي انفرد بها ابن الحاجب :

عرفنا فيما سبق ان ابن الحاجب سار في ركب البصريين ، ثم خالفهم متبعا الكوفيين في بعض المسائل التي وضح فيها الحق بجانبهم .

فهل كان ابن الحاجب يدور حول هذين المذهبين فحسب ، يختار اقربهما الى نفسه ، واصحهما في عقله واقواهما في نقله . او انه خرج عن هذه الدائرة يلتمس الدليل من غير نظر الى هذا المذهب او ذاك » .

كل الادلة تؤيد هذا الاتجاه ، وتثبت ان ابن الحاجب كان اماما مجتهدا في النحو كما كان مجتهدا في الفقه .

ومعنى ذلك ان لابن الحاجب آراء انفرد بها ، وتوجيهات نحوية لم يسبقه احد فيها ، وقد اقر له بذلك كل من ترجموا له ، وكتبوا عنه فقد قالوا ، « وخالف النحاة في مواضع ، وأورد عليهم اشكالات والزامات تتعذر الاجابة عنها » (72) . وتقول دائرة المعارف الاسلامية : « وقد اشتهر في النحو على وجه خاص وهو في هذا الميدان يختلف عن اسلافه » (73).

فما هي اذن المسائل التي خالف فيها النحاة ، والتي انفرد بها وله توجيهات خاصة فيها ؟ ..

لا استطيع ان احصر هذه المسائل في هذا المجال الضيق الذي لا يتسع لها ، وانما اذكر بعضها كأمثلة تؤيد ما ذكرت .

---

68) امالي ابن الحاجب ص 106 .
69) الامالي : مخطوط رقم 1034 .
70) مدرسة الكوفة : المخزومي ط ثانية ص 412 .
71) شرح التصريح ج ص 20 (الحلبي)
72) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .
73) دائرة المعارف الاسلامية م 3 ص 126 .

1) **الاسمـــاء الستـــة :**

قال ابن الحاجب لهم فى اعراب هذه الاسمـــاء اقـوال :

فظاهر مذهب سيبويه ان لها اعرابين تقديـــري بالحركات ، ولفظي بالحروف .... ، وهو مذهب ضعيف لحصول الكفاية بأحد الاعرابين .

وقال الكوفيون : انها معربة بالحركات على ما قبل الحروف وبالحروف ايضا وهو ضعيف لمثل مـــا ضعف له ما تأول المصنف من كلام سيبويه .

ويرى ابن الحاجب : ان اللام فى اربعة منها وهي ابوك ، واخوك ، وحموك ، هونوك اعلام للمعانـــي المتناوبة كالحركات ، وكذا العين فى الباقيين منها اعنى فوك ، وذو مال ، فهي فى حال الرفع لام الكلمة او عينها ، وعلم العمدة وفى النصب والجر علم الفضلـــة ، والمضاف اليه فهي مع كونها بدلا من لام الكلمـــة وعينها حرف اعـــراب .

ويؤيد ابن الحاجب فى هذا الراي بقولـــه : ان دليل الاعراب لا يكون من نسخ الكلمة ، فهى بـــدل يفيد ما لم يفده البدل منه ، وهو الاعراب كالتاء فى بنت تفيد التانيث بخلاف الواو التي هي اصلها ، ولا يبقى ذو ، وفوك على حرف لقيام البدل مقام المبدل منه (74) .

2) **الحال من المضاف اليه :**

« لا يثبته ابن الحاجب واتباعه » (75) .

3) **الاستفهام المسوغ للابتداء عنده :**

« هو الهمزة المعادلة بأم مثل أرجل فى الدار أم امراة » (76) .

4) الاضافة لا تفيد الا تخفيفا ، وقد ايده فى هذا الراي ابن هشام فقال فى التوضيح : « والدليل علـــى انها اي اضافة الصفة لمفعولها تفيد تخصيصا ان اصل قولك : ضارب زيد ضارب زيدا ، فالاختصـــاص بالمفعول موجود قبل الاضافة فلم تحدث الاضافـــة تخصيصا .

قال فى التصريح : وفى ذلك رد على ابن مالك حيث رد على ابن الحاجب فى قوله ولا تفيد الا تخفيفا، فقال : بل تفيد ايضا التخصص فان ضارب زيد اخص من ضارب ، قال فى المعنى : وهذا سهو فان ضارب زيد اصله ضارب زيدا بالنصب وليس اصله ضاربـــا فقط فالتخصص حاصل بالمفعول قبـــل ان تأتـــي الاضافة (77) .

5) كل ما دل على هيئة صح ان يقع حالا نحو هذا بسرا اطيب منه رطبا .

قال شارحه الرضى : هذا رد على النحاة فان جمهورهم شرطوا اشتقاق الحال وان كان جامـــدا تكلفوا رده بالتاويل الى المشتق قالوا : لانهـــا فى المعنى صفة والصفة مشتقة ، او ما فى معنى المشتق فقالوا فى نحو : هذا بسرا اطيب منه رطبـــا هـــذا مبسـرا اطيب منه مرطبا ، اي كائنا بسـرا ، وكائنـــا رطبا » .وهذه ناقة الله لكم آية اي دالة (78) .

قال قال المصنف (ابن الحاجب) وهو الحق لا حاجة الى هذا التكليف لأن الحال هو المبين للهيئة كما ذكره فى حده ، وكل ما قام بهذه الفائدة فقد حصل فيه المطلوب من الحال ، فلا يتكلـــف تأويلـــه بالمشتق » . (79) .

6) **لـــو حـــرف امتنـــاع :**

انها تدل على امتناع الشيء لامتناع غيـــره ، واختلف فى المراد بذلك .

فقال ابن الحاجب فى اماليـــه :

« انها امتناع الاول اي الشرط للثاني اي لامتناع الجواب ، ووجهه بان انتفاء السبب لا يدل على انتفاء مسببه لجواز ان يكون ثم اسباب اخر .

---

74) الرضى على الكافية ج 1 ص 26 .
75) حاشية ياسين ج 1 ص 366 (الحلبي)
76) التصريح ج 1 ص 169 (الحلبي) .
77) شرح التصريح ج 2 ص 28 (الحلبي)
78) الاعـــراف : 73 .
79) الرضى على الكافية ج 1 ص 190 .

قال ويدل على هذا : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » فانها مسوقة لنفي التعدد في الآلهة بامتناع الفساد ، لا ان امتناع الفساد لامتناع الآلهة ، لانه خلاف المفهوم من مساق امثال هذه الآية ، ولانه لا يلزم من انتفاء الآلهة انتفاء الفساد لجواز وقوع ذلك وان لم يكن تعدد في الآلهة ، لان المراد به فساد نظام العالم عن حالته، وذلك جائز ان لا يفعله الا الله الواحد سبحانه « وتابعه على ذلك ابن الخباز » .

واستنكر ابن هشام في المغني مقالة ابن الحاجب ومن تبعه (81) .

5 — ابن الحاجب وابو علي الفارسي :

تطورت الدراسة النحوية في القرن الرابع الهجري على يد ابي علي الفارسي تطورا كبيرا ، وقد عمل على هذا التطور تلك المناظرات التي كان يعقدها سيف الدولة الحمداني بين كبار النحويين فضلا عن المحاورات والمناقشات التي كانت تدور بين النحويين في مناسبات مختلفة .

فقد كانت هناك مناقشة بين ابي علي الفارسي وبين ابي سعيد السيرافي ، ولقد قارن التوحيدي بين هذين النحويين الكبيرين ، وكان تحيزه لشيخه الفارسي ظاهرا (82) . وكانت هناك ايضا خصومة عنيفة بين ابي علي ، وبين ابن خالويه تلميذ ابي سعيد السيرافي » .

وان الباحث في هذه المناقشات التي بين هؤلاء العلماء يرى انها قدمت للنحو ثروة كبيرة ، لانها اذكت نار البحث والنقد « وجعلت علماء العالم ينقسمون الى قسمين فقسم يميل الى القياس والتعليل والتعمق ، وتعقيد القواعد في النحو والصرف ، وعلى راس هذا القسم ابو علي الفارسي ، وتلميذه ابن جني ، وقسم يميل الى ترك النحو ممزوجا بالادب والشعر والرواية بعيدا عن حقائق المنطق والتعليلات والتقسيمات وعلى راس هؤلاء ابو سعيد ، وتلميذه ابن خالويه » (83) .

وعلى الرغم من ان ابا علي او بالاحرى مدرسة ابي علي كانت تتميز بالمنطق واقيسته فانها لم تتعمق فيه الى حد المغالاة كما كان الحال عند الرماني الذي غالى في اقيسته المنطقية حتى قال فيه ابو علي : ان كان النحو ما يقوله الرماني هو النحو فليس معناه منه شيء ، وان كان ما نقوله نحن ، فليس معه منه شيء (84) . ولهذا السبب ظلت مدرسة ابي علي خالدة لتفوقها في النحو واقيسته ، تلك الاقيسة التي كانت تبتعد عن التعمق والمغالاة .

وهذه المدرسة قامت علّى اصول مدرسة البصرة وقواعدها فطابع البصرية فيها واضح وضوحا لا ينكر ، والدليل على ذلك انه في كتابه الايضاح لا يرى التعجب من السواد والبياض مباشرة ، والكوفيون يرونه (85) .

ويجوز في باب كان عنده ان يتقدم الخبر على الاسم (86) .

واذا كان ابو علي الفارسي صاحب مدرسة في النحو لمع نجمها في القرن الرابع الهجري ، وظلت قبسا مضيئا للنحاة المتأخرين فهل اخذ ابن الحاجب هذا القبس ؟ وهل تاثر بهذه المدرسة ؟

ذكر الرواة ان كتاب « الجمل » للزجاجي وهو كتاب المصريين واهل المغرب واهل الحجاز واليمن والشام الى ان اشتغل الناس باللمع لابن جني والايضاح لابي على الفارسي (87) .

ومعنى هذا الكلام ان كتاب الجمل كان مدرسة قائمة بذاتها في النحو الى ان ظهر كتاب الايضاح للفارسي واللمع لابن جني فاشتغل الناس بهما وكانا

---

80) الانبـاه : 22
81) اللمع ج 2 ص 64 .
82) معجم الادباء ج 6 ص 253 .
83) مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلد 25 من مقال ابى الفتح ابن جني لاسعد اطلس .
84) البغيـة ص 344 .
85) أبو علي الفارسي د. شلبي ص 532 .
86) أبو علي الفارسي د . شلبي ص 532 .
87) الانباه ج 2 ترجمة الزجاجي ص 165 .

كمدرسة خلفت مدرسة « الجمل » وقد دوى صوت هذه المدرسة فى العراق والشام ومصر .

ومن المصريين الذين عنوا بالايضاح ابن بري المصري (88) .

ومن العلماء المصريين الذين اهتموا بالايضاح ايضا فى القرن السابع الهجري ابن الحاجب فقد درسه وشرحه (89) .

من هذه النصوص التي ذكرتها نستطيع ان ندرك مدى قيمة نحو الفارسي الممثل فى كتاب الايضاح فى الدراسات النحوية . ونستطيع ان نلمح ايضا اثر الفارسي فى ابن الحاجب ، فدراسته لكتاب الايضاح وشرحه له يبين لنا أثر الفارسي فى ابن الحاجب .

والدارس لكتاب الكافية يرى انها سارت على نسق ترتيب أبي على فى الايضاح وذلك لان الزمخشري فى كتاب المفصل نظر الى ترتيب ابي علي فى كتاب الايضاح حيث جعل كتابه مقسوما على اربعة اقسام: اسماء وافعال وحروف ومشترك بين احوالها (90) .

وقد قال النحاة عن كافية ابن الحاجب : انها تلخيص للمفصل وحقيقة الامر ان ابن الحاجب كان متأثرا فى كافيته بالايضاح وبالمفصل معا .

امثلة توضح اثر الفارسي فى ابن الحاجب :

1) « اذا كان الخبر ظرفا ، او جارا أو مجرورا رجح ابن الحاجب تبعا للزمخشري والفارسي تقدير الفعل ، لانه الاصل فى العمل ولتعينه فى الصلة »(91)

2) اختلف النحاة فى الحاق تاء التانيث بالفعل فى جمعي التصحيح المذكور والمؤنث — فسيبويه وجمهور البصريين يوجبون التذكير فى الفعل فى نحو قام الزيدون والتانيث فى الفعل فى نحو قامت المدمرات، خلافا للكوفيين فيهما ، فانهم اجازوا فى الفعل مع كل من جمعي التصحيح التذكير والتأنيث .

وخلافا للفارسي من البصريين فى جمع تصحيح المؤنث ، فانه انفرد عن اصحابه بجواز الامرين ووافق اصحابه فى وجوب تذكير الفعل مع تصحيح المذكر قال ياسين فى حاشيته : ان ابن الحاجب مشى على مذهب الفارسي (92) .

3) وتختص الواو بجواز عطفها عاملا قد حذف ، وبقي معموله مرفوعا كان نحو اسكن انت وزوجك الجنة (93) أو منصوبا نحو : والذين تبؤوا الدار والايمان (94) . أو مجرور نحو : ما كل سوداء ثمرة، ولا بيضاء شحمة ، وانما لم يحصل العطف فيهن على الموجود فى الكلام بدون حذف لئلا يلزم فى الاول رفع فعل الامر للاسم الظاهر وفى الثاني كون الايمان متبوأ وانما يتبوأ المنزل ، وفى الثالث العطف على معمولي عاملين مختلفين ، وذلك لا يجوز عند سيبويه والاكثرين .

وقيل يجوز مطلقا حكاه الفارسي وابن الحاجب عن الفراء (95) .

4) الضمير اذا اتصل برب مثل ربه فتى أو ربه رجلا .

ذهب جماعة كابن عصفور والزمخشري ان الضمير نكرة عائدة على واجب التفكير وقال جماعة كالفارسي معرفة جار مجرى الفكرة (96)

وابن الحاجب يقر فى اماليه فى مطلب «ربه رجلا» ان الضمير فى قوله : ربه رجلا ليس بنكرة ، وانما كان حكمه حكم النكرات باعتبار كونه مبهما اطلق عليه

---

88) سيبويه امام النحاة ص 187 .
89) كشف الظنون مجلد 1 نهر 212 .
90) شرح المفصل للزمخشري : ابن يعيش ج 1 ص 17 ط المنيرية .
91) الجمع ج 1 ص 98 — 99 .
92) التصريح والحاشية ج 1 ص 280 .
93) البقرة : 35 .
94) الحشر : 9
95) التصريح ج 2 ص 154 .
96) حاشية الصبان على الاشموني ج 2 ص 207 (الحلبي) .

النكرة ، ولذلك لم يوصف ، لانه ضمير بلا خـــلاف والضمائر لا توصف (97) واذا قارنا بين قول ابي علي وبين قول ابن الحاجب فى هذا الضمير لرأينا الفكرة واحدة .

هذه أمثلة تدل على ان ابن الحاجب كان يميل أحيانا الى آراء ابي علي فى كثير من المسائل النحوية ؛ وليس فى هذا الميل نقصان لشخصية ابن الحاجب فأبو علي امام مجتهد فى النحو تطور النحو على يديه بما وضع من مقاييس وتعليلات وكانت له نزعة بصرية توجهه وجهتهم فى كثير من المسائل النحوية ، فلا حرج اذن على ابن الحاجب المنطقي الذي يؤمن بالقياس والعلة، والبرهان والجدل — شأنه شأن البصريين .. لا حرج عليه ان يتأثر بأبي على فى بعض المسائل النحويـــة ، لانه يشبهه الى حد كبير فى نزعته الى القياس وميله الى المنطق .

على ان تبعية ابن الحاجب للفارسي ليســـت تبعية عمياء ، وانما التبعية التي يتضح فيها الدليل ، ويستقيم المنطق ، وتتبين فيها الحجة ولا ادل على ذلك من ان ابن الحاجب خالف ابا علي فى بعـــض المسائل ، خالفه لانه لم ير فى رايه القوة التي تحمله على التبعية .

ومن غير شك ، ان هذه المخالفة ان دلت على شيء فانما تدل على شخصية ابن الحاجب النحويـــة تلك الشخصية التي لا تتقبل رأيا الا بعد تمحيـــص وتدقيق وبحث ومناقشة ، لا تتقبل رأيا الا بعــد ان تسلط عليه أضواء عقلها ، واشعة فكرها لتتبين وجه الحق فيه ، فاذا ما صح هذا الراي فى نظره أخذه من غير مبالاة ايا كان مصدره وايا كان منبعه بصريا أو كوفيا أو بغداديا .

واذا لم يصح فى رايه رفضه ، ومع الرفـــض الاسباب المنطقية التي دعته الى الرفض اذن فابن الحاجب لا يتقيد بمذهب معين ولا بتوجيه معين ، لا يتعصب للبصريين أو للكوفيين من غير نظر وروية ، لا يؤمن بقداسة كبار النحاة ولا بالآراء التي تصـــدر عنهم فكما تقدمت رأينا كيف ناقش البصريين ، ورفض بعض مسائلهم ، كما انه ناقش الكوفيين ، وهدم بعض نظرياتهم حتى سيبويه امام النحو واستاذه وضـــع آراءه على المشرحة فما صح أخذه وما لم يصح رفضه، وقد تقدمت امثلة تؤيد هذا الذي قلت . ولا استطيع فى هذا المجال الضيق ان اعدد المآخذ التي اخذها ابن الحاجب على ابى علي ، الا اني اكتفي بسرد بعضها كدليل على ان ابن الحاجب كان شخصية مستقلة ، تؤمن بالاستقلال الى حد كبير .

قال الاشموني شارحا قول ابن مالك فى الممنوع من الصرف .

وكن لجمع مشبه مفاعـــلا او المفاعيل بمنع كافلا

يعني انه مما يمنع من الصرف الجمع المشبه مفاعل او مفاعيل ، اي فى كون أوله مفتوحا ، وثالثها الفا غير عوض ، يليها كسر غير عارض ملفـــوظ او مقدر على اول حرفيه بعدها ، او ثلاثة اوسطها ساكن غير مستوي به وبما بعده الانفصال ، فان الجمع متى كان بهذه الصفة كان فيه فرعية اللفظ بخروجه عن صيغ الآحاد العربية وفرعية المعنى بالدلالـــة علـــى الجمعية فاستحق منع الصرف .

ثم قال فى التنبيهات : اتفقوا على ان احــــدى العلتين هي الجمع واختلفوا فى العلة الثانية .

فقال ابو علي : هي خروجه عن صيغ الآحـــاد، وهذا الراي هو الراجح .

وقال قوم : العلة الثانية تكرار الجمع تحقيقا او تقديرا فالتحقيق نحو : اكالب ، واراهط ، اذ هما جمع اكلب وارهط والتقديري نحو مساجد ومنابر فانه وان كان جمعا فى اول وهلة لكنه بزنة ذلك المكـــرر اعني اكالب واراهط فكأنه ايضا جمع جمع ، وهـــذا اختيار ابن الحاجب ، واستضعف تعليل ابي على بأن افعالا وافعلا نحو افراس وافلس جمعان ، ولا نظير لهما فى الآحاد ، وهما مصروفان (98) .

1) الزمخشـــري وابن الحاجب :

كان ابن مالك يقول عن ابن الحاجب : انه اخذ نحوه من صاحب المفصل وصاحب المفصل نحـــوي صغير (99) .

---

97) الامالي ص 63 (مخطوط 1034) نحو دار الكتب .
98) الاشمونـــي ج 3 ص 243 .
99) البغيـــة ص 55 .

ومعنى هذه العبارة ان ابن الحاجب تلميذ للزمخشري تأثر به وسار على نهجه وردد آراءه ودافع عنها ، وليس له فكر مستقل يستعمله في العويص من المشكلات النحوية وبعبارة اخرى ، ليس ابن الحاجب اماما مجتهدا في النحو ، يأخذ ما يمليه عليه غيره من غير نظر او بحث .

وحقيقة الامر انه ان صح ما قاله ابن مالك ، فان هذا تقليل من مكانة الرجل من غير دليل ؛ وتضعيف لشخصيته من غير حجة .

والحقيقة التي لا شك فيها ان ابن الحاجب كما قلت اكثر من مرة — له شخصيته المستقلة في توجيهاته وفي آرائه وهو وان تأثر بالبصريين او بأبي علي في بعض المواطن فهو التأثر الذيلايذيب شخصيته ولا يفني تفكيره ولا يميت عقله .

والدليل الاوضح على ان ابن الحاجب لم يكن نسخة طبق الاصل من الزمخشري يردد آراءه ويتعبد بأقواله ، ويأخذ بوجهة نظره كما ادعى ابن مالك هو املاؤه على المفصل للزمخشري ؛ ونقده له في كثير من المسائل وفي كتاب : الامالي : جعل قسما خاصا لاملائه على المفصل ناقدا وموجها ، شارحا وممحصا مما يدل على ان ابن الحاجب صاحب قريحة وقادة من الصعب عليها ان تسير في ركب اي اتجاه نحوي من غير ان تبصر الهدف وتتعرف على الطريق .

1) قال رضي الله عنه ممليا على قوله تعالى وامسحوا برءوسكم وارجلكم (100) من قرا بالخفض عطفا على قوله برءوسكم ، والمراد اغسلوا ارجلكم وليس الخفض على المجاورة وانما على الاستغناء بأحد الفعلين عن الآخر .

والعرب اذا اجتمع فعلان متقاربان في المعنى ولكل واحد متعلق جوزت ذكر احد الفعلين وعطف متعلق المحذوف على المذكور على حسب ما يقتضيه لفظه حتى كأنه شريكه في اصل الفعل اجراء لاحد المتقاربين مجرى الآخر كقولهم تقلدت بالسيف والرمح ، وعلفتها بالتبن والماء .

وقال الامام الزمخشري — انه مخفوض على الجوار ، وليس بجيد اذ لم يات الخفض على الجوار في القرآن الكريم ، ولا في الكلام الفصيح ، وانما هو شاذ في كلام من لا يؤبه له من العرب فلتحمل الآية على ما ذكر (101) .

وهذا الرد من ابن الحاجب ينبهنا الى أمر آخر خالف فيه الزمخشري كل المخالفة وذلك لان الزمخشري كان يؤيد مذهب أبي علي في القياس ؛ فقد كان يرى الاحتجاج بأقوال المولدين ، والقياس عليها (102) .

اما ابن الحاجب فلم يتبع هذا ولا ذاك ، بل يقرر ان الاستشهاد النحوي يبحث عنه في القرآن الكريم، ثم في الكلام الفصيح ، اما ما عدا ذلك فهو كلام من لا يؤبه له من العرب ممن لا يصح في مذهبه ان يستشهد بقوله او يؤخذ بكلامه .

2) تعقيبه على الزمخشري حينما قال : المبني هو الذي سكون آخره وحركته لا بعامل ... تقدم ذكر ذلك ص 18 ، من البحث .

وليس معنى مخالفة ابن الحاجب للزمخشري انه كان متعصبا ضده ينتقده في كل راي ويهدمه في كل فكرة ، لا .. لم يكن هذا من شيمة ابن الحاجب لانه كان رائده الحق ، والحق وحده ؛ انى وجده اخذه بغض النظر عن مصدره ومنبعه .

لهذا فقد وافق الزمخشري في بعض المسائل التي وضح فيها الدليل وليس معنى هذه الموافقة انه اخذ نحوه منه ، لان ابن الحاجب لا يوافق على رأي الا بعد مناقشة وبحث ، موافقة مصدرها الاجتهاد والعمق لا الاتباع والتقليد .

فمن المسائل التي وافق فيها ابن الحاجب الزمخشري :

1) السموات : قوله تعالى : خلق الله السموات (103) مفعول مطلق لبيان النوع عند الزمخشري وابن الحاجب .

---

100) المائدة : 6

101) الامالي : ص 55 .

102) من اسرار اللغة . الدكتور ابراهيم أنيس ص 20 .

103) العنكبوت : 29

وذلك كما يقول ابن هشام فى المغني : ان المفعول به ما كان موجودا قبل الفعل الذي عمل فيه ، ثم اوقع الفاعل به فعلا .

والمفعول المطلق ما كان الفعل العامل فيه هو فعل ايجاده ، وان كان ذاتا لان الله سبحانه موجد للافعال وللذوات جميعا (104) .

2) وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم (105) .

الزمخشري مثل بالآية لتقدم الخبر . قال ابن الحاجب : كون سواء خبرا مقدما هو الصحيح ، وقول الأكثر (106) .

3) جميع الاوزان من غير الثلاثة اسم فاعل مطلقا عند ابن الحاجب والزمخشري لان الصفة المشبهة عندهم لا تكون مجارية للمضارع وان لم يقصد بها الحدوث (107) .

7 ـ ابن الحاجب والقراءات :

القرآن الكريم افضل ما يحتج به فى تقرير اصول اللغة ، فانه نزل بلسان عربي مبين .

ولا يمتري احد فى انه بلغ من الفصاحة وحسن البيان الذروة التي ليس بعدها مرتقى ، فيجب ان نأخذ بالقياس على ما ورد عليه ، كلمة ، وآياته من احكام لفظية (108) .

وقال الرازي فى تفسيره عند قوله تعالى : «تساءلون به والارحام»، اذا جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول ، فجواز اثباتها بالقرآن العظيم اولى وكثيرا ما نرى النحويين متحيرين فى تقرير الالفاظ الواردة فى القرآن الكريم فاذا استشهدوا فى تقريرها ببيت مجهول فرحوا به ، وانا شديد التعجب منهم فانهم اذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلا على صحتها فلأن يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحتها كان اولى (109) .

وابن الحاجب لم يكن كما كان غيره من النحاة البصريين ينظرون الى القراءات نظرة الريبة والشك، بل كان يؤمن بتواتر القراءات السبع وان الاستشهاد بها احرى من الاستشهاد بغيرها واقوى . وقد قلت سابقا : انه رد الخفض على الجوار وبين انه غير جيد اذ لم يات فى القرآن الكريم بقراءاته المشهورة ، ثم الكلام الفصيح قال ابن الحاجب فى مختصر المنتهى : ان القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبل الاداء، كالمد والامالة وتخفيف الهمزة ونحوها (111) .

ومع هذا لم يسلم ابن الحاجب من النقد فى قوله: « ان المد والامالة وتخفيف الهمزة ، ونحوه غير متواتر » .

فقد تعرض له ابن الجزري بقوله : ليت شعري من الذي تقدم ابن الحاجب بهذا القول فنقص أثره ؟ فلو فكر الشيخ فيما قاله لما اقدم عليه ، وليتالامام ابن الحاجب أخلى كتابه من ذكر القراءات واثرها كما اخفى غيره كتبهم منها ، بل ليته سكت عن التمثيل (112) .

هذا واذا قارنا بين ما قاله ابن الحاجب عن القراءات وتواترها بما قاله الزمخشري عنها لوجدنا ان ابن الحاجب يختلف تمام الاختلاف عن الزمخشري فالقراءات عند الزمخشري غير متواترة وينبني على هذا ان الزمخشري يسقط القراءات من حسابه فيسقط أصلا من أصول الاستشهادفى اللغة كبيرا .

---

104) التصريح ج 1 ص 80 .
105) البقرة : 6 .
106) حاشية ياسين ج 1 ص 155 .
107) حاشية ياسين ج 2 ص 78 . طر الحلبي
108) القراءات واللهجات عبد الوهاب حموده ص 129 .
109) نفس المصدر ص 130 .
110) الامالي ص 130 .
111) مختصر المنتهى الاصولي ص 49 مطبعة كردستان العلمية .
112) القراءات واللهجات ص 70 .

قال الزمخشري فى تفسيره « الكشاف » عند تعرضه لتفسير الآية القرآنية « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم » : واما قراءة ابن عامر : قتل أولادهم شركائهم ، برفع القتل ، ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان فى مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا ، فكيفبه فى الكلام المنشور ، فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته .

والذي حمله على ذلك انه راى فى بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ، ولو قرا بجر الاولاد والشركاء ، لان الاولاد شركاؤهم فى اموالهم لوجد فى ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب (113) .

قال أبو حيان معقبا على الزمخشري فى تفسيره (البحر) :

« وقرا ابن عامر كذلك الا انه نصب اولادهم وجر شركائهم ، فصل بين المصدر المضاف الى الفاعل بالمفعول وهي مسألة مختلف فيجوازها فجمهور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتأخروهم ، ولا يجيزون ذلك الا فى ضرورة الشعر .

وبعض النحويين اجازها ، وهو الصحيح لوجودها فى هذه القراءة المتواترة المنسوبة الى العربي الصحيح المحض ابن عامر ، الآخذ بالقرآن على عثمان بن عفان قبل ان يظهر اللحن فى لسان العرب (114) .

ثم قال أبو حيان موجها نقده اللاذع للزمخشري حيث رد قراءة ابن عامر : « واعجب لعجمي ضعيف فى النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها فى لسان العرب فى غير ما بيت ، واعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الائمة الذين تخيرتهم هذه الامة لنقل كتاب الله شرقا وغربا ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم (115) .

ومن هنا نعرف لابن الحاجب قدره فهو لم يكن كالزمخشري يجري وراءه ويقتفي اثره فى كل ما يقول ابن مالك : اخذ نحوه عن صاحب المفصل . وصاحب المفصل نحوي صغير .

هذه خطوط عريضة لاتجاهات ابن الحاجب النحوية ، فهو بصري ان صح له دليل البصريين، وهو كوفي ان وضحت له حجة الكوفيين وهو متأثر بأبي علي اذا كان رايه مؤيدا بالمنطق ويتبع الزمخشري اذا كان دليله مدعما بالبرهان .

ورجل شأنه هكذا لابد ان يكون مستقلا فى آرائه وتوجيهاته ، بعيدا عن التعصب ونزعات الهوى ، قريبا من الحق انى وجده ، تحيط بآرائه ادلته كما يحيط السوار بالمعصم يستشهد بالقرآن الكريم ، وبالقراءات المتواترة ، وبالكلام العربي الفصيح ، يستخدم القياس وقضايا المنطق فى مسائل النحو ، وينظر الى العلة نظرة التقديس والاجلال .

---

113) الكشاف : الزمخشري ج 2 ص 70 ط ثانية (مطبعة دار الاستقامة)
114) البحر المحيط : ج 4 ص 229
115) البحر المحيط : ج 4 ص 230 .

مــراجـــع البحـــث

1) الاشباه والنظائر فى النحو : السيوطي : الطبعة الثانية : حيدراباد .
2) الاقتراح : السيوطي : مطبعة دار المعارف النظامية : حيدر أباد .
3) الامالي : ابن الحاجب مخطوط رقم 1007 نحو — دار الكتب المصرية .
4) انباه الرواة : جمال الدين على بن يوسف القفطي : تحقيق الاستاذ أبي الفضل. مطبعة دار الكتب .
5) البحر المحيط : اثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان : مطبعة السعادة.
6) البداية والنهاية : أبو الفداء عماد الدين اسماعيل .
7) البغية : السيوطي : مطبعة السعادة (الطبعة الاولى) .
8) تاريخ سوريا : يوسف الياس مطران : مطبعة بيروت 1952 .
9) حاشية الصبان على الاشموني : محمد بن علي الصبان : مطبعة الحلبي .
10) حاشية ياسين على التصريح : ياسين بن زين الدين العليمي : مطبعة الحلبي.
11) الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية : الدكتور أحمد احمد بدوي : مطبعة نهضة مصـــــر .
12) خطط الشام : محمد كرد علي : المطبعة الحديثة بدمشق 1925 .
13) دائرة المعارف الاسلامية .
14) روضات الجنات فى احوال العلماء والسادات : محمد باقر بن زين العابدين .
15) سيبويه امام النحاة : الاستاذ علي النجدي : مطبعة لجنة البيان العربي .
16) شذرات الذهب : ابن العمـــاد .
17) شرح التصريح : الشيخ خالد بن عبد الله الازهري — مطبعة الحلبي .
18) شرح الرضى على الكافية : محمد بن حسن الرضى : مطبعة مجمع الرضى 1275 هـ .
19) الطالع السعيد : الادفوي : كمال الدين أبو الفضل : مطبعة الجمالية بمصر .
20) الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عهده . دكتور جمال الدين سرور — دار الفكر العربـــي .
21) أبو علي الفارسي : دكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي : مطبعة نهضة مصر .
22) غاية النهاية : ابن الجزري : مطبعة السعادة .
23) القراءات واللهجات : الاستاذ عبد الوهاب حموده : مطبعة السعادة .
24) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل — الزمخشري : مطبعة دار الاستقامة
25) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : وكالة المعارف باستانبول .
26) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .
27) مختصر المنتهى الاصولي : ابن الحاجب : مطبعة كردستان .
28) مدرسة الكوفة : الدكتور مهدي المخزومي : مطبعة الحلبي .
29) معجم الادباء : ياقوت بن عبد الله الحموي : مطبعة الحلبي .
30) من أسرار اللغة : الدكتور ابراهيم انيس : مطبعة لجنة البيان العربي .
31) النجوم الزاهرة : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغزي بردي — مطبعة دار الكتب المصرية .
32) النشر فى القراءات العشر : ابن الجزري : مطبعة التوفيق بدمشق .
33) همع الهوامع جمع الجوامع : السيوطي : مطبعة السعادة .
34) وفيات الاعيان : ابن خلكان : تحقيق الاستاذ محمد محي الدين — مطبعـــة السعــــادة .

علم الحركة في الفلسفة العربية مفاهيمه وألفاظه

الدكتور جلال شوقي - جامعة القاهرة -

درس العرب حركة الأجسام ضمن نطاق « الطبيعيات » ، فحددوا مفاهيمها وعناصرها ، ووضعوا لها التقسيمات المختلفة ، واستعملوا فى كتاباتهم لفاظا معينة منها الفاظ « المبدأ » و « الميل » و « الاعتماد » و « قوة الحركة » و « اعتماد المتحرك» وذلك للدلالة على معان شتى . ويهم الباحث فى الفلسفة العربية أن يقف تماما على المعاني التي وردت فيها هذه الألفاظ حتى يتسنى له الوقوف على ما توصل اليه العرب فى مجال علم الحركة ، ويقدم هذا البحث عرضا شاملا وتحليلا دقيقا لمفهوم الحركة والفاظها كما جاءت فى كتب الفلسفة والحكمة العربية.

1 ــ الطبيعيات وعلم الحركة

تعرض العرب بالدراسة لحركة الأجسام فى كتب الفلسفة لا سيما فى قسمي «الطبيعيات» و « الالهيات» ونبين فيما يلي بعض كتابات العلماء والفلاسفة العرب التي تدل على نسبتهم لعلم الحركة لقسم «الطبيعيات».

يقول اخوان الصفا (1) فى رسالتهم الخامسة عشرة (2) :

« والامور الطبيعية هي الأجسام وما يعرض لها من الأغراض اللازمة والمزايلة ، وقد عملنا فى هذه العلوم سبع رسائل ، أولها هذه الرسالة التي ذكرنا فيها الهيولي والصورة والحركة والمكان والزمان ، اذ كانت هذه الأشياء الخمسة محتوية على كل جسم » .

ويستطرد اخوان الصفا فى رسالتهم فيعرفون كلا من هذه الاشياء على النحو التالي :

« اعلم وفقك الله أن معنى قول الحكماء « الهيولي » انما يعنون به كل جوهر قابل للصورة ، وقولهم « الصورة » يعنون به كل شكل ونقش يقبله الجوهر . واعلم ان اختلاف الموجودات انما هو بالصورة لا بالهيولي ... » .

« أما المكان عند الجمهور فهو الوعاء الذي يكون فيه المتمكن » .

« واما الحركة التي تسمى النقلة فهي عند جمهور الناس الخروج من مكان الى مكان آخر ... »

« ثم اعلم انه لا تنفصل حركة عن حركة الا بسكون بينهما ، وهذا يعرفه ولا يشك فيه أهل صناعة الموسيقى ، وذلك ان صناعتهم معرفة تأليف النغم ، والنغم لا يكون الا بالأصوات والأصوات لا تحدث الا من تصادم الأجسام ، وتصادم الأجسام لا يكون الا بالحركات ، والحركات لا تنفصل بعضها عن بعض الا بسكونات تكون بينها » .

---

1) من علماء وفلاسفة القرن العاشر الميلادي .

2) هي نفسها الرسالة الاولى فى الجسمانيات الطبيعيات .

اما الزمان عند جمهور الناس فهو مرور السنين والأيام والساعات » .

ويقول اخوان الصفا أيضا في رسالتهم السادسة عشـــرة (3) :

« والحركات ستة أنواع ، احدها النقلة وهي نوعان دورية ومستقيمة ... واتم الحركات الدورية كما بينا في رسالة الحركات » .

ويعود اخوان الصفا مرة ثانية الى تأكيد مفاهيمهم للأمور الطبيعية فيورد في رسالتهـــم الرابعـــة والعشرين (4) ما نصه :

« بيان ذلك ان الجسم بالسكون أولى من الحركة هو ان الجسم ذو جهات ست ، ولا يمكنه أن يتحرك الى جميع الجهات دفعة واحدة ، وليست حركته الى جهة أولى من جهة ، فاذا السكون اولى به مـــن الحركة » .

ويقول اخوان الصفا في الرسالة الثامنة مـــن القسم الرياضي في فصل ان الجسم لا يتحرك من ذاته:

« والجسم من حيث الجسمية ليس بمتحرك ، والانفعال لا تكون الا بالحركة ، فالمحرك للاجســـام جوهر آخر ... » .

ويعرف الامام محمد ابو حامد الغزالـــي (5) الطبيعيات في كتابه « معيار العلم » (6) فيقول :

« ولكل علم موضوع ...

وموضوع العلم الملقب بالطبيعي : جسم العالم من جهة ما يتحرك ويسكن » .

ويقول أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكـــا البغدادي (7) في كتابه « المعتبر في الحكمة » (8) :

« ... فعلى هذا يسهل طريق التعليم الحكمـــي الذي يكون بالنظر والاستدلال ، وهذا القانون بعينه يستعمل في هذا العلم المسمى بالعلم الطبيعـــي المنسوب الى الطبيعة ، وهو المشتمل على العلـــم بساير المحسوسات من الحركـــات والمتحركـــات والمحركات وما مع الحركات وبالحركات والمتحركات وفي المتحركات من الآثار المحسوسة » .

ويمضي ابن ملكا في الورقة الخامسة من نفس المخطوط يقول :

« ... وقوم سموا بالطبيعة كل قوة جسمانية ، اعني كل مبدأ فعل يصدر عن الاجسام مما وجـــوده فيها ، فتكون الأمور الطبيعية هي الأمور المنسوبة الى هذه القوة ، اما على أنها موضوعات لها ولما يصدر عنها كالأجسام ، فيقال اجسام طبيعية ، واما آثار وحركات وهيئات صادرة عنها كالألوان والأشكال .

والعلوم الطبيعية هي العلوم الناظرة في هـــذه الأمور الطبيعية ، فهي الناظرة في كل متحرك وساكن وما عنه ، وما به ، وما منه ، وما اليه ، وما فيـــه الحركة والسكون .

والطبيعيات هي الأشياء الواقعة تحت الحواس من الأجسام واحوالها ، وما يصدر عنها من حركاتهـــا وانفعالها ، وما يفعل ذلك فيها من قوى وذوات غير محسوسة ، فالعلم يتعرض لأظهرها فاظهرها أولا ، ويترقى منه الى الأخفى فالأخفى ... » .

2 ــ عناصــــر الحركـــة واقسامهـــا :

تعرض العلماء والفلاسفة العرب بتفصيل عظيم لحركة الأجسام ، فاسهبوا في الكتابة عن مفهـــوم الحركة وعناصرها وارتباطها بالزمان ، كما قسموها الى انتقالية ودورانية ، كذا الى طبيعية وقسرية ، ونورد فيما يلي نماذج من كتاباتهم في هذا المجال .

اولا : عناصـــــر الحركـــــة :

يحدد الشيخ الرئيس ابن سينا (9) في كتابـــه

---

3) هي الرسالة الثانية من الجسمانيات الطبيعيات.
4) هي الرسالة العاشرة من الجسمانيات الطبيعيات .
5) عاش في الفترة من سنة 1059 حتى 1111 م (451 ــ 505 هـ) .
6) كتاب القياس ــ النظر الرابع في لواحق القياس ــ طبعة دار المعارف بالقاهرة صفحة 251 .
7) توفي عام 1151 م (547) هـ .
8) مخطوط مكتبة احمد الثالث باستانبول رقم 3222 ــ المجلد الثاني ــ الفصل الأول ــ الورقة 3 .
9) عاش في الفترة من عام 980 م حتى عام 1037 م (370 ــ 428 هـ) .

« الشفاء » (10) الأمور المتعلقة بالحركة بكونها ستة أمور ، فيقـــول :

« المتحرك ، والمحرك ، وما فيه ، وما منه ، وما اليه ، والزمان » .

بالمتحرك يقصد الشيخ الرئيس الجسم الذي به الحركة ، وبالمحرك القوة المسببة للحركة ، وبقوله ما فيه يقصد المكان والوضع ، وما منه وما اليــــه مواضع الابتداء والانتهاء ، أي طرفي مسافة الانتقال وتتضمن اتجاه الحركة ، اما الزمان فالقصد منه الفترة الزمنية التي تتم فيها الحركة بقطع مسافة الانتقال ، وارتباط الزمان بالمسافة يحدد سرعة الحركة .

ويقول ابو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي فى كتابه « المعتبر فى الحكمة » (11) .

« فاتصال الزمان لازم لاتصال الحركة ، ووحدة الحركة هو باتصالها فى الزمان والمسافة » .

ثانيا : اقســـــام الحركــــة :

قسم فلاسفة العرب الحركة الى انتقاليـــــة ووضعية ، كذلك الى حركة طبيعية وحركة قسريــة (غير طبيعية) ، وتتضح هذه المفاهيم بجـــــلاء فى كتاباتهم التي نورد نماذج منها فيما يلي :

آ) تقسيم الحركة الى انتقالية ووضعيـــة :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى « الرسالـــة الاولى فى الطبيعيات من عيون الحكمة » (12) :

« الحركة التي من اين الى اين تسمى نقلة

الحركة التي من وضع الى وضع تسمـــــى وضعية » (13) :

« فكل حركة فى مسافة تنتهي الى حد ما ، تنتهي الى سكون فيه ، فتكون غير الحركة التي بها يستحفظ الزمان المتصل .

فالحركة الوضعية هي التي بها يستحفظ الزمان المتصل ، وهي الدورية » .

اما هبة الله بن ملكا البغدادي فيقول فى كتابه : « المعتبر فى الحكمة » (14) :

« ... واعم اعراض الجسم الطبيعي واحسها به من حيث هو جسم هي الحركة ، وهذا موضع الكلام فيها ، والحركة تقال على وجوه ، فمنها الحركة المكانية وهي التي بها ينتقل المتحرك من مكان الى مكـــان ، ومنها الحركة الوضعية ، وهي التي تتبدل بها وضاع المتحرك ، وتنتقل أجزاه فى أجزاء مكانه ، ولا يخرجه عن جملة مكانه ، كالدولاب والرحا ... »

ب) تقسيم الحركة الى طبيعية وقسرية :

1 — **بالحركة الطبيعية** يقصد العـــرب حركـــة الجسم الى موضعه الطبيعي بعد أن يخرج عنه قسرا، وذلك عند زوال القاسر عنه ، وعلى ذلك فالحركة الطبيعية عندهم هي حركة الثقيل الى السفل ، وحركة الخفيف الى العلو ، اذا ما اخرج الجسم قسرا مــن مكانه الطبيعي .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى « الرسالـــة الاولى فى الطبيعيات من عيون الحكمة » .

« وكل جسم متحرك فحركته اما من سبب من خارج ، وتسمى حركة قسرية ، وأما من سبب فى نفس الجسم ، اذ الجسم لا يتحرك بذاته ، وذلك السبب ان كان محركا على جهة واحدة على سبيل التسخير ، فيسمى طبيعة ، وان كان محركا حركات شتى بارادة او غير ارادة ، او محركا حركة واحدة بارادة فيسمى نفســـا » .

---

10) طبيعيات الشفاء — المقالة الثانية — الفصل الأول .
11) مخطوط مكتبة احمد الثالث باستانبول رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل الثالث والعشرون ، الورقة 87 .
12) كتاب « تسع رسايل فى الحكمة والطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا ، طبعة القاهرة سنة 1326هـ (1908 م) ، مطبعة هندية بالموسكي بمصر .
13) النمط السادس — الفصل السادس — الفصل السادس عشر .
14) مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل التاسع — الورقة 26 .

ويقول هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه « المعتبر في الحكمة » (15) :

« ... فان الحركة اما طبيعية واما قسرية ؛ والقسرية يتقدمها الطبيعية ، لأن المقسور انما هو مقسور عن طبعه الى طبع قاسره ، فاذا لم يكن حركه بالطبع لم يكن حركه بالقسر ؛ والطبيعية انما تكون عن مباين بالطبع الى مناسب بالطبع ، أو الى مناسب انسب من مناسب » ...

ويقول الامام فخر الدين الرازي في كتابه: «المباحث الشرقية في علم الالهيات والطبيعيات » (16) :

« ... وان كانت الحركة حاصلة فيه ، فاما أن يكون سببه شيئا موجودا في الجسم ، أو يكون سبب تلك الحركة خارجا عن ذات المحرك ؛ والقسم الاول هو الحركة الطبيعية ، والقسم الثاني هو الحركة القسرية ، واما القسم الاول وهو الذي يكون مبدا الحركة قوة موجودة في ذلك الجسم ؛ فقد عرفت في باب القوى أن كل فعل يظهر من الجسم لا بالعرض ولا بالقسر ، فلا بد وأن يكون لقوة موجودة فيه » .

2 — **بالحركة غير الطبيعية** يقصد الحركة التي تنشا عن تعريض الجسم لمحرك من الخارج ، وقد سمى الفلاسفة العرب هذا القسم بالحركة القسرية ؛ وفيها يمكن للمحرك أن يلازم الجسم المتحرك اثناء تحركه ، أو أن يفارقه بعد أن يبدا الحركة فيه .

يقول هبة الله بن ملكا البغدادي في الجزء الثاني من كتابه « المعتبر في الحكمة » (17) :

« فنقول ان المحرك بالذات لكل متحرك يكون اما طبيعية ، واما قسرا ، واما ارادة ، ويخصون باسم الطبيعة ما يحرك بالتسخير وعلى سنن واحد ، ويعني بالتسخير أنه تحرك بغير معرفة ولا روية منه؛ كالحجر في هبوطه ، والارادة فمعلومة ، وهي معرفة الفاعل بما يفعله وعزيمته عليه .

والقسر فمن شيء خارج عن المتحرك بحركة على مقتضى طباع المحرك أو رويته ؛ لا على مقتضى طباع المتحرك ورويته .

والسماء لا يجوز ان تكون حركتها قسرية ؛ لأن القسر اذا دام تبطل الطبيعة ، ويفسد المطبوع ويحليه الى مقتضاه ، وهو فعل الأضداد باضدادها؛ والسماء لا ضد لها ؛ ولا تضاد فيها ، ولا فساد لها ، وحركتها دايمة ، كذلك فليست بقسرية ومن القاسر؛ فان كل قاسر لجسم عن طبع آخر ؛ فأما أن القسر الدايم يبطل الطباع ، ويفسدها فمعلوم من جهة ما لدينا من المتضادات وافساد بعضها بعضا ؛ فما السماوات مقسورة على حركتها الدايمة ؛ ولا حركتها بالطبيعية المسخرة ... » .

3 — الفاظ « المبدا » و « الميل » و « الاعتماد »

استعمل العرب في كتاباتهم عن الحركة تعابير خاصة تشتمل على الفاظ « المبدا » و « الميل » و « الاعتماد » ، كذا « مبدا ميل » ، ونتقدم فيما يلي المعاني التي تؤديها هذه الالفاظ من واقع النصوص التي ورد استعمالها فيها .

أولا : « المبدا » :

بكلمة « مبدا » قصد العرب عموما السبب والعلة . هذا الى جانب استعمالها بمعنى موضع بداية الحركة .

يعرف الامام محمد أبو حامد الغزالي لفظ «المبدا» فيقول (18) :

« والمبدا اسم لما يكون قد استتم وجوده في نفسه ، أما عن ذاته ، واما عن غيره ، ثم يحصل منه وجود شيء آخر يتقوم به ، ويسمى هذا علة بالاضافة الى ما هو مبدأ له » .

---

15) مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل الرابع عشر — الورقتان 47 ، 48
16) الكتاب الثاني — الفن الخامس — الفصل الخامس والاربعون (طبعة حيدرآباد الدكن بالهند ، الصفحة 621) .
17) مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 3222 — الفصل السابع — الورقة 135 .
18) كتاب « معيار العلم » : كتاب اقسام الوجود واحكامه ، الفن الثاني ، طبعة دار المعارف بالقاهرة، الصفحة 330 .

ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى معرض حديثه عن القوة الطبيعية فى كتابه « النجاة » (19) :

« ... فمنها قوى سارية فى الأجسام تحفظ عليها كمالاتها من أشكالها ومواضعها الطبيعية وافاعليا ؛ واذا زالت عن مواضعها الطبيعية واشكالها واحوالها، اعادتها اليها وثبتتها عليها ؛ مانعة من الحالة الغير الملائمة اياها ؛ بلا معرفة وروية وقصد اختياري بل بتسخير ، وهذه القوى تسمى طبيعية ، وهي مبدأ بالذات لحركاتها بالذات ، وسكوناتها بالذات . ولسائر كمالاتها التي لها بذاتها ، وليس شيء من الأجسام الطبيعية بخال عن هذه القوة ... »

ويقول ابن سينا عن القوة الطبيعية ايضا فى طبيعيات كتابه « الشفاء » (20) :

« كل جسم له مكان طبيعي او حيز تقتضي طبيعته الكون فيه ، وهو يخالف سائر الأجسام لا لجسميته ، بل لأن فيه مبدأ وقوة معدة نحو ذلك المكان » .

ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه « الاشارات والتنبيهات » (21) :

« انك لتعلم ان الجسم اذا خلي وطباعه ، ولم يعرض له من خارج تأثير غريب ، لم يكن له بد من موضع معين وشكل معين ، فاذن فى طباعه مبدا استجاب ذلك » .

بهذه الكلمات يقصد ابن سينا أن الجسم يبقى — بطبعه — ساكنا فى موضع معين ، متخذا شكلا معينا ، ومحافظا على هذه الحال بسبب طبعه ، ما لم يطرأ عليه مؤثر خارجي يخرجه عن هذا الموضع او الشكل أو عن كليهما ، اي ان من طبع الجسم المدافعة عن بقائه على حالة سكونه الطبيعي ويمثل هذا المفهوم المعنى الأول لما تعارفنا على تسميته بالقانون الأول للحركة .

ويقول ابو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي فى كتابه « المعتبر فى الحكمة » (22) :

« فبهذا يعلم ان لكل جسم طبيعي حيزا طبيعيا. فيه يكون بالطبع ، واليه يتحرك اذا ازيل عنه ، وهذا الحيز ليس هو للجسم بجسميته التي لا يخالف بها غيره من الأجسام . بل بصفة خاصة به هي طبيعة فقوة أو صورة خاصة بذلك الجسم ، خصته بذلك الحيز وحركته اليه ، فتلك الطبيعة الخاصة فى ذلك الجسم مبدأ حركة بالطبع وسكون بالطبع ، والتحريك النقلي المكاني انما يكون عنها بعد سبب طارىء يخرج الجسم عن حيزه الطبيعي ، فتحركه هي اليه » .

ثانيا : **« الميـل »**

استعمل العرب لفظ «الميل» على اربعة وجوه، اولها المعنى الحرفي بمعنى الرغبة والاتجاه ، وثانيها معنى القوة سواء كانت قوة طبيعية ناشئة عن قوة تثاقل الجسم ، فيطلق عليها تعبير « الميل الطبيعي »، او قوة قسرية مسلطة على الجسم من خارج فتسمى « ميلا قسريا » ، اما المعنى الثالث الذي ترد فيه كلمة « الميل » فهو معنى مدافعة الجسم عن حاله التي هو عليها ، سواء كان ساكنا او متحركا حركة منتظمة وعلى استقامة ، وهو المعنى الذي نشير اليه فى كتاباتنا المعاصرة « بالقصور الذاتي » او « العطالة » (23) ، وهو ذات المعنى الوارد فيما نعرفه اليوم بالقانون الأول للحركة المنسوب عرفا الى اسحق نيوتن (24) . وهناك ايضا معنى رابع ترد فيه كلمة « الميل » هو كمية الحركة (25) . ونسوق فيما يلي نماذج من النصوص الفلسفية العربية للتدليل على قصد العرب لهذه المعاني .

---

19) طبعة القاهرة عام 1331 هـ — الجزء الثاني — الصفحتان 161 ، 162 .

20) المقالة الرابعة — الفصل الثاني عشر .

21) النمط الثاني — الفصل السادس .

22) مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل السادس والعشرون ، الورقة 102 .

23)

24) عاش فى الفترة من عام 1642 حتى عام 1727 م، واليه تنسب قوانين الحركة الثلاث التي نشرها فى كتابه « الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية » .

25) هي حاصل ضرب الكتلة × السرعة وهي كمية موجهة قابلة للتحليل والتركيب .

1 — الميل بمعناه الحرفـــي :

وردت فى كتابات علماء العرب وفلاسفتهم لفظة « الميل » فى مواضع ارادوا بها فيها معناها الحرفي ، فقالوا بأن الجسم ان كان فى حيزه الطبيعي ، فانه يميل ويرغب فى البقاء فيه ، ولا يميل او يتجه الى العزوف عنه ، وفيما يلي بعض الأمثلة للكتابات التي جاء فيها هذا المعنى .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابـــه « الاشارات والتنبيهات » (26) :

« وانما يكون الميل الطبيعي — لا محالة نحو جهة يتوخاها الطبع ، فاذا كان الجسم الطبيعي فى حيزه الطبيعي لم يكن له — وهو فيه — ميل ، لأنه — لا محالة — انما يميل بطبعه اليه لا عنه » .

ويشرح الامام فخر الدين الرازي هذه الاشارة فيقول (27) :

« واما قوله واذا كان الجسم فى حيزه الطبيعي، لم يكن له — وهو فيه — ميل ، لأنه انما يميل بطبعه اليه لا عنه ؛ فاعلم ان هذه الدلالة تدل على ان الجسم حال كونه فى حيزه الطبيعي ، لا يكون له ميل عنه ، فاذا قلنا ولا يكون له ايضا ميل اليه ، لاستحالة طلب الحاصل ، فحينئذ تتم الدلالة على انه لا ميل فيه فى تلك الحالة » .

ويقول ابو البركات هبة الله بن ملكا فى كتابـــه : « المعتبر فى الحكمة » (28) فى معرض مقارنته بين الحركتين المستقيمة والمستديرة :

« ... فكما ان تلك القوة والطبيعة تحدث الميل، وتحرك من الأين الغريب على الاستقامة ، لانها اقرب الى الاين الطبيعي ، كذلك هذه ، وكما يبطل الميل فى تلك عند الوصول الى الحيز الطبيعي ، وتبطل الحركة ويعود الجسم الى سكونه ، كذلك فى هذه يبطل الميل عند الوصول الى الحيز الطبيعي والحركة المستقيمة. ويعود الميل والحركة المستديرة ... » .

2 — الميل بمعنى القـــوة

أ — الميل الطبيعـــي :

عبر العرب بالميل الطبيعي عن القوة التي تدفع بالجسم الى الوصول الى مكانه الطبيعي — عندمـــا يكون خارجا عنه — وهي قوة الجاذبية الأرضية او قوة التثاقل . اي ان الميل هنا بمعنى القوة التي تؤدي الى الحركة الطبيعية للجسم حتى يستعيد موضعـــه الطبيعي .

اذا فالميل الطبيعي قد عبر به عن القوة الطبيعية (قوة التثاقل او قوة الجاذبية الأرضية) التي تؤثر على الجسم لتعيده الى موضعه الطبيعي ، فالميل الطبيعي هنا بمعنى السعي الى الوضع الطبيعي ، ووسيلتـــه الجاذبية الأرضية .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينـــا فى كتابـــه « الاشـارات والتنبيهات » (29) :

« الجسم اذا وجد على حال غير واجبة مـــن طباعه ، فحصوله عليها من الأمور الامكانية ، ولعلل جاعلة ، ويقبل التبديل فيها من طباعه الا لمانع ، واذا كانت هذه الحال فى الموضع والوضع امكن الانتقـــال عنهما بحسب اعتبار الطبع ، فكان فيه ميل » .

من الواضح ان المقصود بالميل فى هذا النـــص القوة الطبيعية الداعية الساعية الى استعادة الموضع والوضع الطبيعيين للجسم ، وهي القوة التي نعرفها اليوم بقوة الجاذبية الأرضية .

ويمضي الشيخ الرئيس فيقول فى طبيعيـــات كتابه « الشفاء » (30) :

---

(26) النمط الثاني — الفصل السـابع .

(27) الكتاب الموسوم بشرحي الاشارات لنصير الدين الطوسي وللامام فخر الدين الرازي : النمط الثاني — الفصل السـابع .

(28) مخطوط مكتبة احمد الثالث باستانبول رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل السادس والعشرون ، الورقة 104 .

(29) النمط الثاني — الفصل الحادي عشر .

(30) المقالة الرابعة — الفصل الرابع عشر .

« ان الأجسام الموجودة ذوات الميل كالثقيلة والخفيفة ، اما الثقيلة فمما يميل الى اسفل ، واما الخفيفة فمما يميل الى فوق ، فانها كلما ازدادت ميلا كان تبولها للتحريك القسري أبطأ ، فان نقل الحجر العظيم الشديد الثقل أو جره ليس كنقل الحجر الصغير القليل الثقل او جره » .

فالميل هنا بمعنى قوة الجاذبية ، ونحن نعلم ان الجسم كلما زاد وزنه كلما زادت قوة احتكاكه بالسطح الذي عليه يرتكز ، اذ أن قوة الاحتكاك تتناسب تناسبا طرديا مباشراً مع وزن الجسم ، وبالتالي فكلما زاد وزن الجسم كلما ازدادت مقاومته للتحريك . بمعنى ان القوة اللازمة للتغلب على قوة الاحتكاك تزيد بزيادة وزن الجسم ، هذا هو المعنى الذي ورد فى كلام ابن سينا ، وقد ضرب له مثلا تحريك الحجر شديد الثقل وقليله .

ويقول ابن سينا ايضا فى معرض حديثه عن الميلين الطبيعي والقسري فى كتابه « الاشارات والتنبيهات » (31) .

« وكلما كان الميل الطبيعي اقوى ، كان أمنع لجسمه عن قبول الميل القسري ، وكانت الحركة بالميل القسري أفتر وأبطأ » .

ويشير الامام فخر الدين الرازي (32) فى كتابه «المباحث المشرقية فى علم الالهيات والطبيعيات» (33) الى الميل المسبب للحركة الطبيعية فيقول :

« ... فان الثقل قوة محركة الى اسفل ، وهي اما الطبيعة وهي صورة جوهرية ، أو الميل الذي هو السبب القريب (34) للحركة ، وهو من مقولة الكيف » .

ويمضي الامام الرازي فى موضع آخر من كتابه يقول (35) :

« كل ماله مكان فلا بد وان يكون له مكان طبيعي ومكان غريب ، ويكون له — لا محالة — ميل الى المكان الملائم ، وميل عن المكان الغريب ، والميل هو الثقل والخفة » .

ويؤكد الفخر الرازي ازدياد القوة الطبيعية مع عظم الجسم ، فيقول (36) :

« الاجسام كلما كانت أعظم ، كان ميلها الى احيازها الطبيعية أقوى ؛ وكلما كان كذلك ، كان قبولها للميل القسري أضعف ، لما بينا أن الميل الطبيعي عائق عن القسري .

والشيء كلما كان العائق عنه اقوى ؛ كان وجوده أضعف » .

ب — الميل القسري :

استعمل العرب لفظ الميل القسري بمعنى القوة الخارجة عن الجسم التي تدفع به للتحرك ، اي بمعنى القوة المؤدية الى الحركة القسرية .

يقول ابو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي فى كتابه « المعتبر فى الحكمة » فى معرض تأييده للراي القائل بوجود سكون بين الحركتين المتضادتين (37) :

« ... ونصر الراي القايل بالسكون بين الحركتين المتضادتين بحجته هذه ، وقال ان كل حركة بالحقيقة فهي تصدر عن ميل يحققه اندفاع الشيء القائم أمام المتحرك او احتياجه الى قوة تمانعه بها ، وهذا الميل فى نفسه معنى من الامور به توصل الى حدود الحركات ، وذلك بابعاد من شيء يلزمه مدافعة لما فى وجه الحركة ، وتقريب من شيء ، ومحال أن يكون الواصل الى حد ما واصلا بلا علة موجودة موصلة ، ومحال ان تكون هذه العلة غير التي زالت عن المستفسر الأول ، وهذه العلة يكون لها قياس الى ما يزيل ويدافع ، وبذلك القياس يسمى ميلا ، فان هذا

---

(31) النمط الثاني — الفصل السابع .
(32) عاش فى الفترة من عام 1150 م حتى عام 9/ 1210 م (544 هـ — 606 هـ) .
(33) الكتاب الثاني — الفن الأول — الفصل السادس (طبعة حيدر آباد الدكن بالهند ، صفحة 187) .
(34) يقصد السبب المباشر .
(35) الصفحة 219 من طبعة الهند .
(36) شرح الامام الثازي لكتاب ابن سينا « الاشارات والتنبيهات » : النمط الثاني — الفصل العشرون .
(37) مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم 3222 المجلد الثاني — الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان 89 ، 90 .

الشيء من حيث هو موصل لا يسمى ميلا وان كان الموضوع واحدا .

وهذا الشيء الذي يسمى ميلا قد يكون موجودا فى آن واحد ، وانما الحركة هي التي عسى أن تحتاج فى وجودها الى اتصال زمان ، والميل ما لم يقسر ولم يقمع أو لم يفسد ، فان الحركة التي تجب عنه تكون موجودة ، واذا فسد الميل لم يكن فساده هو نفس وجود ميل آخر ، بل ذلك معنى آخر ربما يقاربه .

فاذا حدثت حركتان فعن ميلين ، واذا وجد ميل آخر الى جهة اخرى ، فليس يكون هو هذا الموصل نفسه ، فيكون هو بعينه علة للتحصيل وللمفارقة معا، بل يحدث لا محالة ميل آخر له اول حدوث ؛ وهو فى ذلك الأول موجود ، اذ ليس وجوده متعلقا بزمان : ليس كالحركة والسكون اللذين ليس لهما اول حدوث، اذ لا يوجدان على وجه ما الا فى زمان والا بعد زمان ... » .

ج — اجتماع الميلين الطبيعي والقسري :

يتناول هبة الله بن مالكا البغدادي دراسة حركة الحجر المرمي الى فوق ، فيعرض لما جاء فيها من اقوال شارحا ومفندا للحجج المختلفة ، الى ان يصل الى حقيقة أن الجسم المقسور على التحرك الى اعلى سيواجه قوة مقاومة لحركته ، سماها ميلا مقاوما ، وما هذه القوة المقاومة سوى قوة الجاذبية الأرضية او « الميل الطبيعي » .

يقول ابن ملكا فى هذا المعنى فى كتابه « المعتبر فى الحكمة » (38) :

« ... لو لم يكن فيه ميل مقاوم لما اختلف حال الحجرين المرميين من يد واحدة بقوة واحدة فى السرعة والبطء اذا اختلفا فى الصغر والعظم ، حتى كان اعظمهما ابطأ صعودا واقرب مسافة ، واصغرهما اسرع وابعد مسافة اذا لم يفرط صغره ، وما ذاك الا لان الميل المقاوم فى الكبير اكثر وان كان مغلوبا ، واثباته المعاوقية للقوة الطبيعية التي عنها يحدث الميل لو جعله للميل ايضا ، فقال انه مغلوب الميل لزال الاشكال الابدي » .

ويمضى ابن ملكا فى موضع ثان من نفس المصدر يقول :

« فكذلك الحجر المقذوف ، فيه ميل مقاوم للميل القاذف ، الا لأنه مقهور بقوة القاذف ، ولأن القوة القاسرة عرضية فيه ، فهي تضعف لمقاومة هذه القوة والميل الطبيعي ولمقاومة المخروق ، ولذلك كلما كان المخروق اكثف واعسر خرقا ، كان بطلان ذلك الميل القسري اسرع ...

فيكون الميل القاسر فى اوله على غاية القهر للميل الطبيعي ، ولا يزال يضعف ويبطىء الحركة ضعفا بعد ضعف ، وبطأ بعد بطء ، حتى يعجز عن مقاومة الميل الطبيعي ، فيغلب الميل الطبيعي ، ولا يزال يضعف ويبطىء الحركة ضعفا بعد ضعف ، وبطأ بعد بطء ، حتى يعجز عن مقاومة الميل الطبيعي، فيغلب الميل الطبيعي ، فيحرك الى جهته ، ويقوى عليه مستمرا حتى يبطله ، فيسرع بذلك حركته لبطلان المقاوم » .

ويشرح نصير الدين الطوسي (39) اجتماع الميلين الطبيعي والقسري (أي القوتين الطبيعية والقسرية) ، فيقول فى معرض شرحه لكتاب ابن سينا « الاشارات والتنبيهات » (40) :

فاذا طرا على جسم ذي ميل بالفعل ، ميل قسري ، تقاوم السببان ، أعني القاسر والطبيعة ، فان غلب القاسر وصارت الطبيعة مقهورة ، حدث ميل قسري ، وبطل الطبيعي ، ثم تاخذ الموانع الخارجية والطبيعية معا فى افنائه قليلا قليلا ، وتقوى الطبيعة بحسب ذلك ، ويأخذ الميل القسري فى الانتقاص ، وقوة الطبيعة فى الازدياد ، الى ان تقاوم الطبيعة الباقي من الميل القسري ، فيبقى الجسم عديم الميل، ثم تجدد الطبيعة ميلها مشوبا بآثار الضعف الباقية فيها ، ويشتد الميل بزوال الضعف ، فيكون الأمر بين قوة الطبيعة والميل القسري ، قريبا من الامتزاج الحادث بين الكيفيات المتضادة ... »

38) مخطوط مكتبة احمد الثالث باستانبول رقم 3222 ، المجلد الثاني ، الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان 94 ، 95 .

39) عاش فى الفترة من عام 1201 م حتى عام 1274 م (597 هـ — 672 هـ) .

40) النمط الثاني — الفصل السابع .

ويمضي الطوسي في موضع آخر من شرحه يقول :

« ... لولا اجتماع الميلين ، لكان الحجران المتساويان اللذان يرميهما قوي وضعيف متساويين في الصعود ... »

تبين هذه النصوص بوضوح تام أن كلمة الميل قد وردت فيها بمعنى القوة ؛ فالمقصود اذن بالميل الطبيعي فيها القوة الذاتية المعروفة بقوة التثاقل ؛ وبالميل القسري فيها القوة المسلطة على الجسم من خارجه ، وللتي ان اثرت في اتجاه معاكس لاتجاه قوة التثاقل لقاومتها هذه القوة الأخيرة فضلا عن معاوقات الوسط الذي يتحرك الجسم خلاله .

3 — الميل بمعنى المدافعة :

أ — المدافعة عن حالة السكون :

هنا استعمل العرب لفظ « الميل » كذا « مبدأ ميل » للتعبير عن رغبة الجسم وتمسكه والحاحه على البقاء على حالته الطبيعية ؛ اي مدافعة الجسم عن استمراره على حالته من السكون في موضعه الطبيعي؛ ويقتضي ذلك تواجد مقاومة ذاتية للجسم ضد اي تغيير خارجي عليه من حيث الموضع والشكل ليبقى ساكنا في مكانه الطبيعي . وهذا هو بعينه المعنى الأول الذي يقوم عليه القانون الأول للحركة .

يقول ابن سينا في طبيعات كتابه « الشفاء» (41)

« وكل جسم ينتقل بالقسر ففيه مبدأ ميل ما ؛ اما الانتقال المكاني فقد بيناه ، واما الانتقال القسري الوضعي فلأن ذلك الجسم ان كان قابلا للنقل عنمكانه فقد ظهر ، وان كان غير قابل له ، فله — لا محالة — قوة بها يثبت في مكانه ويلزمه ، ويختص به ، وهو غير جسميته » .

ويقول في موضع ثان من نفس المقالة :

« ان كل جسم فيه مبدأ ميل ما ، فان نقله عما هو عليه من أين وضع يقع لا في زمان ، وذلك محال، بل يجب ان يكون كل جسم يقبل تحريكا وامالة طارئة، ففيه مبدأ ميل طبيعي في نفس ما يقبله كان اينا او وضعا » .

ب) المدافعة عن حالة الحركة :

استخدم العرب لفظ الميل بمعنى ميل الجسم ورغبته والحاحه في ن تستمر حركته ؛ والميل هنا بمعنى الخاصية الذاتية المدافعة عن الاستمرار في الحركة المنتظمة ، وهذا هو لمعنى الثاني الذي يشتمل عليه القانون الأول للحركة .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الاشارات والتنبيهات » (42) :

« الجسم له في حال تحركه ميل يتحرك به ، ويحس به الممانع ، ولن يتمكن من المنع الا فيما يضعف ذلك فيه ، وقد يكون من طباعه ، وقد يحدث فيه من تاثير غيره ؛ فيبطل المنبعث من طباعه الى ان يزول فيعود انبعاثه » .

ويمضي ابن سينا في موضع آخر من كتابه (43) يقول :

« الجسم الذي لا ميل فيه ، لا بالقوة ولا بالفعل لا يقبل ميلا قسريا يتحرك به ، وبالجملة لا يتحرك قسرا ، والا فليتحرك قسرا في زمان ما ، مسافة ما ، وليتحرك مثلا في تلك المسافة جسم آخر فيه ميل ما وممانعة ، فبين انه يتحركها في زمان اطول .

وليكن ميل اضعف من ذلك الميل يقتضي في مثل ذلك الزمان ، عن ذلك التحرك ، مسافة نسبتها الى المسافة الأولى نسبة زمان ذي الميل الأول ، وعديم الميل ، فيكون في مثل زمان عديم الميل يتحرك بالقسر مثل مسافته ، فتكون حركتا مقسورين ذي ممانع فيه ، وغير ذي ممانع فيه ، متساويتي الأحوال في السرعة والبطء ، وهو محال » .

ويذكر ابن سينا فيقول في موضع ثالث (44) :

---

41) المقالة الرابعة .
42) النمط الثاني — الفصل السابع .
43) نفس المرجع السابق — الفصل الثامن .
44) نفس المرجع السابق — الفصل التاسع .

« يجب ان تتذكر ههنا انه ليس زمان لا ينقسم، حتى يجوز أن تقع فيه حركة ما لا ميل له ، ولا تكون له نسبة الى زمان حركة ذي ميل » .

ويعرف الشيخ الرئيس الاعتماد والميل فى « الرسالة الرابعة فى الحدود » (45) فيقول :

« الاعتماد والميل هو كيفية يكون بها الجسم مدفعا لما يمانعه عن لحركة الى جهة ما » .

هذا وقد افرد الامام الغزالي قسما مستقلا من كتابه « معيار العلم » لبيان الالفاظ المستعملة فى الطبيعيات (46) ، نورد منها تعريفه للاعتماد والميل فيما يلي ، ويكاد يكون نفس النص الذي ساقه ابن سينا فى رسالته الرابعة .

« الاعتماد والميل هو كيفية بها يكون الجسم مدافعا لما يمنعه عن الحركة الى جهته »

ويزيد الشيخ الرئيس ابن سينا الأمر وضوحا ، فيشرح طبيعة مدافعة الجسم عن استمراره على حاله ، فيقول فى معرض حديثه عن الآراء المطروحة فى سبب حركة الجسم المقذوف (المتحرك) بعد ان يفارقه القاذف (أي المحرك) بعد استعراضه لجملة الاراء (47) :

« ولكنا اذا حققنا القول ، وجدنا اصح المذاهب مذهب من يرى أن المتحرك يستفيد ميلا من المحرك ، والميل هو ما يحس بالحس اذا ما حوول أن يسكن الطبيعي بالقسر ، أو القسري بالقسر » .

من الواضح هنا استعمال كلمة الميل فى معنى المدافعة ، واختصاص الجسم بكيفية او صفة ذاتية بها يدافع الجسم عن استمراره فى الحركة ، وهي الصفة التي نطلق عليها اليوم تسمية « القصور الذاتي » أو « العطالة » (48) ، وهذه احدى المعاني الواردة فى القانون الأول للحركة .

4 — الميل والاعتماد بمعنى كمية الحركة :

ورد استعمال لفظي « الميل » و « الاعتماد » فى كتابات العالم العربي الحسن بن الهيثم فى كتابه « المناظر » بمعنى كمية الحركة ، وقد سماها ابن الهيثم « قوة الحركة » ، كما سيجيء الحديث عنه ، اما الفيلسوف العربي ابو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي فقد استعمل كلمة « الميل » و « قوة الميل » فى معنى كمية الحركة ، من ذلك قوله فى كتابه « المعتبر فى الحكمة » (49) .

« فالميل الطبيعي مبدأ له غير مفارق ، ولا يزال يوجبه حتى يبلغ به الحيز الطبيعي ، وكلما حركت القوة فى المسافة الغريبة عن الطبع ، أحدثت ميلا بعد ميل ، فتتزايد بذلك قوة الميل مهما استمرت الحركة »

يبين من هذا النص أن الفيلسوف العربي ابن ملكا قد وقف على حقيقة ان الاجسام التي تتحرك حركة طبيعية ، كتلك التي تسقط سقوطا حرا تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية (أي تحت تأثير الميل الطبيعي) ، تزيد سرعتها وبالتالي كمية حركتها كلما امعنت فى السقوط ، وقد عبر ابن ملكا عن كمية الحركة فى هذا النص بالميل بعد الميل وبقوة الميل .

ويمضي ابن ملكا فى موضع آخر من نفس المصدر يقول :

« ... فان قيل أن اشتداد الميل الطبيعي فى آخره ليس لانسلاخ القاسر بل لأمر يخصه فى نفسه ، ويستدل على ذلك بالحجر المرمي من عال من غير ان يكون عايدا عن صعود بحركة قسرية ، ولا فيه ميل قسري ، فانك ترى أن مبدأ الغاية كلما كان ابعد كان آخر حركته اسرع ، وقوة ميله اشد ، وبذلك يشج ويسحق ، ولا يكون ذلك له اذا القي عن مسافة اقصر، بل يبين التفاوت فى ذلك بقدر طول المسافة التي يسلكها .... »

---

45) « تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات » مطبعة هندية بالموسكى بمصر عام 1908 م (1326 هـ) .
46) كتاب « معيار العلم » كتاب الحدود — الفن الثاني — القسم الثالث — طبعة دار المعارف بالقاهرة الصفحات 296 حتى 304 .
47) طبيعيات كتاب « الشفاء » : المقالة الرابعة — الفصل الرابة عشر .
48)
49) مخطوط مكتبة احمد الثالث باستانبول رقم 22 32 — المجلد الثاني — الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان 95 ، 96 .

يؤكد ابو البركات هنا زيادة « قوة الميل » (اي كمية الحركة) بازدياد المسافة المقطوعة ، وبازدياد قوة ميل الحجر المرمي يشتد تأثيره حيث يشج ويسحق على حد قوله ، ومن الواضح أن مفهوم ابي البركات سليم تماما ، اذ ان سرعة حركة الجسم الساقط حرا تزيد بحسب المسافة التي يتحركها ، وبالتالي فان كمية حركته — وقد عبر عنها الفيلسوف العربي هنا بقوة الميل — تشتد ويشتد معها تأثيرها كما جاء بجلاء فى معنى كمية الحركة .

يقول نصير الدين الطوسي فى معرض شرحه للفصل الأول من النمط الأول فى طبيعيات كتاب « الاشارات والتنبيهات » لابن سينا :

« والاعتماد عندهم هو ما يسميه الحكيم ميلا »

اذن فاستعمال كلمة الاعتماد كان مرادفا لاستعمال كلمة الميل .

وفى استعمال كلمة الميل بمعنى كمية الحركة يقول الطوسي (50) :

« اقول : الميل الطبيعي يزداد بازدياد الجسم الى مكانه الطبيعي قربا » .

اي ان الجسم الساقط حرا تزداد كمية حركته كلما اقترب من سطح الأرض أو من جسم ثابت عليها، وهذا قول صحيح تماما لأن كمية الحركة — وهي حاصل ضرب الكتلة فى السرعة — تزيد بازدياد السرعة ، وهذه الأخيرة تزيد بدورها كلما امعن الجسم فى حركته الطبيعية تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية .

4 — تعبيرا « قوة الحركة » و «اعتماد المتحرك»

فطن الحسن بن الهيثم (51) الى معنى كمي فى الجسم المتحرك يتوقف على سرعته (معبرا عنها بمسافة السقوط) ، وعلى ثقله (ويتناسب مع كتلته) وهو ما نعرفه اليوم بكمية الحركة ، وقد عبر عنها ابن الهيثم بـ « قوة الحركة » وبـ « اعتماد المتحرك » . فكتب الفصل الثالث من المقالة الرابعة فى كتابه « المناظر » (52) يقول :

« والمتحرك اذا لقي فى حركته مانعا يمانعه ، وكانت القوة المحركة له باقية فيه عند لقائه المانع ، فانه يرجع من (حيث) كان فى الجهة التي منها تحرك، وتكون قوة حركته فى الرجوع بحسب قوة الحركة التي كان تحرك بها فى الأول ، وبحسب قوة الممانعة » .

ومضى فى الورقة التالية يقول :

« ... لأن الحركة المكتبة انما تكون بحسب مقدار المسافة (و) بحسب مقدار الثقل » .

يتضح من هذين النصين وقوف الحسن بن الهيثم على معنى كمية الحركة معبرا عنه بقوة الحركة ، وسبقه اليه ، وبالتالي فانه من المحتمل أن يكون علماء العرب وفلاسفتهم من أمثال ابي البركات هبة الله بن ملكا البغدادي والخواجه نصير الدين الطوسي قد وقفوا على هذا المعنى الكمي الذي ورد محددا فى كتابات الحسن بن الهيثم فى أوائل القرن الحادي عشر للميلاد ، والذي حقق به سبقا واضحا على علماء الغرب بعدة مئات من السنين .

خلاصة

يخلص البحث الى ان العرب قد وقفوا على معان واصول فكرية عديدة فى مجال علم الحركة ، استعملوا فى التعبير عنها الفاظا خاصة تناولناها فى هذه الدراسة بما هي أهل له من الشرح والتفصيل ، واوردنا نماذج من الكتابات العربية قصدنا بها التدليل على المعاني المتباينة التي عبرت عنها هذه الألفاظ ، ويعتبر هذا البحث دراسة اساسية لا غنى عنها للباحثين عن فضل العرب فى علم الميكانيكا ، وهو فضل قد ثبت لنا انه جد عظيم .

---

50) شرح نصير الدين الطوسي لكتاب ابن سينا « الاشارات والتنبيهات » : النمط الثاني ، الفصل التاسع عشر .

51) عاش فى الفترة من عام 966/65 م حتى عام 39 10 م (354 هـ — 430 هـ) .

52) مخطوط مكتبة الفتح باستانبول رقم 3215 ، الورقة 70 .

مصـــادر البحـــــث *

1) « رسـائل اخوان الصفا وخلان الوفا »
عني بتصحيحه خير الدين الزركلـــي
المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ــ عـــام 1928 .

2) « معيار العلم » للامام محمد أبي حامد الغزالي
تحقيق الدكتور سليمـــان دنيـــا
دار المعارف بمصر ــ الطبعة الثانية ــ عام 1969 ، 400 صفحة .

3) « المعتبر فى الحكمة » لهبة الله بن ملكا البغدادي
مخطوط مكتبة احمد الثالث (طوب قابي سراي باستانبول) رقـم 3222 ــ 225 ورقـــة .

4) « الشفاء ــ الطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا
تحقيق الدكتور محمود قاسم . مراجعة وتقديم الدكتور ابراهيم مدكور ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة عام 1389 هـ = 1969 م

5) « تسع رسايل فى الحكمة والطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا
مطبعة هندية بالموسكي بمصر عام 1326 هـ = 1908 م ، 180 صفحة .

6) « الاشارات والتنبيهات » للشيخ الرئيس ابن سينا مع شرح نصير الديـــن الطوسي
تحقيق الدكتور سليمان دنيـــا .
دار المعارف بمصر ــ القسم الثاني ــ الطبعة الثانية ، 468 صفحة .

8) « المباحث المشرقية فى علم الآلهيات والطبيعيات »
للامام فخر الدين الـــرازي
الجزء الأول عام 1343 هـ = 1924 م ، 706 صفحة .
الجزء الثاني عام 1343 هـ = 1924 م ، 548 صفحة .
دائرة المعارف العثمانية ــ حيدر آباد الدكن بالهنـــد .

8) « النجـــاة » للشيخ الرئيس ابن سينا .
طبع بمطبعة السعادة بمصر علىنفقة محي الدين صبري الكردي، عام 1331هـ ثم عام 1357 هـ = 1938 م .

9) « الكتاب الموسوم بشرحي الاشارات » .
للخواجه نصير الدين الطوسي ، وللامام فخر الدين الرازي .
المطبعة الخيرية بالقاهرة ــ الطبعة الأولى ــ عام 1325 هـ .
الجزء الأول 243 صفحة ، الجزء الثاني 146 صفحة .

10) « المناظر » للحسن بن الهيثم .
المقالتان الرابعة والخامة ــ مخطوط مكتبة الفتاح باستانبول رقم 3215 ، 322 ورقة .

---

* مرتبة حسب ورودها فى متن البحث .

الاتجاه النفسي في دراسات العقاد النقدية

للدكتور أحمد محمد الحوفي
أستاذ الأدب العربي ورئيس قسم الدراسات
الأدبية بكلية المعلمين - جامعة القاهرة -

اتجه العقاد في اعماله الادبية كلها الى استكناه النفوس، وتحليل نوازعها، ورد ما يصدر عنها الى بواعث قد تخفيها أستار من الأحداث والملابسات واحكام الناس، فنراه في العبقريات يدرس الشخصية ومعالمها، ويتلمس مفتاحها. ونراه في شعره وفي نقده محللا ومعللا ومنقبا عن الدخائل: كأنما يفحص بالمجهر عن شيء في سائل.

يقول في دراسته لجميل بثينة: « وقد عنانا في هذا الكتاب ان نوفق بين البواعث النفسية والعوامل الطبيعية في سيرة جميل وبثينة، وأن نفهم الأدب على مصباح من علم النفس، ومن حقائق الطبيعة، فلا نرجع به الى لفظ تلوكه الأفواه، بل نرجع به الى وشائج تمتزج بالأبدان والأذهان (1) ».

ويقول صديقه الأستاذ محمد طاهر الجبلاوي: « وقعت في ايدينا في تلك الايام قصة الأكاذيب للكاتب الفرنسي بول بورجيه، وهو من رواد القصة النفسية، نقراها العقاد، وقراها أكثر من مرة، وكنا نعجب لاحداثها التي تنطبق على ما نحن فيه، ونتحدث عنها فيما بيننا ».

وللعقاد اعجاب كبير بهذا الكاتب، فمذهبه القائم على التحليل النفسي هو مذهب العقاد الذي يتحراه في القصة وفي الشعر (2).

وقد لخص العقاد المذاهب النقدبه في ثلاث: مدرسة التحليل النفسي، ومدرسة الدراسة الاجتماعية، ومدرسة الأذواق الفنية.

وقال ان مدرسة التحليل النفسي هي أقرب المدارس الى الرأي الذي ندين به في نقد الادب ونقد التراجم ونقد الدعوات الفكرية جمعاء، لأن العلم بنفس الأديب أو البطل التاريخي يستلزم العلم بمقومات هذه النفس من أحوال عصره، واطوار الثقافة والفن فيه، وليس من عرفنا بنفس الأديب في حاجة الى تعريفنا بعصره وراء هذا الغرض المطلوب، ولا هو في حاجة الى تعريفنا بالبواعث الفنية التي تميل به من أسلوب الى أسلوب.

وللنقد مدرسة اخرى محترمة كثيرة الأنصار في العصر الحديث على الخصوص، بعد استفاضة البحوث حول الدعوات الاجتماعية، وعلاقة الأديب بمطالب عصره. وموضع الملاحظة على هذه المدرسة أن الذي يعرفنا بأحوال المجتمع فحسب لا يستطيع أن يعرفنا بأسباب الفوارق الكثيرة التي تشاهد بين عشرات الادباء من أبناء العصر الواحد، ولا غنى له عن الرجوع الى « النفسيات » مع التعويل على « الاجتماعيات » في مسائل الأدب والتاريخ.

---

(1) جميل بثينة 8.
(2) في صحبة العقاد للجبلاوي 167.

اما المدرسة الفنية فهي مدرسة البلاغة والذوق، ومدرسة المعاني الرائعة والتعبير الجميل ، وهي تلجئنا لا محالة الى ذوق الأذيب وذوق الناقد على السواء ، ومتى وصلنا الى الذوق فقد وصلنا الى النفسيات ، ووصلنا قبلها الى الاجتماعيات على الاجمال (3) .

وليس من غرض المفاضلة بين هده المدارس ، او مناقشة العقاد فيما ذهب اليه ، بل ساكتفي بعرض اربعة نماذج من دراسات العقاد النفسية في ميدان الادب وحده ، واعقب على كل منها بما أراه :

النموذج الأول
اجود الغزل

— 1 —

للقدماء رايان مختلفان فى احسن الغزل واجوده ، فمنهم من يؤثر الغزل الذي يضفي على المحبوب هالة من الجمال ، فلا يلحق بها عيب ولا نقص ، حتى ليصور محبوبه مثلا اعلى فى الملاحة والحسن والاغراء.

وهؤلاء يخلطون بين العشق والاستحسان ، وهما فى حقيقتهما مختلفان ، لأن الاستحسان قد يكون من عاشق وقد يكون من غير عاشق ، ولأن العشق ليس معناه ان المراة المعشوقة اجمل فى نظر عاشقها من كل امراة ، فلا غرابة فى ان يحبها وهو عارف بعيوبها ، وعالم بمحاسن غيرها ، ولكنه لا يحبها .

ثم ان الحب قائم على الاضطرار لأعلى الاختيار ، فاذا راى المحب سيئات من محبوبه ، وبقى على حبه ، كان هذا ادل على قوة الحب من استمراره مع الاستحسان والاختيار .

ومعنى هذا أن المدرسة التي تجعل الاطراء والاستحسان مقياس الجودة فى الغزل تجهل بواعث الغزل الجيد وتبعد عن حقيقته .

ومنهم من يتخذ رقة الغزل والمبالغة فيها مقياسا لجودة الغزل ، فالمحب الذي يبكي اغزل ممن لا يبكي، والذي يبكي كثيرا اغزل ممن يبكي قليلا ، والذي يتذلل ويتضرع اغزل من الذي يثور ويتبرم ، والذي يبسط خده موطئا لقدم محبوبته اغزل ممن يترفع .

وهذا راي قائل ، لان العشق حبالة لبقاء النوع ، قد يذهب العاشقان ضحية لها ، وقد يطغى فيه الجماح والسورة والغضب على الرقة و لرضا واللين والانقياد.

— 2 —

اما العقاد فيرى (4) أن اجود الغزل ما عبر عن عاطفة المتغزل تعبيرا صادقا ، سواء اوصف المحبوبة بالحسن العائق أم بالحسن المعتاد ، وسواء أكان رقيقا أم غير رقيق . فمجنون ليلى يقول :

كأن فؤادي فى مخالب طائر
اذا ذكرت ليلى يشد به قبضا

كأن فجاج الأرض حلقة خاتم
علي فما تزداد طولا ولا عرضا

ويعلق العقاد على البيتين بقوله : ان قلب السامع لينقبض ، وان صدره ليحرج لهذا الوصف ، ومع هذا فأي شعر ابرع من هذا الشعر ؟ وأي شاعر أطبع واعشق من المجنون ؟ .

فوالله ما فى القرب لي منك راحة
ولا البعد يسليني ولا انا صابر

ووالله ما أدري بأية حيلة
وأي مرام او حظار اخاطر

وليس العشق الصادق حين يشب أواره بالعاطفة التي يود صاحبها دوامها ، ويستريح الى مناجاتها ، وانما هو غمة يود المبتلي بها لو تنقضي لساعتها ، ويقوم فى نفسه عراك لا تهدأ ثائرته ، ولا يهنأ بالغلبة فيه ، لأنه هو الغالب وهو المغلوب ، وكأنما ينزع نفسه من نفسه ، فيضيق ذرعا ، كما قال المجنون
وهذا شبيه بقول كاتيولس
الشاعر الروماني : ايتها الآلهة ان كان لك رحمة بالقلوب الصديقة المشفقة فبحق براءتي عليك الا ما نظرت الى عذابي ، ورثيت لما بي ، ومسحت عني هذا الوباء الماحق والبلاء اللاحق ، وهذه اللوعة التي تسربت رعدتها فى عروقي فشفت الهناء عن قلبي .

---

(3) مجلة قافلة الزيت مارس 1964 .
(4) شاعر الغزل العقاد .

ثم يوازن العقاد بين قول جنادة العذرى :

من حبها اتمنى أن يلاقيني
من نحو بلدتها ناع فينعاها
كيما اقول فراق لا لقاء له
وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها
ولو تموت لراعتني وقلت ألا
يا بؤس للموت ليت الموت ابقاها

وقول المجنون :

فيا رب اذ صيرت ليلى هي المنى
فزنى بعينيها كما زنتها ليا
والا فبغضها الى واهلها
فاني بليلى قد لقيت الدواهيا

وبين قول كاتيولس : اني لأكره واحب ، تسألني كيف ذلك ؟ من يدري ؟ ولكني احس بحقيقة هذا الامر وشدة برحائه .

ويخلص من الموازنة الى ان نعت الحب بانه داهية ليس فيه شيء من الرقة والدماثة ، ولكنه وصف اتفق عليه شاعران ليس بينهما جامعة من ذوق لغة ، او وحدة زمن ، لأنهما اجتمعا على عاطفة انسانية صادقة ، شاركهما فيها كل الشعراء الذين جربوا العشق .

وكذلك لا يشرط فى الغزل الجيد استحسان شمائل المحبوب والمبالغة فى اطرائها ، ولا التذلل والشكوى والضراعة .

واذا فالغزل الجيد هو التعبير الصادق عن الحب وعن نفسية المحب ، وهو بهذه المثابة كالبحر اللجي الذي تتيه فيه العقول ، ويتسع للناقض ، ويعج بضروب من المفاجآت ليس لها انتهاء .

ولهذا كان من الخطأ أن يحصره النقاد فى قالب واحد وهيئة واحدة أو لون لا يتبدل .

— 3 —

وبهذا خالف العقاد اصحاب الاستحسان واصحاب الرقة فى نقدهم قول جميل :

رمى الله فى عيني بثينة بالقذى
وفى الغر من انيابها بالقوادح

لانهم عابوه اذ سأل الله تشوبه عيني حبيبته وثغرها ، وهما اجمل ما يتمنى له الجمال فى وجه محبوبته ، فتجافى عن الرقة كلها ين دعا عليها ذلك الدعاء الغليظ يدعو به العدو على الد اعدائه .

وذهب العقاد الى أن هذا البيت ادل على عشق جميل من عشر قصائد غزلية تفيض بالرقة والثناء والاستحسان ، لأنه دليل على حب برح به ، وحار فى الخلاص منه ، وغلب على مشيئته فيه ، وظن أن البلاء كله من جمال تلك الثنايا وتينك العينين ، فلم تبق له من حيلة الا أن يسأل اتلاف هذا الجمال ، عسى أن يطهق بعد ذهابه سلوه والراحة من بلواه .

فالبيت دليل على اعمق الحب واصدق الغزل ، ولك ان تقول انه غزل صادق من رجل سيىء ، أو أنه غزل صادق من رجل طيب فى سورة اليأس والحيرة ، اما ان يكون مبطلا فى عشقه وغزله لأنه تمنى تلك الأمنية ، فذلك غفلة عن العاطفة التي أمنته ، ولغو لا صدق فيه .

ولك ان تقول انها أمنية رجل تغلب عليه الانانية . ويتلمس الراحة بما استطاع من وسيلة ، ولو كان فيها بلاء لمن يهواه ، الا انك لا تنسى أنه تمنى تلك الأمنية ، لأنه احب وضاق ذرعا بحبه ، وبلغ أقصى ما يبلغه العاشق من التعلق بالمعشوق والعجز عن الفكاك من اوهاق ، فهى ان شئت انانية ذميمة لا ترضى عنها الأخلاق الكريمة، ولكنه حب قوي، وتعبير صادق عنه.

— 4 —

ثم تعمق العقاد فيما لم يتعمق فيه سواه ، اذ اورد قول كثير عزة .

الا ليتنا يا عز من غير ريبة
بعيران نرعى فى الخلاء ونعزب

كلانا به عمر فمن يرنا يقل
على حسنها جرباء تعدى واجرب

اذا ما وردنا منهلا صاح أهله
علينا فما ننفك نرمي ونضرب

وودت وبيت الله انك بكرة
هجان واني مصعب ثم نهرب

نكون بعيري ذي غنى فيضيعنا
فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

ولم يعلق النقاد على الأبيات باكثر من قولهم انها امنية سخيفة ، اذ تمنى كثير لنفسه ولمحبوبته الرق والجرب والرمى والطرد والمسخ ، فلم يبق مكروه لم يتمنه لها ولنفسه ، فصار جديرا بقول القائل : معداة العاقل خير من مودة الاحمق .

وعقب العقاد على هذا بأنهم صادقون ، لانه ما من امنية أدعى الى الضحك والسخرية من هذه الأمنية .

ثم تغلغل الى نفسية كثير ، ليكشف عن بواعث هذه الأمنية الحمقاء ، فردها الى قماءته ودمامة منظره، وحماقته ، وضعف حيلته ، والى غيرته على عزة التي كان يخشى ان يغلبه عليها كل المزاحمين ، لانهم أجمل منه منظرا . واقدر على الاغراء والاستهواء ، وقد فكر كثير في الوسيلة التي يأمن بها على صاحبته فلم يجد غير ابتلائها بالبلاء الذي يزهد الناس فيها ، فتصير لـــه وحده . لأنه لا يستطيع ان يتحرر من حبها ، ولأنه عاجز عن حمايتها ، وهو لا يملك من الوسائل ما يملكه غيره من المنافسيـــن .

على انه ليس يستبعد أن كثيرا راى البعيريـــن الموصوفين رؤية العيان ، لأن هذا منظر ينـــدر أن يشاهده ابن البادية مرات ، فخيل اليه انهما سعيدان حيث يسرحان ولا يطلبهما راع ولا مالـــك ، فتمنـــى السعادة على هذا المنوال .

واذا كان سخيفا في أمنيته ــ ولا شك في ذلك ــ فهو محب صادق في التعبير عن حبه ، فلا علاقة بين سخف امنيته واتهام عاطفته ، لانه أحب فنغصه الحب، وحرمه الراحة من طريق غير هذا الطريق .

— 5 —

ومن هذا يتبين أن العقاد أرجع جودة الغزل الى ينبوع الغزل نفسه وهو الحب ، والى صدق التعبير عن الحب ، فاذا كان الشاعر محبا وعبر عن حبه في صدق فغزله جيد ، واذا كان غير محب او كان محبا لم يستطع التعبير عن حبه فغزله رديء .

لكن هذا المقياس ــ على انه قيم ــ ليس دقيقـــا الدقة كلها ، لانه يعوزه شيء آخر هو جودة التعبير عن العاطفة الصادقة ، وبراعة تصوير العاشق لما يجيش بنفســـه .

وذلك أن التعبير قد يتصف بالصدق ولكنه لا يتصف بالبراعة ، اذ أن المحب قـــد تجيش نفســـه بعواطف صادقة ، ويحاول تصويرها بفنه القولي فلا يستطيع ، فيتمهل حتى تهدأ نفسه ، ثم يسترجع ما مضى ليعبر عنه تعبيرا ليس صادقا فحسب ، بـــل يجمع الصدق والروعة معا ، فيفلح مرة ويخفق مرة ، ويجيء في شعره الجهد ويجيء فيه غير الجيد .

لهـذا كـان هسكـلي محقـا فـي قولـــه : « يجب ان نتذكر أن قيسا وليلى وانطوني وكيلو باترة موجودون بيننا بكثرة لا تخطر على بالنا ، وذلك انـــه يصعب على عابر الطريق أن يقرأ على وجوه الناس مدى عمق عواطفهم ، وكل وسائله في هـــذا أن يحـــدس ويستنتج من تصرفهم وكلامهم ، لأن الفاظهم في الأكثر والأعم لا تسترعي الانتباه ، اذ ان التعبير الرائع هبة لم يمنحها الخالق الا فئة نادرة من الناس ، فليس ضعف التعبير دليلا على ضعف الشعور ، بل من المؤكـــد أن عدد المعبرين في جمال فني أقل بكثير جدا من عدد المحبيـــن » .

ولو ان الصدق الشعوري والصدق التعبيـــري هما وحدهما المقياس الذي نقيس به الجودة لكانـــت قصائد الشاعر المحب على درجة واحدة ، فلا نستطيع ترجيح قصيدة على قصيدة ، ولكن الواقع غير ذلك ، لاننا حينما نقرا شعر عروة بن حزام أو قيس أو جميل او العباس بن الأحنف مثلا نفضل قصيدة على أخرى ، ذلك اننا لم نكتف بصدق الشعور وصدق التعبير ، بل اضفنا اليهما مقياسا آخر يتصل بالافتنان في تخيـــر اللفظ ، وانتقاء العبارة ، وبراعة التصوير ، وحـــلاوة الجرس . ومعنى هذا اننا اضفنا الى المذهب النفسي المذهب الفنـــي .

النمـــوذج الثانـــي

ابـو نـــواس والنـرجسيـــة

فصل العقاد البحث في النرجسية من حيـــث دلالتها ونشأتها وبواعثها ومظاهرها ، معتمدا على آراء الثقات من علماء النفس المحدثين .

ثم حاول تطبيقها على ابي نواس (7) ، فألبســـه ثوبا فضفاضا لا ينسجم على قده ، وحكم عليه احكاما تخرج به عن سمته وحده .

— 1 —

فالنرجسية شذوذ دقيق يؤدي الى ضروب شتى من الشذوذ في غرائب الجنس وبواعث الاخلاق ، لانها

(7) ابو نواس الحسن بن هانيء .

هيام الشخص بجسده او بنفسه الى حد الاستغراق والعبادة والتدليل والعشق .

ولهما شعاب عدة ، تخير العقاد منها ما يتصل بدراسة أبي نواس وموضوعات عشقه وغزله ، وأهمها شعبتان : احداهما الاشتهاء الذاتي
والأخرى التوثيق الذاتـــي
ومن أبرز ما يلازمهما ظاهرة التلبيس أو التشخيص ، وظاهرة العرض ، وظاهرة الارتداد .

اما ظاهرة التلبيس او التشخيص فهي عشـــق الانسان ذاته عشقا شهوانيا ، فالشاذ فى حب جنسه او حب الجنس الآخر يجد طلبته ، ويقضي مأربه ، اما الذي يشتهي بدنه فليس فى وسعه أن يقضي مأربه منه بغير التحايل على ذلك بالتلبيس أو التشخيص ، ولهذا يلبس شخصيته شخصا آخر يتوهم انه هو ذاته او يحله محل ذاته .

واما ظاهرة العرض فتشمل الاظهـــار بجميـــع درجاته، فقد يشاهد المصاب بها وهو يكشف عورته ، ويعرض أعضاءه ، ويتعرى من ثيابه ، وان كان الاكثر الأعم ان هذا لا يكون الا فى حالة انجنون وما يقاربه .

واما الارتداد فانه يعتري النرجسيين من تلبيس ذواتهم بغيرهم ، أو خلع ذواتهم على شخـــص آخـــر يتلمسون المشابهة بينهم وبينه ، فينتحل النرجسي صفة القوة من قوى يشبهه فى القوام والملامح ، ويخالفه فى القوة ، أو يخلع ذاته على امراة مشتهاة يجد شبها بينها وبينـــه .

— 2 —

وقد حاول العقاد ان يطبق هذه الظواهر على أبي نواس ، وان يفسر بها جميع احواله .
1 ـ فشذوذه الجنسي نرجسية مظهرها التلبيس والتشخيص .

وقد بدا هذا التشخيص فى غزله حين اختـــار لهواه غلاما ألثغ مثله ، وان كانت لثغة أبي نواس بالراء ولثغة الغلام بالسين :

وابابـــي الشـــغ لا جحتـــــه
فقال فى غنـــج واخنـــــاث

لما راى من خلاقـــي لـــــه
كم لقى النـــاث من النـــــاث

وبدا فى اختياره غلاما لا يحسن النطق بالـــراء تكسيـــرا لهـــا :

بكســر الـــراء وتكسيرهـــــا
يدعو مسقـــم الى الحتـــف

وبدا فى اعجابه بالبحة التي كانت من خـــواص صوته ، فقال فى وصف غلام :

وبه غنـــة الصبـــا تعتليهـــا
بحة الاحتـــلام للتشـــريـــف

وكذلك ذكر مثال الحسن فى الذكور والاناث ، فى قـولـــه :

ولو انها فى الحسن كانت كيوسف
وبلقيس او كانت كخط مثـــال
وقالت تزوجني على مهر درهـــم
لقلت اعزبي عني فمهرك غـــال

ثم ذكر العقاد ان الجارية جنان كانت أحـــب معشوقاته اليه ، وانها كانت تحب النساء وتميـــل اليهن ، وظن ان كلف ابى نواس بها ربما كان من ظواهر نرجسيته ، لان لازمة التشخيص تتحقق بها على نحو لا تتحقق بغيرها .

ورجع ان هيامه بالجارية (حسن) راجع الى تشابه اسمها واسمه ، حتى انه تشفع بهذه المشابهة فى قوله:

ان لي حرمة فلو رعيت لـــي
لا جوار ولا اقـــول قرابـــة
غير اني سمي وجهـــك لـــم
احرمه فى اللفظ والهجاء والكتابة

2 ـ وطبق عليه ظاهرة العرض ، ليبين انه لـــم ينظم شعرا فى الخمريات أو الغزل أو المجون الا تبين منه أن الجهر بالمحرمات أدنى الى هواه من الاستمتاع بهـــا .

وذلك أن بعض الناس قد يولع بالاباحية ويجاهر باللذات ، ويطيب له الخروج على العرف وعلى المألوف، لمهانتهم على انفسهم وعلى الناس ، فلا يبالون ، لانهم نسوا شخصيتهم ، وبعضهم قد يقترف هذا لتعاليهم على العرف وعلى الناس ، ولرغبتهـــم فى تقريـــر شخصيتهـــم .

ولم يكن أبو نواس من الفريق الاول ، لان أخباره واشعاره تنفي ذلك عنه .

وانما كان من الفريق الثاني المبالغ فى تهتكه ومجاهرته بما يقترف من آثام .

لهذا يقـــول :

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمـــر
ولا تسقني سرا اذا امكن الجهـــــر

ويقـــول :

أطيـب اللــذات ما كــــان ـ
جهـــارا بافتضـــــاح

وله فى هذا المجال شعر كثير .

3 ـ ثم حاول العقاد أن يطبق عليــه ظاهـــرة الارتداد ، من وصف لنشاطه ، وكلف بالخليفة الامين ، وولعه بالجارية حسن .

— 3 —

وليس من شك فى أن العقاد كان بارعا فى هذه المحاولة ، اذ استطاع ان يلخص معالم النرجسية ، ثم حاول ان يطبقها على حياة ابى نواس وشعره .
ولكن هذا لا ينفي ان فى التطبيق الوانا من مظاهر التمحل والاعتساف .

1 ـ فلا يصح أن تتخذ من غزل أبى نواس بغلام الثغ دليلا على ظاهرة التشخيص ، لأن لثغة ذلك الغلام تغاير لثغة أبى نواس ، ولأن الشعراء كانوا كثيرا مـــا يستملحون امثال هذه اللثغة فيمن يحبون من اناث وذكور ، كما كانوا يستملحون اللحن من الفتيات ومن الحســـان .

وليس من الصواب ان يكون اعجاب أبـــى نواس بالبحة فى صوت غلام آخر مظهرا للتشخيص ، فان مصدر هذا الاعجاب الاستملاح والاستطراف والارتياح الى هذا الصوت ، وهو اعجاب صالح لأن يصدر عن أبى نواس وعن غيره من الرجال .

واما تمثيله للجمال الفائق بيوسف فانه تمثيل للتفوق والامتياز ، ولا دليل فيه على تشخيص وتلبيس، اذ انه اراد أن يصور اصراره على رفض الزواج من المراة التي وصفها ، مهما تبلغ من الاغراء ، فقال انها لو بلغت من الجمال اعلى درجاته ، ومهما يهبط مهرها الى ادنى دركاته ، فانه لن يرضاها زوجة له . واذا كان قـــد ضرب المثال بيوسف وببلقيـــس ، فان الشعـــراء والقصاص قد نصبوهما مثلا اعلى للجمال .

ثم ان حبه للجارية جنان لا ينبـــيء عن تلبيس وتشخيص ، بدعوى أنها كانت تحب النساء وتميـــل اليهن ، فان حبها لم يكن مقصورا على النســـاء دون الرجال ، وهي فى الوقت نفسه جارية مغنية لا يتطلب منها أن تنافس الحرائر ، أو تكاشف النساء بالعداء .

على أنه احب الجارية دنانير وتغزل بها ، وتغزل بعشر من الجواري الحسان ، منهن عنان التي غلبته فى مساجلة بالأدب المكشوف على مسمع ومراى من وجوه بغـــــداد .

فلم يكن حب أبى نواس مقصورا على الجاريـــة جنان ، ولم يكن حبه لها عميقا طويل الأجل ، فانـــه احبها فى مطلع شبابه ، ولم يلبث حبه أن خمـــدت جذوته ، وكان معاصروه يشكون فى صدق هذا الحب وحـــرارتــــه .

كذلك يبدو التكلف فى الاستدلال على التشخيص بأن ابا نواس هام بالجارية (حسن) لأن اسميهمـــا متشابهان ، فان هذا الهيام واقع لا محالة ، سواء اكان اسمها ذلك ام غير ذلك ، والا فلماذا هام بدنانير وعنان وجنان ونرجس ، وليس بين اسمه وأسمائهن تشابه او اتفــــاق ؟

ومن التضييق على أبى نواس ان نحجر عليـــه التلاعب بالاسمين المتشابهين عن طريق المصادفة لا عن طريق التعمد والاختيار ، كما تلاعب المتنبي فيما بعد باسم سيف الدولة ، فشقق منه الوانا من المعاني والأفكار والخيال .

2 ـ وعجيب ان يتخذ العقاد من مجاهرة أبـــى نواس بخلاعته دليلا على نرجسيته ، وعلى ظاهـــرة العـــرض .

فقد عرف العالم عشرات من الادباء المولعيـــن بمثل هذه المجاهرة ، لانهم يجدون فيها انواعا مـــن التعالي او التظاهر او التفرد بالخروج على المالوف او الاستهانة بالقيم التي يقدرها المجتمع الخ .

من هؤلاء فى الأدب العربي الأعشى وسحيـــم وامرؤ القيس وعمر بن أبي ربيعة ونصيب وابن سكرة وكثير من شعراء اليتيمة .

ومنهم فى الأدب الغربي بيرون وكازانوفا ، ولم يوصف واحد من هؤلاء أو أولئك بالنرجسية أو بظاهرة من ظواهرها المعروفة .

وقد كان بايرون (8) يجاهر بعلاقاته ، ويسجلها في شعـــره .

وعرض كازانوفا (9) قصة حياته عريانة في غير احتشام ، على ما فيها من مثالب ومخاز تحمر منهـــا وجوه أكثر المجان من رجال ونساء ، ولم يكن غرضه تبرير احداثه او التهوين من قيم المجتمع ، او المباهاة بما اقترف ، وانما كان راوية دقيقا امينا لا يعنيه الا التسجيل للخير وللشر وللحرام وللحلال .

3 ــ واذا كان ابو نواس جميل الوجه . حســـن السمت ، مفترا بفراهة بدنه ، فقد كان أبو القشيـــر كذلك ، وكان يفاخر ابا نواس بجماله .

ذكر ابن منظور فى اخبار ابى نواس : قال أبو القشير : نظمت الشعر وانا غلام وابو نواس غـلام ، وكنا جميعا نضرب بالعود ، وكنت احسن وجها من ابى نواس ، وابو نواس اطبع ، فتفاخرنا بالشعر وغيره، ثم قلت له : اني اجمل منك وجها ، فقال : بل انا احسن منك وجها وافره .

والذي يتبين من هذه المفاخرة ان ابا القشيـــر فاخر ابا نواس بجماله ، ولم يكن شعوره بتفوقه فى الجمال ناشئا عن نرجسية ، وان ابا نـــواس رد على الفخر بمثله وزاد عليه قوة جسمه ، فلا دليل فى هذا على نرجسية ابى نواس .

على ان كثيرا من الغلمان كانوا وما يزالون فى هذه السن يتباهون بجمالهم وفراهة اجسامهم ، حتى ليعارضون عضلات بعضهم بعضلات بعض ، وحتى ليتصارعون ويتسابقون ، وهم أبريـــاء من مـــرض النرجسية واعراضها .

4 ــ اعتمد العقاد على وصف ابن منظور لأبـــى نواس بانه كان حسن الوجه ، رقيق اللون ابيض ، حلو الشمائل ، ناعم الجسم ، منسدل شعر الراس ، الثغ بالراء يجعلها غينا ، وكان نحيفا ، وفى حلقـــه بحة لا تفارقـــه .

وذكر بعض ابيات لأبى نواس ، كقوله :

تتيه علينا ان رزقت ملاحـــــة
فمهلا علينا بعض تيهك يابـــــدر
فقد طالماكنا ملاحـــا وربمـــــا
صددنا وتهنا ثم غيرنا الدهــــر

واستنبط العقاد من هذا أن ملامح النرجسيـــة تكاد تتمثل من هذه الأوصاف ، فالبيـــاض والرقـــة والنعومة والملاحة والشعر المتهدل أشبه ما تكـــون بملامح الفتى نرجس ، الذي حنا على الجدول فاستحال نرجسة ، واتخذه الأسطوريون اليونان نموذجا للجمال . وقال ان اللثغة وبحة الصوت تشيران الى تكوين وسط بين كيان الصبى وكيان الشاب الناضج .

ولكن هذا الحكم فيه تجوز كبير ، فليس مـــن الحتم اللازب ان يكون بياض البشرة وغضارتها وتهدل الشعر علامة من علامات النرجسية ، فطالما اشتهـــر رجال من الشرق والغرب بصفات الملاحة والجمال ، وهم بعداء عن النرجسية أيما بعد .

حسبنا ان نذكر منهم ابا القشير الذي فاخر ابا نواس بجماله ، ونصر ابن حجاج الذي افتتن به نساء المدينة ، فاضطر الخليفة عمر بن الخطاب الى نفيه منها ، وذلك انه كان يعس فى ليلة كعادته ، فسمـــع امرأة تنشد شعرا وهي فى بيتها ، منه :

هل من سبيل الى خمر فأشربها
ام من سبيل الى نصر بن حجاج ؟

فلما اصبح الصباح استدعى نصرا ، فاذا هـــو شاب جميل يفتتن بمثله النساء ، فأمر بحلق شعره ، وهو يريد التقليل من جماله ، فازداد جمالا ، فأمـــر بنفيه الى البصرة منعا للفتنة .

ومنهم بايرون ، فقد كان آية من آيات الجمال ، وكان شعره الذهبي يتهدل على جبينه فى خصـــلات متموجة ، وله عينان زرقاوان يخالطهما لون رمادي ، وتحيط بهما اهداب غزيرة طوال ، وشفتاه قرمزيتان ، وانفه رقيق لطيف ، وقدم رشيق ، وبشرته شفافـــة كأنها البلور ، وصوته رخيم كأنه نغمات والحان . واما اللثغة بالراء فانها اضطراب فى النطق يصيب كثيرا من الناس ، وقد اشتهر بها واصل بن عطاء ، وكان يهرب منها باجتناب حرف الراء فى دروسه وفى خطبه .

واما بحة الصوت فليست دليلا على تكوين وسط بين كيان الصبى وكيان الشاب الناضج ، لأنها ضعف فى الحنجرة يعتري بعض الأسوياء الذين لا يوصفون بلون من الوان الانحراف ، سواء أكانوا من الذكـــران ام من الانـــاث .

---

(8) بايـــرون : أمينـــة السعيـــد .
(9) كازانوفـــا : ستيفان زفايج ــ ترجمة دار الهلال

تدلك ليست الضفيرة المرسلة من شعر راسه دليلا على ان اهله وجدوه شبيها بالبنات ، فأرسلوا ضفيرته ، اذ ان بعض الناس كانوا وما زالوا يرسلون ذوائب وضفائر للذكور الصغار ، لتدليل والتمليح فحسب . وان كان شكلهم ابعد ما يكون عن الجمال وعن الشبه بالاناث .

ولهذا فلا مندوحة من العناية بالأحوال الاجتماعية والسياسية في دراسة شخصية ابى نواس ، لأن شخصيته وليدة نفسيته من ناحية ، ووليدة بيئته من ناحية .

ومعنى هذا ان نعتمد على المدرسة النفسية والاجتماعية معا في دراسة شخصيته .

اما دراسة فنه فلا بد ان نعتمد فيها على المدرسة الثالثة وهي المدرسة الفنية مع هاتين المدرستين .

النموذج الثالث

تطير ابن الرومي

— 1 —

لم يعرض احد من القدماء او المحدثين الى دراسة ابن الرومي الا عرج على تطيره ، وضرب الأمثلة من حياته ومن شعره على تشاؤمه . واغلب الظن ان الأحداث التي ذكروها عن تطيره حقائق واقعة ليس فيها تزيد ولا مبالغة ، لانه هو نفسه سجل تشاؤمه في شعره ، ودافع عنه ، اذ كان يعرف من نفسه انها شديدة الحذر ، ويرى ان الحذر سلم الى الأمان :

فآمن ما يكون المرء يوما
اذا لبس الحذار من الخطوب

وكان يحتج للطيرة ، ويقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال ، ويكره الطيرة ، اتراه كان يتفاءل بالشيء ولا يتطير من ضده ؟ وقال ان النبي مر برجل وهو يرجل ناقته ويقول يا ملعونة ، فقال : لا يصحبنا ملعون . وذهب الى ان الطيرة اصيلة في الطباع ، وان كانت اظهر في بعض الناس من بعض .

وذكر عنه عبد الله بن المسيب انه دخل علينا يوما مهرجان ، وعند عبد الله عدة من القيان الحسان اهدين اليه ، فيهن صبية حولاء وعجوز في احدى عينيها نكتة ، فتطير من ذلك ، ولم يظهر لي امره ، فلما مضت مدة سقطت لي ابنة من السطح ، وجفاه القاسم ابن عبيد الله ، فعزا الحادثين الى الحولاء والعجوز ، وكتب الي بقصيدة ، منها :

ايها المحتفي بحول وعور
ابن كانت منك الوجوه الحسان ؟
قد لعمري ركبت امرا مهينا
ساءني منك أيها الخلصان
فتحك المهرجان بالحول والعو
ر أرانا ما اعقب المهرجان
كان من ذلك فقدك ابنتك الحر
ة مصبوغة بها الأكفان
وتجافى مؤمل لي جليل
لج فيه الجفاء والهجران
خبر الله ان مشامة كا
نت لقوم وخبر القرآن
افزور الحديث يقبل ام ما
قاله ذو الجلال والفرقان ؟

واذا فلا غرابة فيما قصوا من احداث تشاؤمه كقولهم ان أبا الحسن علي بن سليمان الاخفش غلام ابى العباس المبرد ، كان شابا ظريفا ، وكان يعبث بابن الرومي ، فيقرع بابه سحرا ، فيقال له : من ؟ فيقول : قولوا لأبي الحسن : مرة ابن حنضلة . فيطير ابن الرومي ، ويقيم في بيته اياما لا يبرحه .

وقال علي بن ابراهيم كاتب مسروق البلخي : كنت بداري جالسا ، فاذا حجارة سقطت بالقرب مني ، فأمرت الغلام بالصعود الى السطح والنظر الى كل ناحية ، ليعرف من اين تاتينا الحجارة ، فعاد الي يقول : امراة من دار ابن الرومي الشاعر قد تشوفت وقالت : اتقوا الله فينا ، واسقونا جرة ماء ، والا هلكنا ، فقد مات من عندنا عطشا . فأرسلت اليها امراة من عندنا بالماء والطعام ، فلما عادت قالت : ان الباب مقفل عليهم منذ ثلاث ليال بسبب طيرة ابن الرومي ، لانه كان يلبس ثيابه كل يوم ويتعوذ ، ثم يمشي الى الباب والمفتاح معه ، فيضع عينه على ثقب الباب ، فتقع على جار له نازل بازائه وهو رجل احدب يقعد كل يوم على الباب ، فاذا نظر اليه ابن الرومي رجع وخلع ثيابه ، وقال لا يفتح الباب احد (10) .

(10) زهر الآداب 2 / 188 .

وذكروا ان احد الامراء ارسل اليه خادما يستدعيه اسمه اقبال ، ليتفاءل باسمه ، فلما اخذ اهبته للركوب قال للخادم : انصرف الى مولاك ، فانت ناقص ، ومعكوس اسمك (لا بقا) (11) .

وارسل اليه بعض اصحابه غلاما اسمه حسن ، فطرق الباب عليه ، فقال : من ؟ قال : حسن ، فتفاءل به وخرج ، واذا امام الباب حانوت خياط صلب عليها دراعتين بالهيئة اللام الف ، ورأى تحتها نوى تمر ، فتطير وقال : هذا بشير بأن (لا تمر) ، ورجع ولم يذهب معه (12) .

— 2 —

وقف الدارسون على اختلاف اعصارهم عند هذا الحد ، فلم يتجاوزه الى استكناه تطير ابن الرومي ، واستشفاف ما وراءه من عوامل كانت السبب في نشأته وفي نمائه .

اما العقاد فانه لم يقنع بما قنعوا به ، فجعل يحلل تشاؤم ابن الرومي ويعلل له ، ويربطه بعوامل نفسية ، ويلائم بينها في دقة وحصانة ومهارة وتوفيق .

ونستطيع ان نتبين من دراسته لتطير ابن الرومي ان مراجعه الى نوع من الاختلال العصبي والاضطراب النفسي (13) .

ذلك انه كان ضعيف الاحتمال لحرارة الصيف ، يعاني منها ما جعله يقول :

قد مضى اكثر الشتاء وجاء الصيـ
ـف تعدو فلا ترده البطاء
يا عليما بما اكابد فيه
لا تعاونه ان فيه اكتفاء

قد مضى اكثر الشتاء وجاء الصيف يعدو فلا ترده البطاء وكان متوفر الحس الى اقصى حد ، يهيج اعصابه اهون مس ، ويستفزه ايسر حادث ، حتى ان الروائح القوية كانت تؤذيه وتصدعه ، وهذا هو السبب في ذمه الورد ومدحه النرجس .

وكانت مشيته — كما وصفها هو — مشية المختلج كأنه بين يديه غربا لا يديره :

ان لي مشية اغربل فيها
آمنا ان اساقط الاسقاطا

وهي مشية تشيع في المصابين باختلال في العصب او العضل .

وكان مسرفا في كل امر من أموره ، لا تصده عزيمة ، ولا يرده ضابط ، كان مسرفا في طعامه وشرابه وشهواته ، ومسرفا في تهكمه وهجائه ونكاته ، ومسرفا حتى في استقصاء المعاني ، ولا سبب لهذا الاسراف الا توفر الحس ، والاستجابة للرغبات ، والعجز عن كبحها ، والانقياد لما تمليه اللحظة الحاضرة

وفي راي العقاد ان خضوع ابن الرومي لكل احساس طارىء ، واستغراقه فيه ، لم يترك له منفذا الى التفكير في عقابه ، وجعله لا يعادل عما يزينه له الحس والخيال الى ما تمليه عليه الحكمة والحصانة .

واذا كان مزاجه قد أغراه بالاسراف فان اسرافه جنى على مزاجه ، لأن اسرافه الموكل بالاستقصاء في كل مطلب ورغبة خليق أن يسقم جسمه ، وينهك اعصابه ، ويتحيف على صوابه ، وهو في الوقت نفسه لم يسرف هذا الاسراف الا وفي جسمه سقم ، وفي اعصابه خلل ، وفي صوابه شطط .

— 3 —

ويذهب العقاد الى ان المرء قد تختل اعصابه فينقلب جريئا جسورا عنيدا مقتحما للمخاطر والأهوال، مستهينا بالعواقب وما يقترن بها من آثار ، وقد تضرب اعصابه فيصير وديعا مطيا شديد الخوف والحذر ، هيابا للصغائر ، مبالغا في حسبان النتائج والعواقب الى حد التوهم . وقد كان ابن الرومي من الطراز الثاني .

كان مريض النفس مختل الاعصاب فتطير ، والرجل السليم لا يتطير ، لانه يتوقع من الدنيا خيرا ، ولا يحس نفرة بينها وبين نفسه ، ولا يتسلف الفزع من مكاره موهومة ، فاذا أصابه مكروه تلقاه بعزيمة ضابطة لمشاعره فلا افراط في الجزع ، ولا استسلام للفزع .

(11) العمدة 1 / 40 .
(12) معاهد التنصيص 1 / 43 .
(13) ابن الرومي لعقاد 65 ، 116 ، 117 ، 127 ، 130 ، 200 ، 209 .

وكثيرا ما تبلغ الطمانينة بالرجل السليـــم الى التفاؤل المستسلـــم للأمن الصادق والكاذب ، كمـــا يستسلم المتطير للفزع والتوهم الصحيح والزائف .

— 4 —

واذا فقد كان تطير ابن الرومي مظهرا لاختـــلال اعصابه واضطراب نفسه ، وكان ضعف اعصابه وشدة حذره ومزاجه المتشائم تزين له أن يتوجس الشر في كل شيء ، وأن يقلب الكلمة او الفكرة على ما تحتمله وما لا تحتمله من حالات ، ليستخرج منها ما يمكن ان تؤديه وتدل عليه ، وسرعان ما ينتقل ذهنه بين المعاني ونظائرها واشباهها ، وبين الكلمات ومـــا يجانسهـــا ويشاكل احرفها واوزانها ، فلا يعوزه ان يعثر بمـــا يوافق نفسيته الحذرة .

ومن هنا كانت كلمة (جعفر) مثلا تساوي عنه جاع وفر) وكلمة (الخان) تذكره بكلمة الخيانة :

فكم خان سفر خان فانقض فوقهم
كما انقض صقر الدجن فوق الأرانب

بل ان خياله المتشائم امتد الى تصحيف الكلمات فقال في القينة :

لا تلـــح مـــن تغتنـــه قينـــــــه
فان تصحيف اسمهـــا فتنـــــة

وقال في شخص ابوه اسمه هرثمة :
عائد دهره اذا سطـــع النقيـــــــ
ـــع بمعنى مصحف اسم ابيـــه

وصحف اسم عمرو الى عير في قوله :
يا عمرو لو قلب ميم مسكنـــــــة
باء محركة لم تخطىء الفقـــــر

ولقد استبد به الوساوس في اواخر حياتـــه ، فصار آفة غلابة على اقواله وافعاله ، لا محيص له عنها، فأفرط في الطيرة ، واشتد خوفه من الماء ، حتى كان لا يركب سفينة مهما تكن مأمونة ، ومهمـــا يكـــن في ركوبها من اغراء ، يدل على هذا قوله في وصف سفر بدجلـــــه :

واما بلاء البحر عندي فانـــــه
طواني على روع من الروح واقب
ولم لا ، ولو القيت فيه وصخرة
لوافيت منه القعر اول راســـب

ولم لا اتعلم قط من ذي سباحة
سوى الغوص والمضعوف غير مغالب
فايســر اشفاقي من الماء انتـــي
امر به في الكوز مر المجانـــب
واخشى الردى منه على كل شارب
فكيف بأمنية على نفس راكـــب ؟

اظـــل اذا هزتـــه ريـــح ولألأت
له الشمس ملواجا طوال الغواب
كأني ارى فيهن فرسان بهمـــــه
يلوحون نحوك بالسيوف القواضب

— 5 —

ذلك تعليل العقاد لتطير ابن الرومي ، وهو تعليل في رايي صواب كله ، لأن مرده الى نفسية الشاعر لا الى مؤثرات اخرى من السياسة والاجتماع .

اما اذا اردنا دراسة شعره المتطير فالأجدر بنا ان نبني دراستنا على المذهب النفسي والمذهب الفني والمذهب الاجتماعي جميعا .

النمـــوذج الرابـــع

ولـــع المتنبـــي بالتصغيـــر

— 1 —

كان ابو الطيب مولعا بالتصغير الى حد لم يماثله فيه شاعر ، ولم يخف هذا الولع على دارسيه ، ولكنهم اذ تنبهوا للظاهرة لم يتعمقوا في التعليل لها .

وحسبنا أن ابا العلاء اجاب ابن القارح حينمـــا سأله عن هذه الظاهرة بقوله : « كان الرجل مولعـــا بالتصغير ، لا يقنع منه بخلسة المغير ... ولا ملامة عليه ، انما هي عادة صارت كالطبع تغتفر مع المحاسن ».

— 2 —

ويعلق العقاد على كلمة المعري بقوله : لا شـــك انها عادة كما قال المعري ، ولكن اي عادة هي ؟ امـــن عادات اللفظ ؟ أم من ضرورات الوزن ؟ ام من عبثات اللســــــان ؟

ويجيب بقوله : لا ، ولكنها فيما نظـــن عادة في الطبع والخلق ، وما صارت كالطبع كما قال المعري الا لانها من الطبع ، وفيها ترجمة عنه ، ومجاراة لنوازعه.

ثم يعلل لهذا الكلف تعليلا تفرد به ، وذلك ان المتنبي كان يتعالى بنفسه على التكسب بالمدائح والزلفى الى الملوك والامراء ، وكان يرى انه خلق لما هو اجل ، وارفع من ذلك ، وهو امللك والقيادة ، فلا يبالي ان يطول على ذوي السلطان بهذا الاعتقاد فى قصائده التي يمدحهم بها .

وكان يؤنب نفسه اذا ما آنس منها ركونا الى حياة الدعة ، واطمئنانا الى منامه بين حاشية الأمراء واتباعهم المتكلين على عطاياهم ، فيحفزها وينحيها عن هذا المقام ، ويذكرها ما اعدت له من المجد والعظمة .

لكن المتنبي كان شريكا فى العظمة الدنيوية والاخلاق العلمية فى كل ما هو من باب الشعور والملاحظة ، ولم يكن شريكا فى كل ما هو من باب الانجاز والتنفيذ . كان يشعر شعور عظماء الأعمال ،

ويقيس الامور بمقاييسهم ، ويلزم نفسه الجد الذي يلتزمون فى حركاتهم وسكناتهم ، وتساوره المطامع التي تساورهم ، ولكنه لا يتمم الأمور كما يتممونها ، ولا يسوس الحوادث كما يسوسونها . كان مطبوعات على غرار رجال المطامع ولكن فى داخل نفسه لا فى ظاهر عمله ، فله فى خلقه وتفكيره استعداد عظماء الاعمال ولكن بغير داة العظمة .

واذا كان شعوره بالعظمة قد بدا فى المبالغة والتهويل والتفخيم احيانا فان شعوره بالتأفف والاشمئزاز والتحقير قد بدا فى التصغير احيانا اخرى ، فاذا ازدرى شيئا ضئيلا او رجلا حقيرا فذلك ازدراء يشوبه الضغن ، ويضاعفه ظل العظمة الملقى عليه ، فاذا الشيء شويء واذا الرجل رجيل .

واكثر ما يصغر المتنبي حين يهجع مغيظا محنقا ، او يستخف متعاليا محتقرا ، كما يقول فى كافور .

اوى اللئام كويفير بمعذرة
فى كل لؤم وبعض العذر تفنيد

وكما يقول فى الشعرا الذين يزاحمونه :

افي كل يوم تحت ضبني شويعر
ضعيف يقاويني قصير يطاول

وكما يقول فى اهل زمانه .

اذم الى هذا الزمان اهيله
فأعلمهم فدم وحزمهم وغد

ذلك تعليل العقاد لولوع المتنبي بالتصغير ، ولا شك انه تعليل صادق ، لانه ارجع التصغير عند المتنبي الى شعوره بالعظمة والى ازدرائه الناس .

ولكن العقاد تجاوز عن عامل آخر ربما كان ادعى الى ولوع المتنبي بالتصغير من هده العظمة المصطنعة التي يمازجها احتقاره للناس .

وذلك ان المتنبي فيما أرى كان ينفس بهذا التصغير عن موجدته وحنقه وشعوره بالعجز عن تحقيق ما يتشهاه ، فقد ذم الحياة ، وادعى أنها لا تواتي الا الأغبياء والحمقى ، كقوله :

فما ترجى النفوس من زمن
احمد حاليه غير محمود

وقوله :

ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت
على عينه حتى يرى صدقها كذبا

وقوله :

فنرى الدار اخون من مومس
واخدع من كفة الحابل

وقوله :

من خص بالذم الفراق فانني
من لا يرى فى الدهر شيئا يحمد

وقوله :

وشبه الشيء منجذب اليه
واشبهنا بدنيانا الطغام
ولو لم يعل الا ذو محل
تعالى الجيش وانحط القتام
ولو لم يرع الا مستحق
لرتبته اسامهم المسام (14)

وكذلك حنق على الناس ، لانهم نالوا ما لم ينل ، وبخاصة اصحاب الغنى والمجد والجاه ، وساء رأيه فيهم وفى اخلاقهم .

---

(14) المسام : الرعية . الضمير فى اسامهم يعود الملوك المذكورين فى أول القصيدة : اي لو كانت الامارة بالجدارة لوجب ان يكون الملوك رعية و رعيتهم ملوكا لانهم احق منهم بالملك .

من ذلك قولــــه :

انما انفس الانيـــس سبـــاع
يتفارســـن جهـــرة واغتيـــالا
من اطاق التماس شيء غلابـــا
واغتصابا لـــم يلتمسه ســـؤالا
كل غـــاد لحاجـــة يتمنـــى
أن يكون الغضنفـــر الرئبـــالا

وقــولـــه :
اذا ما الناس جربهـم لبيـــب
فاني قـــد اكلتهـــم وذاقـــا
فلم ار ودهـــم الا خـــداعـــا
ولم ار دينهـــم الا نفاقـــا

وقــولـــه :
ولا تشك الى خلق فتشمتـــه
شكوى الجريح الى الغربان والرخم

وقــولـــه :
وكن على حذر للناس تستـــره
ولا يغرك منهم ثغر مبتـــسم
غاض الوفاء فما تلقاه في عـــدة
واعوز الصدق في الاخبار والقسم

فليس اذن على المتنبي ان يكلف بالتصغير ، لانه في تعبيره لون من الهجاء والتحقير ، وضرب مـــن الاستهانة وقلة المبالاة ، ومبعث ذلك كله التنفيس عما يعتمل في نفسه من عوامل متعددة ، اهمها الغـــرور والتعالي المصطنع ، والسخط على الحياة ، والموجدة على الناس ، ولهذا يقول :

اذم الى هذا الزمـــان اهيلـــه
فأعلمهم فدم واحزمهم وغـــد
واكرمهم كلب وابصرهم عـــم
واسهدهم فهد واشجعهم قـــرد

على انني لا اوافق العقاد في قوله « ان المتنبي اذا ازدرى شيئا ضئيلا او رجلا حقيرا فذلك ازدراء يشوبه الضغن » لأن المتنبي المتعاظم لا يضطغن على رجل حقير ، وكيف يحقد على الحقير وهو لا يتطلع اليه أو يباريه أو يباليه ؟ بل يضطغن على العظيم لانـــه قصر عن بلوغ غايته ، أو لأن الحظوظ التي نولت هذا العظيم اسباب علاه ضنت على المتنبي بما كان يصبو اليـــه ويتشهـــاه .

واذا فان كلف المتنبي بالتصغير كان صدى لما يعتمل في نفسه ، وكان صدى للحيـــاة السياسيـــة والاجتماعية في عصره ، اذ كان عصر امارات وثورات ووثبات الى الحكم هنا وهناك ، وكانت القوة والحيلة والدهاء أهم الوسائل لظفر الطامحين الى الحكـــم ، والطامعين في السلطان ، وكانت الاحقاد والدسائس والنفاق والملق والمنافسات واستكانـــة الشعـــوب واستبداد الحكام فاشية في المجتمعات .

النتيجـــة

لعله قد تبين من هذه اللمحات ان الدراســـة النقدية لا يصح أن تنحصر في نطاق المدرسة النفسية التي آثرها العقاد ، ولا يسوغ لناقد ان يقصرها على اصول المدرسة الاجتماعية وحدها ، أو يحصرها في مجال المدرسة الفنية معزولة عن غيرها ، فانـــه لا مناص من اعتماد الناقد على هذه المدارس جميعا ، لان بعضها يخدم بعضا ، ولأن بعضها يجدي حيـــث لا يجـــدي ســـواه .

واذا كان الاعتماد على المذاهب الثلاثة هو المنهج السليم الكامل ، فان الدارس أو لناقد ليس محتومـــا عليه أن يطبقها جميعا في كل حالة من الحالات ، فقد يكون الاستئناس بمصابيحها كلها هو الهـــادي الـــى الطريق ، وقد يكون في مصباحين أو مصباح واحـــد غنـــــاء .

وعلى الدارس والناقد ان يتخير في دراستـــه الاجتماعية والسياسية ما يتصل اتصالا وثيقا بالشخصية التي يعرضها ، أو النص الذي يدرسه ، وان يبتعد في دراسته النفسية والفنية عن التكلف والاعتساف ، حتى لا يلبس الشخوص أو يضفي على النصوص اردية واسعة العرض ، او مفرطة الطول ، أو ضيقة عـــن القـــدود .

النظامة الإلكترونية
تحصي جذور مفردات اللغة العربية

الدكتور إبراهيم أنيس
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

جاء في كتاب « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » تأليف الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة 817 هـ ، روايات متعددة ، ومتباينة في بعض تفاصيلها ، برغم انها جميعا تدور حول الاحصاءات القرآنية من حيث عدد السور والآيات والكلمات والحروف الهجائية ... الخ .

وتنسب تلك الجهود الاحصائية الاستقرائية الى بعض من مشهوري العلماء والقراء الاوائل، بل يبدو من بعض تلك الروايات أن العلماء والقراء قد تصدوا لتلك العملية الاحصائية منذ عهد الحجاج بن يوسف ، أو ربما منذ ايام عبد الله بن مسعود .

وظلت تلك الاحصاءات تتناقل بعد ذلك جيلا بعد جيل ، ويتلقفها المفسرون والدارسون ، وربما يكون منهم من حاول تحقيقها فأعاد الاحصاء والاستقراء حتى انتهت لدى المتأخرين من العلماء على تلك الصور المتعددة والروايات المختلفة التي نراها في كتاب كالبصائر للفيروزابادي ، وفي حاشية الجمل على تفسير الجلالين منسوبة للامام النسفي ، واخيرا نجدها في كتاب الكشكول للعاملي وقد أصابها كثير من الخلط والاضطراب .

واوضح ما ظهر فيه الخلاف بين تلك الروايات عدد الحروف الهجائية في القرآن الكريم برغم أن القرآن منذ نزل على نبينا صلى الله عليه وسلم هو هو لم يزد حرفا ولم ينقص حرفا ، حفظته الصدور ، وسطر في المصاحف ، وبذلك تحقق قوله سبحانه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ولما ظهر لعلمائنا المتأخرين اختلاف عدد الحروف في تلك الروايات حاولوا تفسير ذلك او تعليله فيقول صاحب البصائر : « واما الحروف فان بعض القراء عد الحرف المشدد حرفين فيكون على هذا القرآن عنده اكثر » !! غير ان مثل هذا التعليل في رايي ، لا يكفي في تسويغ التعدد في الروايات واختلاف الارقام مع كل منها ، اذ يذكر الفيروزابادي في كتابه البصائر ثمانية ارقام مختلفة لمجمل عدد الحروف في القرآن مؤكدا ذكرها وضبطها بالكتابة أي لا يكتفي بالرقم الحسابي .

وتلك هي الروايات التي جاءت في كتاب البصائر مع الاكتفاء هنا بذكر السند في الرواية ، الاولى وحدها رغبة في الايجاز :

1) واخبرنا الحسن ، انا ابو الحسن ، انا ابن مسلم ، انا وكيع ، انا اسماعيل ابن مجمع ، أنا محمد بن يحيى ، انا عبد الملك بن عبد الرحمن ، حدثني أيوب ، وابو عكرمة ، عن مرجى ، عن جعفر بن سليمان ، عن مالك بن دينار وراشد وغيرهما قالوا : قال لنا الحجاج: عدوا لي حروف القرآن ، ومعنا الحسن ، وأبو العالية، ونصر بن عاصم ، فحسبنا بالشعير واجمعنا على أنه ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وعشرون حرفا ، وفي رواية

عطاء بن يسار ثلاثمائة الف حرف وستون الفا وثلاثة وعشرون حرفا . (بالأرقام : 023 300 ، 023 360) .

2) عن ابن مسعود انه قال : وحروفها ثلاثمائة الف حرف وستمائة حرف وسبعون حرفا . (670 300)

3) عن أبي معاذ النحوي : هو ثلاثمائة الف حرف واحد وعشرون الف حرف ومائتا حرف . (200 361)

4) عن عطار بن يسار : ثلاثمائة الف وثلاث وعشرون الفا وستمائة واحدى وسبعون حرفا . (671 323)

5) حسبوا حروف القرآن فعرصوه على على مجاهد وسعيد بن جبير فلم يخطئوهم . فبلغ ما عدوه : ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وعشرون الف حرف واحدا وسبعين حرفا . (071 323) .

6) عن ابي حمزة الزيات وأبي حفص الخراز قالا : حروف القرآن ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وسبعون الف حرف ومائتان وخمسون حرفا (250 373) .

7) عن يحيى بن الحارث الذماري قال : عدد حروف القرآن ثلاثمائة الف حرف واحد وعشرون الف حرف ومائتا حرف وخمسون حرفا (250 321)

8) عن راشد ابي محمد وكان شهد الحجاج حين ميز القرآن قال : وحروفه ثلاثمائة الف حرف وعشرون الف حرف ومائة وثمانية وثمانون حرفا (188 320) .

وهكذا نرى أن هذه الروايات الثماني لم تتفق الا في رقم ثلاثمائة الف ، اي لم يبلغ الخلاف بينها حدود مئات الألوف ، ولكن بلغ حدود الآلاف ، بل بلغ في بعض الروايات حدود عشرات الآلاف !!

ويذكر القرطبي في تفسيره ثلاث روايات لجملة عدد الحروف في القرآن الكريم لا تشترك مع اي من الروايات السابقة . والارقام التي جاءت في روايات القرطبي هي : (180 321 ، 015 323 ، 740 340) .

ومع ما ذكره الفيروزابادي في تعليل ذلك الخلاف نود ان نضيف الى قوله ان الذين قاموا بالاحصاء فيما مضى كانوا فيما يبدو، فريقين : فريق كانوا يعدون عن طريق السمع ، اي كلما سمعوا من قارىء حرفا واتضح في اسماعهم اضافوا شعيرة ، وفريق آخر كانوا يعدون عن طريق النظر ، اي كلما ابصروا في المصحف حرفا مكتوبا اضافوا شعيرة . وتظهر ثمرة الخلاف بين هؤلاء وهؤلاء حين نتذكر أن بعض الحروف تسمع ولا تكتب مثل كثير من الفات المد وبعض واوات المد وياءات المد والهمزات ... الخ . وان بعض الحروف تكتب ولا تسمع كهمزة الوصل والالف بعد واو الجماعة .الخ. ومن هنا يمكن ان نتصور وقوع الخلاف في العدد ، وان كان من المستبعد ان يصل ذلك الى عشرات الآلاف .

غير ان الخلاف في جملة عدد الحروف لم يزعجنا بقدر ما ازعجنا وادهشنا ان يقع الخلاف بين الروايات في عدد كل حرف على حدة . فلم تتفق روايات كتاب البصائر الا في عدد الطاءات ، الظاءات . ولم تتفق مع روايات النسفي الا في عدد الظاءات فقط . واما ما جاء في الكشكول للعامري فلا يتفق في اي حرف مع روايات الفيروزابادي او النسفي . وقد اكتفى صاحب الكشكول بذكر الارقام ولم يضبطها بالكتابة ، ولذلك جاءت نموذجا عجيبا من الاضرابات والخلط .

وحين نستبعد من الحروف تلك التي يحتمل في بعضها ان تكتب ولا تسمع ، او التي تسمع ولا تكتب كالالفات والهمزات والواوات والياءات ، ونكتفي بمقارنة العدد لكل حرف من الحروف الاخرى التي لا يصيبها شيء من ذلك ، لا نكاد نرى مسوغا لوقوع خلاف في عدد حروف كالراءات أو الباءات مثلا !!

واذا استعرضنا مختلف الروايات حول اعداد الحروف لمسنا كيف ان القدماء من العلماء كانوا في شبه صراع مع عدد الحروف ، يبذلون الجهد ، ويحاولون التحقيق ما وسعهم ذلك ، لان الامر يتصل بالمعجزة الكبرى للاسلام ، وبكتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم مع هذا لا يكادون يجمعون على رأي حاسم قاطع بصدد عدد اي حرف من القرآن الكريم الا الظاء .

وهناك صراع احصائي آخر نلحظه بين المتقدمين من اصحاب المعاجم ، فقد تبين لهم منذ عهد الخليل بن احمد ان عدد الكلمات التي يمكن عقلا او نظريا ان يتألف من حروف الهجاء الثمانية والعشرين يكاد يبلغ ، بل يجاوز حدود اثني عشر مليونا ، على اساس ان الكلمة العربية قد تكون ثنائية الاصول ، وقد تكون ثلاثية الاصول ، وقد تكون رباعية الاصول او خماسية الاصول . كما

تبين لهم أن عدد المستعمل من تلك الصور المحتملة لا يكاد يجاوز مائة الف ، والباقي مهمل لا يرد في اللسان العربي .

وظهر اثر ذلك في المعاجم الاولى للغة العربية ككتاب العين المنسوب للخليل ، والجمهرة لابن دريد ، والتهذيب للأزهري ، ففي كل من هذه المعاجم نقرأ – ولا سيما مع الجذور الثنائية والثلاثية – كلمتي المستعمل والمهمل لبيان ما ورد في اللغة وما لم يرد .

وحاول ابن جني في كتابه الخصائص (1) تفسيرا لاهمال ما اهمل من صور الجذور ، وجاءنا بما سماه الاستثقال !! فكثيرا ما يردد هذه الكلمة ، وكأنما قد تصور ان مؤتمرا قد عقد بين القاطنين باللغة العربية ، وانهم اهتدوا خلال مناقشات هذا المؤتمر الى الحكم على استثقال الكثرة الغالبة من الجذور ، فكأن الامر في تصوره كان اراديا متعمدا ، فهو يردد في احيان كثيرة قوله : ان العربي ينفر من اجتماع كذا مع كذا من الحروف !! ولما وجد أن بعض الجذور المهملة لا يتسم بالاستثقال او ما يشبه الاستثقال مثل المادة « لجع » قال عنها انها اهملت حملا على ما اهمل من تراكيب الرباعي والخماسي !!

فلنستمع الى نص كلام ابن جني في الخصائص :
(اما اهمال ما اهمل مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الاصول المتصورة او المستعملة فأكثره متروك للاستثقال ، وبقيته ملحقة به ومقفاة على اثره ، فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه مثل :«سص، طس ، ظث ، ثظ ، ضش ، شض » ، وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه والمشقة على النفس لتكلفه ، وكذلك نحو « قج ، جق ، كق ، قك ، كج ، جك » . وكذلك حروف الحلق هي من الائتلاف ابعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف اعني الفم ، فان جمع بين اثنين منها قدم الاقوى على الاضعف نحو : « اهل ، احد ، أخ ، عهد ، عهر » . وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما الا بتقديم الاقوى منهما نحو : « ارل ، وتد ، وطد » . ويدل على أن الراء اقوى من اللام ان القطع عليها اقوى من القطع على اللام ، وكأن ضعف اللام انما اتاها لما تشرب به من الغنة عند الوقوف عليها !! وكذلك لا تكاد تعتاص اللام ، وقد ترى الى كثرة اللثغة في الراء في الكلام . وكذلك الطاء والتاء هما اقوى من الدال ، وذلك لأن جرس الصوت بالتاء والطاء عند الوقوف عليهما اقوى منه واظهر عند الوقوف على الدال وانا ارى انهم انما يقدمون الاقوى من المتقاربين من قبل ان جمع المتقاربين يثقل على النفس ، فلما اعتزموا النطق بهما قدموا اقواها لأمرين : أحدهما أن رتبة الأقوى ابدا أسبق واعلى ، والآخر انهم انما يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف من قبل ان المتكلم في أول نطقه اقوى نفسا واظهر نشاطا فقدم أثقل الحرفين وهو على أجمل الحالين كما رفعوا المبتدأ لتقدمه فأعربوه بأثقل الحركات وهي الضمة ، وكما رفعوا الفاعل لتقدمه ونصبوا المفعول لتأخره ... الخ .) الى ان يقول ابن جني في آخر هذا الفصل : (وتخطوا بذلك الى اهمال بعض الثلاثي لا من أجل خفاء تركيبه بتقاربه نحو : « سص ، صس » لكن من قبل أنهم حذوه على الرباعي كما حذوا الرباعي على الخماسي ؛ الا ترى أن « لجع » لم يترك استعماله لثقله من حيث كانت اللام اخت الراء والنون ، وقد قالوا : « نجع فيه ، رجع عنه » ، واللام أخت الحرفين ، وقد اهملت في باب « اللجع » فدل على أن ذلك ليس للاستثقال) انتهى كلام ابن جني !!

وكلما مررنا بتلك الاشارات السريعة التي نصادفها في ثنايا كتب القدماء من المستعمل والمهمل من جذور اللغة ، او عن توالي الحروف وما يجتمع منها وما لا يجتمع ، احسسنا انهم كانوا في شبه صراع رهيب ومحاولة يائسة لعلهم يصلون الى نسبة صحيحة في الاحصاء او الاستقراء . فاذا روي عن الخليل أنه قال: (ليس في كلام العرب شين بعد لام ولكن قبلها ، كلها قبل اللام) ، رد عليه الأزهري قائلا : (وقد وجد في كلامهم الشين بعد اللام، قال ابن الاعرابي وغيره :رجل « لشلاش اذا كان خفيفا ») ، ثم يروي لنا بعض المعاجم ايضا كالقاموس المحيط للفيروزابادي أن الفعل « لشا » معناه خس بعد رفعه !!

ومن الاشارات السريعة التي جاءت في كتب القدماء بصدد نسبة شيوع الحروف في اللغة العربية قول ابن دريد في مقدمة معجمه الجمهرة (واعلم أن اكثر الحروف استعمالا عند العرب : الواو ، الياء ، الهمزة ، واقل ما يستعملون لثقلها على السنتهم : الظاء، ثم الذال ، ثم الثاء ، ثم الشين ، ثم القاف ، ثم الخاء ، ثم الغين ، ثم النون ، ثم اللام ، ثم الراء ، ثم الباء ، ثم الميم) !!

---

(1) جـ 1 ص 53 .

واهم ما نلاحظه على اشارة ابن دريد المقتضبة انها لم تتضمن الا نصف حروف الهجاء ، وان النسخ المخطوطة لهذا المعجم قد اختلفت في شأن حرفين من الحروف المذكورة هنا ، فبعضها يذكر الدال بدلا من الذال ، ويذكر العين بدلا من الغين !!

واما الجاحظ فبرغم كثرة مؤلفاته وضخامتها لا نرى له سوى سطر واحد في البيان والتبيين يقرر فيه أن : الياء ، اللام ، الألف ، الراء ، أكثر الحروف ترددا من غيرها ، وأن الحاجة اليها اشد !! ثم يذكر لنا كيف اهتدى الى ذلك في تعبير طريف يقول فيه : (واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم ، فانك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت ان هذه الحروف الحاجة اليها اشد) !!!

وجاء في مقدمة لسان العرب لابن منظور : (واما تقارب بعض الحروف من بعض وتباعدها فان لها سرا في النطق يكشفه من تعناه كما انكشف لنا سره في حل المترجمات لشدة احتياجنا الى معرفة ما يتقارب بعضه من بعض . فان من الحروف ما يتكرر ويكثر استعماله وهو : ا ، ل ، م ، هـ ، و ، ي ، ن . ومنها ما يكون تكراره دون ذلك وهو : ر ، ع ، ف ، ت ، ب ، ك ، د ، س ، ق ، ح ، ج . ومنها ما يكون تكراره أقل من ذلك وهو : ظ ، غ ، ط ، ز ، ث ، خ ، ض ، ش ، ص ، ذ . ومن الحروف ما لا يخلو منه اكثر الكلمات حتى قالوا ان كل كلمة ثلاثية فصاعدا لا يكون فيها حرف او حرفان منها فليست بعربية وهي ستة احرف : ر (1) ، ب ، م ، ن ، ل ، ف . ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض اذا اجتمع في كلمة الا ان يقدم ، ولا يجتمع اذا تأخر وهو : ع ، هـ ، فان العين اذا تقدمت تركبت واذا تأخرت لا تتركب ، ومنها ما لا يتركب اذا تقدم ويتركب اذا تأخر وهو : ض ، ج ، فان الصاد اذا تقدمت تركبت واذا تأخرت لا تتركب ، ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض لا ان تقدم ولا ان تأخر وهو : س ، ث ، ض ، ز ، ظ ، ص ، فاعلم ذلك) .

واما اشهر ما عرف عن علماء البلاغة بهذا الصدد فنراه في اثناء حديثهم عن التعقيد اللفظي ، واكثره تفصيلا ما جاء في عروس الأفراح للسبكي (2) ، ونقتبس هنا بعض فقراته :

(تنبيه : رتب الفصاحة متقاربة ، وان الكلمة تخف وتثقل بحسب الانتقال من حرف الى حرف لا يلائمه قربا أو بعدا) .

ثم يذكر المؤلف الحالات الست للجذر الثلاثي على أساس ان الحرف قد يكون مخرجه من الحلق كالعين مثلا ، أو مخرجه من الفم كالدال مثلا ، أو مخرجه من الشفتين كالباء مثلا . فالحروف الثلاثة ع ، د ، ب ، يمكن أن يتألف منها ست صور هي :

ع د ب ، ب د ع ، د ب ع ، ع ب د ، د ع ب ، ب ع د . ثم يتحدث المؤلف عن اكثر هذه الصور شيوعا واقلها شيوعا فيقول ما نصه : (اذا تقرر هذا فاعلم ان احسن هذه التراكيب واكثرها استعمالا ما انحدر فيه من الأعلى « يريد حرفا مخرجه الحلق » الى الأوسط « يريد حرفا مخرجه الفم » الى الادنى « يريد حرفا مخرجه الشفتان » (3) ، ثم ما انتقل فيه من الأوسط الى الأدنى الى الاعلى ، ثم من الاعلى الى الادنى الى الاوسط ، وما انتقل فيه من الاوسط الى الاعلى الى الادنى فهما سيان في الاستعمال وان كان القياس يقتضي أن يكون ارجحهما ما انتقل فيه من الاوسط الى الاعلى الى الادنى . واقل الجميع استعمالا ما انتقل فيه من الادنى الى الاعلى الى الاوسط) . انتهى كلام عروس الافراح . والمؤلف في كل الحالات السابقة يريد بقوله الاعلى حرفا مخرجه الحلق ، وبالادنى حرفا مخرجه الشفتان ، وبالاوسط حرفا مخرجه الفم .

واخيرا وليس آخرا تلك الضوابط المشهورة التي عني بها امثال « الجواليقي » في كتابه « المعرب من الكلام الاعجمي » ، والشهاب الخفاجي في كتابه « شفاء الغليل » حين يشار في هذين الكتابين الى ما يمكن أن يعد علامات لتمييز الكلمة العربية من الكلمة الأعجمية وهي :

(1) لا تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية ، الأصل، ولذلك تعد كلمة مثل « المنجنيق » من الالفاظ الأعجمية .

---

(1) ذكرت في المعجم على انها « دال » ومن المؤكد انه تصحيف .
(2) شروح التلخيص جـ 1 ص 94 ، 95 .
(3) لعل هنا نقصا في النص وتكملته « أو عكسه من الادنى الى الأوسط الى الاعلى » . وهذه التكملة لكن تتم الصور الست للثلاثي .

(2) لا تجتمع الصاد والجيم فى الكلمات العربية ، فمثل « صولجان » مما اقترضه العرب ، وكذلك كلمة « الجـــص » .

(3) لا تقع النون وبعدها راء فى اللفظ العربي ، فمثل « نرجس » كلمة اعجمية .

(4) لا تكون الزاي بعد دال فى كلمة عربية ، فمثل « مهندز » كلمة اعجمية ، وهي الكلمة التـــي تغيرت فيما بعد حتى صارت على الصورة المالوفة الآن « مهندس » .

(5) لا تجتمع الزاي أو الذال مع السين ، فكلمـــة « ساذج » معربة عن الفارسية .

(6) لا تقع الطاء مع الجيم فى كلمة عربية ، ولذلك عدت كلمة « الطاجن » اعجمية .

(7) لا تخلو الكلمة العربية حين تكون رباعية الاصل أو خماسية الاصل من حرف من حروف الذلاقة وهي : اللام ، الراء ، النون ، الميم ، الفاء ، الباء ، فيما عدا كلمة « عسجد » بمعنى الذهب .

اما بعد : فازاء كل ما تقدم هنا من نصوص وردت فى كتب القدماء كنت الى عهد قريب اشعر بالدهشة والحيرة ، واتمنى لو أتيحت لنا فرصة لاعادة الاحصاء والاستقر اء عن طريق تلك الآلات الحاسبة الحديثـــة التي اشتهرت باسم العقل الالكتروني أو«الكومبيوتر»

ثم حانت الفرصة فى العام الماضي حين دعتني جامعة الكويت لزيارة كانت برغم قصر زمنها ، مباركة فى ثمارها . فقد اتصلت بأستاذ الفيزياء المصـــري والمعار لجامعة الكويت الدكتور علي حلمي موســـى وكنت اعلم انه من أمهر المتخصصين فى استخـــدام الكومبيوتر . وعقدنا معا عدة جلسات علمية شرحت فيها فكرة الاحصاءات اللغوية واهميتها فى البحـــث اللغوي ، ثم كان أن اتفقنا على البدء بدراسة احصائية لجذور اللغة كما جاءت فى معجم الصحاح للجوهري .

ووضع استاذ الفيزياء ما يسمى فى استخـدام الكومبيوتر بالبروجرام ، وشحن ذاكرة الكومبيوتـــر بنصوص المعجم ، ثم استملى ذلك الجهاز العجيـــب فاملى عليه نتائج احصائية رائعة نسقت فى عشرات من الجداول ، وبذلك تحقق ذلك العمل العلمي الرائد الذي سعدت بأن يكون لي فيه حظ التوجيه والارشاد.

وطبعت جامعة الكويت تلك النتائج الاحصائية فى كتيبين تحت عنوان « دراسة احصائية لجـــذور مفردات اللغة العربية » ، ووزعتها على كل اعضـــاء المجامع اللغوية فى العالم العربي ، وعلى أقسام اللغات والرياضيات فى الكليات الجامعية .

وهكذا نرى ان اصحاب العلم الحديث قد قالوا كلمتهم بصدد الاحصاء اللغوي ، وبقـــي علينا نحـــن اللغويين أن نفيد من تلك الاحصاءات فى بحوثنا ، ولا اشك لحظة فى أن اللغوي الحديث سيهتدي عن طريق تلك الاحصاءات الى تفسيرات جديدة واصيلة لكثير من ظواهر لغتنا العربية ، واعمل الآن جاهدا رجـــاء الاهتداء الى بعض آثار الكومبيوتر فى البحث اللغوي. وبالله التوفيق .

سمات ومشابه عربية في أدب الكاتب الايطالي :

جوفاني فيرغا Giovanni Verga

للأستاذ عيسى الناعوري
- الأردن -

اذا كانت المدرسة الادبية الواقعية تعزى في فرنسا الى هونوريه دي بلزاك واميل زولا ، ويضمون اليها غي دي موباسان وغوستاف فلوبير ، فانها في ايطاليا تعزى الى لويجي كابوانا وجوفاني فيرغا ، ويضمون اليها غراتسيا دليدا .

واذا كان بلزاك ، في فرنسا ، يعتبر نقطة البداية في الحركة الواقعية ، واميل زولا عامل تثبيتها واديبها الاكبر، فان الايطاليين يعتبرون كابوانا نقطة البداية في المدرسة الواقعية ، او الطبيعية (Verismo - Naturalismo) وفيرغا عامل تثبيتها واديبها الاكبر، على الاخص بروايتيه الشهيرتين (أسرة مالافوليا — I Malavoglia) و (المعلم السيد جيزوالدو — Mastro Don Gesualdo)

وعلى الرغم من أن المدرسة الواقعية الايطالية جاءت بعد اختها الفرنسية ، وكانت متأثرة بها ، الا انها تختلف عنها في ناحية مهمة هي انها انصرفت الى معالجة الواقع المحلي الصرف : الواقع الايطالي لا الانساني العام ، كما نرى ذلك في اشخاص روايات فيرغا التي كانت صقلية مائة بالمائة ، واشخاص روايات غراتسيا دليدا التي كانت من واقع جزيرة سردينيا وحدها ، ومن بيئاتها الفقيرة الخاملة المتألمة .

لقد تأثرت هذه المدرسة — سواء في فرنسا أم في ايطاليا — بالنهضة الصناعية والعلمية في اوروبا ، وبظهور كارل ماركس وانجلز ، وما تركت فلسفتهما الاقتصادية المادية من اثر واسع في الحياة العادية في اوروبا ، حتى جعلت كل شيء يفسر تفسيرا ماديا واقتصاديا وآليا .

كان جوفاني فيرغا روائي الواقعية وخلاقها المبدع ، بينما كان صديقه وزميله كابوانا ناقدها الاكبر ، وناشر فلسفتها بما يمتاز به نقده من حيوية الافكار والانطباعات ، الى جانب مشاركته في الخلق والابداع بما الفه من اقاصيص وروايات ومسرحيات منتزعة كلها — او اغلبها — من واقع الحياة الصقلية. ولعل اشهر اعماله الادبية قصته مركيز روكافيردينا — (Marchese di Roccaverdina) . وبالرغم من براعة كابوانا النقدية ، واهمية آثاره الادبية ، فان فيرغا يظل اهم منه كثيرا في زعامة المدرسة الواقعية، وابعد اثرا .

وكان يمكن اعتبار اليساندرو مانتزوني خالقا للمدرسة الواقعية قبل كابوانا وفيرغا ، على الاخص بروايته الشهيرة (الخطيبان — I promessi sposi) لولا أن ما نتزوني كان حريصا على الجوانب الخلقية، فيحكم على الاعمال والاشخاص في روايته على اسس خلقية ، لا مادية واقتصادية وعلمية ، بينما تترك المدرسة الواقعية الحكم على الاعمال والاشخاص الى القاريء نفسه ، لا الى المؤلف ، كما ان هذه المدرسة كانت تحرص على عدم الكشف عن الدناءات والمساويء الانسانية علنا او التشهير بها امام القراء ، بل كانت تعطف على المحرومين من ابناء الشعب ، وتشيد

بمزاياهم الايجابية ، واستسلامهم الى الالم والبؤس، ودفاعهم عن الشرف ، وما الى ذلك . وهذه المزايا كلها نجدها مصورة أروع تصوير فى آثار فيرغا الادبية المستمدة من الحياة الصقلية الشعبية الكادحة ، المستسلمة الى المصير المحتوم .

فمن هو جوفاني فيرغا هذا ؟

ولد فيرغا فى مدينة كاتانيا ، في صقلية ، عام 1840 ، وتوفي فى عام 1922 ، بينما ولد زميله كابوانا — وهو ايضا من كاتانيا — قبله بعام واحد ، اي عام 1839 ، وتوفي قبله بسبعة اعوام ، اي عام 1915 .

ولقد احس فيرغا منذ حداثته بميل شديد الى الآداب ، وبحاجته الى بيئة تساعده على تغذية ميله هذا . وفى عام 1865 غادر صقلية الى فلورنسا حيث وجد البيئة التى يريد . فاقام فيها مدة ، ثم انتقل منها الى ميلانو ، وهناك بدات حياته الادبية بدايتها الجدية . فاقام فى ميلانو الى ان عاد منها عودته النهائية الى مسقط راسه — كاتانيا — حيث توفي عام 1922 .

فى الفترة التى بدا فيها فيرغا حياته الادبية كانت الحركة الادبية الواقعية واسعة الانتشار فى فرنسا واوروبا ، وكانت قد ظهرت كذلك حركة ادبية جديدة فى مدينة ميلانو نفسها ، اطلق على اصحابها اسم (ذوي الشعور الشعث) وبالايطالية (Scapigliati) — وهي اشبه بحركة الخنافس، او الهيبيين فى يومنا هذا — فهي مدرسة تمردية ، قليلة الانصار ، قصيرة العمر جدا : اذ لم يزد عدد كتابها وشعرائها البارزين على الستة ، وهم : (Giuseppe Rovani) مؤسس هذه الحركة وزعيمها ، و (Iginio Tarchetti) و (Giovanni Camerana) و (Carlo Dossi) و (Emilio Praga) وهذا اشهرهم ، واخيرا (Arrigo Boito) . اما عمر هذه الحركة فلم يزد على عشر سنوات (من 1860 الى 187 0) .

لقد اراد هؤلاء الروائيون والشعراء الشبان ان يتمردوا على مثالية المدرسة الرومنسية وحساسيتها المفرطة ، ولكنهم انغمسوا كل الانغماس فى حياة فوضوية بوهيمية ، وفى الكفر بالله والانسان والوطن والفن ، وبكل المثل العليا فى الحياة ، ومضوا ينشدون النسيان في تعاطي الخمر والافيون.

وكان لذلك طبيعيا ان يموت بعضهم بالسل والاسقام، وينتحر بعضهم كذلك : فقد قضى (تاركيتي) بالسل وعمره ثمانية وعشرون عاما ، وقضى (كاميرانا) منتحرا ، ومات أشهرهم (براغا) صغير السن لم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره .

عند ظهور هذه المدرسة المسلولة — او فلنقل « المسطولة » ! — كان فيرغا فى حدود الثلاثين من عمره، وفى عز انتشارها كان قد وصل الى فلورنسا، ثم انتقل قبل وفاتها الى ميلانو — مهد هذه الحركة وقبرها — وفى هذه الفترة جاءت اعماله الادبية مزيجا مضطربا من اثر الواقعية الفرنسية ، والتمردية الفوضوية الميلانية — مدرسة ذوي الشعور الشعث — . وهذه الاعمال التى انتجها فيرغا هي : (خاطئة — Una Peccatrice) و (حكاية بلبل — (Storia di una capinera والنمر الملكي — (Tigre Reale و (ايروس (Eros و (حواء Eva) .

وعلى الرغم من ان فيرغا قد وضع هذه الروايات بعيدا عن الارض الصقلية ، وفى وسط المدن الشمالية الكبيرة الملأى بالنشاط والحياة ، الا انه كان يعيش بروحه فى ارضه الصقلية ، ومنها ظل يستمد الهامه وشخوصه وصوره . وعلى الرغم من النجاح الذى لقيته هذه الروايات ، فانها لم تبلغ السمت الفني الذى كان فيرغا يتوق الى تحقيقه . ولم يهتد الى حقيقته الفنية الا حين سلك سبيل الواقعية الادبية ، فهناك رسخت شهرة فيرغا بين عمالقة الادب الايطالي ، ولاسيما حين ظهرت روايتاه الشهيرتان (I Malavoglia) (Mastro Don Gesualdo) المستمدتان من واقع الحياة الصقلية الكادحة ، المذعنة للقدر الرهيب ، وحين أصبح شخوصه ممن يدعوهم باسم المغلوبين — Vinti) لان الاقدار هي التى تسيرهم بارادتها دون أن يكون لهم فيها رأي ، ولا فى تبديلها يد .

ولا فى تبديلها يد. بدات الفترة الجديدة فى حياة فيرغا الادبية بقصة عنوانها Nedda ظهرت عام 1874 ، ثم تلاها بعدد من المجموعات القصصية الواقعية الاخرى فى كتبه التالية: (حياة الحقول — Vita dei campi) 1880 ، و (خبز اسود — Pane nero) 1882 ، و (اقاصيص قروية — Novelle rusticane) 1883 و (فى الطرقات — Per le vie) وغيرها . الا ان فيرغا بلغ الذروة فى روايتيه (أسرة —

مالافوليا ـ والمعلم السيد جيزوالدو) ، وقد ظهرت الاولى عام 1881 ، والثانية 1889 . ويمكن ان تضاف اليهما روايتان اخريان ، هما : (زوج ايلينا ـ Il marito di Elena) عام 1882 ، و (من حصتك على حصتي ـ Dal tuo al mio) عام 1906.

فى هذه الروايات انصرف فيرغا قبل كل شيء الى النظر الى الانسان فى عفوية احاسيسه واعماله ، والى الدنيا فى الاعيب الاقدار العجيبة وتحكمها بمصائر البشر . فهو شديد العطف على الضعفاء ، والمتوهين ، والمغلوبين على امرهم الذين يحنون رؤوسهم لمشيئة القدر المستبد ، يتفهمهم بعطف عميق حتى فى اخطائهم .

وقد اهتدى فيرغا اذن الى نفسه ، اذ عاد بروحه وقلمه من دنيا القصور الباذخة والحياة المترفة فى المدينة الصاخبة ليستروح عبير ارضه الصقلية ، ويعيش مع شعبه ، ويتذوق طعم الخبز البيتي اللذيذ . لقد افلحت الواقعية فى ان تجعله يعيش بسلام مع نفسه ، ويستمد فنه مما كان يعيش فى اعماق نفسه من بيئته الصقلية الاولى .

صحيح أن معاصري فيرغا كانوا قد استقبلوا رواياته واعماله الادبية بشيء من البرود وقلة الاهتمام ، غير انه ما كادت تميل شمس الواقعية الى الغروب ، وتصبح شيئا من حصة التاريخ الادبي ، حتى اصبحت تلك الروايات والاقاصيص مثار الاعجاب الواسع لدى القراء والنقاد ، واخذت مكانتها الرفيعة بين روائع الآثار الادبية الكلاسيكية .

— * —

« ان فيرغا اليوم واحد من أوسع الكتاب شهرة وذيوعا فى الادب الايطالي .. وعلى الرغم من تغير الظروف التاريخية لا يزال اكثر ما يكون حياة فى ضمير الاجيال الجديدة التى تعتبره الكاتب الذى مجد اعظم الاخلاق الانسانية نقاء ، والممجد الاكبر لقداسة الحياة ، ولنضال الرجولة اليومي للبقاء .. واغانيه تظل ضمن نطاق الانسانية ، الا انها تسمو على انسانيتها بتحمل الالم برجولة حقة . هذه هي رسالة فيرغا الاجتماعية : فالاب نتوني هو رمز للعظمة الانسانية السامية التى تعرف كيف تؤلف بين شريعة الحياة المتالمة وشريعة الله » .

هذه الفقرة اخترتها من كتاب (تاريخ النقد الفيرغوي ـ (Storia della critica Verghiana) لصديقي الكاتب الايطالي (Giorgio Santangelo) الاستاذ فى كلية الآداب فى جامعة باليرمو . وكنت قد قرات هذا الكتاب النفيس قبل ان اشرع فى دراسة آثار فيرغا ، لكي يساعدني على فهم هذه الآثار الادبية فهما صحيحا . والحقيقة انه افادني كثيرا بأن أطلعني على آراء العديد من النقاد الايطاليين فى فيرغا وادبه ، حتى لقد خيل الي انه لم يبق جانب من جوانب فيرغا الفنية الا اشبع درسا وتحليلا .

وحين عكفت على دراسة روايتي فيرغا الكبريين (اسرة مالافوليا ـ والمعلم السيد جيزوالدو) وجدت ان هناك نقطتين جديرتين بالنقاش والتحليل رغم كل ما قاله النقاد فى اعمال فيرغا الادبية . وانا فى هذه العجالة اقتصر على هاتين الروايتين وحدهما من بين انتاج فيرغا كله .

النقطة الاولى تتعلق بالحتمية القدرية (Fatalismo) التى يراها النقاد فى آثاره ، والتى اراها انا بطولة ورجولة ، لا خنوعا لقدر محتوم لا يمكن قهره .

ويبدو لي أن هذه الحتمية التي يراها نقاد فيرغا قد اصبحت لديهم ماركة مسجلة بالنسبة الى اعماله الادبية ، ولاسيما الواقعية منها ، فهو عندهم لا يعرف الا بها .

وحين تذكر هذه الحتمية ينصرف ذهننا الى قطعان بشرية مذعنة لمصيرها المحتوم : تسير بعيون مغمضة ، ورؤوس منحنية خنوعا ، ولا تدري ـ أو لعلها لا تملك ان تدري ، أو تسال ـ ان كانت تساق الى المسلخ ام الى المرعى ، لان ارادتها مشلولة ، ومسيرها مخطوط منذ الأزل فى لوح القدر من نقطة انطلاقها حتى النهاية .

ولكن هل كان كذلك حقا ابطال فيرغا ؟ (اكرر هنا انني اتحدث عن «أسرة مالافوليا ، وجيزوالدو» بنوع خاص لئلا ازيد الموضوع اتساعا ، واطلق الجناحين اكثر مما يجب) .

فلنحاول أن نلقي نظرة سريعة على كل من هاتين الروايتين لكي نصل من ذلك الى حيث نضع اصابعنا فى موضع الجراح من اولئك (الابطال) الذين يابى فيرغا الا ان يدعوهم باسم (المغلوبين ، او المهزومين ـ Vinti) :

1 ـ اسـرة مالافوليـــا : I MALAVOGLIA

فى هذه الرواية لدينا عـدة ابطـال ، غير ان الرئيسيين منهم ثلاثـة ، هم : السيـد نتونـي ـ والـدار ، وتـدعـى باسـم « دار الزعـرورة » Casa del nespolo والمركـب ، ويدعـى باسـم « العناية » (Provvidenza) . ـ وتتألـف اسـرة مالافوليا من : الشيخ نتوني ، والابن باستياناتـو ـ والكنة ماروتسـا (Maruzza) وتدعـى ايضـا (La Longa) ، وكذلك من الاحفـاد (نتوني ـ لوكـا ـ مينـا Mena ـ اليسندرو ، ويدعى ايضا مصفرا ، اليسي ـ ثم ليا) . انها اسرة من صيادي الاسماك يحاول افرادها ان يتعاونوا فيما بينهم على العيش من مهنة واحدة. وفى احدى السنين العجاف يحاول السيد نتوني ان يتغلب على الفقـر والجـوع بتجارة الترمس (Lupini) ولاجل ذلك يستديـن من احد المرابين (واسمه كروتشيفيسو) خمسمائة ليرة . غير ان عاصفة تهب على المركب فتغرقـه مع حمله ـ من الترمـس ، ويغرق معهما كذلـك الابن باستياناتـو . اما المركب فينتشل ويعاد اصلاحـه للعمل من جديد ، واما الدين فيظـل دون تسديـد رغم كل المحاولات والجهود التي يبذلها الشيخ نتوني وسائر الاسرة . واخيرا تضطر الاسرة الى التخلي عن الدار العزيزة ـ دار الزعرورة ـ ثم عن المركب ـ العناية ـ لتسديد الدين . وحين تتجرد الاسـرة من الدار والمركب تأخذ المصائب فى التـوارد عليـها : فتموت الكنة بالكوليرا، ويقضي الحفيد لوكا فى معركة بحرية ، والحفيد الآخر نتوني ، بعد أن يخدم فى الجندية ، يعود الى البطالة ، وينغمـس فى اعمـال التهريب ، وبالتالي يدخل السجن ليقضي فيه خمس سنوات فى القيود لطعنه ضابط الحرس فى اثنـاء معركة ليلية بين حرس الجمـارك والمهربين . وبعد ذلك تغادر الحفيدة ليـا المنزل ولا يعود احد يراها . ويموت كذلك الشيخ فى احد المستشفيـات بعد ان اثقلته السنون والمصائب معا . والحفيـدة (مينـا) لا تجد زوجا بسبب المصائب المتلاحقة التى تنصـب على بيت مالافوليا ، فتنصرف الى العناية باخيهـا الاصغر (اليسي) واسرتـه . واليسـي هـذا هو وحده الذى يتزوج جـارة له تدعـى (نونتسياتـا ـ (Nunziata) ويتمكن من استعادة الدار التى كان استردادها آخر امنية للجد قبل احتضاره . وبعدئذ يخرج الحفيد نتوني من السجن ويمضي بعيـدا الى حيث لا يستطيع احد ان يعرفه .

2 ـ المعلم السيد جيزوالدو ـ MASTRO DON GESUALDO

كان جيزوالدو بناء ، وابن قروي يملك فرنـا للجير (مشيدة) . ناضل نضالا عنيدا منذ طفولته ضد بؤس الفقراء ورفاقتهم : « حمل الكثيـر من الحجارة على منكبيه .. وقضى العديد من الايام دون خبز » (ص 76) . لقد عمـل اجيـرا ، وبنـاء ، وعديدا من الحرف الاخرى ، ولكنه كان دائما مصمما على الانتصار على ظروفـه الاليمـة ، والتغلـب على عناد الاقدار . وبفضل عمله المتواصل دون ملل او تعب استطاع ان يتغلب على الظروف العسيرة ، وان يقترن بفتاة تدعى (بيانكا تراو ـ (Bianca Trau كانت الاخيرة من اسرة نبيلة خفض الزمان جناحها . غير ان هذا الزواج ، الذى فرضته علـى الطرفيـن المصالح المادية وليس الحب المتبادل ، يصبح بداية لمصائب خطيرة ، ثم يفضي الى الدمـار . والثمـرة الوحيدة لهذا الزواج ، وهي الابنة ايزابيلا ، تعيش بعيدة عن ابيها الذى تخجل من اصله الوضيع ، ثـم تصبح زوجة لاحد دوقات باليرمو . وتموت الزوجة (بيانكا) بالكوليـرا ، ويصـاب جيزوالـدو نفسـه بالسرطان ، فيقضي ايامه الاخيرة فى قصـر زوج ابنته فى باليرمو ، ويموت بعد ذلك وحيدا يائسا بعد ان يرى ضياع الثروة التى جمعهـا بكـده وعرقـه المتواصلين جميعا ، والتى كانت اعز عليه من حياته. وتقول الرواية انه « هناك ، امام الثروة التى يملكها ، اقتنع بانه انتهى حقا ، وان كل امل له قد ضـاع .. انه يود لو يستطيع ان يدمر بضربة واحدة كل الثروة التى جمعها شيئا فشيئا . يود لو امكن ان تذهـب املاكه معه ، قانطة يائسة مثله ! » (ص 347)

فى البداية تستولي اخت جيزوالدو وزوجها على املاكه وثروته ، غير ان زوج ابنته لا يلبث ان يستولي على كل شيء رغـم احتجـاج الشيـخ جيزوالـدو المحتضر الذى « كان بطنه منتفخـا كالقربـة ... والانياب الكلبية فى داخله تنهش كبـده نهشـا » (338)

— * —

فى هاتين الروايتين نلاحظ كيف جعل فيرغا الحتمية القدرية تسيطر من البداية الى النهاية ، أو هكذا ارادها ، لان فيرغا يرى « أن الناس ـ أخيارا كانوا ام اشرارا ـ يجثـم عليهم كابـوس محتـوم صـارم ـ كما يقول باسكواله لامانا فى الجزء الثالث

من كتابه (تاريخ الادب الايطالي) ص 112 — يجتث كل طموح لهم نحو الرخاء ونحو الطمانينة ، ويعاقب بقسوة ظالمة كل ارادة لهم للخروج من قشرتهم ، والارتقاء فوق ظروفهم الاجتماعية » .

ومع ذلك فان هناك، الى جانب الاقدار والكابوس الصارم ، شيئا آخر هو « البطولة » ، هو الصمود حتى النهاية فى النضال الذى يرافق سائر احداث اسرة مالافوليا والمعلم جيزوالدو . ان البطلين التاعسين لا يرضخان للمصائب، ولا ينحنيان أمام المصائب والعوائق الرهيبة التى يضعها القدر فى طريقهما ، بل يسيران رافعي الرأس دون ان يعرفا اليأس والهزيمة .

ان الحتمية القدرية ليست حقيقة مطلقة فى الحياة ، بمعنى أن الانسان يجب ان يحني راسه مستسلما لها دون نضال . وكذلك هي فى روايتي فيرغا : فى حياة أشخاصه وتصرفاتهم ومعتقداتهم . انها ليست حقيقة مطلقة لا يمكن التغلب عليها بقوة الارادة ورجولة النضال ، بمقدار ما هي عقيدة مسيطرة على تفكير المؤلف نفسه . ان فيرغا يلح كل الالحاح فى ابرازها فى رواياته . وعلى الرغم من انها ليست حقيقة لا علاج لها ، الا ان المؤلف يبحث عنها عامدا ، ويريدها دون علاج لابطاله الذين يدعوهم « المغلوبين) لكي يحدد لهم قسمتهم تحديدا قسريا منذ الازل : اي أن «يعملوا ويتألموا» — كما يقول الناقد الايطالي سابينيو Sapegno)

ان اشخاص فيرغا ليسوا من اختراع خياله . هذا صحيح ، ولكنهم مخلوقات آدمية ينتقيها هو من الواقع البائس انتقاء بلحمها ودمها ، ويعرضها على المسرح لكي تمثل ادوارها الحقيقية التى يلازمها البؤس والنحس . غير اننا فى هذا الواقع الذى يعرضه لنا المؤلف نلمس لدى فيرغا ميلا طبيعيا — أو هل نقول « حتميا » ، حسب اعتقاده بالحتمية ؟ — الى المأساة أكثر منه الى الملهاة، او الى بساطة الحياة وعاديتها . وقد يكون ذلك لان حياة جزيرة صقلية كانت حينئذ — كما صورها فيرغا ، وكما صورها من بعده جوزيبني تومازي دي لامبيدوزا فى روايته (الفهد) او (Il Gattopardo) كما هو عنوانها بالايطالية ، بكثير من الاغراق فى التشاؤم — منفى مليئا بالتعاسة والجهل والفقر والظلم .

يقول ماتزوني (Mazzoni) : : « ان المؤلف يعطينا اشخاصه كما يريدهم هو ، ويجعلهم يتصرفون كما نحب نحن ، حتى فى اكثر حركات حياتهم سرية . انه يسمع اشد اصواتهم خفاء ، ويتجسس حتى على تنهداتهم فى ليالي الارق » ... وأنا أحب ان اضيف هاهنا ان فيرغا يستحضر أشخاصه ومعهم بيئاتهم الحقيقية . وعلى الرغم من انه كان يصر دائما على ان فنه لا صلة له بشخصه ، وينفي الذاتية عنه ، فان ما يضعه من كلام على افواه اشخاصه ينسجم كل الانسجام مع البيئة النفسية والروحية التى يحسها هو نفسه ويريد ابرازها ، اي مع عاله الخاص . وطبيعي انه يقدم لنا الحقائق فى لمسات من بدفنان بارع ، لا وقائع تاريخية مجردة من حياة الجزيرة فحسب . والمساكين الذين يناضلون لاجل الرغيف ولاجل السلام فى جزيرتهم هم وحدهم الاشخاص الذين يتعمد فيرغا اختيارهم ليفصل على قياسهم فكرته الخاصة فى القدرية وفى المصير المحتوم وجبروته . غير اننا نراهم ، رغم الهزائم المريرة ، على استعداد دائم لمتابعة النضال بكل جدارة ، ومن غير هدنة . صحيح انهم قد ينتهون الى الخيبة والقنوط ، ولكنهم يسقطون سقوط الابطال ، لا سقوط الضعفاء والجبناء ، وفى بعض الاحيان قد يبلغ نضالهم — ولو متأخرا جدا — الى النصر ، والى استرداد المتاع الذى فقدوه ، كما رأينا فى (أسرة مالافوليا) وفى بعض جوانب فى (المعلم السيد جيزوالدو) ايضا ، كما سأشرح ذلك فى ما يلي :

فى (أسرة مالافوليا) يناضل الشيخ نتوني طويلا ، وتناضل معه أسرته كلها كذلك ، لكي يتوصلوا الى استرداد (دار الزعرورة) . غير ان السيد نتوني نفسه لا ينتصر ، لسوء حظه ، الا بعد موته : ففى اللحظة الاخيرة يبشره حفيده اليسي بانه استطاع ان يسترد الدار . كان السيد نتوني حينئذ على عتبة العالم الآخر الذى لا عودة منه ، غير انه أحس بأن الحياة لم تخدعه خداعا تاما ، وبأن العدالة ما تزال توجد على الارض .

واليكم ما تقوله الرواية :

« حين اخبروه بعد ذلك انهم استعادوا دار الزعرورة ، وارادوا ان يعيدوه معهم الى (تريتسا — Trezza) من جديد — كان حينذاك فى المستشفى طبعا — اجاب بنعم ، ثم نعم ، بعينيه اللتين عادتا الى الاشراق ، وكاد فمه ينفرج عن ضحكة عريضة : ضحكة اولئك الذين ما عادوا يعرفون الضحك ، او الذين يضحكون للمرة الاخيرة . ولكن الضحكة ظلت

مفروسة فى قلبه كالنصل . ذلك ما جرى لاسرة مالافوليا حينما عادوا يوم الاثنين فى عربة (العم الفيو) ليعيدوا جدهم معهم الى المنزل فلم يجدوه» (ص 245)

اذن فقد انتصر السيد نتوني على حياة الفقراء المريرة بنضاله الذى لم يكن لنفسه فحسب ، ولا اينال النصر وحده : بل لتظل ثمرة عنائه لاحفاده من بعده . ان النصر يظل دائما نصرا ، ولا يقلل من أهميته موت المحاربين الشجعان : فالنصر الحقيقي لا يجيء من دون تضحية . فى جميع الحروب هناك من يحارب ويسقط لاجل الآخرين ، وآخرون يفوزون بمكاسب تلك التضحية . فالمحارب انما يحارب لكي ينتصر وهو يعلم حق العلم بأن الموت ينتظره فى الحرب ، غير ان تضحيته لا تذهب عبثا الا اذا لم يستفد احد منها من بعده . والتضحية هنا ، ونضال السيد نتوني الطويل الشاق ، استفاد منهما آخر احفاده (اليسي) .

حتى المركب (العناية) انتصر على هياج الامواج والعواصف : كان حينا يمتلىء بالماء حتى ليخشى عليه من الغرق ، وحينا يخرج من مصارعة العواصف محطما . غير انه فى كل مرة كان يعاد اصلاحه ، فيعود سليما ومستعدا لصراع جديد مع عاصفة اخرى، واخيرا تخلى عنه اصحابه الى المرابي كروتشيفيسو تسديدا للدين وهو فى حالة جيدة ، وظل يعمل حتى وفاة صاحبه الاول .

اما فى رواية المعلم جيزوالدو فان جيزوالدو نفسه هو الذى انتصر . لقد رأينا انه كان قد ولد فى اسرة بائسة . واليكم ما تقوله الرواية فى حياته النضالية :

« كان فى حركة دائبة : يعمل دائما ولا تستريح قدماه ابدا ، من هنا الى هناك ، فى البرد والحر والمطر ، وراسه مثقل بالافكار ، وقلبه متضخم بعدم الاستقرار ، وعظامه محطمة من التعب ، لا ينام اكثر من ساعتين اذا تيسر ذلك وكيفما تيسر : فى قرنة اسطبل ، او خلف سياج ، فى العراء او على الحجارة ، ياكل قطعة خبز اسود حيثما كان : على ظهر البغل ، او فى ظل زيتونة ، او على طرف حفرة ، فى الملاريا اوفى دوامة من البرغش لم يعرف الاعياد ولا عطلة الاحد ولا عرف قط كيف يضحك ضحكة مغتبطة ... ولا وجد لديه ساعة واحدة مثل تلك الساعات التى كان يستمتع بها اخوه (سانتو) على حسابه فى الحانة » (ص 78) .

وعلى الرغم من كل هذا البؤس والعناء فان دون جيزوالدو لم يكن قط رجلا متخاذلا : لم يستسلم الى مشيئة القدر ، بل كان يريد ، بأي ثمن ، أن « يخرج من قشرته ويرتقي فوق ظروفه الاجتماعية الاصلية » . وقد رأينا في ما تقدم كيف استطاع بفضل عمله الدائب وتصميمه الحازم ان يصل الى مكانة اجتماعية مرموقة يحترمها الآخرون ، وان يصبح مرهوبا حتى لدى الشخصيات البارزة الضخمة فى بلده ، وان يقترن بفتاة من اسرة ارستقراطية . حتى ابنته الوحيدة اقترنت بأحد دوقات باليرمو .

صحيح انه فى النهاية كان لابد ان يقضي بالسرطان ، الا انه مات بطلا لا خاملا وضيعا . وعدا ذلك ــ وهذا مهم جدا ــ مات جيزوالدو واثقا من ان ابنته ــ ثمرة زواجه الوحيدة ــ لن تعرف البؤس والحرمان ، بل ستنعم بثمرة تضحيته وكفاحه .

ومن هم الذين كافحهم المعلم جيزوالدو ؟

لقد كافح الجميع ، وكافح كل شيء : كافح البؤس ، وضعة الاصل ، وقسوة الحياة ، وكبار الشخصيات فى البلد ، وتحكم والده المتعنت ، وحسد اخيه وجشعه ، وكافح كذلك حسد شقيقته وزوجها ، بل لقد كافح حتى (تاني ــ Tanni) الانتهازي، وهو ليس سوى زوج لخادمته (ديوداتا ــ Diodata) . وكذلك كافح حقد الاخوين (تراو) شقيقي زوجته ، كما كافح غرور صهره الدوق ، ومساويء الكاهن (دون لوبي) وخبثه . وكافح الملاريا ، وقوى الطبيعة التى تعاكسه فى صف خصومه الناقمين الحاسدين . وفى كل مرة كان جيزوالدو يخرج من هذا الكفاح منتصرا ، حتى اللحظة الاخيرة التى ادار فيها وجهه نحو الحائط ــ كما فعل والده من قبله ــ « وبردت اطرافه فجاة ، ثم سكتت حركته نهائيا » ــ كما يقول المؤلف (ص 367)

لقد مات السيد جيزوالدو والسيد نتوني مالافوليا قانطين ، هذا صحيح ، ولكنهما ماتا بكرامة وانفة . كانا من الابطال الحقيقيين الذين يظلون متنكبين سلاحهم حتى النفس الاخير فى كفاحهم ضد حتمية الاقدار . وهذه البطولة فى الصراع

الانساني لا يجوز ، فى اعتقادي ، ان نخضعها لفكرة الحتمية وتحكم الاقدار ، كما يشاء النقاد الايطاليون أن يعتبروها فى روايات فيرغا . انها بطولة ، وليست خضوعا واستسلاما للاقدار .

ونجيء الآن الى النقطة الثانية فى روايتي فيرغا الكبيرين ، وهي (السمت والمشابه العربيـة) التى جعلناها عنوانا لهذه المحاضرة برمتها .

اننا هاهنا نصل الى نقطة فيها شيء من الحرج ومن اثارة الفضول معا . وما اظن احدا قد أثارها من قبل ، أو اهتدى اليها .

فى روايتي فيرغا الكبرين وجدتني ازاء **بعض العناصر التى يبدو أنها متاثـرة بالطابـع العربـي ، مباشرة أو غيـر مباشـرة ، لان البيئـات العربيـة واللغة العربية ما يزال فيها الى اليوم ما يشبهها .**

ومن المؤكد ان فيرغـا لم يكن يعـرف ان فـي أعماله الادبية مثل هذه العناصر الاجنبية الواضحة. ولعله لم يخطر بباله قط أن كاتبا عربيا سيجيء يوما من بلد بعيـد فى الشرق ليكشف عن سمات عربية فى ادبه .

ولكن التأثير العربي فى صقلية امر غير منكور، على كل حال ، ولا هو بالشيء الذى يمكن كتمانه ، فلقد حكم العرب الجزيـرة قرنين من الزمـن ، وكان طبيعيا لذلك ان يتركوا آثارا ملموسة فى اهاهـا ، ولاسيما اذا عرفنا أن تأثيرهم الاجتماعي والثقافي قد استمر اكثر من قرنين بعد خروجهم من الجزيرة .

لقد خطر لي فى البداية ان اجعل عنوان هـذه المحاضرة ، وبشكل خاص هذا القسم منها : (اثر العرب فى أدب فيرغا) ، غير ان عدم يقيني التـام من هذا التأثير مباشرة جعلني اكتفي بعبارة (سمات ومشابه عربية) ، وهي أقرب الى المنطق ، وربمـا كانت اقرب الى الصحة . وسأحاول فى ما يلـي ان ابين المشابه اللغوية والروحية والواقعية بين البيئة الفيرغوية والبيئات العربية .

ان السمات التى اعنيها يمكن تصنيفها فى ثلاث فئات :

1 ــ المفردات والجمل

2 ــ العادات والبيئات الشعبية

3 ــ الامثـال والحكـم

وسأمضي الآن فى استعراض هذه الفئات واحدة واحدة :

1 ــ المفـــردات والجمــــل :

فى روايتي فيرغا الكبريين مفردات لا شك فى أنها عربيـة الاصـل لفظـا ومعنـى . ومنها الالفاظ التالية (وهي كلها من رواية « ما لافوليا » ما عدا الاخيرة منها فهي من « المعلم جيزوالدو ») :

1) CATRAME	قطـــران
2) CARRUBBO	خـــروب
3) BABAU	بعبـــع
4) SOMMACCHI	سمـــاق
5) ZAFFERANO	زعفـــران
6) SATANASSO	شيطـــان
7) SALAMALECCHI	سلامات ، او مجاملات (من «السلام عليكم»)

والى جانب هذه المفردات استعمل فيرغا جملا مركبة ليست ذات لفظ عربي أو طبيعـة عربيـة فى كتابتها ، الا أن لها مثيـلات فى التعبيـر العربي ، مما يبدو معه الامر غريبا اذا لم تكن هذ التعابير تحمل آثار الطابع العربي . واليكـم بعـض هـذه العبارات ، مع ما يقابلها بالعربية ، واغلبها عامي ، ولكنني مضطر الى تحويله الى تعبير فصيـح ، مع ثقتي التامة من أن فى البلـدان العربيـة الاخرى ما يقابلـه :

1 ــ يضع حجرا على الماضي
(جيزوالدو 238)
1) Mettere pietra sul passato

2 ــ من اخذ مالك خذ روحه
(جيزوالدو 321)
2) A chi ti vuol pigliar la roba levagli la vita

3 ــ يعبيء هواء للصيـف
(جيزوالدو 271)
3) Prendere il fresco per l'estate

4 ــ الغسيل القذر لا ينشر على السطوح
(جيزوالدو 275)
4) I panni sporchi si lavano in casa

5 ــ الامثال لم تكذب قط
(مالافوليا 14)
5) Il motto degli antichi mai mentì

6 ـ رآه بعينيه اللتين سيأكلهما الدود
(مالافوليا 16)

6) Li avevi visti con quegli occhi che dovevano mangiarseli i vermi

7 ـ فلان مثل الحيط المنخفض
(مالافوليا 73)

7) Io sono come il muro basso

8 ـ واقع بين المطرقة والسندان
(مالافوليا 85)

8) Stava fra l'incudine e il martello

9 ـ لا يسمح بأن تقف الذبابة على أنفه
(مالافوليا 97)

9) Non si lasciava posare le mosche al naso

10 ـ المصائب تعلم الحكمة
(مالافوليا 119)

10) Il giudizio viene colle disgrazie

— * —

وهناك كثير من مثل هذه العبارات الايطالية التى تقابل عبارات عربية مثلها وتطابقها كل المطابقة. وليس قصدي استعراضها جميعا بل تقديم بعض النماذج فحسب لكي انطلق بعد ذلك الى الفئة الثانية، وهي :

2 ـ التشابه فى العادات والبيئات الشعبية :

وهذه نقطة اخرى جديرة بالابراز والدرس ، وهي تتعلق بالعادات الشعبية التى رسمها فيرغا فى روايتيه . ومن السهل ان نجد ما يماثلها تماما فى الحياة الشعبية العربية . وانا اكرر انني أورد ما اعرفه فى بلدي ، يقينا مني بأن فى البلدان العربية الاخرى ما يماثله . وهاكم بعض تلك العادات :

1 ـ (مالافوليا ـ ص 44) ـ يدور الحديث على موت الأبن باستياناتسو ـ وعند ذكر العادات الشعبية يعرفنا المؤلف كيف أن الاصدقاء يحملون الى بيت الفقيد هدايا من العجائن والبيض ، ومن خيرات الله .

ان مثل هذه العادة ما يزال متبعا الى اليوم فى القرى الاردنية ، مثلا ـ وليس من شك فى أن هناك مثله فى اقطار عربية اخرى ـ ففى القرى عندنا ليس الاصدقاء وحدهم هم الذين يحملون الى بيت الفقيد مختلف الهدايا ، بل تشترك القرية كلها فى ذلك كمعنى من معاني المؤاساة والمشاركة القلبية فى المصاب . وهم يحملون الارز ، والشاي ، والخراف، والدجاج ، والطحين ، والقهوة ، وحتى الحطب لطهو الطعام والخبز وما الى ذلك من الحاجات البيتية . والقرويون يؤدون هذه المشاركة اللطيفة لمساعدة اسرة الميت وتعزيتها ، من جهة ، ثم لانه لا يجوز ان تتحمل اسرة الميت وحدها كل النفقات ـ وهي غير قليلة ـ

2 ـ (مالافوليا ـ 80) فى ما يتعلق ببواعث الشؤم تقول الكنة سانتوتسا : « ان تقود العم كروتشيفيسو تحمل معها الدواهي ! ففى هذه الليلة ايضا سمعت الدجاجة السوداء تصيح » .

وعندنا ايضا اذا صاحت دجاجة مثل صياح الديك ـ وليس من الضروري ان تكون سوداء فقط ـ اعتبر ذلك نذير شؤم ، ولابد عندئذ من ذبحها فدى عن البيت الذى تصيح فيه .

3 ـ (مالافوليا ـ 93) ـ كان الحفيد نتوني يريد الاقتران ببربارة رغم ارادة جده وأمه ، وكان الجد يؤنبه قائلا : « هل ستتزوجها ؟ وانا من اكون ؟ وامك ، اليس لها عندك شأن ؟ حين اراد ابوك ان يتخذ له زوجة استشارني فى ذلك اولا » .

وفى رواية (المعلم جيزوالدو) كذلك حكاية مشابهة لهذه ، فى الصفحة 105 ، حين يسأل خادم الكنيسة السيدة بيانكا تراو اذا كانت ستتزوج السيد جيزوالدو ، فتجيبه بقولها : « اذا كان أخواي قد رفضا ذلك فأي رأي لي ؟ » ثم اضافت : « ان اخوي هما صاحبا الامر ... وهما وحدهما اللذان يقرران » .

وعندنا ، فى اكثر البلدان العربية ، ان لم يكن فيها جميعا ـ وعلى الاخص فى القرى والبيئات البدوية ، يتم الزواج بمثل هذه الطريقة : ليس عن رغبة أو حب متبادل ، بل باختيار الوالدين ، أو الاخ الاكبر الذى تقضي التقاليد بأن يقوم مقام الوالد فى حالة وفاة الوالد .

4 ـ (مالافوليا 111) ـ ونأتي الآن الى حادثة تبشر بفأل حسن ، وذلك عندما « تتظاهر ابنة العم حنة بسقوط قارورة الخمر من يدها ، وفيها نحو ربعها من النبيذ ، فتأخذ عندئذ فى الهتاف : افرحوا! افرحوا !.. ان اندلاق الخمر فال حسن ! »

عندنا يقال مثل هذا عن القهوة ، لا عن الخمر ، والاختلاف هنا بحكم البيئة والتقاليد فقط ، وذلك لان القهوة هي دليل الضيافة الحميمة الاعم استعمالا

لدى العرب ، وهي فى ذلك كالخمر عند الايطاليين والغربيين عامة .

5 ـ (جيزوالدو 273) غضب جيزوالدو غضبا شديدا حين بلغه ان ابنته ايزابيلا قد هربت من المدرسة الداخلية، واصابه ما يشبه الصدمة المفاجئة، فاضطروا الى استدعاء الحلاق ليسحب منه دما .

كعلاج بدائي فى بعض حالات المرض يلجأ الكثيرون فى بعض البلاد العربية ـ ان لم يكن فى جميعها ـ الى من يسحب منهم دما ـ وفى هذا نجد من يستخدم العلق لمص الدم ـ وهناك حلاقون ـ رايت بعضهم بنفسي فى القدس قبل عدة اعوام ـ يعنون بتربية العلق فى قوارير زجاجية كبيرة لهذا الفرض ، وهم يستخدمونه بالصاقه على ظهر المريض او عنقه لامتصاص شيء من دمه . وهناك من يستخدمون الشفرة او موسى الحلاقة ، يشطبون بهما ظهر المريض او اذنيه . كما ان العادة الاكثر شيوعا هي استعمال كاسات الدم لاراحة المريض ، ولاسيما اذا كان يشكو من ضيق الصدر او النزلة الصدرية ، او ما الى ذلك .

من هذه النماذج نرى اننا ازاء عادات متشابهة كل التشابه فى البيئة الصقلية الفيرغوية وفى البلدان العربية . ولا يبدو لي شيء من الغرابة في أن تكون هناك سمات عربية فى هذه العادات الصقلية ما دامت هي نفسها شائعة فى الاقطار العربية حتى اليوم .

— * —

3 ـ الامثال والحكم :

فى الامثال والحكم نجد دائما خلاصة حميمة لتجارب الشعوب عبر الاجيال ، كما نجد الصورة الاصيلة للعقلية والروح والاخلاق التى اكتسبها شعب ما نتيجة تجارب وصلات طويلة مع الشعوب الاخرى، سواء أكانت هذه الشعوب صديقة أم عدوة ، قريبة أم بعيدة .

وفى (أسرة مالافوليا) بنوع خاص اهتم فيرغا كثيرا ، وعامدا ، بالامثال الصقلية ، وراح يرددها بكثرة فى كل فصل من فصول الرواية بمقدرته الفنية الفائقة التى نعرفها . ومن المؤكد اننا نستطيع ان نستخلص منها صورة المجتمع بكثير من الدقة ، سواء من الوجهة الخلقية أم الاجتماعية .

والواقع ان فيرغا قد استطاع ان يعطينا كل ذلك ببراعة الفنان الاصيل .

وهنا ايضا نجد المجال واسعا للتبصر والملاحظة . ومن بين الامثال الصقلية التى أوردها فيرغا فى روايته (أسرة مالافوليا) اختار المجموعة التالية ، مع ما يقابلها من الامثال العربية العامية بشكل خاص ، (ولكنني مضطر الى ايراد هذه الامثال بغير اصلها العامي) :

1 ـ ما كان اوله شرطا فآخره سلامة ـ
1) Quel che e' di patto non inganna

2 ـ عمر الشقي طويل ـ
2) Uomo povero ha i giorni lunghi

3 ـ نم بخير يا جاري لكي أنام معك ـ
3) Augura bene al tuo vicino che qualcosa te ne viene

4 ـ بعيد عن العين بعيد عن الخاطر ـ
4) Lontano dagli occhi lontano dal cuore

5 ـ الصديق عند الضيق ـ
او :
ـ عند الشدائد يعرف الاخوان
5) Carcere, malattie e necessita', si conosce l'amista'

6 ـ كل واحد يهيل النار على قرصه ـ
6) Ognuno tira l'acqua al suo mulino

7 ـ البيت الذى ليس له كبير ليس له مشير ـ
7) Ascolta i vecchi e non ti sbagli

8 ـ الرجل يمسك من لسانه ـ
8) L'uomo per la parola e il bue per le corna

9 ـ الدم لا يصير سما ـ
او :
ـ الدم لا يصير ماء ـ
9) Il sangue non e' acqua

10 ـ من يلعب بالماء تبتل ثيابه ـ
10) Chi cade nell' acqua e' forza che si bagni

11 ـ الحب والبغض ليسا باليد ـ
11) Amare e disamare non sta a chi le vuol fare

12 ـ من كان لا خير فيه لقديمه لا خير فيه لجديده
12) Chi cambia la vecchia per la nuova peggio trova

13 ــ من اكل على ضرسه نفع نفسه ــ
13) Chi ha bocca mangia, e chi non mangia muore

14 ــ شيء خير من لا شيء ــ
او بالعامية : (ربحة الجوز ولا عدمه) ــ
14) Meglio poco che nulla

15 ــ كل طير يحن الى عشه ــ
15) Ad ogni uccello il suo nido e' bello

16 ــ القناعة غنى ــ
16) Piu' ricco e' in terra chi meno desidera

17 ــ من عاشر القوم اربعين يوما صار منهم ــ
او : من يدخل بلد العور يقلع عينه ــ
17) Chi va con zoppi all' anno zoppica

18 ــ مال الحرام لا يدوم ــ
18) Roba rubata non dura

19 ــ ليس للجائع آذان ــ
وبالعامية : (الجوعان مالوش اذان)
19) Ventre affamato non ragiona

20 ــ الملدوغ يخاف من جرة الحبل ــ
20) Le cose lunghe diventano serpi

— * —

والآن بعد أن فرغت من استعراض هذه الامثلة والنماذج العديدة ، والمشابه بين عادات وامثال وتعابير متعددة من بيئة روايتي فيرغا الكبريين والبيئات العربية ، لست اريد ان أجيء بحكم نهائي جازم فى تأثير العرب فى اعمال فيرغا الادبية ، بل اترك هذا لكم انتم . اما انا فقد اقتصرت مهمتي على ان القي ، بقدر الامكان ، نورا جديدا على بعض أعمال فيرغا الادبية ، محاولا بذلك فتح طريق جديدة لمن يشاء انيتوسع فى دراسة فيرغا وأدبه الجميل المنتزع من البيئات الشعبية الصقلية المناضلة لاجل العيش ، والمكافحة ببطولة جبارة فى سبيل التغلب على حتمية الاقدار القاسية .

وقبل ان اختم هذه الدراسة العاجلة اود ان اذكر ما قاله لويجي كابوانا ، رفيق فيرغا ومواطنه وزميل مدرسته الادبية ، فى هذه الواقعية الفيرغوية الصميمة ، وهو : « ان فيرغا حينما تخطر على باله وضع فكرة قروية فى صورة فنية ، لا يقتصر على جمع بعض المعلومات ، بل ينقل صورة ارضهم . ليس كافيا لديه ان يكون اولئك الاشخاص ايطاليين ــ الفلاح الايطالي كلمة تجريدية ــ انه يذهب ابعد من ذلك كثيرا : يريد ان يكونوا صقليين .. يريدهم ان يكونوا من مقاطعة محددة ، بل من مدينة محددة ، بل من قطعة صغيرة من الارض بحجم الكف ... عند ذاك فقط يقف » .

ان هذا التحديد ينطبق كل الانطباق على روايتي فيرغا اللتين استعرضناهما فى هذه العجالة : فلقد كان ادب فيرغا منتزعا من صميم الارض البائسة التى راى فيها المؤلف النور ــ وان لم يعش فيها كثيرا ، بل قضى الشطر الاكبر والاهم من عمره فى الشمال الايطالي الذى ينعم بالثراء والرخاء والحيوية العاملة فى النهار والليل .

لقد كان فيرغا بحق ابن بيئته ، وكذلك كان ادبه الخالد ، النابع من نفس تشعر ببؤس الآخرين ، وبنضالهم القاسي فى سبيل العيش .

وطبيعي انه ، وهذا ادبه ، لا بد من ان يعكس فيه الروح الصقلية العامة ، بكل ما فيها من رواسب وتأثيرات انطبعت فى حياتها على مدى الاجيال . ومن هذه التأثيرات ما لمسناه الآن من المشابه والسمات العربية فى البيئات التى وصفها فيرغا فى روايتيه الكبريين : (اسرة مالافوليا) و (المعلم السيد جيزوالدو) .

لغة الموسيقى كأداة للتعبير الفني

زرياب المتوفى سنة 238 هـ.

الأستاذ سعيد الديوه جي

عضو المجمع العلمي العراقي

ابو الحسن علي بن نافع مولى امير المؤمنين الخليفة المهدي بن المنصور العباسي ، كان اسود اللون ، حلو الشمائل ، جميل الصوت ، فصيح اللسان ، فلقبوه « بزرياب » تشبيها له بطائر غرد ، حسن الصوت ، يقال له « زرياب » . نشأ زرياب فى بغداد ، وهي اذ ذاك : دار السلام ، وقبة الاسلام ، مقر الخلافة ، ودار العلم والادب والحكمة ، ومجمع اهل الفنون والصناعات ، حاضرة الدنيا وما سواها بادية ، وهو ما حمل الامام الشافعي (رض) ان يقول لمن لم ير بغداد : « ما رايت الدنيا ولا الناس » .

وزرياب يتقلب فى قصور الخلافة ، وما فيها من ترف ونعيم ، وخمائل باسقة ، وازهار عبقة ، وجنات تجري من تحتها الانهار ، وملاعب تميس فيها كواعب ، قد جمعن الظرف والادب ، والفن والجمال والدلال .

كن فتنة الناظر ، وغرة العابر ، وخل المقيم ، مما حمل الكتاب والشعراء ان يهيموا بوصفها ، واتخذوا من حدائقها وملاعبها المسارح التى مثلت فيها فصول « الف ليلة وليلة ».

فى هذا المحيط الزاهي نشأ الفتى زرياب ، الذكي الفؤاد ، الدقيق النظر ، الصافي البصيرة ، فكان يتقلب فى نعيمها ، ويتفيأ ظلالها ، ويستمع الى كواعبها ، ويتصل بمن يرتادها من اهل الادب والفن ، فيقتبس من علمهم ، وينهل من ادبهم : يأخذ احسن ما يسمع ، ويختار خير ما ينفع ، فحصل على ثقافة جامعة فى الادب والعلم والفن ، ولكنه كان يؤثر الغناء على غيره ، وله من صوته الجميل خير مساعد .

لازم اسحاق الموصلي ــ استاذ المفنين فى عصره ــ ليأخذ عنه ما لم يجده عند غيره . واسحاق الموصلي : من علماء عصره ، ومكانته من العلم والادب والشعر ما يقول عنها ياقوت الحموي : « لو اردنا استيعابه لطال الكتاب ، وخرجنا عن غرضنا من الاختصار . ومن وقف على الاخبار ، وتتبع الآثار علم موقعه » .

كان يدخل على المأمون مع اهل العلم والادب والرواة ، ثم كان يدخل مع الفقهاء ويده فى يد القضاة ، حتى يجلس بين يدي المأمون ــ وكان المأمون يقول عنه : « لولا ما سبق لاسحاق على السنة الناس ، وشهر به من الغناء عندهم لوليته القضاء بحضرتي ، فانه اولى به واحق واعف ، واصدق تدينا من هؤلاء القضاة » .

اخذ زرياب عن هذا العالم الاديب ، والفنان البارع ، واقتبس من ادبه وفنه . وكان اسحاق يعنى بهذا الفتى لما رآه عليه من الذكاء والفطنة وسرعة الأخذ كما انه من موالي امير المؤمنين ، فكان يحضره مجالسه التى يعقدها فى داره ، والتى كانت مجمعا

لاهل الفنون والآداب ، وزرياب ينهل من كل ما يروق له ، وما يؤهله ان يخلف استاذه فى مكانته .

بذل اسحاق عناية خاصة فى تدريبه وتعليمه الاصوات التى يضعها ، والايقاعات التى يبدعها . وكان الفتى النابه ينصرف الى ما يلقيه استاذه ؛ ويتأمل فى اصواته ويدقق مواضع القوة فيها : فكان فى طليعة الذين يأخذون عنه ، وهذا ما حمل استاذه على مضاعفة العناية به ، والانصراف الى تعليمه كل نادر وغريب ، حتى كان من طلابه الذين يفاخر فى تعليمهم وتهذيبهم .

كان زرياب كلما تلقى صوتا من استاذه اسحاق ــ او من غيره ــ تلقف الصوت ورد ده مع نفسه حتى يتقنه ، فاذا عاد الى داره واختلى بنفسه ، اجرى على الصوت ما يبدو له اذا ما غير فى ترديده ؛ فلم يزل يبدل وينقح ويهذب فى الصوت ، حتى يبتكر صوتا جديدا جميلا قائما بذاته لم يسبق اليه.

وهكذا كان دابه فى كل صوت يسمعه ، او ضربات يتلقاها من شيخ المغنين اسحق الموصلي ، فانه يدخل عليهما من التعديل والابتكار ما يجعلهما من اجمل ما ابدعته قريحة هذا الفتى الناشيء .

اشتغل زرياب بهدوء وسكينة ولم يطلع احدا على ما كان يقوم به ، حتى استاذه الذى تربى بين يديه ، واخذ عنه ، فانه لم يكن يعلم ما عند زرياب من روائع الاصوات ــ وزرياب مستمر التردد الى استاذه ، يسترق من اصواته ، ويلتقط من ظرفه وادبه ، ويواصل التهذيب والتحسين والابتكار ، حتى صار يطمع ان يخلف استاذه فى فن مبتكر ، بل كان يطمع الى اكثر من هذا ــ وهو ان يبهر استاذه بما لم يسمع مثله .

اخذ زرياب يترقب اليوم الذى يباغت فيه المجتمع بفن دقيق مبتكر ، يعجز استاذه ــ استاذ الفن والطرب فى بغداد ــ عن الاتيان بمثله ، مما حمله على حسده وتهديده بالقتل ان لم يرحل عن بغداد ، ويحافظ على منزلته التى كان عليها فى بلاط الرشيد .

(1) لاصقة

ــ 2 ــ

حضر اسحاق الموصلي مجلس الرشيد ، وتشعب الحديث فى الأدب والفن ، فطلب الرشيد من اسحاق مغنيا مجيدا للصنعة . لم يشتهر مكانه اليه.

واسحاق كان يتقرب الى الرشيد بكل ما يؤنسه، ويطرفه بما عنده من اصوات وظرف وادب ؛ واراد ان يتحف الرشيد بأحد تلاميذه ــ من موالي دار الخلافة ــ لما كان يعرف فيه من الذكاء والفطرة وسرعة التلقي عنه . فقال اسحاق للرشيد يا مولاي: عندي تلميذ ــ وهو مولى لكم ــ اسود اللون . عذب الشمائل ، حلو التفريد ، سمعت له نزعات حسنة، ونغمات رائعة ، ملتاطة (1) بالنفس ، اذا أنا وقفته على ما استغرب منها ــ وهو من اختراعي، واستنباط فكري ، واحدس أن يكون له شأن ــ فان أذن لي امير المؤمنين قدمته اليه . ولم يعلم اسحاق ان هذا الذى يتوسم فيه الذكاء والفطنة سيغني امير المؤمنين بما لم يحسنه اسحاق . وسيباغته بما وضع وأبدع.

امره الرشيد باحضاره ــ لعل حاجته تكون عنده ، وهكذا فان الساعة التى كان يترقبها زرياب قد اتته عفوا ، فقد امر الخليفة باحضاره اليه ليغني امام استاذه الذى اخذ عنه .

اخذ زرياب يعد عوده ، واحسن ربط اوتاره ، واختار الاصوات التى سيغني الخليفة بها ، ويبز استاذه ويفوقه .

حضر زرياب مع استاذه اسحاق يحمل العود الذى قد اعده لنفسه ، وهو يختلف عن عود استاذه، ومثل امام الرشيد ، واستاذه فخور بتلميذه الذى سيغني امير المؤمنين بما استنبطه هو ولقنه اياه .

كلم الرشيد زرياب ، فأجابه زرياب بأحسن منطق وأوجز خطاب ، مع فصاحة لسان وظرف وادب .

سأله الرشيد عن معرفته بالغناء ، فقال : نعم احسن ما لا يحسنه الناس ، واكثر ما احسنه لا يحسنونه ، مما لا يحسن الا عندك ، ولا يدخر الا لك، فان أذنت غنيتك ما لم تسمعه اذن قبلك .

بهت استاذه اسحق مما سمع ، ولم يكن يتوقع هذا ، فهل يجرؤ احد امام اسحق الموصلي ان

يقول ما قاله هذا التلميذ الناشيء ؟ وصار يترقب سماع الصوت بدهش وعجب .

امر الرشيد باحضار عود استاذه اسحق ليغني زرياب . فلما قدم اليه وقف عن تناوله وقال : يا امير المؤمنين : لي عود نحته بيدي ، وارهفته باحكامي ولا ارتضي غيره — وهو بالباب — فليأذن لي امير المؤمنين فى استدعائه . فأمر الرشيد بادخاله اليه .

تأمله الرشيد ، وكان شبيها بالعود الذى دفعه له — عود استاذه — وقال له الرشيد : ما منعك ان تستعمل عود استاذك ؟ فقال زرياب : ان كان مولاي يرغب فى غناء استاذي ، غنيته بعوده ، وان كان يرغب فى غنائي فلابد من عودي . فقال له الرشيد : ما اراهما الا واحدا .

فقال زرياب : صدقت يا مولاي ، ولا يؤدي النظر غير ذلك ، ولكن عودي — وان كان فى قدر جسم عوده ومن جنس خشبه — فهو يقع من وزنه فى الثلث او نحوه . واوتاري من حرير لم يغزل بماء ساخن يكسبها اناثة ورخاوة . وبمها ومثلثها اتخذتهما من مصران شبل الاسد ، فلها فى الترنم والصفاء والجهارة والحدة اضعاف ما لغيرها من مصران سائر الحيوان ، ولها من قوة الصبر على تأثير وقع المضارب المتعاورة بها ما ليس لغيرها . فاستبرع الرشيد وصفه واذهل اسحق ما سمع . ثم اندفع زرياب وغنى :

يا ايها الملك الميمون طائره
هارون راح اليك الناس وابتكروا

— 3 —

سقط فى يد اسحق فقد سمع من احد تلاميذه ما فيه من الروعة والاتقان والابتكار ، مما جعل امير المؤمنين يعجب به غاية الاعجاب ، ويؤكد على اسحق : انه لولا ما يعلمه عنه من الصدق لانزل العقوبة به ، اذ لم يطلعه على ما قد ابتكره هذا الفنان المبدع — وهل يترك اسحق الموصلي زرياب معه فى بغداد يتبوأ مكانته ؟ بل يسمو فوقه فيبعده عما هو عليه ، وتكون له زعامة الغناء فى دار السلام .

فلابد من ان يصارحه بما يكنه له صدره من الحسد ، وان بقاءه لا يمكن ان يكون فى بغداد ، والا يؤدى به الى موته .

خلا اسحاق بزرياب وقال له : يا علي ، ان الحسد اقدم الادواء وادوؤها ، والدنيا فتانة ، والشركة فى الصناعة عداوة ، ولا حيلة فى حسمها ، وقد مكرت بي فيما انطويت عليه من اجادتك ، وعلو طبقتك . وقصدت منفعتك ، فاذا قد أوتيت نفسي من مأمنها بادنائك ، وعن قليل تسقط منزلتي ، وترتقي انت فوقي ، وهذا ما لا اصاحبك عليه — ولو انك ولدي — ولولا رعيي لذمة تربيتك ، لما قدمت شيئا على ان اذهب نفسك ، يكون فى ذلك ما كان ، فتخير فى اثنتين لابد لك منهما : اما ان تذهب عني فى الارض العريضة ، لا اسمع لك خبرا ، بعد ان تعطيني على ذلك الايمان الموثقة ، وانهض بذلك لما اردت من مال وغيره ، واما ان تقيم على كرهي ورغمي مستهدفا الي ، فخذ الآن حذرك مني ، فلست والله ابقي عليك ، ولا ادع اغتيالك باذلا بذلك بدني ومالي ، فاقض قضاءك .

خرج زرياب وهو يفكر بالامر ، فهو يعلم ان استاذه لا يحجم عن قتله اذا أقام فى بغداد ، ولابد له من الرحيل عنها فى بلاد الله الواسعة — وعلى هذا عاد الى استاذه وابدى له رغبته فى الرحيل عن بغداد ، والتوجه الى بلاد المغرب بعيدا عن اسحاق وبغداد — هدا روع اسحاق وزال عنه ما كان فى قلبه من هم ، وساعد زرياب بما يحتاجه من مال .

وبعد ايام فرغ الرشيد من شغل كان منغمسا فيه ، واشتاق الى سماع اصوات زرياب ، فأمر اسحاق الموصلي باحضاره .

واسحاق من دهاة عصره ، قد ارضى الخليفة ورجال دولته فى تصرفه ورجاحة عقله ، فهل يعجز عن اجابة الخليفة بما يصرفه عن زرياب ؟

قال اسحاق : ومن لي به يا أمير المؤمنين ؟ ذاك غلام مجنون ، يزعم ان الجن تكلمه وتطارحه ما يزهى به من غنائه ، فما يرى فى الدنيا من يعدله ، وما هو الا ان ابطات عليه جائزة امير المؤمنين ، وترك استعادته ، فقدر التقصير به ، والتهوين بصناعته ، فذهب مغاضبا ذاهبا على وجهه ، مستخفيا عني ، وقد صنع الله تعالى فى ذلك لامير المؤمنين ، فان كان به لمم يغشاه ويفرط خبطه، فيفزع من رآه .

سكن الرشيد الى ما قاله اسحاق ، وقال : على ما كان به ، فقد فاتنا منه سرور كثير .

وهكذا تمكن اسحاق من صرف زرياب عن بغداد ، وصرف الرشيد عن زرياب ، وصرف الهم عن قلبه .

— 4 —

نسي امر زرياب في المشرق ، ولم نقف على ذكر له بين المغنين الذين نبغوا في العصر العباسي . ومع أن ابا الفرج الاصفهاني ترجم في كتابه (الاغاني) لاصحاب الاصوات الذين عانوا صناعة الغناء في الشرق ، فانه لم يتطرق الى ذكر زرياب والاصوات الجميلة التي وضعها — ذلك لأنه أول نبوغه هدد بالقتل ان لم يرحل عن بغداد — فرحل الى بلاد واسعة، ووجد أهلا غير اهله ، واقبالا لم يكن يتوقعه، فكان زعيم الغناء في الاندلس والمغرب — كل هذا ولم يدون اهل بغداد ما ابدعه فتى اسحاق الموصلي الذي خرج من بغداد خائفا يترقب .

توجه زرياب الى الشام ، ومنها الى مصر ، ومنها ركب البحر قاصدا المغرب ، ولما وصل تونس اتصل بزيادة الله بن الاغلب (201 — 208 هـ) وحظي عنده ، فكان يحضر مجالسه ، ويشارك بما يدور فيها من ادب وفن ، ويغنيه ، فاعجب به ابن الاغلب وقربه اليه .

وفي احد الايام من سنة 206 هـ طلب ابن الاغلب من زرياب أن يغنيه ، فغناه بابيات لعنترة الفوارس :

فان تك امي غرابية
من ابناء حام بها عبتني

فاني لطيف ببيض الظبا
وسمر العوالي اذا جئتني

ولولا فرارك يوم الوغا
لقدتك في الحرب او قدتني

فغضب ابن الاغلب من تعريضه هذا ، وامر بصفع قفاه ، واخراجه من عنده ، وقال له : ان وجدتك في شيء من بلدي بعد ثلاثة ايام ضربت عنقك .

ولا نعلم سببا لتعريضه بالامير الاغلبي ، وزرياب من اذكياء عصره ، فطن دقيق الملاحظة ، فهل كان هذا هفوة من زرياب ؟ او خاطر خطر له ؟ وربما كان لامر في نفسه — وعلى كل فقد بدر منه ما اغضب ابن الاغلب ، واوجب خروجه من تونس قاصدا بلاد الاندلس .

— 5 —

وكان اهل الاندلس يتطلعون الى ما في الشرق من حضارة زاهية ، وعلم وادب وفن ، وجدوا في الإستفادة مما عند القوم ، فرحل الكثير من اهل الاندلس الى بلاد الشرق ، واخذوا عن علمائه وادبائه، وتعلموا فنونه وصناعاته ، ورجعوا الى بلادهم ينشرون ماحملوه معهم .

كما رغب الامراء الامويون بنوابغ اهل الشرق، وشوقوهم بالرحلة الى بلادهم ، وبذلوا لهم الاموال الوافرة ، وقدموا لهم كل مساعدة ، ليستفيدوا من علمهم وفنهم . وكانوا يبذلون الاموال في الحصول على ما يستجد في الشرق من كتب قيمة . فقد بذل الامير الحكم لابي الفرج الاصفهاني الف دينار قيمة نسخة من كتابه الاغاني قبل ان ينتشر في الشرق .

هذا الاقبال من أهل الاندلس حمل العلماء وارباب الفنون ان ييمموا شطرها ، ويرحلوا اليها ، وينشروا علومهم ومعارفهم فيها . فرحل عدد منهم الى الاندلس ، ونالوا من أمرائها واهلها من الحفاوة والاحترام والاموال الوافرة ، ما حملهم ان يستقروا في هذا البلد الطيب ، واثروا آثارا حسنة في التدريس والمحاضرة والتأليف .

كتب زرياب الى الامير الحكم بن هشام ، يعلمه بمكانته في الغناء ، ويعرض عليه التوجه اليه . فسر الحكم بهذا ، وكتب اليه مرحبا به ، وارسل لاستقباله وتدبير سفره مغنيه منصور اليهودي .

ولما كان في الجزيرة الخضراء ، بلغه وفاة الحكم ، فهم بالعودة الى بلاد العدوة ، فثناه عن ذلك رسول الحكم ، وبين له شغف عبد الرحمن بن الحكم بالغناء والموسيقى . ورفع منصور اليهودي أمر زرياب الى عبد الرحمن يعلمه بمكانته ، وعبد الرحمن هذا من اكثر الامراء الاندلسيين شغفا بالآداب والفنون والغناء . يحضر مجلسه العلماء والادباء وارباب الفن — وخاصة المغنون والموسيقيون — وهو يجزل لهم العطاء . سر عبد الرحمن بخبر زرياب ، وكتب اليه يعلمه بتطلعه اليه ، والسرور بقدومه عليه ،

ويمنيه ويرغبه . كما كتب الى عماله على البلاد التي سيمر بها زرياب ، ان يحسنوا اليه ، ويقدموا اليه كل ما يحتاجه ، ويوصلوه الى قرطبة .

وارسل الى احد اكابر مواليه ان يتلقاه ببغال وآلات حسنة . دخل زرياب قرطبة ليلا ـ صيانة لحرمه ـ وامر الامير ان ينزلوه في دار جميلة من احسن الدور ، وان يحمل اليها جميع ما يحتاج اليه ، وان يحملوا اليه الخلع .

وبعد ثلاثة ايام استدعاه ، ورحب به اجمل ترحيب ، ودعاه الى تناول الطعام معه ، مع اولاده الكبار ، وامر ان يفرض له ولاهله من الرواتب والخلع ما يقدر بآلاف الدنانير سنويا ، واقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ، ومن الضياع ما يقوم بأربعين الف دينار سنويا .

وزرياب قد اعد نفسه لمثل هذا اليوم الذى كان يترقبه ، فهو فى كنف امير معجب به ، مشغوف الى سماعه ، فأبدع فى الاصوات التى كان يغنيه بها ، فما ان سمعه عبد الرحمان حتى استهواه ، واحبه حبا شديدا ، واطرح كل ما سواه من المغنين، وادناه من مجلسه ، وامر بفتح باب خاص لزرياب يستدعيه منه متى اراده . وزرياب قد جمع الى ما امتاز به من الغناء ، عدة مزايا رفيعة : كان شاعرا عارفا بفنون الأدب، ونطف المعاشرة والظرافة، وعنده من آداب المجالسة ، وطيب المحادثة ، ومهارة الخدمة الملوكية ، مالم نجده عند غيره من اهل صناعته .

كيف لا يجمع زرياب هذه الصفات الجملية ، وهو الذى تربى فى بلاط العباسيين ، وتقلب فى نعيمهم، وتنقل فى جنائنهم وخمائلهم ، وحضر مجالسهم ، ولازم اعالي القوم فى العلم والادب والفن ـ ربيب المهدي العباسي ، وتلميذ اسحاق الموصلي ، وخريج مدرسة بغداد دار العلم والحكمة والفن . هذه الخصال اثرت فى اهل الاندلس ، حتى اتخذه ملوكهم وخواصهم قدوة حسنة فيما سنه لهم من قواعد وآداب ، واستحسنه من أطعمة وثياب ، وما ابتكره من عطور ـ وبقي اثر هذا فيهم الى آخر ايام اهل الاندلس منسوبا اليه .

وهكذا انقادت الدنيا لزرياب ، فقد كان مرجع القوم في الغناء وفى التأثيرات الاجتماعية ، تسمع كلمته فى البلاط الاموي ، وينقاد اليه سراة القوم ووجهاؤهم ، يبذلون له العطاء ويتوقعون رضاه ، حتى قالوا : يؤثر على بلاط الامير عبد الرحمن اربعة اشخاص : فقيه : يحيى بن يحيى الليثي ، وموسيقي: ابو الحسن زرياب ، وامراة : السلطانة طروب ، وخصي : نصر .

ومع انه كان مسموع الكلمة فى البلاط الاموي، الا ان عقله منعه عن التدخل فى شؤون سياسة البلد ، وتركها لغيره .

صرف نفسه الى فنه الذى كان سبب ظهوره ونبوغه ، لانه علم حق العلم ان خير طريق للنجاح فى الحياة هو تجنب ما لا نصيب له فيه ، والانصراف الى فنه الرفيع الذي ينقاد اليه الامير ورجال سياسته ، على اختلاف ميولهم ورغباتهم ـ وعلى هذا فلا نرى له ذكرا فى الحوادث السياسية ، التى كانت على عهده ، فهو مغني البلاط وكفى .

انصرف زرياب الى الغناء والابتكار فيه ، وشغل بهذا كل مواهبه وقابليته ، واطلع على ما فى الاندلس من الحان ، اخذ بعضها عن سكان البلاد الاصليين، فكانت هذه عاملا جديدا فى تطعيم الاصوات التى يبتكرها ، كان الغناء قد شغل كل وقته حتى اذا رقد فى منامه ، فانه كان يواصل تفكيره فى الاصوات المختلفة ، والاشعار التى تناسب كل لحن يغنيه ، فلم تنقطع سلسلة افكاره عن هذا الفن الجميل . فاذا آوى الى فراشه واهتدى الى لحن جديد ، او شعر جميل ، هب من نومه مسرعا ، فيدعو جاريتيه غزلان وهنيدة ، فتأخذان عوديهما ، ويأخذ هو عوده، ويطارحهما ليلته ما اهتدى اليه من لحن ، ويكتب الشعر الذى نظمه ، حتى اذا اتقنتاه عاد الى فراشه .

وعلى هذا قال عنه معاصروه : ان الجن كانت تطارحه الالحان ليلا فيتعلمها . وما الجن الا شغفه بهذا الفن الرفيع الذي كان قد اخذ عليه كل وقته ـ حتى عند النوم فانه كان يحلم فى ترديد الاصوات وترجيعها ، هذا هو الالهام الفني ـ جنون الفن ـ وهو ما قيل عن كثير من الشعراء والفنانين الموهوبين الذين يبدعون فى شعرهم وفنهم . وكم ذكروا ان للشعراء شياطين يوحون اليهم زخرف القول ، فيأتون بما لم يأت به غيرهم . وما شياطينهم الا

انصرافهم الى الشعر وكثرة تفكيرهم فى محاسنه واوزانه ، وروائعه ، فيأتون بما لم يتهيأ لغيرهم .

— 6 —

كان لزرياب معهد يقصده اصحاب الحناجر الرخمة، والاصوات الجميلة ، يتلقون عنه الالحان ، وما ابدعه من الاصوات والايقاعات .

ولم يكن زرياب يقبل احدا فى معهده ، الا بعد ان يقف على نبرات صوته ، وصلاح حنجرته ، وقابليته الى تلقي الالحان والاصوات ، وعلى هذا فقد كان يختبر من يقصده للأخذ عنه — وقد حدثنا المقري عن كيفية اختباره لمن يقصده فقال :

« وكان اذا اراد ان يختبر المطبوع الصوت — المراد تعليمه — من غير المطبوع ، امره أن يصيح بأعلى صوته : يا حجام . أو يصيح : آه . ويمد صوته ، فاذا سمع صوته بهما صافيا نديا قويا مؤديا لا يعتريه غنة ولا حبسة ، ولا ضيق نفس ، عرف انه سوف ينجب ، وأشار بتعلميه ، وان وجده خلاف ذلك ابعده .

وهكذا بعد ان يختبر من يقصده ، ويتحقق صلاحه ، يسلمه الى الذين يأخذون عنه ، فيتعهدون تدريبه تدريبا اوليا ، حتى اذا وقف على مبادىء هذا الفتى الجميل ، تعهده بنفسه مع الذين يأخذون عنه . فاذا حضر التلميذ عنده للأخذ عنه ، كان يرشده الى كيفية الجلوس ، وطريقة اخراج الصوت من الفم ، والطرق التى يحسن بها نبرات صوته ، بحيث يجعله يناسب اللحن والايقاع اذا ما غنى .

قال المقري فى هذا :

« وكان اذا تناول الالقاء على تلميذ يعلمه، امره بالقعود على الوسائد المدورة المعروفة بالمسورة ، وان يشد صوته جدا — اذا كان قوي الصوت — فان كان لينه ، امره ان يشد على بطنه عمامة ، فان ذلك مما يقوي الصوت ، ولا يجد متسعا فى الجوف عند الخروج عن الفم . فان كان الص الاضراس ، لا يقدر ان يفتح فاه ، او كانت عادته زم اسنانه عند النطق، راضه بأن يدخل فى فيه قطعة خشب عرضها ثلاث أصابع يبيتها فى فمه ليالي حتى ينفرج فكاه ، وهو رأي عالم بنبرات الاصوات ومخارجها ، وما يساعد على تهذيبها واظهارها بصورة جلية .

اخذ عن زرياب اولاده وكثير من اهل الاندلس رجالا ونساء، ونشروا فنه فى طول الاندلس وعرضها، فكانوا دعاة نهضة فنية ، طغت على الاندلس ، وتعدتها الى شمال افريقية ، وطبعتها بطابع الالحان التى ابدعها زرياب . بقيت هذه النهضة الى القرن الثامن للهجرة ، وهي تسير على القواعد التى وضعها زرياب والالحان التى ابتكرها وابدع فيها ، مما جعل ابن خلدون يقول عن تأثير غنائه :

فأورث بالاندلس من صناعة الغناء ، ما تناقلوه الى ازمان الطوائف ، وطما منها باشبيلية بحر زاخر، وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها الى بلاد العدوة بافريقية والمغرب ، وانقسم على انصارها ، وبها الآن صبابة على تراجع عمرانها وتناقض دولها .

ومن اخذ عنه وبرز فى الغناء اولاده العشرة (1):

1 — عبيد الله كان خليفة والده ، واعلا اخوته فى الغناء .

2 — عبد الرحمان : وهذا يلي عبيد الله فى الغناء ، وكان يشوب علمه تيه وزهو وكثرة العجب بفنائه ، وهذا مما سبب له مشاكل كثيرة فى مجالس الغناء التى كان يقيمها (2) ، ويذكر ابن خلدون أن عبد الرحمن هذا خلف والده فى هذه الصناعة ، ولربما عمر اكثر من عبيد الله ، فكان المرجع اليه فى الغناء .

3 — أما محمد بن زرياب فكان مؤنثا .

4 — واما القاسم بن زرياب : فكان احذقهم غناء مع تجويده .

5 — واما احمد بن زرياب : فكان قد غلب عليه الشعر .

---

(1) كان لزرياب اربعة اولاد يوم دخل الاندلس ، وهم : عبد الرحمن وجعفر ، وعبيد الله ويحيى . وولد له فى الاندلس اربعة بنين : محمد وقاسم واحمد وحسن ، وبنتان : علية وحمدونة .

(2) نفح الطيب : 4 : 125 .

6 ـ واما حمدونة بنت زرياب: فكانت متقدمة فى اهل بيتها ، محسنة لصناعتها ، تزوجهـا الوزيـر هشام بن عبد العزيز .

7 ـ أما علية بنت زرياب : فطال عمرها بعد اختها حمدونة ، ولم يبق من اهل بيتهـا غيرهـا ، فافتقر الناس اليها ، وحملوا عنها ، فكانت مرجعـا للمعهد الزريابي ، يقصدها اهل الفـن ، ويأخـذون عنهـا .

ومن جواريه :

1 ـ مصابيـح : جارية الكاتب ابي حفص عمر بن قلهيل ، وهي ممن اخذ عن زرياب ، وصارت غاية فى الاحسان والنبل وطيب الصوت .

مر ابن عبد ربه (3) فسمع غناءها ، واشتاق ان يدخل اليها فأبى مولاها . فمال ابن عبـد ربـه الى مسجد قريب من المكان ، واخذ لوحا من صبي وكتب هذه الابيات وارسلها الى مولاها :

يا من يضن بصوت الطائـر الفـرد
ما كنت احسب هذا الضن من احد

لو أن أسماع اهل الارض قاطبـة
أصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد

فلا تضن عـلى سمعـي مقلـده
صوتا يجول مجال الروح فى الجسد

لو كان زريـاب حيـا ثم اسمعـه
لذاب من حسد، أو مات من كمد

اما النبيـذ فانـي لسـت اشربـه
ولست آتيـك الا كسرتـي بيـدي

فلما قراها مولاها ، خرج اليه حافيا ، وادخله مجلسه ، وتمتع ابن عبد ربه من سماعهـا .

2 ـ متعـة : جارية زرياب ، اعتنى فى تأديبها وتعليمها احسن اغانيه ، وشبـت رائعـة الجمـال ، وتصرفت بين يدي الامير عبد الرحمن بن الحكم ، تغنيه مرة، وتسقيه اخرى، وكان الامير معجبا بجمالها وبصوتها ، فلما فطنت لاعجابه بها ، ابدت له دلائل الرغبة ، ولكنه ابى الا التستر ، فنظمت هذه الابيات وغنته بها :

يا مـن يغطـي هـواه
من ذا يغطي النهـارا ؟

قد كنـت املـك قلبـي
حتـى علقـت فطـارا

يـا ويلتـاه اتـراه
لي كان ، أو مستعارا ؟

يـا بابـي قرشـي
خلعـت فيه العـذارا

فلما انكشف لزرياب امرها ، اهداها الى الامير عبد الرحمن ، وحظيت عنده .

3 ـ اما هنيدة وغزلان فقد تقدم الكلام عنهما .

ومما اجراه على العود فى الاندلس :

1) كانت اعواد القوم ذات اربعة اوتار ، فأضاف هو اليها وترا خامسا ، واتخذ الاوتار من حريـر لم يغزل بماء ساخن يكسبها اناثة ورخاوة وقد تقـدم الكلام عنها .

2 ـ كانت الاعواد ثقيلة الوزن ، تجهد الضارب، وربما عاقته عن تأدية الضرب كما يهـوى ، فجعـل زرياب عـوده صغيـر الحجـم ، خفيـف الـوزن ، جميل الشكـل ، دقيـق الصنـع ، يستهـوي النفس ، ويمثل جمال الالحان التى يضربها زرياب .

3) كانت مضارب العود من خشب ، ثقيلة على الانامل ، تؤثر فى الاوتـار عند الضـرب ، وربمـا قطعتها او افسدتها فى ايام معدودة . فعدل عنهـا زرياب بأن اتخذ المضرب من قوادم النسر : خفيف على الانامل ، رفيق بالاوتـار ، ليـن فى اليـد ، مـرن الاستعمال ، يحدث اهتزازات فى الاوتار ، ما لم تحدثه المضارب الخشبية الصلبة .

ومما سنه فى الغناء : ان كل من افتتح الغنـاء يبدأ بالنشيد اول شدوه بأي نقر كان، ويأتي اثـره بالبسيط، يختم بالمحركات والاهزاج تبعا لمراسيـم زرياب .

ذكر المؤرخـون ان اسـلم بـن احـمـد بـن سعيد الف كتابـا فـي الاصـوات التـي وضعهـا

---

(3) صاحب « العقد الفريد » .

زرياب ، ومما يؤسف له ، اننا لم نقف على ذكر لهذا السفر النفيس ، الذى جمع روائع الفن وما ابتكره زرياب من اصوات جميلة ، وما نظمه من شعر يغنى به . فان هذا الكتاب كان يطلعنا على الحان رائعة ، واصوات مبتكرة ، ابدعتها قريحة زرياب ـ طمست مع افول شمس العرب فى الاندلس ، ولم يبق منها ، الا صبابة تذكرنا بما كان من التأثير القوي فى الغناء الاندلسي الذى قرر قواعده ، معلم الناس الفن والمروءة (زرياب) .

زرياب من نوادر عصره ، جمع ـ الى تفوقه فى الغناء ـ علوما وفنونا وآدابا . ذكروا عنه انه كان يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الاغاني بألحانها ، وهذا ما ساعده على حل كتاب الموسيقى لبطليموس ، لان هذا العدد هو غاية ما ذكره بطليموس ـ واضع هذه العلوم ومؤلفها ـ فى كتابه .

كان زرياب شاعرا ، ويمتاز شعره بالرقة والعذوبة ، كيف لا يكون شعره رائقا ، وقد صدر عن شيخ المغنين صاحب الاصوات المبتكرة البديعة ؛ والالحان التى لم يزل تأثيرها فى الشرق والغرب . ومن شعره :

علقتها ريحانة هيفاء عاطرة نضيره
بين السمينة والهزيلة والطويلة والقصيره
لله أيام لنا سلفت على دير المطيره
لا عيب فيها للمتيم غير ان كانت قصيره

وقوله ايضا :

ولو لم يشقني الظاعنون لشاقني
حمام تداعت فى الديار وقوع

تداعين فاستبكين من كل ذا هوى
نوائح ما تجري لهن دموع

كان عالما بالنجوم واحكامها ، يعرف الاقاليم السبعة وما فيها من عوارض طبيعية ، ومدن وعمران، وما فى هذه من سكان وخيرات ، ويعرف طبائع وميول سكانها ، وما تشتهر به كل مدينة ، فاذا تكلم بهذا تكلم عن علم ومعرفة .

لم يقتصر تأثير زرياب على اهل الاندلس فى الغناء فقط ، بل كان له تأثير كبير على الحياة الاجتماعية فيها : الطعام والازياء وتصفيف الشعر وابتكار عطور وادهان وغير ذلك .

ففى الطعام وما يتبعه من لوازم :

1 ـ كان زرياب اول من اجتنى بقلة الهليون المسماة بلسانهم بالاسفراج ، ولم يكونوا يعرفونها قبله .

2 ـ وعلمهم زرياب طبخ النقايا ، وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة ، محلى بالسنبوسق والكباب ، ويلي هذا عندهم لون التقلية المنسوبة اليه «زريابية».

3 ـ كان الاندلسيون يتخذون الآنية الرفيعة الثمن ، ويحلونها بالذهب والفضة ، ويتنافسون فى هذا ، فاتخذ زرياب آنيته من الزجاج الجميل ، فقلده الاندلسيون فى هذا .

4 ـ فضل زرياب استعمال سفر الاديم على الموائد الخشبية لتقديم الطعام ،لان الوضر يزول عن الاديم بأقل مسحة ، فأخذ الاندلسيون بهذا .

5 ـ كان زرياب يفضل فرش الانطاع الاديمية الناعمة اللينة على ملاحف الكتان ، فانتشر هذا فى الاندلس .

واما تأثيره على الازياء فى الاندلس : فانه راى ان يلبس كل صنف من الثياب فى زمانه الذى يليق به . فيكون ابتداء الناس بلباس البياض . ثم يلبسون الملون من يوم مهرجان اهل البلد المسمى عندهم « بالعنصرة » الكائن فى ست بقين من شهر يونيو (حزيران) ، الى أواخر شهر اكتوبر (تشرين الاول). وان يلبسوا بقية السنة الثياب الملونة .

ورأى ان يلبسوا فى الفصل الذى بين الحر والبرد المسمى عندهم « الربيع » من مصبغهم جباب الخز والملحم والمحرر والدراريع التى لا بطائن لها ، لقربها من لطف ثياب البياض .

وكذا راى ان يلبسوا فى آخر الصيف وعند اول الخريف المحاشي المروية والثياب المصمتة وما شاكلها من خفائف الثياب الملونة ، ذوات الحشو والبطائن الكثيفة ، وذلك عند قرص البرد فى الغدوات ، الى ان يقوى البرد ، فينتقلون الى اثخن منها من الملونات ، ويستظهرون من تحتها اذا احتاجوا الى صنوف الفراء .

واما تاثيره على تصفيف الشعر : دخل الاندلس وجميع من فيها ــ من رجل او امراة ــ يرسل جمته مفروقا وسط الجبين عاما للصدغين والحاجبين ، فلما راوا تحذيفه هو وولده ونســاءه لشعورهــم ، وتقصيرها دون جباههم ، وتسويتها مع حواجبهم ، وتدويرها الى آذانهم ، واسدالها الى أصداغهــم ــ هوت اليه انفسهم ، فاستحسنوه وقلدوه .

وابتكر ادهانا ومعاجين لطيفة وروائح عطريـة تزيد من جما ل البشرة وتكسبها رونقا وبهاء .

كان ملوك الاندلس والمترفون يستعملـون ذرور الورد وزهور الريحان وما شاكـل ذلـك من ذوات القبض والبرد لطرد الصنان والروائح الكريهة ، فلا تسلم ثيابهم من وضر . فدلهم على تصعيدها بالملح وتبييض لونها ، فجربوه وحمدوه على ذلك .

هذا تأثير زرياب على أهل الاندلس ، فقد كان عاملا قويا فى تهذيب اغانيهــم وتنسيــق ثيابهــم ، وتهذيب طعامهم وآنيتهم وآدابهم الاجتماعيــة ، فهو قدوة القوم فى كل ما يصدر عنه . وعلى هذا فان أهل الاندلس أحلوا زرياب بالمحل اللائق به، وبخدماته الجليلة التى سنها لهم . فقد حظي فتى اسحاق الذى ترك بغداد مكرها من الغنــى والترف والعــزة ، ما جعله مضرب المثل فى الاندلس ، ويتعداها الى شمال افريقية ، ويتجاوزها الى بلاد الشرق . ومن ذلك ما رواه الصابي فى كتابه الهفوات النادرة قال : (ص : 385 ــ 386)

حدث علوية المغني قال: كنت مع المأمون لما خرج الى الشام ، فدخلنا الى دمشق ، وطفنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بني امية ويتتبع آثارهم ، فدخل صحنا من صحونها ، فاذا هــو مفــروش بالرخــام الاخضر كله ، وفيه بركة ماء يدخلها ويخرج منها من عين تصب اليها و ... واقبل المامون علي فقــال : غنني ونشطني ، فكأن الله عز وجل انساني جميــع ما احفظه الا هذا الصوت :

لو كان حولي بنــو اميــة لم
بنطق رجال اراهــم نطقــوا

فنظر الي مغضبا وقال : عليك لعنة الله وعلى بني امية ، ويلك قلت لك سرني ام سؤني ، الم يكن لك وقت تمدح فيه بني أمية الا هذا الوقت ؟

فتجلدت عليه ، وعلمت اني قد اخطأت ، فقلت: اتلومني على ان اذكر بني امية ، هذا مولاكم زرياب عندهم يركب فى مائتي غلام مملــوك له ، ويملــك ثلاثمائة الف دينار وهبوهــا له ، ســوى الضيــاع والخيل والرقيق وانا عندكم اموت جوعا .

هذا هو زرياب الذى ترك بغداد مكرها ، وعاش فى الاندلس مترفا مكرما ، وصار مضرب المثل فى الشرق والغرب .

دليل جديد على عروبة الأرقام المستعملة في المغرب العربي

أبو فارس

يوجد في المكتبة العامة بالرباط مخطوط تحت عنوان : « تلقيح الافكار في العمل برسم الغبار » (رقم ك 222) من تأليف ابي محمد عبد الله (او عبد الرحمن بن حجاج (1) المعروف بابن الياسمين والذي ولد بفاس أواسط القرن السادس وهو بربري من بني حجاج بقلعة فندلاوة ، اخذ العلوم الرياضية عن شيخه محمد بن قاسم وقد قال ابن الآبار في التكملة : « وله ارجوزة في الجبر قرئت عليه وسمعت منه باشبيلية في سنة 587 » (ص 531) وكان احد خدام المنصور وولده الناصر كما في « الذخيرة السنية » وقد وجد ذبيحا بمراكش سنة 600 او اوائل 601 هـ ، وتوجد نسخ من أرجوزته في الجبر والمقابلة بخزائن باريز وبرلين واكسفورد والاسكوريال والقاهرة ، ومن شراح الارجوزة حسب بروكلمان ابن الهائم المتوفى سنة 815 هـ (وهو مخطوط باكسفورد والقاهره) والقلصادي وهو « تحفة الناسمين في شرح ارجوزة ابن الياسمين » ، (مخطوط بخزانة مكتبة الهند بلندن والخزانة العامة بالرباط) وسبط الماrديني المتوفى سنة 900 هـ ويسمى « اللمعة الماردينية في شرح الياسمينية » (مخطوط ببرلين والقاهرة واسطمبول) وله أرجوزة في اعمال الجذور توجد بخزانة الاسكوريال (راجع بحث الاستاذ محمد الفاسي مجلة « رسالة المغرب » سنة 1942 السنة الاولى عدد 1) وممن شرح الارجوزة سعيد العقباني التلمساني الملقب برئيس العقلاء (نيل الابتهاج ص 106) .

وكتاب تلقيح الافكار هذا يعتبر اقدم وثيقة تحدثت عن اعداد الغبار واكدت أنها مغربية اي عربية الأصل .

وننشر صفحتين مصورتين رقم 8 ــ 9 من هذا الكتاب اولهما : « واعلم ان الرسوم ...

(1) وقيل اسمه عبد الله بن محمد بن حجاج (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 91 (مخطوط والتكملة ص 531 والجذوة ص 237 .

التي وضعت للعدد تسعة اشكال تتركب عليها جميع العدد
وهي التي تسمى اشكال الغبار وهي هذه 1 2 3 ع ч 6 7 8 9 و
وقد تكون ايضا هكذا ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ولكن الذي
عندنا على الوضع الاول ولو اصطلحت مع نفسك على تبديلها
او عكسها لجاز ووجب العمل على حاله لا يتبدل وقد صنعها
قوم من جواهر الارض مثل الحديد والنحاس من كل شي منها
اعداد تسعة ويضرب بها ما شا من غير نقش ولا محو واما
اهل الهند فانهم يتخذون لوحا اسود ويمدون عليه الغبار وينقشون
فيه ما شاوا ولذلك يسمى حساب الغبار وعلى الحقيقة ليس
الا المداد والمحو واعلم ان هذه الحروف ليست بداله على
الاحاد وحدها بل هي داله على العشرات والمئين والالاف
وعلى سائر المراتب المذكورة فما كان منها في بيت الاحاد
فهو دال على الاحاد وما كان منها في المرتبة الثانية التي هي منزلة
العشرات فهو دال ايضا على العشرات كلها وتكريرها ان كان
واحدا فهو عشرة وان كان اثنان فذلك عشرون وكذلك الى التسعين
وكذلك ما كان في البيت الثالث التي هي منزلة المئين ونهايتها
فهو ايضا دال على المئين وكذلك الالاف وعشراتها ومئيها
وتكرارها وسائر المراتب فان قيل لك كيف تضع خمسة
عشر بهذه الاشكال فقل احاد فتجعل خمسة وتقول عشرة فتجعل
في المرتبة الثانية منزلة العشرات علامة واحد اي عشرة واحدة
على هذه الصورة ١٥ ولو كانت عشرين لجعلت اثنين مكان

لان العشرات في بيتها بمنزلة الاحاد في المبين لذلك وكذلك
جميع مراتب الاعداد الى ما لا نهاية له فان قيل كيف
نرى العشرين فقد ذكرنا ان العشرين اثنين في بيت العشرات
لكن ان جعلت اثنين لم يعرف انها عشرات اذ ليس معها عدد
في بيت الاحاد مما يدلنا على انها بعد عشرات نجعل اثنين
وقبلها صفرا فتكون الاثنان في المنزلة الثانية بيت العشرات
لان الصفر ليس بعدد وانما يدلك على ما بعده اذ كانت المنزلة فارغة
ولا يكون بعد منتهى منازل صورة المسألة وان قيل
كيف صورة خمسة وستين وماتين نقش على ما تقدم يكن هكذا
٢٦٥ وان قال ستة وثلاثة الاف تكن هكذا ٣٠٠٦
وصورة عشرة هكذا ١٠ وصورة احد عشر هكذا ١١ فقس
هذا على جميع ما يرد عليك من العدد الى ما لا نهاية له فقد
ذكرت منه البينين لانه بين لا يخفى بغير مثال ومن هنا نأتي على
ما نحن طالبان ان شاء الله تعالى

الباب الاول

في العدد الصحيح وما يتعلق به وينقسم الى خمسة فصول

الفصل الاول في الضرب اعلم ان ضرب الاعداد بعضها
في بعض هو ان تضعف احد العددين بقدر ما في العدد
الاخر من الاحاد واذا كان معا هذا باب ضرب في الواحد
او ضرب الواحد فيه لا يتغير اعلم انك اذا ضربت عددا

الاستعراب في لينغراد

للأستاذ فيكتور بيلاييف (لينينغراد)

تلقينا من الاستاذ فيكتور بيلاييف مدرس العربية فى جامعة لينغراد المقال التالي يشرح فيه بطريقة عفوية مبسطة عمل الجامعة والمختصين فى حقـــل اللغة العربية فصيحها وعاميتها .

فى لينغراد مركـــزان للبحـــث فى ميـــدان الاستشراق وخاصة فى ميدان الاستعراب ، هما معهد الاستشراق لاكاديميا العلوم ، والجامعـــة ، غرفـــة الاستعراب باسم المرحوم عضو الاكاديميا اغناطيوس كراتشكوفسكي يشتغل بالبحث عن مشكلات تاريخ الآداب العربية والتاريخ وتاريخ الثقافة العربية واللغة العربية اليمنية القديمة ولهجاتها المعاصرة . كـــل اعضاء هذه الغرفة من خريجي جامعتنا أعني القســـم العربي للكلية الشرقية بهذه الجامعة . كان الاستـــاذ ا. كراتشكوفسكي رئيســا لتلك الغرفة وللقســـم أو الكرسي العربي بالجامعة كذلك وكان يدير الامـــور الاستعرابية فى لينغراد ، بل فى كـــل الاتحـــاد السوفياتي ، كما كان ذا نفوذ مسموع الكلمـــة وكان مشهورا لا فى بلادنا وحدها بل فى كل العالم بين العلماء والادباء فى الشرق والغرب .

توفي الاستاذ عام 1951 رحمه الله . وكـــان اسس فى بلادنا بعض فروع الاستعراب ، من البحث والتدريس ، التي لم تكن قبله فى الاكاديميـــا ولا فى الجامعة وهي البحث والدرس عن تاريخ الادب العربي الحديث (فى القرون 18 — 19 — 20) وعن اللهجات العربية الحديثة المعاصرة والقديمة ، فى القـــرون الوسطى معتمدا على مؤلفات آداب اللغة العربية وبعض فروع العلوم الفيلولوجية مثل علم البلاغة والبديـــع والبيان وتاريخها . وبعد وفاته تأصل هذا البحـــث والتدريس فى الاتحاد السوفياتي وتطور كثيـــرا ، ونشرت كتب ومقالات لعلماء عندنا فى بلادنـــا وفى الخـــارج .

والآن يدرس فى جامعتنا ويدرس اللهجات العربية الحديثة الاستاذ فنيكوف . وهو الذي بحث اللهجات العربية فى آسيا الوسطى بالقرب من مدينة بخارا وفى منطقة وادي قاشقا دريا فى اوزبكستان . وهو يدرس بعض اللهجات ، مثل اللهجة السورية واللهجة المصرية، نظريا نحويا . ويدرس نظاما نحويا للهجات العربيـــة كلها . وقد نشر عن قريب قاموس اللهجة العربيـــة البخارية (القاموس العربي — الروسي) ونشر بعض النصوص المسجلة من تلك اللهجة .

الاستاذ بيلاييف يبحث الآن بعض المؤلفـــات الأدبية القديمة ليستخرج منها كلمات وعبارات ولفات ومواد نحوية من طبيعة اللهجات بغرض انشاء نبـــذة نحوية لتلك الكتب ، مثل الف ليلة وليلة أو رحلـــة

مكاريوس بطريرك انطاكية لابنه بولص الحلبـــي الخ . وتلك الكتب مشربة بالكلمات والعبارات العامية .

يبحث احد تلاميذنا فى المعهد الشرقي يعقوب غرونتفست عن الكتابات، المنقوشة باللغة السبئيـــة المكتوبة بالخط المسند والمنقولـــة الى الاتحـــاد السوفياتي فى السنة الماضية وهو الذي دافع عـــن الاطروحة التي موضوعها « النظام النحوي » من لغـــة تلك الكتابات مقارنة باللهجة العربية الجنوبية المعاصرة مثل السقطري والمهري والحضرمي الخ .

ويبحث تلميذنا الكساندر بابووكيـــن قواعـــد الافعال فى اللهجات العربية الشرقية والمغربية . انما هو فى ابتداء بحثه ونحن نتمنى له التوفيق وننتظر من زرعه حصيلة طيبة .

الاستشراق في رومانيا

نشرت مجلة « الاقلام » العراقية الزاهرة ، فى عددها السادس من السنة الثامنة 1972 ، مقالا حول « دراسة اللغة العربية فى رومانيا » وافاها به الاستاذ نيقولا دوبريشان من بوخاريست ، وقد اشار صاحب المقال الى انه قد مر حتى الآن خمس عشرة سنة منذ تأسيس قسم للغة العربية والاداب العربي ضمن مجموعة اللغات الشرقية التي تدرس بجامعة بوخارست ، وقد كون هذا المعهد خلال هذه الفترة عددا كبيرا من الاختصاصيين الذين يعلمون اللغة العربية والذين يعملون فى رومانيا على دعم التعاون والتطور المستمر للعلاقات الرومانية العربية فى مختلف الميادين » ومن المميزات التي تنفرد بها هذه الجامعة فى تدريسها اللغة العربية كونها « الى جانب اعداد الطلبة اعدادا نظريا عميقا يكمن فى دراسة قواعد اللغة العربية والأدب العربي وتاريخ وحضارة العرب وعلم الاسلام وعلم اللهجات وغيرها من العلوم النظرية يتلقى الطلبة كذلك أثناء سنوات الدراسة اعدادا عمليا بمعنى التعرف على احدى اللهجات الدارجة واستخدامها عمليا » .

كما ان الاعداد المحصول عليه من جامعة بوخاريستيتم اكماله عند الضرورة، بفترات للتخصص فى البلدان العربية والاشتراك فى دراسات دورية قصيرة الأمد تنظمها بعض البلاد العربية من اجل المستعربين » .

وحينما يشير الكاتب الى النشاط الذي تضطلعبه هيئة التدريس بهذه الجامعة يقول : « انها تقوم علاوة على النشاط التعليمي ، بنشاط واسع آخر فى المجالين العلمي والثقافي يتجسم فى اعداد الكتب اللازمة للتدريس ونشر أبحاث علمية فى ميادين اللغة والادب العربي والعلاقات الثقافية الرومانية العربية ونشر تراجم اهم المؤلفات العربية الكلاسيكية والحديثة عن الادب العربي وغيرها كما يقوم اعضاء هيئة التدريس بنشر مقالات وتراجم عن الشعر العربي فى المجلات الأدبية الرومانية بصورة مستمرة حيث يعرفون بذلك القراء الرومانيين قيم الحضارة والأدب العربي ، وحيث يشاركون فى تعارف متبادل احسن وفى التقارب بين الأمتين الصديقتين الرومانية والعربية »

ويضيف صاحب المقال قائلا : « كما ان هيئة التدريس تشترك كذلك فى التعاون مع الاختصاصيين المستشرقين الآخرين برومانيا فى نشاط جمعية المستشرقين التي أسست مؤخرا والتي تنظم دوريا ندوات علمية تقدم فيها بحوث قيمة فى علم الاستشراق تنشر فى مجلة الجمعية وفى مجلة الجامعة وفى مجلات علمية أخرى وفى مجلدات خاصة » .

ويذكر الكاتب انه « بينما كان يشتغل فى هذا القسم أستاذ واحد فقط بعد افتتاحه فى عام 1957 ، وصل عدد الأساتذة الذين يقومون بالتدريس فى هذا القسم الى خمسة أساتذة ومن بينهم أستاذة حصلت على درجة الدكتوراه فى علم اللغة من جامعةبوخارست

عام 1971 ، بأطروحة تناولت بالبحث موضوعا فى علم اللغة له علاقة باللغة العربية ، كما يعد — فى الوقت الراهن ، أستاذان آخران للقسم أطروحتين للدكتوراه كذلك أحدهما عن موضوع : **طرق تكوين المصطلحات السياسية والاجتماعية فى اللغة العربية المعاصرة ، والثاني عن رحالة عربي فى البلدان الرومانية فى القرن السابع عشر** .

وحينما يشير الى تاريخ اهتمام الرومانيين بالاستشراق يقول : « وعلى الرغم من أن دراسة نظامية اللغة العربية بدأت فى رومانية بعد تأسيس قسم اللغة العربية فى نطاق جامعة بوخارست ، كانت توجد فى رومانيا اهتمامات قديمة بعلم الاستعراب وبالماضي الغني للعلاقات الرومانية العربية ، ونكتفي بالاشارة هنا الى اسمى اثنين من المستشرقين الرومانيين المشهورين : أحدهما واسمه ديميتري كانتمير ، عاش فى بداية القرن الثامن عشر وهو علامة عظيم تمت ترجمة مؤلف له فى اللغة العربية فى عام 1705 تحت عنوان « صلاح الحكيم وفسادة العالم الدميم » والآخر هو تيموتي تشيباريو وقد عاش فى منتصف القرن التاسع عشر وامتلك مجموعة غنية من الكتب والمخطوطات العربية أصبحت الآن رصيدا ثمينا من الكتب العربية التي تمتلكها مكتبة فرع اكاديمية العلوم الرومانية فى مدينة « طلوج » .

ويشير صاحب المقال كذلك الى **أن الاقبال يزداد على تعلم اللغة العربية ببلاده نتيجة للتوسع المستمر للعلاقات الرومانية العربية وزيادة الرغبة فى التعرف احسن فاحسن على حضارة الامة العربية** ، وتدرس اللغة العربية — عدا فى الجامعة الشعبية ببوخارست ، تدرس كذلك فى الجامعة الشعبية بمدينة « تيميشوارا » كما تدرس فى قسم اللغة العربية بجامعة بوخارست المشار اليه آنفا ويحضر هذه الدروس هواة تتراوح اعمارهم بين 15 و 65 سنة » ، وينوه الا انه **ابتداء من سنة 1971 بدأ تدريس اللغة العربية بصورة تجريبية لتلاميذ الابتدائية فى مدرسة لمدة عشر سنوات ذات التدريس بلغات اجنبية** ويتنبأ الكاتب فى ذيل مقاله الى انه سوف تحقق انجازات ضخمة فى ميدان الاستعراب ببلاده فى المستقبل القريب ، كما يشير الى انه كتب هذه العجالة بمناسبة مرور خمس عشرة سنة على تأسيس قسم اللغة العربية والادب العربي بجامعة بوخارست .

الوشائج العريقة بين الخليج العربي والمغرب الأقصى *

عبد العزيز بنعبد الله
الأستاذ في جامعة الرباط ودار الحديث الحسنية

الخليج عريق في العروبة وقد استعمل الجغرافي اليوناني سترابون (Strabon) المتوفى بين 21 و 25 ميلادية كلمة الخليج العربي في وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب ويرجع اطلاق المؤرخين اسم الخليج (1) الفارسي الى القائد اليوناني نيركس بعدما عاد من الهند مبعوثا من سيده الاسكندر الاكبر حيث لم يمر الا من الساحل الشرقي فظن ان المنطقة كلها فارسية وتتجلى عروبة المنطقة ايضا منذ اعرق (2) العصور في الاسم الذي تحمله مقاطعة « خوزستان » الايرانية التي كانت تسمى من قبل الفرس الى السنوات الاخيرة « عربستان » اي « بلاد العرب » ولا تزال تقطنها الى الآن قبائل عربية مختلفة كبني تميم الذين ينتسب اليهم الخليفة الاول أبو بكر الصديق رضي الله عنه « وعربستان » هذه هي التي كانت تسمى « الاهواز » والاهواز كما جاء في معجم البلدان جمع هوز واصله حوز لانه ليس في كلام الفرس حاء حيث يقولون مهمد لمحمد ولذلك نرى أن كلمة الاهواز اسم عربي أطلق على هذا الاقليم في العصر الاسلامي وتسمى بهذا الاسم في المغرب الاقصى ناحية مراكش عاصمة المرابطين والموحدين والسعديين ولعل لهذه التسمية صلة بما يحكيه بعض المؤرخين حول أسباب اطلاق اسم سوس على أقصى جنوب المغرب في الاطلس الصغير فيروي المؤرخ الروماني سالوست (Salluste) المتوفى في عام 35 قبل الميلاد (في الكتاب الذي صنفه حول « حرب يوغورتا » ملك نوميديا من اسر امراء البربر والمولود عام 154 قبل الميلاد) أن الفرس الذين حاولوا الاغارة على شبه الجزيرة الايبيرية (اي اسبانيا والبرتغال) في عهد هيراكلس (Héraclés) (وهو هيركول اللاتيني الذي سميت به أساطين هرقل اي مضيق جبل طارق شمالي المغرب الاقصى) قد تحولت أشرعة مراكبهم بشدة الريح الى المحيط الاطلنطيقي فوصلوا

(×) هذا نص محاضرة القاها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله في أبي ظبي يوم رابع يناير 1973 .

(1) ودرج على ذلك المؤرخ الروماني بلين (Pline) المتوفى عام 79 م حيث سمى الخليج باسمه الصحيح وهو الخليج العربي .

(2) وقد ندد الرائد الدنماركي كارستن نيبور عام 1762 م (1176 هـ) بهذا الزعم الذي ردده جغرافيون صوروا جزءا من بلاد العرب كانه خاضع ــ كما يقول نيبور ــ لحكم ملوك الفرس كما أبرز هذه الحقيقة الرحالة الانجليزي هورو دريك اوين في القرن العشرين رغم تواطؤ الكثير من الجغرافيين المعاصرين على الغض من عروبة الخليج .

الى جنوب المغرب حيث اتصلو بالجيتول (Gétules) (وهم اهل جزولة الحالية على ما يظهـــر) فتصاهروا معهم وسميت سوس (وكذلك كل من مدينتي سوسة التونسية والليبية وهما متشابهان ونهر سوس قرب قرطبة واشبيلية بالاندلس وسوسية كـــورة بالاردن (معجم البلدان ج 5 ص 173) وسوسة مدينة بالصين (صبح الاعشي ج 4 ص 483) اقتبسنا من كلمـة سوسانة (Susiane) (او ارض عيلام (Elam) الواقعة بمنطقة الاهواز على ان الفرس قد اشتهـــروا قديما بالنوميديين ومعناه الرمل بلغتهم وقد أطلق هذا الاسم على اهل نوميديا وهي اقليم افريقي يقع بيـــن منطقة قرطاج التي اسسها الفينيقيـــون كعاصمـــة لمستعمرتهم عام 814 ق. م. وبلاد موريطانيا وقـــد خضعت هذه المنطقة بعد ثورة يوغورطا الى الحكـــم الروماني وسنرى كيف ان هذه العناصر تشكل حلقات في الشبكة الواسعة التي حبكها الفينيقيون منذ اعرق العصور بين الشمال الافريقي والخليج العربي ، نعم كان للعرب الكنعانيين اي الفينيقيين جولات في الخليج العربي فهم الذين اسسوا مدينـــة تيـــر (Tyr) (صور الحالية في لبنان) في الألـــف الثالثة قبـــل الميلاد ، وكانت عاصمة تشرف على القوافل التـــي تنقل الى الغرب ما ينتجه الشرق الأسيوي عبر بحر القلزم والفينيقيون هم الذين اسسوا مدينة قرطـــاج (واسمها محرف عن قرية حداش اي القرية الحديثة لانها اسست بعد كل من مدينة أوتيك (Utique)

التونسية ومدينة ليكس (Lix) المغربية حوالي (110 ق. م.) وقد سقطت مدينة تير تحت الحكـــم الروماني عام 64 ق. م. واشرف عليها وعلى قصـــر فرعون اي وليلي القديمة (Volubilis) بالمغرب الاقصى الامبراطور الرومانـــي سبتيـــم سيفيـــر (Septième sévère) بين سنتي 193 و 211 ق. م

ويرى بعض المؤرخين ان الفنيقيين كانوا قـــد استقروا فترة من الزمن في شواطيء الخليج قبل ان ينتقلوا الى الساحل السوري وانهم سموا مدينة « صور» على شاطيء البحر المتوسط تيمنا باسم مدينتهـــم الاولى على شاطيء الخليج ولعل الآثار التي تم الكشف عنها في المنطقتين تضفي على هذه الرواية سمة من الحقيقة لا سيما وان مؤرخين محدثين قد اكدوا ذلك ومن جملتهم الاستاذ جان جاك بيربي (J.J. Berreby) في كتابه « الخليج الفارسـي » (Le Golfe Persique) والاستاذ امين الريحاني الذي ابرز بالاضافة الى ما ذكر تشابك الدوحة العربية بالدوحة الفينيقية في كتابـــه « ملوك العرب » .

وبذلك يكون الفنيقيون قد هاجروا من الخليج الى البحر المتوسط منذ خمسة آلاف سنة كما يقول المؤرخ رولنســـــون .

وقد وسع الفينيقيون شبكة مستعمراتهم على سواحل المتوسط واسسوا ليكس واوتيك ومالقـــة وقادس (بالاندلس) وهبو (عنابة وبنزرت) ثم تجاوزوا حسب سترابون اساطين هرقل وتأكد ذلك بعد قيام خبراء بحفريات على طول سواحل المحيط الاطلنطيقي مما قد يؤكد النظرية القائلة بأن هانون قد وصل في رحلته في القرن الخامس قبل الميـــلاد الى درعـــة والساقية الحمراء وربما غينيا في قلب القارة الافريقية وقد اصبحت اللغة البونيقية (Langue punique) المستمدة من الكنعانية العربية مع تطعيمات محليـــة لغة أشبه بعامية افريقيا الشمالية في العصر الحاضر نشرنا بحثا عنها في مجلة « اللسان العربي » (التـــي اتشرف بادارتها ورياسة تحريرها وهي لسان « المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطـــن العربـــي ») .

وخلاصة ما في هذا البحث انه عثر في البرازيل على حجارة مكتوبة بالعربية اليونانية تحمل تاريخ 125 قبل الميلاد نتج عن مقارنتها باللهجة الدارجة اليوم في المغرب العربي ان هذه اللهجات ليست سوى امتداد اصيل للغة بني كنعان العربية التي استعملت قبـــل الاسلام في كل من الخليج العربي قبل البعثة المحمدية بأزيد من الف عام ، وقد اعتبر الرحالة المغربي الكبير الحسن بن محمد الوزاني المعروف عند الغربين بليون الافريقي (Léon l'Africain) ان الفينيقيين عنصر هام في سكان افريقيا الأقدمين حيث انتقل فوج منهم صحبة مصريين الى افريقيا الشمالية عام 1215 ق. م عندما اجلاهم الاسرائيليون عن فلسطين ثم تتابعـت الجاليات ايام نبي الله داود عليه السلام عام 1055ق.م والواقع ان العرب كانوا يمـــلأون ـ باضافـــة الى الشمال الافريقي ـ هضبات وبطاح جنوب افريقيـــا حيث كشف الدكتور استانلي تيبور على مقربة من نهر زمبيز في مقاطعة روديسيا آثارا منقوشة مع رســـوم مكتوبة استدل بها على ان العرب استثمروا مناجـــم الذهب التي كان قد استثمرها قبلهم اسلافهم عـــرب اليمن وقد لاحظ صاحب قصة الحضارة (ج2 ص 43) ان الحضارة ظهرت في بلاد اليمن وبـــلاد المغـــرب القديمة وانتشرت في صورة مثلث الى شومر وبابل واشور ومصر ويعضد هذه النظرية ما قيل من أبوة

اليمن (بلد العرب البائدة) للشعب العربي في سائر اقطاره وخاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط حيث كانت نسبة المواليد منخفضة والوفيات مرتفعة مما سهل استيعاب الهجرة .

وقد تحدث ابن خلدون في تاريخه (ج 1 ص 99 طبعة بيروت) عن عروبة جبال الاطلس المغربية فأشار الى ما اكده المؤرخون والنسابون العرب امثال الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي من ان صنهاجة (سكان الاطلس الاوسط) ومصمودة (سكان الاطلس الكبير) وكتامة (بشمال وشرقي المغرب الاقصى) عرب يمنيون من سلالة حمير فيكون البرابرة – حسب هذه الرواية – اعرق في العروبة من ربيعة ومضر لانتسابهم الى افريقش بن قيس بن صيفي الحميري وقد تحدث عن هذه النظرية القلقشندي في صبح الاعشى (ج 1 ص 321) فلاحظ أن افريقش هذا هو الذي نقل البربر من سواحل الشام – مركز الفينيقيين ومهاجري الخليج العربي – الى المغرب ملاحظا أن أكثر الاقوال جانحة الى عروبة البربر خلافا لابن حزم (في جمهرته) وتبعه ابن خلدون (التاريخ ج 6 ص 96) الذي زعم انه لم يكن لحمير طريق الى بلاد البربر الا في تكاذيب مؤرخي اليمن ويظهر أن ابن خلدون اغفل الطريق القديمة التي كانت تصل اليمن عن طريق بحر القلزم (أي عيذاب وبور سودان الحالية) وصحراء السودان والتشاد بالصحراء المغربية الممتدة من تنبكتو الى النيجر الى مراكش تلك الطريق التي اكد الحسن الوزاني في وصف افريقيا (ج 1 ص 14 و29) انه رافق عام 918 هـ تجارا انتقلوا من المغرب الى السودان ثم مصر حيث دشنوا طريقا جديدة من الجنوب تصل الصحراء بمصر عن طريق التشاد وكانت الطريق العادية بواسطة فزان وطرابلس قد هجرت منذ قرن نظرا لعبث عرب الساحل وكذلك البحر بسبب القرصان المسيحيين وقد لاحظ المؤرخ الالماني (هانز (Hanz Helfritz) في كتاب له حول اليمن (تعريب خيري حماد ص 134) التشابه الملحوظ بين الالحان في اغاني الجنوب العربي وبين الموسيقى البربرية التي تمكن كارل ولهام لخمان (1793 م – 1851 م) من تسجيلها فأبرز وحدة الانشاد ، أضف الى ذلك وجود ابنية بالاطلس تشبه تلك التي تقوم في الجنوب العربي وتحمل نفس المظاهر المعمارية ، وقد شرح هورن بوستل النمسوي (1877 – 1935 م) انتماء البربر واليمنيين الى أصل واحد ينتسب الى آسيا الشرقية .

وسنرى كيف ان سجلماسة عاصمة الصحراء كانت منذ القرن الثالث الهجري مركزا للقوافل التجارية بين بصرة المغرب وبصرة الخليج وليس ببدع ان يوغل في الصحراء اهل هذه الصحراء لا سيما وأن هؤلاء كان دابهم في جميع الاعصار الفرار من رطوبة السواحل والتوغل في الرمال سواء كانت في النيجر أم في السودان أم في الثلث الخالي من جنوب غرب آسيا وقد اسس العرب مراكز تجارية في غمار الصحاري كمحطات للقوافل المحملة بالبضائع المجلوبة من اقاصي البلاد وكانت التجارة آنذاك تمر حتما في الطرق البرية لأن العرب لم يكونوا قد استأنسوا بعد بالطرق الملاحية وقد ساعدت وحدة نظام الحياة القبلية في الصحراء على هذا الترابط .

ويعتبر القرن الثالث الهجري قمة نشاط الحركة التجارية برا وبحرا وفترة ذهبية في تاريخها فالى القرن الثالث الهجري يرجع تاريخ الكثير من رحلات الجغرافيين العرب حول العالم كابن وهب القرشي الذي رحل الى الصين عام 256 هـ وسليمان الصرافي الذي كتب رحلته الى الخليج العربي والخليج الصيني عام 237 هـ وسلام الترجمان الذي رحل الى الصين الشمالي ايام الخليفة الواثق بالله واليعقوبي صاحب البلدان وابن خردادبة صاحب المسالك والممالك المتوفى عام 300 هـ أما في أوائل القرن الرابع فهنالك الحسن المهلبي الذي رحل الى السودان عام 375 هـ ومحمد التاريخي الاندلسي المتوفى عام 363 هـ وهو صاحب « كتاب وصف افريقية والمغرب » وابو دلف الذي رحل الى الصين حوالي 331 هـ والاصطخري صاحب « الاقاليم » و « الممالك » الذي لقي ابن حوقل استغرق تجواله حول العالم ثلاثين سنة والمسعودي صاحب « مروج الذهب » و « معادن الجوهر » الذي فرغ منه عام 336 هـ وهو كما وصفه ابن خلكان امام المؤرخين ، والواقع أن طريق الوطن العربي الى الصين فتح منذ عام 31 هـ (651 م) بتتابع سفارات بلغت في ظرف 147 سنة ستا وثلاثين بعثة دبلوماسية عربية (مجلة بناء الصين عدد 3 – 1966) على أن الكلمة التي استعملها التجار العرب والرحالون الاوربيون في العصور الوسطى لتسمية بيكين (Pékin) هي لفظة خان باليك (Khan Balik) (دائرة المعارف الاسلامية ج 1 ص 1024) وكانت الخطوط التجارية كلها سواء انبثقت من غرب اوربا او من الشمال الافريقي أو من روسيا تؤدي الى ميناء الأبلة وميناء البصرة وقد اكد الرحالة بانيكار في كتابه

حول « آسيا والسيطرة الغربية » ان العرب سواء فى الشرق ام فى الغرب اصبحوا يتنافسون مع الشعوب الأخرى على تجارة الافاوية فكان للتجار مستودعات بالقاهرة والاسكندرية بل حتى بمدينة فاس فى المغرب الاقصى (ص 37 ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد) اضف الى ذلك ان تجارة الرقيق المجلوب من افريقيا السمراء وحركة الحجيج كان لهما ضلع فى تعزيز هذه الحركة التجارية وقد بلغ من اهتمام المسئوليـن العرب بتأمين طرق المواصلات أن عزم عمرو بن العاص وبعده هارون الرشيد على شق ترعة السويس حتى تمتد الخطوط التجارية دون انقطاع من الاندلس والمغرب الى الصين وقد اشتهرت ثلاث مدن ملاحية فى الخليج العربي بنشاط غامر فى هذا الحقل التجاري فكانت سيراف تربط الخليج بالصين بينما كانت البصرة نقطة التقاء للسبل البحرية وطرق القوافل التجارية حيث بذت فى شهرتها ميناء الأبلة الذي ظل مع ذلك المركز التجاري الاوحد ما بين الخليج العربي والخط الملاحي لنهر دجلة الممتد الى البصرة وقد تعزز التبادل آنذاك بين الشرق والغرب بوحدة العملة حيث كان التجار يعتمدون العملة الذهبية وهي الدينار والفضية وهي الدرهم وقد بلغت مكانة سجلماسة مبلغا جعل الاندلسيين انفسهم يتعاملون بالدنانير السجلماسية (البيان لابن عذارى ج 2 ص 344) نظرا لضرورة توحيد العملة بين المراكز التجارية فى طريق القوافل وقد وقع العثور عام 1951 فى الانقاض الاسلامية بقصر فرعون (Volubilis) على 231 درهما فضيا من العصر الاموي مع دينار ذهبي دمشقي وكلها دراهم شرقية من واسط ومرو واضطخر وجند يسابور ودمشق وحمدان وافريقيا .

واذا علمنا ان البصرة تقع على الطرف المباشر للصحراء فى جانب الارض المزروعة وبساتين النخيل فى منطقة شط العرب علمنا لماذا كانت محط أنظار الحضريين والصحراويين من المغاربة حيث أسست بصرة المغرب بالقرب من مدينة القصر الكبير شمالي المغرب وظلت مركزا اقتصاديا هاما لصنع الكتان ومرحلة فى طريق القوافل الى أن هدمها ابو الفتوح عام 368 هـ (البيان لابن عذارى ج 1 ص 330) وقد حدثنا ناصر خسرو الذي زار مدينة البصرة الشرقية عام 1050 م عما وجده من عادات لدى التجار الذين كانوا يملكون كمبيالات او سفتجات يحفظونها لدى تاجر عملة او رجل بنك مقابل ايصال وكل المشتريات تدفع بالشيكات أو الحوالات ويقوم التاجر طوال اقامته فى المدينة بصرف كل دفعاته بالشيكات على البنوك ومثل هذه الحوالات كانت ايضا بسجلماسة حيث كانت التجارة مزدهرة مع السودان والبصرة حسب ابن حوقل الذي حدثنا (المسالك والممالك ص 70) عن العوائد التجارية بهذه المدينة (عاصمة الصحراء المؤسسة عام 140 هـ) فلاحظ انه « راى صكا فيه ذكر حق على رجل من اهل سجلماسة لرجل آخر من اهلها بأربعين الف دينار » كما رأى ذلك بخراسان والعراق (ولعله يعني البصرة) وكان التجار المسيحيون الواردون من الاندلس وتلمسان يمرون بسجلماسة الذي أكد ياقوت الحموي فى معجمه أن مصانع نسيجها بذت فى جودة الانتاج مصانع مصر كما لاحظ ابن خردادبة الجغرافي العربي فى القرن الثالث الهجري أن التجار الصقالبة كانوا يمرون فى وجهتم نحو لشرق عن طريق سوس الادنى اي طنجة ومنها الى افريقيا ومصر وتشمل مقاطعة سوس الادنى بالاضافة الى فاس مدينة البصرة المغربية بحيث يمكن القول بأن هذا المركز كان منطلقا للقوافل نحو البصرة الشرقية سواء عبر الصراء الجنوبية أم خلال بلاد الكنانة ولعله ليس من العبث أن تحمل مدن مغربية واندلسية على طول الطريق الغربي أسماء مدن أخرى تتلاحق فى الشق الشرقي لنفس الطريق فبالاضافة الى البصرة وسوس الاهواز وحمص (فى كل من فاس الجديد والاندلس) توجد فى قلب الاطلس مدينة القاهرة وفى قلب الريف اقليم فشتالة المعروف بالشام الصغيرة كما توجد فى الاندلس مدينة تدمير (Todmir)
Encyclopédie de l'Islam, IV, p. 848
المتساوقة فى اسمها مع تدمر السورية (Taomor Palmyre) التي كانت منذ العصر الروماني من ابرز المراكز التجارية فى هذه الشبكة وكانت اشهر المدن والموانىء فى الخليج آنذاك ابولو جوس اي الأبلة (Abolla) التي ينتمي اليها أبو عبد الله الابلى شيخ ابن خلدون وقد ظلت الأبلة المخرج الرئيسي على الخليج من اجل التجارة الفارسية فى النقطة التي تلتقي عندها الطرق العظيمة من فارس وجزيرة العرب على ضفتي دجلة وقد لفت ابن خرداذبة الانتباه الى المكانة الهامة التي احتلتها الأبلة فى التجارة بين الشرق والغرب حيث كان التجار اليهود يقلعون من فرنسا فى البحر العربي (أي المتوسط) ويتجهون نحو انطاكيا ومنها الى بغداد ثم الأبلة فالسند والهند والصين وقد ظلت هذه المدينة بارزة على المسرح العالمي مرتبطة بالبصرة فى النشاطات البحرية الخاصة بالخليج لعدة قرون واذا كانت مدينة البصرة

الحديثة قد امتصت الأبلة فان ذلك لم يتم الا بعد القرن التاسع الهجري وهنا يمكن أن نتساءل عن الدور الذي قام به الخوارج لدعم الروابط السياسية بين الخليج والمغرب منذ صدر الاسلام ، فالأزارقة قد ثاروا فى الاهواز والبصرة حيث استباحوا دماء واعراض المسلمين الخارجين عن نطاق فكرتهم ولكنهم ما لبثوا ان انهزموا لتطرفهم فخلفهم الصفريون القائلون بضرورة التعايش مع غير الخوارج وقد نفذ هؤلاء الصفرية فى المغرب الى قلوب البربر الذين شقوا الطاعة على الخليفة هشام واججوا نار الثورة عام 121 هـ باقليم طنجة وتسربت فلولهم الى الصحراء فاسست (عام 140 هـ) مدينة سجلماسة التي اصبحت حاضرة بني مدرار الى منتصف القرن الرابع الهجري وهو التاريخ الذي تهدمت فيه مدينة البصرة المغربية وانهار الحكم الخارجي وكذلك الشيعي فى المغرب بانهزام جوهر الصقلي الذي نقل عدته الى مصر حيث بنى القاهرة وليس من قبيل الصدفة ان يجعل الخوارج من البصرة موئلا لهم ومركزا ينافسون به الكوفة التي عدت قاعدة من قواعد الشيعة فى نفس الوقت الذي جعلوا من سجلماسة فى قلب الصحراء المغربية حاضرة لامارة خارجية وحلقة اساسية فى سلسلة المراحل التي تأوى اليها القوافل التجارية كما انه ليس من قبيل الصدف ان تتقلص الحركة التجارية بين الخليج والمغرب فى القرن الرابع الهجري فى نفس الوقت الذي تقلص فيه نفوذ الخوارج .

ومنذ ان استوثقت روابط المغرب بالصحراء فى القرن الخامس بدأت أسواق النخاسة تتفق فى خفاء وكذلك كان الامر عندما شكل عنصر الزنج فى الدور العباسي الثاني (ما بين 233 هـ و 468 هـ اي 847 م 1075 م) طبقة متميزة فى المجتمع العربي وخاصة فى شمال الخليج فعززوا حركة الرق والنخاسة يساعدهم امتداد النفوذ الاسلامي الى افريقيا (أي تونس وجزء من الجزائر) وازدهار الملاحة العربية حيث ما فتىء الأيوليون أن سيطروا فى القرن التالي على الشق الشرقي لبحر العرب أي البحر الابيض المتوسط يساندهم فى الشق الغربي الموحدون الذين كان لهم اسطول من اربعمائة قطعة اعتبره المؤرخ الفرنسي أندري جوليان أعظم اسطول فى البحر المتوسط ولم يقبض العرب على زمام البحر الاحمر المتوسط فحسب بل أصبحوا سادة المحيط الهندي لا سيما بعد ان اكتشفوا الرياح الموسمية وسخروها لخدمتهم وانشأوا الموانىء والمنائر التي تشتعل فيها النيران ليلا لتهتدي بها السفن وعززوا المرافىء بمراكز الحاميات حفاظا عليها من القرصنة وغارات البدو ، وقد اشار ابن مرزوق فى « المسند الصحيح الحسن » (هسبريس (Hesperis) ج 5 عام 1925) الى وجود « مدارس ومناظر على طول الساحل بين أسفي (فى المحيط الاطلنطيقي) وجزائر بني مزغانة (عاصمة الجزائر الحالية) تتخابر فيما بينها باشعال النيران فى اعلاها وفى كل محرس رجال مرتبون ونظار وطلاع يكتشفون البحر فلا تظهر فيه قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين والتنبير يبدو فى المحارس للتحذير » .

وقد اشار البكري (افريقية والمغرب فى المسالك ص 35 و 48) الى محارس سوسة والمنستير وفى هذا العصر استعيض عن الموالي الصقالبة الذين نفقت نخاستهم منذ القرن الهجري واقترن اسمهم بها حتى صار الاوربيون يطلقون اسم الصقالبة (Slaves) على العبيد (Esclaves) (1) نقول استعيض عنهم بالزنوج الذين أصبح التجار المسلمون يأتون بأعداد ضخمة منهم وقد تجلت هذه الظاهرة بالقسم الشرقي من المغرب العربي اي فى تونس خاصة منذ استوطنت جماعات من الباطنيين والزيديين افريقية فرارا من الاضطهاد العباسي ثم استفحل ذلك عندما زج الفاطميون - اقتصاصا من بني زيري - بمائتي الف قرمطي من بني هلال وبني سليم الذين نشروا الدمار فى هذه البلاد مما حدا ابن خلدون الى التنكر فى القرن الثامن للعرب الذين لم يكن يقصد بهم سوى الاعراب وخاصة هؤلاء ولم تدخل الى المغرب من هؤلاء سوى فلول منتقاة كان الزمن قد عفى على عنجيتهم البدوية ونزعتهم القرمطية فكان لهم ضلع فى تعريب المغرب وشنقيط والواقعان الباطنيين من القرامطة او الزيديين قد عاثوا فسادا فى افريقية وجاس المغامرون منهم فى مجاهل الصحراء الافريقية لاصطياد الزنوج فى الادغال الكثيفة وفى هذا العصر حادت طريق البر فى شمال افريقيا عن خطها العادي لتتصل بالبصرة وبغداد وسوريا ومصر بواسطة الخط الساحلي على طول بحر

---

(1) صقلب هي أرض بالاندلس وصقلية حسب ياقوت (معجم البلدان ج 5 ص 372) ولعل قسما من الصقالبة ينسب اليها لا الى جنس السلاف

العرب على أن حركة القرامطة الابادية قد بدأت منذ سنة 315 هـ / 927 م حيث استولوا على البصـرة وظلوا يعرقلون سير القوافل التجاريـة أو قوافـل الحجيج لاعتقادهم ان الحج من شعائر الجاهلية بل من قبيل عبادة الاصنام ولذلك اجهز القرامطة على مـن سموهم بالكفار وعبدة الاحجار بمكة فردموا بئر زمزم وكدسوا جثث القتلى في المسجد الحرام واندفعـوا يخربون جوانبه بحرابهم وخيولهم فاحتملوا معهم الحجر الاسود الى الاحساء حيث بقـي ملقـى الى عـام 339 هـ / 900م .

وبنو هذيل هؤلاء الذين حاولوا في الخليج الوقوف في وجه القرامطة منتهكي حرمة البيت هم الذين أشرنا الى اعتدالهم عندما هاجروا الى المغرب الاقصى في القرن السادس الهجري بدعوة من المنصور الموحدي بطل معركة الأرك في الاندلس .

ومهما يكن فان هذه الاحداث قامت حجر عثرة في طريق المبادلات التجارية حيث ان الحشاشين مـن الاسماعيلية الباطنية امتدت جذورهم في شرقـي الخليج حتى خلال الحكم الايوبي الى الوقت الذي زحف المغول على فارس حوالي 659 هـ / 1260 م .

واذا كانت التجارة قد تقلصت في هذه الفترة بين المغرب والخليج خاصة وبين الشرق والغـرب عامة فان ذلك لم يكن يرجع بالنسبة للمغرب الى وجود هذه الطوائف الهدامة بل لأن هؤلاء كانوا منبثين على طول مراحل القوافل شرقا ينهبون ويقتلون ويدمرون ومع ذلك فان نفس العوامل كانت تدعم حركة النخاسة والمبادلات لا سيما بعد ان احتل ملـوك المغـرب السعديون السودان أوائل القرن العاشر الهجري ثـم العلويون بعدهم عندما توغل زعيمهم السلطان المولى اسماعيل في قلب الصحاري الى حدود غينيا وشكل جيشا من العبيد (أي الزنوج) ما لبث ان أعاد تاريخ ثورات الزنج بالشرق وخاصة بالخليج الا أن عنصـرا جديدا ظهر منذ أوائل القرن السادس عشر حيث حاول البرتغاليون الاستعماريون سد البحر الاحمر في وجه السفن العربية للاستيلاء على مداخله تمهيدا لغـزو الخليج العربي وكانوا قد انشأوا عام 1482 م في ساحل الذهب اول مستعمرة لهم في افريقيا وهنا يبرز دور المغرب في انقاذ الخليج من ضغط الاستعمار البرتغالي ففي عام 1540 م دخل سليمان القانوني الى الخليـج العربي من الشمال ونازل البرتغاليين في معركة ميناء « مصوع » على الساحل الافريقي من البحر الاحمر حيث انحدر البرتغاليون امام الاسطول العثماني غير انهم لم يكفوا عن مهاجمة المراكز العربية في الخليـج مضاعفين ضغوطهم على المغرب الذي انكفأوا اليه بعد أن قضوا على آخر من تبقى من العرب في الاندلـس تقتيلا وتهجيرا ولكن رد فعل المغرب الاقصى كـان عنيفا ، ففي عام 986 هـ (1578 م) هاجم البرتغـال بقضه وقضيضه شمال المغرب بقيادة ملكه الشـاب الدون سبستيان (Don Sébastien) وبلغ جنـد البرتغال آنذاك مائة وخمسة وعشرين الفا وقطـع اسطولهم الرابضة في اصيلا والعرائش 847 وزحف الجيش البرتغالي الى وادي المخازن في متم جمادى الاولى من نفس السنة أي رابع غشت عـام 1578 م وكانت هجمة صليبية عززت فيها البابوية الزحـف المسيحي على العالم الاسلامي شرقا وغربا باستنفار الدول الكاثوليكية وتعبئة شباب الفاتكـان وكانـت الحملة لاحتلال المغرب منسقة بقيادة البابا اقتصاصا من الوجود العربي بالاندلس وتعويضا للمسيحية عن فقدان روديس وجزء من هنغاريا والبابا الاسكنـدر السادس هو الذي اصدر مرسوم تقسيم العالـم الى مناطق نفوذ بين اسبانيا والبرتغال عام 1494 غـداة الكشف عن امريكا ولكن ابى الله الا ان يهـزم هؤلاء الاحزاب وينصر عباده المؤمنين فقتل ملك البرتغال واسر جيشه وفر اسطوله فكانت هذه المعركة ـ كما يقول المؤرخ الفرنسي هنري طيراس ـ المعركة الفاصلة في تاريخ الصراع بين المسيحيين والاسلام انزلت ضربة بالطموح البرتغالي وفككت أوصال مملكة البرتغال لأن الدون سبستيان مات بدون وارث فخلفه عمـه فيليب الثاني ملك اسبانيا التي اندمجت فيها البرتغال ازيد من ستين سنة ظلت خلالها خاضعة هي نفسهـا للاسبان ولذلك تم خلال هذه الفترة اجلاء البرتغاليين عن منطقة البحرين التي احتلوها قرنا كاملا عام 1622 م اي بعد معركة وادي المخازن بأربع واربعين سنة ، كما طرد البرتغاليون عن مجموع مستعمراتهم على الشط العربي عام 1649 م الموافق 1059 هـ وبذلك تحرر العالم العربي من هيمنة البرتغال الذين لطخوا تاريـخ العروبة والاسلام طوال اربعة قرون .

واذا كان الخليج العربي قد غدا منـذ القـرن الثالث البحري المرحلة الرئيسية في تاريخ الملاحة العربية تمر به المراكب في ذهابها وايابهـا بيـن اوربا والشرق الاقصى عبر البحر الابيض المتوسط فان كلا من الخليج والبحر المتوسط كانا عالة الواحد على الآخر واستمر هذا التساوق الى القرن العاشر

الهجري عندما كان مضيق جبل طارق هو المر الفاصل بين المحيط الاطلنطكي والمتوسط فكانت مدينة سبتة منطلق المراكب التجارية الى ديار الهند وظلت كذلك حتى بعد سقوط القسطنطينية في يد السلطان العثماني محمد الثاني عام 857 هـ 1453 م وباستئصال شأفة الغزو البرتغالي في الخليج وتقليص ظلهم في سواحل المغرب شمالا وغربا تمكن العرب من الانتصار في الحرب الصليبية الثانية التي اججت اوربا نيرانها ضد العرب في القرنين السادس عشر والسابع عشر لتنطلق في حلقات اخرى من هذه الحرب بقيادة الهولنديين والانجليز والفرنسيين في كل من المغرب والخليج العربي ، غير أن حدثا جديدا كلل انبثاق العصر الحديث وانقضاء القرون الوسطى وهو اكتشاف امريكا عام 898 هـ / 1492 م من طرف كريستوف كولمبس ذلك الاكتشاف الذي يرجع الفضل فيه الى رجل من ابناء راس الخيمة على الشاطىء الغربي للخليج العربي ، وهذا الرجل هو ابن ماجد احمد السعدي اسد البحر ابن ابى الركائب الذي ساهم على غير قصد منه في تحطيم سيادة العرب على المحيطين استعان به فاسكو دوغاما قائد الاسطول البرتغالي عام 1498 م لقيادة السفن البرتغالية عبر المحيط الهندي وراس الخيمة هي احدى الامارات السبع التي ظلت الى منتصف القرن الثامن عشر عاصمة لجميع سواحل عمان وقد اقضت مضاجع اساطيل شركة الهند الشرقية في الخليجين والمحيط .

والغريب ان اكتشاف امريكا الذي نسبه الكثير من المؤرخين الى العرب يرجع الفضل فيه بالذات اما الى رجال الخليج قبل الميلاد او الى عالم من علماء الاندلس والمغرب ، فقد تأكد ان الفنيقيين المنتسبين اصلا الى الخليج قاموا بدورة حول العالم طوال ثلاث سنوات طافوا خلالها حول افريقيا ووصلوا الى البرازيل واسسوا مملكة هناك ما زالت معالمها قائمة الى الآن ومن جملتها الحجارة المكتوبة باللغة البونيقة اي لهجة افريقيا الشمالية مما يدل ـ اذا صحت هذه الرواية ـ على أن القرطجنيين ـ وهم عرب فينيقيون تأقلموا في المغرب ـ هم الذين اسهموا مع المغاربة في اكتشاف امريكا على أن كريسطوف كولومبس نفسه يعترف ـ كما اورد ذلك المؤرخ الفرنسي رونان في كتابه « ابن رشد ومذهبه (Averroès et l'Averroïsme) بأن كولومبس ترك رسالة بعد وفاته يقر فيها بأن الذي اوعز اليه بوجود قارة جديدة وراء المحيط هو ابن رشد المغربي في كتابه « الكليات » في الطب على أن مجلة « نيوزويك » الامريكية اكدت في عددها الصادر في ابريل 1960 (راجع الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ص 13) ان الوثائق التي عثر عليها تثبت ان امريكا كانت معروفة للعرب « الذين قاموا ـ حسب تعبيرهـ قبل سنة 1100 م على الطرف الغربي للعالم الاسلامي ومن ميناء الدار البيضاء على التحديد ورسوا في عدة مواضع على الساحل الامريكي » وقد ايد هذه النظرية (1) الدكتور لين شينج بائع أستاذ التاريخ واللغة الصينية بجامعة هارفارد كما أيدها الدكتور ريتشارد رودولف رئيس المؤتمر الذي عقدته الجمعية الشرقية الامريكية . وقد كان ابن عربي الحاتمي يرى أن وراء المحيط الاطلنطيقي امما وعمرانا وقد عاش قبل كولومبس بثلاثة قرون وتحدث محمود الاصفهاني (المتوفى عام 749 هـ) قبل كولومبس بمائة وخمسين سنة عن احتمال وجود ارض وراء المحيط كما ذكر ابن الوردي في جغرافيته أنه يوجد وراء الجزر الخالدات (أي كناريا) جزائر وصفها وصفا يكاد ينطبق على امريكا وقد عاش ابن الوردي قبل كولومبس بأكثر من مائة سنة (عبد القادر المغربي ـ محاضرات مجمع دمشق ج 2 ص 233) .

وهنا بدأت في المغرب والخليج فترة جديدة من الصراع تجلى في ظهور الانجليز على مسرح التجارة الخارجية حيث تنفسوا الصعداء من اندحار البرتغال فأقاموا في الشرق الشركة الهندية ، وفي المغرب شركة بربريا (Barbary Company) وبينما ارادوا ان يركزوا في الخليج وجودهم بملء ما تركه البرتغاليون من فراغ اذا بهم يكتفون في المغرب بالعمل على حماية صفاتهم التجارية من القرصنة وتأمين البحر المتوسط من غازات المراكب والسفن المغربية مما ادى ببعض الدول الكبرى كالدنمارك (2) والسويد وبعض المرافىء الحرة كهامبورغ وبريم بألمانيا الى دفع اتاوة سنوية خاصة للمغرب اعتصاما بأسطوله من لصوصية البحر. وكان قراصنة المغرب قد مدوا شبكة غاراتهم الى المحيط الاطلنطيقي فواجهوا الانجليز في عقر ديارهم وقلصوا من جهة ثانية ضغط هؤلاء على الشرق العربي وخاصة الخليج لاضطرارهم الى الاحتفاظ بجزء من اسطولهم لحماية سواحل الجزر البريطانية الا ان الانجليز فوجئوا هنا وهناك في آن واحد على طول

(1) راجع الخليج العربي ـ قدرى قلعجي ص 56 .
(2) كانت الدنمارك تدفع سنويا للمغرب 000 51 ويكسدال أي أزيد من ربع مليون فرنك ذهبي .

طريق الهند المارة من جبل طارق بمزاحم جديد هو هولندا قامت هي الاخرى بتحدي القرار البابوي الهادف الى اقتسام العالم بين زعيمتي الكاثوليكية آنذاك اسبانيا والبرتغال وكان لقيام الحركة البروتستانية ضلع فى دعم هذا الاتجاه فانشأ الهولنديون عام 1592 م شركة للتجارة مع الهند واتجه اسطول هولندي بين 1598 و 1601 م (موافق 1007 و 1010 هـ) الى المحيط الهندي عن طريق الممر الجديد براس الرجاء الصالح للاتجار والغزو معا بينما عقدوا المغرب الاقصى معاهدة عام 1610 م للحصول على رسوم الاسبقية فى التجارة الخارجية ، ولم يكد يهل عام 1640 م (1050 هـ) حتى احتل الهولنديون مكان الصدارة فى الخليج العربي الا أن صراعهم ضد الانجليز ما فتىء أن استفحل بسبب تدخل القراصنة المغاربة الذين كانوا يعملون بغير قصد منهم على التخفيف من ضغط الفريقين على الخليج العربي ، فقد كان كل من الانجليز والهولنديين يناصب العداء للاسبان عدوهم المشترك سياسيا ودينيا واقتصاديا الا أن الهولنديين ظلوا يمدون سفن القرصنة المغربية بالعتاد ومواد السفانة وقطع الغيار بينما طفق الانجليز يواصلون حربا شعواء ضد هؤلاء القراصنة حتى اندلعت الحرب بين الطرفين عام 1652 م (1063 هـ) طوال عامين واتسعت شبكتها الى ما وراء البحار فاشتبك الاسطولان الانجليزي والهولندي في مياه الهند المؤدية الى الخليج ، والواقع ان القراصنة المغاربة قلصوا من نشاط الانجليز فتعطلت تجارتهم فى الشرق فى نفس الوقت الذي ادى حياد القراصنة بهولندا الى نوع من الحصانة تمتع به اسطولها فى البحر المتوسط مما فسح لها مجال الضغط على الخليج ،

وقد احتفظ المغرب الاقصى باستقلاله فى هذه الفترات بل انه احتفظ باستقلاله خلال الف عام (الى عام 1912 م) فكان القطر العربي الاسلامي الوحيد الذي ظل فى منأى عن سيطرة الخلافة العثمانية والذي عرف كيف يستغل انتصاره فى معركة وادي المخازن حيث اصبحت دول أوربا تخطب وده لأن هزيمة دولة استعمارية كالدولة البرتغالية لم يكن بالامر الهين ولا بالشيء الذي يمر دون أن يثير اعجاب العالم مما حدا الانجليز الى مفاتحة المغرب فى القيام بعمل موحد لخلق كوندومنيوم مشترك فى الهند وفى عام 1600 م وجه المنصور الى ايليزابيث ملكة انجلترا سفارة للقيام بمامورية سرية من أجل تحقيق التحالف الانجليزي ضد اسبانيا وقد اقترحت ملكة انجلترا على السلطان اكتساح الهند بدل اسبانيا نظرا لكون فيليب الثاني يستمد موارده من الهند ، وقد شاطرها السلطان هذا الراي مطالبا لتمويل المشروع بمائة الف جنيه استرليني وانشغل المغرب فى لم شتاته وتطوير صناعته فزرع قصب السكر (1) وفتح مصانع لتكريره فتنافس البلاطان الانجليزي والفرنسي على اقتنائه وصدره المغرب الى الشرق فى جملة ما صدر من جلود وزيوت ومعادن (من نحاس ورصاص وحديد وقصدير بالاضافة الى ملح البارود والكبريت) واصبح للدينار المغربي نفاق فى السوق العالمية رغم انخفاض وزنه الذهبي الى 548ر3 غرام وتهافت المضاربسون من الانجليز على هذه العملية القوية يستعيضون بها عما خسروه من صفقات فى الخليج (2) بل أصبح المغرب يدلي بدلوه فى توجيه السياسة الاوربية وفى فتح قروض (ناب منها دولة هولندا مليون ونصف مليون دينار) واكتساح اوربا حيث وجه عملاء للدعاية

---

(1) كان السكر يصنع فى شقي العروبة بافريقيا ومصر (الخطط للمقريزي ج 1 ص 203) وافريقية وخاصة فى قابس وحلولا (المسالك للبكري ــ جزء افريقية والمغرب ص 17 و 32) وكانت معاصر السكر فى المغرب تدر سنويا على المنصور السعدي أزيد من ستمائة الف أوقية ذهبية (وزن الأوقية 30 غرام تقريبا) وكان بالمغرب مناجم فضة وذهب (البكري) خاصة قرب سجلماسة (كتاب الاستبصار) والنحاس الخالص الذي لا يعدله غيره شرقا وغربا (الادريسي) بالاضافة الى القطن الذي كان يزرع بتادلا (وصف افريقيا للادريسي ص 50) وتطورت على يد الانجليز عام 1864 م فى منطقة مدينة الجديدة صناعة قطن حريري شبيه بالقطن الامريكي كان نافقا فى اوربا وذلك بالاضافة الى مصانع الطلس (Satin) ايام السعديين .

(2) كانت تنبكتو تؤدي الى المغرب جزية سنوية قدرها ستون قنطارا من التبر أي الذهب غير المسبوك مما جعل من المنصور الذهبي اعظم أمير فى العالم من حيث العملة وكان الانجليز يهربون الذهب فى صناديق السكر المغربي .

لمنتجاته وسوائمه ومعادنه عاملا على حماية الصناعة الوطنية من المتزاحمة الاجنبية .

غير ان منافسا جديدا ما لبث ان برز هو الاستعمار الفرنسي الذي اضطر عدوتي الامس (هولندا وانجلترا) الى التحالف لدرء خطره الداهم ولكن ذلك لم يمنع فرنسا من تهديد مصالح الانجليز فى الخليج ، واستطاع نابليون ان يطأ تراب النيل فاتحا وان يهدد المولى سليمان ملك المغرب بالانقضاض عليه فى مائة الف من جنده اذا هو لم ينضم الى كتلة الحصار البري (Bloc continental) المضروب على الانجليز وكان اسطول القراصنة المغاربة يقض مضاجع الاوربيين فى المتوسط وفى عرض المحيط الاطلنطيقي الذي نقلوا اليه عملياتهم بعد ان اصبح طريقا جديدا الى الخليج ولم تكن علائق فرنسا مع المغرب مستوسقة بسبب ذلك الصراع البحري الذي جعل المغرب ينهج سياسة التدافع بين الدول الاوربية يثير هذه ضد تلك ويحالف جانبا للتملص من ضغط جانب آخر .

والواقع ان انقسام المغرب الى اقاليم مستقلة خلال القرن السابع عشر (قبيل توحيد المغرب على يد الدولة العلوية) هو نفسه الذي ترك ثغرات تسرب منها المستعمرون مثل ما وقع فى امارات الخليج بالنسبة للهولنديين والانجليز والفرنسيين .

ففي الوقت الذي اتسع نطاق التجارة الانجليزية فى الشرق واوربا الشرقية اي القرن السادس عشر تزايد ايضا مع المغرب وحتى غينيا بافريقيا ، غير ان الفرنسيين كانوا قد بذوا حتى الهولنديين فى مبادلاتهم مع المغرب حيث دخلت فى عام واحد (1698 م) لمرسى سلا أربعون سفينة تجارية وتأسست بعد ذلك بسنتين شركة تجارية فرنسية اضطلعت باصدار المنتجات المغربية وقد بلغ عدد السفارات المغربية الى فرنسا نحوا من سبع وعشرين سفارة ، اولاها عام 1576 م والاخيرة عام 1909 اي قبيل الحماية بثلاث سنوات

كانت حجرة بادس تعتبر ميناء فاس فى البحر الابيض المتوسط ، وكان الاسطول التجاري لبعض الدول يرابط فيها الا ان القراصنة الجزائريين اتخذوها عام 1564 م (971 هـ) مقرا للهجوم على سواحل الاندلس واقتناص السفن المتوجهة للهند والخليج وكان قراصنة تطوان والعرائش يتعاونون معهم لأن القرصنة الجهادية كانت عبارة عن رد فعل المسلمين على ما لحق اخوانهم فى الاندلس من نفي وتنكيل وتقتيل وقد تحالف قراصنة سلا (وهم خليط من العرب والمسلمين والاعلاج من كافة سواحل المتوسط) مع الانجليز لمساعدتهم على احتلال جبل طارق وكانت معظم الدول الاسلامية المتوسطية تساند هذه القرصنة لا لكونها انطلاقة مشروعة ضد العدوان الايبري فحسب بل ايضا لأنها أعادت الى العرب سيادة المتوسط والمحيط وواجهت القرصنة المسيحية ونشرت الأمن والطمانينة فى البحار بالنسبة للسفن العربية والحليفة ، وكان معظم البوارج الحربية فى أوائل العهد العلوي (اي فى نهاية القرن السابع عشر) قد اقتنصها القرصان من الاسطول الفرنسي أو الهولندي أو الانجليزي واهمها تسع عشرة سفينة انجليزية واربع فرنسية مما يدل على هيمنة أسطول القرصان الجهادي، وقد بلغ عدد القطع البحرية الخمسين فى عهد المولى محمد بن عبد الله وسبعا واربعين ايام المولى سليمان ولكن المغرب ظل مع ذلك ينعم فى الحقل الدولي بمكانة ملحوظة مما حدا روسيا الى طلب انضمامه فى حرب القرم (1854 م — 1856 م) الى كتلة المحايدين واستدراجه للدخول الى الحلف الروسي الامريكي ضد تركيا وفرنسا وانجلترا ، وكان المغرب يشعر بأن انضماره فى هذا الحلف يعزز مركزه ضد الفرنسيين والانجليز الذين بدأوا يتنافسون لبسط نفوذهم على المغرب لا سيما بعد ما احتلت فرنسا الجزائر واجبرت المغرب على امضاء معاهدة لالة مغنية عام 1845 ولكن المغرب راعى ذمام الاسلام فلم يجرؤ على الدخول فى حلف موجه ضد تركيا المسلمية رغم كونها كانت حجرة عثرة فى سبيل وصل علاقاته مع الشرق العربي وخاصة الخليج منذ ان سيطر العثمانيون عليهما فى منتصف القرن الخامس عشر ، وتمتاز هذه الصلات العريقة بين الخليج العربي والمغرب الاقصي وهما شقان متنائيان للوطن العربي المتد الى المحيط — بظاهرة هي اصالة معظم مصطلحاتهما الدارجة بالنسبة للفصحى ! ولا شك أن هذه الوصلة التي استوثقت عبر العصور راجعة بالاضافة الى العوامل التي اشرنا اليها كوحدة الاصل الكنعاني والتأثير الحميري المشترك الى وحدة المنبع المالكي فى مفرداته الفقهية ومصادر اقتباسه الحديثة والقرآنية ، ولا شك أن لرواج المصطلحات المالكية فى جميع المناحي الاجتماعية خاصة فى ابي ظبي اثرا قويا فى تكييف هذا التراث الوحدوي ، كما أن احتكاك التجار المغاربة بزملائهم الخليجيين قد خلف مجموعة من الالفاظ الدارجة اشرنا الى بعضها فى معجم خاص حاولنا فيه ابراز مظاهر الوحدة فى عاميتي المغرب والخليج ونشر فى مجلة اللسان العربي (عدد 5 —

1387 هـ / 1967 م) . وهذه الكلمات موحدة المعنى فى الخليج والشام والمغرب أي فى المراكز التي ورثت لغة كنعان العربية وتأثرت بلغة القرطاجنيين أي اللغة البونيقية ، وهاكم جملة منها : البايت (للباقي مـــن طعام الامس) والبحرة او البحيرة (للمستنقع) والبراحة (للبراح) والبسباسة (للبسباس) وبغى (يبغـــي (بمعنى اراد) والبلدة والبلع (لمنزلتي من منازل القمر) والبلدية (لاحدى دوائر الحكومة) وبلم فمه (أي اغلقه) والتحسونة او الحسانة (للحلاقة) والجنطة او الشنطة (للحقيبة) والحارة (للمحلة والحي) وحب (بمعنى قبل) وحويل أو حولى (أي ما دار عليه الحول والخاطر (بمعنى الضيف الطارق) والختمة (بمعنى اتمام القرآن) والخنفرة (أي الانف الكبير) والدرويش (بمعنى الفقير) والربعة (أو الربيعة لصندوق ابداع أجزاء القرآن) والردحة (بمعنى الرقص) والشاهد (بمعنى السبابـــة من الاصابع) والصيني (أي اناء النحاس أو الخزف) والطنا (بمعنى الاغاظة تقول اطنانســي أي اغاظنـــي) والعرضة (أي حفلة الزواج) والعزيمة (أي الدعوة الى مأدبة) والاعشار (بمعنى الزكوات) والعمارية (أي الحفة) والعيال (بمعنى الاولاد الصغار) والغربي (أي الهواء يهب من جهة الغرب) والفكغ او الفقـــاع (أي الكمأة) والكحة (بمعنى السعال) وكخ (للنهي عـــن الاقتراب من الشيء القذر) والمرفاعة أو المرفـــع (للرف المعلق) والمشموم (للباقة من الرياحيـــن) والمطهر (للمرحاض) والمكبة او المكب (لغطاء صحن الطعام) ، وهنالك اسماء اعطيت لمدن ومناطق شتى تقع فى امتداد طرق القوافل منها « الجبل الاخضر » فى المغرب وهو ينبثق كجزيرة فى قلب الصحـــراء وكذلك « الجبل الاخضر » الذي يقوم على محـــاذاة ساحل عمان وسط كثبان الرمال من الصحراء الحمراء الخليجيـــة .

وتبرز امارة ابي ظبي فى هذه المجموعة الخليجية كمرحلة من مراحل القوافل المغربية نظرا لواحاتهـــا الثربة واتصالها بالبر بطريق ضيق تقع على حـــدود المملكة العربية السعودية ونظرا لما كان يسودها من امن وهدوء حتى استحق ساحلها وهو ساحل عمـــان أي يسمى ساحل الهدنة .

تلك مظاهر للوحدة الاصيلة المتغلغلة بين الخليج العربي والمغرب العربي تبرز امتداد الوطن العربي من المحيط الهندي الى المحيط لاطلنطيقي ، وقد عادت هذه الوحدة اليوم الى عنفوان عزها بعد انهيار الاستعمار وانكشاف الستر الكثيفة التي قامت حائلا اصطناعيا بين اخوان طوال عدة قرون ولكننا عند اللقاء من جديد بعد طول الفرقة نشعر وكأننا لم نفترق لأن خلجات قلوبنا متساوقة ولأن لنا فى مقومات تراثنا العربي الاسلامي سندا قويا لم تفصمه نوائب الدهر ولم تحل عـــراه الوثقى مكائد المستعمرين .

صور

لشاعر العروبة عزيز أباظة باشا

في قمة الأدب العربي المعاصر شعراء لا يزيدون على عدد أصابع الكف هم بقية ذخر ممن لا يجود بهم الدهر الا نادرا ، ولعل أحدا لا يخالف في كون عزيز اباظة باشا واحدا من هؤلاء العباقرة ان لم يكن على راسهم .

وقصيدته التالية من آخر ما نظم وهو يصطاف في سويسره وكأنه يرمز الى ما عانته اللغة العربية في مختلف أطوارها من ازدهار تبعه نضال في سبيل الحياة ابان القرون الوسطى ثم من محاولة لنهضة حديثة بعد ما خشينا عليها الغروب نهائيا وفي ندائه الليل صرخة امل لا ياس فيها ولا قنوط .

الشعر الرمزي يفهمه كل قارئ على مقدار وقد يتضارب تفسير مع تفسير آخر ، ومثل هذه القصيدة قد تغني وينطلق فيها صوت المنشد ينادي الليل فهل يستجير به أم يقفه عن طيرانه ودورانه ليصغي الى شكواه كما قال شوقي في عبده الحمولي :

يسمع الليل منه في الفجر يا ليل فيصغي مستمهلا في قراره

ممدوح حقي

ظلال

تعالي الى الوادي الظليل نلذ به ونطرح أسانا في خمائله الخضر

تعالي فذا كافوره شاقه الهوى فمال على الصفصاف في ذهب العصر

اذا سرت الأرواح أمسك بعضه باعطاف بعض واهتدى الثغر للثغر

ورفه صدر عند صدر همومه وشف الضنى خصرا فذاب على خصر

بربك غضي الطرف عنها لعلها تلذ بهذا الوصل في غفرة الدهر

عواصف

الا ما لخفاق النسيم تبدلت ... خلائقه بعد السماحة واليسر

تعالي الى الأيك الرؤوم فنتقي ... بافيائه انواء عاصفة تسري

الا فانظري الأشجار كيف تأودت ... فضجت بشكواها الى دامع الزهر

وهذا الغدير الصفو قد كان آمنا ... فما باله طافت به رجفة الذعر

بكى شطه الخالي وعربد ماؤه ... لكثرة ما لاقى من المد والجزر

كأن اصطخاب الموج بين ضفافه ... لواعج اشواق تدافعن في صدري

غروب

تعالي فهذا موكب الشمس غاربا ... يودع هذا الكون بالأدمع الحمر

بدت في حواشي الصبح لماحة السنى ... وزالت كما زال الهوى في زها العمر

بنفسي اساها وهي تمضي حزينة ... الى سفر ما ينقضي ابد الدهر

اصفرة وجد تلك ؟ لا بل هو الردى ... تهادى اليها في غلائله الصفر

هوت فاحتواها البحر نشوان ثائرا ... وغنى لها لحن الردى زبد البحر

سحر

تعالي فان الليل حان وهده ... مراشفه ظمأى الى قبل البدر

ويا ليل ستر الله انت وسره ... ومهد الهوى يا ليل انت فهل تدري

ويا ليل هذي منية النفس اسمحت ... فهات الحلال العذب من سحرك الطهر

ويا ليل نادمنا . ويا ليل غننا ... بأكرم الحان الخلود من الشعر

وقصي علينا قصة الدهر واروها ... وهل هي غير الحب والوصل والهجر

وبتنا نشاوى ينفح المسك ثغرها ... وتسكب عيناها فنونا من الخمر

وقمنا نزيد الله حمدا وطاعة ... ونزجي له التسبيح في سجدة الفجر

الوديعة

إلى مجلة «اللسان العربي»

يوسف الغريب

أستاذ اللغة العربية في جامعة كوردوبا

(أرخنتينا)

رب فكر يحول الخمر سحرا … في ضمير العنقود عبر الليالي

والحجى ، والحياة ، والعقل … والسكرة الكبرى ودفق الخيال

كل شيء يدوم في الارض حتما … فهو باق على مدى الاجيال

لا فناء : فما العناصر الا … خالدات ؛ لا في طريق الزوال

مادة اثر مادة : فبقاء … فحلول ، فصعدة باعتدال

جوهر الكون لم يكن غير سر … غامض : دائم : غير بالي

كنت يا صاح صورة من ضباب … فتحولت حفنة من رمال

ثم في الحقل نبتة من قصيل … تعبت من كثرة التجوال

(حيوان مستحدث من جماد) … لم يكن واعيا او مبال

ثم جئت ، وهكذا جئت ، كامل — الشكل بقدرة المتعال

صورة من هيولى ، ونفحة من جلال الله ، وذرة من كمال

انت ، أنت هنا ، وديعة الله ، فكن حريصا عليها ووال

كل ما في الحياة والكون جمعا … هو في الاصل من رفيع عال

كل هذا ، يا صاح ، اعطا له الله — من جوده المفضال

بعد هذا وذاك ؛ قل لي لماذا … لم تزل عامها اسير الضلال

أين منك البقاء والفناء والتجلي — وروعة الاحوال

والوديعة التي ائتمنت عليها … لم تزل فيك درة من غوالي

هي أنت ، فكن أمينا عليها … لا تبعها ببدرة من مال

نشاط
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
والمكتب الدائم لتنسيق التعريب

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

- وكالة متخصصة تعمل فى نطاق الجامعة العربية وتهدف الى :

— تمكين الوحدة الفكرية بين اجزاء الوطن العربي فى التربية والثقافة والعلوم .

— رفع المستوى الثقافي فى الوطن العربي حتى يقوم بواجبه فى متابعة الحضـارة العالميـة والمشاركة الايجابية فيها .

- ويتم تحقيق تلك الاهداف فى البلاد العربية عـن طريق :

— تنسيق الجهود العربية فى مجالات التربيـة والثقافة والعلوم .

— النهوض بمستويات التعليم والثقافة والعلوم وتشجيع مجالات البحث فيها .

— اقتراح المعاهدات وجمع المعلومات والحقائق والبيانات المتصلة بمجالات انشطة المنظمة .

— تبادل الخبرات والخبراء والمعلوماتوالتجارب

— الحفاظ على المعرفة وتقدمها ونشرها وذلك بالمحافظة على التراث العربي وتشجيع التعاون بين الأمة العربية والأمم الاخرى بطريقة التعاون الدولـي .

- بدات المنظمة العربية نشاطها بانعقاد مؤتمرها الأول فى 25 يونيو 1970 وتشترك فى عضويتها: دولة اتحاد الامارات العربية ؛ المملكة الأردنية الهاشمية ، دولة البحرين، الجمهورية الجزائرية الديمقراطيـة الشعبية ، جمهورية السـودان الديمقراطية ، الجمهورية العربية السوريـة ، الجمهورية العراقية ، فلسطين ، دولة قطر ، دولـة الكويت ، الجمهورية العربية الليبيـة ، جمهورية مصر العربية ؛ الجمهورية العربيـة اليمنية ، جمهورية اليمن الديمقراطية ، المملكة العربية السعودية .

- **اجهـزة المنظمة هـي :**

— المؤتمـر العـام

— المجلس التنفيذي

— المديـر العـام

— الادارة العامة وتضم : ادارة التربية ، ادارة الثقافة ، ادارة العلوم ، ادارة التوثيق والاعلام، ادارة الشؤون المالية والادارية ، معهد احيـاء المخطوطات العربية .

— الأجهزة وتضم : الجهاز الاقليمي العربي لمحو الامية ، معهد الدراسات العربيـة العاليـة ،

المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي، مكتب الوفد الدائم لدى اليونسكو .

— الشعب المحلية .

* عقدت اللجنة العربية للوسائل التعليمية ، اجتماعها الثاني بمقر الأمانة العامة بجامعة الدول العربية بالقاهرة فى الفترة من 5/4/30/ 1972 واشترك فيه وفود : من اتحاد الامارات العربية ، المملكة الأردنية الهاشمية ، المملكة العربية السعودية ، الجمهورية العربية السورية ، جمهورية العراق ، سلطنة عمان ، فلسطين ، دولة قطر ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية ، الجمهورية العربية اليمنية ، كما اشترك فى هذا الاجتماع ايضا مندوبون عن الادارة القانونية بجامعة الدول العربية ، المركز الدولي للتعليم ، وأكاديمية البحث العلمي لجمهورية مصر العربية ، وكان من اهم التوصيات التي خرجت بها اللجنة فى هذا الاجتماع ، انشاء مركز عربي للوسائل التعليمية فى نطاق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تشكيل لجنة فرعية فنية لوضع نظام اداري لهذا المركز وتقديم مشروع متكامل لأنشائه .

* انعقد بالقاهرة فى الفترة من 6 الى 1972/5/11 مؤتمر الوحدة والتنوع فى الثقافة العربية المعاصرة ، واشتركت فيه وفود من : جمهورية السودان الديمقراطية ، الجمهورية العراقية ، الجمهورية العربية اليمنية ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشبية ، المملكة الأردنية الهاشمية، الجمهورية التونسية ، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية، المملكة الأردنية الهاشمية، السورية ، فلسطين ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية ، كما اشترك فى هذا المؤتمر مندوبون عن بعض الجامعات والمجامع والمجالس العليا لرعاية الفنون والآداب ، الجمعيات الأدبية ، بالاضافة الى بعض المعنيين بموضوع المؤتمر بصفتهم الشخصية، وقد تأكد منخلالالمناقشات التيدارت أن الاهتمام موجه الى دراسة التنوع الطبيعي الذي يجد سبيله الى الثقافة العربية ويعبر عن حيويتها وتطلعاتها ، وليس الى التنوع المفتعل الذي يناقض الوحدة أو يخالفها ، كما رأى المؤتمر أن يفرق بين هذين الاتجاهين ، وقد اتخذ المؤتمر توصيات للنهوض بمجالات القصة والمسرح ، والسينما والشعر والاذاعة المرئية والمسموعة ، كما تناولت أيضا مجالاتالفصحى والعامية ، والمنهج الاقليمي فى تاريخ الأدب العربي وتوثيق الروابط بين المثقفين وتداول الانتاج الثقافي .

* التحق بمعهد البحوث والدراسات العربية هذا العام 202 طالب من عدة بلاد عربية واسوية . وقد منح المعهد هذا العام عدة درجات علمية على مستوى الماجستير وذلك فى مجال الدراسات الاقتصادية، والاجتماعية والتاريخية، والجغرافية ، والقانونية ، والشرعية ، والأدبية والشعرية ، وأيضا فى مجال الدراسات الفلسطينية .

* عقدت اللجنة العربية للوسائل التعليمية اجتماعها الثاني بمقر الامانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، فى الفترة من 4/30 الى 1972/5 ، واشتركت فيه وفود من اتحاد الامارات العربية، المملكة الاردنية الهاشمية ، المملكة العربية السعودية ، الجمهورية العربية السورية جمهورية العراق ، سلطنة عمان ، فلسطين ، دولة قطر ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية ، الجمهورية العربية اليمنية ، كما اشترك فى هذا الاجتماع ايضا مندوبون عن الادارة القانونية بجامعة الدول العربية ، المركز الدولي للتعليم الوظيفي بسرس الليان واكاديمية البحث العلميبجمهورية مصر العربية ، وكان من أهم التوصيات التي خرجت بها اللجنة فى هذا الاجتماع : انشاء مركز عربي للوسائل التعليمية فى نطاق المنظمةالعربية للتربية والثقافة والعلوم ، تشكيل لجنة فرعية فنية لوضع نظام اداري لهذا المركز وتقديم مشروع متكامل لانشائه .

* عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم حلقة دراسية عن الظروف البيئية وخطط التنمية فى البلاد العربية وذلك بالخرطوم بجمهورية السودان الديمقراطية فى الفترة من 15 الى 12 فبراير / شباط 1972 . وقد نسقت

هذه الحلقة اعمالها مع المؤتمر السوداني عن الانسان والبيئة الذي عقدته الجمعية السودانية لتقدم العلوم بالاشتراك مع المجلس القومي للبحوث ، اشترك فى هذه الحلقة وفود من : المملكة العربية السعودية ، جمهورية السودان الديمقراطية ، الجمهورية العربية السورية ، الجمهورية العراقية ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية ، دولة الكويت ، فلسطين ، كما اشترك فيها مندوبون عن الهيئات الدولية والمنظمات الاقليمية العربية ، الأمم المتحدة ، اليونسكو ، منظمة الأغذية والزراعة ، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار فى العالم العربي واتحاد المهندسين العرب . ونوقشت خلال هذه الحلقة موضوعات متعددة تتصل بانتاج المحاصيل ، الانتاج الحيواني ، المياه الجوفية والثروة المعدنية ، تلوث الهواء ، تلوث البيئة الريفية وصحة البيئة . كما تم التوصل الى عدد من التوصيات تتصل بالنواحي التالية : الاهتمام باستغلال وتنمية مصادر الثروة الطبيعية ، الاهتمام بالانسان وتنمية الموارد البشرية ، علاقة تدعيم الأنشطة التي تبذلها الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث ، مكافحة تلوث البيئة عن طريق انشاء مركز عربي لدراسة هذه الناحية والاهتمام بالاشتراك فى المؤتمر الدولي للانسان والبيئة الذي تنظمة الامم المتحدة .

* عقدت بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، فى الفترة من 1 الى 7 مايو (أيار) 1972 ، حلقة تطوير تدريس العلوم البيولوجية على مستوى المرحلة الثانوية ، وحضرها مندوبون عن الدول العربية الآتية : المملكة الأردنية الهاشمية ، جمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، المملكة العربية السعودية ، جمهورية السودان الديمقراطية ، الجمهورية العراقية ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية .

وقد نوقشت خلالها عدد من الموضوعات الهامة التي تتعلق بأوضاع تدريس البيولوجيا ومناهجها الحالية والمقترحة ، ورؤى ان تشكل لجنة لاستكمال الدراسات والبحوث اللازمة لمسح واقع المناهج الموجودة على ان تعقد حلقة لدراسة الموضوع فى يناير 1973 ولمدة شهر فى كلية من كليات العلوم باحدى الدول العربية وذلك بهدف التوصل الى ما يؤدي الى تنفيذ المشروع فى الصف الأول من المرحلة الثانوية ثم يخطط بعد ذلك لاعداد مجموعة من المعلمين والقادة حلقة تدريبية لمدة شهر قبل بدءالعام الدراسي 1974/73 تمهيدا لتطبيق المشروع . كما رؤى ان تعقد حلقة اخرى على مستوى الخبراء فى يناير 1974 وثالثة فى يناير 1975 لاستكمال المناهج المقررة فى باقي صفوف المدرسة الثانوية .

* عقدت بمدينة الاسكندرية بجمهورية مصر العربية فى الفترة من 8 — 13 يوليو / تموز 72 حلقة تطوير وتدريس الرياضيات الحديثة على مستوى المرحلة الاعدادية فى العالم العربي . اشتركت فيها : المملكة الأردنية الهاشمية ، دولة البحرين ، الجمهورية التونسية ، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية ، الجمهورية العراقية ، المملكة العربية السعودية ، الجمهورية العربية السورية ، الجمهورية العربية اليمنية ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، وجمهورية مصر العربية ، وقد بحثت فى هذه الحلقة أوضاع تدريس الرياضيات فى العالم العربي وذلك من خلال تقارير المندوبين. كما درست عدة مشروعات لتطوير تدريس الرياضيات ، وشكلت لجان لدراسة وتطوير هذا النشاط بوضع خطة زمنية لهذا الغرض تنتهي فى صيف عام 1976 ، وذلك لعقد حلقة دراسية لتقويم المنهج الذي تم تطبيقه ، وكتب الصفوف الثلاثة ومرشد المعلم ، وقد توصل المجتمعون فى الحلقة الى عدد من التوصيات اهمها اعداد خطة شاملة لتدريس الرياضيات ، الشروع فورا فى انشاء هيئة عربية لتطوير تدريس الرياضيات ، تطوير مناهج اعداد المعلمين بمستوياتها المختلفة وتطوير طرق تدريس هذه المناهج ، انشاء نواد للرياضيات وتوحيد المصطلحات المستعملة فى الرياضيات فى البلاد العربية .

* قامت المنظمة بالتعاون مع مركز التوثيق التربوي بالقاهرة بتنظيم دورة تدريبية لمبعوثين عن الدول العربية فى مجال التوثيق التربوي ، وقد بدأت هذه الدورة فى شهر ابريل 1972 ، وكانت مدتها ثلاثة أشهر تم فيها تدريب أفراد من العاملين فى حقل التوثيق على عمليات الفهرسة والتصنيف واعداد المستخلصات والتعاريف والأخبار واعداد النشرات الاعلامية والاجابة على الاستفتاءات . وقد اشترك فى هذه الدورة على نفقة المنظمة أفراد من الجمهورية العربية الليبية ، والمملكة الأردنية الهاشمية ، والجمهورية العراقية .

* قامت بعثة من معهد المخطوطات العربية بالسفر الى المملكة المغربية فى شهر مايو 1972 لفهرسة وتصوير المخطوطات بها ، كما قام المعهد بطبع العدد الأول من المجلد الثامن عشر من المجلة التي يصدرها .

التاريخ يمنية :

ورد فى كتاب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ان كلمة التاريخ يمنية عربية والكتاب لشمس الدين السنحاوي المتوفى عام 902 هـ وقد سبقه اليه المؤرخ الدمشقي ابن عساكر صاحب تاريخ الشام ووجد أحمد كمال المصاري تاريك المصرية يمنية الاصل .

— التاريخ بالليالي : الكتب عن السلطان تؤرخ بالليالي والتي من الادنى للاعلى تؤرخ بالايام (معالم الكتابة ص 51)

المكتب الدائم لتنسيق التعريب

رحلة وفد المكتب الدائم في البلاد العربية

بعد ما أتم المكتب الدائم سنته العاشرة، وانجز اعمالا وفيرة : من معاجم فنية وتقنية ، ومعجمات معان ، ونشر مجلته « اللسان العربي » ، يحررها كبار رجال الفكر واللغة في داخل العالم العربي وخارجه ، والحق بأمانة الجامعة العربية ، ثم بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المتفرعة عن الجامعة ، قام وفده برحلة في البلاد العربية لعرض نتائج أعماله ، والاتفاق مع المسؤولين الثقافيين فيها على تنظيم مؤتمر التعريب . ومثل المكتب مديره العام السيد عبد العزيز بنعبد الله ، وكبير خبرائه الدكتور ممدوح حقي ، في رحلة استمرت قرابة أربعين يوما ، جالا خلالها في تونس ، ومصر ، والسودان ، والسعودية ، والكويت ، والعراق ، وسوريا ، ولبنان ، والأردن ، والجزائر ، وعرج في طريق العودة على باريس للاتصال باليونسكو ، والاتفاق على تنسيق العمل بين المكتب وبين هذه المؤسسة الدولية . ولم يكن لديه من الوقت ما يكفي لزيارة البلاد العربية الاخرى ، فأرجأها الى حين آخر.

وكان هدف الوفد الاتصال بوزراء التعليم العالي والتربية والثقافة ، والمجامع العلمية ، والجامعات ، والاساتذة المختصين بالعلوم للاتفاق معهم على ما يلي :

ا ــ تنسيق الجهود الرامية الى انجاح مؤتمر التعريب الذي سيعقد في الجزائر اواخر عام 1973 .

ب ــ انتداب أعضاء علميين للمؤتمر ممن مارسوا تدريس العلوم في الجامعة لخبرتهم بالمصطلحات ودقتها .

ج ــ تاسيس شعب وطنية للتعريب تهتم بجمع حصيلة ما يعرب وارساله الى المكتب الدائم لتنسيقه .

د ــ تعيين مراسلين علميين يكونون حلقة اتصال بين الشعب الوطنية للتعريب والمكتب الدائم .

هـ ــ وضع قوائم بأسماء الهيئات العلمية والأفراد العلميين ليرسل المكتب اليهم مطبوعاته ومعاجمه

و ــ انتداب خبير لمدة بضعة شهور يطلع فيها على اعمال المكتب وطريقته في التنسيق ، ليعمل بها في شعبته الوطنية .

ز ــ تبادل المطبوعات فيما بين المكتب الدائم والمكتبات التابعة للوزارات والجامعات في كل موطن .

وقد استقبل الوفد استقبالا حسنا جدا في جميع البلاد التي زارها ، وقوبل بالترحاب في الاوساط العلمية والصحفية والاذاعة والتلفاز ، واقيمت له حفلات التكريم ، والمحاضرات ، والجلسات العلمية ، بحيث يمكن القول انه كان ناجحا في مهمته أتم نجاح .

ولما كان بين هذه الجولة ومؤتمر التعريب اكثر من عام ، فقد اتفق المكتب الدائم مع المعنيين بالأمر على ما يلي :

أ — ان تدور ابحاث المؤتمر حول ستة معاجم أعدها المكتب مطبوعة طباعة نقية قبل قيامه بالرحلة، وهي :

(الكيمياء — الفيزياء — الحيوان — النبات — الرياضيات — الجيولوجيا)

ب — يرسل المكتب المعاجم للمختصين فور حصوله على القوائم التي تعدها الوزارات المعنية والجامعات في الوطن العربي من نسختين : احداهما على هيئة كتاب ، والثانية على هيئة أوراق يترك فيها الفراغ الكافي لملاحظاتهم .

ج — تبقى المعاجم لدى المختصين ستة اشهر على الاكثر يصلحون ما فيها من خطأ ، ويضيفون اليها ما نقص ، ويقترحون ما يشاؤون لتعديلها أو تقويمها .

د — ترجع الأوراق المعجمية بالملاحظات الى المكتب ليعود فينسقها تنسيقا جديدا يسهل به على أعضاء المؤتمر دراستها ومناقشتها في وقت قصير .

ج — تركيز المناقشات أيام المؤتمر في موضوع المصطلحات غير المتفق عليها ، مع العمل على تحقيق الاتفاق حول المصطلح المشهور او المرجع درءا لاستمرار الخلاف .

ز — تفريغ أعضاء المؤتمر الى لجان تختص كل واحدة منها ببحث مشروع معجم معين حسب الاختصاص .

و — ترك تنظيم أعمال المؤتمر الداخلية الى الدولة المضيفة (الجزائر) على أن يكون المقرر العام للمؤتمر كبير خبراء المكتب الدائم ، ليستطيع الاشراف على التنسيق بمعونة خبرائه بعد المؤتمر .

واتصل الوفد بالمسؤولين في الجزائر ، فرأى منهم كل الترحيب والجدية التامة ، وعقد جلستي عمل في وزارة التربية حضرها مندوبون رسميون عن كل الوزارات المعنية . وانتهى النقاش والعرض الى الاتفاق على ما يلي :

أ — ان يؤجل عقد المؤتمر الى أواخر عام 1973 ليستطاع اعداده اعدادا لائقا ولضمان نجاحه .

ب — تتكفل كل دولة بمصاريف انتقال مندوبها ذهابا وايابا ، وتعرض الدولة المضيفة ضيافتها خلال أيام المؤتمر .

ج — تشكيل لجنة لتحضير المؤتمر في الجزائر ، وتشترك مع المكتب في اقتراح ما ينبغي لتسيير امور المؤتمر بنجاح ، ثم تقديم تقرير في الموضوع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

د — امكان دعوة خبراء للمؤتمر : من مستشرقين ومعجميين عرب وغير عرب .

هـ — وتدرس في المؤتمر خاصة مشاريع المعاجم الستة المعروضة من قبل المكتب . وستعد اللجنة التحضيرية بالجزائر دراسة حول امكان تخصيص لجنة لتقييم أعمال مؤتمر التعريب السابقة ونقدها .

و — وضع خطة عمل معجمية للمستقبل منسقة بين جميع الدول العربية على ضوء تقرير يقدمه المكتب الدائم بناء على تجربته في الموضوع .

ز — العمل بكل الطرق والأساليب الممكنة لنشر المصطلحات بعد توحيدها في جميع البلاد العربية ، وممارسة استعمالها .

ح — عرض بعض المشاكل التي يعانيها المختصون بتدريس اللغة العربية ، للاستنارة بآراء الخبراء والمختصين ، كالطباعة ، والحرف ، والخط ، وتسهيل الكتابة ، وتسهيل اللغة ، والتعليم بالعربية في جميع المراحل .

وعاد الوفد ليباشر تنظيمه الجديد على ضوء ما افاده في رحلته الطويلة لخدمة اللغة ، وليضاعف نشاطه وهمته لرفعها الى المستوى الحضاري المرموق ، وتأييد الكسب السياسي الذي حصلت عليه بمسعى الجامعة العربية في الأوساط الدولية بكسب علمي يجعلها اداة طيعة في التعبير بدقة ووضوح في مختلف مجالات العمل الدولية .

اللغة العربية في المؤتمر الإفريقي التاسع

وجه المكتب الدائم بمناسبة انعقاد الدورة التاسعة للمنظمة الافريقية خطابا الى رئيس المؤتمر واعضائه ملوك ورؤساء الدول الافريقية بثلاث لغات هذا فحواه :

اصحاب الجلالة والفخامة والمعالي رؤساء الوفود الافريقية المشاركة

انه لمن دواعي السرور ويمن الطالع أن ينعقد جمعكم السعيد على أرض المملكة المغربية باب افريقيا على دنيا العلم وعالم المدنية وان يلتئم شملكم العظيم في احضان اخوة لكم يستشعرون المسؤوليات الجسام الملقاة على حشدكم الميمون في سبيل غد لقارتنا الأم صبوح وعزة لانسانها الافريقي الطموح .

فاهلا بكم في هذا الجزء من وطنكم الكبير ومقاما طيبا سعيدا بين ظهرانينا وشكرا لكم وتقديرا لكل مراميكم التي تستهدفون ودعاء الى الله أن يعين على تحقيق الآمال التي تبتغون

يتشرف المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي — بالرباط احد اجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المنبثقة عن جامعة الدول العربية أن يقدم اطيب تحياته وازكى متمنياته بالسداد والتوفيق في خدمة قارتنا الفتية كما يشرفه بان يبعث بعميق شكره وامتنانه ان قررتم اختيار اللغة العربية واحدة من اللغات الرسمية التي تسير بها اعمال مؤتمركم الموفق وتصدر بها مقرراتكم السديدة .

واذا كانت اللغة هي مفتاح العلوم واداتها الطيعة ، وكانت افريقيا الفتية التي نهضت لتواكب ركب العلم حتى تلحق بمقدمته وجهدت لتزيح ذلك الكابوس الرهيب الذي ران على صدرها ردحا طويلا من الدهر حتى كاد يستنزف خيراتها ويمتص رحيقها ، واذا كانت اللغة العربية هي لغة ما يقرب من نصف تعداد سكان افريقيا وانها اصبحت في اغلب المحافل والهيئات الدولية اللغة الرسمية الخامسة وان لدراستها نصيبها في كثير من جامعات العالم فضلا عن الجامعات الافريقية حتى اضحى لها قسمها الخاص وكرسيها المحدد بين قريناتها من لغات العالم الحية — فانه لحري بنا نحن ابناء القارة الفتية ان نقتحم ميدان العلم من اوسع ابوابه تصحبنا اللغة

الطبيعة الحية التي تتسع لتستوعب كل ما يتطلبه التقدم العلمي من مصطلحات ومسميات ومدلولات ، ولا تقصر فينحسر مدها عن احتواء كل ذلك لتكون لنا خير مطية نزاحم بها من يسيرون في موكب العلم وننافس من يشايعون ركب التكنولوجيا الحديثة نجتاز الحواجز ونطوي مسافات الزمن ونستعيض عما فاتنا — بالرغم منا — فلا تفصلنا عن أولئك الذين ركبوا اجواز الفضاء ومشوا على سطح القمر وغزوا الكواكب وعوالم السماء — مسافة فلكية — أو حتى لا نكون وقد تشبثنا باهداب العلم ومشينا في موكبه في مكان الذيل من الجسد ، وحتى تعود للقارة السمراء وليست المظلمة — كما يحلو لمن نهبوها ويعن لمن سلبوها أن يسموها — عزها ومجدها وتصبح وهي مجد الأحفاد ، كما كانت مهد عظمة الأسلاف والاجداد الذين بنوا المعجزات واقاموا من عجائب الدنيا ما عجز عنه علم اليوم وما يفخرون به أن يدنوا منه أو يستكشفوا سره ويزيحوا الستر عن كنهه وطبيعته .

ان المكتب الدائم المنوط به تنسيق التعريب بين الدول العربية والوقوف على آخر المصطلحات العلمية والتعبيرات الفنية لتوحيدها والعمل على اذاعتها وشيوعها واقرارها وتدريسها ليشرفه ايما تشريف ويسره السرور كله ان يضع بين ايديكم الكريمة بعضا من نتاجه المتواضع يتشكل من مجلته الدورية التي تصدر باسم « اللسان العربي » وهي تتضمن أبحاثا في اللغة لكبار كتاب العربية من ابنائها أو ممن عكفوا على دراستها من المستشرقين من قدامى الاساتذة في مختلف جامعات العالم الكبرى ، وايضا من مجموعة من المعاجم باللغات الثلاث الانجليزية والفرنسية والعربية لبعض من العلوم الحديثة ، وكذا نبذة موجزة للتعريف بالمكتب واهدافه وتاريخه ومنجزاته ، ومشاريعه ، آملا ان يكون قد استطاع القيام ببعض مما انيط به ليسهم ولو بلبنة صغيرة تدعمها جهودكم الموفقة ودفعاتكم الحميدة ونشاطكم الدؤوب في سبيل خير افريقيا والافريقيين .

وفقكم الله وسدد خطاكم واعلا شأو قارتنا بفضلكم وهداكم ...

اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر في نشاطها الغامر

منذ انعقد مؤتمر التعريب الاول فى 21 ابريل بالرباط بدعوة من المغفور له جلالة ــ محمد الخامس ــ رحمه الله ومنذ انبثاق المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي عن هذا المؤتمر ، واللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر تعمل جاهدة فى نطاق اختصاصاتها على توسيع رقعة نشاطاتها من لجنة تعنى بشؤون التعريب الى لجنة نشيطة لم ينحصر عملها فى التعريب فحسب بل تعداه الى الترجمة والنشر كذلك ، فالمتتبع لخطوات هذه اللجنة يتبين بوضوح مقدار الجهد الذى تبذله فى مجالات التعريب والترجمة والنشر جميعا ، وذلك بما انتجته من كتب قيمة ، واخرجته من مؤلفات جليلة ، وترجمته من اعمال فى مختلف العلوم والفنون .

ولقد ظلت علاقة اللجنة بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الرباط علاقة عمل مشترك وتعاون متين فى مختلف فروع المعرفة والعلم ، وفى الملخص الذى سنورده للكتاب القيم الذى اصدرته هذه اللجنة يجد القاريء الكريم كثيرا من هذه الحقائق ، كما يلمس مقدار التعاون الوطيد الذى ــ كان وما زال ــ قائما بينها وبين مكتب التعريب فى الرباط ، والادارة الثقافية لجامعة الدول العربية وغيرهما من الهيئات العلمية الاخرى . وهذا يدل على الرغبة الاكيدة فى العمل ، تلك الرغبة التي تمتلىء بها نفوس اخواننا فى هذه اللجنة ، الساهرين على منجزاتها ، والتى ترجم ــ فى جلاء ــ الآمال البعيدة التى تراود انفسنا جميعا من اجل تأدية الدور الكبير المنوط بنا، والنهوض بالعربية والسير بها قدما نحو مدارج التقدم والرقي ، واحلالها محل زميلاتها من اللغات الحية المعاصرة ، كما هي رغبة تنم عن مدى التقارب القوي الموجود بين اللجنة وبين مختلف الهيئات والمؤسسات فى الاقطار العربية الشقيقة ، فهي لا تألو جهدا فى هذا الصدد ، ولا تدخر وسعا فى تحقيقه ، وقد استجاب رئيسها المفضال وزير التربية لرغبة المكتب الدائم فى الحصول على خبير للرياضيات وانتدبت احد اعضائها البارزين وهو الاستاذ الدكتور احمد سليم سعيدان .

واذا كان لا بد لنا من كلمة قبل تقديم هذا التلخيص للكتاب المذكور ، لا يسعنا الا أن نحيي فى هذه اللجنة روحها الوثابة وايمانها الخالص ، ورغبتها الصادقة فى مواصلة العمل البناء لدعم حركة التقدم والازدهار فى الوطن العربي .

وقد اصدرت هذه اللجنة بمناسبة مرور احدى عشرة سنة على تأسيسها كتيبا قيما تناولت فيه تاريخها ومختلف نشاطاتها فى مجالات الترجمة والتعريب والنشر منذ تأسيسها سنة 1961 الى اليوم .

يقع الكتاب فى 79 صفحة من الحجم المتوسط، اشرف على اعداده استاذ عيسى الناعوري سكرتير

اللجنة ، ولقد قدم له معالي الاستاذ الدكتور اسحق الفرحان رئيس اللجنة ، ووزير التربية والتعليم ، بكلمة قيمة نوه فيها « بالجهود المتواصلة التى قامت بها اللجنة الاردنية للتعريب عن طريق المساهمة فى التعريب ، وفى الترجمة والنشر » ، كما اشار معاليه الى صلة اللجنة الوثيقة بالادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية والمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الرباط ،. الذى قال عنه سيادته : « .. يقوم هذا المكتب باعمال كبيرة مشكورة فى حركة التعريب ذات الارتباط الوثيق بتراث الامة العربية وحضارتها الماجدة » كما انه تمنى ان تكون المرحلة القادمة لتطور هذه اللجنة هي « تحويلها الى مجمع علمي لغوي اردني يعمل الى جانب المجامع الاخرى القائمة فى اقطار العربية الشقيقة » وبناء على توصيات مؤتمر التعريب الاول الذى عقد فى الرباط من 3 الى 7 ابريل 1961 والذى جاء من بين توصياته انشاء (شعبة وطنية للتعريب) فى كل بلد عربي مهمتها تتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب فى بلدها وتكون صلة بينها وبين المكتب الدائم وتقدم اليه الحصيلة العلمية التى تنتهي اليها الجهود فى ذلك البلد » .

وبناء على القرار المقدم من طرف المرحوم قدرى طوقان (ممثل الاردن فى المؤتمر) الى وزير التربية والتعليم آنذاك انشئت هذه اللجنة باسم « اللجنة الاردنية للتعريب » غايتها « تتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب ، وتكون حلقة اتصال بينها وبين المكتب الدائم فى الرباط فتسجل كل ما يترجم فى الاردن من الكتب وتوافي المكتب الدائم بذلك وتقوم بتنفيذ ما يمكن تنفيذه من مقررات مؤتمر التعريب ».

ولما تم تعيين الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله (رئيسا) للمكتب الدائم قامت الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية بابلاغ اللجنة وجميع الدول العربية الاعضاء فى الجامعة كما قام الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله نفسه بابلاغ اللجنة كذلك .

ومنذ اجتماع اللجنة الاولى فى صباح يوم السبت 3 / 6 / 61 وهي تواصل مجهوداتها فى شتى المجالات العلمية والتعريب. ووفقا لهذا الاجتماع قامت اللجنة بتزويد المكتب الدائم ، والادارة الثقافية بقائمة من الكتب المترجمة فى ضفتي الاردن حتى ذلك العام .

وفى سنة 1964 اتسعت رقعة عمل اللجنة الاردنية للتعريب الى ميداني الترجمة والنشر ، حيث نشرت وترجمت عديدا من الكتب التى ارسلت منها نسخا كثيرة الى المكتب الدائم للتعريب بالرباط ، والادارة الثقافية والى مختلف الهيئات والمؤسسات العلمية الاخرى .

ولما اجتمع اسبوع التعريب فى الرباط من 3 الى 9 يناير عام 1963 قررت اللجنة ايفاد احد اعضائها وهو الدكتور عبد الكريم خليفة ليمثلها فى هذا الاجتماع،ولقد اشار الدكتور عبد الكريم خليفة فى تقريره المقدم الى اللجنة « ان الاردن هو القطر العربي الوحيد الذى بعث بمندوب خاص الى هذا المهرجان فى حين اكتفت البلدان العربية بتفويض سفرائها او ملحقيها الثقافيين فى الشمال الافريقي لتمثيلها ».

وهكذا يسترسل الكتاب فى تسجيل تاريخ هذه اللجنة ويرصد ما قامت به من نشاطات شتى فى مختلف المجالات . مع ذكر علاقاتها بسائر الهيئات العربية وعلى راسها الادارة الثقافية والمجامع العربية والمكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط .

وفى سنة 1963 كلفت لجنة خماسية من اعضاء اللجنة نفسها بوضع مشروع نظام شامل دعته (مشروع نظام اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر) ويشتمل هذا المشروع على اربعة وعشرين مادة موزعة على سبعة فصول ، هي :

1 — تعريفات عامة .

2 — تأليف اللجنة وشروط العضوية .

3 — أعمال اللجنة واهدافها .

4 — خطة العمل .

5 — شروط العمل

6 — الشؤون المالية .

7 — احكام عامة .

ثم أعيد النظر فى هذا المشروع ، ووضع مشروع نظام جديد حيث رفع الى رئاسة الوزراء بتاريخ 7 — 1 — 1967 ، فووفق عليه ونشر فى الجريدة الرسمية الاردنية بتاريخ 1 — 3 — 1967 ، ثم صدر فيما بعد تعديل برقم (35) لسنة 1968 .
العدد رقم 1988 ، ثم صدر فيما بعد تعديل برقم (35) لسنة 1968 .

وبعد هذه اللمحة التاريخية عن هذه اللجنة النشيطة يعدد الكتاب « خلاصة اعمال اللجنة منذ تأسيسها التى كانت أهدافها الرئيسية التى قامت من اجلها تتلخص فيما يلي :

1) مساعدة أقطار الشمال الافريقي العربية على تعريب اللغة لتفي بجميع الاغراض التى تستخدم فى مختلف مرافق الحياة .

2) العمل على ترجمة عدد من روائع الآثار الفكرية الحية .

3) التعاون مع الدول العربية على وضع الفاظ عربية للمصطلحات الاجنبية .

وفى حقل الترجمة والنشر اصدرت اللجنة العديد من الكتب العالمية والعربية قام بترجمتها ونشرها اساتذة اعضاء فى اللجنة ، اما فى ميدان التعريب فقد ساهمت مساهمة كبيرة فى دراسة كثير من المعاجم التى وصلت اليها من المكتب الدائم فى الرباط ومن لجنة التنسيق بين اللجان الوطنية لليونسكو ، والادارة الثقافية لجامعة الدول العربية وغيرها .

ويشير الكتاب الى ان اللجنة ما زالت سائرة بعون الله الى الامام ، وتطويرا لدائرة عملها وتوسيعا لرقعة نشاطاتها ارتأت تقسيم لجنة التعريب الى اللجان الفرعية التالية :

1 ــ لجنة احياء التراث العربي الاسلامي (يعنى بتحقيق المخطوطات القديمة ونشرها) .

2 ــ لجنة الفكر العربي (هدفها ترجمة الفكر العربي والتعريف به فى اللغات الغربية)

3 ــ لجنة الكتب العلمية ، (هدفها ترجمة الكتب العلمية والتقنية)

4 ــ لجنة الفكر العالمي (هدفها ترجمة روائع الفكر العالمي الى العربية) .

وختم الكتاب برسالة بعث بها معالي وزير التربية والتعليم ورئيس اللجنة الاستاذ اسحق الفرحان الى دولة رئيس الوزراء حول انشاء مجمع علمي لغوي أردني ، ونقتطف من هذه الرسالة الكريمة الفقرة التالية : « ولعل من المناسب ان اذكر لدولتكم ان الاردن كان اول بلد استجاب لتوصيات المؤتمر المذكور ، واسس شعبة وطنية ، هي « اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر » ولقد عقدت اللجنة خلال الاعوام الاحد عشر التى مرت منذ تأسيسها حتى الآن خمسة وخمسين اجتماعا ، ونشرت عددا من الكتب المترجمة والموضوعة ، وشاركت فى دراسة مشاريع المعاجم التي وصلت اليها من المكتب الدائم للتعريب ، وظلت على اتصال مستمر بالادارة الثقافية لجامعة الدول العربية والمكتب الدائم للتعريب ، بحيث اصبحت لدى هاتين الجهتين هي المثال والقدوة فى نشاطها وجهودها الكبيرة فى حقل التعريب والترجمة ، ونالت الثناء الواسع منهما فى مراسلات عديدة وكذلك فى مجلة «اللسان العربي» التى يصدرها المكتب الدائم للتعريب فى الرباط » .

وهكذا يتجلى لنا من خلال هذه العجالة مدى الجهد الكبير الذى تبذله هذه اللجنة التى نتمنى لها مزيدا من التقدم والنجاح فى مراحلها القادمة وهي تتحول من صورتها الحالية الى نواة لمجمع علمي لغوي يساهم فى خدمة اللغة العربية وتراثها الخالد بجانب مجامعنا اللغوية الاخرى فى الدول العربية الشقيقة.

نحو استراتيجية

جديدة للتربية في البلاد العربية

انعقد بصنعاء (اليمن) المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب من 23 ـ 30 ديسمبر سنة 1972 . وبهذه المناسبة أصدرت الامانة العامة لجامعة الدول العربية وثيقة هامة اعدها كل من الدكتور يوسف صلاح الدين قطب ، والدكتور محمد الهادي عفيفي ، والدكتور محمد سيف الدين فهمي ، والدكتور محمد احمد الغنام .

وقد رسم معدو الوثيقة في دراساتهم المختلفة « استراتيجية جديدة للتربية والتعليم في البلاد العربية » على ضوء التحديات والصراعات التي يواجهها المجتمع العربي المعاصر حتى يتمكن من العبور بقوة وسرعة الى التقدم المنشود والى أوضاع تعليمية بناءة تسعى الى تنمية الثروة البشرية كلها . وليس الى فئة محدودة منها بحيث تصبح قادة على مواجهة هذه التحديات التي تقف في سبيل تقدم الامة العربية » .

ومن التحديات التي سجلتها الوثيقة والتي تواجه امتنا العربية ، تحدي النمو السكاني بما يصحبه من خلل ديمغرافي مع عدم توازن في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في معظم الاحوال ، وهناك الصراع ضد التخلف طلبا لحياة عصرية متقدمة ، والصراع ضد التجزئة طلبا للوحدة ، والصراع ضد التناقض الثقافي والاجتماعي طلبا للوحدة الثقافية وتجددها ، ولتكامل المجتمع وانسجامه ، والصراع ضد الصهيونية والاستعمار تحريرا للوطن وتمكينا للانسان العربي من الانطلاق بنفسه وبمجتمعه على طريق التقدم » .

ويمكن عرض الوثيقة في النقط التالية :

1 ـ بدات الوثيقة في تحليل ضاف للصراعات والتحديات التي تعيشها الامة العربية ، واولى ملامح هذه التحديات : **النمو السكاني** ، حيث بلغ المعدل المرتفع منه في الستينات من هذا القرن الى 3 ٪ سنويا ، وينتظر ان يتجاوز في السبعينات هذه النسبة ويقفز مجموع سكان البلاد العربية من 124 مليون نسمة سنة 1970 الى 172 مليون نسمة سنة 1980 . وهذا النمو يؤثر سلبا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ويزيد من حدة مشكلاتها ، وغالبا ما ياتي على الجهود التربوية وياكل جزءا كبيرا من عائدها » .

وعلى هذا الاساس تنوه الوثيقة بضرورة الاخذ في الاعتبار بهذا الامر ، عند رسم سياسات التعليم واستراتيجيته وبنيته ومحتواه والتخطيط له .

وثاني هذه الملامح : **ظاهرة الهجرة من القرية الى المدينة** ، التي تنتج عنها مشكلات اجتماعية خطيرة .

ثالث هذه الملامح : **عدم اتزان توزيع السكان الجغرافي** ، بحيث يتكتلون في مساحات دون اخرى .

والملمح الرابع : **تركيبهم العمري الذي ينحـــاز نحـــو الاطفـــال .**

ولهذه النسبة المرتفعة من الاطفال داخل سكان البلاد العربية تاثيرات مهمة فى العرض والطلـــب على التعليم ، مما يجعل العبء اثقل على التعليـــم وقـــد نوهت الى هذه الظاهرة الخطيرة الامم المتحدة غيـــر مـــا مـــرة .

ـــ الصراع ضد التخلف :

بينما يضاعف العالم المتقدم خطاه على الطريق نحو الامام ما زالت الامة العربية تخوض معركتها ضد التخلف بجميع اشكاله ، مما يجعل الهوة تتسع بيـــن هذه البلاد وبينها من البلاد النامية .

وتشير الوثيقة الى : « انه فى الوقت الذي تملك فيه البلاد العربية موارد اقتصادية وامكانات ماديـــة مؤهلة وتراثا حضاريا عريضا ، فضـــلا عما يتوافـــر حولها من اسباب المدنية الحديثة ، فان جمهرة ابنائها لا يقومون بمستوياتهم الثقافية المنخفضة على استثمار هذه الموارد والامكانات والتراث بما يدفعهم الى طريق التقدم بالسرعة المرجوة » .

كما اشارت الوثيقة الى الوان اخرى من الصراعات كالمتناقضات الثقافية والاجتماعية ، فعلى الرغم من مظاهر الوحدة وتوافر عناصر التجانـــس الثقافـــي المتماسك الاجتماعي ــ على الرغم من ذلـــك ــ فان الظروف التاريخية والجغرافية والاجتماعية قد خلقت منها تفاوتات وتباينات ارتفع بعضها الى حد التناقض والصراع بالاضافة الى عوامل اخرى كالصـــراع بين القديم والجديد ، والتناقض القائم بين ثقافة الريـــف والحضر ، ومسالة توزيع الثروة الخ .

ومما يزيد من هذه الصراعات جميعا الهزيمـــة المريرة التي يعيشها العرب فى الوقت الذي يتوفـــر لديهم كافة الامكانيات لمحوها وتخطيها .

وتلخص الوثيقة الى القول الى ان هذه التناقضات برمتها تفرض نفسها على التعليم بحكم كونه من صنع المجتمع وجزءا من ثقافته ، مؤكدة ضرورة حسم كل الخلافات ومواجهته كل الصعاب حتى تتحول كل تلك الملاحم الى مجالات للتفاعل الصحـــي بين الافـــراد وعاملا من عوامل التماسك الاجتماعـــي والتكامـــل الثقـــافـــي .

ـــ الصـــراع ضد التجزئـــة :

توضح الوثيقة كيف ان الاستعمار سعى دائما الى تشتيت شمل الوحدة العربية واثارة النعـــرات على اختلافها ، فيما بينها ، واستغل الاستعمار هذا الانقسام والتفكك ليجعل فلسطين ارضا تقوم عليهـــا دولـــة اسرائيل المغتصبة .

كما اشارت الوثيقة الى ان «العقود الثلاثة الاخيرة **قد اكدت ان الوحدة ينبغي لها بجانب سعيها الى اتقان لغتها والاعتزاز بتاريخها والاحتفاظ بتراثها والتمسك بقيمها الاصلية ، ان تاخـــذ بالعلم والتكنولوجيـــا فى صورهما التقدمية على اوسع نطاق** ، كما اكـــدت ان الصراع القائم حاليا بين الامة العربية والصهيونيـــة والاستعمار ليس مجرد صراع عسكري او سياســـي فحسب . وانما هو فى الحقيقـــة صراع حضـــاري شامل ينبغي ان يلعب فيه التعليم دورا مركزيا .

وبعد دراسات وافية لواقع التعليم فى البـــلاد العربية والاستراتيجيات الموجهة له ، انتقلت الوثيقة الى رسم استراتيجية جديدة للتربية فى البلاد العربية»

ويمكن تلخيص هذه الاستراتيجيـــة فى اربعـــة عناصر متكاملة ــ حسبما جاء فى مقدمـــة الوثيقـــة نفسهـــا ــ وهـــي :

ا ــ التغيير التقدمي الشامل فى التربية الذي يقوم على تصحيح رؤية جديدة للتعليم كل التعليـــم ، تلتقي الجهود التربوية على تحقيقها من اكثر من موقع فى النظام التربوي ، وذلك كبديـــل لاستراتيجيـــة الاصلاح الجزئي الذي يبقي التقديم مع بعض التعديلات او الاضافات فى جانب من جوانب التعليم او مستوى من مستوياتـــه .

ب ــ تعليم المجتمع كل المجتمـــع ، كباره مثـــل صغاره ، بمؤسساته المدرسية وغير المدرسيـــة ، وذلك كبديل لاستراتيجية تعليم الصغار قبل الكبـــار بل على حساب الاخيرين فى المدارس .

جـ ــ الاهتمام بجودة التعليم اسوة بكمـــة ، او دون فصل بين الكم والكيف ، وذلك كبديل لاستراتيجية الكم مع اهمال الكيف على حسابه .

د ــ الاتجاه التربوي العربي الواحد الذي يبـــدأ بالالتقاء على ملامح رؤية تعليمية جديدة على المستوى القومي تتحول بها نظم التعليم فى البلاد العربية قولا وفعلا ، الى نظم تربوية عربية حقيقيـــة ، ويتحقـــق بتجسيدها فى الواقع تعبئة التعليم فى كل موقع عربي لتجديد الثقافة العربية وتحويل المجتمع العربـــي الى مجتمـــع عصـــري .

كما انه بفضل هذا الاتجاه تجتمع للبلاد العربيـــة على اعمال مشروعات تربوية مشتركة وتنسيق خططها التعليمية وجهودها العلمية ، واولا واخيرا تبذل جهود مشتركة لتمكين الفلسطينيين العرب من ان يكون لهم تعليمهم الذي يمكنهم من مواصلة النضال واسترداد حقوقهم وبناء فلسطين الجديدة .

وتصر الوثيقة على انها ليست فى الواقع سوى مجرد فتح باب حوار طويل وعميق امام السادة وزراء التربية والتعليم العرب ، ومن ورائهم من مختصيـــن وفنيين وخبراء ومعلمين .

وتشير فى الاخير الى انه لا بد بعد الحـــوار ، والالتقاء على العناصر الاساسية للاستراتيجية الجديدة ــ بعد تنقيحها وربما تعديلها ــ لا بد لها من ضمانـــات لوضعها مو ضع التنفيذ وهذه هي الضمانـــات التـــي ساقتها الوثيقة تحقيقا لذلك :

— تبني القيادات السياسية للاستراتيجية وتعبئتها الجهـــود لتنفيذهـــا .

— البحث العلمي فى عناصر الاستراتيجية المقترحة والقيام بتجارب طليعية قبل التوسع) تنفيذها .

— التخطيط الكفء لتنفيذ الاستراتيجية الجديدة مع مواصلة البحث والمراجعة فى مشكـــلات التنفيذ والتطـــور .

— تطوير الادارة التربوية وتكثيفها وتعبئتها بمـــا يتلاءم مع طبيعة الاستراتيجية الجديدة ويوفـــر لها الكفاءات القيادية فى التوجيه والتنفيذ .

— اعادة النظر فى برامج اعداد المعلمين وتدريبهم فى ضوء مفاهيم الاستراتيجية الجديدة ومطالبها ليكونوا اداة فعالة فى تنفيذها .

— توعية المجاهير بالاستراتيجية الجديدة وفتـــح باب الحوار فى عناصرها وخصائصها واهدافها ووسائل تنفيذها .

— اعادة النظر فى توزيع المواد المالية المخصصة للتعليم فى ضوء مطالب الاستراتيجية الجديدة والاستخدام الامثل لهذه المـــوارد ، مع فتـــح المجال للمبادرات الشعبية والدعم المادي مـــن جانب الافراد والجماهير .

— الاستعانة بالخبرة العالمية والمساعدات الدولية وبخاصة من جانب منظمـــة اليونسكـــو ، فى التحرك على الطريقة الجديدة بنجاح وكفاية .

بين المجلّة وقرّائها

ما زلت ايها القارئ العزيز — فى مطلع كل عدد جديد — تتاكد من الحقيقة التي امنت بها منذ صدور أول عدد من مجلتك «اللسان العربي» فقد اتخذت من هذا اللسان أداة للتخاطب والتفاهم والتعلم الأولى التي لا ترضى بها بديلا باي لسان اعجمي آخر ، بل اننا نلمس بوضوح ان ايمانك بحقيقتك هذه يزداد يوما بعد يوم حيث جعلت من هذا «اللسان» المنبر الحر الذي تعرض فيه كل ما يعن لك فى امور اللغة من قضايا ومشكلات ، وفى الوقت ذاته تبرز القدرة الهائلة التي تنطوي عليها لغتك الخالدة ، وتسخرها فى خدمة «العلم» بمختلف فروعه وانواعه ، حتى تساير ركب التطور المعاصر الذي ما عرف التاريخ يوما تقدما يضاهيه ، وانت بذلك انما تبدد أوهام المغرضين المقللين من شان هذه اللغة الجاهلين لها ، وتسهم فى بناء صرحها التالد الذي يزداد بك وبايمانك متانة وصلابة وقوة . «واللسان» هي بدورها كانت حريصة كل الحرص على ان تعمل دائما على مضاعفة ايمانك بهذه الحقيقة وما زالت تبذل قصارى جهودها فى تاكيد هذا الايمان وترسيخه فى النفوس بابراز جلال العربية وعظمتها والسير بها قدما نحو لغة حية معاصرة قادرة على احتواء كل جديد حديث فى كل علم وفن .

وما زالت الصلة الوثقى التي بين المجلة وقرائها الاعزاء تزداد تقاربا ومتانة يدعمها السيل العارم من رسائلهم المختلفة الحافلة باجمل العواطف واصدقها .

ونحن اذ نشكر للقراء نبل مشاعرهم ونؤكد للجميع هذه الرغبة فينا ، نشد على ايديهم بحرارة ونعدهم على ان نعمل دون هوادة او توآن لبلوغ الغاية التي ننشدها جميعا بحول الله .

ولا ننسى أن نذكر مرة اخرى ان هذا الباب من القراء واليهم وهو ملتقى افكارهم ومنتدى آرائهم وهو ينتظر منهم دائما كل توجيه او نقد أو تعليق أو اية وجهة نظر اخرى فى كل ما يتعلق بنشاط المكتب عامة والمجلة خاصة .

من المملكة المغربية :

* من مدينة طنجة بعث الينا الاستاذ عبد السلام العوام بادسي برسالة رقيقة نقتطف منها هذه السطور:

« اهنئكم على المجهودات الجبارة التي تبذلونها من اجل احياء لغة الضاد ، واحلالها مكانتها الرفيعة التي كانت تتبوأها فى عصورها الذهبية السالفة » .

* من مدينة وزان كتب الينا القارىء الكريم السيد المكي الريسوني الكلمة التالية : يشرفني أن انوه بالمجهودات القيمة الجبارة المتجلية في انشطتكم المتنوعة واخص منها مجلة « اللسان العربي » التي تشرف مكتبنا الدائم للتعريب وتدفع كل مواطن للاعتزاز به نظرا للخدمات الجليلة التي يعمل المكتب دائبا على تحقيقها لمسايرة ركب التقدم والحضارة »

* من القصر الكبير وجه الينا السيد الطاهري محمد الكلمة التالية : « لقد سعدت بالاطلاع على مجلتكم الهادفة الى تحقيق واعلاء اللغة العربية والخروج بها من مشكلاتها الى طريق التقدم حتى تكون لغة حية قادرة على مجابهة العصر الذي يمطرنا يوميا بكل جديد » .

* ومن مدينة الدار البيضاء كتب الاستاذ عبدالرحمن القباج كلمة رقيقة جاء فيه : « لقد اصبحت « اللسان العربي » بفضل مجهوداتكم ومساهماتكم مجلة واسعة الانتشار جديرة بالافتخار فطوبى لكم وهنيئا » .

* وهذه تحية السيد الحسين بن محمد السملالي من الدار البيضاء كذلك جاء فيها : « لقد كان سروري عظيما بمجلتكم الغراء نظرا للجهود الجبارة والخدمات الجلى التي تبذلونها في اخراج هذه المجلة خدمة للتراث العربي العظيم وللغته » .

* وافانا الاستاذ السفير الدكتور عبد الهادي التازي برسالة جاء فيها : « لقد تلقيت رسالتكم حول اعتزام المكتب التعريف باصدقاء المجلة وكتابها ، وقد كان ذلك تفكيرا سديدا منكم لا يهدف فقط لربط الاواصر بين رجالات الفكر في المشرق والمغرب ، ولكنه كذلك يعرف الجمهور بهؤلاء الجنود المخلصين الذين يقفون وراء هذا العمل الضخم الذي يقوم به المكتب ، **ولا اكتمكم حقيقة لمستها من خلال عملي خارج المغرب سفيرا لبلادي ، كنت كثيرا ما اتلقى مثل هذا السؤال : من هم الذين يعدون « اللسان العربي » في مثل هذا الاخراج ومثل هذه المادة ؟ وكم كنت اقرأ على ملامح الاصدقاء معالم التقدير والاكبار لجهودكم الشريفة ،** تلك التقديرات التي اغتنم هذه الفرصة لانقلها اليكم صادقة مؤملا لكم المزيد من النجاح والمزيد من التوفيق » .

من الجمهورية الجزائرية :

* من الجزائر العاصمة جاءتنا كلمة رقيقة من معالي وزير الاعلام والثقافة الاستاذ أحمد طالب الابراهيمي الى السيد مدير المجلة يقول فيها: «يسرني أن أكتب لكم هذه الرسالة مجددا عهد الاخوة والتعاون بيننا ومثنيا على الجهود المجدية المشكورة التي تقومون بها في مجال التعريب »

* ومن مدينة وهران وصلتنا كلمة رقيقة من رئيس قسم اللغة العربية وآدابها الدكتور عبد الملك مرتاضي جاء فيها : « اننا نبارك اعمالكم وجهودكم المتواصلة المثمرة في مجال التعريب ، واصدار المعاجم الحديثة التي تشمل مختلف مجالات الحياة » .

* ونعود الى مدينة الجزائر لنلتقي مع رسالة اخرى من رئيس ركن التعريب بوزارة الدولة المكلفة بالنقل الاستاذ مصطفى كمال مغربي نقتطف منها ما يلي : « اشكركم الشكر الجزيل عن الجهود الجبارة التي تبذلونها من أجل تنسيق التعريب في الوطن العربي ، واطلب الله ان يمدكم بالنجاح الدائم ويوفقكم في كافة نشاطاتكم » .

* ومن مدينة تلمسان تطالعنا رسالة الاخ عبد الجليل مرتاض قال فيها : « لقد أتيح لي أن أطلع على مجلدين من مجلدات « اللسان العربي » الغراء التي يصدرها مكتبكم الموقر ، واعجبت بما جاء فيها من مقالات ومحاضرات وبحوث قيمة تعد بحق ثمرات جهود مضنية طويلة » .

* ووصلنا من الجزائر خطاب رقيق من السيد ناجي يحيى ، يزجي فيه الشكر للمجلة وهو مغتبط جدا بالنهج الذي تتجه في دراستها اللغوية وتحقيقاتها المختلفة ويقدم لنا بعض الاقتراحات منها :

— يتمنى أن يبادر المكتب بالكتابة الى جميع المؤسسات العربية والهيئات والمجالس والمعاهد والحكومات حتى تفرض رقابة صارمة — وبصفة مستمرة — فيما يخص استعمال مختلف المصطلحات التي ينبغي ان تكون موحدة في جميع اقطار الوطن العربي .

— ان ينشر المصطلح العربي في صور الانتاج بحيث تمنع كتابة تعريفات المنتوجات التي وجد لها اصطلاح ، بأحرف عربية ومعنى اعجمي مثل « كولونيا » للدلالة على العطر أو الطيب ، وكذا « كازينو ، وبسكوت»

ولا يمنع ترجمة اسم المنتوج الى لغة اخرى ، لكن فى هذه الحالة ينبغي كتابة الاسم بكيفية يظل فيها الاسم العربي هو البارز .

※ وهذه تحية من السيد ابن عبد الله الاخضر من وهران بالجزائر الشقيقة كذلك جاء فيها : « اطلعت على المقال الذي نشرته صحيفة « الصباح التونسية » ، والذي نقلته عنها صحيفة « العلم الاسبوعية » ، والذي اثنى فيه صاحبه على الجهود المبذولة لتطوير اللغة وجعلها تساير مسيرة الركب الحضاري ، وذلك بما تبذلونه من مجهودات كبيرة فى هذا المضمار سعيا وراء دحض ادعاءات المغرضين على اللغة فسعدت بذلك كثيرا » .

من الجمهورية الليبية :

※ من ليبيا بعث الينا الاستاذ سامي عطا حسين التحية الرقيقة التالية : « ليتني استطيع تصوير مدى اعجابي وتقديري للابحاث والدراسات الجيدة ، وللجهود العظيمة التي تبذلونها فى سبيل لغة القرآن »

※ ومن طرابلس حمل الينا البريد الكلمة التالية من الدكتور علي عبد المنعم : « ارجو أن اكون على صلة بهذا الجهد العلمي المنظم الدقيق ، والذي يسهم فى التعريب الفكري بين المثقفين العرب ، والذي يعمل على احياء الثقافة والمدنية العربية كحضارة ذات أبعاد متعددة الجوانب ، بعيدة الاعماق تكون اصلا ثابتا للنهضة العربية المعاصرة » .

※ ومن ليبيا ايضا وافانا الاستاذ محمد العيساوي الشتوي بعرض مبسط عن « تهذيب المقدمة اللغوية » للعلائلي .

ولقد اشار الاستاذ الشتوي الى المكانة التي يحتلها الاستاذ العلائلي فى ميدان اللغة والادب ، وعدد كثيرا من كتبه المتنوعة فى شتى المجالات وهي كتب معروفة لدى الباحثين والمتتبعين .

يقول : انقسم الناس امام كتاب العلائلي الى مشفق ومؤيد ومستغرب — على حد تعبير الدكتور اسعد علي — . فالاستاذ اسماعيل مظهر سكرتير المجمع المصري للثقافة العلمية ابدى اشفاقه على نفسه، وعلى الكتاب ، وعلى مؤلفه ، اذ اعتبره الصيحة الاولى لقيام التوسع فى اللغة ، هذا الاشفاق من المسئول الرسمي عن الثقافة العلمية .. اما الذين ايدوا الكتاب، ورحبوا به بدون خوف ولا احتراز فهم الاساتذة : الاب انستاس الكرملي ، ابراهيم مصطفى ، طه حسين ، وعلي الجارم ، وعبد الغني حسني ، وسلامة موسى ، ومارون عبود ، وميخائيل نعيمة ، وقد حفلت مجلات ذلك الوقت بأبحاث مطولة حول الكتاب القيم كالمقتطف ، والثقافة ، والشراع ، والاهرام ، والمصري ، والدستور ، والتربية الحديثة .. »

اما المستغربون لكتاب العلائلي فهم المحافظون من اللغويين الذين لا يرضون بالتغيير والتجديد والاجتهاد فى ميادين اللغة الرحبة » .

وبقي هذا الكتاب على حالته وطبعته سنة 1938م الى ان جاء الدكتور اسعد علي فالف سنة 1968 كتابه حول تهذيب المقدمة اللغوية ، ونشرته « دار النعمان» وجاء كتاب التهذيب هذا فى اربعة أبواب وخاتمة .

الاول — التطور اللغوي ونشوء اللغة العربية .

الثاني — معقول العرب ومستقبل العربية .

الثالث داء العربية ودواؤها .

الرابع — المجمع والمعجم .

وقد نوه الاستاذ الشتوي فى الاخير بالمجهود الكبير الذي بذله الدكتور اسعد علي فى « تهذيبه » لمقدمة الاستاذ العلائلي وتمنى اعادة طبع هذا الأثر القيم، حتى يتسنى لكافة الباحثين الاطلاع عليه والافادة منه .

من جمهورية مصر العربية :

※ نفتتح هذه السلسلة برسالة من الاديب الأستاذ علي الجندي عضو المجمع العلمي بالقاهرة ، جاء فيها: « لقد أتحتم لنا فرصة ذهبية للاستمتاع بهذا الكتاب الجليل والموسوعة الفذة التي تدل على العلم الغزير والفكر الثاقب والتنسيق الدقيق ، والغيرة على لغة الكتاب العزيز ، فبارك الله جهودكم وافاض عليكم القوة والقدرة ووفقكم لخدمة اللسان العربي واثابكم الثواب الوافر »

※ من القاهرة كذلك وصلتنا رسالة رقيقة من الاديب الأستاذ وديع فلسطين يقول فيها : « أدعو لكم بمزيد من التوفيق فى مآتيكم العلمية وميادينكم الفكرية فانتم تنهضون برسالة للضاد مقدسة وتخلصون فى ادائها اخلاصا عرفته العامة والخاصة ، وتبذلون من ثمين الوقت والجهد ما نلمس آثاره فى كل

مكان » . **وفي رسالة أخرى منه كذلك يقول : « أعود** الى الثناء على الجهد الذي يبذله مكتبكم الموقر فى خدمة الضاد والترجمة والمصطلحات والمعاجم . وهي تبعات تنوء بها العصبةمن أفذاذ الرجال ، وما دمتم متفرغين للعلم والثقافة والفكر ، فخدمتكم هي الباقية فى جماعتنا العربية ، وهي تجمع عليها مشارقنا ومغاربنا ولا تختلف ، فالزموا مكانكم فى ميدان الثقافة والفكر ، وتابعوا نشاطكم بتجرد واخلاص ، واسهروا على خدمة الضاد الحصان فى جامعتنا الكبرى وعروتنا الوثقى وشرقنا الأكبر » .

وهذه رسالة من الأستاذ قاسم الخطاط مدير معهد المخطوطات بالانابة يقول فيها : « ان معهد المخطوطات يتابع نشاطكم الكبير فى خدمة اللغة العربية واثرائها » .

※ وأما الأستاذ محمد ابراهيم عطية فيقول فى رسالته « يسعدني أن احييكم وأشكركم على هذه الموسوعة العربية الفنية التي تضور مدى ما تقومون به من خدمات جلى وجهود مضنية من اجل رفع شأن الاسلام واللغة العربية ، حقا انها لموسوعة لما تتضمنه من دراسات وأبحاث ومعاجم تهم كل عربي وكل من يغار على العربية مهما كان تحصيله العلمي، وانني لشديد الفخر والاعتزاز « باللسان العربي » وبأسرة تحريرها » .

※ ومن القاهرة نفسها بعثالينا الاستاذ توفيق علي وهبة مدير الشؤون القانونية يفتتحها بقوله : « لقد سعدت أيما سعادة ، بالاطلاع على العدد الثامن من مجلتكم القيمة « اللسان العربي » التي تزخر بالموضوعات القيمة ذات المستوى الرفيع ، وفى الحقيقة لقد سدت هذه المجلة فراغا فى المكتبة العربية فادعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم لخدمة العربيةلغة القرآن الكريم » .

※ ومن مصر العربية كذلك حمل الينا البريد الكلمة الرقيقة التالية وهي من الأستاذ المسرحي الكبير زكي طليمات : « ان مجلتكم تفيض بكل مفيد وطريف مما يزيد فى ثراء لغتنا العربية المستحدثة ويعمل على توحيد لسانها وتقارب لهجاتها الاقليمية فى زمن نحن أحوج ما نكون فيه الى الوحدة اللغوية » .

※ وتلقينا من الأستاذ محمد صبحي عيسى من قسم الدراسات العربية — الجامعة الامريكية — رسالة يقول فيها : « لكم اسعدني أن تصدر مجلة كهذه بالمستوى العلمي الدقيق الذي يمتع الدارس المتخصص ويرفع من مستوى لغتنا القراء ويقرب بين جهود العلماء والدارسين فى جميع انحاء العالم العربي وغير العربي .. وفقكم الله وأفاد بجهودكم فى رفعة شأن العربية أنتم وجميع من يسهرونبطريق مباشر أو غير مباشر فى هذا العمل الجليل » .

※ وأما رسالة الأستاذ عبد اللطيف عبد الحليم المعيد بكلية دار العلوم جامعة القاهرة فقد جاء فيها : « لا يسعني الا أن أشيد بجهودكم الكبيرة التي تسدونها الى اللغة العربية لتعزيز صرحها الشامخ ، اذ انه جهد توفر له الاخلاص الصادق والتفكير التويم ، فلا يملك اي منصف الا أن يذكر بالاجلال والتقدير هؤلاء الذين يقفون بعزم راسخ وراء هذا العمل الكبير الذي يحتل مكانا كبيرا فى عقول الدارسين ووجدانهم » .

※ وكتب الينا الأستاذ وجدي رزق غالي من القاهرة ايضا رسالة رقيقة يزجي فيها الشكر للمجلة والعاملين بها ويخبرنا عن صدور معجم له بعنوان « المعجمات العربية » ، ببليوغرافية شاملة مشروحة تقديم الدكتور حسين نصار ويقول انه تام بحصر شامل الى درجة قصوى للمعاجم العربية المطبوعة فى جميع ارجاء العالم منذ اول معجم طبع 1505 حتى آخر معجم صدر عام 1970 .

يقع فى ثلاثة اقسام :

الاول : المعاجم العربية العامة الاحادية اللغة (عربي — عربي)

الثاني : المعاجم الثنائية والمتعددة اللغات (عربي — اجنبي ، اجنبي — عربي) .

الثالث : المعاجم المتخصصة ورتب هذا الباب هجائيا على رؤوس الموضوعات الدالة على العلوم ومجالات المعرفة المتخصصة ،

ويخبرنا أن معجمه هذا سجل من أعمال المكتب الدائم « معجم الأصول العربية والأجنبية للعامية المغربية ، والمعجم الصوفي ، والمعجم الفقهي المالكي، وكلها من تأليف الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله .

من الجمهورية العربية السورية

※ من دمشق وصلتنا رسالة رقيقة من السيد محافظ متحف الفن الحديث — المتحف الوطني — الأستاذ

حسن كمال جاء فيها : « يسعدني حقا ان اتلقى مطبوعاتكم القيمة التي كانت وما زالت كنزا ثمينا يغني المكتبة العربية التي كانت الى عهد قريب تفتقر الى مثل هذه المعاجم والمؤلفات الأخرى التي نفيد من ابحاثها كل الفائدة ، وننقل الكثير من معارفها الى طلابنا فى الجامعة ، اذ فيها يجد القارىء العربي ضالته المنشودة وامنيته التي ظل ينتظرها عهدا طويلا والتي بدأ يحققها بما اصدرتم من كتب هامة فى السنوات التي خلت والتي ما زلتم عاقدين العزم على نشرها فى المستقبل ، احيي اسرة هذا المكتب العاملة باخلاص وتفان وأتمنى لكم كل النجاح ما دام رائدكم الاعتزاز بلغة الضاد » .

* ومن دمشق كذلك جاءتنا الكلمة التالية الرقيقة من الدكتور عبد الرحمن الصابوني عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق يقول فيها : « جزاكم الله كل خير وان « اللسان العربي » لعمل نفخر به مع الأجيال الصاعدة بتحقيق صمود لغتنا وتحديها للزمن » .

* وهذه رسالة ثالثة من دمشق ايضا بعث بها الينا الأستاذ احمد بهجة قنصه رئيس نقابة التراجمة المحلفين نقتطف منها ما يلي : « اطلعت على بعض منشوراتكم ، ولاسيما ما يتعلق بمعاجم المفردات ويطيب لي أن اعرب لكم عن سروري البالغ بهذا الانجاز العلمي القيم ، الذي يغني لغتنا بما تفتقر اليه من تعابير علمية وتقنية وفنية » .

* ومن العاصمة السورية كذلك تطالعنا رسالة الاستاذ محمد سعيد مولوي الخبير فى المخطوطات العربية نقتطف منها هذه الفقرة : « اطلعت بسرور فسرني فيها انها المجلة التي طال بحثنا عنها وتشوقنا عظيم ، وشغف كبير ، على مجلة « اللسان العربي » اليها ، لخدمة لغتنا العربية العظيمة . وتجديد حيويتها ونشاطها بما يؤهلها لحمل تبعات الحياة الجديدة ، والمخترعات الحديثة ، وتطلعات الفكر الجبار »

* ومن مدينة حلب جاءتنا هذه الكلمة الرقيقة من الأستاذ المحامي فرنان باي يقول فيها : « ولا يسعني فى هذه المناسبة الا ان اعرب لكم عن بالغ اعجابي وتقديري للجهود الضخمة التي تبذلونها فى هذا الحقل ، راجيا الله ان يسدد خطاكم الى ما فيه رقي وازدهار امتنا العربية الماجدة » .

* ونعود الى مدينة دمشق لنلتقي مع رسالة الاستاذ عبد الودود طليمات الذي « يحيي فيها المكتب عن الجهود العظيمة التي يبذلها فى سبيل نشر اللغة العربية وتوعية الجماهير العربية وتثقيفها باللغة الفصحى التي هي من أولى مقومات النهضة العربية ادعو الله أن يوفق خطاكم ويسددها لما فيه خير الأمة ووعيها » .

* وهذه رسالة اخرى من الاستاذ وليد حسن السعيد الى السيد مدير عام المكتب نقتطف منها هذه السطور : « من خلال ما رأينا وقرأنا ، فقد تجلى لنا عظيم عملكم ، وكبير فضلكم فى خدمة امتكم وأبناء وطنكم ، وفى سبيل الحفاظ على لغتكم العربية انتم ورفاقكم الذين يعملون معكم فى المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، ولقد كانت محاضرتكم « ثورية التعريب » التي نشرت فى الصفحة السابقة من الجزء الاول من المجلد التاسع ، تعبيرا صادقا عن عملكم الكبير ، وغايتكم النبيلة ، وجهدكم العظيم ، وفقكم الله وسدد خطاكم » .

* وهذه رسالة اخرى جاءتنا من حمص من الاستاذ يحيى عبارة يقول فيها : « لقد اطلعت على مجلتكم الغراء « اللسان العربي » فراقتني ابحاثها الشيقة ومواضيعها القيمة ، وتحقيقاتها اللغوية الرصينة ، والتعليقات الرائعة على الكتب العربية المحققة ، خدمة للتراث العربي ، وصونا له من الضياع ، وكذلك متابعة مجلتكم لمشكلات التعريب والتصدي لوضع المصطلحات الفنية الملائمة مما جعل مجلتكم فريدة فى أبوابها ، وفى طليعة المجلات العربية ذات الشأن » .

من الجمهورية اللبنانية

* ومن لبنان نبدأ من صيدا لنلتقي مع الاستاذ محمد العدناني فى هذه التحية الرقيقة : « لقد تسلمت الدفعة الأولى من مجلتكم النفيسة ومطبوعاتكم ، فاذهلني ذلك الجهد الجبار الذي تبذلونه لخدمة الفصحى ، واقالتها من عثرتها ، حفظكم الله ذخرا للضاد وبنيها » .

* ومن مدينة طرابلس تطالعنا رسالة الاستاذ اكرم صوفي رئيس الدائرة الاقتصادية فى لبنان المالي التي جاء فيها : « لقد تسنى لي أن اطلع على الجزئين الأولين لمجلة « اللسان العربي » فاكبرت الجهود المضنية التي اسفرت عن هذا الانتاج الضخم ، وتبدو اللغة العربية احوج ما تكون اليه فى عصرنا الحاضر ، لاسيما واننا فى عز مسيرتنا الجبارة للانتظام فى صفوف الصدارة من موكب الأمم الناهضة » .

* ومن بيروت وجه الينا الأستاذ قاسم منصور مدير الثانوية العاملية التحية التالية : « ونحن اذ نبدي اعجابنا بقيمة هذه الكتب وتقديرنا للمجهود الكبير الذي بذلتموه فى سبيل اعدادها ، نشكر لكم تلطفكم بارسال هذه المنشورات الينا » .

وهذه رسالة اخرى من طرابلس كذلك جاءتنا من الدكتور عبد المجيد نقمي يقول فيها : « لقد جاءت « اللسان العربي » لتسد فراغا كبيرا فى مجال تنسيق عمليات التعريب فى عالمنا العربي وذلك ان المثقفين والعاملين فى مجالات الثقافة والفكر كانوا فى حاجة ماسة لما أخذتم على عاتقكم القيام به فى مجال تسهيل عمليات نقل الفكر الاوروبي الى اللغة العربية وبصورة خاصة فى مجال نقل التراث العربي الى اللغات الاوروبية » .

* وهذه رسالة اخرى من بيروت بعث بها الينا الاستاذ حسن شقير جاء فيها : « سنحت لي الفرصة أن اطلع على « اللسان العربي » فأعجبت بما تضمنته هذه المجلة من أبحاث واجتهادات قيمة فى اللغة العربية وارتباطاتها الفكرية والعلمية والثقافية بلغات اخرى ، كاللغة الفرنسية واللغة الانكليزية ، فوجدت انه بامكاني الاعتماد الى حد بعيد على مجلتكم الغراء»

* ومن مدينة زحلة وجه الينا الاستاذ جورج ليان حميصه هذه التحية : « فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ امتنا ، وبينما تستيقظ معاني القومية فى وجدان شعوبنا سواء من الناحية الاقتصادية او الاجتماعية أو الثقافية ، تستوقف المثقف العربي بعض مظاهر هذه اليقظة فى منظمتكم الثقافية الكريمة ، لاننا نجد انفسنا اليوم احوج ما نكون الى جهودكم الخيرة فى سبيل ايجاد معجم لغوي وعلمي كاللسان العربي » بغية احياء وبعث لغتنا العربية بحيث تهضم معطيات الحضارة الجديدة وتناضل فيها » .

* ونعود الى بيروت لنلتقي مع رسالة الاستاذ جوزف افرم البستاني رئيس دائرة المكتبة المركزية التي جاء فيها : « انه لمن اسعد المناسبات هذه التي تتيح لنا التعبير الوافي عن مدى اغتباطنا وفخرنا البالغين بهداياكم الخطيرة فى اهميتها والنفيسة فى قيمتها والناتجة عن مجهودات ذوي العلم والكفاءة المشحونة بالطاقات الأدبية والثقافية والفكرية والعلمية ، والتيتعطي بالتالي ثمارها الطيبة لتتغذى بها أجيال المستقبل من المثقفين من خلال مكتباتنا العامة التي لا يمكن لها أن تنمو وتتسع الا بهذه الاعمال المبنية على الفكر المبدع فى مختلف ميادين الحياة المعاصرة »

* ومن الخيام كتب الينا الأستاذ فايز عباس ابو عباس يقول : « تحياتي وتقديري للمجهودات الضخمة التي تبذلونها ، لاخراج أعداد « اللسان العربي » الذي هو بحق من اروع ما انتج من دراسات وموضوعات لغوية وعلمية وادبية وغيرها ، مما يجعل منه مصدرا لا يستغنى عنه كل باحث ودارس ، ومرجعا يعود اليه فى كل حقل من حقول المعرفة الانسانية »

* « بسرور وغبطة وتقدير بالغ لعملكم الجليل ، طالعت على مجلتكم الغراء « اللسان العربي » فوجدتها بحق دواء ناجعا للسان العربي الخالد لذلك كاتبتكم شاكرا ومقدرا لكم هذه الجهود الكريمة فى سبيل خدمة اللغة العربية ، ولما تقدمون من زاد لغوي حي تتغذى به المكتبة العربية » . هذا بعض ما جاء فى كتاب الاستاذ سليم نجيب البيطار من المنية بلبنان .

من المملكة الاردنيـة :

* من عمان حمل الينا البريد التحية الرقيقة التالية من الدكتور عبد العزيز الدوري من الجامعة الاردنية: « أود أن اعرب لكم عن بالغ تقديري لجهودكم القيمة ولانتاجكم المثمر فى خدمة العربية »

* من عمان جاءتنا رسالة من الاستاذ عيسى الناعوري سكرتير اللجنة الاردنية للترجمة والتعريب والنشر يقول فيها : « ارجو أن تأذنوا لي بابداء ملاحظة عرضت لي وأنا أعود الى مطالعة اعداد مجلة « اللسان العربي » النفيسة التي لا شك فى انها تؤدي رسالة رفيعة جدا ، هي رسالة النهوض بلغة الضاد العزيزة ، وابراز مزاياها وخصائصها المهمة ، ليكون ذلك وسيلة الى اعادتها الى عزها وزهوتها وغناها ، وبالتالي الى اعادة العزة القومية الى أهل هذه اللغة المجيدة » .

ويثير الاستاذ عيسى الناعوري فى رسالته ملاحظة مهمة تتعلق بالترقيم فيقول : « ان العناية بالترقيم فى بعض الابحاث التي تنشر فى المجلة اما انها مفقودة تماما ، واما انها غير كافية ، وعلامات الترقيم أصبحت من العوامل المهمة ، المساعدة على صحة القراءة وجودتها » .

ويضيف قائلا : « أنا لا اجهل أن العرب القدماء لم يعرفوا الترقيم ، وأن الكتب القديمة — الا فى بعض

طبعاتها الحديثة ـ تخلو منه خلوا تاما . ولقد وجدت عناء كثيرا فى مطالعة تلك الكتب ، فكنت اضطر الى قراءة الفقرة الواحدة مرارا ، لأعرف كيف اقراها قراءة صحيحة سليمة المعاني .

ولست اجهل كذلك أن علامات الترقيم حديثة العهد ، ولعلنا أخذناها فى ما اخذنا ـ عن الغرب الحديث . ولكننا فعلنا حسنا جدا فى ذلك . فقد اصبح الكاتب منا يعرف كيف يجزيء عبارته وفقا للمعنى ، وكيف يعطي المعاني حقها فى الجمل عن القراءة » .

ثم يشير صاحب الرسالة الى انه لاحظ بشكل خاص أن جميع الابحاث التي يكتبها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ، رئيس تحرير المجلة ، خالية تماما من علامات الترقيم ، كما ان هناك أبحاثا أخرى تخلو جزئيا من هذه العلامات » .

ويضرب امثلة على ذلك ، بمقال الدكتور محمد المبارك ، من جامعة دمشق حول « التفاعل الحضاري فى تكوين اللغة وتطويرها » المنشور فى العدد السابع من المجلة ؛ وبمقال الدكتور شوكت الشطي ، كذلك ، حول « تبلور الفكر العربي فى علم الطب » المنشور فى العدد السادس .

ثم يضيف : « ان تقدم اللغة ، وتطورها يتطلبان تيسير قراءتها ، وتسهيل الوصول الى تناول ما تقدمه من معان . وعلامات الترقيم تساعد على ذلك مساعدة كبيرة ، وتوفر على القاريء جهد الركض واللهاث فى قراءة لا يعرف اين يقف منها ، واين يسير ، والى أين ينتهي » .

« اللسان العربي » : تشاطر الاستاذ عيسى الناعوري ما ذهب اليه من رأي ، لأن مسالة الترقيم اصبحت حقيقة من الضروريات فى جميع الكتابات والتآليف لكونها تخفف على القاريء عناء المراجعة ، وتسهل عليه تفهم المعنى بسرعة ويسر .

ونحب أن نشير هنا الى انه اذا اهمل الترقيم فى بعض المقالات والبحوث فليس معنى ذلك أن الكاتب توخى ذلك عن قصد ، وانما هو راجع فى عديد من الاحيان الى عوامل شتى ، منها طريقة الكاتب فى الكتابة أو التصنيف ، أو قد يكون أحيانا سبب سقوط اكثرها عند التصحيح ـ غير اننا سنولي هذا الامر مزيدا من العناية .

ومع تقديرنا لملاحظة الاستاذ الناعوري ، نشكره ونتمنى أن يوافينا دوما بملاحظاته القيمة واقتراحاته السديدة .

من المملكة العربية السعودية :

※ من الرياض وجه الينا الاستاذ عثمان الصالح رسالة رقيقة نقتطف منها ما يلي : « لقد وفق الله المغرب العربي المسلم الى تصحيح اللسان العربي بكفاح فى تنقيح اللسان وتوشيته بالبلاغة والبيان ليعود لساننا كما كان ابان ازدهار اللغة العربية فيرجع الينا امثال الأصمعي والكسائي وسيبويه وغيرهم من أركان العربية الفصيحة وان المكتب الدائم لتنسيق التعريب ليعد ثورة على الدخيل على اللغة يطهرها من كل ما شابها من لكنة او عجمة ، انني لشغوف بكل ما يصدر عن هذا المكتب من جلائل الأعمال »

※ ومن القصيم حمل الينا البريد التحية التالية من النادي الأهلي الثقافي جاء فيها : « لقد اطلعنا على مجلتكم « اللسان العربي » فوجدناها مليئة بالبحوث العلمية ولقد اطلعنا على التراجم فى مختلف الفنون والعلوم وتعد هذه المجلة الرباط الذي يجمع بين الشرق والغرب ، تتقبلوا صادق تقديرنا لما تبذلونه من جهود فى سبيل العلم واللغة »

※ ومن مكة المكرمة جاءتنا هذه التحية من رابطة العالم الاسلامي ، الأمانة العامة من الاستاذ محمد صالح القزاز الأمين العام نقتطف منها هذه السطور: « ما زلنا نتابع نشاط المكتب ونثني على أعماله وجهود رجاله المشكورة ، راجين لهم التوفيق فى مهمتهم وتحقيق غايتهم »

※ ومن جدة وجه الينا الاستاذ محمد ثاني هوساوي الكلمة الرقيقة التالية : « اهنيء نفسي وكل الذين يلتفون حول مائدة القرآن لينهلوا النبع الصافي للعمل الكبير الذي ساهم به المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي فى خدمة لغة القرآن ، انه لجهد عظيم يثلج صدر كل مسلم غيور ، **فما احوجنا الى كشف كنوز لغتنا وما احوجنا للرد على كل المحاولات التي تستهدف طمس معالم لغتنا المشرقة ومكتبكم فى هذا الصدد يضطلع بالدور الكبير الذي انيط به منذ تاسيسه ولقد تمثل هذا الجهد فى مجلدات « اللسان العربي »** وفى غيره من المطبوعات القيمة التي تصدر عن داركم الموقرة » .

* من جدة كذلك وصلتنا رسالةرقيقة من الاستاذ علي حافظ جاء فيها : « اشكركم واقدر مجهودكم العلمي اللغوي التعريبي » الذي تخدمون به لغة القرآن والاسلام اجل الخدمات ، ولست ادري لو لم يكن هذا المكتب كيف كان حال لغتنا بالنسبة لأحداث العالم التي تتوالى وتتجدد كل ساعة » .

من الجمهورية العراقية :

* من بغداد وصلتنا هذه الكلمة الرقيقة من الدكتور توفيق ابراهيم غنيم — كلية الطب البيطري ، جاء فيها: « من الأشياء التي تثلجصدر المرء وتجعله سعيدا فى غدوه ورواحه أن يرى لغته العربية وقد صارت فى مصاف اللغات الحية ، لغات العلوم والفنون — لغة القرآن الكريم والحياة ، **انني أتابع باهتمام كل ما تنشره مجلتكم الموقرة ((اللسان العربي)) واعاهدكم أن اعمل جهدي فى نقل هذه الجهود الجبارة لأبنائي الطلبة وزملائي فى العمل))**

* من بغداد كذلك بعث الينا الأستاذ صبيح الغافقي برسالة مطولة نقتطف منها ما يلي : « لست فى حاجة الى أن اعيد ما ذكرته لكم شخصيا فى الرباط من أن مجلة « اللسان العربي » وملاحقها المعجمية لا تمثل اتجاها خاصا فى خدمة لغة القرآن ، ووحدة الفكر العربي ، والعمل من اجل نشر الثقافة الاسلامية الصافية ، **وانما يمثل هذا المجهود فى رايي جامعة عربية لوحدها** ، وما احوجنا فى هذه المرحلة الى مثل هذا المجهود الضخم الذي ينشر وحده لواء المعرفة الصادقة للجماهير العربية »

ويقترح حضرة الاستاذ على المجلة ان تكرس جانبا من كل عدد من « اللسان العربي » لاحياء الفكر الاندلسي ومتابعة الجديد من ابحاثه وتسجيل الاكتشافات التي يصل اليها الأثاريون الاسبان »

* ومن مدينة البصرة وجه الينا الأستاذ عادل يعقوب يوسف من كلية العلوم جامعة البصرة — رسالة مطولة نقتطف منها ما يلي : « لن ازيد مقدار ذرة على المجلة فلو أثنيت واطنبت فى ثنائي فهي بلا مدافع مجلة العرب الأولى ، وليتني املك مكتبة لا تضم الا اعداد هذا السفر القيم ، ولاغنيت نفسي عن مشقة البحث والتنقيب فى بطون الكتب ، نحن ندرس فى الجامعة العلوم بلغة اجنبية هي لغة الدراسة الرسمية وفى الفرع الذي انتمي اليه — علوم الحياة — تدرس اسماء الاحياء والأعضاء باللغة اللاتينية ، واقسم انني وزملائي نحفظ أسماء الأعضاء والاصطلاحات دون ان نعرف معانيها فنعرف أن الاسم كذا يعود الى العضو كذا ، ولكن ما معنى هذا فى لغتنا .. لا ندري .. وتخلو المعاجم الانجليزية من هذه الاسماء ، لذا فقد كان لمجلتكم ومعاجمكم فضل علينا لا يعادله فضل لما فيها من الفائدة ما يربو على شعر الراس. ولشد ما اعجبني فى المجلة باب **(قل ولا تقل)** الذي يحارب الدخيل ويحل محله اللفظ العربي الأصيل »

* ونعود الى بغداد لنلتقي برسالة الأستاذ محمد عبد الرزاق التي افتتحها بقوله : « لقد اطلعت مؤخرا على العدد الأخير من مجلتكم الغراء وانشرحت لها نفسي ، وشغف القلب وهفا لها لما تضمنته من مواضيع فى اللغة العربية على قدر بالغ من الأهمية والقيمة »

* ومن بغداد نفسها حمل الينا البريد هذه التحية الرقيقة من أمين مكتبة النفط الوطنية العراقية الاستاذ حسين محمد حسن تويج جاء فيها : « ان طوق الجميل الذي طوقتموني به ما زال ولم يزل فى موضع الاعزاز والاكبار مني ما بقيت منذ ان بدات مجلتكم الزاهرة « اللسان العربي » يحملها البريد الي من المغرب الاقصى تباعا ، فأنكب — عليها ما وسعني الوقت — انهل منها واعب ، وما ان بدات فى تصفح المجلد الثامن من المجلة حتى وجدتها غنية بمحتواها منسقة فى تبويبها وعرضها للمواد ، وقد راقني الجزء المخصص منها لمادتي البترول والجيولوجيا فلم اتمالك نفسي دون قراءته من الفه الى يائه فوجدته عميم الفائدة لي ولاخواني العاملين معي فى نفس المؤسسة مما حداني أن اطلب اليكم التفضل بارسال خمس نسخ من المجلد الثامن باجزائه الثلاثة لكثرة الطلب عليها وشدة الحاجة اليها وبهذا تضيفون منه الى ما سبق منكم من اياد بيضاء ومآثر تذكر ، وفى الختام لا يسعني الا أن اكبر فيكم هذه الروح الوثابة فى نشر اسباب الثقافة وتعميمها ونفعكم الله لما فيه خير امتنا ورفعة مكانتها بين الأمم »

* وننتقل الى الكاظمية لنلتقي مع تحية اخرى رقيقة من أمين مكتبة جمعية التوجيه الاستاذ الحاج حسين الشيباني حيث يزجي فيها الشكر للمكتب مقدرا الجهود المبذولة لتهيئة وطبع واخراج هذه المطبوعات بشكلها المفيد راجيا للمكتب التوفيق فى كافة اعماله ومنجزاته » .

* وهذه رسالة اخرى من بغداد بعثتها الينا صاحبة مكتبة الصياد السيدة سلمى مجيد حميد العبيدي تقول فيها : « فقد تصفحنا مجلة « اللسان العربي » فوجدناها زاخرة بالبحوث والمواضيع التي لا يستغني عنها اي مثقف عربي وقد زادها فخرا أن تصدر في المغرب الأقصى لتكون جسرا يعرف ويربط بين أبناء الوطن العربي شرقه وغربه » .

* ومن بغداد كذلك وجه الينا الأستاذ مسلم حمزة مهدي الكلمة الرقيقة التالية : « لقد ملئت فرحا عندما سمعت بصدور مجلة « اللسان العربي » حيث عثرت على هذا الكنز العظيم في كلية الآداب بجامعة بغداد ، ان لهذه المجلة الفضل الكبير في انتشار اللغة العربية خاصة في مناطق شمال افريقية وجنوب جزيرة العرب وغيرها من أصقاع عالمنا العربي »

* ومن سليمانية بعث الينا الاستاذ عبد الأمير الورد برسالة رقيقة يقول فيها: « احيي مجلتكم المباركة « اللسان العربي » هذه المجلة الرائدة في لغة العرب في عصر اصبحت فيه أحوج ما تكون الى من يشد أزرها وهي تواجه هذا التيار الجارف من الكلمات التي تأتينا بها الحضارة المتطورة في العالم المحيط بها » .

* من الأستاذ الشيخ يونس السامرائي صاحب مجلة ((**صوت الاسلام**)) جاءتنا هذه التحية : « فقد تصفحت اعدادا من مجلة (اللسان العربي) فوجدتها خير لسان يترجم لنا لغة الضاد ولغة القرآن الكريم ولا شك ان استمرار اصدارها ووصولها الى القراء سوف يعمل على توحيد اللغة الفصحى بين أبناء الوطن العربي الواحد وبعدها سوف تكون خير بشير للعربية والاسلام » .

* وهذه رسالة من الأستاذ غالب عباس جاء فيها : « لقد شدتني الشوق وملأتني الفرحة وراودتني البشرى لهذه الأمة المجيدة التي كتبت اعظم فخر للانسانية ولا زالت تبني جديدا مشيدا على ماضي تليد وذلك بفضل رعاية ابنائها الذين لا يألون جهدا في سبيل تقدمها ورقيها ومسايرتها لركب الحضارة الجديدة بأساليب شتى منها الاعتناء باللغة لسان الأمة وسلاحها على يد مكتب التعريب التابع لجامعة الدول العربية الذي يبذل مساعي جبارة في هذا المضمار » .

* ومن بغداد حمل الينا البريد الخطاب التالي من الاستاذ خضير مروك الجنابي : « لقد كان اعجابي كبيرا بمجلتكم « اللسان العربي » وذلك لما تحتوي عليه من موضوعات علمية وأدبية ممتعة وما تتسم به من جدية نبيلة القصد ، عظيمة الفائدة ، ولقد قدرت حق التقدير الجهود الجبارة الفريدة التي يبذلها السادة أعضاء المكتب بمثل هذه الحركة والحيوية التي بها يحملون » .

* ونختتم جولتنا في العراق برسالة من السيد علوان كريم منى : « اطلعت على الموسوعة الكبيرة (اللسان العربي) وتفحصتها عن كثب فنالت اعجابي واكباري لما تحتويه من بحوث قيمة بأقلام كتاب أجلاء رصدوا أنفسهم لخدمة اللغة العربية وتخليصها المكتب بمثل هذه الحركة والحيوية التي بها يعملون » .

من دولة الكويت

* ومن الكويت الشقيقة جاءتنا هذه التحية من الاستاذ احمد عبد الغني باغي ، يقول فيها : « أشكر كل من شارك في تحرير « اللسان العربي » ، الغراء ، مقدرا مجهودهم الكبير ، ومسعاهم المحمود، نفعنا الله به ، ونفع أمتنا ووقاها شر الدخيل من الكلمات ، والأفكار والأحكام التي أخذت تتفشى ، وتستشري وتفتك في جسم امتنا وتراثها الاصيل ، وشريعتها النقية البيضاء » .

* ومن الكويت كذلك وصلتنا الرسالة التالية من الاستاذ محمد حمد ابراهيم الفوزان جاء فيها : « كنت في زيارة الرباط في صيف 1970 وسمعت من صديق الطرفين السيد قاسم السداح الثناء الجم على جهودكم المباركة في مجال التعريب وكنت حريصا على التشرف بلقائكم لولا ان اقامتي القصيرة في الرباط لم تمكني من ذلك ، وعلى كل فاننا في المشرق العربي نتابع جهودكم الخيرة بكل اعجاب وتقدير جزاكم الله أحسن الجزاء »

* ومن الكويت الشقيقة كذلك حمل الينا البريد هذه التحية من السيد المدير العام لغرفة تجارة وصناعة الكويت الاستاذ هيثم الملوحي جاء فيها : « أتاحت لنا احدى الزيارات لمكتبة الجامعة الامريكية في بيروت فرصة الاطلاع على بعض المعاجم الصادرة عن مكتبكم الموقر ، وتأكد لنا ان هذه المعاجم تعتبر لبنة أساسية وقوية في مكتبتنا العربية ومرجعا هاما لكل باحث »

من جمهورية السودان :

* من الخرطوم وجه الينا الأستاذ يحيى محمد ابراهيم عن مدير دار الوثائق المركزية رسالة نقتطف

منها هذه السطور : « ننتهز هذه الفرصة لنعرب لكم عن عظيم سرورنا بهذا المجهود الكبير الذي تقومون به لخدمة الثقافة ودعم الروابط الثقافية فى الوطن العربي »

من البحريـــن :

※ من المنامة وجه الينا السيد جاسم محمد جاسم الدرازي رسالة مطولة نقتطف منها ما يلي : « انني اشكركم من الأعماق على هذه الجهود العظيمة التي تبذلونها سعيا وراء نشر الثقافة وطلبا لرفع مستوى الفرد العربي العلمي وتغذيته بشتى فنون العلم والأدب واطلاعه على كل ما استجد واستحدث فى عالم المصطلحات واللغة »

※ وهذه تحية اخرى من البحرين كذلك وصلتنا من السيد عبد الاله حميد الصباح جاء فيها : « انني من المعجبين بمجلتكم الثمينة والمشوقة وان هي الا مرجع كبير يفيد كل متعطش للعلم وطالب له أرجو لكم التوفيق فى كافة مشاريعكم لخدمة الأمة العربية بما تضطلعون به من أعباء » .

※ من السيد سالم عبد الله سالم جاءتنا التحية التالية : « انني لا أستطيع التعبير من عظيم امتناني لما تسدونه لأبناء العروبة من أياد بيضاء ناصعة مساهمة منكم فى خدمة اللغة العربية ، لغة القرآن العظيم . ولست بمغال اذا قلت انني تعلمت الكثير من أسرار لغتنا الحبيبة من مجلتنا الغراء (اللسان العربي) أكثر مما تعلمته فى دراستي الجامعية المختصة فى هذا المجال ، وهذا راجع لما تحتويه مجلتكم من موضوعات حية معاصرة تجعلني مدينا لكم ومعددا لأفضالكم » .

من الجمهورية الاسلامية الموريتانية :

※ من نواكشوط جاءتنا رسالة من وزارة التربية والثقافة من مفتشية التعليم الابتدائي بالوسط الشرقي تقول : « لقد تصفحنا المجلدين السابع والثامن من المجلة الدورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب فى العالم العربي ، ولا يسعنا الا ان نعبر لكم عن سرورونا وارتياحنا لهذا العمل الجليل الذي نعتبره ــ نحن هنا ــ فاتحة عهد جديد فى حياتنا » .

※ ومن نواكشوط كذلك بعث الينا السيد حمود بنعبد الودود برسالة جاء فيها : « اسمحوا لي أن أعرب لكم عن اعجابي وتقديري لما تقومون به من رعاية وتوجيه وتنسيق فى سبيل رقي ونهضة اللغة العربية لتتسع مدارك الناطقين بالضاد عن طريق ما تصدرونه من قيم المنشورات الممثلة فى مجلتكم الغراء « اللسان العربي » .

من باكستـــان :

※ ومن السيد سفير المملكة المغربية بباكستان وماليزيا ــ اسلام آباد جاءتنا التحية التالية : « لا استطيع ان اعبر لكم عن تقديري ، واعجابي للجهود المثمرة التي تبذلونها ويبذلها مكتب التعريب : **وهي جهود تقدر هنا عند علماء هذه البلاد** وتقوم السفارة بتوزيع منشوراتكم على ذوي الاختصاص والمعرفة » .

ــن تركيــا

※ من اسطانبول حمل الينا البريد خطابا رقيقا من السيد بكر قارليف من دار الحكمة والدعوة نقتطف منه هذه السطور : « نرجو الله عز وجل ان يوفقكم ويوفق العالم الاسلامي فى نهضاته العلمية والثقافية والدينية ، نتمنى دائما أن نتوصل بأسفار مجلداتكم القيمة « اللسان العربي » .

من هولانـــدة :

※ من هولاندة وجه الينا السيد محمد سليماني خطابا جاء فيه : « اننا نحاول ونعمل من اجل ادخال الكلمات المعربة الجديدة قصد تحسين لغتنا ونحن ننوه دائما فى هذا الصدد بمكتبكم الجليل الذي يعمل باستمرار من اجل رفع اللغة العربية الى المكانة اللائقة بها وجعلها لغة كل الميادين العلمية المعاصرة، **ونزداد فخرا بمكتبكم عندما يطلع الأجانب على أعمالكم الجبارة فيدهشهم المستوى الذي وصلتم اليه » .**

من الســويـــد :

※ من قسم الدراسات العربية بجامعة غوتنبورغ كتب الينا الاستاذ فاروق أبو شقرا يقول : « اثناء وجودي بمعهد الدراسات العربية فى جامعة غوتنبورغ الملكية راجعت مكتبة هناك حيث لا تحتوي على كتب

كثيرة تتعلق بالدراسات العربية والاسلامية لذلــك يدفعني الأمل بكم والتطلع الى مساعدتكم بتزويــد مكتبة المعهد بما يصدره مكتبكم بما يعطي انعكاسا ايجابيا لثروة لغتنا الواسعة من آداب وقيم علمية يستفيد منها الطالب والباحث والمستشرق وكل من يهمه الاطلاع على حضارتنا » .

من اسبـانيـا :

✻ من كلية الفلسفة والآداب فى بلنسية جاءتنا رسالة من السيد المدير العام المكلف بقسم اللغة العربية يقول فيها : « لقد اطلعت على مجلتكم « اللسان العربي » فوجدتها على جانب كبير من الأهمية فى خدمتها للغة العربية المعاصرة »

من ايطـاليـا :

✻ من روما بعث الينا السيد عزرا هنري جورجي عن مدير مكتب الاعلام والتوثيق بمعهد الأمم المتحدة لأبحاث الدفاع الاجتماعي ، كلمة رقيقة جاء فيها : « اتشرف بالكتابة اليكم شاكرا على ما زودتم به مكتبنا من مطبوعاتكم القيمة التي هي ثمرة الجهود المتواصلة فى سبيل تنسيق التعريب فى العالم العربي. واود أن انقل لكم اهتمام مركزنا فى روما بما تصدرونه من مطبوعات خاصة مجلة « اللسان العربي » .

من فـرنسـا :

✻ من السيد مدير المكتبة العربية بجامعة ليون (قسم الدراسات العربية) جاءتنا التحية التالية : « لقد وصلتنا اعداد « اللسان العربي » الغراء واننا لنشكركم لكون هذه المجلة سوف تعمل حتما على تطوير معرفة الطلاب للغة العربية » .

من بـولانـدا :

✻ من مدينة كراكوف بعث الينا السيد طاهر شافي الطالب « بمعهد التعدين » فرع البترول قسم الحفر رسالة يقول فيها : « كان لي شرف عظيم بأن اطلعت على ما تنشرونه فى « اللسان العربي » وبالتحديد على معجم البترول ، ان محتوياته كانت دائما بالنسبة لي شيئا مجهولا ، قبل اطلاعي على هذا المعجم كنت اجهل المقابلات العربية لعديد من المصطلحات ، ولكني بعد ان اطلعت على المعجم المذكور فى مجلتكم « اللسان العربي » كان سروري عظيما » .

من يوغوسلافيا :

✻ من يوغوسلافيا وصلتنا من السيد نياز محمد سكريج التحية التالية : « لا شك انكم تعلمون بوجود عدد غير قليل من المسلمين فى بلادنا لهم رغبة فى التثقيف بالثقافة العربية الاسلامية ونحن نعتبر مجلتكم الغراء « اللسان العربي » احدى وسائل هذا التثقيف نظرا للدور الذي تقوم به فى صالح الأمة العربية والاسلامية » .

من بـريطـانيـا :

✻ من قسم المعاجم الانجليزية — العربية بأكسفورد بعث الينا السيد ن. س دونياك بالكلمة التالية : « سرني أن اتسلم الأجزاء التي ارسلتموها من مجلتكم الغراء « اللسان العربي » وبعضها خاص بالقواميس وقد احسست بالمجهود الكبير الذي تبذلونه فى سبيل التعريب ، تقبلوا تحية تقدير واعجاب » .

✻ وفى رسالة اخرى للسيد دونياك يقول : أثارت مجلتكم اهتمامنا منذ زمن بعيد ذلك لصلتها الوثيقة بعملنا فى وضع المصطلح العربي — الانكليزي ولما يهامن مقالات وابحاث لغوية قيمة ، لكم شكرنا وتقديرنا لما تقومون به من مجهود فى خدمة اللغة العربية وتطويرها » .

✻ ومن نفس القسم كتب الينا الأستاذ محمد محمد حلمي هليل خطابا جاء فيه : « بمزيد من الغبطة تسلمت اجزاء من مجلتكم الدورية « اللسان العربي » التي يصح لنا أن نفتخر بها وسرني أن أطلع عليها الزملاء المستشرقين هنا ، شكراً جزيلا لكل يد ساهمت فى هذا العمل الكبير ولجهودكم فى خدمة لغتنا الحبيبة هذا وقد سارعت بدراسة الجزء الثالث من المجلد الثامن فازددت ايمانا بهذا الجهد الذي بذل .. وقد اعجبت جدا بباب « قل ولا تقل » ويا حبذا لو ظهر ما جمعتموه فى شكل كتيب ان امكن .

والاجزاء التي ارسلتموها ستبقى لنا هنا مادة غنية للقاموس الذي نعمل حاليا فيه وسأوافيكم بملاحظاتي بعد دراسة الأجزاء باذن الله .

— نشكر السيد محمد محمد حلمي هليل على عواطفه النبيلة وأما بخصوص ملحوظته حول باب «قل

ولا تقل » الذي يطلب منا جمعه ، ننهي اليه أننا كنا قد نشرنا كتيبا مستقلا يحمل نفس العنوان فى سلسلة حملاتنا على الدخيل الاجنبي .

ـــن الأرجنتـــين :

※ من بينوس أيرس كتب الينا الرحالة الشاعر الاستاذ يوسف العيد رسالة مطولة جاء فيها : « ان مجلة (اللسان العربي) اليوم هي اللواء الذي يقتفي اثره الأدباء العرب وسوف يبقى خالدا لتتكلم عنه الأجيال الآتية بالاكبار والتعظيم ، ما اجمل هذا الاسم الذي يبخر الفم ، ويرتقص الأعصاب عزة بلغتنا : لغة القرآن الشريف ، وأؤكد أن المجلة ترى بعيني كل اديب عظيمة بغايتها وكبيرة ببحوثها اللغوية وتجديدها كلاما خلقه التطور البشري ، وتعريبها لأسماء المخترعات الجديدة المستنبطة بأسماء اعجمية فهي الضالة المنشودة التي ينشدها كل اديب عربي ؛ هذه جهود جبارة وخدمات جليلة للغة الضاد » .

وبعد هذه التحية يسوق صاحب الرسالة رأيا فى الشعر الحديث ، ويعتب على المجلة عدم نشرها للشعر الكلاسيكي ، ويحسن أن نورد كلمته فى هذا الصدد ليطلع عليه القراء : « ارى ان المجلة تهتم بنشر النثر ولا غرو فهي أنشئت لهذه الغاية ولكنها لم تهتم بنشر الشعر الكلاسيكي ولو قليلا ولا اقول الشعر الرمزي الذي اراه كرقعة قاتمة على ثوب ابيض ناصع خالص من الشوائب السمجة وانتم ترون أن هذا الشعر الرمزي يبرز الى ميدان الخليل بن احمد الفراهيدي على فرس ليكسب قصب السبق غيه ولكن هيهات هيهاتأن ينتصر واوكد ان اتباع الشعر الحديث ينظمون اشعارهم وهم انفسهم لا يفهمونها فكيف لنا ان نفهمه نحن أصحاب الأوزان الشعرية والقوافي الرنانة ، هم يقولون : ان الشعر الحديث يؤثر فى تكثيف التعاطف بين الجماهير والشعراء لان الشعر الكلاسيكي متحجر ، واي عاطفة يشعر بها قارىء قصائدهم ما دام لا يفهمها وما هي الا كالصور الرمزية التي اخذ بعض الرسامين يرسمونها واين منها صور رفائيل ودافنشي وجورجوني وتنتوريتو الخالدة المتكلمة بدون لسان .

لا يحسبن هؤلاء الشعراء الرمزيون اننا نحن الشعراء بالكلاسيكية من المحافظين المتحجرين هذا وان نعتونا بهذه النعوت فكلامهم يحول عندنا ثري اشعارنا صورا خلابة جميلة رنانة كعود موزة .

ان مجلة « اللسان العربي » هي اليوم بمقدمة الصحف والمجلات العربية فى العالم كله فاذا لم تتدارك تيار الشعر الرمزي بمقالات واضحة حرة صادقة فأية مجلة غيرها تقف لتقول الكلمة الحق ، وكم اكبر فى المجلة قولها : يسرنا ان نجعل من المجلة ميدانا للنقاش العلمي الحر ، فهذا القول يشجعني لارسال مقالي هذا لها . كما أطلب أن يكون فى المجلة نصيب للشعر الكلاسيكي » .

— وبما اننا جعلنا هذا الباب من القراء واليهم ، لذا فقد نشرنا راي الشاعر يوسف العيد فى الشعر الحديث ويظل باب النقاش مفتوحا امام القراء ، وأما بخصوص نشرنا للشعر الكلاسيكي فنحن لا نرى مانعا من ذلك غير أن معظم اهتمامنا ينصرف الى نشر البحوث والموضوعات اللغوية التي هي محور المجلة .

ـــن الهنـــد :

※ من دلهي الجديدة جاءتنا رسالة مطولة من الأستاذ عبد الحليم الندوي رئيس القسم العربي بالجامعة الملية الاسلامية جامعة نجر نقتطف منها ما يلي : « اسمحوا لي ان أشكركم الشكر الجزيل كما ارجو ابلاغ امتناني بواسطتكم الى جامعة الدول العربية الموقرة ، لهذا الكرم والمنة التي تختصون بها طلاب العلم واللغة العربية وخاصة فى بلد بعيد عن مهد العروبة — الديار الهندية — والتي ظلت تعمل جديا بكل نشاط واخلاص ، للنهوض بهذه اللغة الشريفة ونشر لوائها فى هذه الديار ، ورغم تقلبات الزمن لا تزال توجد عندنا جامعات ومعاهد عربية كبرى تتحمل مسؤولية تثقيف الجيل الناشىء الاسلامي بالثقافة الدينية الاسلامية العربية من ناحية، ومن ناحية أخرى تقوم بتعليم الطلبة اللغة العربية وآدابها ، بحيث يتمكنون من اتقانها قراءة وكتابة وكلاما . والى جانب هذه المعاهد والجامعات الدينية التي تضاهي بعضها جامعة القرويين ، والجامع الأزهر ، مثل دار العلوم ديوبند ودار العلوم لندوة العلماء ، توجد عندنا جامعات عصرية اسلامية ايضا، مثل الجامعة الملية الاسلامية بدلهي الجديدة والجامعة الاسلامية بمدينة عليجرة ، والجامعة العثمانية بمدينة حيدرآباد بجنوب الهند ، التي تتولى مهمة تدريس اللغة العربية الى جانب تدريسالعلوم والمواد العصرية الأخرى »

ويضيف الأستاذ الندوي قائلا : « وقد أثمرت الجهود التي بذلتها الأمة الاسلامية فى الهند بواسطة هذه المعاهد والجامعات ، أن الهند لم تزل توجد بها نخبة مختارة من المتضلعين باللغة العربية والملمين بها ، فأنجبت علماء وادباء وشعراء ، كان لهم القدح المعلى فى دنيا الأدب والفن ، تفيض بذكرهم اقلام كبار الأدباء العرب والعلماء ، **ولست مغاليا اذا قلت ان التعاون الذي نحظى به من جانبكم فى هذا الحقل يحفزنا الى المزيد من العمل الجدي المثمر ويشجعنا للمضي قدما نحو الأمام فى هذا المضمار .**

وانني اذ اشكركم على حسن صنيعكم بنا هذا ، **اعبر عن تقديري للجهود الجبارة التي تبذلونها نحو انماء ثروة اللغة العربية بتعريب المصطلحات الأجنبية الحديثة ، والقيام بدراسات قيمة ثمينة حول مختلف الموضوعات والمواد المتعلقة بتطور اللغة العربية** وازدهارها عبر تاريخها المديد الزاخر فجزاكم الله عن اللغة والعروبة خير الجزاء » .

« واللسان العربي » اذ تشكر الأستاذ الندوي عن هذه المعلومات القيمة التي وافانا بها عن النشاطات العلمية والجامعية التي يضطلع بها علماء الاسلام فى الهند — والتي ننشرها تعميما للفائدة — تتمنى ان يمدها دائما بكل جديد فى الموضوع .

※ ومن دلهي الجديدة كذلك وجه الينا الاستاذ سيد نثار علي الأمين العام لاتحاد عمال دار الأدوية همدرد . الخطاب التالي : « يسرني أن اعرفكم بدار المطالعة التي تجري تحت اشراف — اتحاد عمال دار الادوية — همدرد — الشهيرة الذي يبلغ عدد اعضائها الى حوالي الف عضو واكثرهم ينتمون الى الاسلام وهم ميالون الى قراءة الجرائد والمجلات الخاصة بالآداب واللغة والعلوم ولما وفقنا لرؤية مجلتكم « اللسان العربي » الموقرة وجدناها مفيدة للغاية ومزودة بمعلومات وافية عن اللغة العربية الحبيبة ومختلف العلوم » .

※ ومن ولاية كيرالا جاءتنا رسالة رقيقة من الاستاذ محمد بن علي محمد يقول فيها : « لقد وجدت فرصة طيبة لرؤية المجلد السابع من مجلتكم الغراء « اللسان العربي » حينما تضيت مدة شهر فى الجامعة العثمانية بحيدر آباد ، ولم اضع هذه الفرصة الذهبية فطالعتها صفحة صفحة بلذة واعتزاز ، وانني موقن ان هذه المجلة الجليلة تعمل على انماء ما لدينا من العلم فى اللغة العربية والقرآن المجيد هنا فى الهند » .

كاليفورنيا :

لفظ محرف عن لفظتين اسبانيتين معناهما الفرن الحامي ولا يبعد أن يكون ذلك عربيا : كالي = قالي فورنيا = القرن (الواسطة فى أخبار مالطة ص 94)

حول ثورية التعريب

الأستاذ سعيد الديوه جي
(الموصل)

توصل مدير المجلة بالرسالة الآتية :

أستاذنا الجليل عبد العزيز بنعبد الله المحتـــرم

بعد تقديم الاحترام : قرأت بحثكم القيم « ثورية التعريب » وهو من اجمل ما قراته في هذا الباب ، لما فيه من حجج دامغة ، صفعتم بها دعاة التفرقة ، واذناب الاستعمار ، الذين تناسوا انفسهم ، وباعوا ضمائرهم ، وصاروا يواكبون كل داع الى التفرقة والانقسام ، لقاء دريهمات تلقى اليهم ، وخانوا امتهم ــ ان كانوا عربا ــ ولا أخال انهم يمتون الى العروبة بسبب . وبدا لي بعض الملاحظات خلال قراءتــي هذا البحث الطريف ، ارجو ان تسمحوا لي بتقديمها اليكم ولكم مني مزيد الاحترام .

اللغة العربية لغة اعراب ، فاللفظ الواحد تتغير حركته بالنسبة لموقعه من الكلام ، بخـــلاف اللغــة التركية ، فهي لغة تكون الفاظها ساكنة الآخر مهما تبدل موقعها من الكلام ، فالتركي يكتب كما يلفـــظ ، ولا يلتبس ما يكتبه على من يقراه .

واما اللغة العربية فانها ليست كذلك ، فاذا كتب بالحرف اللاتيني من كان جاهلا بقواعد اللغة العربية ، فانه يكتب كما يلفظ ، وقد يكون ما كتبه خطأ ، فيقرأ من كتب له خطأه من غير ان يشعر ، وعلى هـــذا فان الامر يلتبس على القارىء ، ولربما فهم عكس ما أراد ان يعبر عنه الكاتب .

فاذا اردنا ــ مثلا ــ ان نبين « ضرب احمــد محمدا » وكتب من لم يحسن قواعد اللغة العربيــة ضرب احمد محمد Daraba Ahmada Mohammado من غير ان يعلم سبب كتابته ، ومن يقرأ هذا يستفيد عكس ما أراد ان يبينه الكاتب ، ولا يخفى ما يحصـــل بهذا من ارتباك وفهم سقيم وضياع حقوق فيصبــح الطالب مطلوبا . وعلى هذا فمن لم يعرف قواعد اللغة العربية فانه لا يتمكن ان يكتب ــ بالحرف اللاتيني ــ لغيره ما يريد ان يقرره ، فيوقع القارىء في خطـــا وارتبـــاك .

كما ان الكتابة بالحرف اللاتيني تكون اطول ممـــا هي في الحرف العربي ، لان كل حركة يعبر عنها بحرف فيتضاعف عدد الحروف في الكلمة الواحدة ــ كما تبين لنا من الجملة السابقة ــ والامم تسعى في هذه الايام الى اختزال الكتابة ، حفظا للوقت ، ودفعا لسآمـــة القارىء . والمأجورون يدعون الى تشويه ما في لغتنا من جمال الحروف ودقة واختصار .

وقد لاحظت بنفسي في عدة اجتماعات مع علماء من الاتراك ، ان الاتراك الذين كانوا يكتبون في الحرف العربي ، ثم حملوا على الكتابة بالحرف للاتيني ، كانوا في كتابة الملاحظات وجمع المعلومات يكتبون بالحرف العربي ، وسألت بعضهم عن سبب كتابتهم بالحرف العربي في مثل هذه المناسبات ، فكان جوابهم : الاختصار ، وسألت بعض علمائهم عن سبب ترك الحرف العربي والعدول عنه بالحرف اللاتيني ، فكانوا يظهرون الاسف ويحجمون عن ذكر السبب .

ونحن نعلم ان الذي حمل مصطفى كمال على هذا التبديل : انه اراد ان يقطع الصلة بينهم وبين الماضي يوم كانوا يتولون الخلافة ، ولهم زعامة العالم الاسلامي، وحماة الحرمين الشريفين فأبعدهم عن حظيرة الاسلام وقطعهم عن ماضيهم ، وصبغهم بصبغة اوربية ، وكان له ما اراد ، انما فعل هذا لامر سياسي ، بأن ينشيء جيلا لا يعرف عن ماضيه شيئا الا ما يسطره له الموجهون بالحرف اللاتيني ، بعيدا عما في تراثه من علم وادب وفن ، لانها صارت بعيدة عن متناولهم . فاذا ما حدثت احدهم عما في خزائن كتبهم — التي هي مكتوبة بالحرف العربي — من علم وفن ومعرفة ، فانهم يظهرون استغرابا ودهشة واسفا ، لعدم معرفتهم مآثر اجدادهم ، كأنما حدثتهم عن امر كان مطمورا واستظهر بعد بحث عنه ، وهو كذلك عندهم .

على ان التراث التركي اكثره من العرب والفرس، ولا يقاس بالتراث العربي الزاخر ، في شتى العلوم والفنون والمعارف ، فهو تراث الانسانية جمعاء .

ودعاة هذه الحركة هم مأجورون ، يدسون السم في الدسم ، وهم — كما تفضلتم — يدرسون ويخططون ويصممون ، ويحسبون انهم يحسنون صنعا ، وانما هم يخبطون ويخلطون ، ويعلمون حق العلم ان عملهم باطل لا يجدي نفعا ، تجاه لغة لها حماتها ، ولها ركنها القويم الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم » .

وقد مر على اللغة العربية أدوار عصيبة ، كانت اشد سوءا مما يدعو اليه هؤلاء المأجورون ، ولكنها صمدت امام موجات التتر والمغول وغيرهم من الامم الاعجمية ، ثم ما لبثت ان طغت على لغتهم ، وحملت القوم على تعلمها وتذوقها ، واخذوا يتفاخرون بما ينتجونه في لغة القرآن ، وهكذا خرجت ظافرة منتصرة على كل الغزاة ، وصهرت لغاتهم ومعتقداتهم ، وجعلتهم عربا في اللغة مسلمين في الدين يتلون كتاب الله في عباداتهم ، ويتحادثون في لغته ويؤلفون بها مختلف الكتب ، ينظمون الشعر ويعانون الادب ، فكانوا حماتها وعلماءها وشعراءها .

هذه اللغة التي يفخر بالحفاظ عليها كل عالم يؤمن بوحدة الدين واللغة ، لا ان نكون شعوبا وقبائل ، تفرق بيننا رطانة العامية ، وتجعلنا لقما سائغة لكل طامع .

الم يعلم هؤلاء الدجالون المضللون : أن من اسباب نهضة العرب — قبيل الاسلام — هو القضاء على اللهجات العربية التي كانت في قبائل العرب ، وان لغة قريش كان لها الفضل في ذلك ، بأسواق الادب التي كانت تقام وتنشد الاشعار فيها بلغة قريش ، وفي الاجتماعات التي تكون في مواسم الحج والتجارة ، فان لغة قريش كانت اجمل اللغات العربية ، سادت وانتشرت بين القبائل فكانت لغة الجزيرة العربية : لغة الشعر والخطابة والمفاخرة والمنافرة ... الخ .

ثم نزل القرآن الكريم بها فكانت لغة الدين والعلم والادب ، وكانت وحدة شاملة جمعت العرب ووجهتهم الى ما فيه سعادة الدارين ، وانتشرت في اقطار الشرق والغرب .

وعلى هذا فان توحيد اللهجات العربية وذوبانها في لغة قريش كان من اقوى اسباب النهضة العربية الاسلامية . بها انزل القرآن الكريم ، وبها فصلت احكامه ، وبها دونت العلوم والفنون والمعارف ، فكانت لغة الدين والعلم .

وان عملاء الاستعمار ومن لف لفهم ، ينفخون في ابواق قد اعدها لهم غيرهم ، من اعداء العرب والاسلام ويأتون بأصوات منكرة بعيدة عن الحقيقة والواقع ، وهم يوهمون انفسهم بأنهم يوقعون انغاما شجية تهز العرب ، وتفرقهم شذر مذر ، وهذا ما لا يكون ، فالحق يعلو ولا يعلى عليه ، وللغة العربية اهل يعتزون بها ويحمونها ، ويركنون الى كتاب الله العزيز الذي كان ولم يزل السند القوي لها في كل العصور .

فاللغة العامية لا تصمد أمام اللغة الفصحى ، خاصة كاللغة العربية الاصيلة التي قد تعهدها أهلها ، وحرصوا على تبسيطها ونشرها في اختلاف المجالات، وجعلوها لغة العلم والادب في المعاهد العلمية ، ولغة الصحافة والاذاعة ، فانها على مر الايام تقضي على الكثير من الاصطلاحات والكلمات الدخيلة التي تغلغلت فيها . وليس ببعيد أن نرى يوما ما اللهجات العامية

في اختلاف البلاد العربية قد قربت من اللغة الفصحى، وتقاربت مع بعضها .

اذا رجعنا الى ما كانت عليه لهجاتنا العامية — قبل نصف قرن — وما كان فيها من رطانة والفاظ دخيلة من اختلاف اللغات الاعجمية ، مما يمجها الذوق، فكنا نتكلم بها ولا نعلم معناها ، ثم ما هي عليه اليوم لهجاتنا العامية من نبذ تلك الالفاظ الدخيلة والتعابير الأعجمية . ولو كلمنا احد اولادنا بما كنا نتكلم به قبل نصف قرن لأشكل عليه فهم كثير من التعابير والالفاظ التي كانت في لغتنا العامية . وكان هذا التقارب بينها وبين الفصحى بنشر اللغة وتعليمها في المعاهد المختلفة ، وتأثير الصحافة والاذاعة والتلفزيون وغير ذلك مما يذاع باللغة الفصحى .

فاللغة العربية كانت ولم تزل من اجمل اللغات وأوسعها ، الم تكن لغة العلم والفلسفة والفن والادب في الشرق والغرب ؟؟ الم يدرس بها علوم الفلسفة والطب والرياضيات في جامعات اوربا ؟؟

فكيف تضيق اليوم عن التعبير بما عبرت عنه يوم كانت لغة العلم والدين والسياسة في اكثر اقطار العالم .

فهل عجزت اللغة او قصرت في ترجمة كتب الامم التي تقدمتها من مختلف العلوم والفنون ؟ الم تكن ادق تعبيرا عما في غيرها من اللغات ؟ ولم يزل ما وضع فيها من الفاظ واصطلاحات لمختلف العلوم والفنون باقيا في لغات الشرق والغرب ، يشهد بدقتها وسعتها ومطاوعتها للتعبير في اختلاف العلوم وشؤون الحياة .

هذا قليل من كثير عما كانت — ولم تزل — عليه لغتنا « أم اللغات » من سعة وجمال ودقة وكمال ومطاوعة في مفرداتها وتعابيرها ، وجمال في كتابتها ، وهي صامدة أمام كل عميل وداع الى الضلال .

قد احتضنت ابناءها العرب تحت راية القرآن ، وهم فخر معتزون بهذه الأم الحنون التي كانت ولم تزل من اهم اسباب جمع كلمة العرب وتوحيدهم والسير بهم في سبل الحق والعلم والهداية .

البحث (العلمي)

روي ابن الانباري (طبقات الادباء ص 127) ان المامون امر الفراء ان يؤلف ما يجمع به اصول النحو وما سمع من العرب وافرد له حجرة وصير له الوراقين والمنفقين لامداده ووكل به الجواري والخدم فصنف كتاب المعاني ثم خرج فأملاه على الناس .

عن التعريب وقضاياه

لقاء مع الدكتور أحمد سعيدان مندوب الأردن في المكتب الدائم لتنسيق التعريب.

أجرى الحديث : محمد محمد الخطابي

الدكتور احمد سعيدان عضو اللجنة الاردنية للترجمة والنشر والتعريب ، واستاذ الرياضيات بكلية العلوم بالجامعة الاردنية ، ومندوب المكتب الدائم للتعريب في الاردن ، من الشخصيات المعروفة العاملة في الميدان العلمي العربي والتي اعطت نتاجا طيبا منذ تخرجه من انجلترا (قسم الرياضيات) له عدة تآليف ، كما حقق غير قليل من المخطوطات التي لها علاقة بميدان تخصصه الرياضيات ، ولقد قضى نحو عشرين عاما في السودان يدرس الرياضيات العليا ، وبمناسبة انتهاء مدة اعارته للمكتب الدائم لتنسيق التعريب حيث كان يقوم بمراجعة عامة لمعجم الرياضيات الذي كان قد اعده المكتب اجريت مع سيادته الحديث التالي :

— السيد الدكتور سعيدان بصفتكم عضوا في اللجنة الاردنية للترجمة والنشر والتعريب ، هل لكم ان تحدثونا عن هذه اللجنة وعن النشاطات المختلفة التي تضطلع بها ؟

« تضم هذه اللجنة في الوقت الحاضر اربعة عشر عضوا من الاردنيين ذوي الانتاج الفكري المتصل في حقول الآداب والعلوم والتقنيات واهم ما تضطلع به اللجنة في الوقت الحاضر .

1 — الحصول على نسخ من المخطوطات العربية القيمة التي لم تنشر بعد محققة تحقيقا علميا ، والعمل على نشرها .

2 — ترجمة ما كتب عن الفكر العربي في اللغات الغربية وترجمة الجيد من الفكر العربي الى بعض اللغات الغربية .

3 — ترجمة مختارات من الكتب العلمية والتقنية الى العربية .

4 — ترجمة روائع الفكر العالمي الى العربية .

وتبذل اللجنة محاولة جادة في سبيل التطور بغية ان تصبح عن قريب مجمعا لغويا علميا يساهم مع المجامع العربية الاخرى في خدمة اللغة والفكر » .

— هل لي ان اسالكم عن رايكم في نشاط المكتب الدائم للتعريب ودوره في خدمة قضايا التعريب على ضوء ما قمتم به طوال المدة التي قضيتموها فيه ؟

« ان ضخامة الانتاج القيم الذي صدر عن هذا المكتب رغم امكانياته المحدودة دليل على أن المكتب يؤمن برسالته محددة وقد عقد العزم على تأديتها ، اما عن قيمة المهمة التي يضطلع بها المكتب وهي تنسيق التعريب في الوطن العربي فيكفي أن استشهد بما حدث في السنتين الاخيرتين في الرياضيات .

لقد عمدت اليونيسكو الى تطوير الرياضيات فى مرحلة الدراسة الثانوية فى البلاد العربية ، فعملت على تكوين لجان محلية تتدارس الرياضيات الحديثة ووسائل احلالها محل الرياضيات التقليدية ، ثم أعدت كتابا فى الرياضيات الحديثة بثلاثة اجزاء ليكون كتاب الرياضيات المدرس فى المرحلة الثانوية فى العالم العربي . وضع الكتاب بالانجليزية وعهد الى لجنة الرياضيات العراقية بترجمته الى العربية ، والرياضيات الحديثة فى المرحلة الثانوية تضم زهاء ثلاثمائة مصطلح حديث وضعت لها اللجنة العراقية مقابلات عربية لم ترتح لها اللجان الاخرى فكان ان قامت كل لجنة بعرض مادة الكتاب بالطريقة التي وجدتها اكثر ملاءمة لظروفها ، وهكذا صار لكتاب اليونيسكو ترجمة عراقية واخرى كويتية وثالثة اردنية ورابعة مصرية ، هذا بالاضافة الى ان سوريا رات ان تبدا الرياضيات الحديثة قبل صدور كتاب اليونسكو فوضعت كتبها الخاصة بها . وربما كانت هنالك ترجمات أخرى لكتاب اليونسكو لا اعرفها ، وهذه الترجمات تتفق فى كثير من المقابلات العربية للمصطلحات الحديثة ولكنها تختلف فى كثير منها ايضا ، فما سميناه نحن « المجموعة » سمي فى مصر « فئة » وما سمته مصر والاردن « بالمجال » سمي فى سوريا « المنطلق » ، بل ان الرموز الرياضية نفسها قد تباينت فى هذه التراجم فمن ذا الذي يتصدى لعرض هذا كله عرضا منسقا منظما كي تبقى البلاد العربية قادرة على التفاهم ذات بينها فى نطاق الرياضيات ؟

— هل لي ان أعرف من سيادتكم مدى صدى المكتب فى المشرق العربي ؟

« لا شك ان الذي يتاح له ان يطلع على اي عدد من اعداد مجلتكم (اللسان العربي) الفذة ، يكبر هذا الجهد الذي تبذله فى سبيل خدمة اللغة العربية ودراسة قضاياها المختلفة دراسة موضوعية هادئة بعيدة عن الانفعالات وعن تنميق العبارات ، ولكن لا اكتمك انني طوال عملي فى السودان لم اسمع عن مكتبكم ، وقد بدات أسمع عنه واقرا عنه عندما عدت الى الاردن والحقت باللجنة الاردنية للتعريب . وفى رايي انه لا يعيبكم من قريب ولا من بعيد ان القلائل هم الذين يعرفون عنكم ، فانتم تعملون فى صمت ولكنه صمت فعال أبلغ من الكلام ، واذا كانت القلة هي التي تعرفكم الآن فان هذه القلة ستكثر ، ثم انها هي القلة الفعالة ذات الشأن فى خدمة اللغة العربية والفكر العربي » .

— علمت من خلال الكتاب الذي اصدرته لجنتكم العاملة بمناسبة مرور احد عشر عاما على انشائها ، ان علاقتها بالمكتب علاقة جد وثيقة هل لكم ان تعطونا فكرة عامة عن هذا الترابط المتين ؟

« انبثقت فكرة انشاء اللجنة الاردنية للترجمة والنشر والتعريب فى الرباط ، فمؤتمر التعريب الذي انعقد فى الرباط سنة 1961 كان من توصياته انشاء شعبة وطنية للتعريب فى كل بلد عربي تكون صلة بين هذا البلد وبين المكتب الدائم للتعريب ، على اثر ذلك اصدرت وزارة التربية والتعليم فى الاردن قرارا بتأسيس اللجنة الاردنية ، وقد حافظت هذه اللجنة على اتصالها بالمكتب الدائم للتعريب منذ انشائها ، كما أوصى بذلك مؤتمر الرباط ، وان انتدابي من قبل لجنة التعريب الاردنية للعمل فى المكتب ومراجعة معجم الرياضيات لثمرة من ثمار هذا الاتصال المبارك بين مكتبكم فى الرباط ولجنتنا فى عمان » .

— تعلمون انه فى نهاية العام القادم سينعقد بالجزائر الشقيقة المؤتمر الثاني للتعريب ، هل لكم ان تحدثونا عن أهمية هذا المؤتمر وعن قضية التعريب عامة ؟

« فى تقديري ان هذا المؤتمر سيكون هو موسم القطاف بالنسبة الى جهودكم طوال هذه السنين ، فانتم تجمعون ، تجمعون المصطلحات العلمية بالفرنسية والانجليزية ثم تنقبون عن المقابلات العربية التي تستعملها الاوساط المختلفة فى الوطن العربي المترامي الاطراف ، فان لم تجدوا مقابلا اقترحتم من عندكم وحسب اجتهادكم وهذا كله ستضعونه امام مؤتمر الجزائر سنة 1973 أملا فى احد امرين كل منهما خير : فاما ان توحد المصطلحات كلها أو بعضها . وهذه خطوة فى سبيل الوحدة الثقافية ذات شأن ، واما ان تتمسك اقطار بمصطلحاتها وهذا ايضا خير اذ انه ينطوي على وحدة الفهم . اذا كنا – انا وانت – نسمي هذه سيجارة فاننا نستطيع ان نتفاهم عند الحديث عنها ، وكذلك نستطيع ان نتفاهم اذا علمنا انك انت تسميها لفافة واسميها انا دخينة ! ان لم يخل مؤتمر الجزائر الا عن تحديد المصطلحات فى الاقطار العربية المختلفة حتى دون توحيدها ، كان فى ذلك خير كبير .

أما الحديث عن قضية التعريب عامة فحديث طويل ذلك ان الناس اختلفوا حول هذه القضية بين مؤيد ومعارض ومستهتر بها مقلل لشأنها ، وفى تقديري ان الذي يحلل الموضوع الى عناصره الاولية لا يمكن ان يقف من التعريب موقف المعارض له أو المستهتر به .

ان العلم ماض فى سبيله سواء عربنا أم لم نعرب، وطلاب العلم فى مستوى الباحثين ماضون ايضا فى التعلم والبحث ، ولان العلم الآن يصنع فى البلاد المتقدمة فلا مناص لهؤلاء الطلاب من معرفة لغة هذه البلاد كي يتسنى لهم ما يبتغون من تعلم وبحث ، انني ـ شخصيا ـ من الداعين الى فتح كل النوافذ للفكر العالمي وأتمنى لو علمنا ابناءنا أكثر من لغة أجنبية واحدة حتى يعمل الباحثون منهم فى المستقبل على ادخال جميع ضروب الفكر الجيد الى العالم العربي .

ولما كان الفكر الحاضر يصنع فى البلاد المتقدمة ـ كما اسلفنا ـ فان مصطلحات هذا الفكر ما وضع منه وما لم يوضع هي بالبداهة بلغة غير العربية ، هذه المصطلحات لا مناص للجامعيين من ابنائنا من معرفتها. وحتى هذا الحد لا يرد فكر التعريب ، ولكن المرء يبدأ يستشعر الحاجة الى التعريب فى مستويين دون مستوى التخصص والبحث هما مستوى الحياة اليومية ومستوى الدراسة التي تسبق التخصص . ان بعض نتاج العلم ينزل الى الشارع ويغدو من لوازم الحياة اليومية كالاسبرو مثلا والتلفزة ، ما دام الاسبرو قد عرف كدواء الصداع وما دام الناس يصابون بالصداع فلا بد لهم من استعمال الاسبرو ومن ثم لا بد لهم من ذكره والتحدث عنه والأسبرو اسم لدواء وهو اسم لا يتغير بتغير اللغات فلا بد من ان يستعمل بالعربية كما يستعمل بغير العربية ، ولفظة اسبرو لفظة حقيقة لا يمجها ذوق العربي العادي . وليست بخفتها لفظة تلفزيون ومن ثم لا بد من تحوير طفيف فى هذه اللفظة يجعلها أقرب الى جرس العربية ما دامت فرضت نفسها على حياتنا اليومية ، وهذا ما جاء بكلمة تلفزة التي فيها من عربية الجرس ما يمكننا ان نشتق منها يتلفز ومتلفز وربما غير ذلك من الاشتقاقات .

ان المصطلحات المستحدثة التي تفرضها الحضارة اليومية على رجل الشارع لابد من النظر فى اخضاعها للقياس العربي فان لم تتكفل هيئة بهذا الاخضاع قام بذلك رجل الشارع نفسه ، غير ان اي هيئة تتصدى لتعريب المصطلحات ينبغي أن تعلم ان القول الفصل للشارع فهو قد يستسيغ ما تقول وقد لا يستسيغ فيرفضه .

والمجال الثاني والاهم الذي يلزم فيه التعريب هو حقل التعليم الذي يسبق مرحلة التخصص ، هذا هو التعليم الذي يميز المجموعة المتعلمة عن الاميين وانصاف المتعلمين ، وحتى يؤتي هذا التعليم ثماره ينبغي أن يكون بلغة البيت والا صار المتعلم ذا ازدواجية غريبة يبدو متعلما فى المدرسة وأميا فى الشارع ، وليس فى هذا مبالغة ولكنه امر لمسته شخصيا من خلال ممارستي الطويلة للتعليم ، ولكن الوقت لا يتسع للافاضة فيه » .

اللغة العربية الفصحى والعامية (1)

للأستاذ فولكهارد فيندور

نشرت مجلة « رسالة المعلم » (العدد الثالث 1972 م) مقالا للاستاذ فولكهارد فيندفور ننشره فيما يلي :

اللغة العربية كائن حي ، وهي تخضع لتغييرات شبيهة بالمراحل التي يمر بها الكائن الحي ، ومن هنا يتضح لنا ، ان الازدواجية بين لغة فصحى وبين لغة محلية ، ظاهرة تتصف بها كل لغات العالم .

وقد يبلغ البون ، بين اللغة الفصحى واللغة الدارجة مبلغا عظيما ، كما هو الحال في اليابان واليونان مثلا ، وقد يكون الفرق بين الصورتين للغة الواحدة بسيطا ، مثل الفرق بين اللغة الروسية الفصحى واللغة الروسية العامية .. وقبل الدخول في تحليل موقف العربية من هذه المشكلة، يجب الاخذ بعين الاعتبار ان الفارق بين اللغة العربية الفصحى واللغة العامية ، اي اللهجات العربية المحلية اقل منه بين اللغة الالمانية الفصحى واللهجات الالمانية المتعددة على سبيل المثال ... وهناك من يرى المشكلة في الشكليات ويدعو الى التفريق بين « اللغة » و « اللهجة » ، باعتبار اللهجة أقرب الى اللغة الفصحى من « اللغة » العامية ، غير انني اعتقد ان البت في الامر لا يجدي كثيرا ولا يساعد على توضيح جوهر الموضوع، فان اللغة الهولندية مثلا مجرد لهجة المانية في نظر بعض اللغويين ، في حين يصر أهل هولندة على وجود لغة هولندية مستقلة .

وأول ما نلاحظ على الوضع اللغوي في العالم العربي ، هو وجود لهجات عربية عديدة ، يستعملها الناس في التحدث دون اللغة الفصحى . فالاخيرة تعتبر لغة الكتابة التي لا يتكلمون بها الا في ظروف معينة ، كالخطب الملقاة في المناسبات المختلفة والبرامج الاذاعية والتلفزيونية والمسرحيات المختلفة ذلك ، ويمكن القول ، ان اللغة الفصحى لم تدخل بعد جميع مجالات الحياة بتلك الصورة التي توغلت بها اللغة العامية الى كل أوجه حياة الانسان ، ومما ادى الى توسيع الشقة بين الفصحى والعامية ، ان احدا لم يبذل جهدا يذكر من اجل التقريب بينهما ، والدليل على ذلك التطور ، قيام دور السينما بعرض الافلام الناطقة باللغة العامية ، وتفضيل عدد من مؤلفي المسرحيات الكتابة باللغة العامية ، بدلا من اللغة الفصحى .. والامثلة كثيرة ومعروفة لدى الجميع .

وقد عظم شأن اللغة العامية ، الى درجة تدعو الى القلق ، اذ ان الكثيرين يحررون رسائلهم بالعامية وزحف العامية لم يتوقف في المدارس والجامعات ، بدليل ان معظم المعلمين والاساتذة يحدثون تلاميذهم وطلابهم باللغة الدارجة وليس بالفصحى كما هو المفروض .

ومن المعروف ان اللغة الالمانية الفصحى ، حديثة العهد .. فهي قد نشأت في القرن السادس عشر ، عندما قام مارتين لوثر ، بترجمة الانجيل الى احدى اللهجات الالمانية المنتشرة انذاك .

أما اللغة العربية الفصحى ، فكانت موجودة منذ زمن اطول بكثير ، صحيح ان عرب الجاهلية لم تكن لهم

(1) ننشر هذا البحث القيم ضمن نشاط المكتب الدائم لانه يعبر عن نفس الفكرة التي أوضحناها في كتاب الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله « حول تفصيح العامية » .

لغة موحدة تماما ، وصحيح ايضا ان لغة قريش لم تتغلب على بقية اللهجات المتداولة فى شبه جزيرة العرب الا بعد نزول القرآن الكريم واهتداء الناس الى الاسلام ولكن مما لا شك فيه ان القدامى كانوا يستعملون اللغة العربية الفصحى فى نظم الاشعار والقاء الخطب . ويؤمن بعض العلماء بأن اللهجات العربية نشأت عن لغة عربية موحدة ، كانت بمثابة اللغة الام ، وقد انقرضت هذه اللغة الاصلية وتفرعت الى لهجات . غير أن البعض الآخر يؤكد ان القبائل العربية لم تتكلم قط اللغة الفصحى طوال تاريخها العريق بل كانت تلجأ اليها لاغراض محدودة . أي ان اللغة الفصحى كانت مصطنعة وليست وليدة حياة المجتمع العربي القديم .. وما زال العلماء يختلفون حول هذه المسألة ، ولكنهم يجمعون على وجود اللهجات العربية ، الى جانب اللغة الفصحى منذ فجر التاريخ .

وقد نتجت الفتوحات العربية عن انضمام دول كثيرة الى الامبراطورية الاسلامية العربية ، كان سكانها يتكلمون اللغات الاجنبية المعروفة فى المنطقة وهي الفارسية واليونانية والقبطية . ولم يلبث ان اصطبغت اللغة العربية التي ادخلها العرب الى الاقطار المفتوحة ، باللغات المذكورة (حسب المنطقة) وبذلك تبلورت اللهجات العربية المحلية كما نعرفها اليوم ، وان طرات عليها بعض التغييرات بمرور الزمن . ولكن اللغة العربية الفصحى لم تمت ، بل صمدت فى وجه التيار الجارف للهجات العربية المختلفة . واظن ان السبب الرئيسي فى بقائها ، انها لغة القرآن الكريم . وهذه الظاهرة الفريدة فى نوعها ، لم تتكرر فى التاريخ .. وحتى اللغة اللاتينية التي كانت اللغة الرسمية لاعظم دولة عرفها التاريخ القديم ، لم تتمكن من مقاومة اللهجات الرومانية التي حلت محلها شيئا فشيئا .

ان اللغة العربية الفصحى لم تمت ـ ولكن الضعف السياسي الذي كانت تعانيه الامة العربية لمدة قرون طويلة ، اسفر ايضا عن ضعف فكري ، الامر الذي انعكس فى ركود تام فى حياة اللغة العربية ، لا سيما اثناء الاحتلال العثماني . وفى حين نشطت الحركة العلمية فى اوربا وتركت آثارها فى اللغات الاوربية الحديثة التي تطورت وتمشت مع التقدم العلمي ، بات العالم العربي معزولا عن كل حركة فكرية او علمية ، ونزل مستوى اللغة بصفة عامة . وبعد انهيار الدولة العثمانية توالت على العالم العربي فترات مختلفة من الاحتلال الاجنبي . ومن الطبيعي ان الاستعمار الانجليزي والفرنسي والايطالي لم يشجع قيام نهضة ثقافية ولغوية بالتالي ، بل بالعكس .. لقد حاول الاجانب صرف العرب عن ثقافتهم ولغتهم واسسوا المدارس والمعاهد المكلفة بنشر لغتهم وثقافتهم .. اضف الى ذلك ان العلوم الحديثة ومتطلبات الحياة العصرية ، هي التي سهلت سياسة الاستعمار واحلال اللغات الاجنبية محل اللغة العربية الفصحى فى التعليم العالي والثانوي على الاقل . وقد وصل الامر الى أن بعض العائلات العربية ، ارسلت أبناءها الى المدارس الاجنبية ، حيث تعلموا اللغة العربية الفصحى باعتبارها لغة اجنبية !! . ولكن لا يمكن انكار حاجة اللغة العربية الى الاستحداث من حيث المصطلحات العلمية وسهولة التعبير ومرونته حتى تستطيع ان تؤدي وظيفتها كاملة بمراعاة ظروف العصر الذي نعيش فيه .. غير ان الامر بسيط والنقص المشار اليه ليس نقصا فى طبيعة اللغة ، بل هو راجع الى القرون الماضية .

وقد يدعو الى الدهشة أن بعض الكتاب العرب يذهبون الى أن اللغة العربية الفصحى ، قد فرغت من مهمتها ولا يمكن الاعتماد عليها فى مواجهة العصر الحديث . ومن جملة هؤلاء الاستاذ سعيد عقل ، مفكر لبنان المعاصر ، والشاعر اللبناني يوسف الخال ، وبعض الكتاب المسرحيين المصريين . فهم يقولون ان اللغة العامية اقرب الى الحياة من اللغة الفصحى . ومنهم من يكتب خليطا بين العامية والفصحى .. ومن الطريف ان محمود تيمور ، هو الآخر شعر بحيرة أمام هذه الازدواجية فى اللغة ، وكتب مسرحية « المزيفين » مرة باللغة الفصحى ومرة أخرى باللغة العامية فى انتظار راي الجمهور .

ويطالب بعض الكتاب بضرورة « التحرر » من سيطرة اللغة الفصحى الميتة والتمسك بالعامية ، وبذل المجهود لتطويرها حتى تصبح قادرة على التعبير عن كل شيء . وهناك من ينادي بتصحيح اللغة الدارجة ورفعها الى مستوى الفصحى فى حين يدعو بعض اللغويين مثل الدكتور انيس فريحة الى تبسيط اللغة العربية الفصحى ، كحذف علامات الاعراب وترك بعض الاساليب النحوية المعقدة .. ولن يكون مثل هذا التحريك المحاولة الاولى ، فان اللغة العربية استفادت فائدة جمة من جراء الترجمات وادخال المفردات والتركيبات اللغوية الجديدة أيام العباسيين ، وقد اصبحت اللغة العربية بعد ذلك ، لغة غنية جدا ،

كانت تستوعب جميع المعاني والافكار ، بل وقد أصبحت لغة العلم الاولى بفضل ما اضفي عليها من ألوان التجديد والاثراء .

ويقول الاديب المصري الكبير طه حسين ، انه من انصار اللغة الفصحى ، لانها قادرة على التعبير عن كل المعاني لو احسن استعمالها . هذا بصرف النظر عن كون اللغة الفصحى ، من أهم الروابط التي تشد العرب بعضهم الى بعض . ويقول المفكر الالماني المشهور « فيشته » : « ان اللغة اهم الروابط التي تجمع بين أفراد الامة » . .

ولو عملنا على تعظيم شأن العامية فى كل بلد عربي ، لأصبح التفاهم بين ابناء الامة العربية أصعب فأصعب ، ولاتجهت الثقافة العربية اتجاهات مختلفة ، ولتهدد الكيان الثقافي والحضاري العربي كله بأخطار جسيمة على اية حال ، بيد ان المسؤولين انتبهوا الى هذه الاخطار ، واذا استمر التطور التعليمي والثقافي الحالي فى البلدان العربية او نشط الى طفرات أبعد ، أمكن علاج ما اطلقوا عليه عدم مسايرة اللغة العربية الفصحى للعصر الحديث .. ان التطور السريع حقا ، ورفع المستوى اللغوي رهن برفع مستوى التعليم ، الامر الذي يسهل التأكد منه بالمقارنة بين لغة المثقفين وبين لغة الفئات الاخرى من الشعوب التي لم تنل قسطا كافيا من التعليم ، مع العلم ان النهوض باللغة لا يقتصر على استعمال مصطلحات جديدة فحسب ، بل يصل الى العمق اى الاحساس اللغوي كليا .

وموضوع آخر لا بد من التعرض له فى هذا الصدد : يعتبر اقتصار معرفة اللغة الفصحى على قلة من الناس من العوامل الاليمة التي تفصل بين طبقات الشعب ، ولذلك أرى أن تعميم اللغة الفصحى ، يجب ان يشمل جميع أبناء الشعب ، فان الطبقية فى التعليم عامة وتعليم اللغة خاصة ، اجنبية كانت ام اللغة الفصحى البعيدة عن الجماهير ، تؤدي الى تعقيد المشكلة وربطها بموضوعات سياسية واجتماعية .

وللوصول الى وضع لغوي طبيعي متمثل فى سيطرة اللغة العربية الفصحى على اللغة العامية فى شتى المجالات ، يجب رسم الخطط والالتزام بها .

واعتقد ان الخطوة الاولى ، هي رفع المستوى اللغوي فى المدارس بمعنى ان المعلم يجبر على استعمال اللغة الفصحى فقط فى حديثه مع التلاميذ . ثم لا بد من الاكثار من انتاج الافلام الناطقة باللغة الفصحى وتشجيع المؤلفين على كتابة المسرحيات بالفصحى ، وتأليف الاغاني بها أيضا .

ومما لا شك فيه ، ان مثل هذا التوجيه فى تعليم اللغة ، قد يترتب عليه ان يتعود الناس على الفصحى ويستعملوها فى حديثهم اليومي ، لكي لا يعتبروها لغة غريبة ، وسيفقد المتكلمون بها الشعور بكونها بعيدة عنهم . وهذا طور منطقي حدث فى معظم دول العالم ولا سيما فى الدول الاوربية كألمانيا وايطاليا .

ومن البديهي ان مصير اللهجات العربية ، لن يختلف عن مصير اللهجات الالمانية مثلا .. والتي فقدت اهميتها وتركت الميدان للغة الفصحى التي ينشأ عليها كل مواطن منذ اول يوم يدخل فيه المدرسة.

أما اللغة الفصحى ، فستتكيف تدريجيا مع حياة المجتمع وتصبح مرآة صادقة لتطوره واتجاهاته وكلما انتشر استعمالها ودخلت مجالات جديدة ، اكتسبت تلك المرونة وذلك القرب من الحياة ، التي تتمتع بها جميع اللغات المتطورة . فاللغة العربية الفصحى كنز لأهلها وليس عليهم سوى استغلال هذا الكنز خير استغلال .

(عن صحيفة « بريد الشرق » التي تصدر فى كولونيا بألمانيا الغربية ـ العدد 27 فى تموز 1972)

معجم الطحانة والخبازة والفرانة

الدكتور سامي الدهان

نشرت مجلة « مجمع اللغة العربية » بدمشق (ج 2 م 47 1392 / 1972 م) كلمة حول هذا المعجم ونحن نرحب بهذه الملاحظات التي نعتبرها استدراكا ننتظره حول كل مشروع معجم صادر عن المكتب الدائم:

اعد المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي مشروع هذا المعجم بالتعاون مع ارباب الاختصاص فى فنه وهو « مكتب التسويق والتصدير بالدار البيضاء » فأحسن صنعا ، وسد ثغرة واضحة .

ولنا ملاحظة ورجاء نرجو أن يأخذ بهما المكتب ، وهو الا يكتفي بما فعل من خير وفير ، وانما يرجع النظر حين صنع قاموسه نهائيا فيضيف اليه النقاط التاليـة :

1 ـ ان يذكر كل المراجع التي اعتمد عليها فى كلماته والفاظه ، وخاصة المعاجم الفرنسية العربية ، والعربية والفرنسية ، فقد راينا انه رجع كثيرا الى قاموس Belot ، والى « الفرائد الدرية » لأحد الآباء اليسوعيين ، من غير أن نرى أثرا لغيرهما من المعاجم .

2 ـ ان ينظر فى « قاموس الصناعات » لمؤلفيه محمد سعيد القاسمي وابنه جمال الدين القاسمي مع خليل العظم ، وقد صدر فى جزأين عدد صفحتهما 500 تقريبا ، على نفقة المدرسة العلمية للدراسات العليا فى باريس سنة 1960 م وقدم له وحققه الاستاذ ظافر القاسمي .

وفى هذا القاموس « الصناعات الشامية » ما يخص معجم الطحانة والخبازة والفرانة ، ومفرداتها ، كما عرفها أهل الشام ، يحسن ان تذكر هنا وتضاف الى ما عرفه اهل المغرب بالدار البيضاء مثلا ، الطحان ، والعجان ، والمقرص ص 303 ، وخاصة الكلمة الأخيرة فقد ذكرها المعجم المغربي ص 362 ونقل تفسيرها عن المخصص لابن سيده فحسب ، ونسي تعريفات القدماء لعمل أقراص الخبز مدورة مثل الكرة ثم قوراء كالقمر ، كما قال ابن الرومي .

3 ـ ان ينظر فى بعض كتب الأدب والتاريخ ، فقد طبعت (1) ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد ، وحققت شرحه ، وجاء فيه كلمة « الملة » شرحها « الطبيخي » المغربي قال : « هو الموضع الذي يطبخ فيه الخبز » واخذ منه الخبز الملول او المليل ، ولم يرد شيء من ذلك فى ـ معجم مكتب التعريب ـ ، وكان احرى بان ينقل هذا اليه وان يذكر .

ولقد جاء فى هذا الشرح نفسه كلمة « الفرن » وسماها : « القوش » وفسرها بقوله : « القوش ، جمع قوشة ، وهي الفرن او التنور عند المغاربة ، وقد تلفظ بالكاف ، فيقال كوشه » .

---

(1) انظر شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد ، ط. سامي الدهان ، وشرح الطبيخي ، دار المعارف بمصر 1957 ، ص 59 وحاشيتها .

ومثل هذا الديوان وشروحه في اللغة العربية مما يخص الطحانة والخبازة والفرانة ، عدد غير قليل ، يحسن الرجوع اليه ، وان ينقل الى معجم مكتب التعريب .

4 ـ ان يرجع السادة صانعو المعجم الى قاموس دوزي ، وقد ترجمت أكثره ، وجعلت عنوانه : « فوات معاجم العرب » ، وطبع سنة 1937 في جزايـن . ووزعته على جزازات . ففيه ما ذكر من صناعات الطحانة والخبازة والفرانة ، الفاظ وكلمات نقلها عن كتب التاريخ والادب ، وزاد على شروحها ، فرد اصول بعضها الى لغات قديمة افرنجية ، واضاف فوائد يحسن الأخذ بها لاكمال معجم مكتب التعريب .

5 ـ ان يهتم صانعو المعجم بقاموس الصناعات الشامية وغيره فيما يخص تعريف الطحان بالشام وغيرها (2) ، فقد ذكر هذا القاموس ص 390 : « الطحان : من يستأجر الطواحين لأجل طحن الحنطة وخلافها من الحبوابات » ، وذكر كلمة « بوايكي » فقال: « اسم لبائع المقتاتات من قمح وذرة وشعير في مخزن كبير يسمى في اصطلاح أهل الشام « باتكة » ، والباتكة في اللغة اسم للناقة السمينة وكان هذا المحل سمي بذلك لبروك البوائك فيه ، فان هذه الحبوب لا تجلب الا عليها » .

ولعل هذا كله يجمع اصطلاحات اهل المشرق الى اهل المغرب ، وننطلق من الألفاظ العربية الموجودة عندنا ، على ترجمة ما عند الغرب في هذه الصناعات . والله الموفق للسداد والكمال .

---

(2) في قاموس الصناعات الشامية ص : 121 : « خباز مشترك في عرف أهل الشام ، بينه وبين الفران » وتعريف العجان عنده يضيف الى قاموس صورة لحياة اهل الشام .

التخصص :

كان التوجيه المهني معروفا عند السلف : ذكر الاصفهاني ان يونس ابن حبيب كان يختلف الى الخليل بن احمد لتعلم العروض فصعب عليه فنصحه بتعاطي النحو حتى أصبح اماما في النحو واللغة (محاضرات الادباء ص 25) وبدأ النجاري بتعلم الفقه على محمد ابن الحسن فنصحه بتعلم الحديث لانه اليق بطبعه (الزرنوجي : تعليم المتعلم ص 13) .

رأي...

نحو تفصيح العامية في الوطن العربي

الأستاذ عمر الطاهر
(دمشق)

نشرت جريدة « الثورة » (دمشق) في عددها الصادر بتاريخ 8 / 9 / 1972 ، تعليقا للاستاذ عمر الطاهر على كتاب : « نحو تفصيح العامية في الوطن العربي » جاء فيه :

اصدر المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الكراس رقم 16 من السلسلة التي اخذ في اصدارها منذ سنوات وقد خصص هذا الكراس لبحث قام به الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله حول العاميات العربية وجذورها المشتركة ، وللاستاذ عبد العزيز بنعبد الله اعمال جيدة في هذا المجال لا زال يواصلها منذ سنوات طويلة فقد الف كتابا بعنوان (الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية) ودراسات مقارنة حول عاميات اقطار عربية عديدة وخاصة سورية ولبنان ومصر والكويت والخليج العربي والمغرب .

يقول الاستاذ بنعبد الله في مقدمة بحثه المشار اليه سالفا انها محاولة اولى نرجو ان نكون قد اسهمنا بها في اقامة هيكل واضح لبيان مدى تقارب العاميات في الوطن العربي اعتبارا لأصولها الفصحى وما نراه من امكانيات تفصيح هذه العاميات حتى تصبح لغة الحديث في الوطن العربي موحدة اقرب الى الفصحى منها الى اللهجات الاقليمية الكثيرة التحريف .

صراع بين العامية والفصحى بالمغرب :

تحت هذا العنوان يورد الكاتب بحثا يقول فيه ان اغلب الاصول والقواعد الاساسية مشتركة بين الفصحى والعامية المغربية حتى ما يتصل بالقلب والابدال والتسهيل والترخيم .. وتمتاز بمظاهر البساطة تجعلها في بعض الاحايين اكثر ايغالا في القلب والتسهيل وهذه الظواهر لا تنفرد بها عامية اي قطر عن اخرى .

وبعد ان يعرض الباحث بعض الامثلة لاثبات ما ذهب اليه ينتقل الى القول بانه يجب ان يعيد التاريخ نفسه في تفصيح العامية العربية وتوحيدها ويذكر بما كان عليه الحال قبل الاسلام من طغيان لهجة قريش على بقية اللهجات العربية وصياغتها في اطار واحد هو الفصحى التي نعرفها اليوم .

وفي اطار الاصول المشتركة للعامية العربية يذكر الباحث ان التاثير بين العاميات العربية كان متبادلا ، فالفنيقيون العرب نقلوا الكثير من كلماتهم الى شمال افريقيا الذي يتكلم اهله قديما لغة البربر ، واذا عرفنا ان هذه اللغة هي الاخرى عربية اي ان البربر شعب هاجر من الجزيرة في احقاب موغلة في القدم ادركنا ان اصول العاميات تعود الى اقدم العصور فالفينيقيون الذين اثروا في العاميات العربية وشعوب الشرق القديم كان لهم ابلغ الاثر في لهجات الجناح

الغربي من الوطن العربي ، ان الاصول المشتركة للعاميات العربية لا تعود فقط الى هذه الاصول ، انها استمرت عبر التاريخ تتغذى من مصادر متشابهة أو تنقل الاثر الى بعضها ، ويشهد على ذلك وجود كلمات فارسية فى العامية المغربية تسربت اليها عبر الاحتكاك بعامية الاندلس التي نقلتها من عاميات الشام والخليج ان هذه الاصول المشتركة وهذا التلاقح الدائم بين العاميات العربية الذي تجلى مرة أخرى فى الكلمات التي ادخلت الى لغتنا من الفرنسية والاسبانية والتركية والانكليزية يحتم ضرورة السعي الى تنقية هذه العاميات بغية الوصول الى عامية صافية تكون اقرب شيء الى الفصحى وفى نفس الحين لغة المخاطبة اليومية وهذا العمل هو السبيل الوحيد للرد على دعاوي الاقليمية اللغوية بعد ان ثبت لدينا ان الاصول المشتركة لهذه العاميات أقوى من كل مظاهر الاختلال.

ويسند الباحث رؤيته للامور بمجموعة كبيرة من الكلمات التي تثبت هذه الاصول المشتركة ويقوم بتحليل تاريخي لظهور العامية فى الوطن العربي ويخلص الى دعوته السالفة بضرورة تنقية هذه العاميات سعيا للوصول الى اللغة العربية الواحدة على مستوى المخاطبة ولا يسع القارىء رغم تسليمه بالكثير مما ذهب اليه الباحث لا يسعه الا ان يسأل لما ذا يذهب الكاتب بعد هذه الرؤية الجديدة للموضوع الى مناقشة القضايا من خلال انعكاس الواقع السياسي عليها فتراه يضع عامية مغربية واخرى سورية وثالثة لبنانية .. والواقع انه ليس هناك شيء يمكن ان يسمى بذلك هناك لهجات مختلفة فى انحاء شتى من الوطن العربي يزداد التشابه بينها ويقل تبعا للموقع الجغرافي رغم الاصول المشتركة وهي لا تتبع فى توزيعها بحال من الاحوال التقسيم السياسي أو الحالي منه على الاقل واذا كانت ضرورة تقسيم البحث هي التي الجأت الباحث الى هذا الاسلوب فهو امر مقبول ، اما اذا كان الاقرار بالاقليمية وراء ذلك فان المنطلق الجيد عنده يغدو منطويا على ضده انها دعوة جديدة فى سبيل مراجعة تراثنا اللغوي لا يسعنا رغم كل شيء الا التحمس لها ، فمن خلال البحث وحده نستطيع ان نتبين الغث من السمين وهي خطوة متقدمة فى سبيل صقل اهم مقومات شخصيتنا وان كانت بعض المفاهيم المغلوطة تخالطها ولكن للكاتب عذره رغم ذلك .

تعليق على موضوع :

التطور اللغوي ونشوء اللغة

توصلنا من الأستاذ زهير علاف من الجزائر برسالة تتعلق بأحد البحوث المنشورة فى المجلد الثامن من « اللسان العربي » الجزء الأول تحت عنوان : « التطور اللغوي ونشوء العربية » للأستاذ محمد يوسف نور الدين ص 127 ، ويقول : ان الدهشة قد اصابته وهو يطالع هذا البحث اذ انه كان قد سبق له ان اطلع على كتاب تهذيب المقدمة اللغوية لعبد الله العلايلي بتقديم الدكتور أسعد علي ، فاذا به يكتشف أن البحث الذي نشر فى «اللسان» منقول بعناوينه وعباراته ومفرداته من كتاب الأستاذ العلايلي ، اللهم الا بعض العبارات التي حاول الكاتب أن يحورها مثل قوله خلاصة القول بدلا من الخلاصة عند العلايلي ، ويشير على القراء بأن يضعوا الكتاب المذكور بجانب بحث الأستاذ نور الدين ويعقدوا مقارنات بين البحثين مشيرا الى عدد غير قليل من ارقام الصفحات التي يؤكد فيها صدق دعواه ، وهذه بعض الأرقام التي ساقها فى الرسالة :

— قارن ما بين عنوان « العربية واللغات الاخرى » ص 128 عند نور الدين ، مع عنوان « العربية واللغات » ص 41 — 43 عند العلايلي .

— قارن عنوان « ادوار اللغات ونشوء العربية » ص 128 فى (اللسان) عند نور الدين مع عنوان « ادوار اللغات ونشوء العربية » عند العلايلي ص 44 — 45 ، ستجد ان كلا منهما يبدأ بـ « ان تاريخ النشوء » وينتهي بـ « متصرفة وغير متصرفة »

— قارن العنوان الذي يلي ما سبق : « دور المقطع البسيط » عند نور الدين مع عنوان : « دور المقطع البسيط » ص 46 — 48 عند العلايلي ، وستجد أن كلا منهما يبدأ بـ : « ان لبحث الانسان الفطري » وينتهي بـ « ثمانيةوعشرون حرفا »

— قارن ما جاء فى الفقرة التي تلي « دور المقطع البسيط » عند نور الدين مع « دور المقطعين » ص 49 — 51 عند العلايلي .

— قارن ما جاء فى الفقرة الاولى ص 30 عند نور الدين بما جاء ص 52 بعنوان « دور المقاطع عند العلايلي » .

— قارن ما جاء فى الفقرة : « معاني الحروف العربية » ، عند نور الدين بما جاء ص 71 فى كتاب العلايلي بعنوان : « المعاني التركيبية »

— قارن العنوان : « التطور فى اللهجة » عند نور الدين ص 132 بما جاء ص 76 فى كتاب العلايلي

— قارن العنوان « الدورة اللغوية الطويلة » عند نور الدين ص 133 بنفس العنوان ص 83 من كتاب العلايلي

— تارن العنوان : « الأسباب التي حفظت الأثريات عند نور الدين ص 134 بما جاء عند العلايلي ص 87 بعنوان : « مع الأسباب التي حفظت الأثريات » .

— تارن « التطور في اللغة » عند نور الدين ص 136 بنفس العنوان ص 106 عند العلايلي .

— تارن « تطور الاعلال » عند نور الدين ص 136 بنفس العنوان ص 106

— تارن « التنقيح في اللغة العربية وأهداف التنقيح» عند نور الدين ص 138 — 139 بـ « التنقيح الجديد » ص 119 — 123 عند العلايلي .

— تارن « دواء العربية وأدواؤها » عند نور الدين ص 139 — 142 بنفس العنوان عند العلايلي بين ص 193 — 241 .

— تارن : « اللغة العربية غاية لا وسيلة » عند نور الدين ص 142 بنفس العنوان عند العلايلي ص 242 وما بعدها .

الجمهوري (المجلس) :

ذكر المناوي في طبقاته نقلا عن الشيخ محمد بن عبد الكريم بن الكماد انه قال تكلم علينا يوما الشيخ الصالح الولي ابو عثمان سعيد الصفروي رضي الله عنه في مجلسه الجمهوري فقال الخ ..

— واشار ابن عبد الملك في الذيل والتكملة (س 5 ق 2 ص 632) في ترجمة ابن خليل الشاعر الخطيب انه كان « يرتجل الخطب البليغة بين يدي الملوك وفي المحافل (الجمهورية) تنبيها على المصالح وحضا على ما فيه سداد الاحوال » .

الجمهوري نبيذ العنب (التهانوي) وذلك لان جمهور الناس يستعملونه وفي الجامع الجمهوري ما بقي نصفه من عصير العنب بعد طبخه .

عينة للذين يؤمنون.. وبرهان للذين يشكون

للأستاذ محمد قلبي

نشرت صحيفة « الصباح » بتونس المقال الآتي حول نشاط المكتب الدائم وهو مقال غمر مكتبنا بما لا يستحقه من تنويه :

لم اتخلص الى حد الآن من التأثير البالغ الذي تركه في نفسي الاطلاع على المجلد التاسع لمجلة « اللسان العربي » التي يعدها ويصدرها « المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي » لم اتخلص من ذلك التأثير ولا أظن انني سأتخلص منه في يوم من الايام ... شد ما تأثرت !

اعرف كغيري من الناس ان الدول العربية أحدثت مكتبا للاشراف على حركة التعريب بالعالم العربي ، وسمعت كغيري عن اخبار هذا المكتب وعن منشوراته ومعاجمه ودراساته ومشاريعه ، بل انني منذ بضعة اشهر اجريت « للصباح » حديثا مع السيد عبد العزيز بنعبد الله مدير المكتب أثناء زيارة قام بها الى تونس ، فقال لي الخير الكثير — بكل تواضع — عن أعمال مكتبه ، فصدقت ولكنني لم اتأثر .. حتى اطلعت ! لانني فقدت الثقة بصفة عامة بالتنويه الذاتي .. خاصة في بلداننا « العاطفية » .

ومنذ أيام حمل لي البريد طردا ثقيلا يزن حوالي كيلو غرامين أو اكثر .. فوجئت به لانني لاول مرة أرى شكل عمل مكتب تنسيق التعريب ولونه وأتفحص مضمونه ، وبعد القاء النظرة الاولى لم أتمالك من القيام بجولة عبر مكاتب الزملاء بالجريدة لأطلعهم على « التحفة » التي نزلت علي من السماء وشاطروني تأثري واعجابي .

معذرة لدى الذين يؤمنون بضرورة « الموضوعية الباردة » في كل الامور والظروف ، ان انا ابديت حماسا قد يبدو لهم عاطفيا اكثر منه عقلانيا ، لكنني بعد الاعتذار لن اطفىء نار تحمسي وعاطفتي فمن الامور من لا يلين الا بالنار الحامية .. كالحديد ! وقضية التعريب ، مثل كل القضايا الروحانية السامية ، تجف كالهيكل الجامد ، ان لم ينفخ فيها العربي من روحه .

كنت اومن كغيري من انصار هذه القضية بأن التعريب ضرورة ممكنة .. لكنني كنت اشك في وجود اناس قادرين على القيام بالعمل الشاق الطويل النفس الذي يشترطه انجاز مثل هذا المشروع الضخم ، اذ لا يكفي ان نريد .. ولا بد من ان نستطيع وكان وما يزال انصار « اللاتعريب » يتكئون على هذا الخلل الظاهري بين ارادتنا وقدرتنا ليطلقوا قهقهاتهم عالية .. قبيحة ! وكان ينقصنا البرهان لنطمس ضحكاتهم ونبطل تصوراتهم .

قلت كان ينقصنا « البرهان » لكن ليست تلك الحقيقة وانما اقتصر الحظ على اعطائه لاقلية قليلة منتشرة في انحاء العالم العربي كلـه .

الدراسات والابحاث والمعاجم التي اصدرها الى حد الان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي — والتي اطلعت على عينة واحدة منها — تشكل برهانا قاطعا لا فقط على قدرة اللغة العربية على مسايرة العصر وانما ايضا على قدرة محبيها الاوفياء لها على الحاقها بركب اللغات المتقدمة الاخرى لا شيء يقف دون التعريب ان وقفت له الكفاءات وتضافرت في كل البلدان العربية لا العبارات التقنية المعقدة ولا المعاني الجديدة المجردة .

يحتوي الجزء الثاني وحده — لأن المجلد التاسع للمجلة صدر في جزئين — على قرابة 700 صفحة فهو يشمل معجما ضافيا حول اسماء الملابس عند العرب

واخرى حول الغابات والتقنية الحراجية واستخدام منتجاتها وعلم الاحراج والقطل والحراثــة والنقــل والهندسة الحراجية والاضرار لملحقــة بالغابــات ووقايتها الخ . .

ويحتوي معجما ثانيا خاصا بالطيران المدنــي (50 صفحة) ومعجم مصطلحات المؤتمرات ومعجـم المصطلحات السلكية واللاسلكية ، ومعجم المصطلحات الكهربائية الالكترونية والمصطلحات الاعلامية ومعجم المعاني للعظام والدم ومعجم الحشرات .

كما يحتوي هذا الجزء الثاني على دراسات حول المصطلحات العلمية وتطور اللغة ، ونظام التصنيــف العشري لأكسفورد ومقال حول تفصيح العاميــة في الوطن العربــي .

واما الجزء الاول من المجلد التاسع لمجلــة « اللسان العربي » فقد خصص لنشــر دراســات مختلفة عديدة حول اللغة العربية والتعريب ، واذكــر من بينها دراسات لغوية حول معركــة العربيــة في الجزائر ، والعوامل الطارئة على اللغة والاضداد في اللغة ، والكاف التمثيلية ومعاجم الابنيــة في اللغــة العربية وتاريخ المعجم العسكري وتشمل الابحــاث المختلفة مقالات تتعلق بالاصالة والتجديد في اللغــة العربية ، واسماء الاعلام العربية واللغة العربية والبحوث الاقتصادية ، وحروف عربية جديدة ، وخصص القسم الثاني لنشر « المقولات العشر » للعلامة الشيخ محمد الحسني البليدي وهو مخطوط نادر بخط المؤلــف نفسه ، ثم لألفاظ الحضارة لعام 1971 وعدة دراسات اخــرى .

هذه عينة واحدة من الاعمال الجبارة التي قام بها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربــي واعتقد ، بل اجزم اطلاقا ، ان كل من يشك الى الآن في امكانية التعريب في هذا العصر سيلقي عنه الشك بعيدا ــ ان لم يكن متعصبا حتى للخطأ ــ بعد مجــرد تصفح مجلة « اللسان العربي » واعتقد بل اجــزم ان مصلحة الغابات مثلا أو مصالح الطيران المدني أو بعض أصناف الاطباء يمكنهم بعد دراسة المجلد التاسع فقط دراسة جدية ان ينطقوا بكل ما في ادمغتهم من علــم ومعرفة بلغة أمهم وأبيهم قبل اية لغة اجنبية .

لكن ! . . نعم هناك لكن ! وجدت داخل المجلــة ورقة صغيرة كتب عليها ما يلي :

« لقد تكاثرت الطلبات الواردة يوميا على المكتب من الوطن العربي وغيره، من اجل الحصول على ما يصدره ويوزعه من مطبوعات ولا سيما مجلة « اللسان العربي » فبلغت هذه الطلبات حدا جعل المسؤولين عن المكتب لا يستطيعون التلبية ولا رد الجواب نظرا للامكانيات المادية المحدودة .

فمعذرة لمراسلينا وقرائنا الافاضل » .

وفي الجانب الداخلي من غلاف المجلة قرات :
« طبع من هذا العدد سبعة الاف نسخة وزعت مجانا وتحت ذلك « البيع ممنوع » .

واتساءل ما هو وزن 7 الاف عربي ــ كلهم بدون شك مؤمنون بقضية التعريب ــ أليس من الأكيــد ان يطلع جميع الناس على المراحل الشاسعة التي قطعتها قضية التعريب على يد نخبة من العلماء العرب . . . في طريق التقدم . . العربي !

ليس الشر في الشر فقط . . وانما هو ايضا في الامساك عن عمل الخير ، ومن الجرم ان نشجع بصمتنا الضالين على مواصلة السير في طريق الضلال .

انا لم أفهم ولن افهم عبارة « الامكانيات المحدودة» الواردة في مذكرة المجلة ، الامكانيات تصبح غيــر محدودة في نظري لما يتعلق الامر بقضية مصير امــة كاملة تطمح للحضارة .

وان كانت امكانيات الدول العربية كلها لا تساعد الا على طبع 7 الاف نسخة من مجلة « اللسان العربي » فاني متيقن من أن امكانيات الافراد « المحدودة » ــ امكانيات محبي العربية ــ ستصبح غير محــدودة ان سمح لهم المكتب الدائم بالمساهمة في عمله الجليل بدفع ثمن يغطي تكاليفه عن كل مجلة يصدرها ، ربمــا هذه الامكانيات متوقفة ايضا على قرار الدول الاعضاء في الجامعة العربية . .

لكن ، ان رفضت هذا وذاك ، ان رفضت وضع لا امكانيات الكافية تحت طلب المكتب ، ورفضت في نفس الوقت السماح له ببيع منشوراتــه لتغطيــة التكاليف لا للمتاجرة . . فهذا ربما يعني الشيء الكثير . . الذي نمتنع عن فهمه .

كل هذه افتراضات وتساؤلات ونامل ان نتصل قريبا بتوضيح حول سبب هذا « التواضع » المدهش من المكتب الدائم .

اختم هذا المقال بالتنويه بمجهودات المكتــب ومسؤوليه وكافة الخبراء المساهمين في أعمالــه . . لكن يبدو لي ان اصدق شكر في هذا العصر الــذي كثرت فيه عبارات الشكر ونفذت هو الامساك عــن الشكــر . . . وترك العاملين يعملون !

رجال مجهولون وراء مشروع عظيم

عزيز

نشرت جريدة « المدينة المنورة فى عددها 2531 مقالا تحدثت فيه عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب وعن مختلف نشاطاته فقالت : « يشرف على هذا المكتب العلامة عبد العزيز بنعبد الله . وهو فى نفس الوقت المدير المسئول ورئيس تحرير مجلة « اللسان العربي » التى تصدر دورية وتعنى بالابحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب ، والنشاط الذى يقوم به هذا المكتب يكاد يساوي نشاط المجامع اللغوية فى البلاد العربية بل ان الفائدة منه أميز وأبرز بسبب التبسيط الذى يتبعه من اجل نشر البحوث اللغوية وجعلها فى متناول كل يد » .

اما عن مجلة « اللسان العربي » قال كاتب المقال: « لقد اطلعت على مجلدها الثامن فى اجزائه الثلاثة وهي اهم ما يصدر عن هذا المكتب . ففيها يلتقي علماء اللغة العرب من كل حدب وصوب وفيها يقرأ الانسان كل ما يتعلق باللغة العربية حتى لكأنها تكفيه مؤونة البحث عن مصادر اخرى » .

وبعد ان اشار الكاتب الى مؤتمر التعريب الاول الذى انعقد فى الرباط فى ابريل 1961 والذى انبثق عنه المكتب الدائم وبعد ما اشار الى الاهداف التى قام من اجلها المكتب انتقل الى تلخيص أهم منجزات السنوات المتراوحة بين 1962 ــ 1965 و 1966 و 1970 ، ثم اشار بعد ذلك الى برامج المكتب لسنة 1970 ــ 1971 . ثم انتقل الكاتب الى الحديث عن المسابقات العلمية التى يجريها المكتب بين الباحثين العرب منذ أواخر عام 1969 حتى شرع المكتب فى تنظيم مسابقات سنوية يوزع فيها جوائز باسم كل دولة عربية وذلك فى موضوع يتصل باختصاصات المكتب وهو تقديم مخطوط قديم او بحث حول اللغة العربية وتخصص لذلك جائزة مالية قدرها خمسة آلاف درهم او ما يقابلها فى العملات الاجنبية » .

ثم قال الكاتب الفاضل : « هذا بعض نشاط المكتب الرائع والذى يقدم للعربية خدمات جلى لا تنسى ، كل ذلك بمهمة مديره العلامة الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الذى داب منذ حوالي ثماني سنوات على العمل والصبر والاستمرار حتى وصل بالمكتب الى ما وصل اليه من دقة فى العمل وروعة فى التنظيم لخدمة اللغة العربية وجعلها لغة المغرب الاولى بعد ان كاد ابناء المغرب ينسون لغة الآباء والجدود . ولم تقتصر الاستفادة من منجزات هذا المكتب على ابناء المغرب العربي الشقيق فحسب بل تعدته الى ابناء المشرق حتى ان المكتب أصبح حجة للمعنيين باللغة العربية مشرقا ومغربا »

وقال : « وهذه الكلمة العجلى ، تحية فخر واعتزاز لهؤلاء الرجال الذين يقفون وراء هذا العمل الجليل من اجل مجد لغتنا العزيزة الأصيلة » .

تعقيب على نسبة أبيات

الأستاذ حبيب علي الراوي

اطلعت مؤخرا على الجزء الاول من المجلد الثامن لمجلة « اللسان العربي » وكان ضمن موضوعاته « ابن خالوية اللغوي ونسبة كتاب « الحجة اليه » (ص 502) بقلم عبد العال سالم مكرم الاستاذ بجامعة الكويت ، وفى معرض الحديث عن مكانة ابن خالوية اللغوية ، أشار الكاتب الفاضل ، الى ان ابن دريد مؤلف كتاب « الجمهرة » كان من بين تلاميذه ، وللتدليل على اهمية كتاب « الجمهرة » اورد الحكاية التالية اعتمادا على المزهر للسيوطي 1 — 95 :

« فأبو علي القالي كان يملك نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها ، وكان قد أعطى بها ثلثمائة مثقال فأبى ، فاشتدت به الحاجة ، فباعها باربعين مثقالا وكتب عليها :

انست بها عشرين عاما وبعتها
وقد طال شوقي بعدها وحنيني

وما كان ظني انني سابيعها
ولو خلدتني فى السجون ديوني

ولكن بعجز وافتقار وصبية
صغار عليهم تستهل شؤوني

فقلت ولم املك سوابق عبرة
مقالة شكوى الفؤاد حزين :

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من رب بهن ضنين

قال : فارسلها الذي اشتراها وارسل معها اربعين مثقالا »

ومن الكتاب المعاصرين الذين اوردوا هذه الحكاية الاستاذ احمد امين فى كتابه « ظهر الاسلام » (ج 1 ص 117 — 118) وقد اوردها على الوجه التالي :

« وهذا ابو علي القالي البغدادي ضاقت به الحال قبل ان يرحل الى الاندلس حتى اضطر الى بيع كتبه وهي أعز شيء عنده فباع نسخة من كتاب « الجمهرة » وكان كلفا بها فاشتراها الشريف المرتضى فوجد عليها بخط أبى علي :

انست بها عشرين عاما وبعتها   الابيات

ولم يشر الاستاذ احمد امين الى المصدر الذي اعتمد عليه

وقد علق الدكتور مصطفى جواد على ذلك فى المقدمة التي وضعها لكتاب « تكملة اكمال الاكمال فى الانساب والاسماء والالقاب » لابن الصابوني ، الذي حققه الدكتور مصطفى ونشره المجمع العلمي العراقي عام 1377 هـ — 1957 م فقال :

« وهذا الاستاذ العالم احمد امين المصري يقول: وهذا ابو علي ... الخ ... ويذكر نص ما ورد فى كتاب ظهر الاسلام للاستاذ احمد امين ويعقب على ذلك بقوله : « وقد تصحف على هذا العالم الفاضل « الفالي » بالفاء فصار « القالي » ولما وقر فى ذهنه انه

القالي . اضاف اليه البغدادي ، وزخرف الحكاية بقوله « قبل ان يرحل الى الاندلس ، ولم يحل فى ذلك على كتاب من كتب الادب والتاريخ ، ولو علم ان صاحب القصة والابيات هو « الفالي » ما وهم ذلك الوهم المستعظم على مثله ، المستغرب وجوده فى كتابه ، ولو درى انه أبو الحسن لا ابو علي لتريث فى الاقدام عليه » .

وقبل مناقشة صحة هذه القصة والأبيات الواردة فيها لابد لنا من الرجوع الى المصادر القديمة التي اعتمد عليها أولئك الكتاب الافاضل الذين تطرقوا الى هذا الموضوع فالدكتور مصطفى جواد يستند فى قوله الى ما اورده ياقوت فى « معجم الادباء » وابن خلكان فى « وفيات الاعيان » ففي الجزء الخامس ص 82 — 83 من « معجم الادباء » ورد فى ترجمة علي بن احمد ابن سلك الفالي « بالفاء » نسبة الى بلدة « فاله » قوله « وحدث أبو زكريا التبريزي قال : رايت نسخة بكتاب الجمهرة لابن دريد باعها أبو الحسن الفالي بخمسة دنانير من القاضي أبي بكر بن بديل التبريزي وحملها الى تبريز ، فنسخت انا منها نسخة فوجدت فى بعض المجلدات رقعة بخط الفالي فيها :

انست بها عشرين حولا وبعتها ... الابيات

فاريت القاضي ابا بكر الرقعة والأبيات فتوجع وقال لو رأيتها لرددتها اليه وكان الفالي قد مات ؛ ويشير المؤلف الى ان البيت الأخير « وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... » منسوب لاحد الاعراب قاله فى بعض المناسبات ثم يورد الدكتور مصطفى الحكاية بصورة تختلف بعض الاختلاف نقلا عن ابن خلكان « وفيات الاعيان ج 1 ص 366 — طبعة بلاد العجم » فيقول :

« وحكى الخطيب ابو زكريا يحيي بن علي التبريزي اللغوي ان ابا الحسن علي بن سلك(الفالي) الأديب كان له نسخة من كتاب « الجمهرة » لابن دريد فى غاية الجودة فدعته الحاجة الى بيعها فباعها فاشتراها الشريف المرتضى أبو القاسم المذكور بستين دينارا فتصفحتها فوجدت أبياتا بخط بائعها أبي الحسن المذكور ؛ والابيات قوله :

انست بها عشرين عاما وبعتها ... الأبيات

فقيل ان المرتضى رد الجمهرة الى صاحبها والله أعلم »

ويلاحظ ان السيوطي (— 911 هـ) قد استند فى روايته التي أوردها فى المزهر على الفيروزابادي — 817 هـ) حيث يقول « وجدت هذه الحكاية مكتوبة بخط مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس على ظهر نسخة من كتاب العباب للصغاني ونقله عنه تلميذه أبو حامد محمد بن الضياء الحنفي ونقلتها من خطه » (انظر المزهر ج 1 ص 95)

ولعل ياقوت الحموي هو اقدم المؤرخين الذين ذكروا هذه القصة والأبيات (— 626 هـ) ومن بعده كان ابن خلكان (— 681 هـ) ، واذا علمنا ان ابا الحسن الفالي توفى سنة 488 بينما كانت وفاة أبى علي القالي سنة 356 هـ وان الشريف المرتضى كانت وفاته سنة 436 هـ نلاحظ ان هذا الأخير كان معاصرا لابي الحسن الفالي ؛ كما ان احدا من المؤخين لم ينسب هذه الأبيات أو بعضها الى أبي علي القالي الذي ارتحل الى الاندلس وهو فى الخامسة والعشرين من عمره وقبل ان تمسه الحاجة او العوز ، وهنالك لقي كل اكرام وحفاوة ؛ وقيل انه استدعي من قبل الخليفة الاندلسي آنذاك (انظر مقدمة عبد الجواد الاصمعي لكتاب الامالي » .

ومن هنا نرجح ان تكون نسبة هذه الابيات الى ابي الحسن الفالي ، كما ذهب اليه الدكتور مصطفى جواد ، ولكننا لا نوافقه على ان الاستاذ احمد امين مسؤول عما فى هذه القصة والأبيات من التصحيف ، بل ان الذين حققوا كتاب « المزهر » للسيوطي وكذلك الناسخون لهذا الكتاب هم الذين وقع لهم التصحيف فى المسالة ، ولا يشاركهم السيوطي فى هذا السهو لأن فى احد كتبه «« بغية الوعاة » ج 1 ص 78 المطبوع سنة 1384 هـ) قد وردت هذه القصة بما فيها من ابيات منسوبة الى أبي الحسن الفالي لا الى ابي علي القالي، هذا وسبحان من لا يسهو ولا يجوز عليه الخطأ .

تراجم الكتّاب والباحثين

في مجلة «اللسان العربي»

نقدم لقرائنا الأعزاء بعض تراجم كتابنا الكرام (1)، الذين واصلوا مع المجلة ، رحلة البحث والعمل الموصولين ، منذ صدور اول عدد منها عام 1964 ، فمنذ ذلك « واللسان العربي » تسخر صفحاتها لقلم كل كاتب جاد ، وباحث مجتهد ، ومعجمي مثابر ، تواقة — على الدوام — الى الأحسن والأفضل بغية اطراد التطور ، ايمانا منها بالرسالة الخالدة التي أنيطت بها الا وهي رفعة اللسان العربي واحلاله المكانة اللائقة به كلسان حي طيع عريق ، وهي — فى الواقع — رسالة جد خطيرة ما دامت تتعلق باللغة، واللغة هي روح كل امة وقوام كيانها ومحور تاريخها وتراثها وأصالتها . لهذا السبب ولغيره التفت حول المجلة صفوة ممتازة من الكتاب ينتمون الى بلاد مختلفة ، آمنوا جميعا برسالتها السامية هذه ، التي ما فتىء اهتمامهم بها يتضاعف ، وايمانهم بها يزيد .

وحينما جمعت المجلة بين هؤلاء الكتاب فى مجلد واحد فانما كانت تهدف الى :

— رسم صورة موجزة وواضحة لحياتهم العلمية والفكرية ..

— التعريف بهم وبانتاجاتهم ، ومدى اسهام كل منهم فى ميدان تخصصه .

— التقريب فيما بينهم ، وتوثيق عرى الاخاء والتعاون بينهم ، كاسرة واحدة يجمعها الاسم الخالد الا وهو : « اللسان العربي » .

— تيسير أمر معرفة كل ما يتعلق بهم ، وبانتاجهم على القراء والطلاب والباحثين ... الخ

— جمعهم على صعيد واحد ، كجيل اضطلع بمهمة شباقة الا وهي دراسة اللغة وكل ما يتعلق بها ، تعريفا ، وتنقيبا ، وبحثا وتطويرا .

— اسهاما منا فى ايجاد ببليوغرافية عربية ، للكتاب العرب المعاصرين على اختلاف مجالاتهم واهتماماتهم العلمية .

---

1) مرتبة حسب الحروف الهجائية .

الدكتور عبد العزيز السيد "ابراهيم"



— ولد الاستاذ الدكتور عبد العزيز السيد عام 1907 وفى عام 1927 حصل على باكالوريوس كلية المعلمين بمصر ، وكذا على دبلوم معهد التربية العالـي .

وفى عام 1942 حصل على درجة الماجستير فى التربية ، وبعد عامين من هذا التاريخ نـال درجة الدكتوراه فى التربية كذلك .

— وتاريخ الدكتور عبد العزيز السيد تاريخ كفاح متواصل من اجل رفع مستوى الثقافة والفكر والعلوم فى بلاده وخارجها ، وبنظرة خاطفة على المناصب التي تقلدها منذ تخرجه عام 1927 الى الآن نستطيع أن نستجلي هذه الحقيقة بوضوح ، فقد عمل اول الأمر أستاذا للرياضيات بالكلية الحربية ، ثم أستاذا كذلك لنفس المادة بكلية المعلمين جامعة عين شمس وفى سنة 1954 اصبح وكيلا لكلية التربية ، ثم مديرا للتعليم الابتدائي بالقاهرة .

ومن سنة 1955 الى 1958 كان مديرا لجامعة القاهرة — فرع الخرطوم

ومن هذه الجامعة ، انتقل الى جامعةالاسكندرية ليصبح مديرا لها حتى عام 1961 .

وهكذا ظل يتقلب فى المناصب الهامة الى ان عين وزيرا للتعليم العالي عام 1961 حتى 1965 ثم أصبح بعد ذلك وزيرا للتربية والتعليم من 1967 الى 1968 .

— والاستاذ عبد العزيز السيد عضو بارز فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وهو يضطلع بعدة نشاطات علمية اخرى كاشرافه على رسائل الدراساتالعليا ومشاركته فى كثير من المؤتمرات العلمية فى الوطن العربي وخارجه .

— يعمل حاليا مديرا للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وقد وفق التوفيق الكبير — بفضل ما أوتيه من مقدرة عملية وارادة وعزم وطيدين — وفق فى ادارة هذا المرفق الحيوي الهام من مرافق الاشعاع العربي بجامعة الدول العربية .

— ويعد الدكتور عبد العزيز السيد من أبـرز الشخصيات العربية المعاصرة الذين كان لهم نصيب وافر فى نشر اسباب الثقافة والعلم وتكوين جيل بأكمله ممن تتلمذوا عليه أو تأثروا به الشيء الذي جعله يحتل المكانة اللائقة المرموقة فى قلوب عارفيه ومعاصريه داخل بلاده وخارجها .

— للدكتور عبد العزيز السيد كثير من المؤلفات فى مختلف مجالات الفكر والثقافة والعلوم منها :

— اعداد المعلم فى الوطن العربي

— فى أصول التربية

— دور الجامعة فى المستقبل ... الخ

وغيرها من البحوث والدراسات القيمة الأخرى المنشورة فى مختلف المجالات العلمية أو ضمن كتب مستقلة .

الأستاذ إبراهيم حركات



— ولد بالدار البيضاء عام 1929

— تلقى تعليمه الأول بالدار البيضاء نفسها .

— أحرز على اجازة الآداب والتاريخ من الرباط وعلى دبلوم العربية من معهد الدراسات العليا بالرباط كذلـــك .

— دكتوراه فى الآداب من ايكس آن بروفانص بفرنسا

— تقلب فى عدة مناصب تعليمية حتى أصبح استاذا بكلية الآداب بفاس .

— يجيد الفرنسية والاسبانية

مـــن مـــؤلفــاتـــه :

— اربعون مؤلفا مدرسيا — ابتدائي وثانوي

— النظام السياسي والحربي فى عهد المرابطين

— المغرب عبر التاريخ (ثلاثة مجلدات)

— مدخل الى علم المترادفات العربية

— الحياة الاجتماعية بالمغرب فى العصر المريني

من المستشرقين الذين تأثر بهم دو فـردان ، ولاوست ، وآدم ، وغيرهم ، كما تأثر بالأعلام مـــن العرب — كابن خلدون وابن جني وابن تيمية .

الدكتور إبراهيم دسوقي أباظة



— من مواليد القاهرة ، فى 23 يناير 1935

— تلقى الدكتور ابراهيم دسوقي اباظة تعليمه الأول بالمدارس المصرية حتى أحرز « الباكالوريا » عام 1954 ، والليسانس فى الحقوق من جامعة القاهرة 1958 ، ودبلوم الدولة فى العلـــوم الاقتصادية من جامعة «كان» بفرنسا عام 1961 ودكتوراه الدولة فى العلوم الاقتصادية من جامعة باريس تحت اشراف العلامة « أندريه مارشال » عام 1969 .

— وهو يجيد الفرنسية والانجليزية

— ويعمل استاذا للعلوم الاقتصادية بكلية الحقوق بجامعة محمد الخامس والمدرسة الاداريـــة بالربـــاط .

— كما انه متأثر بالدكتور محمد حسين هيكل باشا فى ميدان الأدب والفلسفة ، وبالدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري باشا فى القانون والسياسة ، وبالدكتور سعيد النجار فى ميدان الاقتصاد .

من مؤلفاته باللغة العربية :

1 — « القانون العام الاقتصادي » 1970

2 — النقود — العلاقات الدولية ، الدخل القومي »

3 — تاريخ الفكر السياسي (الجزء الأول) 1971

4 — التنمية الاقتصادية بين الأصالة والتقليد 1972

5 — معجم المصطلحات الاقتصادية (تحت الطبع) وهو معجم يتناول ترجمة جميع المصطلحات الاقتصادية والمصطلحات ذات الصلة بالعلوم الاقتصادية من الفرنسية والانجليزية الى العربية ، بتكليف من المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي .

من مؤلفاته باللغة الفرنسية :

1 — الصناعة الثقيلة فى مصر — 1961

2 — العلاقة المتبادلة بين القطاع العام والقطاع الخاص فى الدول النامية - 1969

كما أن له العديد من المقالات والبحوث العلمية الأخرى المنشورة فى مختلف المجلات العربية .

الدكتور إبراهيم السامرائي



— من مواليد مدينة العمارة (العراق) سنة 1923

— اتم دراسته الابتدائية والثانوية والجامعية فى بلاده العراق ، ثم أحرز على دكتوراه الدولة من كلية السوربون بباريس فى اللغات السامية 1956 .

— يجيد اللغات السامية القديمة كالارامية والعبرية والحبشية كما يجيد من اللغات الحديثة الفرنسية والانجليزية .

— عين مدرسا فى كلية الآداب ببغداد سنة 1956 ثم أستاذا مساعدا عام 1960 ثم استاذا سنة1965

من مؤلفاته :

— دراسات فى اللغة

— الاعلام

— لغة الشعر بين جيلين

— التطور اللغوي التاريخي

— انستاس ماري الكرملي وآراؤه اللغوية .

من تحقيقاته :

— نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الانباري

— رسائل فى اللغة

— المتشابه للثعالبي

— الامكنة والمياه والجبال للزمخشري

الى جانب العديد من الدراسات القيمة المنشورة فى مختلف المجلات العلمية العربية .

الأستاذ إبراهيم مصري الدرويش



— هو نجل الموسيقار السوري المعروف علي مصري الدرويش

— درس الموسيقا باشراف والده .

— لحن حوالي خمسين اغنية مدرسية ونشيد جمعت فيما بعد فى كتاب بعنوان (اغاني الطفولة)

— تابع دراسته الموسيقية العليا بالقاهرة

— عمل مدرسا للموسيقى العربية فى حلب

— ثم اختير ليكون مفتشا اختصاصيا للتربية الموسيقية فى المنطقة الشمالية والشرقية من سورية وهو يشغلها حتى الآن .

— عضو فى المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم بدمشق .

— كتب العديد من المقالات الفنية فى مختلف الصحف والمجلات والقى الكثير من المحاضرات المتعلقة بامور الموسيقى والمسرح منها :

— التربية الموسيقية كوسيلة فى التعليم العام .

— حلب ومكانتها فى الموسيقى

— من تاريخ الموسيقى

— الموسيقى والمسرح المدرسي فى سورية وثائقيا وتاريخيا ... الخ .

— تأثر بموسيقى واعمال مؤلفي التراث العربي القديم ، كالموشحات والنوبات الأندلسية الأصلية والمأخوذ معظمها من تونس والمغرب والجزائر، كما تأثر بأعمال مؤلفي الموسيقىالغربية الحديثة من الكلاسيكيين والرومانسيين ...

أبو القاسم محمد كرو



— ولد بمدينة نفصة (تونس) 1 — 7 — 1924

— تلقى تعليمه الابتدائي بها ، والثانوي فى الزيتونة بتونس ، ثم فى معهد حر بالقاهرة .

— واحرز على الليسانس فى الآداب العربية من «دار المعلمين العالية ببغداد بعد ذلك » .

— كتب للاذاعة والصحف والمجلات العربية مئات المقالات والأحاديث عن كفاح المغرب العربي

— انتخبعضوا مراسلا لمجمع اللغة العربيةبالقاهرة (يناير 1970)

— اسس سلسلة كتب شهرية ، صدر منها 31 كتابا ومجلة « الثقافة » « وأعلام المغرب العربي » « ومكتبة الشابي » و « وثائق قومية »

من مؤلفاته :

— « ماي شهر الدماء والدموع فى المغرب العربي »

— الشابي حياته وشعره (أول كتاب مستقل صدر عن الشابي)

— كفاح الشابي أو الشعب والوطنية فى شعره

— « حصاد القلم »

— « كفاح وحب »

— « نداء للعمل »

— « العرب وابن خلدون »

— « صوت الجزائر »

— « الطاهر الحداد »

— « حديث رمضان »

— « شخصيات ادبية من المشرق والمغرب »

الى جانب العديد من البحوث والمقالات الأخرى التي نشرت فى مجلات عربية مختلفة

الدكتور إحسان عباس



- ولد بعين غزال (منطقة حيفا) فلسطين ، في 2 — 12 — 1920 .
- انهى تعليمه الثانوي في القدس
- حاصل على الليسانس والماجستير والدكتوراه من جامعة القاهرة في الآداب
- عمل مدرسا في جامعة الخرطوم ، ثم في الجامعة الامريكية ببيروت وما يزال بها حتى اليوم .
- اشرف على اصدار سلسلة من الكتب تتصل بالحياة العلمية والأدبية في الاندلس باسم (المكتبة الاندلسية)
- يجيد اللغة الانجليزية
- قاربت كتبه الخمسين كتابا ما بين مؤلف ومحقق ومترجم منها :
- « الحسن البصري »
- « عبد الوهاب البياتي »
- « فن الشعر »
- « فن السيرة »
- « العرب في صقلية »
- تاريخ الأدب الأندلسي جزءان
- بدر شاكر السياب
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب

ومن كتبه المحققة :

- خريدة القصد للعماد الاصفهاني جزءان بالاشتراك مع الاستاذين شوقي ضيف والمرحوم أحمد أمين
- رسائل ابن حزم الأندلسي
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال بالاشتراك مع الدكتور عبد المجيد عابدين .
- ديوان ابن حمديس الصقلي .. الخ

ومن كتبه المترجمة :

- كتاب الشعر لأرسطو
- النقد الأدبي ومدارسه الحديثة
- ارنست همنغواي
- فلسفة الحضارة او مقال في الانسان
- يقظة العرب
- ت. س. اليوت .. الخ

كما أن له عديدا من البحوث والمقالات المنشورة في مصادر مختلفة كلها تبحث في مختلف جوانب الفكر والحضارة والأدب .

الأستاذ الشاعر الحاج أحمد بن شقرون



- من مواليد مدينة فاس عام 1913
- حصل على شهادة العالمية سنة 1942 من جامعة القرويين
- اشتغل بالتدريس في المدارس الحرة
- وبعد اجتياز مباراة علمية أجرتها ادارة جامع القرويين ، عين مدرسا بها .

— شارك في الحركة الوطنية ابان ظهورها ، حيث سجن من طرف السلطات الاستعمارية عدة مرات .

— وعين — بعد ذلك — مراقبا عاما ، ونائب مدير جامعة القرويين في شؤون البرامج العامة والاختبارات .

— ثم تولى اثر عودة المغفور له — محمد الخامس طيب الله ثراه — من منفاه ، رئاسة قسم التعليم العالي الاسلامي التابع لوزارة التربية الوطنية حيث قام فيه باعمال جليلة رفعت من مستواه ووسعت من اختصاصاته .

— يشغل — حاليا — منصب نائب عميد كلية الشريعة بجامع القرويين

— استدعي من طرف المجلس الأعلى بالقاهرة . في اول مؤتمر عقده مجلس البحوث الاسلامية عام 1964 ممثلا لبلاده بجانب الأمين العام لرابطة علماء المغرب الاستاذ العلامة عبد الله كنون .

— له عدة مقالات ضافية في مختلف مجالات المعرفة، كما أن له قصائد شتى في مختلف المواضيع الدينية والاجتماعية وغيرها .

الأستاذ أحمد الأخضر غزال



— ولد بمدينة فاس في 17 اكتوبر عام 1917

— أتم دراسته الابتدائية والثانوية بالمغرب ، والجامعية بالسوربون بباريس وبها أحرز على درجة الدكتوراه في التبريز في اللغة العربية وآدابها .

— يجيد البربرية والفرنسية واللاتينية واليونانية

— متأثر بعلماء العربية القدامى وعلماء اللسنيات المعاصرين .

— يعمل حاليا مديرا لمعهد الدراسات والأبحاث المغربي للتعريب بالرباط .

— له عدة مقالات حول مشاكل الطباعة العربية ، والتعريب والمصطلحات ، ومناقشات لغوية وترجمات لدروس جامعية علمية مختلفة في العديد من المجلات العربية والفرنسية

— وعمله في تطوير الحرف الطباعي العربي اصبح معترفا به في المغرب العربي وبعض البلاد العربية الأخرى .

الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح



— ولد عام 1937 م بصعيد مصر .

— التحق بالأزهر وحصل فيه على الاجازة العالية ، من كلية اصول الدين ، قسم عقيدة وفلسفة .

— ثم حصل بعد ذلك على دبلوم معهد التربية العالي من كلية التربية ، ودبلوم الدراسات العليا من جامعة الأزهر .

— يجيد الانجليزية والأوردية

— متأثر بدراسته الأزهرية . اما تأثيره فى غيره فقد كان كبيرا على اسرته وقبيلته خصوصا فى تخفيف حدة الأخذ بالثأر .

مـن مـؤلفـاتـه :

— العربية لغة وضوح وفكر

— فلسفة البراجماتزم

— دراسات حول اللغة العربية

— من وحي الاسلام

كما يواظب على نشر العديد من البحوث والمقالات فى كثير من مجلات العالم الاسلامي فى مختلف الميادين الفكرية واللغوية والحضارية وغيرها .

الدكتور أحمد محمد الحوفي



— حاصل على دكتوراه فى الأدب العربي من جامعة القاهـرة

— يشغل استاذ كرسي الأدب العربي ورئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

— كما يشغل رئيس لجنة التعريف بالاسلام بالمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة .

— عضو لجنة الخبراء

— عضو المجمع اللغوي بالقاهرة .

مـن مـؤلفـاتـه :

1 — وطنية شوقي

2 — الاسلام فى شعر شوقي

3 — النسيب فى شعر شوقي

4 — ادب السياسة فى العصر الأموي

5 — ابو حيان التوحيدي

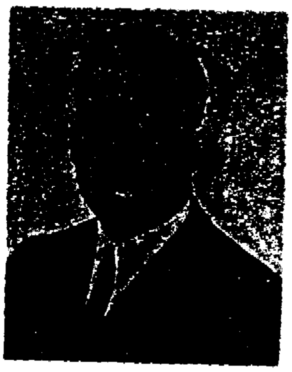
6 — المرأة فى الشعر الجاهلي

7 — اغاني الطبيعة فى الشعر الجاهلي

8 — الحياة العربية فى الشعر الجاهلي

9 — كما ان له كتبا عن الطبري ، الجاحظ ، الزمخشري اتسمت جميعها بعمق الدراسة وسعة النظر .

الأستاذ إدريس الخطابي



— هو نجل الزعيم المرحوم محمد عبد الكريم الخطابي

— من مواليد جزيرة الريونيون (حيث كان والده منفيا مع أسرته) فى 1926 .

— اتم تعليمه الأول فى الريونيون نفسها ، غير انه تعلم مبادىء القراءة والكتابة على يدي والده ، كما هو الشان مع بقية اخوانه ، اذ كانت المدرسة الوحيدة بالجزيرة فرنسية .

— وفى القاهرة واصل دراسته العليا على ايدي شيوخ جامعة الازهر الشريف .

— ثم سافر الى المانيا ليتابع تعليمه هناك حيث التحق بقسم تاريخ الأدب الألماني ، بجامعة ميونيخ

— يجيد الفرنسية والالمانية والانجليزية

— عمل مدرسا للغة الفرنسية فى القاهرة

— كما كان بمثابة السكرتير الصحفي الخاص لوالده حيث كان يترجم له كل ما يرد عليه من مقالات ومراسلات أو يحررها له للصحفيين الأجانب الذين يفدون عليه .

— لقد تأثر الاستاذ ادريس بوالده تأثرا شديدا ، كشخصية فذة بصفة عامة ، كما أنه كان لعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين أثر فيه من العرب ، أما من الاجانب فقد تأثر بليسنج الألماني .

— ترجم عدة كتب عن تاريخ المغرب .

— كما أنه مترجم كتاب : « مستقبل العالم بالأرقام » لمؤلفه فلهلم فوكس ، وهو كتاب علمي يبحث فى الناحية الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية فى العالم .

— من مترجماته كذلك ، كتاب عن « آثار الاحتلال الفرنسي للمغرب » وكتاب آخر عن الفرنسية تحت عنوان : « فى علم الاجتماع الحديث » .

بالاضافة الى العديد من المقالات المترجمة الأخرى والمنشورة فى مجلات مختلفة .

الأستاذ إدريس الكتاني



— ولد بدمشق اواخر سنة 1922 .

— تلقى تعليمه الأول بدمشق نفسها ، والثانوي بالقرويين بفاس .

— وفى سنة 1942 نال منها شهادة الدراسات العليا « العالمية »

— سافر بعد استقلال المغرب الى باريس ليلتحق بمدرسة العلوم الاجتماعية والسياسية بجامعة لوزان ، ثم بجامعة لافال بكبك بكندا حيث حصل من هذه الأخيرة على بكالوريوس فى العلوم الاجتماعية .

— يقوم بتدريس مادة تخصصه بمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة محمد الخامس بالرباط

— عمل مديرا للتعليم الاسلامي والحر .

— كما حصل بعد ذلك على شهادتي الدراسات العليا لعلم الاجتماع ، فى علم الاجرام ، والدراسات الاسلامية والانثربولوجيا الثقافية .

من مؤلفاته :

1 — المغرب المسلم ضد اللادينية

2 — انحراف الأحداث فى المغرب

3 — الامثال المغربية — دراسة اجتماعية لغوية

4 — دراسات عن المجتمع المغربي

5 — تطور الفكر الاجتماعي عند المراة المغربية المتعلمة الخ ...

الأستاذ الياس قنصل



- ولد فى 13 نيسان (ابريل) سنة 1914 فى مدينة يبرود (سورية)
- تلقى مبادىء العلم فى مدرستها الابتدائية
- هاجر الى البرازيل برفقة والده سنة 1925 ، ثم انتقل الى الارجنتين جاعلا منها مغتربه الدائم
- يجيد اللغات العربية والاسبانية والفرنسية والبرتغالية
- تولى رئاسة تحرير « الجريدة السورية اللبنانية » فى بوينس ايرس عشرة أعوام
- اصدر مجلة «المناهل» الشهرية فى بوينس ايرس كذلك
- اصدر فى دمشق مجلة « الفنون »
- هو اول اديب اهدته اول حكومة وطنية سورية وسام الاستحقاق السوري سنة 1937 .

مـن مؤلفاتـه :

- الأسلاك الشائكة — شعر
- العبرات الملتهبة — شعر
- على مذبح الوطنية — شعر
- ادب المغتربين — دراسات أدبية

ومن قصصه :

- على ضفاف بردى
- لصوص الشرف
- فى سبيل الحرية
- من مناهل الحياة
- فى مهب الريح
- دولة المجانين .. الخ .

الى جانب العديد من البحوث والدراسات والمقالات القيمة فى مختلف الجوانب الفكرية والانسانية التي تحفل بها عشرات المجلات والصحف العربية كما انه كتب باللغةالاسبانية بحوثا مماثلة عرف فيها بالفكر العربي .

الدكتور أنور بكير



- ولد بدمشق 1914/11/24
- حاصل على ليسانس فى الحقوق من باريس ، وعلى معادلة فى القوانين المصرية ، ثم الدكتوراه فى الحقوق من جامعة القاهرة
- يجيد : الفرنسية والانجليزية
- عضو فى جمعية الاقتصاد السياسي
- عضو فى جمعية القانون الدولي
- رئيس لجنة صياغة وثائق الاتحاد البريدي العالمي منذ 1952
- امين عام المعهد العالي العربي للبريد
- امين عام الاتحاد البريدي العربي .

مـن مؤلفاتـه :

- مراقبة الصرف
- تنسيق طرق المواصلات
- انظمة بريدية مقارنة
- الاتحاد البريدي العربي

الأستاذ أنور الجندي



— من مواليد ديروط بالوجه القبلي بمصر عام 1335هـ

— نشأ فى احضان المخطوطات والتراث وحلقات الذكر ومجالس القرآن الكريم

— عضو المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية

— مؤلف الموسوعة الاسلامية العربية التي بلغت مجلداتها حتى الآن (21 مجلدا)

— وبالرغم من اتجاهه الى التعليم المدني فقد ظل متصلا بالأدب والفكر الاسلامي حتى بعدحصوله على دبلوم الدراسات التجارية العالية .

— له عدد آخر من الاجازات فى الصحافة واللغة الانجيلزية واعمال المصارف .

— عمل (ببنك مصر) ولكنه لم يلبث أن تركه متجها الى الصحافة والأدب .

من مؤلفاته :

— « تاريخ الأدب العربي كوحدة متكاملة » (من المغرب الى العراق)

— « تراجم وافية لاعلام العرب والمسلمين فى العصر الحديث » شملت هذه الدراسات اعلاما من كل أنحاء العالم العربي .

— « صورة العصر وملامح المجتمع »

ومن اعماله الفكرية :

— موسوعة معالم الأدب العربي المعاصر (19 مجلدا)

— الموسوعة الاسلامية العربية (21 مجلدا)

— تراجم الاعلام المعاصرين .

المهندس أنيس شباط



— من مواليد دمشق 1912

— تلقى تعليمه الأول فى دمشق والعالي ببيروت

— حاصل على دبلوم مهندس مدني من كلية الهندسة العليا فى بيروت

— يجيد العربية والفرنسية والانكليزية

— كان لغوستاف لوبون الأثر الكبير عليه فى دراساته عن مدنية العرب

— شغل منصب رئيس اللجنة الدائمة للمواصلات لدى جامعة الدول العربية ، وهو يعمل الآن استاذا فى كلية الهندسة العليا فى بيروت ، كما تقلب فى عدة وظائف حكومية فى وزارتي الأشغال والمواصلات

— وهو عضو المجلس الأعلى للعلوم فى سورية منذ تأسيسه عام 1959 حتى عام 1963 .

— كما أنه عضو الجمعية اللبنانية لتقدم العلوم منذ عام 1969

— حامل ثمانية أوسمة من رتبة كوماندوز من مختلف البلاد العربية ..

من مؤلفاته :

— « من رسالة الطرق الى القاموس التقني للطرق» نشره المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الرباط عام 1971 .

الأستاذ جعفر الخليلي



- ولد فى النجف عام 1322 هـ (1904 م) فى بيت علم وادب ودين وطب .
- انتمى الى المدرسة العلوية
- ساهم بفكره وروحه فى الحركات الوطنية ضد الاحتلال الانجليزي .
- امتهن التعليم عشرة اعوام
- أصدر عدة صحف منها :
- جريدة : « الفجر الصادق »
- جريدة : « الراعي »
- جريدة « الهاتف »

من مؤلفاته القصصية :

- « الضائع »
- « فى قرى الجن »
- « من فوق الرابية »
- « اعترافات »

ومن مؤلفاته الاخرى :

- يوميات (جزءان)
- كنت معهم فى السجن
- القصة العراقية قديما وحديثا
- هكذا عرفتهم (جزءان)

اسهم فى تأليف « موسوعة العتبات المقدسة » مع عدد من اساتذة جامعة بغداد ، وصدر منها حتى الآن 12 دراسة

- وقد نال الأب توماس هامل درجة الدكتوراه من جامعة مشيغن عن الخليلي واعماله .

الدكتور جعفر الكتاني



- ولد بفاس 29 — 12 — 1931
- تعلم فى مدارسها الابتدائية ، ثم التحق بالقرويين ثم بغداد فالقاهرة
- يعمل استاذا للأدب العربي بجامعة محمد الخامس بالرباط
- حاصل على دكتوراه فى الدراسات العربية والاسلامية من السوربون

من مؤلفاته :

- « طفو ورسوب »
- « الم وامل »
- « الأشواط »
- « ايليا ابو ماضي »
- مواقف) الادب العربي — جزءان
- تحقيق كتاب حلية المحاضرة فى صناعة الشعر لأبي علي الحاتمي
- شخصية الحاتمي ونظريته النقدية

الى جانب العديد من المقالات والبحوث الأخرى المنشورة فى مختلف المجلات العربية

الأستاذ حامد حسن



— من مواليد محافظة طرطوس بسوريا عام 1921م

— يحمل اهلية التعليم ، والآداب .

— يتقن العربية والانجليزية وملم بالاسبانية .

— متأثر بشعراء العصر العباسي ، وبالبحتري خاصة ، وبأفكار المعري ، وفلسفة ابن سينا والفارابي .

— ان المذهب الابداعي الذي تجلى فى شعره ترك أثرا ظاهرا فى الكثيرين من تلامذته وزملائه الشعراء الشباب ، اشار الى خصائص هذا التأثير بشكل موسع الناقد حبيب بهلول فى كتابه: « حامد حسن والاتجاهات الأدبية الجديدة فى شعره »

— اصدر مع زميله المرحوم وجيه محي الدين مجلة « النهضة »

— عمل مدرسا للغة العربية وآدابها

— فى عام 1958 عين عضوا فى لجنة الشعر فى المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب واعيد انتخابه مرارا ولم يزل بها حتى الآن .

من مؤلفاته — الشعر :

— ديوان ثورة العاطفة 4 اجزاء

— عبق

— الأصيل

من قصصه :

— امراة ماكرة

— فى سبيل الرغيف

— أمام بعلبك ..

من مسرحياته :

— الخنساء

— الهوى السحيق (مسرحية شعرية) .. الخ .

الى جانب العديد من البحوث الأدبية والتاريخية والنقدية الأخرى .

الدكتور حسين محمد نصار



— ولد بمدينة اسيوط بصعيد مصر فى 25 اكتوبر 1925

— اتم تعليمه الأول فى اسيوط

— ثم من جامعة القاهرة حصل على الليسانس فى الآداب العربية ثم الماجستير فالدكتوراه .

— يجيد الانجليزية والفرنسية والألمانية ، واللاتينية والفارسية والتركية

— عمل فى الاذاعة العربية بالقاهرة ثم انخرط فى سلك التدريس حيث يشغل الآن منصب استاذ كرسي الأدب المصري فى المعهد الاسلامي .

مـــن مـــؤلفـــاتـــــه :

- معجم آيات القرآن
- المختار من كتاب الكامل للمبرد
- الشعر الشعبي العربي
- الطبيعة والشاعر العربي
- الثورات المصرية فى العهد الاسلامي

مـــن تحقيقـــــاتـــــه :

- ديوان سراقـــة البارقـــي
- رحلة ابن جبيـــر
- ديوان عبيد بن الابرص
- ديوان جميل بثينـــة
- المحكم لابن سيده
- المغازي الاولى ومؤلفوها لهورونتس

مـــن مترجماتـــــه :

- المغازي الأولى ومؤلفوها لهورفنس
- الموسيقى والغناء فى الف ليلة وليلة لفارمر
- تاريخ الموسيقى العربية لفارمر
- مصادر الموسيقى العربية لفارمر
- ابن الرومي لجست .

بالاضافة الى العديد من المقالات التي تبحث فى مختلف جوانب الفكر واللغة والأدب والمنشورة فى كثير من المجلات العربية .

الأستاذ خليل الهنداوي



- من مواليد صيدا لبنان عام 1906 م
وفيها تلقى تعليمه الأول
- عضو اتحاد الكتاب العرب ــ فرع حلب
- يجيد الفرنسية
- متأثر بكتاب « نهج البلاغة » الذي استظهره، وبشعر فحول العرب ، وبمدرسة العقـــاد وميخائيل نعيمة فى النقد ، ومن ادباء الغـــرب وفلاسفته نيتشه ، وشكسبير ، وغوركـــي ، ودوستويفسكي وغي دي موباسان ..
- درس الأدب العربي فى المـــدارس الثانويـــة (بسوريا) كل حياته العلمية تقريبا

مـــن مـــؤلفـــاتـــه :

- حقـــل القصـــة :
- صفحة من حياة باريس
- ارم ذات العمـــاد
- الحب الأول
- دمعة صلاح الدين
- تجديد رسالة الغفران لأبي العلاء

فى المســـرحيـــة :

- سارق النـــار
- هـــاروت وماروت
- زهرة البركان ... الخ

الى جانب كثير من الدراسات المختلفة التـــي تبحث فى مختلف جوانب الفكر العربي والانساني

الدكتور رشاد درغوث



- من مواليد صيدا (لبنان) عام 1917
- درس التربية فى دار المعلمين العليا فى بيروت ونال اجازتها ، ثم اجازة الحقوق، وتخصص فى الآداب والعلوم الانسانية ، وحصل على الدكتوراه بهذا الفرع
- مارس التدريس والعمل الدبلوماسي
- يجيد الفرنسية والانجليزية
- كان للقرآن الكريم ؛ وللانجيل اثر كبير فى تكوين ذوقه الأدبي ؛ وكذلك شعر المتنبي واحمد شوقي « وغي دي موباسان »
- نال عدة اوسمة من جهات مختلفة

من مؤلفاته :

الى جانب عدد ضخم من الكتب المدرسية له :

- خطيئة الشيخ (رواية)
- الحاج بحبح (مجموعة قصص)
- حمامة الوادي (مجموعة قصص)
- على درب الحياة (مجموعة قصص)
- صراع (مسرحية)
- البيروني (مسرحية)
- « شعري » (مجموعة قصائد)
- تيسير اللغة العربية — بحث لغوي .. الخ .

الأستاذ روكس بن زائد العزيزي



- ولد بمدينة (مادبا) من اعمال الأردن
- تلقى تعليمه الأول فى مسقط راسه ثم حصل على دبلوم الصحافة من القاهرة
- يجيد الانجليزية والفرنسية والتركية
- متأثر بابن خلدون وبالامام علي بن ابي طالب ، والمتنبي وابي العلاء والأب انستاس ماري الكرملي

من المناصب التي شغلها :

- المدير العام لشركات العزيزي
- ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان فى الأردن
- عضو مراسل لمركز الأبحاث الانثولوجية فى باريس
- عضو رابطة الأدب الحديث — بالقاهرة

كما أنه عضو فى عدة لجان او مجالس اخرى

من مؤلفاته :

- المنهل فى تاريخ الأدب العربي (3 اجزاء)
- الزنابق « مختارات من الشعر والنثر » (7اجزاء)
- الخلاصة التاريخية ، تاريخ العرب والمسلمين (جزءان)
- ازاهير الصحراء (مجموعة قصص)
- شاعر الانسانية (دراسة للشاعر الدكتور احمد زكي أبو شادي)
- تطور حقوق الانسان ... الخ

الى جانب العديد من المؤلفات المخطوطة الأخرى والبحوث المختلفة المنشورة فى المجلات العربية .

الدكتور سامي عياد حنا



— ولد فى 3 اكتوبر 1929 .

— حاصل على الماجستير فى الانسانيات من جامعة كولومبيا — نيويورك

— وعلى الدكتوراه فى فلسفة دراسات الشرق الأوسط — جامعة يوطا

— يجيد الانجليزية والفرنسية والايطالية

— عمل مدرسا للغة العربية فى جامعة يوطا

— وهو اول من اضاف الى برامج اللغة العربية عدة دراسات خاصة بالمغرب العربي

من مؤلفاته :

1 - Issues University Education.
2 - Al Afghani.
3 - Arab Socialism.
4 - European influence on modern Egyptian Literature.
5 - The Mawoval in Egyptian Folklore.

وغيرها من الكتب والبحوث القيمة التي تتناول مختلف ميادين الفكر واللغة والأدب .

الأستاذ سامي الكيالي

— ولد الأستاذ سامي الكيالي فى مدينة حلب عام 1898 م .

— تقلد عدة مناصب فكان مديرا لدار الكتب الوطنية، ومديرا للمركز الثقافي العربي بحلب ، كما كان عضوا فى اللجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية ، وعضوا فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الاجتماعية فى مصر وسورية ، وعضوا فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة .

— أصدر مجلة « الحديث » عام 1927 وبقيت حتى عام 1960 ، ولقد كانت هذه المجلة « مرآة للحياة الفكرية المتجددة خلال هذه الفترة »

من مؤلفاته :

— «نظرات فى التاريخ والنقد والأدب» ، وهو باكورة انتاجه .

— « شهر فى أوربا » انطباعات ذاتية عن رحلة الى الغرب

— « الفكر العربي بين ماضيه وحاضره »

— « الراحلون »

— « أنواء واضواء »

— « المرأة هذا اللغز الأبدي »

— « مع طه حسين » (الجزء الاول والثاني)

— « ولي الدين يكن »

— « الادب المعاصر فى سورية »

— « النفس الانسانية فى أدب الجاحظ »

— « من خيوط الحياة »

وغيرها من الكتب الأخرى التي قاربت الثلاثين كتابا ، الى جانب مئات من المقالات والأحاديث نشرت فى المجلات والصحف العربية

توفي — رحمه الله — مساء الخميس 1972/2/17

الأستاذ سعيد الديوه جي



- ولد بالموصل سنة 1912 ، وبها اكمل دراسته الابتدائية والثانوية ثم التحق بدار المعلمين العليا ببغــــداد
- عمل مدرسا ثم مفتشا لمعارف الموصل ثم نقل الى متحف الموصل حيث عين مديرا وبقي به حتى احيل على التقاعد عام 1968
- وفى سنة 1965 انتخب عضوا للمجمع العلمــي العراقـــي

مـــن مـــؤلفـــاتـــه :

- الفتوى فى الاسلام
- الأمير خالد بن يزيــد
- بيت الحكمـــة
- أشعار الترقيص عند العرب
- ملحمة الموصل للشيخ فتح الله القادري
- دور العلاج والرعاية فى الاسلام .. الخ

بالاضافة الى عشرات البحوث والمقالات المنشورة فى كبريات المجلات العربية او التي أذيعت من اذاعات مختلفـــة .

الأستاذة سلمى الحفار الكزبري



- ولدت فى دمشق فى 1 مايو 1923 ، والدها السيد لطفي الحفار كان من أوائل الوطنيين المناضلين فى سورية ورأس الحكومة مرارا
- زوجها السفير الدكتور نادر الكزبري
- تلقت تعليمها الثانوي فى معهـــد راهبـــات الفرنسيسكان .
- تجيد : الفرنسية والاسبانية والانجليزية
- متأثرة بالكتاب والشعراء امثال : الجاحـــظ ، المنفلوطي ، طه حسين ، فرلين ، بودلير ، ستيفان سفايج ، أندريه موروا ، غارسيا لوركا

مـــن مـــؤلفـــاتهـــا :

- يوميـــات هالـــة
- حرمان (قصص قصيـــرة)
- زوايـــا (قصص قصيرة)
- الوردة المنفردة (شعر بالفرنسية)
- عينان من اشبيلية (رواية)
- عبير الأمس (شعر بالفرنسية)

بالاضافة الى كثير من المقـــالات والقصـــص والأحاديث المنشورة فى مختلف المجلات العربية أو المذاعة من اذاعات عربية مختلفة .

الأستاذ شفيق جبري



- من مواليد دمشق فى 14 شعبان سنة 1314 هجرية
- تلقى تعليمه الأول فى مدرسة فرنسية بدمشق
- وفى عام 1913 حصل على الشهادة الثانوية ولم يحصل بعدها على غيرها من الشهادات لكن عبقريته رفعته فوق أصحاب الشهادات
- تأثر بابن المقفع والجاحظ من الكتاب وبالمتنبي من الشعراء
- عين رئيسا لديوان المعارف ثم عميدا لكلية الآداب فى الجامعة السورية ، وقد أحيل على التقاعد فاختار العزلة فى مدينة بلودان من مصطافات دمشق
- وقد انتخب عضوا فى مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1926 ، وعضوا مراسلا فى كل من مجمع القاهرة ومجمع بغداد

من مؤلفاته :

- المتنبي
- الجاحظ
- العناصر النفسية فى سياسة العرب
- بين البحر والصحراء
- أبو الفرج الأصبهاني
- أنا والشعر
- أنا والنثر ... الخ

الى جانب العديد من المقالات المنشورة فى مختلف المجلات والصحف العربية . وهو من شعراء سوريا الكبار .

الدكتور طه حسين



- من مواليد عزبة الكيلو فى 14 نوفمبر 1889 ، ونشأ بمدينة مغاغة من أعمال محافظة المنيا بصعيد مصر
- فى سنة 1902 التحق بالأزهر ثم انتقل الى الجامعة الأهلية سنة 1908 ومنها حصل على درجة الدكتوراه فى الأدب العربي وكانت أول درجة دكتوراه تمنحها هذه الجامعة سنة 1914
- سافر بعد ذلك الى فرنسا فى بعثة على نفقة الجامعة المصرية ، ومن السوربون حصل على درجة الليسانس فى الآداب سنة 1917 ، ثم الدكتوراه فى يناير سنة 1918 وكانت عن فلسفة ابن خلدون .
- فضلا عما حصل عليه من دكتوراه فخرية من جامعات ليون ، مونبليه ، روما ، بالرم ، اثينا ، مدريد ، غرناطة ، اكسفورد .
- يجيد الفرنسية واللاتينية واليونانية
- متأثر بقدماء العرب من الأدباء والعلماء وخاصة الجاحظ وأبي العلاء .

— اما تأثيره فى غيره فهو موضوع يحتاج الى دراسات طويلة وابحاث واسعة لأن اثر طه حسين لم يكن محصورا فى فرد أو افراد بل شمل عصرا باكمله وهناك المئات من تلاميذ تلامذته يشهدون له بهذا الفضل والتأثير ، ومنذ كتب بحثه المشهور عن « الأدب الجاهلي » اتخذت الدراسات العربية النقدية المعاصرة مجرى جديدا سرى فيها نهج طه حسين الذي يقوم على الشك والتمحيص وعدم قبول كل ما رواه الرواة القدامى .

— يعد طه حسين مدرسة قائمة بنفسها فى هذا الصدد وقد كان له كثير من الفضل فى خلق جيل جديد تتلمذ على يديه لا فى مصر وحدها بل فى اطراف العالم العربي كله .

— لذا نقد عد طه حسين ظاهرة فريدة من نوعها فى الأدب العربي المعاصر فى دراساته النقدية والتاريخية على وجه الخصوص .

— له عشرات المؤلفات فى مجالات الفكر والحضارة والتاريخ والأدب واللغة والرواية .. الخ ، وقد ترجمت معظمها الى عشرات اللغات الأجنبية .

— ولسنا بحاجة فى هذا التعريف السريع أن نعدد مؤلفات طه حسين لأن ذلك سيكون ضربا من اللغو والعبث فهي اشهر من أن تعرف على اختلاف موضوعاتها واتجاهاتها .

الشيخ طه الولي



— ولد بطرابلس الشام عام 1921 م

— تلقى تعليمه الأول فى بيروت فى المدارس العربية ثم فى مدرسة « اللاييك » الفرنسية .

— وبعد حصوله على « الثانوية الشرعية » انتقل الى مصر حيث التحق بكلية اصول الدين بالأزهر الشريف وتخرج منها كما احرز على ليسانس فى الحقوق من جامعة القاهرة كذلك .

— كان له اسهام فى مقاومة المحتلين فسجن وعذب وجرح مرارا .

— وكما ساهم فى الحقل السياسي والوطني كانت له خدمات جلى فى خدمة الاسلام والمسلمين عن طريق الكتابة والتاليف .

— شارك فى عدة احزاب سياسية للمناضلة ضد المستعمرين سرا وجهرا ، كما اسس كثيرا من الجمعيات

— تدرج فى عدة وظائف حكومية وهو الآن المستشار لسفارة تشاد ببيروت

— نال عدة اوسمة من مختلف الجهات

من مؤلفاته :

— المجاهد العربي الكبير محمد علي الطاهر

— الاسلام والمسلمون فى تشاد

— عبد الرحمن الأوزاعي

— جمهورية تشاد

— بيروت بقلم الرحالين الاجانب ... الخ

الى جانب العديد من المقالات والبحوث المنشورة فى كثير من الصحف والمجلات العربية فى مختلف المجالات الفكرية والاسلامية والحضارية

الدكتور عباس الجراري



- ولد بالرباط فى 15 فبراير 1937
- تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي فى المغرب
- ثم رحل الى مصر فأتم دراسته الجامعية بكلية آداب القاهرة حيث أحرز على الدكتوراه فى الأدب العربي عام 1969
- يجيد الفرنسية
- عمل فى السلك الدبلوماسي ثم اختير أستاذا للتعليم العالي
- متخصص فى الأدب العربي والمغربي منه خاصة.
- له اهتمام خاص بالدراسات المغربية الشعبية منها .

من مؤلفاته :

- الزجل المغربي (القصيدة)
- من وحي التراث
- الحرية والأدب
- الثقافة فى معركة التغيير

الأستاذ عبد الحق فاضل



- من مواليد بغداد من اسرة موصلية عام 1915 تلقى تعليمه الأول فى الموصل ، ثم الثانوي والحقوق فى بغداد .
- عمل محاميا بالموصل ، حيث كان يصدر مجلة « المجلة » وهي ادبية ثقافية عامة .
- وفى عام 1940 دخل الخدمة الخارجية ، ثم اصبح عام 1959 وكيلا لوزارة الخارجية ، ثم فى عام 1960 سفيرا لبلاده فى الصين ، ثم تفرغ للدرس والكتابة منذ عام 1963 .
- يجيد : الانكليزية ، والفارسية ، ولغات اخرى .
- وضعه الأستاذ الناقد عبد الالاه احمد فى كتابه عن القصة العراقية — فى قمة اكتمال نضج القصة العراقية قبل الستينات .

من مؤلفاته :

- مجندنان — طبعتان 1958/1939 .
- مزاح وما اشبه (مجموعة قصصية) (1940)
- حائرون (مجموعة قصصية) (1958) (ترجم المستشرق الاسباني كوميز بعض قصص المجموعة الى اللغة الاسبانية)
- طواغيت (مجموعة قصصية) (1958)
- ثورة الخيام (طبعتان 1952 و 1968) (وهو دراسة عن الخيام ورباعياته ، ثم ترجمة شعرية امينة للرباعيات ولقد ترجمت الرباعيات عن هذا الكتاب مباشرة طبقا لتصنيفها فيه. الى الاسبانية وطبعتفى

فى كتاب مع خلاصة من الدراسة من قبـل جامعة قرطبة بالارجنتين)

• 4 نساء و 3 ضفادع (مسرحية) (1969) نقل المؤلف فى هذه المسرحية انسان اليـوم الى القرن الثلاثين ، وجعله يلتفت خلفـه ليرى نفسه من مسافة الف سنة بعـد تجريده من المؤثرات التي تزعزع صحة حكمه على الاشياء المحيطة به والمشتبكة بمصالحه وعقده ، وهي مسرحية رائدة فى فنها .

• مغامرات لغوية ، وهو كتاب فريد من بابه انتهى فيه الى ثلاثث نظريات اساسية اولها: أن العربية هي أم اللغات الآريـة ، لا الحامية والسامية فقط .

وثانيها : وضع ما اسماه بعلم «الترسيس» اللغوي الذييرجع بالكلمة الى رسمها الأول منذ نطق بها اول انسان ، وبذلك أمكن اثبات علم « نشوء اللغة » وارسائه على قواعـد علمية .

ثالثها : اكتشاف حقائق تاريخية مجهولـة سبقت عهود التدوين ، وقد نشر نماذج من هذه الدراسات فى أعداد من مجلة « اللسان العربي » تحت العنوان العام : (تاريخهم من لغتهم)

• هو الذي راى — (ملحمد تلقميش) (1972) وهي ملحمة بابلية كتبت منذ 4000 عام

• يوليوس قيصـر

الدكتور عبد الحليم منتصر



— من مواليد مركز فاريسكور بمصر

— تخرج فى الجامعات المصرية ودرس فى جامعـة لندن بانجلترا وجامعة جنيف بسويسرا حيـث احرز بالتوالي على الباكالوريوس الماجستيـر والدكتوراه فى العلوم

— يجيد الانجليزية

— وهو عضو الأكاديمية المصرية للعلوم

— عضو مجمع اللغة العربية

— رئيس تحرير مجلة رسالة العلم

— وهو الأمين العام للاتحاد العلمي العربي

— والامين العام للاتحاد العلمي المصري .

— كما هو عضو فى كثير من الهيئات والجمعيـات العربية والدولية ورئيس لجنة الثقافة العلمية بأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا

— له عشرات البحوث العلمية المبتكرة فى علم البيئة النباتية

— له عشرات من الكتب العلمية تاليفا وترجمة او مراجعة

— شارك فى مراجعة الكثير من المعاجم العلميـة كالمعجم العسكري والمعجم العلمي العربـي الموحد وغيرهما .

— حاصل على جائزة التاليف العلمي مـن وزارة المعارف المصرية .

مـن مـؤلفـاتـه :

— حياة النبات

— تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه

— اسس علم النبات

— الدراسة والجنس

— موجز نباتات مصر .. الخ
الى جانب العديد من البحوث العلمية القيمـة المنشورة فى المجلات المتخصصة .

الدكتور عبد الرحمن مرحبا



- من مواليد طرابلس لبنان 1927
- تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بطرابلس
- ثم انتقل الى القاهرة والتحق بجامعة (فؤاد الأول) وتخرج من قسم الفلسفة ثم حصل على دبلوم معهد التربية العالي ؛ اما الدكتوراه فقد احرز عليها من جامعة باريس فى الفلسفة
- يجيد الفرنسية ، والانجليزية ، واللاتينية .
- متأثر بآنشتين وبرتراند رسل بين المؤلفين ، وبالدكتور زكي نجيب محمود والدكتور عبد الواحد وافي ولوي ماسنيون وجاستون بشلار من اساتذته فى القاهرة وباريس

من مؤلفاته :

- نظرية النسبية
- قبل أن يتفلسف الانسان .
- المسألة الفلسفية
- من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية
- وهو مترجم كتاب (الانسان) لجان روستان.. الخ بالاضافة الى كثير من البحوث والمقالات القيمة المنشورة فى مختلف المجلات العربية .

الدكتور عبد السلام العجيلي



- من مواليد الرقة فى شمالي سورية ، عام 1918 والرقة كانت مصطاف هارون الرشيد
- تلقى تعليمه الابتدائي بالرقة ، والثانوي بحلب ، وتخرج طبيبا من جامعة دمشق عام 1945 .
- يجيد الفرنسية والانجليزية
- عمله الرسمي طبيب وهوايته الأدب وقد غلبت هوايته على عمله حتى ظنوه منصرفا الى الأدب انصرافا كليا — كان عضوا فى المجلس النيابي السوري ووزيرا للثقافة والخارجية والاعلام
- متأثر بالادب العربي القديم والتراث الشعبي وتأثر بالعقلية العلمية أثناء مراحل دراسته . وهو من اوائل القصاصين المتازين فى سورية
- اربت مؤلفاته على الخمسة عشر كتابا منها :
- الليالي والنجوم (شعر)
- بنت الساحرة
- قناديل اشبيلية
- الخيل والنساء
- الحب والنفس .. الخ

(مجموعات قصصية)

- باسمة بين الدموع
- رصيف العذراء السوداء

(روايات)

الى جانب العديد من البحوث والمقالات الأخرى المنشورة فى الصحف والمجلات العربية أو ضمن كتب مستقلة .

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله



— من مواليد مدينة الرباط 1923

— والده العلامة الجليل السيد عبد الواحد بنعبد الله ؛ من علماء الرباط المعروفين ، ونشأ الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله فى ظل اسرة كريمة المنبت ، علمية ، دينية ، محافظة ، عرف كل أفرادها بالاستقامة والخلق الكريم .

— أحرز الباكالوريا عام 1943 ، وشهادتي الليسانس فى الآداب والحقوق عام 1946 ؛ ودرس العلوم الاسلامية على ثلة من كبار العلماء بالعاصمة (الرباط)

— تولى الادارة العامة للمحافظة العقارية ومصالح الهندسة عام 1957 ؛ ثم ادارة التعليم العالي والبحث العلمي من 1958 الى 1961 ثم مديرا للمعهد الوطني للتعريب

— يعمل حاليا مديرا عاما للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وهو يشغل هذا المنصب منذ 1962 . وهو أستاذ الحضارة والفن بكلية الآداب (جامعة محمد الخامس) وأستاذ العلوم الاسلامية فى دار الحديث الحسنية بالرباط (التابعة لجامعة القرويين)

— يعد الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله من أبرز رجالات المغرب العلمية ، ويعد نشاطه الفكري فى شتى مجالات المعرفة والعلم اسهاما كبيرا فى النهضة الثقافية المعاصرة .

— وهو يتمتع بسمعة علمية مرموقة فى المشرق العربي ، والعالم الاسلامي ، عن طريق تآليفه العديدة أو عمله كمدير عام لمكتب التعريب ورئيس تحرير لمجلة : « اللسان العربي » المعروفة .

— ولقد زار كثيرا من الدول العربية والأجنبية بدعوة منها لالقاء العديد من المحاضرات بجامعاتها ومؤسساتها العلمية فى مختلف الميادين الفكرية واللغوية والحضارية الخ ..
كما مثل بلاده فى عدة مناسبات دولية .

— يجيد اللغة الفرنسية وله بها بعض التآليف .

— يميل للأدب العلمي ، وهو مغرم بالتاريخ والحضارات واللسنيات .

— له مصنفات عديدة باللغتين العربية والفرنسية أهمها :

- الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب
- مظاهر الحضارة المغربية (جزءان)
- معطيات الحضارة المغربية (جزءان)
- الفن المغربي فى مختلف العصور (باللغتين العربية والفرنسية)
- التيارات الكبرى لحضارة المغرب (بالفرنسية)
- الطب والأطباء فى المغرب
- أضواء على الاسلام (بالفرنسية)
- تاريخ المغرب (دراسة مقارنة للنصوص العربية والأجنبية)
- جغرافية المغرب (ثلاث طبعات)
- الاسلام فى تطور (بالفرنسية)
- نحو تفصيح العامية
- تطور الفكر واللغة فى المغرب الحديث (اصدره معهد الدراسات العربية بالقاهرة وهو مجموعة محاضرات القيت بهذا المعهد
- كما أن له مجموعة قصص تاريخية على نسق جرجي زيدان ، تعالج تاريخ المغرب ستصدر قريبا عن احدى دور النشر ببيروت ... الخ

بالاضافة الى العديد من المعاجم فى مختلف الحقول العلمية التي يصدرها عن طريق المكتب وخاصة منها معاجم المعاني وغيرها التي كانت دائما محط عناية واهتمام من طرف العلماء والمتخصصين فى البلاد العربية وخارجها .

الأستاذ عبد القادر زمامة



- ولد بفاس سنة 1924
- يعمل استاذا بكلية الآداب (جامعةمحمد الخامس)
- له اهتمام بالبحوث العلمية فى اللغــــة والأدب والحضارة
- ابحاثه منشورة فى كثير من المجلات العربية منها:
  - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .
  - مجلة اللسان العربي ــ الرباط
  - مجلة معهد المخطوطات العربية ــ القاهرة
  - مجلة البحث العلمي ــ الرباط
  - مجلة الثقافة المغربية وغيرها من المجلات العربيـــة الأخرى

الدكتور عبد الكريم كريّم



- ولد بالرباط عام 1934 وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي
- كما درس فى دمشق ومن جامعتها نال الليسانس فى التاريخ
- وفى نفس الاختصاص حصل على دبلوم الدراسات العليا من جامعة محمد الخامس بالرباط
- ومن جامعة عين شمس أحرز على درجـــــة الدكتوراه فى الآداب
- عمل مدرسا غداة افتتاح جامعة محمد الخامس بالرباط ولا زال فيها حتى اليوم

مـــن مـــؤلفـــاتـــه :

- نشأة الدولة السعدية بالمغرب
- عهد المولى احمد المنصور الذهبي
- تحقيق ودراسة مخطوط (مناهل الصفا) لعبد العزيز الفشتالي ، الى جانب عـــدة بحـــوث ودراسات اخرى تتناول تاريخ المغرب .

الدكتور عبد الهادي التازي



- ولد بمدينة فاس 25 — 6 — 1921
- عضو بالمجمع العلمي ببغداد
- كاتب عام لمركز التنسيق بين اللجان الوطنية والاقليمية العربية لليونسكو
- كان سفيراً للمملكة المغربية فى العراق وليبيا
- بعد أن حصل على الشهادة العليا من جامعة القرويين بفاس ، احرز على دبلوم الدراسات العليا من جامعة محمد الخامس ثم على الدكتوراه من جامعة الاسكندرية .
- أسهم منذ صغره فى الحركة الوطنية من أجل الاستقلال

من مؤلفاته :

- آداب لامية العرب
- الضرب على الآلة الكاتبة بالاشتراك مع أندري بونو
- جامعة القرويين (المختصر) باللغات الثلاث
- تاريخ العلاقات الامريكية المغربية (بالانجليزية) .. الخ .

من مترجماته :

- حقائق عن الشمال الافريقي للجنرال دولاتور
- ساعات من القرن الرابع عشر فى فاس للدكتور برايس

له تحت الطبع كثير من الكتب ، وتزخر مختلف المجلات والصحف العربية بالعديد من بحوثه ومقالاته فى شتى مجالات الفكر والادب والتاريخ

الأستاذ عفيف بهنسي



- من مواليد دمشق عام 1928 .
- درس الحقوق فى دمشق والفنون فى باريس ، وحصل على درجة الدكتوراة من السوربون فى تاريخ الفن والآثار
- يعمل مديرا للفنون واستاذا جامعيا
- يجيد الفرنسية والانجليزية
- من أوائل من كتب فى النقد الفني وفى التاريخ الفني فى سورية

من مؤلفاته :

- الفنون التشكيلية فى سورية
- الفن عبر التاريخ
- اتجاهات الفنون الحديثة
- تاريخ الفن فى العالم
- أثر العرب فى الفن الحديث
- معجم مصطلحات الفنون .. الخ

بالاضافة الى العديد من البحوث والمقالات المنشورة فى مختلف الصحف والمجلات العربية منذ عام 1950 .

الدكتور عمر الجارم



- ولد برشيد (مصر) فى 18 — 9 — 1919
- تخرج من جامعة الاسكندرية حيث نال بكالوريوس الطب والجراحة سنة 1944 .
- ثم حصل على دبلوم الطب النفسي من جامعة لندن سنة 1950 .
- حاز على دكتوراه الطب فى الأمراض العصبية من جامعة الاسكندرية سنة 1951 .
- يجيد اللغة العربية والانجليزية
- يعمل رئيسا لقسم الأمراض العصبية والنفسية كلية الطب جامعة ألاسكندرية
- تأثر فى ادبه وشعره بعمه شاعر العروبة الاستاذ علي الجارم (بك)
- من منشئي قسم الأمراض العصبية والنفسية بكل من كليتي الطب بالاسكندرية وطنطا والتدريس والعلاج وعمل الابحاث بهما .
- وهو رئيس الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية

من مؤلفاته العلمية :

- الأمراض العصبية الواضحة (باللغة الانجليزية) (طبع مرتين) .

من مؤلفاته الأدبية :

- ديوان شعر يزيد على الألفي بيت (تحت الطبع)

الدكتور مأمون الكزبري



- من مواليد دمشق (سورية) 1914
- تلقى تعليمه الأول بمدرسة الاخوة المريميين فى دمشق ثم التحق بمعهد الحقوق الفرنسي ببيروت وبعد حصوله على الاجازة فى الحقوق احرز على دبلوم الدراسات العليا ثم الدكتوراه .
- يجيد الفرنسية وشيئا من الانكليزية
- متأثر بالاستاذ السنهوري فى مصر وجوسران بفرنسا
- راس الوزارة السورية مرارا وكان وزيرا للعدل والتربية كذلك ونائبا عن رئيس الجمهورية مرتين
- كان نقيبا للمحامين بدمشق عام 1960
- شارك فى عدة مؤتمرات حقوقية دولية
- وتعاطى المحاماة الى جانب التدريس
- يعمل اليوم استاذا بكلية الحقوق (جامعة محمد الخامس الرباط)

من مؤلفاته :

- الصورية فى التشريع السوري واللبناني
- المدخل العام للدراسات الحقوقية
- التشريع العقاري السوري
- التشريع العقاري فى المغرب .. الخ .

— التحق بعد ذلك بالتعليم الحر ، حيث كان لــه اسهام كبير فى نشر اللغة العربية والمبـادىء الوطنية ، على الرغم مما عاناه هو وزملاؤه مـن مصاعب وعراقيل من طرف السلطات الاستعمارية

— شارك فى حركة الكفاح الوطني حيث سجـن واضطهد مرارا ، لذا عد من الوطنيين الاوائـل الذين كان لهم دور كبير فى مقاومة المستعمـر وبث روح المقاومة والكفاح فى نفوس المواطنين.

— قام بدور هام فى العمل على انشاء « بكالوريـا عربيـة » بالمملكة المغربية .

— شارك فى تأسيس عصبة مكافحة الامية وترأسها فى سنواتها الاولى .

— كما أسهم فى انشاء جريدة « منـار المغـرب » التي أصبح رئيسا لتحريرها .

— تقلد عدة مناصب ادارية فكان مفتشـا عامـا لوزارة التربية الوطنية ، ومشرفا اداريـا على جامعة القرويين ؛ ونائبا عن وزير التربية الوطنية فى الاشراف على عدة أقاليم بالمغرب .

— مارس كثيرا من النشاطات الفكرية والاجتماعية والتربوية بالقاء سلسلة من المحاضرات بجامعة محمد الخامـس ؛ أو القيام بتمثيل وزارة التربية فى كثير من المؤتمـرات والنـدوات الدوليـة .

— يعمل حاليا مديرا مساعدا للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي التابع للمنظمة العربية للثقافة والعلوم .

— من مؤلفـاتـه :

— المشاركة فى وضع عدة كتب مدرسية مختلفة .

— ورواية باللغة العربية — اجتماعية وطنية تحت عنوان « كنـزة » .

— وهو الآن عاكف على العمل فى المجال اللغوي وفى الترجمة .

الأستاذ محمد بن زيان

— من مواليد مدينة وجدة — شرق المملكة المغربية عـام 1914 .

— تخرج من ثانوية مولاي يوسف بالرباط — قسم المعلميـن .

— حاصل على ليسانس فى الادب العربي ، ودبلوم معهد الدراسات العليا بالرباط .

— يجيد الفرنسية مع المام بالاسبانية واللاتينيـة ولهجة « تمازغت » البربرية .



— مارس التعليم الابتدائي والثانوي منذ تخرجه الى نهاية سنة 1944 .

— أقصى من عمله فى التعليم بعد حوادث سنـة 1944 التي تمخضت عن المطالبة باستقـلال المغـرب .

الأستاذ محمد جميل بيهم



— ولد فى بيروت سنة 1887

— تلقى علومه الأولى بالمدرسة العثمانية ، ومدرسة اوليفيا الافريقية

— احرز على درجة الدكتوراه من جامعة باريس .

— عرف بجولاته واسفاره المتعددة

— دعا الى انشاء كلية اسلامية وهو من دعاة تحرير المراة

— عرف بمواقفه الحرة من الانتداب الفرنسي

— راس المجمع العلمي اللبناني، كما هو رئيس جمعية اخوان الثقافة ، وعضو المجمع العلمي العراقي، وعضو الأكاديمية للتاريخ العالمي فى باريس ، وعضو المجمع الامريكي للعلوم السياسية والاجتماعية ، وهو عضو فى جمعيات اخرى عربية واجنبية .

من مؤلفاته :

— المراة فى التاريخ والشرائع

— فلسطين اندلس الشرق

— الحلقة المفقودة فى تاريخ العرب

— العروبة والشعوبيات الحديثة

— فلسفة تاريخ محمد

كما الف باللغتين الفرنسية والانجليزية

— وقد ترجمت كثير من كتبه الى لغات اجنبية

— وهو ذو نشاط حافل فى مختلف الحقول العلمية والسياسية والأدبية وغيرها .

الأستاذ محمد خلف الله أحمد



— ولد الاستاذ محمد خلف الله احمد فى 15 يونيه 1904 فى سوهاج من اعمال مصر وفيها تقضى المراحل الأولى من تعليمه .

— اتم دراسته العالية فى الآداب والعلوم العربية والاسلامية فى « دار العلوم » 1928 .

— ثم ابتعث الى جامعة لندن لدراسة العلوم الفلسفية وفيها احرز على درجة : B.A. Hons ودرجة الماجستير فى الآداب M.A. بامتياز

— درس بعد عودته فى دار العلوم ثم نقل مدرسا للادب والنقد فى كلية الآداب بجامعة عين شمس. وفيها وضع اصول المنهج النفسي فى دراسة الأدب ونقده

— تدرج فى مناصب التدريس حتى اصبح وكيلا لجامعة عين شمس ، وفى يناير 1965 انتخبه زملاؤه مديرا لمعهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية

— له أكثر من عشرة كتب مطبوعة ، وأكثر من اربعين بحثا منشورا فى مختلف المجلات العلمية .

— أشرف على عشرات الرسائل العلمية او شارك فى مناقشتها فى الجامعات العربية وفى بعض البلاد الاسلامية .

— تقلب فى عدة مناصب مهمة استاذا وعميدا ووكيلا للجامعة ، وعضوا فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

— وهو عضو فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وعضو مؤازر بالمجمع العلمي العراقي ببغداد ، وعضو مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، وهو عضو كذلك فى عدة هيئات اخرى ولا يزال مديرا لمعهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية ويقوم الى جانب ادارة المعهد برياسة قسم اللغة والأدب فيه .

من مؤلفاته :

فى النقد : كتاب : « من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب والنقد » وهو كتاب رائد فى ميدانه يعده بعض النقاد اول معالجة علمية فى اللغة العربية لموضوع الاتجاه النفسي فى النقد .

فى تاريخ الأدب : كتاب « معالم التطور الحديث فى اللغة العربية وآدابها » يتضمن هذا الكتاب دراسة تقوم على خطة جديدة فى التاريخ الأدبي.

فى الدراسات الادبية : كتاب « دراسات فى الأدب الاسلامي » عنى فيه المؤلف بدراسة بعض الشخصيات الاسلامية الأدبية دراسة تحليل ومقارنة على منهج فني نفسي .
كتاب « حفني ناصف كاتبا وباحثا »

فى التحقيق والنشر : كتاب « ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ، للرماني والخطابي والجرجاني » .

فى الترجمة : « كيف يعمل العقل »

فى التصنيف : كتاب « الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة » .

وغيرها من البحوث والدراسات التي تبحث فى مختلف جوانب الفكر العربي والانساني .

الأستاذ محمد طه النمر

— من مواليد 23 ابريل 1913

— اتم دراساته الاقتصادية والمالية بجامعة القاهرة (البكالوريوس سنة 1935 ودراسات الماجستير سنة 1945) .

— عمل لمدة عشرين عاما فى الوظائف الحكومية بوزارات العدل والتجارة والصناعة والحربية ، كما اوكلت اليه ادارة بعض المؤسسات العامة الثقافية والاقتصادية العامة .

— تطوع للخدمة بالقوات المسلحة حتى وصل فيها الى رتبة الرائد واشترك فى الحرب العالمية الثانية وفى حرب فلسطين سنة 1948 وفى حرب الاعتداء الثلاثي سنة 1956 وحصل على كثير من الاوسمة وانواط الجدارة .

— اختير سنة 1954 وكيلا مساعدا لوزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية ثم رقي وكيلا



دائما لنفس الوزارة سنة 1958 وحتى سنة 1965 .

— كان عضوا مؤسسا للمعاهد القومية للتربية والتعليم منذ سنة 1956 وهي اكبر مؤسسة تعليمية خاصة فى جمهورية مصر فى مجال تعليم اللغات الأجنبية (الانجليزية والفرنسية) واصبح سنة 1961 رئيسا لمجلس ادارة هذه المؤسسة حتى سنة 1965 .

— شارك رئيسا وعضوا فى كثير من الانشطة العلمية والثقافية لمجلس جامعة القاهرة والمجلس الاعلى للتعبئة والاحصاء ومؤسسة الابنية

المدرسية والجمعية الدولية للتعليم التجاري ..الخ

- شارك رئيسا وعضوا فى كثير من المؤتمرات العربية والدولية التربوية والثقافية .
- وافق مجلس جامعة الدول العربية فى مارس 1966 — بناء على ترشيح جمهورية مصر — على تعيينه مديرا للادارة الثقافية حتى ضمت هذه الادارة الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
- فى يوليو سنة 1972 عين رئيسا للجهاز العربي لمحو الامية .
- له انتاجه العلمي فى مجالات الادارة التعليمية والتخطيط والاحصاءات التربية .

الدكتور محمد عبد الفتاح القصاص



- من مواليد « برج البرلس بتاريخ 6— 7 — 1921 بمصر
- تتلب فى سلك التعليم من معيد الى مدرس الى استاذ فرئيس قسم
- كان السكرتير العام المساعد للمجلس الأعلى والمشرف على وحدة بحوث البيئة بالمركز القومي للبحث ثم اصبح مسؤولا عن برنامج العلوم التطبيقية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اعتبارا من يناير 1970 .
- شارك فى عدة مؤتمرات دولية فى مختلف بلاد العالم .
- نشر بحوثا علمية عن حياة النبات فى الصحاري المصرية والسودانية
- وضع بالاشتراك مع الدكتور عبد الحليم منتصر كتابا باللغة العربية عن « صحاري مصر »
- ترجم وشارك فى ترجمة عدة كتب الى اللغة العربية عن حياة النبات
- وله مقدمة فى علم تشريح النبات
- وقاموس كومبتون للمصطلحات العلمية
- والنجيليات
- علم الشكل النباتي
- غزرت مؤلفاته فى مجال تخصصه غزارة جعلته موضع احترام العلماء ومنها نحو ثلاثين موضوعا باللغة الانجليزية .

الأستاذ محمد محمد الخطابي



- من مواليد مدينة تطوان (1947)
- تلقى تعليمه الجامعي بالقاهرة .
- احرز الباكالوريا عام 1964 ، ثم الليسانس فى الآداب من جامعة عين شمس بالقاهرة 1969 .
- كان ذا نشاط اجتماعي ملحوظ بين طلاب جامعته
- واسهم فى اصدار جريدة « الطلاب » حيث كان مشرفا على القسم الادبي بها . ومحررا فى مجلة « عين شمس » كذلك .
- نال عدة جوائز تقديرية — على المستوى الجامعي — منها : جائزة القصة القصيرة فى قصة عن فلسطين تحت عنوان « نداء الضمير » واخرى فى

البحث الموجز : بحث عن فلسطين كذلك ، وثالثة — فى القراءة الحرة — عن بحث عن اخطار الصهيونية .

— عضو فى اتحاد كتاب المغرب

— شارك فى مؤتمر « ندوة فلسطين العالمية » بالقاهرة عام 1965 كمترجم عن اللغة الاسبانية.

— يجيد الاسبانية ويلم بالفرنسية ، ثم الايطالية .

— صاحب البرامج الاذاعية : فى رحاب اللغة ، اللغة والحضارة ؛ اشعار متقاطعة ، حكايات من حياتهم ، عظماء من افريقيا .

— يعمل حاليا رئيس شعبة بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي منذ تخرجه عام 1969

- لـه : « كلمات واشارات ... » مجموعة مقالات ودراسات عامة ، نشر معظمها فى جريدة « العلم » المغربية — تحت الطبع —
- « رسالة المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسه ، 1962 — 1972 »
- بالاضافة الى كثير من المقالات والمترجمات المنشورة فى بعض الصحف والمجلات .

الأستاذ محمود تيمور



— ولد بالقاهرة سنة 1894 م فى بيت علم وادب ودين

— تعلم بالمدارس المصرية ثم التحق بمدرسة الزراعة العليا

— ثم تفرغ بعد ذلك للأدب

— حصل على كثير من الجوائز منها تتويج المجمع اللغوي لانتاجه عام 1947 .

— حاصل على جائزة الدولة للآداب

— وجائزة واصف غالي بباريس

— كما منح جائزة الدولة التقديرية فى الآداب ، ووسام الاستحقاق من الطبقة الاولى ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى كذلك

— عضو فى مجمع اللغة العربية، وفى المجلس الاعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، والمجمع اللغوي العراقي والمجمع اللغوي المجري .
قال عنه المستشرق المجري جرمانوس :

— « يسمو محمود تيمور عن الكاتب الروائي المجرد الى مصاف الفلاسفة الادباء ومعلمي الثقافات ، بما يقدم من امثلة انسانية ترمي الى اهداف رفيعة »

وقال عنه طه حسين :

— « وانك لتوفى حقك اذا قيل انك اديب عالمي بأدق معاني هذه الكلمة وأوسعها »

— وقد غزر انتاجه حتى زاد على الخمسين مؤلفا ما بين أقاصيص ومسرحيات وروايات قصصية، ومقالات أدبية ، وأبحاث لغوية ، وصور وخواطر ورحلات ترجم الكثير منها الى العديد من اللغات الاجنبية الحية : كالفرنسية والالمانية، والانجليزية ، والروسية والايطالية ، واليوغسلافية ... الخ .

— كما كتبت عنه كثير من الدراسات النقدية والأدبية فى مختلف البلاد العربية

— وقد لقب بشيخ القصة العربية او عميدها لانه أول من طرق هذا الفن فى مصر كما يشهد له طه حسين بذلك فى الكلمة التي استقبله فيها بالمجمع قال : « .. وسبقت انت الى شيء لا أعرف أن احدا شاركك فيه فى الشرق العربي كله الى الآن » .

— وكما كان لطه حسين آثاره الواسعة على جيله كان لمحمود تيمور آثاره هو الآخر على كتاب القصة فى مصر وباقي البلاد العربية

اللواء الركن
محمود
شيت خطاب

- من مواليد الموصل فى شمال العراق عام 1919
- تلقى تعليمه الابتدائي والاعدادي فى نفس المدينة ثمتخرج من الكلية العسكرية فى بغداد ، ومنها سافر الى انجلترة وتخرج منكلية الضباط العظام وكان ترتيبه الأول على مائة ضابط من مختلف الأمم والجنسيات
- يجيد الانجليزية وقليلا من الفرنسية
- عضو فى المجمع العلمي العراقي ومجمع اللغة العربية فى القاهرة ومجمع اللغة العربية بدمشق ومجمع البحوث الاسلامية فى الأزهر وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي
- متأثر بسيرة النبي (صلىٰ الله عليه وسلم)



من مؤلفاته :

- القضايا الادارية فى الميدان
- التدريب الفردي ليلا
- القضايا الادارية فى الحروب الجبلية
- قادة فتح العراق والجزيرة
- الرسول القائد
- قادة فتح بلاد فارس
- قادة فتح الشام ومصر
- قادة فتح المغرب العربي (جزءان) .. الخ

ولقد قاربت كتبه السبعين كتابا معظمها فىالتاريخ الاسلامي ويعرف بقادته أو يتناول الأمور العسكرية وكلها ذات قيمة وشأن .

الدكتور

ممدوح حقي



— من مواليد دمشق 1915

— تلقى تعليمه لاول في سوريا

— واصل دراساته العليا في دمشق ثم في مصر ثم في باريس .

— احرز البكالوريا والليسانس في دمشق ثم الدكتوراه في مصر وباريس .

— يجيد الفرنسية والانجليزية ، وبعض اللغات الشرقيـة .

— تدرج في مناصب سامية دبلوماسية وعلمية وادارية .

— متاثر بالادب القديم اسلوبا ، وبالفكر الحديث علميا أما آثاره في غيره فيظهر في الاقبال الكبير على مؤلفاته على اختلاف موضوعاتها ، حتى تكررت طبعات بعضها ست عشرة مرة .

— يعمل حاليا كبيرا للخبراء بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي .

— جمع بين الثقافتين الشرقية والغربية ، فكان خير نموذج المثقف الحقيقي الذى يمثل عصره احسن تمثيل .

— وهو بالاضافة الى ادبه وعلمه الفزيرين شاعر مبدع ولقد اوجز المرحوم احمد امين وصفه فقال : « علم الدكتور حقي ادب ، وادبه شعر ، وشعره موسيقى » .

— اربت مصنفاته على الستين بين مؤلف ومترجم ومحقق منها :

- العروض الواضح (14 طبعة)
- الكشاف (قرظه بادل باول ومكتب الكشاف الدولي طبع ست مرات)
- الفرزدق (طبع ثلاث مرات)
- الأبيوردي — شاعر الحزب العربي في القرن الخامس (3 طبعات)
- حجة الوداع — تحقيق مخطوط نادر لابن حزم الاندلسي ، جزآن (3 طبعات)
- الاغاني للاصفهاني — تحقيق وتعليق وتقديم .
- المثل المقارن في الادب العربي والانجليزي (تحت الطبع)
- عشر قمم في الادب العربي
- الفريزة الجنسية .
- الصيد والطرد عند العرب ، تحقيق مخطوط نادر .
- المقولات العشر ، تحقيق مخطوط نادر مع التقديم .

ومن مترجماته :

- ريكلة : ديوان امير شعراء المانيا المعاصرين.
- العنصرية والاعراق — مترجم عن الفرنسية.
- الزنج في امريكا — مترجم عن الانجليزية .
- مرتفعات وذرنغ — مترجم عن الانجليزية .
- الأفق المفقود — مترجم عن الانجليزية .
- الواحة السحرية — مترجم عن الانجليزية .

ولقد توج الدكتور حقي مؤلفاته بمعجم القانون والتجارة الذى قضى في جمعه وتأليفه زهاء عشرين عاما فجاء من انفس ما الف في هذا الفن .

يعد الدكتور حقي امتدادا للرعيل الاول من ادبائنا الكبار الذين ساهموا في ارساء دعائم النهضة الادبية المعاصرة ، بثقافته الواسعة وقدرته على الترجمة بين شتى اللغات .

ويمتاز — الى جانب علمه الفزير — بتواضعه الجم الذي يسمو به فوق كل وصف .

الدكتور ناصر الدين الأسد



- يشغل حاليا منصب مدير عام مساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
- عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة وعضو مراسل لمجمع اللغة العربية بدمشق
- رأس الجامعة الأردنية مدة ويعد من مؤسسيها الاوائل كما كان عميدا لكلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية
- اشترك فى لجان فحص نتاج بعض اعضاء هيئة التدريس بجامعة بغداد ، وفى لجان فحص رسائل الماجستير والدكتوراه ومناقشتها فى كل من جامعتي بغداد والقاهرة .
- له اثنا عشر كتابا مطبوعا بين تأليف وتحقيق وتحرير وترجمة بعضها طبع سبع مرات .

من مؤلفاته :

- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية
- القيان والغناء فى الشعر الجاهلي
- الشعر الحديث فى فلسطين والأردن
- خليل بيدس ، رائد القصة الحديثة فى فلسطين
- الاتجاهات الأدبية الحديثة فى فلسطين والأردن
- محمد روحي الخالدي رائد البحث التاريخي الحديث فى فلسطين

من تحقيقاته :

- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى (بالاشتراك مع د. احسان عباس)
- تاريخ نجد ــ تأليف حسين بن غنام
- ديوان قيس بن الخطيم
- ديوان شعر الحادرة
- وهو مترجم كتاب : « يقظة العرب لجورج انطونيوس بالاشتراك مع د. احسان عباس

من بحوثه المطبوعة كذلك :

- قصص الكيلاني للاطفال
- تفسير الطبري
- العثمانية للجاحظ
- البطولة كما يصورها الأدب الجاهلي
- فلسفة الاستعمار
- معاجم ومعجمات
- التراث والمجتمع الجديد
- نواد واندية ..
- الثورة العربية الكبرى
- فى وداع الشهيد .. الخ

وغيرها من البحوث اللغوية والنقدية القيمة الاخرى نشرت فى مجلات متخصصة أو ضمن كتب .

قصص في اللغة

عبد الحق فاضل

سين : اكثر المستشرقون ومعهم الباحثون العرب من الادلاء بآراء لهم فى تعريف الانسان العربي ، فما هو اصوب تلك التعريفات او اقربها الى الصواب يا ترى؟

جيم : هذا خارج عن موضوع حديثنا ، يا ترى ؟ .

سين : هل موضوع حديثنا اذن منشؤ الانسان العربي الاقدم ، اي الارض التي نبت فيها اول مرة ثم جاء منها الى هذه الارض الفسيحة المسماة «الجزيرة العربيـة » ؟

جيم : من باب الاختصار ندعوها لفرضنا اللغوي « المعربة » . اما منشؤ الآدمي العربي فلا نريد الخوض فيه لانه امر مجهول يصعب الوصول فيه الى نتيجة مقنعة ثانيا ، ولان موضوعنا لغوي لا بشراني ــ زنة رمضاني ــ (ــ انثروبولوجي) أولا .

سين : ما دام موضوعنا لغويا فهل المقصود أين نشأت لغة هذا البشر العربي ، فى « المعربة » ام فى غيرها ؟

جيم : ولا هذا . وقد اوضحنا فى حديث آخر سابق أن هذه المعربة هي منشؤ هذه اللغة .

سين : اذن ؟

جيم : تسمية العربي .

سين : آه . ما أصل هذه التسمية حقا ؟

جيـم

نعم ، هذا الانسان التاريخي الغريب ، ابو الآريين والحاميين والساميين ــ كما تبدى لنا فى احاديث سابقة ــ من اين جاء باسمه « **العربي** » هذا ؟

القى المستشرقون على انفسهم هذا السؤال ، وبحثوا عن الجواب ، كما بحثوا عن اجوبة الكثير من الاسئلة الاخرى عن الشرق وتاريخه . ولا بد انهم هرعوا الى المعجم أول شيء بحثا عن التسمية ، فلما لم يجدوا بغيتهم فيه عادوا الى البحث فى ظلمات التاريخ فكان لهم الفضل فى اكتشاف حقيقتين :

الاولى أنهم استعرضوا اللغات السامية فوجدوا ان مادة (**ع ر ب**) تعني فيها جميعا : الجدب أو ما يشبهه. لكنهم استنتجوا أن هذا الانسان الآنف ذكره قد سمي بذلك لانه يعيش فى الارض الرملية المجدبة المعروفة . ولما كانت كلمة **عربو** arabo السريانية تعني الصحراء فقد لاح للنظر عند بعض اللغويين ان اسم العربي انما جاء من السريانية نفسها ، وان هذا اخصر طريق لحل المشكلة .. وأوضح وأوكد .

والحقيقة الثانية التي توصل اليها الباحثون هي ان اقدم وثيقة مكتوبة ورد فيها اسم (العربي) هي مسلة شلمنصر الثالث ضمن اخبار حربه فى موقعة القرقار ، فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد ــ

وبالضبط عام 853 ق م . ومنذئذ ورد اسم العربي في المصادر المسمارية المختلفة في صيغ كثيرة متاربة ، منهـــا :

عــربــي	arabi
عــربــي	arubi
عــربــي	aribi
عــربــي	àrbi
عــربــي	urbi

ووردت الصفة منها : **عربيا** arabaia

وعــربــايــو (1) arabaiau

وهذا كشف مهم حقا ، ومشكور للنباشين في آثار الاقدمين . لكنه لا يجيبنا على سؤالنا : من أين جاء هذا الاسم « العربي » على اختلاف صيغـــه قديمـــا وحديثـــا .

اما اللغويون العرب فقديما قالوا ان (عربة) — زنة قصبة — وهي مكة — « اقامت قريش فيها فنسب اليها العرب ، وهي باحة العرب » . ويبدو ان هذا من كلام العدنانية . كذلك قالوا ان « يعرب بن قطحان ابو اليمن ، قيل انه أول من تكلم بالعربية » . ويبــدو أن هذا من كلام القحطانية ، ولعلهم انما قالوه يفاخرون العدنانية بعربيتهم التي كانت منذ القدم مقدسة .

لكن احدا من الطرفين لم يتساءل من أين جـــاء اسم عربة او يعرب ، لأن مثل هذا السؤال كان يومئذ يشبه القول لماذا تسقط تفاحة نيوتن . انها تسقـــط والسلام . حتى المتأخرون من شرقيين ومستشرقين لم يتساءلوا من اين جاءت تسمية (عربو) السريانية بمعنى الصحراء ، دعك من الصيغ الاخرى التي وردت في المصادر الآثاريـــة .

اخبرني الدكتور احمد سوسة حين كنت في بغداد آخر مرة انه ذكر في كتابه «العرب واليهود في التاريخ» ان (العبري) كان يسمى في التاريخ القديم : الابري ايضا ، والعبيرو ، والخبيرو ، والهبيري ، وان بعض هذه الصيغ قد ظهر في وثائق مسمارية او هيروغليفية ترجع الى أكثر من خمسة آلاف سنة !

فهل هذه اقدم من صيغ (العربي) التي لا يرجع اقدمها الى ابعد من منتصف القرن التاسع ق م ؟

جيـــم : لا .

وسنعود الى جلاء هذه النقطة الغامضة المميزة ، ولننصرف الآن الى منشأ تسمية العربي أولا .

ان المعجم على قصوره ، ما يزال مقتـــدرا على افادتنا في البحث عن هذه المادة اللغوية الخطيـــرة الشأن (عرب) .

فماذا نجـــد ؟

هاهنا العجب العجاب حقا . ان معاني الكلمـــة ليست كثيرة فقط لكنها غريبة كذلك ومتباينة وبعضها متضاد . واول ما نذكر منها :

هذا (العربي) ، ثم :
الافصــــاح ، و :
رد القبيـــح
الافحاش في الكـــلام
الأكـــــل
فســـاد المعـــدة
التبدي ، اي ضد التحضر
كثرة المـــاء
صفـــاء المـــاء
الاستهجـــان
الشـــــراء
ركـــض الفـــرس
النشـــــاط
القـــــوة
النهر الشديد الجـــري
السفـــن الرواكـــد

هذا عدا اسمي (عربة) و (يعرب) .

وسوف نفسر للقارىء الكريم كيف نشأت هذه المعاني كلها مع معان اخرى غيرها كثيرة . لكننا نؤثر قبل ذلك ان نعرض كيف نشأت مادة (ع ر ب) نفسها ، وما معناها الاول .

---

(1) طه باقر — « علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب » — مجلة « سومر » — الجزء : 2 — المجلد : 5 — 1949 . وقد اورد هذه الصيغ بالحروف اللاتينية ، اما نطقها العربي فاضافة من عندنا . ويلاحظ انها وردت في المصادر المسمارية بالهمزة ولو انهم كانوا ينطقونها بالعين على الاغلب ، لعدم وجـــود حرف العين في كتابتهم المسمارية ، فكانوا يعتاضون منها بالهمزة كما نفعل نحن عند كتابة أسمائنـــا بالحروف اللاتينية .

تكرر لدينا القول فى احاديث سابقة ــ وفى هذا العدد ايضا من اللسان العربي ، فى مقال آخر ــ ان صوت (فرررر) الذي يعبر عن رفرفة جناحي الطائر الهارب قد صوره العربي الأقدم بقوله (فر) ومنه يفر فرارا . وقد نشأت منه صيغ ذات معان ، منها معنى الخوف فى (فرق يفرق) ــ من باب فرح ــ لأن فرار الطائر باعثه الخوف . ومنها معنى الابتعاد فى (فارق فراقا ومفارقة) لأن هذا هو الغرض من الفرار ، ومنها معنى (التفريق) فى (فرقت بين الشيئين) : فصلت.

وبالاضافة الى (فرق) نذكر من بنات (فر) : فرج ، فرخ ، فرد ، فرز ، فرس ، فرع ...

والذي يهمنا هنا هو (**فرع**) . فقد قالوا (فرعت) بينهم : فرقت . ومنها (**الفــرع**) من كل شيء : اعلاه (المتفرع) من اصله كفرع الشجرة . ولما كانــت الاغصان تعلو الجذع صار للفرع معنى العلو ايضا . ثم صار للكلمة معنى الكثرة منذ قالوا (تفرعت) الاغصان: كثرت . ومن معنى العلو قالوا (الفارع) : المرتفع ، و (فارعة) الجبل : اعلاه . أما (الفرع) من المــرأة فشعرها ، ومن القوم : شريفهم ...

فلا عجب اذن أن نجد مقلوب الرفع أي (ر ع ف) يعني العلو أيضا فى (الراعف) : انف الجبل ، وعلى المجاز : طرف ارنبة الأنف من الانسان . ثم صــار (**الرعاف**) ــ بالضم ــ يعني الدم السائل من الانف . والمغاربة هم فيما أعلم العرب الوحيدون الذين يقولون فى لغتهم الدارجة (يرعف) بمعناها الفصيــح اي : يسيل الدم من أنفه .

وانقلبت الكلمة قلبة اخرى فنشأت (**ع ر ف**) بمعنى العلو والارتفاع مثل الراعف ، وبمعنى الشعــر مثل فرع المرأة ، ثم بمعنى العلم ضد الجهل ...

أما العلو وهو أصل معاني الكلمة فيظهر فى قولهم (اعرورف) البحر : ارتفعت امواجه ، وربما كـــان القصد انها صارت تشبه عرف الديك . و (**العرف**) بالضم : ما ارتفع من رمل أو مكان أو نحـــو ذلـــك . و (أعراف) السحاب والرياح : أعاليها وأوائلها .

ومن معنى العلو صار (العرف) ــ بالضـــم ــ يعني كذلك اللحمة فى اعلى راس الديك ، ثم الشعر فى محدب رقبة الفـــرس .

ومن معنى العلو صارت (**المعرفة**) تعني العلم بالشيء . وما اكثر ما تقرأ فى أخبار العرب قول قائلهم « رفعت لي نار من بعيد » أي لاحت ، وكأنما المقصود عرفت نارا من بعيد . ذلك بأن اجاويد العرب كانـــوا يوقدون النار على (المرتفعات) ليهتدي بهـــا سراة الليل المحتاجون الى المأوى والقرى . وهنا يمتزج معنى المعرفة بمعنى الارتفاع . ومن ثم قيل : أشهر من نار على علم ، اي على جبل . ونظـــن ان جبـــل (عرفات) انما جاءت تسميته من هنا .

وللمعرفة عند العربي ــ ولا سيمـــا الاعرابـــي البدوي ــ خطرها الكبير ، لانه فى بيدائه يتوجـــس الشر من كل مكان ، من عدو مباغت يدهمه ليقتلـــه طمعا فى ناقته وزاده وثوبه ، أو سبع يبرز له من وراء تلعة أو كثيب أو جني يتخطفه . حتى الجماعات ، اي العشائر ، المقيمة فى مكان كانت فى حذر دائم مـــن غارة مباغتـــة .

ان قولك (نكرت) الشيء ، انما يعني جهلته ، و (نكرت) الرجل : لم تعرفه .. ومثل ذلك (انكرته) . لكن حشدهم وتوقعهم الشر من كل ما لا يعرفـــون جعلهم يرشقون بالمعاني المكروهة كل ما ينكرونـــه ، ومن ذلك ما زلنا نستعمل (الاستنكـــار) بمعنـــى الاستهجان والاستكراه . وصار قولهم (انكر) الشيء يعني بالاضافة الى جهله : جحده وعابه ونهى عنـــه ، وصار (النكر) ــ زنة الكفر ــ يعني الامر الشديـــد القبيح ، و (النكير) : الشديد الصعب ، و (المنكر) نعني به اليوم المستقبح المستهجن ، وعلى التعبيـــر المعجمي : ما ليس فيه رضي الله من قول أو فعـــل ، وجمعه (المنكرات) بل بلغ بهم الامر ان قالوا (ناكره) مناكره : قاتلـــه وحاربـــه !

هذا نورده عن (الانكار) اي عدم المعرفة ، غير خارجين عن صلب موضوعنا كالذي يبدو للنظر غير المستاني ، كيما نتمعن فى مفهومه المخالف ــ حسب التعبير الحقوقي ــ أي فى الكلمة المناقضة للنكر وهي (**العرف**) . فمن شدة ارتياح العربي فى المفاوز الى من وما كان يعرف أفرغ على المعرفة الكثير من معاني الخير والاستبشار . فالعرف بالاضافة الى ما تقدم من معانيه صار ضد النكر اي الجـــود والاحســـان ، و (**المعروف**) : ضد المنكـــر ، أي : المشهـــور ، والاحسان ، والخير ، بل الرزق ايضا . ثم جاءهـــم الاسلام « **يامر بالمعروف وينهى عن المنكر** » . وربما كانت لهذه المادة اللغوية معان خيرية اخـــرى لا يعيها المعجم . وصار (**العرف**) ــ كالصرف ــ يعني الرائحة لانها كانت عندهم من أهم وسائل التعرف على الامور

والاماكن قبل التورط فيها . ومن شدة تفاؤلهم بالمعرفة وحبهم لها صار هذا (العرف) اكثر ما يطلـــق على الروائح الطيبة ، فقالوا : ما اطيب عرفــــه . والارض (المعروفة) ليست ضد المجهولة فقط ، بل هـــي الطيبة العرف .

من كل هذا يمكننا ان نتصور ما أجمـــل عنـــد المسافر فى البادية ان يرى شخصاً يعرفه أو مومـــا يعرفهم . وما اوقع فى نفوسهم القول (تعارفـــوا) : عرف بعضهم بعضا . وما احرج عند العربي وابعـــث للريبة فى نفسه ان يجابه من لا يعرف . لكـــن من لا تعرف يمكنك التعرف اليه اذا عرفت لغته ففهمتـــه وافهمك أن لا بأس على ايكما من صاحبه .

فمن لفظة (عرف) بابدال فائها باءا نشأت كلمة (عرب يعرب عربا) فخاطبك الغريب فى الفلاة : «تكلم بالعربية » اي « كان عربيا فصيحا » على تعبير المعجم فى كليهما .. فعندها تتنفس الصعداء . لا يعـــادل سرورك هنا الا امتعاضك وتوجسك اذا كان صاحبك اعجميا لا تعهم عنه ولا يفهم عنك .

ومن ذلك قيل (أعرب) عن حاجته : ابـــان ، و (اعرب) عن حجته : افصح ..

والرجل (العربان) ــ كاليقظان : الفصيـــح . ومثله (العرباني) اللســـــان .

اليوم قد تلاقي شخصا لا تعرفه فى مقهـــى او قطار او حتى فى دار صديق لك ، فتحدثه ويحدثك وتخوضان فى شتى شؤون الدنيا .. فى الكارثة التي يسمونها ازمة الشرق الاوسط او فى اهوال فيتنام أو فى شؤون الحب او الميني او الماكسي الذي يكشف لك من بين شقوقه ما يحمر له حتى الميكرو ــ حسداً ـ ثم تفترقان ثم تلتقيان كرة أخرى بعد ذلك .. دون ان يمر ببال احدكما ان يسال عن حرفة الآخر او حتى عن اسمه . هذا كان فى حكم المستحيلات عند العربـــي القديم . فاول شيء يخطر له عند مجابهتك هو اخطر شيء لديه : ان (يعرفك) ! من انت ؟ وممن انت ؟ اما « وممن انت » فاخطر كثيرا من « من انت » . فالويل لكل منكما من صاحبه اذا تبين انكمـــا من قبيلتيـــن متعاديتين ، بينهما ثار او ثارات .. لأن كل فرد مـــن القبيلة مسؤول عن اخذ الثار ، وكل فرد من القبيلـــة الاخرى مادة تصلح للاخذ بالثار منها ، اي قتله . وكل ما تقرأ من قديم اخبار لقاء العربي بالعربي ينبئك ان اول كلمة تقفز الى لسانه هي : ممن الرجل ؟ أو : ممن

أنت يا اخا العرب ؟ .. و « يا اخا العرب » هذه بقية فيما يظهر من عهد المرحلة الاولى من التعارف وهي أن مخاطبه عربي يفهم عنه ، لا اعجمي .

ان كلمة (ع ر ب) من الالفاظ اللغوية الخصيبة الولود قد نشأ منها ومن تفرعاتها الكثير من المعانـــي المتشعبة الآخذ بعضها برقاب بعض ، والبعيدة عـــن المعنى الاصلي احيانا ، ما يفرض علينا أن نؤثل كـــل واحدة منها ليعرف القارىء الكريم تحدرها التطوري وعلاقتها بالكلمة الأم . لكننا لو فعلنا ذلك فى كل لفظة ستصادفنا فى حديثنا هذا لأطلنا كثيرا واملنا ربمـــا كثيرا ايضا ، فلهذا ندرج هنا مسردا تقريبيا ، أشبه بالخريطة التأثيلية ، يوضح شيئا من تسلسلها اللفظي بوجه عام ، قبل الخوض فى تفرعاتها المعنوية .

(فرع) « 1 » : عرف (ــ عرفج ــ عرفط) ــ عرب .

(فرع) « 2 » : عرف ــ رفع ــ عفر (ــ عفريت ــ عفرس ــ عفرين ــ عـــور .

(عرب) « 1 » : عبر ــ ابر ــ هبر ــ خبر .

(عرب) « 2 » : عرم ــ علم (ــ عيلم) ــ علا ، علو ــ علب) ــ علن ــ عرن ــ عرنس .

(عرم) : عرد (عرندس ــ عر ــ عاد ــ عاب ، عيب) ــ عد ــ عذو ــ عذب .

(عبر) « 1 » : ارب (ــ ذرب) ــ ارم ... ــ أبر ــ بسار .

(عبر) « 2 » : غبر ــ عفر (ــ قفر) ــ عمر ــ معر .

(ربع) « 1 » : ربأ ــ رب ــ ربا ، ربو ــ ربل .

(ربع) « 2 » : ربح ــ ربغ (ــ بغر ــ رغب) ــ ربم .

(ربع) « 3 » : برا ــ برع (ــ برعم) ــ بر ــ برج ــ برح (ــ رحب) ــ برز ــ بـرس ــ برش (ــ ربش) ــ برص ــ برض ــ برق (ــ برقش) ــ بـرك (ــ بركـة) ــ ركب (ــ ركبة) .

(ربع) « 4 » : ربث (ــ لبث) ــ ربج ــ ربد ــ ربذ ــ ربص ــ ربض ــ ربط ــ ربق ــ ربك ــ كرب ــ كربس (ــ كرفس) ــ كربل ــ غربل .

(ربق) . بقر ــ رقبة ، رقب ، ــ قرب ، قربان، قرابـــة .

(ربك) : لبك ، التبك ــ كبل ــ كلاب ، زنة رمان (ــ كلـــب) .

(**التبك**) : التبس (ــ لبس ــ سلب) ــ التمس ــ لمس ــ مس ــ مسح ــ مسخ .

(**التمس**) : استلم ــ تسلم ــ سلم تسليما ــ سلم سلامة ــ سلام ، سلم .

هذه ليست كل الالفاظ التي انجبتها كلمة (عرب) وانما هي الالفاظ التي اقتصرنا عليها فيما سيأتي من بقية هذا الحديث .

وانه من الصعب بل من المتعذر ترتيب معاني هذه الالفاظ حسب تسلسل نشوئها النطقي او الذهني لاختلاطها وتعرج اتجاهاتها على غير نظام او قياس ثم لتعود المعاني فى اللفظة الواحدة وتعود الالفاظ للمعنى الواحد أو المعاني المتقاربة . فلنوردها اذن على هذا الترتيب الشبيه بعدم الترتيب . ولناخذ اولا :

الافصـــــاح :

الذي هو اصل معنى مادة (عرب) والذي كان السبب فى تسمية جدنا البدوي (العربي) او (العرفي) ! فقد قالوا (**أعربت**) الشيء : أبنته وأظهرته . و (أعربت) عن حاجتك ، أو بحجتك : أفصحت . (العربان) ــ زنة الرحمان ــ و (العرباني) ــ زنة البحراني ــ يعنيان الفصيح اللسان ، كما تقدم .

ومن (عرب) نشأت صيغة (**عبر**) عبرا) بالتخفيف . و (**عبر**) تعبيرا : بمعنى (**عرب**) تعريبا و (أعرب) اعرابا .

ولنتبع هذا التسلسل اللفظي : **عرب ــ عرم ــ علم ــ علن** . معنى الافصاح يختفي فى (**عرم**) ثم يعود فيظهر بدلا من معنى المعرفة فى (**علم**) . اما كيف حصل هذا فيمكن ملاحظته فى مادة (**خبر**) التي نشأت من (عبر) ، فقد حصلت المعرفة فى قولهم (**أخبر**) اخبارا و (**خبر**) تخبيرا ــ نتيجة لتلقي (**الخبر**) ، ومن ذلك صار (**الخبير**) يعني العليم العارف . وقولك (أعلمته) يعني أخبرته وأعربت له الامر ، أو عن الامر . ثم يختفي معنى المعرفة فى (**علن**) ويظهر بدلا منه معنى الاعراب والتعبير حيث قالوا (**عالنته**) الامر : جاهرته به واظهرته له . واكتسب (**العلن**) معنى تطوريا جديدا وهو (**العلانية**) : ضد الخفاء .

وهاؤم تسلسلا لفظيا آخر : **عرب ــ ربع** (خصب) ــ **برع ــ برا** (خلق) ــ **بر** (صحراء ــ **براح** . نقولها باختصار ان معنى الاعراب يختفي من حلقات هذه السلسلة حتى يظهر أخيرا معنى العلانية فى (**البراح**) : البين الصراح .

وليعفنا القارىء ، او بالاحرى اننا سنعفي القارىء من بيان تسلسل تطورات المعاني فى كل من المباني دفعا للسآمة التي نجهد فى دفعها عنه مع المحافظة جهد الطاقة على ما يجمع الطرافة والمتعة الى جوهر الموضوع ــ ولنكتف الآن بالجدول التأثيلي الذي مر بنا . ثم نأتي الى :

المعـرفـــة :

التي هي أثل مادة (عرب) لفظا ومعنى . فقولك (**عرفت**) الشيء : يعني علمته . و (**المعارف**) : العلوم ، و (**المعروف**) : المعلوم أو المشهور ، و (**العراف**) : المنجم الذي يتنبأ بطوالع الناس . ومن مقلوبها (**عفر**) صيغ (**العفريت**) و (**العفرين**) : النافذ فى الامر مع دهاء من الانس والجن ! و (عفر) نطقوها (**عور**) فنشأت صيغة (**اعور**) الشيء : ظهر .

ومن (عرب) قيل (**برع براعة وبروعا**) : فاق علما أو فضيلة أو جمالا ؛ والعلم مقصودنا هنا ، فهو (**بارع**) و (**بريـــع**) .

ومن العبر والتعبير قالوا (**اعتبر**) المرء بالشيء : اتعظ ، أي اكتسب (**العبرة**) : العظة ، والنظر فى الاحوال ، والعجب .

وعندما نطق بعضهم (عبر) بالخاء صار قولهم (**خبرت**) الشيء علمته بحقيقته وكنهه ، أو علمته عن تجربة . و (**الخبير**) : العالم بالخبر ، أو بالامر كما تقـــدم .

ومن (عرم) أو غيرها ظهرت صيغة (**علم**) التي اشهر معانيها المعرفة كما هو معلوم .

ومن هذا ومما سبق ذكره تحت عنوان « الافصاح » تتضح علاقة الاعراب والتعبير والاخبار والعلم والعلن بعضها ببعض .

الامتحـــان والتجربـــة :

وعندما انقلبت (عرب) فصارت (**ربع**) زالت بعض معانيها كالعادة ، لكن الغريب ان معنى (الرفع)ــ وهو أثل (عرف) التي هي أثل (عرب) ــ ما زال باقيا فيها حيث قيل (**رابعوا**) الحمل : ادخلوا (المربعة) ــ كالمئذنة ــ اي المرفعة ، تحته ليرفعوه على الدابة . ومن ثم صيغ بلغتنا الحديثة (**الرباع**) ــ كالجبار :

رافع الاثقال في عالم الرياضة أي الرفاع . ثـم صار فعل (**ربع** يربع) يعني : رفع الحجر بيده امتحانـا لقوتـه .

ثم يظهر معنى الامتحان مرة اخرى في (**الاختبار**) فمن قولهم (**استخبرته**) و (**تخبرته**) : سألته الخبر . و (**خبرت**) الأمر : علمته بحقيقته وكنهه ، او علمته عن تجربة — صار قولك (**اختبرت**) الشيء : يعني جربته وامتحنته .

و (**اعتبرته**) : اختبرته او احصيته .

و (**عبر**) الدراهم تعبيرا : وزنها ليعرف ثم وما هي ، وكذلك (تعبير) المتاع .

و (**العابر**) : الناظر في الشيء .

رد القبيـح :

من قولهم : عرب (الرجل تعريبا عن صاحبه : احتج له وتكلم عنه — ظهر قولهم (**عرب**) تعريبا على الرجل قوله : رده عليه وقبحه ، ومثلها (عرب) عليه فعله ، وصار من معاني (التعريب) : تقبيح قول القائل والرد عليـه .

فحـش الكـلام :

ثم صار قولهم (**اعرب**) الرجل يعنـي كذلك : تكلم بالفحش وبالقبيح ، اي ضد معناه الاول . ولعل ذلك متأت من ان رد القبيح يكون بمثله عادة . وصارت (**العرابة**) — كالعمامة — تعني الفحش وقبح الكلام ، و (**العرب**) — زنة الشرس : الرجل (**الذرب**) — من نفس الوزن — وهو الفاحش أو الفصيح ، (**والذرب**) — زنة الطرب : بذاءة اللسان .

ومن التفرعات لفظا ومعنى نصـل الى قولهـم (**البك**) المرء الباكا : افحش في كلامه .

التعييـر :

وهنا ظهر معنى التعيير والعار من قولهم (**عربت**) عليه فعله تعريبا : قبحته . والظاهر ان هذه الصيغة قد رخمت فصارت (**عـر**) القوم : لطخهم بشـر ، و (**العارور**) و (**العارورة**) : الذي يعر القوم . وصار (**العـر**) — زنة الشر — يعني الشر و (**العاب**) اي (**العيب**) وهما من هذه الطائفة اللغوية .

ومن معنى التلطيخ صار (**العر**) يعني الجرب أو الأجرب لانهم يلطخونه بالقطران ، ومنه ظهرت صيغة (**العار**) و (**التعيير**) تقبيح الفعل ونسبة صاحبه الى العار . و (**العورة**) : كل مكمن للستر وكل ما يستحيا منه . ومن هنا اتت صيغة (**العري**) التجرد من الكساء — تماما .

المغيبـة :

فنشأت من معنى (**الابرة**) وهذه من حفر (**البئر**) .

قالوا (**أبر**) فلانا : اغتابه ، استعارة من (أبرته) العقرب : لسعته ، اي ضربته بابرتها .

و (**الابرة**) التي يقول المعجم انها محددة الذنب مثقوبة الراس — ولعل الأصح انها محددة الذنب مثقوبة الراس وهي تسعى في الخياطة باتجاه ذنبها — تعنـي النميمة ايضا ، ومثلها (المئبرة) .

الشـر :

(**عالنه**) العداوة : جاهره بها .

و (**عـلاه**) : غلبه وقهره . و (علاه) بالسيف : ضربـه .

و (**برق**) الرجل برقا و (**أبرق**) ابراقا : توعد .

و (**العفارة**) — كالعصارة : الخبث والنكر .

و (**عفرسـه**) : صرعه وغلبه .

و (**العفريت**) : الخبيث المنكر .. بالاضافة الى معناه السابق .

و (**رابل**) الرجل مرابلة : خبث وترصد للشر ، و (**ترابـل**) : اغار على الناس وفعل فعل الاسد أي (الرئبال) . اما (**الربيل**) فاللص يغزو القوم وحده .

و (**التبريح** و (**البرح**) — كالصرخ — و (**البرحاء**) — كالبرداء : الشر والشدة والأذي . و (**بـرح**) به تبريحا : آذاه اذى شديدا وأتعبه واجهده .

و (**عربـد**) : ساء خلقـه .

و (**العرعر**) — كالهدهد : السيء الخلق .

و من ذلك (**عرمـت**) فلانا : أصبتـه باذى ، و (**العرام**) — كالهمام : الشراسة .

واشد من كل ذلك : **عيره**) تعبيرا : اهلكه .

هذا بالاضافة الى ما تقدم ذكره من الشرور من فحش كلام وعار وتعيير وغيبة ونميمة .

الربيــــع :

انه مفتاح الكثير من المعاني التي سنلتقي بها ؛ وغيرها من التفرعات التي سنصرف النظر عنها .

فمن العربي صيغ (**العريب**) — زنة القريب : المرء . قالوا : ما بالدار عريب ؛ أي أحد . ومثلـه **المعرب** ؛ — زنة المحسن .

ومن امثال هذا المعنى صار (**الربع**) — زنـة الطبع — منذ القدم يعني الناس أو الجماعة منهـم . وانتقل المعنى الى مكان اقامتهم فاطلق (**الربع**) على الدار ؛ ثم خولها ، وعلى المحلة اي المكان الذي يحلون فيه الرحال والاحمال عن ابلهم ودوابهم للنزول ، وعلى المنزلة اي المكان الذي ينزلون فيه . وجمع الربع : اربآع (كالرجال) والأربع (كالاروس) والأرباع والربوع . وقد صرنا نستعمل (الربوع) بمعنى الأرجاء والاصقاع .

ولما كانوا انما ينزلون ويضربون بيوتهم في مواطن الكلأ ؛ وهذا يكون ايام الربيع على الاغلب ، صار (**الربيع**) — وهو في الاصل موضع نزول (الربع) الجماعة — يعني فضل الخصب اي المطر والماء والنبـات .. فقالوا (**ارتبع**) في المكان : اقام فيه زمن الربيع . ثم (ربع) بالمكان : اقام فيه (في زمن الربيع او غيره من فصول السنـة) .

ويقول المعجم (**تربع**) الجمل و (**ارتبع**) : اكل الربيع اي الكلأ ، وسمن . وبقي من ذلك في الدارجة العراقية قولهم عن الحيوان والانسان انه قد (**ربـع**) — بالتشديد — بمعنى هذه التعابير كذلك ما يداخـل الماشية من نشاط في الربيع فتتقافز مرحا وفوران دم — ولا سيما الجداء . ويلوح لنا انهم قصدوا الجري ايضا كما لا يزال يقال بالدارجة الموصلية عن الحيوان انه (**يربـع**) — زنة يركع — بمعنى يجري . فالظاهر انها صيغة أصيلة المعنى بقدر ما هي أثيلة المبنـى ، وعلى هذا تكون (الأربع) قد اطلقت أولا على القوائـم التي تجري بها البهيمة ثم على العدد الذي يلي الثلاثة .. مثل (الخمس) التي نحسب أثلها (الخمش) مـن الاظافر الخمسة التي يخمش بها الانسان ، وربمـا الصبي ، وجه صاحبه عند العراك ، هـذا علمـا بأن الخمسة تنطق بالسريانية (خمش) . وهكذا صارت « ذوات الأربع » : كل ما يمشي على اربع ارجـل . ومن هنا سمي (**اليربوع**) لانه (يربع) . والحقيقة انه لا يربع بل يثني لانه يقفز على رجليـه الخلفيتيـن ويجلس عليهما . وشذوذه هذا عن بني جلداته من ذوات الأربع جعلهم يسمونه (اليربوع) ربما من باب التهكم .

النبـــات :

من المعاني الربيعية في دنيا النبات نذكر قولهم (ربــع) القوم : اخصبوا ؛ (**ربــغ**) القوم — بالغين المنقوطة : اخصبوا ، وربيع (**رابع**) : مخصب . بل انهم أطلقوا (**الربيع**) نفسه على ما ينبت فيه من الكلأ ثم على ما تعتلفه الدواب من الخضـر . والمغاربـة يسمون الحشيش والاعشاب الخضراء (الربيع) بنفس المعنى العربي القديم . و (**المرباع**) — زنة المسمار : المكان الذي ينبت نباته في أول الربيع .

ومنها (**المرباب**) و (**المربة**) — زنة المحبة : الارض الكثيرة النبات .

و (**ربل**) المكان تربيلا : انبت (**الربل**) — كالطبل : شجر يتفطر آخر الصيف من طراوة الليل دون مطر ، و (**الربل**) — كالأمل : نبات شديد الخضرة .

ثم (**الربـم**) — بفتحتين ايضا : الكلأ المتصل .

ثم (**المعمر**) — كالمذهب : المنزل الكثير الماء والكـلأ .

ثم (**عـــرد**) النبات تعريدا : خرج كله واشتد .

و (**اربش**) الشجر : أورق وتفطر ، او خرج ثمره

ومنها (**تبرضت**) الارض : خرج نبتها ، ومن باب التضاد (**البرضة**) : الارض لا نبت فيها .

ثم نذكر (**العروة**) — كالغرفة : الشجر الملتف . وضده من نفس المادة (**العريان**) — كالثعبان : رمل نقي ، او عقد لا شجر عليه .

أما (**برع**) فقد فقدت معناها النباتي الذي يظهر في وليدتها (**برعم**) وذريتها : (**البرعم**) و (**البرعوم**) و (**البرعمة**) و (**البرعومة**) : زهر النبات قبـل ان تتفتح ، وكم ثمر الشجر .

ونذكر (**العبيراء**) — كالسويـداء : نبـات . و (**العبير**) — كالغزير : الزعفران .

و (**العرفج**) ــ كالثعلب : نبات سهلي (على قول المعجم) . ومن الاضداد (**العرافج**) ــ بضم العين : رمال لا طريق فيها .

و (**العرفط**) ــ كالقنفذ : شجر من العضاه .

و (**العرعر**) ــ كالبربر : شجر يشبه السرو .

و (**العريـــن**) ــ كالقرين : جماعة الشجر أو الشـــوك .

و (**الهوبر**) : السوسن وزنا ومعنى ، أو الأحمر منه . والكلمة كالكثير غيرها مشتركة المعنى فهي تعني الفهد والقرد ايضا .

و (**والاربجـان**) ــ بكسر الهمزة والباء : نبات لا يقول القاموس ما هو . نبات ما .

ثم (**الريباس**) ــ كالميزان : نبات يشبه السلق لكن طعمه مز ، أي حامض الى حلاوة .

واخيرا نذكر (**العربي**) ــ الصيغة التي تطلق على ابن المعربة ــ فهي تعني كذلك الشعير الابيض سنبلة . وناهيك به نموذجا من اعتباطيات التطـــور اللغـــوي وتداخله ومفارقاته .

المـــــاء :

جاء معنى الماء من الربيع ايضا منذ قالوا (**ربع**) القوم ــ بصيغة المجهول : اصابهم مطر الربيع ، وكذلك الارض فهي (**مربوعة**) .

وقد مر بنا ان من معاني مادة (عـــرب) : الماء الصافي ، فلذلك حيث قالوا (**العرب**) ــ كالشجر ــ و (**العرب**) كالحرص : الماء الصافي . و (**عربـت**) البئر ــ بكسر راء عربت كثر ماؤها .

و (**التبرت**) البئر : حفرتها . و (**بأر**) : حفر .

و (**بغرت**) الارض : سقيتها ، و (**ابغرت**) السماء : امطـــرت .

و (**ارعفت**) القربة : ملأتها حتى فاض الماء منها .

و (**العرندس**) ــ كالشمقمق : السيل الكثير .

واتسع معنى الماء فقالوا (**عرب**) النهر ــ كفرح غمر فهو (**عارب**) و (**عاربة**) . وصار (**عبر**) الوادي بفتح العين أو كسرها : شاطئه ، ومن هنا جاء معنى (**العبور**) حيث قالوا (**عبرت**) النهـــر أو الـــوادي : قطعته ، و (**المعبر**) ــ كالمنظر : الشط المهيأ للعبور ، ومنه مجازا : (**عابر**) السبيل .

ومن معنى الماء قالوا (**عبرت**) العين : دمعت ، أي سال ماؤها ، و (**العبرة**) : الدمعة ، بوزنها .

و (**العد**) ــ كالضد : الماء الجاري لا ينقطع .

اما (**اعتلم**) الماء فتعني : سال ، ومنها (**العيلم**) الذي اصل معناه : البئر الكثيرة الماء ــ يعني كذلك : البحر على جلالة قدره .

ومن (**عرب**) النهر (العارب) أي الغامر الآنف الذكر صار فعل (عـــرم) على اختلاف طرائق نطقه ، يعني : اشتد وخرج عن الحـــد ، وكان شرســـا ؛ و (**العرمة**) ــ كالنبقة : سد يعترض الوادي . ومن ذلك سمي « **سيل العرم** » الذي اكتسح سد مأرب . واسم (**مارب**) الذي يقول المعجم انه موضع باليمن ، يبدو انه من معنى الماء طايضا منذ سمو الســـد على اسمـــه .

وقد تسرب الماء الى مادة (**خبر**) ، فمن ذلك : **الخبراء**) ــ زنة الخضراء ــ بلغة الموصل تطلق على ما يشبه البحيرة الصغيرة من الغدران المتخلفة من مياه الامطار تبقى فى البرية ايام الربيع وتجـــف فى الصيف . وهو اصل معناها فيما يظهر ولو ان الذي بقي فى المعجم عنها هو انها : القاع ينبـــت شجـــر (الخبر) ــ زنة الصيد ، والمزادة العظيمة . ونحـــن نرى كيف تجتمع فى هذه الكلمة **معاني الماء والنبات** والطعام . واوضح من الخبراء دلالة على ذلك هو هذا (**الخبر**) الذي يعني شجر السدر والأراك وما حولهما من العشب ، والناقة الغزيرة اللبن ، والزرع ، ومنقع الماء فى الجبل ، والمزادة العظيمة مرة ثانية .

ومن الماء : (**الخابور**) . **فبالاضافة الى انه نبت** او شجر هو اسم نهر « **شرقي دجلة الموصـــل** » و « **بين راس العين والفرات** » . **ويظهر من هذا انهمـــا** (خابوران) **اثنان** .

ويبدو ان اسم (خيبر) الحصـــن التاريخـــي المعروف بالحجاز انما سمي بهذا من معنى المـــاء أو نبع البئر الذي لا بد أن يكون الحصن قد بني عليـــه ، فلا حصن ولا قرية ولا مدينة من غير ماء . وما أكثر الأماكن المسماة باسماء المياه فى الحجاز وغيره من انحاء المعربة . منها من نفس المادة (الخبرة) كالنبقة : ماء لبني ثعلبة .

ومن الاسماء المائية : (**الربانية**) ـ بكسر الراء وشد الباء والياء : ماء لبني كلب بن يربوع .

و (**عرفجاء**) ـ بفتح العين والفاء : موضع او ماء لبني عقيل ، وربما كان الأصح : موضع (و) ماء لبني عقيل وعندها يكون الموضع قد سمي باسم المـــاء . وواضح ان (**عرفجاء**) من الفاظ هذه الطائفة فاثلهـــا (عرف) و عرب) .

و (**عربان**) ــ كالخفقان : بلدة بالخابور ، ولعلها بذا سميت لوقوعها على نهر الخابور ، ومادة اسمهـــا (عرب) غنية بالماء كما رأينا اكثر من مرتين .

و (**العربة**) ـ بثلاث فتحات : ناحية قرب المدينة، واكبر ظننا ان اسمها مائي ايضا .

كذلك (**عربة**) ـ مكة ـ يبدو لنا ان اسمها مائي هو الآخر . وهذا يتساوق مع حكاية اقامة اسماعيل وامه هاجر في ذلك الوادي المنقطع غير ذي الزرع ، الذي بنيت فيه مكة على بئر زمـــزم القليلـــة المـــاء الاجاجته . وصارت (**العربة**) ـ بالتعريف ـ تطلق على النهر الشديد الجريان ايضا ، اما بلغة جيل آخر وأما بعد ذلك الحين من الدهر .

ومن معاني الماء قولهم (**عذب**) الرجل ـ كضرب: ترك الأكل من شدة العطش ، ومن هذا فيما يظهر نشأ (**العذاب**) ، اما (**عذب**) الماء ـ بكسر الذال ـ فيعني علاه الطحلب . واما الماء (**العذب**) اي الطيب السائغ فمن قولهم (**عـــذب**) الشراب ـ بالضم هذه المرة : كان طيبا مستساغا . ومن هذا نشأ قولهم (**عذا**) المكان عذوا : طاب ، أو كان بعيدا عن الماء والوخم .

الكثـــــرة :

جاءت من عدة أشياء ربيعية .

منها أولا كثرة الماء . ومن ذلك (**عريـــت**) البئر ـ كفرحت : كثر ماؤها ، و (**عرب**) الرجل : اكثر من شرب الماء الصافي ، و (عرب) النهر : غمر .

و (**العـــد**) الذي قلنا انه يعني الماء الجاري لا ينقطع ، يعني كذلك الكثرة من كل شيء .

ثانيا كثرة النبات . منها (**المرباب**) ـ كالمحراب ـ و (**المربة**) ـ كالمحبة : الارض الكثيرة النبـــات . والاثل هو (**المربـــاع**) : المكان الذي ينبت نباته أول الربيع . ثم (**ربا**) المال : زاد ونما ، ثم (**الربح**) ومنه قالوا (**رابحـــه**) على سلعته : اعطاه ربحا .

ثالثا كثرة النفوس ، وهذه منشؤها الربيع بمائه ونباته ، حيث صار (**المعمـــر**) ـ كالمعمل : المنزل الكثير الماء والكلأ ، ومن ثم قيل (**أبـــر**) القـــوم : بتشديد الراء : كثروا . وقوم (**عبيـــر**) : كثيـــر . و (**العبـــر**) ـ كالشكر : الكثير من كل شيء ، وقد غلب على الجماعة من الناس .

ورابعها : كثرة عجيبة أثلها اللفظي (**العبـــور**) والمعنوي (**تعبير**) الكبش ، اي ترك صوفه عليه سنة، أي انه يعبر سنة عن جز صوفه فيكثر . ومن ثم قيـــل (**أعبرت**) الشاة : وفرت صوفها . ثم صاروا يطلقون (**العبور**) ـ كالصبور ـ على الجذعة من الغنم ولو لم يعبروا صوفها . وصار (**المعبر**) ـ كالمنظر ـ يعني الموفور الريش او الشعر . والجمل (**المعبـــر**) ـ كالمظفر : الكثير الوبر .

ثم (**ربغ**) الشيء ـ بضم الباء وبالغين المنطوقة : كثر ، و (**الأربـــغ**) : الكثير المتسع .

ثم (**استربـــع**) الرمل ـ بالعين المهملة : تراكم .

(**العرمرم**) : الجيش الكثير ، ولعل هذا من سيل العـــرم .

وما الى ذلـــك . . .

فســـاد المعـــدة :

حين جاء معنى كثرة الاكل من معاني الربيع التي نجد منها قولهم (**ارتبـــع**) الجمل و (**تربـــع**) : اكل الربيع وسمن ـ جاء بعده قولهم (**عـــرب**) ـ كفرح ـ الطعام : أكله . مما يدل على أن صيغـــة (عـــرب) استعملت بمعنى الربيع قبل (ربع) ، اي انهم قبل ان يقولوا (ربـــع) بالمكان : اقام ، قالوا أولا (عـــرب) بالمكان ، لكن هذا المعنى زال من هذه اللفظة .

ولا ندري كم من الالفاظ اختفى منها معنى الاكل قبل أن يعود الى الظهور في فعل (**رف**) ـ بالتشديد : اكل كثيرا ، و (**برج**) ـ كفرح : اتسع أمره في الاكل والشرب ونحوهما .

وقالوا (**أعرن**) : دام على اكل (**العـــرن**) ـ زنة البلد ـ وهو اللحم المطبوخ . و (**عرفـــت**) ـ بثلاث فتحات ـ الابل الشجر : نالت منه . وحين اكتسبت الكلمة معنى الاكل قيل على المجاز (عرم) الصبي امه : رضعهـــا .

ومن قولهم (**ارم**) ـ بالفتح ـ ما على المائدة : اكله ولم يدع منه شيئا ـ صارت (**الأرم**) ـ بضم ففتح مشدد : الاضراس ، اي ادوات الاكل . و (**البرقشة**) : الاقبال على الاكل ، و (**برقش**) في الاكل : اقبل عليه أو خلطه ، والاصل الخلط لأن البرقشة تعني اصلا : التزيين .

و (**الرغيب**) : الواسع الجوف من الانسان وغيره ، اي الكثير الأكل .

ومن معاني الأكل قالوا (**خبرت**) الطعام تخبيرا : دسمته تدسيما . و (**الخبر**) ـ كالصبر : المزادة العظيمة ، وهي ما يوضع فيه الزاد ، و (**الخبرة**) ـ كالحمرة : طعام المسافر ، والثريدة الضخمة ، وقصعته فيها لحم وخبز ، والنصيب من لحم أو سمك ، وما تشتريه لأهلك من طعام ولحم .. الخ ..

ومن كثرة هذا الاكل من لحم وسمك وغيرهما تجمعت التخمة طبعا اي فساد المعدة ، فقيل (**عرب**) ـ كفرح ـ الرجل : فسدت معدته . و (**اربت**) و (ذربت) كلاهما كفرحت ـ المعدة : فسدت ايضا ، او صلحت من باب التضاد . والقى (**عربونه**) ـ بفتحتين : ذا بطنه .

الأمـــراض :

فساد المعدة اتسعت ابعاده فنشأت منه ومن مصادر اخرى انواع مختلفة من العلل ، منها قولهم (**ذرب**) الجرح : فسد واتسع ، قياسا على « ذربت المعدة » . وقياسا على « عربت المعدة » قيل (**عرب**) الجرح : تورم وتقيح . و (**عرم**) لشيء فهو (عارم) و (غرم) : فسد .

و (**الروبعة**) ـ زنة الزوبعة : داء يأخذ الفصيل

و (**الربو**) : انتفاخ الجوف ، اصلا ، ثم صار يعني كذلك مرض عسر التنفس .

و (**العر**) ـ زنة الشر : الجرب

و (**العد**) ـ كالمر ـ و (**العدة**) ـ كالمدة : بثر يخرج في الوجه .

و (**العرن**) ـ كالدرن ـ و (**العران**) ـ كالمران ـ و (**العرنة**) ـ كالفرقة : داء يأخذ في رجل الدابة يذهب بالشعر ، او هو تشقق ايديها وارجلها .

و (تربل) تربلا : كثر لحمه ، و (الربيل) : السمين . **وما كان هذا يعد مرضا عندهم لكنه اصبح** في عصرنا مرضا ووسواسا عند الجنس الذي بعضه لطيف حقا . على ان القدامى قالوا (تربل) جسمه بمعنى انتفخ ، ايضا .

التبـــدي :

(**البر**) : خلاف البحر ، اي الارض اليابسة ؛ واتله (برا) : خلق . و (**البرية**) ـ بشدتين : الصحراء، ومن هنا قالوا خرج الرجل (**برا**) : الى البر والصحراء. وجلس (برا) : خارج الدار . وما زالت دارجات عربية تستعمل (**برا**) ـ بدون تنوين ـ بنفس المعنى .

و (**ابتر**) الرجل ـ بتشديد الراء : انفرد عن اصحابه . ثم صار (**البراني**) : الخارجي ، خلاف الجواني : الداخلي .

كذلك (**اقفر**) الرجل : تفرد عن اهله ، او صار الى (**القفر**) اي الخلاء المقفر .

ثم صار (**العراء**) ـ كالرجاء ـ ومثله (**البراز**) و (**البراح**) : الارض الفضاء ، ومن هذا الاخير : (**الرحب**) ـ بالضم : بمعناه ، اما بالفتح فيعني الفسيح.

وشمل هذا المعنى : (**العربي**) : ساكن البر . وقد تخصصت صيغة (**الأعرابي**) بسكان البادية خاصة، وجمعها (**الاعاريب**) . ولهذا قال العرب انفسهم (**تعرب**) الرجل : بمعنى اقام في البادية وصار (اعرابيا) .

الجـــدب :

صحيح انهم قالوا (ارم) ما على المائدة : اكله ولم يترك منه شيئا ، لكن هذا المعنى خلق قبل ان تعرف الموائد ، منذ قالوا (أرم) الارض : لم يترك فيها اصلا ولا فرعا ، و (أرمّت) الشيء : ذهبت (بارومته) اي استاصلته . ومثل هذه الارض نصيبها الاقفار والجدب بطبيعة الحال .

واصل المعنى من كثرة الاكل في الربيع ، الذي تقدم ذكره .

و (**اقفر**) المكان : خلا من الناس والماء والكلأ ، اي من الماء والكلأ ومن ثم الناس . ومنه (**اقفر**) الرجل:

صار الى القفر أي الخلاء الذي لا ماء فيه ولا كلأ ولا ناس ، وهي ايضا صفة (**البراح**) و (**البراز**) اللذين تقدم ذكرهما . وعلى المجاز والاستعارة قيل (**أقفر**) الرجل : لم يبق عنده ادم ، وصار (**القفار**) يعني الخبز الذي لا ادم معه .

ومن معنى الجدب ايضا قولهم (**أمعرت**) الارض: قل نباتها ، و (**امعر**) القوم : اجدبوا .

و (**البرضة**) ـ كالغرفة : ارض لا نبات فيها .

و (**البرقة**) ـ كالغرفة ايضا ارض غليظة فيها حجارة ورمل وطين . ومنها على ما يظهر (**برقة**) في ليبيا ، التي يوردها صاحب القاموس بالتعريف (البرقة) .

و (**البلوق**) و (**البلوقة**) ـ زنة البلوط والبلوطة: المفازة ، والبقعة لا تنبت البتة .

ومنها (**البلقع**) و (**البلقعة**) : الارض المقفرة .

ثم (**العلب**) ـ كالدرب ـ و (العلب) ـ كالبئر ـ و (العلب) ـ كالشرس : المكان الغليظ لا ينبت .

وطبيعي ان هذه ليست كل الالفاظ التي اطلقوها بمعنى الجدب ، فالأثل هو (الربيع) وهو من (الربع) وهذا من (العرب) كما هو معلوم . ووجود معنى الجدب في مادة (عرب) في اللغات السامية جميعها دليل آخر على ان هذه الكلمة نفسها ـ اي العرب ـ قد اطلقت أولا على معنى الربع فالربيع فالاكل فالاستئصال. واقرب الصيغ الآنفة الى (العرب) هي الاخيرة ـ اي العلب ـ مما قد يؤيد ذلك . بل ان (عرب) نفسها ـ من باب ضرب ـ تعني الاكل .

وقد اطلقت (**عربو**) في السريانية ـ الأرمية ـ على الصحراء لأنها موطن العربي ، ولم تطلق على العربي لأن موطنه الصحراء كما ظنوا . والظاهر ان العرب الاوائل ، من اهل الحضر ، هم الذين اطلقوا (عربو) على الصحراء والجدب ثم ظهرت في السريانية وغيرها . ومن ذلك قولهم (**تعرب**) الرجل ـ العربي : اقام في البادية وصار اعرابيا . واطلاق (العربي) في الكثير من الدارجات العربية على البدوي قد يؤيد ذلك .. ولا سيما أن ابن خلدون أيضا قد استعمل الكلمة بهذا المعنى . شبيهة بذلك تسمية (**البيداء**) و (**البادية**) من (**البدوى**) الذي جاء اسمه من فعل (بدا يبدو) اي ظهر ، بمعنى خرج الى البادية . ولسنا نتمحل اذ ندعي ان معنى الخروج قد تأتي من معنى الظهور ، فان اخواننا السوريين ما زالوا يقولون لك اذا طرقت الباب وسألت عن صاحب الدار مثلا انه قد (ظهر) بمعنى غادر البيت .

الخلــــق :

(برأ) الشيء : خلقه من العدم . وهذا من (**البر**) الذي يعج وخاصة في الربيع بأنواع المخلوقات من حيوان ونبات ، فلهذا كانت (**البريئة**) وهي (**البرية**) ـ زنة السجية : الخلق ، أي المخلوقات . ومن أخواتها (**البرية**) ـ بتشديد الراء والياء : البر والصحراء . و (**البارىء**) : الخالق .

و (برأ) أثلها (**برع**) التي يظهر أنها كانت تعني برز النبات وارتفع ، بدليل انهم منها اشتقوا (**برعم**) و (**تبرعم**) ، و (**البرعم**) .. ثم صار فعل (برع) يعني : فاق علما او فضيلة أو جمالا . ومثلها (**أبر**) عليه ـ بتشديد الراء : غلبه وفاقه .

ومن هذا ايضا (**برض**) النبات : خرج (بارضه) اي أول ما يطلع منه .

العلــــو :

اصل معنى المعرفة كما سلف هو (الارتفاع) قد تسلسل هكذا : فرع ـ رفع (ـ رعف) ـ عرف .

ولنبدأ بالفرع . قالوا (**فرعت**) القوم فرعا : علوتهم بالشرف ، و (**فرعت**) في الجبل تفريعا : صعدت . ومن باب التضاد صار (**التفريع**) يعني الانحدار ايضا .

ثم ظهرت صيغة رفع ومنها (**الرفيع**) : العالي ، و (**الارتفاع**) و (**الرفعة**) . . .

ثم (**الراعف**) : انف الجبل ، او طرف ارنبة الأنف .. الى آخر ما تقدم ذكره .

هذا في الفرع والرفع والرعف . اما مشتقات (عرب) فقد جاءها معنى العلو من الربيع فيما يبدو ، ومن نمو النبات وارتفاعه خاصة . ومن ذلك صار (**الربا**) يعني الزيادة والنماء ، بدليل صياغة (**الربوة**) منه . والأثل (**ربأ**) ـ بالهمزة : علا وارتفع ، و (**المرباء**) : المرقاة ، ومن ثم : المرقبة ـ لان مكان المراقبة ينبغي أن يكون (**رابيا**) اي مرتفعا .

و (**الرابية**) و (**الربوة**) : ما ارتفع من الارض .

و (**المرتبن**) : المرتفع وزنا ومعنى .

ومثل ربا : (**عـــلا**) يعلو علوا واعتلاءا : ارتفع .
و (**علـوت**) المكان : صعدته .

كذلك (**عـرد**) الشيء ــ بالفتح : طلع وارتفع .

ثم (**عـــروى**) ــ زنة نجوى : هضبة .

و (**الفردة**) ــ زنة العروة : هضبة في اصلها ماء .

وبعد الربوة والهضبة يصل الارتفاع الى الجبال .
(**برعـت**) الجبل : علوته . و (**العلـم**) ــ زنة القلم :
الجبل الطويل ، ومجازا : سيد القوم .

و (**العرنـــاس**) ــ كالعرفان : انف الجبـــل .
وللكلمة علاقة بـ (**العرنين**) : الأنف ، أو ما صلب منه ،
ومجازا : السيد الشريف .

و (**معبـــر**) ــ زنة مظفر : جبل بالدهناء .

و (**بـــرع**) ــ زنة مضر : جبل بتهامة .

وكنت قرات عن جبل اسمه (**العـــرو**) ــ ربما زنة الفرو ــ قام من اجل امتلاكه نـــزاع مسلح بيـــن السعودية واليمن في العشرينيات من هذا القـــرن المشؤوم ، ثم تنازلت عنه السعودية لليمن صلحا . ولم نجد الاسم في القاموس . ويبـــدو كأن (**الوعـــر**) و (**الوعـــورة**) قد نبعتا منه فتلك المنطقة مشهـــورة بوعورتها فعلا ، وما عبثا اطلقوا على الارض الجبليـــة الواقعة بين الحجاز واليمن اسم (العسير) .

ثم يمعن العلو في التحليق حتى يبلغ السمـــاء ، حيث يقولون (**عرد**) النجم ــ بالتشديد : طلع وارتفع .
ثم بالغ المعنى في الصعود حتى ادرك اقصاه فتناول السماء السابعة نفسها منذ سموها (عروباء) !

العـــلامـــــة :

جاء معناها من العلم بالشيء ، حيـــث صـــار (**العلم**) ــ كالقلم ــ يعني الجبل والراية ، و (**علمت**) على الشيء تعليما : جعلت عليه (**علامة**) او (**اعلومة**) فهو (**معلم**) ــ زنة مهذب . ومن ثم سمي الضبع الذكر (**عيلما**) و (**عيلاما**) لانه مخطط ، استعارة من تخطيط الثوب ، فقولك (**اعلمـــت**) الثوب ، يعني جعلت له (علما) من طراز او غيره . كذلك (**علمته**) ــ كضربته : وسمته ، والوسم في الاصل علامة تكوى على جلـــد الماشية لتعرف بها . وتعني (**علمته**) كذلك : شققت شفته العليا فهو (أعلم) ، لان هذا ايضا علامة .

و (**أعلمـــت**) الفرس : علقت عليها صوفا ملونا في الحـــرب .

ومن هذا المعنى صارت (**العيعبة**) : الصوفـــة الحمـــراء .

و (**العلـــب**) ــ كالقلب : أثر السوط وغيره .

و (**الأعرم**) و (**العرماء**) : الحية الرقشـــاء .
ومنها (**الأرمـــة**) فيما يظهر : العلم اي الرايـــة .
و (**الأرم**) ــ بفتح الهمزة او كسرها : حجارة تنصب في المفازة يهتدي بهـــا .

ومن العلو صارت (**العلاوة**) على الراس والعنق ، تعني : العـــرف .

وكما نشأت صيغة (علا) من (علم) بمعنى العلو ، صارت تعني السلامة كذلك في (**على يعلي**) ــ بتشديد اللام ، فأصبح قولك (**عليـــت**) الكتـــاب تعليـــة ، و (**علونته**) يعني (عنونته) ! .. بمعنى جعلت لـــه (**علوانـــا**) اي (عنوانا) . وكنا قد ارتأينا في كتابنا « مغامرات لغوية » ــ فصل « أربطة البهائم في لغتنـــا الثقافية » ــ ان (**العنوان**) من (**العنان**) لكننا نرى الآن عكس ذلك اي ان العنان من العنوان .. في قولك (**عننت**) اللجام : جعلت له عنانا ، و (**عننت**) الكتاب : جعلت له عنوانا . هذا التصحيح وامثاله نورده اخلاصا للحقيقة وتوكيدا لما طفقنا نردده من كثرة ما في مثل هذه الابحاث اللغوية من متشابهات ومزالق .

اللـــــــون :

من مادة برع قالوا : البرق (**البريع**) : اللامع .
و (**برقت**) الشيء تبريقا : زينته . و (**برقت**) **المراة** برقا و (**برقت**) تبريقا و (**أبرقت**) : تزينت .

ومن هنا جاء (**التبـــرج**) : اظهار المراة زينتها ومحاسنها للأجانب ، وصارت الكلمة تعني حديثـــا : المبالغة في الزينة .

و (**بـــرق**) الشيء برقا : لمع وتلألأ . ومنـــه (**برق البرق**) : لمع . ومن البرق في ظلام الليل على ما يبدو صار (**الأبرق**) : ما اجتمع فيه سواد وبياض ، ومنه نشأ (**الأبلق**) الذي نشيح عنه الآن لكيلا يضيع من يدنا خيط السياق لنعود اليه بعد حين .

و (**الأبرص**) : المصاب بـ (**البرص**) ـ كالقفص: المرض الذي يحدث في الجسم كله قشرا ابيض ..

و (**الأبرش**) : الذي في جلده نقط من غير لونه.

و (**الأربش**) : المختلف اللون . وارض (**برشاء**) : كثيرة العشب مختلف الوانه .

و (**الربل**) ـ بفتحتين : نبات شديد الخضرة ، كما تقدم .

و (**اربد**) اللون ـ بتشديد الدال : تغير . و (**ربدت**) الشاة تربيدا : بدا في ضرعها لمع سود وبياض ، كأنما الاثل (برق) .

ومن (برق) جاء قولهم (**برقشت**) الشيء : زينته . ومنه (**أبو براقش**) و (**البرقش**) ـ زنة الحصرم : طائران ملونان .

وقد مر بنا ان (**عر**) يعني : لطخ . وربما منه نجم (**الأعرم**) : المتلون والأبرش ، و (**العرماء**) : الحية الرقشاء ، و (**العرم**) ـ كالقلم ـ و (**العرمة**) ـ كالتهمة : سواد مختلط ببياض ، او هو تنقيط بينهما .. اي كذلك مثل الأبرق الذي نشأ منه (**الأبلق**) الذي جاء دوره في الحديث ، ومعناه نفس معنى الأبرق .

فهذا الأبلق فضلته اللغات الاوربية الى لونيه المختلطين فجعلتهما مستقلين ، مثلما تفصل الماء بقطب كهربائي الى عنصريه الاوكسجين والهيدروجين. فبعض هذه اللغات اطلقته على الاسود كالانكليزية : (Black) ، وبعضها أطلقته على الابيض كالاسبانية: (Blanco) والايطالية (Bianco) والفرنسية (Blanc)

وان كانت الكلمة تعطي معنيين متعاكسين في اللغات الاوربية فقد كانت كذلك منذ القدم في العربية. وما زالت تعني الابيض البشرة اي الاشقر بالدارجة المغربية وهم ينطقونها كالانكليزية (Black) بتسكين أولها : (بلق) ، أو بالأحرى ان الانكليزية تنطقها كالمغربية التي تمثل احدى اللهجات العربية القومى .. على حين أن الكلمة تعني الأسود بالفصحى في صيغة أخرى هي (الأربك) وهي متطورة من (الابرق) بقلب وابدال . وشبيه بذلك الى حد ما أن (**الأبرش**) الذي قلنا انه يعني من كان في جلده نقط من غير لونه ، يطلقونه في شمالي العراق على من كان اشقر شعرا وبشرة ، لأن النقط ، اي النمش ، انما تكون في البشرة الشقراء على الأعم .

الاصالة والجودة :

الخيل (**العراب**) ـ زنة الشهاب : هي السالمة الهجنة ، وما زالت الخيل العربية مشهورة بأصالتها وجودتها . وقياسا عليها قيل (الابل العراب) . والخيل (العراب) تنطق ايضا : **الأعراب** (كالأرؤس) ؛ و (**المعربة** (كالمطربة) . ومن ذلك قالوا (**أعرب**) الفرس : صهل فعرف عتقه وسلامته من الهجنة . و (**أعرت**) أنت الفرس العربي : ميزته من الهجين اذا صهل ، ومن ثم (**أعربت**) الفرس أيا كان : أجريته ؛ ويظهر ان معنى الجري هنا انما نشأ من اختبار عروبة الفرس في جرية .

ولعل معنى الاصالة والجودة قد تأتي من خيلهم، ثم تسرب الى الصيغ الاخرى .

وقالوا فلان (**عبر**) لكل عمل ـ زنة بئر : صالح له وخبير به . وهذا المعنى قد جاء على الأغلب من (**العبور**) ، فان (**العبر**) ـ كالكفر : السحائب التي تسير شديدا ، ثم (**العبار**) ـ كالجبار : القوي على السير ، ثم (**العبر**) ـ بفتح العين أو كسرها أو ضمها: الصالح لكل عمل .

ولعلهم قد قصدوا الحمية والنخوة والحفاظ .. يوم قالوا (**تعرب**) الرجل : تخلق بأخلاق العرب وتشبه بهم .

النشاط :

(**العلامي**) ـ بالضم : الخفيف الذكي .

و (**برز**) الفرس تبريزا : سبق الخيل ، ومجازا (**برز**) الرجل فاق أصحابه .

و (**عرب**) الرجل ـ كفرح : نشط ، و (**العرب**) ـ كالطرب ـ و (**العرب**) كالغرب : النشاط .

القوة :

(**استربع**) البعير للسير : قوي عليه ، ولعل هذا من (**الربع**) اي الحمل لأن قوة البعير في السير انما تعرف حين يكون عليه حمله ، وخصوصا أن (**المربعة**) ـ كالمئذنة ـ هي المرفعة ، اداة الرفع . وبعد هذا قيل (**استربع**) الرجل الشيء : اطاقه .

وربما من هذا الاصل تفرع (**العبر**) ـ بالفتح أو الكسر أو الضم : القوي الشديد ، وجمال (**عبسر**) اسفار : قوية على السير ، والجمل (**العبار**) ـ كالعطار: القوي على السير ، وكانهم قالوا : رباع .

و (**العربد**) ـ بكسرتين : الشديد من كل شيء .

اما (العلب) ـ بفتح أو ضم أو كسر ـ اي الصلب الشديد كذلك ، فيعني ايضا : المكان الغليظ الذي لاينبت كما تقدم ، وهو أصل المعنى فيما يبدو . وحينئذ صار نعت الرجل بـ (**العلب**) يعني الغليظ الجافي .

و (**العرد**) ـ كالفرد : الصلب الشديد كذلك . ومنه (**العرداد**) ـ كالزنبال : الشجاع الصلب . و (**العردمان**) ـ بضم العين والدال : الشديد الجافي.

وشبيه بذلك (**العرندد**) ـ بضم العين والراء والدال ، أو فتحها جميعا : الصلب .

و (**العرمرم**) : الشديد .

الربط :

بعد قولهم (ربع يربع) بمعنى أقام ، ثم بمعنى توقف وانتظر ، قالوا (رب) بالمكان و (ربد) و (لبد): اقام .

ومن الاقامة والانتظار نشأت معاني الربط وغيرها من معان جانبية كثيرة سنكتفي منها بالقليل المهم .

(**تربث يتربث تربثا**) تمكث وتبطأ ، ومن ثم قيل (ربثه) عن كذا : منعه وحبسه . ومنها نشأت (**لبث**) و (**تلبث**) .

و (**تربص**) : انتظر وتوقف .

ومن (**ربد**) بمعنى اقام صيغ (**المربد**) ـ كالمنبر: محبس الابل وما شاكلها ، ثم اطلق على سوق للدواب بالبصرة صارت منتدى يلتقي فيه الادباء والشعراء ، وهي غنية عن التعريف .

و (**ربضت**) الدواب : بركت ، و (**اربض**) الدواب : آواها فى (**المربض**) اي الزريبة . وعندها ظهرت صيغة (**برك**) ثم (**الركبة**) التي يبرك عليها ، ثم (**الركوب**) ، ثم (البركة) ـ بفتحتين ، على نسق النعمة من النعم ـ بفتحتين ـ الى الابل ، وتطلق على البقر والغنم كذلك .

وشبيه بالمربض (**المربط**) موضع (**ربط**) الدواب . وقالوا (**ربطت**) الامر : واظبت عليه ، و (**رابط**) الجيش : لازم تخوم العدو ، و (**ربطه**) : أوثقه وشده .

ثم قيل (**ربقته**) : ربطته فى (**الربق**) ـ زنة الربع : حبل فيه عرى ، و (**الربقة**) ـ بفتح أو كسر : العروة فى الحبل .

ثم يختفي معنى الربط فى (**ربك**) وتبقى نتيجته فقولك (**ربكته**) يعني القيته فى وحل ، اي صار يتخبط فى سيره كالمربوط ، وهذا يذكرنا بالوصف البارع الذي انجبته قريحة صريع الغواني يوم شبه مشية السكران بمشي « المقيد فى الوحل » . وكما ولدوا معنى المشكلة فى (الورطة) التي أصل معناها الوحل ـ ولدوا معنى التخبط فى (**الارتباك**) الذي اصل معناه : السقوط فى الوحل . ومنه (**ارتبك**) الصيد فى الحبالة : اضطرب ، ثم (ارتبك) الأمر : اختلط .

ويظهر معنى الوحل والتخبط فيه فى صيغ اخرى مع الربط أو بدونه ، مثل (**كربسته**) : أخذته وربطته ، و (**كربس**) الرجل : « **مشى مشية المقيد** » . وكأنا بصريع الغواني يود تكملة هذا التعبير المعجمي باضافة « فى الوحل » اليه .

ثم (**كرفس**) : مشى مشية المقيد ايضا ، و (**كرفست**) البعير : قيدته .

و (**كربل = يكربل**) : مشى فى الطين او خاض فى الماء . و (**كربلت**) الشيء بالشيء : خلطته ، و (**كربلت**) الحنطة : غربلتها ، ولا حاجة بنا الى لفت النظر هنا الى ان (**الغربلة**) اثلها هذه (الكربلة) .

ومن (ربك) نشأت صيغة (كبل كبلا) التي يظهر فيها معنى القيد والحبس . و (**الكبل**) ـ بفتح أو كسر : القيد ، **او اعظم ما يكون من القيود ! ومما يدل** على تولد (كبل) من (ربك) هو أن (**الكابول**) يعني حبالة الصيد التي لمحناها لمحا فى (الارتباك) .

ويظهر (**الكبل**) بنفس لفظه اي (Câble) فى الفرنسية والانكليزية وغيرهما من بعض اللغات الاوربية ، بمعنى الحبل اولا ثم السلك المعدني ، ثم صار يعني البرقية منذ كانت البرقيات ترسل عبر الأسلاك . وفى العراق يسمونه (**القابل**) تعريبا وجمعه (القابلوات) . ولو سموه (**الكبل**) وجمعه (**الكبول**) لجمعوا بين العروبة والتعريب .

ثم نشأ (**اللبك**) فقالوا (**لبك**) ــ بالكســـر ــ و (**تلبك**) و (**التبك**) الامر : اختلط وتلبس . اي أن معنى الحبل والربط قد اختفى هنا أيضا وبقيــت نتيجته ، عودا على (ربك) ، ما يدل على ان (اللبك) من (الربك) لا من (الكبل) . ولعل (**الكرب**) أيضا من هذا (الربـــك) .

ولا بد ان القارىء الكريم قد لحظ ان فعـــل (**تلبس**) هذا اي اختلط ، قد نشأ من (تلبك) ، ومثله (**التبس**) من (التبك) . . ثم : **لبس** ، **وسلب** . ومن لبس نشأت :**لمس ، التمس ، تلمس . . مس ، مسح ،** وربما **مسخ** أيضا . ثم من اللمس نشأت : **استلم** (بمعنى لمس ، مثل استلام ركن الكعبة) . . ومن استلم نشأت: **تسلم ، وسلم** (بالتشديد) . ثم **سلم** (بكسر اللام) ، ثم **السلام والسلم** . . وكلها باستثناء السلام والسلم ــ واقعية موجودة في العالم .

الحيـــوانـــــات :

ما اكثر الحيوانات التي انبثقت اسماؤها مـــن تفرعات هذه الطائفة من الصيغ ، منها السائم والزاحف والسبع ، ومنها حيوان الماء والهواء ، والحشرات .

فأما الماشية فنذكر منها :

(**الأرب**) ــ زنة الشكر : صغار البهم ساعة تولد.

(**الربى**) : بضم الراء وفتح الباء مشددة : الشاة الحديثة النتـــاج .

و (**اليعمور**) : الجدي الصغير .

و (**الرباح**) ــ كالسعال ــ و (**الرباح**) ــ كالتفاح: الجدي ، والفصيل ، اي ولد الناقة أو البقرة فصـــل عن أمـــه .

و (**الرؤوم**) وكذلك (**الرائم**) و (**الرائمـــة**) : الناقة العاطفة على ولدها .

و (**القفر**) ــ بالفتح : الثور اذا فطم وعزل عن امه ليحـــرث .

ثم نذكر (**البعير**) وهو الجمل اطال الله بقاءه .

و (**الربـــض**) ــ بالكسر ــ من البقر : جماعتها حيث تربض . بذلك سميت من الربوض اي البروك .

ثم (**البقرة**) وقد جاءت تسميتها فيما يخيل لنا من (الربق) وهو القيد الذي صار في المعجم يعني الحبل ذا العرى من قولهم (ربقتها) : ربطتهـــا في الربق . وتسميته الحيوان من قيده قد جرى على ولدها العجل ايضا ، فالذي نظنه ان أثله (العقل) أي العقال الذي كان يعقل به ربما لمنعه من الرضاع أو توطئـــه لعملية ذبحه ؛ وما زال العجل وأمه وابوه يعقلون حين يعقرون . ومن البقرة ظهر معنى (**البقر**) ــ زنة السطر: بمعنى الشق والبعج ، و (**القربان**) لأنها كانت تنحـــر للآلهة . ومن هنا أتانا معنى (**القربى**) و (**التقرب**) الى الألهة . ثم معنى (**القرب**) ضد البعد ، ومنه الشيء (**القريب**) : ضد البعيد ، ثم الشخص (**القريب**) : ضد الغريب ، ومن ثم صلة (**القربي**) و (**القرابة**) .

يظهر اسم البقرة مرخما في اللاتينية اي بالحرفين الاولين فقط (بقة ــ (Vacca) التي نراها في الفرنسية بصـــورة (Vache)

وتجيء مقلوبة في الفارسية بصورة (كاب ــ (Gab) وقد كانت قديما وما زالت تنطق (**كـــاو** ــ (Gav) ايضا . وهي الصيغة الشائعة في الفارسية الحديثة ، وهي شبيهة جدا بالانكليزيـــة (**كـــاو** ــ (Caw) ومنها الصيغة التي فاقتها شهرة تعني الـ **كاوبـــوي** ــ Cawboy راعي البقر . واذا لم نشأ التشبث بها ففي وسعنا بدلا من وضعها بين قوسين في كتاباتنا ان نعربها تعريبا دقيقا بصيغة (**البقار**) ــ على غرار الغنام والجمال والحمار ــ وكلها بالتشديد .

وقبل الانتقال الى السوائم البرية نذكر (**الكلب**) الذي يرافق الماشية بصفة راع مساعد ، واسمه من (الكلاب) ــ زنة الرمان ــ اي الخطاف وهذا من (الكبل) السابق ذكره في موضوع الربط .

واما من سائمة البرية فنذكر :

(**الرئم**) : الظبي الابيض .

و (**الربرب**) : القطيع من بقر الوحش .

و (**الأعفر**) : نوع من الظباء ضعيف الجري ، اختلفوا في صفة لونه ، اي انه اطلق على أنواع مختلفة الالوان منه . واصل المعنى على كل حال من نـــون (**العفر**) اي التراب ، بدليل أن :

(**اليعفور**) : ظبي بلون التراب .

ثم نذكر سيد الحيوانات ــ بعدنا ــ وهو قريبنا المجنون ، القرد ، ولنقل انه من حيوان الشجر . وهو:

(**الهبار**) ــ بالتشديد : القرد الكثير الشعر ، ويسمى كذلك (**الهوبــر**) ــ زنة الكوكب ، وهذا من أسماء الفهد أيضا .

و (**الرباح**) ــ كالحمال ــ و (**الرباح**) ــ كالتفاح: القرد الذكر . وهما نفس الصيغتين اللتين تقدم انهما تعنيان الجدي والفصيل . وهذا من أمثلة اختــلاط تسميات الحيوان بسبب اختلاف القبائل ، واحيانــا بسبب اللجوء الى المجاز والاستعارة في التعبيـــر ، افتنانــــا .

و (**اليربوع**) الذي سلف ذكره لا سائــم ولا زاحف : نوع من الفار قفاز طويل الرجلين ينتصــب عليهما حين يجلس كانه يحسب نفسه الكنغــر . وفي دارجات الشرق الاوسط يسمونه (**الجربوع**) .

ومن الحشرات نذكر :

(**الهبور**) ــ زنة السفود : الذر الصغير ، اي صغار النمــل .

و (**العميرة**) ــ كالخميرة : خلايا النمل مجموعة.

و (**البرقان**) ــ كالبركان : الجراد المتلــون ، واحدته (**البرقانة**) .

ثم (**العرارة**) : الجرادة ، وتسمى (العرادة) ايضــا .

ولا نعلم هل الصيغة الاخيرة أثلها (الجرادة) من معنى (جرد) الارض من نباتها أم أثلها (العرارة) من (العر) اي جرب البعير الذي يذهب بوبره . والارض (الجرباء) هي : المحلة ، مثل الجرداء .

و (**الربية**) ــ بالضم : « شيء من الحشرات » لا ندري ولا صاحب القاموس يدري ما عسى ان يكون .

ومن الزواحف نذكر :

(سام **ابرص**) الدويبة المعروفة بـ (**ابي بريص**) وهو اسمها بالدارجة العراقية ايضا . ثم الحية ، وقد استأثرت بغير قليل من صيغ هذه الطائفة ، فهي :

(**الرقشاء**) : الحية المبرقشة ، من برقش وبرق، بمعنــى زيــن .

و (**العرماء**) : الحية الرقشاء ولعل اصل المعنى من (العرامة) : الشراسة والأذى . ثم بعد ان اطلقت الكلمة على الحية الرقشاء صارت (**العرمة**) تعنــي السواد مختلطا ببياض ، او التنقيط بينهما .

و (**ام الربيين**) : الافعى .

و (**العربد**) ــ بكسر العين والفاء ، وبتخفيــف الذال او تشديدها : الذكر من الافاعي .

واخيرا (**العامرة**) و (**العامر**) : الحية . وجمعها (العوامر) ، وتسمى (**عوامر البيوت**) . وواضح ان التسمية قد اطلقت اولا على الحيات البيتية .

وننتقل الى السباع . وليكن اولها الضبع فهي :

(ام عامر) ولعلها بذا سميت لأنها مخططة كبعض الحيات (العوامر) .

وهي (**العرفاء**) ــ زنة البلقاء : بذا سميت لكثرة شعر رقبتهــا .

اما (**العيلم**) و (**العيلام**) فهو الضبع الذكر . وربما جاء الاسم من العلامات أي الخطوط في جسمه اما (**العيلم**) الضفدع فمن معنى الماء .

ثم نذكر (**العوبر**) : جرو الفهد .

ثم (**الهوبر**) : الفهد ، وهو الاسم الذي قدم انه مشترك بينه وبين القرد الذكر .

ثم يأتي الاسد ، وحصته من اسماء هذه الزمرة اللغوية كبيرة جدا بالقياس الى سواه ، فهنا ايضا لــه حصة الاســد .

فهو (**الريبال**) و (**الرئبال**) لكن هذا الاســم الاخير يشاركه فيه الذئب .

وهو (**المتربــد**) من معنى اللابث المتربص . فلذلك سمي ايضا :

(**الرابض**) و (**الرباض**) : لانه يربض لفريسته متخفيا حتى تقترب فينقض عليها .

وهو (**ابو لبد**) ــ زنة مضر ــ وهذه التسميــة جاءته من (**لبدتــه**) كما هو واضح .

و (**الملبــد**) ــ زنة المحسن . وهذه التسمية وان كانت من نفس مادة اسمه السابق ، قد أتته من (اللبود) اي المكوث واللبث ، اي الربوض الذي سبق الالماع اليه .

و (**العرندس**) ــ كالسفرجل : الأسد العظيم . وتطلق الكلمة كذلك على السيل الكثير ، وهو اصــل المعنى ، ما يدل على ان الاسد سمي بهذا لانه يتحدر على فريسته كالسيل العارم . (وشبيه بذلك اسمــه الآخر « الحيدرة » من معنى الحدر) .

وهو كذلك (**العفرس**) ــ بكسر العين والراء ــ و (**العفريــس**) و (**العفــروس**) و (**العفرنــس**) ــ كالسفرجل . وهذه الاسماء من لــون العفــر أي التراب . وشتان بين هذا السبع وفريسته (اليعفور) المسكين المسمى من لون العفر كذلك .

ومن الطير نذكر :

(**الرأل**) ــ بالفتح : ولد النعامة ، وجمعــه رئال ورئلان .. الخ . وهذا طائر ارضي لا هوائي .

و (**العرناس**) ــ كالرئبال : طائر كالحمامة لا تشعر به حتى يطير كانما من تحت قدميك .

و (**العلام**) ــ كالغلام ــ و (**العلام**) ــ كالرمان : الصقر والباشق .. وربما سميا بذين الاسمين لما فى ريشهما من علامات .

و (**الابلــق**) طائر أبلق اللون ، ويسمى فى ديار الشام (ابو **بليــق**) .

و (**البرقش**) ــ بكسر الباء والقاف : طائر صغير لطيف الصوت ملون الريش . ومن نفس المادة ياتي :

(**ابو براقــش**) طائر صغير اعلى ريشه أغبر واوسطه احمر واسفله اسود ! .. فلهذا السبب الوجيه يشبهون به الانسان المتلون .

من المائيات نذكــر :

(**العيلم**) الضفدع ، الحيوان البرمائي الشهير ، ربح اسمه هذا من معنى الماء كما قلنا قبل ، منذ كان العيلم يعني البئر الكثيرة الماء والبحر ايضا .

ثم (**الاربيان**) ــ بكسر الهمزة والباء ، يقــول بعضهم انه سمك ويقول بعضهم انه سرطان البحر . وفى جنوب العراق يطلقون (**الروبيان**) على ما يسمى برغوث البحر . ومن الطريف ان السمــك يدعــي بالروسيــة (ريبــا ــ (Riba)

الــرائحـــة :

(**العرف**) ــ زنة الصرف : الرائحة مطلقا وكثر استعماله فى الطيبة ، والارض (**المعروفة**) : الطيبة الرائحة . واصل المعنى فيما يبدو من (المعرفة) لان الشيء قد تعرفه من رائحته قبل ان تراه .. كالذي تقــدم بيانــه .

ومن معنى الفساد : (**استعلب**) اللحم و (**علب**): تغيرت رائحتــه .

ومن معاني الربيع قيل (**رب**) الدهن ربا : طيبه واجــاده .

ومن التعبير صار (**العبير**) : اخلاطا من الطيب ، وقد تطلق على الزعفران خاصة .

و (**الغمارة**) ــ كالشرارة : ريحانة كان الرجل يحيي بها الملك قائلا « عمرك الله » ، ومن هنا جاء معنى الرائحة فصار (**العمار**) ــ كالنهار : الذي يعني التحية وهي اصل معناه ــ يعني كذلك الريحان الذي يزينون به مجلس الشراب .. و (**العمار**)) ــ كالطيار : الطيب الرائحة ، ومجازا : الطيب الثناء .

ومن هذا القبيل من مادة (**عر**) ، صار (**العرار**) ــ بالفتح : يطلق على نوع من البهار طيب الرائحــة ، وعلى النرجس البري .

حســن الحــال :

انبجس المعنى من الربيع كذلك نباتا وحيوانــا ومــاء .

فمن ذلك قولهم (ربع يربع) يعيشه ــ من باب فتح يفتح : رضي . و (**الرباع**) ــ كالرجاء ــ و (**الرباعة**) ــ كالمناعة ــ و (**الرباعة**) ــ كالرياضة : حسن الحال، ومجازا : الرياسة .

و (ربغ) ــ بفتحتين ــ العيش : اتسع وطاب ، و (**ربغــوا**) فى النعيم : اقاموا فيه .

و (رفغ) العيش : كان واسعــا هنيئــا ، و (**ترفغ**) : عاش فى (**الرفاغة**) والرغد .

ثم ظهرت صيغة (**رفــه**) ــ بفتحتين ــ الرجل : لان عيشه وطاب ، فكان ذا (**رفــاه**) و (**رفاهــة**) و (**رفاهية**) ، فعيشه (**رافه**) و (**رفيه**) و (**مرفه**).

و (رفاه) ترفئة وترفيئا : هنأة بقوله « بالرفاء والبنين » ، ومنها بنفس المعنى (رفاه) ــ بألف لينة .

اما قولهم (**ربع**) ــ من باب فرح ــ الرجل : كان فاجرا ماجنا ، فهو (ربع) ــ بفتح فكسر ــ **فهذا** من نتائج الرفاهة والرفاعة والبطر .

الاصــــــلاح :

يبدو وكانه قد نشأ من معنى العطف والرافة منذ قالوا (**رامت** (الناقة ولدها : عطفت عليه فهي (**رؤوم**)،

ثم نشأت صيغ (**الرؤوف**) و (**الرافة**) .. من معنى (**راف**) به : رحمه اشد الرحمة .

و (**ارامت**) الجرح : عالجته حتى برأ ، (**ارامت**) القدح : اصلحته ، و (رئم) الجرح : انضم للبرء . وهنا نشأت (**لأم**) لأما ، و (**لاءم**) ملاءمة .. ثم (**التام**) التئاما ، ثم (**التحم**) و (**لحم**) .

وقالوا كذلك (**لام**) الشيء : احبه والفه ، و (**رأب**) الشيء : جمعه وشده برفق ، و (**رأب**) الصدع : اصلحه .

اما (**أبرات**) الزرع ابرا ، بمعنى اصلحته والقحته فليست من هذا الباب ، لان المعنى هنا من (**الأبار**) — كالعطار : الذي يأبر النخل ، والمقصود الشخص الذي يشق طلعها باداة كالمنجل وهي (**المئبر**) لتلقيحها ، ثم انتقل المعنى الى تلقيح الزرع عامة واصلاحه .

ثم (**رف**) الثوب : رفأه بآخر ليتوسع من اسفله، ومن ثم قالوا (**رفات**) الثوب : لأمت خرقه وخاطه : و (رفأت) بينهم : اصلحت .
وبمراجعة موضوع « حسن الحال » يتضح كيف اجتمع المعنيان فى مادة (رفا) .

المبايعة :

(**الرباح**) — زنة الصلاح : الابل تجلب للبيع . وربما من هذا تولد (**الربح**) وهو الكسب فى التجارة بيعا وشراءا ، كالذي سبق ان المعنا اليه . ومن هذا أو من (**رب**) بمعنى النماء والارتفاع نشأ (**الربا**) بمعنى الزيادة ، وهو الربح يأخذه الدائن من المدين عن الدين.

ومن مستلزمات البيع دفع (**العربون** وهو جزء من الثمن او الاجرة يدفع سلفا ضمانا لاتمام الصفقة . وينطق (**العربون**) بفتحتين ، و (**والعربون**) بالضم ، و (**العربان**) بالضم كذلك . وقد نطقوا العين همزة فى جميعها كذلك ، اي (**الأربون**) بشكليه و (**الأربون**) .. (وهذا يدل على ان العرب كانوا يبدلون العين همزة احيانا ولو قليلة كما كانوا يبدلون الهمزة عينا أحيانا كثيرة) . وقالوا (**اعربه**) اعرابا ، و (**عربه**) تعريبا ، و (**عربنه**) : أعطاه العربون .

وقالوا (**اربت**) العُقد : احكمته ، وهذا المعنى من دفع (الأربون) الذي انما يراد به احكام البيع ، ومن ثم صارت (**الأربة**) : العقدة وزنا ومعنى ، لأن المبايعين كانا يعقدان طرفي ثوبيهما ببعضهما البعض علامة تعهد كل منهما بانفاذ (التعاقد) . فصار (**التأريب**) يعني الاحكام والتحديد والتوفير والتكميل من ثم .

ومن مظاهر التجارة قيل (**تربص**) بسلعته : استبقاها لوقت الغلاء . و (عري) بصيغة المجهول — الى الشيء : باعه ثم استوحش اليه !

العربة :

صارت تطلق على المركبة التي تجرها الدواب . واصل التسمية فيما يظهر اطلاقهم (**العربة**) — زنة الشجرة — على النهر الشديد الجريان . ومن نهر دجلة المشهور بشدة جريه ولا سيما زمن الفيضان اطلقت (**العربات**) على سفن كانت فى العهد العباسي رواكد فى بغداد ، من باب المفارقات والمتناقضات . ولعل اسم العربة قد اطلق اخيرا على المركبة المذكورة تشبيها بتلك السفن .

والمصريون يسمون السيارة فى دارجتهم (**عربية**) .

العمران :

(**الربع**) — كالطبع — يعني بالدارجة العراقية : الاصحاب والاصدقاء . وفى الموصل يستعملون المفرد ايضا بصيغة (الربيع) حيث تقول ، نعني حيث يقول قائلهم « فلان **ربيعي** » : صديقي ، و « **نحنا رباع** » . ونحسب هذا المعنى عريقا فى العربية قد تخلف فى الدارجة العراقية ، وربما فى دارجات اخرى .

وكالذي تقدم بنا عند الكلام على (الربيع) كان (**العريب**) — زنة الربيع — و (المعرب) — زنة المحسن — يعنيان : المرء .. كما ان (**الربع**) يعني الناس ، أو الجماعة منهم .

و (**العرو**) — زنة النضو : الجماعة من الناس ايضا ، وظاهر ان اثلها (العرب) من (العرف) أي المعارف من الناس بالمعنى العراقي ، الذي سنعود اليه بشيء من التفصيل قليل .

ولما كان من داب الجماعات العربية ان تنزل فى الاماكن المخصبة حيث يجدون بغيتهم هذه فى فصل الربيع على الاغلب ، صار قولهم ان القوم (**ارتبعوا**) بالمكان : اقاموا فيه زمن الربيع ، ثم صار قولهم (**ربعوا**) — بفتحتين — بالمكان : اقاموا اطلاقا ، فى اي فصل من فصول الحول .

ومن هذا الباب (**استعذيت**) المكان : استطبته، من أثل (استعذبتـــه) .

ثم نذكر فعل (**رب**) بالمكان و (**ارب**) ـ زنة صر واصر : اقام كذلك ، اي مثل (ربع) بالمكان .

و (**الرباب**) : السحاب وزنا ومعنى ، مثـــل (الرباع بالموصلية وهي أثلها كما هو جلـــي بيـــن . و (**الربابة**) بالفتح : الجماعة ، و (**الربابة**) بالكسر : المملكة ، ومثلها (**المربة**) ـ زنة المحبة .

و (**المـــرب**) ـ زنة المصب : مكان الاقامة او الاجتماع ، واثله (المربـــع) .

و (**الربان**) ـ كالرمان : الجماعة كذلك وصار يطلق على رئيس ملاحي السفينة ، اي جماعة النوتية .

ومن (الرب) بالمكان نذكر (**التربج**) فهو الاقامة ايضـــا .

ومن (**الربض**) بالمكان واللبث ظهر فعل (لبد) لبودا بالمكان : اقام ، ومثله مقلوبة (**بلد**) بلودا بالمكان: اقام فيه او اتخذه (**بلـــدا**) اي مقاما ، ومن هنا نشأت (**البلدة**) : المدينة ، و (**البلـــد**) الذي صار يعني المدينة او القطر .

من كل هذا وامثاله الكثيرة المتفاعلة نبعت معاني الجماعة والاقامة والمدينة ثم المدنية .. والمملكـــة والقطـــــر .

بالاضافة الى ما تقدم من دواعي الاقامة الربيعية نجد للماء اهميته في كثير من الاحوال . من ذلـــك (**عربة**) ـ بثلاث فتحات ـ وهي مكة التي سبق القول عن تسميتها وتسمية الكثير غيرها من المواقع والمدن والقرى ، ضمن كلامنا على موضوع الماء .

ومن (عربة) أو نحوها ظهرت صيغة (**عمرت**) بالمكان : اقمت ، وزنا ومعنى . و (المعمر) ـ زنـــة المعمل : المنزل الكثير الماء والكلأ ، ومن ثم قالـــوا (**عمرت**) الدار : بنيتها ، و (**عمرت**) المنزل : سكنته، فهو (**معمـــور**) .

و (العمران) بالضم : البنيان ، ثم صار يعنـــي تشييد الدور والمدن ، وقد استعمل ابن خلدون الكلمة بمعنى المجتمع وعلم الاجتماع .

و (**التربية**) من أهم ظواهر (**العمران**) بالمعنى الخلدوني ومستلزماته .

(**المرباع**) : المكان الذي ينبت نباتـه في أول الربيع . (**المرباب**) و (**المربة**) ـ كالمحبة : الارض الكثيرة النبات . ولا بد أنهم قد قالوا (**ربيت**) النبات بمعنى انميته وتعهدته قبل أن يسموا الشاة تربي في البيت للبنها (**ربيبة**) وقبل ان يقولوا (رب) الرجل الصبي ربا ، و (ربيه) تربيبا ، بمعنى تعهده حتـــى ادرك . ثم قيل (رباه) تربية ، بمعنى غذاه وجعلـــه يربو ـ أول الامر ـ ثم يعني : هذبه ايضـــا ، وعلى عهدنا صارت : غذاه بالعلم كذلك .

العربـــي الانســـان

انـا حتى الانسان ندور في فلـــك (العربـــي) الكلمة . وما أوردنا في هذا المضمار الا قليلا من كثير .. فان الالفاظ والمعاني التي لا تكاد تحصى ، المتفرعة من (العربي) من التعدد والتشابك والتعقيد بحيث يملؤنا تتبعها متعة وغبطة ، على حين اننا نخشـــى أن تكون قد اخذت تملأ القارىء سآمة وضجرا على فرض انه لم يسأم ويضجر منذ زمن لعله غير قريب .

فلنعد الى (العربي) الانسان نختـــم به هـــذا الحديـــث .

ويبدو للنظر ان (**العربي**) ليست الكلمة الأثلة في تسمية ابن المعربة بل سبقتها الصيغـــة الفائبـــة (**العرفي**) من معنى **التعارف**) . وما زال العراقيون يعنون بكلمة (**العرف**) ـ بكسر العين : (**المعارف**) اي الاشخاص المتعارفين فيما بينهم ، أو الشخـــص أو الاشخاص المعروفين لدى المتكلـــم .. على غـــرار (**الربع**) بلفتهم : الاصدقاء كالذي ذكرنا قبل . ولعل مما يؤيد ان (العربي) قد اطقت عليه الصيغة الغائية قبل الصيغة العينية ، أن الاولى تظهر بعض تفرعاتهـــا في مولدات الربيع الذي أثله العربي .. مثل النبات في (العرفط) بالضم : شجر من العضاه ، والمـــاء في (العرفجاء) بالفتح : ماء لبني عقيل ..

— ✻ —

وقد آن لنا الآن ان نكر بالتذكر الى ما تقدم بيانه من ان (العبري) قد ورد بصيغ (**الابري**) و (**الخبيرو**) و (**العبيرو**) و (**الهبيري**) ـ التي يرجع بعضها الى اكثر من خمسة آلاف سنة ـ كما حكى لنا الدكتـــور احمد سوسة . وكتابه القيم ليس في متناول يدي

الآن لا عرف ما الذي استنتجه هو من هذه الحقيقــة المثيرة . لكنها تبتعث فى خاطري شيأين :

أولهما أن ورود هذه الصيغ فى وثائق بهذا القدم لا يدل على أنها اقدم وجودا من صيغ « العربي » التي ورد اقدم المعروف منها فى وثيقة لا ترجع الى أقدم من منتصف القرن التاسع ق م ، لأنه من المحتمـل ان يكون اسم العربي قد ورد فى صيغ أقدم من هذه وتلك لم يعثر عليها المنقبون .

وثانيهما أن العبرانيين اذا كانوا هم ابناء يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم كما يقولون فان تاريخ ظهـور ابراهيم لا يرجع الى أكثر من عام 1700 او 1800 ق م. ولم يبالغ أحد من المؤرخين فيما نعلم فى الرجوع بهذا التاريخ الى ابعد من 2000 ق م ، اي أربعة آلاف سنة من يومنا . فهذا يعني قطعا ان الهبيري والعبيرو ... ليسوا هم العبرانيين الذين يطلق عليهم هذا الاسم اليوم، وانما كانوا قوما آخرين اقدم منهم بألف سنة على الاقل. فمن هم يا ترى ؟ ولا بد ان يكون الدكتور احمد سوسة قد ذكر ذلك أو ما يشبهه ، ولعله قد تساءل عمن عسى ان يكون أولئك المجهولون الذين تعددت أسماؤهم قبل ان يخلق العبرانيون وابو العبرانيين .

وشيء ثالث نذكره ولا نحسب ان الدكتور سوسة قد تطرق اليه لأنه لغوي بحت ، وهو أن التأثيل اللغوي هو الحكم الفيصل بين صيغة « العربـــي » والصيــغ المنافسة لها . فهذا التأثيل ، حلال المشاكل اللغوية، سيذهلنا أن يبرهن لنا على ان هذه الصيغ كلها ترجع الى اثل واحد هو « **العربـــي** » نفســـه اولا ، اي ان الخبيرو ، والعبيرو ، والهبيري ، والابري .. لـــم يكونوا الا العرب انفسهم ثانيا ، وان اسم (العربـــي) يرجع من ثم الى تاريخ اقدم من هذه الصيغ التي تولدت منه بقرون كثيرة لعلها عشرات ... ثالثا .

فاذا كانوا قد اطلقوا (العربي) من معنى المعرفة والاعراب على انفسهم فلا غرابة ان يكونوا اطلقوا كذلك (العبري) و (الخبري) بعد ان اشتق العبر والخبر من (العرب) .

ومن العبري شاث العبري صيغة (الابري) منذ ابدلوا عينها همزة كما فعلوا بالعربون يوم نطقوه (اربـــون) وبفعل ربع يربع فجعلوه ربأ يربأ ...

ومن الابري ثبتت صيغة (الهبـــري) بابــدال همزتها هاءا كما فعلوا فى الفاظ كثيرة مثل (ايـــا) صارت على لسانهم (هيا) و (اراق) غدت (هراق) ..

لكن صيغتي (الابري) و (الهبري) قد ضيعتــا معناهما التعبيري فى المعجم وان كانـــت قادتاهمـــا اللغويتان ما تزالان موجودتين فى معان أخرى .

وربما كانت هناك صيغ اخرى قد اندثرت ومعها (العرفي) قبل ان تحظى بالتدويـــن فى الوثائـــق الهيروغليفية والمسمارية وغيرهما ، أو تناولها التدوين لكنها لما تكتشف ، وقد تكتشف فى المستقبل وقد لا تكتشف ابدا ، والمنطقي أن تكون كل تلك الصيغ قد اطلقت على العرب عامة أول الامر فشاعت لدى الامـم المجاورة ، ثم اخذت بالتخصص ، فربما صار يطلــق بعضها لدى احد الاقطار المجاورة على بعض القبائل دون بعـــض .

الأرميـــــــــون :

وقد ساعد الاعاجم على توليد بعـــض الصيـــغ بتحريفها عن اصلها : فمن الجائز ان (**الأرمي**) قـــد صاغها الاعاجم من (العربي) لعجزهم عن نطق صوت العين . كما يجوز وهو ما نرجحه ان العرب انفسهـم نطقوا العربي (اربي) كما نطقوا العبري (أبري) ... والعربون (اربون) .

واما صيغة (الآرامي) الشائعة الآن فلم ترد فى اي من المصادر المسمارية التي سجلت اثنتي عشرة صيغة مختلفة ليس فيها واحدة بفتحة ممدودة ، على الهمزة . (وقد تطرقنا الى ذلك بتفصيل أوفى فى كتابنا « مغامرات لغوية ») . فعلى هذا تكون صيغة (الآرامي) هذه حديثة فيما يبدو ، ونحسبها من صيغ مدونـــي التوراة التي تطورت فيها بعض الالفاظ مثل استيـــر (من عشتار) ، ومردخاي (من مردوخ) وحاخام (من حكيم) ، وشالوم من (سلام) ...

واقدم ذكرى للأرميين ورد فى نحو القرن الخامس عشر (ق‌م) بوصفهم عشائر بدوية تجوب الفـلاة على تخوم الهلال الخصيب وتغير على المدن والقرى للنهب، كما كانت تفعل القبائل البدوية ابدا ، وكمـــا صارت تفعل من بعدهم بكر وتغلب ، وكما ظلت تفعل الى عهد قريب عشائر شمر وعنزة .

ولعل الأرميين لم يكونوا عندئذ قد انسلخـــوا نهائيا عن عروبتهم فلم يصبحوا بعد امة قائمة براسها .

واختلاف لغة الارميين عن اللسان العربي المعروف لدينا لا يزيد عن اختلاف الكنعانية عنه . بل ان اللغات الثمودية واللحيانية والصفوية التي تمثل اقدم صور

العربية التي وصلتنا وثائق مكتوبة منها ، لا يفهمها من العرب اليوم الا المتخصصون، شأن الآشورية والبابلية . فلا يكون عدم فهمنا اياها – اي اختلافها عن لغتنا – باعثا للظن انها غير العربية .. فان ابن بغداد اليوم مثلا لا يفهم الكثير من لغات بعض المدن والقرى العربية في العراق نفسه على صغر رقعته .

أن الأرميين قبل مبارحتهم المعربة قد كانت لهم لهجتهم الخاصة ، كما هو شأن القبائل في العادة ، فلما انسلخوا عن بقية العرب انعزلت لغتهم وأخذت سبيلها الخاص في التطور تحت سيطرة البيئة والتأثر باللغات المخالطة الجديدة ، فتكونت اللغة الأرمية (السريانية) المعروفة كما تكونت من قبلها الكنعانية والاكدية وغيرهما من اللغات السامية .

والذي نخاله ان اسم (الأرمي) كان يطلقه بعض سكان المنطقة على العربي من أي قبيل كان ثم اختص بهذا البدوي النهاب السلاب الذي طفق يستقر ويتمدين جيلا بعد جيل ويقوى تأثيره في المجتمعات التي نزل بين ظهرانيها حتى غلبت لغته جميع لغات الهلال الخصيب من بابلية وآشورية وكنعانية وعبرية . ومعلوم ان المسيح ، كأبناء جيله من العبرانيين ، كان يتكلم الأرمية التي هي من ثم لغة الاصل للأناجيل .

العبري :

ولا ندري متى أطلق اسم (العبري) على اليهودي أو اسلافه خاصة من دون سائر العرب . لكن الثابت المعترف به حتى من اليهود ان من يسمون بالعبرانيين ليسوا اخلاف يعقوب وحدهم ، وليسوا القوم الذين خرج بهم موسى من مصر وحدهم ايا كان اصلهم ، بل اختلط بهم الكثير من القبائل البدوية في أرض سيناء وفلسطين . وان الشبه العظيم بين اللغتين الكنعانية والعبرية لينبيء عن كثرة الكنعانيين الذين خالطهم اليهود فأثروا في اللغة العبرية بحيث انها يمكننا تسميتها « كنعانية حديثة » كالفنيقية ، فلهذا يقول الباحثون اللغويون ان الفنيقية والعبرية اختان امهما الكنعانية . والسبب منطقي وواضح هو ان قوم موسى طرؤوا على ارض عربية كنعانية (فلسطين) وكانوا قلة فيها ، لكن تشاحن اهلها أصارهم الى ما أصار اليه « ملوك الطوائف » في الاندلس ، وما صار اليه نفس البلد – فلسطين – امس .

وهكذا اختصت (**العبري**) – ومثلها (**العبراني**) – باولئك القوم ولم تعد تطلق على غيرهم من العرب .

ولعل قدامى المصريين كانوا يطلقون (ابري) و (هبري) .. على « العرب » الذين كانوا منذ القدم يقيمون شرقي مصر ، على سواحل البحر الاحمر وعلى ارض سيناء ولعلهم أطلقوا من ثم نفس الاسم على العبرانيين المقيمين في مصر في أرض « جاسان » لأن لغتهم اجنبية عن اللغة المصرية ، كلغة العرب . واليوم يسمى بالدارجة المصرية كل عربي ، غير مصري (شامي) سواء أكان من بر الشام أو من جبال الأطلس . فلعل هذا كان شأنهم يوم سموا اليهود عبريين ، على اعتبار انهم عرب .

العربي :

وبعد ان اختص (الأرمي) بالبداة المذكورين و (العبري) باليهود ، و (العربي) بساكن المعربة .. بقيت الصيغ الاخرى ولم تجد اقواما يختص كل واحد منها بأحدهم فاندثرت مع الزمان .

حتى مادة (عرب) التي بقيت وحدها تطلق على هذا المعربي تجيئنا في صور شتى مع انها مادة لغوية واحدة . وهذه الصيغ هي : **العرب** (كالأدب) ، و (**والعرب** (كالعذر) **والعرب** (بضمتين) ، **والعربان** (كالقربان) ، **والأعراب** (كالأصحاب) ؛ **والاعاريب** .. والمفرد القياسي منها : **العربي** (كالأدبي)، **والعربي** (بضم فسكون) ، **والعرباني** (كالسلطاني) ، **والأعرابي** ، ثم **اليعربي** .. والمصدر المعجمي : **العروبة و العروبية** .

— ◆ —

كان غرضنا ان نكتب قصة تسمية العربي تحت عنوان « قصص من اللغة » فاذا بنا ننساق الى التاريخ فصار حديثنا أجدر بأن يضاف الى عنوانه « وتاريخهم من لغتهم » !

لا بأس ، فليكن شيئا بين القصة اللغة واللغة التاريخ ..

أبحاث ودراسات باللغات الأجنبية

deuxième Congrès — prévu pour la fin de l'année 1973 à Alger —, une série de six lexiques trilingues (anglais - français - arabe) concernant les disciplines scientifiques enseignées au niveau du second degré : Mathématiques, Physique, Chimie, Botanique, Zoologie, Géologie.

«Le rôle essentiel de notre Bureau Permanent étant un travail de coordination, les projets initiaux de cette série de lexiques nous avaient été soumis à cette fin par la République Arabe Egyptienne, après avoir été élaborés en deux langues : anglais et arabe. Pour cette raison, nous y avons ajouté une troisième langue, en l'occurrence le français et, nous avons fait suivre chacun de ces lexiques d'un additif très important — en trois langues aussi — grâce à un dépouillement minutieux de manuels scolaires occidentaux du second degré effectué par nos experts. Ces derniers ont, en outre, eu soin de compléter ces ouvrages par des index alphabétiques français afin de permettre aux bilingues francophones une recherche rapide des termes correspondants arabes.

« C'est donc l'ensemble de ces projets trilingues, qui sera soumis au Congrès d'Alger pour être étudié par des experts qualifiés représentant tous les pays membres de la Ligue Arabe dans le double but de choix et d'unification des termes scientifiques adéquats.

« D'autre part, les experts et les responsables du B. P. A. ayant constaté la multiplicité des synonymes arabes correspondant à certains termes uniques en langue étrangère et diversement employés selon les pays, ont décidé de présenter, en temps opportun, aux congressistes spécialisés les projets de lexiques, chacun selon sa compétence, afin de permettre une étude préalable, à tête reposée, dans le but de faciliter leur tâche au Congrès. D'autres dispositions ont enfin été soigneusement étudiées et prévues aussi bien pour rendre les travaux du Congrès plus rapides que pour permettre aux représentants qualifiés de chaque pays d'émettre leurs avis ou leurs propositions, le cas échéant, quant au choix des termes.

« L'unification du terme arabe n'est qu'une première étape dans le processus d'évolution de notre langue ; l'unification de cet instrument d'expression sera suivie par celle des programmes et des moyens de recherches scolaires et universitaires du Monde Arabe. L'universalité de la science, la nécessité d'échanges internationaux de plus en plus serrés dans le domaine de la technique, sont autant de critères devant être pris en considération dans l'élaboration de la terminologie scientifique et technique arabe. Assurer à partir d'un niveau universel unifié l'alignement du terme et de l'ouvrage scientifique arabe, sur la pensée scientifique moderne, tel est le but auquel aspire le monde arabe dont la langue, par ses virtualités inhérentes, fut, au Moyen-Age, une langue universelle de science et de civilisation, un moyen de communication et de compréhension internationales ».

PREPARATION DU 2e CONGRES D'ARABISATION

(ALGER, 1973)

MM. Abdellaziz Benabdellah et le Docteur Mamdouh Hakki, respectivement Directeur Général et Expert en chef du Bureau Permanent de Coordination de l'Arabisation dans le monde arabe (B.P.A.), ont effectué une tournée durant plus d'un mois à travers les capitales arabes.

Cette tournée avait pour but la préparation du deuxième Congrès d'Arabisation qui tiendra ses assises à Alger dans le courant du 4e trimestre de l'année 1973 et se proposera d'étudier, outre la mise au point de six lexiques scientifiques concernant les matières d'enseignement au niveau du second degré, une série de problèmes relatifs au développement de la terminologie technique et scientifique.

On se rappelle que le premier Congrès d'Arabisation, réuni à Rabat en 1961 sur invitation de feu S.M. Mohammed V et sous les auspices de la Ligue des Etats Arabes, avait décidé la création du B.P.A. afin de répondre au besoin, de plus en plus impérieux, du développement et de l'unification de la terminologie technique et scientifique dans le Monde Moderne.

« Animés par cette préoccupation majeure, a déclaré M. Benabdellah, nous avons, au cours de notre voyage d'études, pris contact avec MM. les Ministres de l'Education Nationale de l'Enseignement supérieur, les recteurs d'Universités, les doyens de Facultés et de nombreuses personnalités des Académies du Caire, de Damas et de Baghdad, en vue de traiter des problèmes pour lesquels nous nous sommes déplacés.

« Grâce à de multiples séances de travail, souvent très longues, l'échange de nos points de vue, mené avec autant de franchise que d'objectivité, a eu pour aboutissement la mise sur pied d'un système rationnel qui pourra assurer à notre langue un développement rapide et efficace dans le domaine de la terminologie moderne.

«Or, on sait qu'à l'U.N.E.S.C.O. l'arabe a déjà conquis sa place à côté des quatre autres langues internationales, mais nous voulons aussi qu'elle devienne dans quelques années, un instrument de travail dans tout l'organisme des Nations Unies et, afin qu'elle soit digne de cette mission, elle doit être claire et exhaustive. La science elle-même, n'est-elle pas, avant tout, l'expression d'une langue bien faite ?

« C'est pourquoi nous avons entrepris, dès 1962, l'élaboration de lexiques comportant des termes arabes qui répondent, dans toute la mesure du possible, aux conditions de clarté, de précision et d'élégance, pour exprimer les notions modernes. Notre idéal est qu'à chaque notion doit correspondre un terme unique, simple précis et évocateur.

«Or, une expérience longue de dix années de labeur ininterrompu, nous autorise à dire avec certitude que la langue arabe dispose, contrairement à ce qu'avancent ses détracteurs qui l'ignorent, d'un fond riche, d'un potentiel très exhaustif et d'un mécanisme créateur à toute épreuve.

« C'est dans cet ordre d'idées, précisément, que nous avons entrepris de préparer pour notre

Le Bureau Permanent, dont la mission consiste en un travail de coordination de l'arabisation entre les pays arabes, de constante information sur les néologismes et termes scientifiques les plus récents, d'enregistrement, d'unification et de large diffusion se fait un plaisir de vous présenter quelques-unes de ses modestes publications, à savoir :

1° Un exemplaire de sa revue « Al-Lisâne al-Arabî » qui comporte d'une part : un ensemble d'études sur la langue élaborées par d'éminentes personnalités arabes, orientalistes ou professeurs dans les grandes Universités du monde, et, d'autre part : une série de lexiques scientifiques et techniques trilingues (anglais, français, arabe).

2° Un exposé sommaire sur le Bureau Permanent, ses buts, son historique, ses réalisations et ses projets.

Le B.P.A., heureux d'apporter sa modeste contribution à l'œuvre éminemment constructive d'une expansion plus large de la langue arabe, devenue l'un des instruments de travail dans les organismes de l'O.N.U., à la grande satisfaction des nombreux pays afro-asiatiques qui y sont représentés, a la joie de saisir l'occasion du neuvième Congrès de l'O.U.A. pour adresser à ses honorables membres un appel pathétique en vue de renforcer cette expansion.

L'O.U.A., cette jeune mais si grande Organisation, dont nous sommes fiers et à laquelle nous rendons un vibrant hommage, a déjà donné au Monde les preuves d'une sagesse profonde, d'un réalisme patriotique indéniable et d'un dynamisme magnifique. C'est pourquoi, nous sommes sûrs de l'efficacité des encouragements et de l'appui que nous nous permettons d'attendre d'elle pour faire fructifier davantage notre action entreprise dans l'intérêt des pays du Tiers-Monde.

Dieu vous assiste et vous guide dans la voie du triomphe de notre continent !

La Langue Arabe et l'Afrique

Traduction du Message adressé par le B. P. A. à l'O. U. A. à l'occasion de son 9è Congrès

C'est un événement heureux et de bon augure que votre réunion ait lieu sur la terre du Royaume du Maroc, cette porte d'Afrique ouverte sur un monde où prospèrent la Science et la Civilisation, et que vous ayez ainsi considérablement renforcé votre union pour un plus bel avenir de notre Continent et pour une plus grande dignité de l'homme africain.

Soyez donc les bienvenus sur le sol de cette seconde Patrie où nous vous souhaitons un séjour aussi agréable que fructueux.

Nous vous exprimons, en même temps que nos remerciements, la haute considération pour les buts que vous vous êtes proposé d'atteindre, en priant Allah de vous assister dans la réalisation de vos desseins.

Le Bureau Permanent pour la Coordination de l'Arabisation dans le Monde Arabe, siégeant à Rabat et relevant de « l'Organisation arabe de l'Education, de la Culture et des Sciences », organisme de la Ligue des Etats arabes, est particulièrement honoré de vous présenter ses salutations et ses vœux de pleine réussite dans la noble tâche que vous avez entreprise pour servir notre jeune continent.

Il vous remercie vivement et vous exprime son profond sentiment de gratitude pour avoir adopté l'Arabe comme langue officielle de travail et de rédaction des résolutions de votre honorable Congrès.

Le B.P.A. étant pleinement conscient :

De ce que la langue est considérée comme une clef et un instrument indispensable pour le progrès des sciences ;

De ce que la jeune Afrique renaissante s'efforce de s'intégrer dans le monde moderne où elle veut occuper une place digne d'elle dans l'avant-garde, et ce, après avoir chassé le redoutable cauchemar du coloniasme dont la longue et accablante oppression constituait une terrible menace pour ses richesses et sa vitalité ;

De ce que la langue arabe est employée par près de la moitié des populations africaines, et qu'elle est à présent la cinquième langue officielle dans la plupart des Organisations internationales ;

De ce que cette même langue est parvenue à occuper dans de nombreuses Universités du Monde et l'Afrique, à plus forte raison, la place dont elle est digne aux côtés des autres grandes langues vivantes ;

Il convient — en raison de toutes ces considérations — que nous nous engagions résolument dans le domaine des activités scientifiques, en utilisant l'arabe, cette langue si vivante et si souple dont les possibilités de développement sont immenses, car elle possède toutes les qualités requises pour avoir une terminologie propre qui lui permette une efficace participation au progrès de la Science et de la technique modernes. La gloire de son passé et les innombrables et miraculeuses réalisations dont elle fut l'instrument durant de longs siècles, en sont les garanties.

A seventh lexicon which is that of Petroleum has been prepared to be studied apart by a seminar with the concerned inter-Arab organization. This collection of projects have been compiled in three languages: English, French and Arabic with the view of adding to them Russian and German at a later stage.

E) On the other hand the P.B,A. has organized literary competitions in the area of philological scientific studies and publication of manuscripts and original works yet unpublished. The prizes offered to the winners of the first competition were granted by the Moroccan government while those for the next two will be submitted by Kuwait and Saudi Arabia.

F) Other works of diverse studies have been published, or are underway by the P.B.A. One may mention a few specially:

I) "The Ten Categories" of Aristotle which is an Aarabic commentary by a hegira tenth century author. This unpublished work was verified by Dr. Mamdouh Hakki,

II) A major work which is under print entitled "Laalie-Al-Arab"; a voluminous dictionary of analogical terms edited by a great Syrian philologist the late Khalil Rizk.

III) A series of studies aiming at the return to classical Arabic usage phrases in the different dialects of the Arab peoples har been made by Mr. Abdellaziz Benabdellah to be published soon. It is rather a solid campaign against the current faults and barbarisms which menace the purity of the language of Islam. These studies will be edited and published as a work on their own.

Within the frame of his professional activities the Director of the P.B.A. Mr. Benabdallah has made many trips of studies, particularly to China, the U.S.S.R. and Eastern Germany. He was informed there of the reforms effected on the phonetics and lexicography of the modern Chinese language and has agreed with the principals of the U.S.S.R. Academy of Sciences in Moscow and the University of Halle in Eastern Germany on collaboration to introduce a fourth and fifth languages in the P.B.A. lexicons.

Very recently another tour was made by the Director accompanied by Doctor Hakki visiting the Arab capitals in preparation for the next Conference to be held in Algiers. Accordingly many discussions and meetings were organized with the Ministers of Education and the responsibles in the universities and Arab academies.

Another task of the P.B.A. is to methodically dissect the great ancient lexicographic works such as "Lisan-Al-Arab", "Al Mukhassas", etc., in order to obtain more terms to enrich the vocabulary card-index of the Bureau.

Also the P.B.A. extracts terms by the thousands from historical and literary works and classifies them into the general card-index which includes a number of thousands of words.

6 - The P.B.A. is headed by Mr. Abdellaziz Benabdallah a notable and well-known Moroccan personality in the Arab world. His second is Mr. Mohamed Benzian the Assistant Director in charge of administration. Dr. Mamdouh Hakki who is the Dean of Experts in the Bureau has functions of technical nature.

There are in the Bureau two classes of Experts:

1) Experts with higher university degrees.

2) Experts with standard university degrees.

The third category consists of a large number of experts and correspondents of the P.B.A. Most of them are Arab nationals stationed in their countries of origin, while the others live abroad in Europe and the two Americas. Among those correspondents one could count a number of western Orientalists who contribute according to their specializations and mother tongues.

7 - After the creation of the P.B.A. by the happy initiative of H.M. the late Mohammed V promoter of the first Arabisation Conference, H.M. King Hassan II since his accession to the throne has not ceased to extend his care to this Bureau which has become today an international organization of world renown.

As well all the successive Moroccan governments have always insured their support of the Bureau.

Such encouragements, care and support are due to the kind consideration of H. M. King Hassan II.

At the present time the Arabic language has already acquired a serious role by its admission as a fifth international language in certain organizations such as the U.N.E.S.C.O., F.A.O. and W.H.O. This feat is considered insufficient and the P.B.A. should by its close links with the academies and the different qualified bodies unfailingly continue its efforts aiming at the usage of Arabic in the U.N. assemblies and making it a work instrument by constant updating of Arabic terminology on technical and scientific plans.

PERMANENT BUREAU OF COORDINATION OF ARABISATION IN THE ARAB WORLD

(P. B. A.)

1 - By the gracious initiative of His Majesty the late King Mohammed V (God bless his soul) the first Arabisation Conference was invited to convene in Rabat in 1961 with the participation of representatives from the Arab League and the Arab States. The purpose of this important convention was to study the proper means of reviving the use of the language of the Holy Koran and adapting it to contribute efficiently to the development of modern civilisation same as the other international languages.

2 - The issue of this conference has been the creation of the P.B.A. with the objective of compiling in its first stage the results of the work carried out in the field of linguistics and scientific and technical terminology by the various academies and universities, famous writers and translators in the Arab world.

This centralisation was followed by the coordination and publication of these terms into lexicons to be submitted to conferences organized periodically by the Arab League and the P.B.A. for reviewing and discussion, to choose and unify the scientific terms to be used in the entire Arab word.

3 - His Majesty the late King Mohammed V proposed Rabat as the seat of the P.B.A. and nominated a Director to head it.

4 - It was only since 1968 that the Bureau has been adopted and attached to the Arab League which provided the necessary funds for its budget distributed as follows:

A) Salaries of employees and experts.

B) Printing of lexicons.

C) Publication of the periodical "Al-Lisan-Al-Arabi" which is the organ or mouthpiece of the P.B.A.

It is proper to note here that the gouvernment of the Kingdom of Moroccó has undertaken to assist the P.B.A. with important contributions to consolidate its finance.

5 - After its creation and from the beginning the P.B.A. knew an unceasing activity and during the decade of its existance produced the following.

A) Ten issues of its large periodical some of which contained 2,000 pages and even surpassed that number as for example the eighth issue which consisted of 3 volumes 700 pages each containing entries from highly authorarative scientists, philologians, lexicographers and Arabists.

B) More than a dozen analogical lexicons such as lexicons of Games & Sports, Colours, Ichthyology, Instruments, Tools, Sciences & Arts, Doctrines & Systems, Gastronomy, Trades, Mineralogy, Building & Household, Osteology, and Hematology.

C) A number of lexicons of scientific and technical terms, six of which will be reviewed by the next Conference in Algiers. They are lexicons of Chemistry, Physics, Botany, Zoology, Mathematics, and Geology.

Une troisième catégorie est constituée par un grand nombre d'experts et collabore par correspondance avec le B.P,A. La plupart d'entre eux sont des ressortissants arabes fixés dans leurs pays d'origine, tandis que les autres vivent à l'étranger, en Europe ou dans les deux Amériques. Parmi ces correspondants, on compte même un certain nombre d'orientalistes occidentaux qui apportent leur contribution selon leur spécialisation et en leur propre langue.

7 - Après la création du B.P.A., due à l'heureuse initiative de feu S.M. Mohammed V, promoteur du premier Congrès d'Arabisation, S,M. Hassan II n'a cessé, depuis son accession au Trône, d'entourer de toute sa sollicitude ce Bureau devenu aujourd'hui un organisme international de réputation mondiale.

De leur côté, tous les gouvernements marocains qui se sont succédé ont constamment assuré de leur soutien le B.P.A.

De tels encouragements, une telle sollicitude et un tel soutien sont autant de motifs de reconnaissance à l'égard de S.M. Hassan II.

8 - A l'heure actuelle, la langue arabe a déjà franchi, grâce, notamment, aux efforts de la Ligue des Etats Arabes, une sérieuse étape du fait de son admission comme une cinquième langue internationale dans certaines organisations telles que l'U.N.E.S.C.O., la F.A.O. et l'O.M.S. Cette promotion étant encore insuffisante, le B.P.A., en étroite liaison avec les Académies et les divers organismes qualifiés, doit poursuivre inlassablement ses efforts afin de contribuer à en étendre davantage l'usage dans le concert des Nations Unies et à en faire un instrument de travail, grâce à un renforcement et à une mise à jour constants de la terminologie arabe sur le double plan scientifique et technique.

Lexique Gastronomique.

Lexique des Arts et Métiers,

Lexique du Bâtiment.

Lexique Ménager.

Lexique d'Ostéologie.

Lexique d'Hématologie.

3° De nombreux lexiques de termes scientifiques et techniques dont six figureront à l'ordre du jour du prochain Congrès d'Alger : Chimie. Physique, Botanique, Zoologie, Mathématiques. Géologie (1).

Un 7e lexique, celui du Pétrole, est préparé pour être étudié dans un séminaire à part, en liaison avec l'organisme interarabe spécialisé. Tous ces projets ont été élaborés en trois langues, anglais, français et arabe, auxquelles il sera éventuellement ajouté plus tard le russe et l'allemand.

3° Le B. P. A. a, en outre, organisé des concours dans le domaine philologique, comportant des études scientifiques originales et la publication de manuscrits et d'ouvrages inédits. Les prix décernés aux lauréats du premier concours ont été offerts par le gouvernement marocain, tandis que ceux des deux prochaines réussites seront respectivement octroyés par le Koweit et l'Arabie Séoudite.

4° D'autres ouvrages, qui ont fait l'objet d'études diverses, ont été publiés — ou sont en voie de publication — par les soins du B.P.A. On peut en citer notamment :

a) **« Les dix Catégories »,** d'Aristote, commentaire arabe, dont l'auteur est Mohamed Al Hasani al-Boulaïdi, savant du Xe siècle de l'Hégire. Cet ouvrage inédit a été vérifié par le Docteur Mamdouh Hakki.

b) Une œuvre de grande envergure est actuellement sous presse : « Laâli - al - Arab », volumineux dictionnaire de termes analogiques dû à l'élaboration d'un grand philologue syrien, le regretté Khalil Rizk.

d) Une série d'études tendant au rapprochement vers la langue classique des divers dialectes en usage dans le monde arabe a été faite par M. Abdellaziz Benabdellah et publiée par le B. P. A. On y trouvera, par ailleurs, une véritable campagne contre les fautes courantes (barbarismes et solécismes) qui menacent la pureté de la langue du Coran.

4 - Dans le cadre de ses activités professionnelles, le Directeur Général du B. P. A., M. Benabdellah, a effectué plusieurs voyages d'études, particulièrement en Chine, en U.R.S.S. et en Allemagne Orientale. Il put ainsi s'informer sur les réformes ayant trait à la phonétisation et à la lexicographie de la langue chinoise moderne et parvint à obtenir un accord de principe auprès des responsables de l'Académie scientifique de Moscou et de ceux de l'Université allemande de Halle, pour une collaboration visant à l'adjonction d'une troisième et d'une quatrième langues vivantes étrangères dans les lexiques du B.P.A.

Tout récemment une autre tournée fut entreprise par le Directeur Général en compagnie du Docteur Hakki, à travers les capitales arabes dans le but de préparer le prochain Congrès d'Alger. A cet effet, de nombreuses conférences et séances de travail ont été organisées en commun avec les Ministres de l'Enseignement, les responsables des Universités et ceux des Académies arabes.

5 - Une autre tâche du B.P.A. est celle qui consiste à faire dépouiller méthodiquement les grandes œuvres lexicographiques anciennes, entre autres «Lisane-Al-Arab», «Al Mokhassas», etc, en vue d'alimenter et d'enrichir le Fichier de vocabulaire du Bureau.

Le B.P.A. s'est, en outre, employé à dépouiller des ouvrages d'histoire et de littérature dont il a tiré des dizaines de milliers de termes classés dans le Fichier Général dans lequel le nombre de fiches se compte par centaines de mille.

6 - Le Bureau Permanent de coordination de l'Arabisation est dirigé par M. Abdellaziz Benabdellah, personnalité marocaine notoire dans le monde arabe. Il est secondé par M. Mohammed Benziane, Directeur Général adjoint chargé notamment de l'organisation administrative, et par le Docteur Mamdouh Hakki, doyen des experts, dont la mission a un caractère technique.

Il y a, au Bureau, deux catégories d'experts :

a) Experts d'un niveau universitaire supérieur.

b) Experts licenciés.

---

(1) Voir détails à ce sujet sous le titre « Préparation du 2e Congrès d'Arabisation » dans ce même numéro.

Mission du Burèau Permanent de Coordination de l'Arabisation dans le Monde Arabe

(B. P. A.)

(Nous donnons ci-après un aperçu succinct sur le B.P.A. et ses activités à la demande de nombreux lecteurs qui nous ont écrit à ce sujet).

1 - C'est sur l'initiative de feu S.M. Mohammed V, Roi du Maroc, que le premier Congrès d'arabisation tint ses assises à Rabat, en 1961, avec la participation de représentants de la Ligue et des Etats arabes.

Cette importante réunion avait pour objet l'étude approfondie des moyens propres à faire activer l'évolution de la langue du Coran et à la rendre apte à remplir sa mission en contribuant au développement de la civilisation moderne aussi efficacement que les autres langues internationales.

2 - Issu de ce Congrès, le B.P.A. fut créé dans le but de centraliser dans une première étape, les résultats des travaux entrepris dans le domaine de la linguistique et de la terminologie scientifique et technique, par les Académies, les Universités, les grands écrivains ou traducteurs du monde arabe.

La centralisation est suivie d'un travail de coordination des termes groupés dans des lexiques à soumettre à des congrès organisés périodiquement par la Ligue Arabe et le B,P.A. en vue d'une étude aboutissant au choix et à l'unification des termes scientifiques à mettre en usage dans l'ensemble du monde arabe.

3 - Sur proposition de feu S. M. Mohammed V, Rabat devint le siège du B.P.A. à la tête duquel fut nommé un Directeur.

4 - C'est seulement depuis 1968 que le B.P.A, relève de la Ligue Arabe qui lui attribue sur son propre budget les crédits qui lui sont nécessaires (1).

Ces derniers sont répartis comme suit :

a) Rétributions des fonctionnaires et des experts ;

b) Impression des lexiques ;

c) Publication de la revue « Al-Lisane-Al' Arabi », organe du B.P.A.

Il y a lieu de noter que le gouvernement du Royaume du Maroc a consenti en faveur de ce Bureau d'importantes contributions pour étoffer son financement.

5 - Après sa création, et dès le départ, le B.P.A. a fait preuve d'une activité ne connaissant aucun répit, et c'est ainsi qu'il a produit durant la décade de son existence :

1° Dix numéros de sa volumineuse revue, dont certains ont atteint et même dépassé, 2.000 pages — tel par exemple, le huitième paru en 3 tomes d'environ 700 pages chacun — et auxquels ont collaboré de hautes autorités parmi les hommes de science, les philologues et les lexicographes, tant arabes qu'arabisants.

2° Plus d'une dizaine de lexiques analogiques :

Lexique de Sports et de Jeux.

Lexique des Couleurs.

Lexique Ichtyologique.

Lexique des Appareils, Instruments et Outils.

Nomenclature des Sciences, Arts, Doctrines et Systèmes.

---

(1) Le B.P.A. dépend actuellement de l'Organisation Arabe pour l'Education, la Culture et les Sciences (A.L.E.C. S.O.) créée récemment dans le sein de la Ligue des Etats Arabes.

Ainsi l'épinard, venu d'Espagne d'abord sous la forme latine spinachium, est à l'origine une plante médicinale. Il en est de même du nénuphar qui est tout d'abord importé non pour sa fleur, mais pour ses rhizomes.

C'est par le latin médiéval que les Arabes ont transmis : le safran, le cubère (sorte de poivre), le nénuphar, le séné, le sumac, le turbith (liseron purgatif), le cétérac (fougère), le tamarin, le benjouin, la caroube, l'estragon, la cuscute. Très réduit, en revanche, est le nombre des animaux amenés par les Arabes : gazelle, girafe, papegai, gerboise...

Les Arabes ont été aussi des mathématiciens et des astronomes, l'astronomie leur doit : Nadir, Azimut, Zénith, Alidade. Les mathématiques : Algèbre, Logarithme du nom de l'inventeur de l'Algèbre Al-Korismi qui, au IX^{e} siècle, introduisit en Europe les chiffres arabes et la numération décimale.

« Chiffre » remonte, par l'italien et le latin médiéval, à l'arabe « Sifr » qui, étymologiquement, signifie « vide ». Le sens premier est celui de «zéro». Zéro, qui remonte lui aussi à «Sifr», est donc un doublet de chiffre qu'il remplace au IV^{e} siècle.

Les Arabes ont été les courtiers de la Médirranée. Leur commerce s'est fait principalement par l'Italie, en particulier par l'intermédiaire de Venise, Les Mozarabes d'Espagne ont été plus sédentaires. La darse ou l'arsenal : il s'agit d'un même nom, le premier gênois, le second vénitien, viennent de l'arabe «Dar-Sina» (1) (Arsenal maritime). C'est l'activité commerciale des Arabes qui a donné aussi un certain nombre de termes qui désignent des poids. A côté de « Carat » qui est un mot d'alchimiste, on a « arobé » (par l'Espagne). « quintal » (mot arabobyzantin) et « romaine » qui, par l'intermédiaire du provençal, désigne une « balance » d'origine arabe (rommana).

L'Arabe fournit aussi à l'époque archaïque un certain nombre de termes militaires : barbacane, jaseran, timbale. Mais son influence est surtout marquée dans la terminologie de l'équitation et de l'hippologie. L'italien a transmis « Carrousel » et l'espagnol « Genet » ainsi que la vieille expression monter « à la genette », tous deux d'après l'arabe « Zenata », nom d'une tribu berbère marocaine renommée par la valeur de sa cavalerie.

A partir du XIV^{e} siècle, l'influence culturelle des Arabes cesse de se faire sentir. Ce n'est qu'à travers les fonds arabo-espagnols et italiens qu'ils continuent à alimenter le lexique français tout le long du XV^{e} et du XVIII^{e} siècle.

(1) L'origine arabe en est plus exactement « Dar-as-Sanaâ ».

La Langue Arabe,

une des Grandes Sources de la Culture Française

Selon M. Pierre Guiraud, professeur à la Faculté des Lettres et Sciences Humaines de Nice, 300 mots arabes constituent une des grandes sources de la culture française. Les Arabes sont à l'origine de la science moderne et principalement de la médecine, de l'alchimie, des mathématiques, de l'astronomie, Ils ont été d'autre part, le relais avec l'Orient — par la Perse et Byzance — d'où ils ont ramené des plantes, des animaux, des cultures. Ils ont été les courtiers du monde méditerranéen, à la fois navigateurs et commerçants. Enfin, leur propre culture a fourni des objets, des institutions dans le domaine de l'art militaire, de l'archéologie, des vêtements, etc.

Pour M. Pierre Guiraud, auteur de plusieurs ouvrages dont celui traitant « des mots étrangers dans la langue française » (Presses Universitaires de France), les Arabes ont été des médecins et des alchimistes, les deux sciences d'ailleurs se confondent, un des objets de l'alchimie étant la pharmacopée. Par ce biais, ils se sont intéressés à des minéraux et à des plantes cosmétiques ou médicinales, Le mot «alchimie» vient (probablement) du grec « Khymeia » (mélange de sucs). Alambic, de même est arabo-grec, son étymologie étant le grec « Ambix » (vase à distiller).

Parmi les appareils de distillation, on a aussi le matras et la cuine, deux mots arabes, de même que cohober, « distiller plusieurs fois pour concentrer ».

Le produit de la cohobation est l'alcool qui représente l'arabe « Al Kohl » ou « antimoine pulvérisée ». Un autre mot arabo-grec est élixir, nom de la pierre philosophale qui désigne aussi un remède d'après le grec « Kseron » (poudre sèche). Rien ne montre mieux la tradition arabogrecque de l'alchimie.

Chimistes et pharmaciens, ajoute M. Pierre Guiraud, les Arabes ont donné à l'humanité, le camphre, le goudron, la laque, l'alcali, l'aniline, le talc, le borax, le natron, le réalgar ou « bisulfure d'arsenic », l'élemi ou « résine à vernis », le colcotar ou sesquioxyde de fer utilisé en peinture. Ils utilisent l'ambre, la marcassite, la nacre, le carabe.

Parmi ces préparations se trouvent de nombreux cosmétiques. Par l'Italie, les Arabes ont transmis le coton, le sucre, le jasmin, sans doute le lilas, par l'Espagne, ou le Portugal, ils ont transmis l'azérole, l'abricot, la pastèque, la salse-pareille. Par la Provence, l'orange, le limon, le fustent (pistache).

Mais ce que les Arabes ont transmis au monde, poursuit M. Pierre Guiraud, ce sont surtout des plantes médicinales comme le séné, ou tinctoriales comme le sumac et le kermès.

Nombre de ces végétaux, considérés aujourd'hui comme de simples plantes potagères ou ornementales, sont à l'origine importées par les médecins,

assurance and tactfulness" (1). Meridine art will flourish in the Berber region and in the East, by its great prestige and its incomparable wealth. This was a Spanish-Magrabian work where the same features marked the monuments on both banks of the Mediterranean. This artistic harmony is due to the presence of Andalusian architecture, the influence of which was being felt everywhere (2).

Though owing so much to Oriental art, Merinide art "exported its models to the East and its works were appreciated there." But, due to its very maturity, this art bears within itself the germs of its death, the causes of its decline. As from the end of the XIVth century, it had however exhausted its strength. The troubles which marked the next century no longer enabled the creation of great works.

Analyzing the aspects of the Magrab civilisation under the Merinides, H. Terrasse (2) shows the Spanish and urban character of this civilisation where, after the end of the XIIIth century, the classical patterns become fixed and end up by being petrified.

Notwithstanding the patronage of the best Saadian rules, the latter—according to H. Terrasse—did not preside over the Renaissance of Moslem art in Morocco. Civilisation and art were already turned towards the past, and the few foreign influences they received were not able to really change the old basis, nor carry the germ of a fruitful novelty."

According to Terrasse, this would therefore be "an art without vigour, haunted by the models of the past." But thanks to the Turks, "an indirect and transitory contact was newly established with the arts of Eastern Islam." The traces of this influence may be seen in the monumental decoration, where certain Egypto-Syrian and Persians elements are to be found, especially in some industrial arts, particularly in binding, carpets and male clothes."

But in any case, Magrab art, exhausted by the previous generations, became, over-burdened with ornaments, lost its sober nature and gained in splendour.

H. Terrasse has tried to present the synthesis of Spanish-Moorish art, under the Alaouites, four centuries after the fall of Granada. According to him, the patterns of architecture solidified.

But if, under the Alaouites, this art continues to sink into traditionalism where the classical themes are petrified, on the other hand, a certain movement, since Morocco's independence in 1956, appears to move in the direction of choices where the Arab character is strongly marked by a Western-Mediterranean hue. A strong vitality reveals in our artists a creative genius, a true talent for eclectic reproduction, a sort of artistic synthesis, which represents the surest catalysing element for the birth of a New Art, where the pragmatic features merge with modern static ones.

This appropriate restoration, shall give birth to the originality which must mark modern Magrabian art, fully Mediterranean in its nature.

Welfare which must spread in a fairly homogeneous setting, will thus draw inspiration from aesthetics, in view of a better life. The meaning of beauty and the need for comfort must preside over the renewal of the Moroccan society of tomorrow.

(1) Histoire de l'Afrique du Nord, p. 456.

(2) Histoire du Maroc, vol. 2, p. 76 and following.

undertook the drafting of his famous "Nozhat", which he must have completed before 1154, the year of the death of the patron king. This work of art, according to Amari, holds "the first place among the geographical works of the Middle Ages" (Histoire des Musulmans de Sicile). An abridged Latin version was published by Jaubert, in Paris, in 1619 but a translation of the complete work will be published two centuries later (1836-1840) under the auspices of the Geographical Society of Paris.

Idrisi built, under the form of dices, together with this work, a celestial sphere and a representation of the world known during his times. The higher precision of Idrisi over Ptolemy is obvious; just to give one example, the tables drafted by the Greek geographer presented, for the distance separating Tangiers from Alexandria only an error of 18° longitude whereas between Tanger and Tripoli of Syria, the Arab tables contain an error of less than 1°. The Moroccan geographer has pointed out a whole series of errors and wrong interpretations made by his predecessor, on the geography of the Mediterranean. It is he, and not directly Ptolemy, who was "the European professor of geography", as E.F. Gautier will have no map of the World other than Idrisi's" (Mœurs et Coutumes des Musulmans, p. 239). During modern times, the Magrab explorer "enjoyed as a geographer according to Dozy and Goeje, a considerable reputation in Asia, Africa and Spain." Reinaud which had severely judged Idrisi's work of art, was forced however to acknowledge that "taken as a whole, it is like Strabon's, a true monument erected to geography."

Idrisi's work is original: in Moroccan cartography, the outline of the harbours stand out for the first time, in our geographer's work, and "a whole precise nomenclature appears—says Massignon—the straight banks of the rivers and on the curved edges of the mountain chains."

As for Ibn Battouta, he was born in 1304 A.D., in the nearby city of Tangiers. Soon after the age of 20, he undertook a series of adventurous voyages, through the least explored countries. At Fez, the last stage of his journey, the traveller from Tangiers had the long account of his travels, which had lasted 28 years for a total of 75,000 miles, drafted (like Marco Polo) by a secretary of the Merinide sultan, Ibn Jozey, especially entrusted with this task. This famous account was published, towards the middle of the last century, thanks to Defremery and Sanguinetti; in 1929, Gibb published an abridged version in English, in his Broadway Travellers collection, to which he added a remarkable study on the author.

Hassan Ibn Mohammed Al Ouzzan known as Leo the African, was born probably in Granada towards 1495, but was brought up in Fez, where he spent the best years of his youth. At the age of 21, he undertook a journey towards the East, but was made a prisoner in Naples, in 1519, by Sicilian corsairs. It was Ramision who, in 1550, published the "Descrittion dell' Africa" which Leo seems to have drafted, directly, in Italian, and which is divided into IX books, the first of which contains remarks of general geography, ethnology, and clinical indications. This treatise represented, according to Massignon, a true "practical textbook of the geography of North Africa" (Le Maroc dans les premières années du XV^{e} au XVI^{e} siècle, p. 43). All matters not related to precise indications and practical applications "found him indifferent and sceptical." The description is "the only methodical and original treatise which was published in the XVIth century, in Europe, on Morocco's geography and which, for three centuries, will be practically the only source."

From this brief illustration it appears that the Arab, Oriental and Magrab work had played a decisive role in the devlopment of the geographical science and of the cartography of the World, during the Middle Ages.

In our work in French entitled "L'art maghrébien", we have spoken at length of the essential and most representative aspects of art, especially under the Merinides, during the XVIth century, an art which at that time was syncretized in a strictly Mediterranean, Spanish-Moorish art?

Notwithstanding the Andalusian influence, this art was enhanced by a particular hue; the concern for static and balanced forces which characterizes Christian architecture, is replaced, in Moslem architecture, not only by the solid nature of the structure, but also by the ornamental sense and the decorative flourishing. The Arabs draw the admiration of the West for their cantilevers, their stalactites, their colour scheme, the often majestic aspect of their forms, their incomparable style. In architecture, during full maturity, notwithstanding the excessive use of arabesques, the exess of decorations, the disorderly nature of details and the poor quality of materials, "the whole remains clear, the proportions are balanced, the decorations perfectly match the spaces which they cover; and especially, the polychrome effect is perfectly in its

authority, enabled the so-called Moroccan corsairs to enjoy "for two centuries, a legal and nearly offical existence" (De Castries).

The Africans, in general, had no calling for piracy. It is possible "to say—writes De Castries—that the pirates of Tripoli, Tunis, Algiers and Salé, just to mention their main cities, were not generally recruited from among the local Magrab population, and we add: and neither from among the Turks, because those to whom this name was given were mostly renegades or descendants of renegades." The number of Christians having betrayed their faith and settled either in Turkey or in the Magrab "exceeds all possible guesses."

These "diplomatic irregularities"—as De Castries likes to call them—which prolongated, in opposition to the Fez authorities, the lively existence of these outlaw renegades, the impunity of whom was knowingly sought for by some overseas governments, were to be the cause and the justification of foreign intervention.

The influence of Arabic was becoming, during th eMiddle Ages, all the more pronounced that a greater part of Southern Europe considered it "as the only medium of the sciences and letters." The progress was such that the Church authorities had been obliged to have the collection of canons translated into Arabic for the benefit of the churches of Spain. John of Seville was even obliged to draft an illustration of the Holy Scriptures into Arabic. At the same time, books on Moslem religion and law were translated into the Roman language" (G. Rivoire). In Andalusia, all contracts were drafted in Arabic; two thousand texts of these contracts have been discovered." The Andalusian aesthetes were the first to declare that they would willingly give up all the poverty of Latin literature, in exchange for a few Arab verse" (Max Vintejoux). Similarly in Sicily, where the Norman king was clothed in the Eastern manner, his state cloak was embroidered with Arabic letters; the seal and coins carried bilingual inscriptions. In short, "Arabic had become—said he who had the merit of studying this "Arab Miracle"—an international language of trade and sciences».

As early as 1207 A.D., mention is made of an Institute for the teaching of Arabic in Genoa. Later, the Ecumenical Council of Vienna organized this teaching in Europe, by setting up chairs in each of the main universities of the Western world. But it is especially during the XVIIth Century that Northern and Eastern Europe finally undertook the study and propagation of the Arabic language; it is only in 1936 that the Swedish government decrees the teaching of Arabic; since then, in Sweden, the publishing of works on Islam was actively prompted. The study of oriental languages, and among them of Arabic, began in Russia under Peter the Great, who sent out five Russian students from Moscow to the East. In 1769, Queen Katherine made this teaching compulsory; in 1816, a department of Semitic languages was set up at the University of St. Petersburg.

Professor Massignons declared, for the benefit of those who attempt to minimize the significance of the medium of Arab thought, that "it is in Arabic, and through the Arabic language, that the scientific method began in Western civilisation."

"Arabic, he further states, is a pure and unbiased linguistic instrument of international transmission of discoveries of the human mind... The international survival of the Arabic language is an essential element of future peace among nations."

Arabic "presents the advantage, says Montagne, of being the medium of a universal civilisation, and of lending itself to the expression of a religious and political thought (Les Berbères et le Makhzen, R. Montagne, p. 52).

As for the Magrab's contribution to the development of science, our work on the history medecine and pharmacopoeia in Morocco depicts in a realistic presentation, the process of scientific research. Just to mention studies in the field of geography, it may be mentioned that Western explorers of modern times have found valuable documents available for them, not only on Asia, Africa and Eastern and Central Europe, but also on the West, to which Kazouini devoted, in the XIIth century, a whole work. But the Arab works on the unknown regions of Africa and of the Indian Ocean were those that especially inspired Western geography.

Idrisi, who was born in Ceuta in 1100 A.D., belonged to that Arab dynasty which had islamized the Magrab and molded, very early, its national unity. His daring expeditions across Andalusia, North Africa, Asia Minor, and probably France, Italy, Germany and England, were not long in drawing on him the attention of Roger II, who had turned his small kingdom of Sicily into one of the islands of Eastern civilisation. At the request of the Norman king, Idrisi

she had numerous vessels, always occupied at practicing piracy along the Spanish coasts. Her dealings wity Don Alfonso, governor of Ceuta, have remained famous (Hespéris XLIII, p. 222).

The same exuberant activity is to be found for the Saadian women, both in the intellectual field and in the political and social ones.

Under the Alaouites, the feminist movement was inaugurated by Khnatha, wife of Moulay Ismail, who had become "a scholarly woman" (p. 105); a counsellor very much listened to by her husband and later by her son, the prince Moulay Abdallah, she promulgated herself some dahirs and administrative regulations.

Quoting a woman from Fez, El Aliya, daughter of Taïb Ben Kirane, gave lessons in logic at the Andalusian mosque, Moulieras writes: "An Arab woman professor of logics! What do our geographers and sociologists, think of that, they who have repeated, in the most dismal tones of voice, that Morocco is buried deep in the darkness of an undiscribable barbarism, in the Ocean of an uncurable ignorance? An intelligent Moroccan woman soars in the high regions of science." (Le Maroc Inconnu, vol. 2, p. 742).

Unfortunately, the reactionary social movement was progressively taking the upper hand as the Muslem empire became politically disintegreted. It is curious to observe that this new paralysis coincides with the birth of Western colonialism. Without going to the point of giving imperialism the responsability of this state of affairs, we are at least able to state that the underhand intrigues, if not the actions of open hostility of Europe, finished by causing a political emancipation of the Arab world, the emancipation of women speeds up in a vast movement of social rebirth. A virile feminism develops, as a reminiscence of a glorious past, the evolution of which was distorted by the aberrant interpretations of the Islamic spirit. The Moslem women will be able to profit from the benefits of Western modernism, in harmony with the imperative rules of its own civilisation.

As for the mission of the Magrab fleet in the Mediterranean, the Almohade squadrons were masters of the seas—because their fleet was the first in the Mediterranean, according to André Julien—and the danger of European corsairs was only a relative one. The Almohade Sultans even supported an army, with the special task of repressing the privateering of both the Christians and the Arabs. But later, the superiority of the Western navy gave "a certain advantage to the Christian sailors and corsairs, the roles and actions of which were often mixed up together."

The foreign policy of Abdel-Moumen imposed, as an imperative rule, the obligation to punish, everywhere, the corsairs who attacked the Christian navies. The Almohades who well understood the necessity of international traffic (of which the Moslems had inculcated upon the Christians some of the principles, according to the evidence of M. André Julien), made it an absolute point of guaranteeing everywhere and always, the freedom and security of the seas, in the very interest of their foreign trade.

The inhabitants of the Moroccan coast sheltered the wretched Andalusian pirates, but this fact, of little importance in itself, was justified at the time by the Iberian ventures against the Magrab; the least one might have expected from the Moroccans, under these circumstances, was to remain passive—a fact that was later to be considered as a tacit encouragement with regard to the Moriscos in their legitimate reaction against the Christian navy. It might be answered that, if at a stretch, the privateering against the Iberian squadrons was justified, relatively at least, for particular reason, it was unacceptable with regard to all Christians, as such. But in order to better judge the matter, the general state of mind reigning at that time should be remembered, especially in the Christian field. This mentality was eloquently discribed by Father Dan, who stated that the privateering expeditions made by the Christians should not be considered as blameworthy when made against the enemies of the faith." Christian piracy thus took on the aspect of a true crusade against Islam. However, the Magrab people were not able to affectively participate in these retaliation struggles, concerned as they were, in their direct action, by the enclaves created by the Portuguese and the Spaniards on the coast of the Empire.

At that time, piracy fitted into the maritime war of those times as an essential phase; the corsairs kept on alert the Spanish conquerors who occupied a greater part of the Berber coast.

Nevertheless, the misdeeds of these pirates, somewhat legitimized in the past by a rather complex retaliation pattern became, with time, a source of trouble for Morocco. Our rulers could do nothing about it, the fault being on the European side, and Europe, defying Moroccan

has done so... All the ancient legislators have shown the same hardness for women" (Ibid, p. 430).

"The chivalrous spirit of the Arabs, their respect for women are very well known; the Wali of Cordova having, in 1139—writes Gustave Le Bon—besieged Toledo, at that time belonging to the Christians, the queen Berengaria, who was shut in the city, sent him a herald to point out to him that it was not worthy of a brave, gallant and generous knight to attack a woman. The Arab general immediately withdrew, asking as an only favour that of saluting the queen" (La Civilisation des Arabes, p. 286).

The doctrine of Mohammed was not long in falling into a serious stagnation, under the effect of the fallacious interpretations of some dogmatic minds, which were stupidly formalistic. Islam gradually slipped into a dangerous paralysis. Enlightened minds had not then hesitated, to react strongly as early as the XVth century; a women's movement started growing in the Moslem world, which reacted against the backward puritan party, the action of which aimed at the most severe cloistering of the Arab women.

Appeals for reform, coming from all corners of the Empire, called for the return to the social liberalism promoted by Islam, the true principles of which were beginning to blur. This energetic feminist movement bore its fruits.

Granada appears to have been the feminist literary city, in the highest sense of the expression. The flourishing of feminine genius, in the Arts and Letters was due to the great social freedom which the Granada women enjoyed, according to Prescott (Ferdinant et Isabelle, p. 192).

As for the Moroccan woman, she played, for her part, one of the most important roles in the social, literary, economic, military and political life of Morocco, after the manner of her Eastern and Andalusian sisters.

Speaking of the Moroccan woman, Moulieras writes in 1895: "The Moslem woman is still the queen of her home, as at the time of the Abbasides and of the pre-Islamic Arabs" (Le Maroc Inconnu, p. 736).

Princess Hosnâ was the political counsellor of her husband Moulay Idriss, king of Morocco. The names of other women counsellors of the Idrisside princes are mentioned. Similarly Zaineb, wife of the first Almoravide Youssef Ben Tachfine, famous for her beauty and the depth of her political and administrative views, as well as Tamine, daughter of Tachfine and Kamar, wife of the prince Ali Ben Youseff, were the basis of the feminine liberalism which will be one of the justifications of the puritan campaign carried out by the first Almohade against the Almoravide regime. One of the aspects of this early emancipation of the city women was the putting out of use of the veil, a reminiscence of the Saharan customs of the ruling dynasty. At that same time, Hawwa El Mammoufia gave political lectures, and her sister Zaineb recited by heart collections of poems. Other women attempted timidly to promote a feminism inspired by the stimulating impulse of the Andalusian woman. Vanouh, daughter of Bountian, is one of the most brilliant figures of the Almoravide period. Still a virgin she defended alone, with the sword, the royal palace of Marrakesh for half a day, and finally fell under the blows of the Almohades, who seized the capital by over lectures at Ceuta, and Khairouana, the "scholar" of Fez.

Under the Almohades, Oum Hani, daughter of the Cadi Ibn Atia, gave courses, drafted works in various branches of the religious sciences. She is the mother of Abou Jafar, physician of Al Mansour. Zaineb, daughter of Youssef the Almohade, gave the good example by attending lectures, organized by Mohammed Ibn Brahim on the sources of the Law. Hafsa Errakounia, one of the famous poets of her time, was the preceptress of the al Mansour's Harem; Oum Mar, daughter of Avenzoer, was his physician as well as her daughter Bint Abi Al Alâ. There were other figures who were no less brilliant, such as Warqâ, the poetess of Fez, Amat Al Aziz, poetess of Ceuta, Oum al Alâ, who came from Fez and who directed a school in Granada, the famous traditionalist Mariem, daughter of Al Chafiqi, who presided over lectures at Ceuta, and Khairouana, the "scholar" of Fez.

Under the Merinides, there were three brilliant women of law: Fatima and her sister, daughters of Mohammed El Abdousi, as well as Oum el Banine, grand mother of Zarrouk; Sârra El Halabia of Fez is a poetess of great literary culture.

Under the Watasside, Lalla Aïcha, known as Al Horra, received in her childhood a very careful education, and must have spoken Castilian fluently; she married her father's ally against the Portuguese, Ali Al Mandri, the restorer of Tetouan, where she found the learned and refined literary milieu of Andalusia to which she was used. She was initiated to the intrigues of politics, governed the city, exerting a sovereign authority there; the struggle against the invader was her main concern; to this effect,

creating detached university buildings for receiving the students flocking in from the nearby tribes and even from abroad.

Up country, there was no lack of education centres. Even in the South, 200 medersas were flourishing.

Speaking of the up country people, Moise Nahon states in his "Propos d'un vieux Marocain": "Many among them read and write, all honour the learned. They use their language with a correction, a fluency, unknown elsewhere among peasants; they posses a true grammatical genius. They grasp on the spot all legal subtleties and abstractions do not discourage them... They are—within their environment—better equipped to face real life than many people with diplomas where we live" (p. 11).

"It is comforting, he writes elsewhere, to see such rough peasants distinguishing a strictly moral superiority, bowing before an honest man, without ever stopping to look at the colour of the skin or the humbleness of origins. I must admit that, on this occasion, I cannot fail to think of the lynching of Yellow and Black people, beyond the Atlantic" (p. 47).

Under the first Almohade, there was a sort of school "of Moroccan Administration" the student body of which already reached the figure of 3,000, which gave the State its top cadres.

Alongside the traditional sciences, courses of riding, shooting, swimming and rowing were offered.

For a long time, Fez remained the most active intellectual centre of the Magrab. It was this city that inherited the radiance of Kairouan and the great Andalusian cities. Its famous university, one of the oldest in the World, made it one of the capitals of the mind, where North-African, Soudanese, Lybian and even European students gathered. We will only mention the case of the future pope Sylvester II, who after having learnt—it is said—the Arab numbers at Kairouan, introduced them, for the first time, in Europe. Al - Olamaa trained at the University of Fez enjoyed a great reputation in the Moslem world. In Merinide Morocco, the learned of the law were numberless. Abou Hassan, in his expedition to Ifriqya, took 400 Olamaa with him, the enormous erudition of which dazzled Ibn Khaldoun and attracted him to Fez.

As a matter of fact, the Magrab has always been a nursery for men of law. Pline indicated this already in ancient times. The Jewish Academy of Fez played a considerable role in the crystallization of the Thalmudic law.

Everywhere in the Islamic world the Magrab men of letters and of law left their mark: the Berber Ibn Kazzaz, an expert in Arabic philology, excelled over the famous oriental philologists such as Said of Bagdad; Roudani of Marrakesh was able to see his works of physics and Law reach India, after having given rise to the admiration of the Middle East, for the wealth of their documentation; El Harrali dazzled the intellectual milieux of Tunis by his encyclopaedic erudition; El Maqqari held breathless thousands of listeners who gathered around his chair in the Mosque of Damascus.

Thus the influence of the Magrab civilisation went beyond Andalusia and the North African countries, reaching the Eastern sector of the Mediterranean area up to Damascus, passing by Cairo. The Magrab was thus a point of contact between two worlds. "It was through it, writes André Julien, that the theory of music, of intervals and modes penetrated from the East where it was formed, into Spain where it remained practically intact". A Fassi, Mohammed Ben Abdelkrim, in the XVIIIth century, caused a happy revolution in sculptural Egyptian art, whose works of art are still kept in Cairo Museum. Magrab architecture also represents, according to Gsell, "a work of art of harmonious discipline."

The Arab woman was able to make good use of the liberal spirit of the Moslem legislator. As from the first decades of the Hegira period, she was able to assert herself, by her broad and effective participation beside men, in the cultural and social life of the Moslem community. Aicha, daughter of the 1st Caliph and wife of the prophet, must have been brought up according to the new principles and embody the ideal of women: at less than 20 years her profound learning made her one of the most brilliant figures of her times: the great companions of the Prophet came to consult her on legal, historical, literary and even medical matters. From then on, the cultural field of action, of women broadened in a increasing manner.

"The legal situation of the married women, says Le Bon, as it is regulated by the Koran and its commentators, is much more favourable than that of the European women" (G. Le Bon, p. 436).

It is from the Arabs "...that the inhabitants of Europe borrowed, together with the laws of chivalry, the gallant respect of women which these laws imposed" (G. Le Bon, p. 428). "Islamism has raised the condition of women, and we can add that it is the first religion which

The activity undertaken in the old Magrab in order to protect hygiene and public health, far from being ideal, was nevertheless not negligeable for that period. A Maristan (hospital) was founded for the first time at Marrakesh, under the Almohades.

Speaking of this hospital, Abdelwahid El Merrakchi says that Youssef "began by choosing a vast area in the flat part of the city... He had all sorts of trees planted, for beauty and for fruit. Water was brought there in abundance and around all the rooms, without detriment to the four basins situated in the centre of the building, the most important of which was in marble... A daily income of thirty dinars was allotted for food in the strictest sense of the term, quite aside from remedies, drugs, ointments and eye-washes. Day and night, summer and winter clothing was provided for the patients. After recovery, the poor received, when leaving the hospital, a sum of money for living expenses until the time they were able to support themselves... Any foreigner falling ill in Marrakesh was taken there and cared for until his recovery. Every Friday the prince, after the prayer, went on horseback to visit the sick and inquire after everyone's health..." (Les Almohades, p. 130).

"Not only did this Hospital (writes Millet in 1925) leave far behind it the leper-houses and the principal hospitals of our Christian Europe, but il would still put to shame today the sad hospitals of the city of Paris" (Ibid., pp. 129-130).

At Fez, a hospital treated neurasthenic patients, trying to act on the patients nerves with Andalusian music.

Since the XIth century, the Magrab has known generations of physicians, some of which had a universal reputation. Ibn Tofeil and Ibn Roshd were to successively play the role of official physicians of the Almohade Court. Averroes was the first, long before William Harvey, to analyze, in his "Kolliat", the mechanism of blood circulation in man. The Beni Zohr family had several practitioners, both among the women and among the men.

It is true that medecine was still in its empirical stage. "It should however be noted—as J. Bensimhon points out (Maroc Médical, September 1951)—that in numerous cases, this elementary and fully empirical medecine applied treatments the effectiveness of which has since been unquestionably recognized.

At all times, the Magrab physicians have tried to record the results of their experiences, in works which have remained famous. Some specimens are still kept in private libraries in Morocco and elsewhere.

But during the past centuries, the medical art degenerated to such a point that the maristâns were only to play the role of mere shelters where patients were left to their sad fate. Occult sciences and cabalism have generally ended by distorting the laws of medecine, which recedes several centuries into the past. It was rare to find doctors filled with a true scientific spirit.

In the cultural field, the joint efforts of Nation and State, since the time of the Idrissides, aimed at multiplying everywhere schools offering elementary education. For secondary and higher education, the Mosques served as classroom and conference halls. Chapels, of which there were hundreds in the large towns (785 in Fez, 3,000 in Cordova, according to Dozy) were as many university institutes, which lent themselves extremely well to traditional education. Courses were then held at all time of the day by voluntary professors, the mission of teaching being considered as a religious obligation which each doctor of the law had to fulfill personally. At that time, the student only had the embarassment of the choice. The Karaouyne as just one mosque-school was among hundreds spread out up to the most isolated centres of the country.

"The first school in the World" (Delphin, Fez, son Université, 1889).

These mosques were generally endowed with a library which was more or less important. A decade ago, in a chapel in Fez (under the vault of tombs), a large piece of furniture with shelves has been discovered in very good conditions, un der a sculptured lintel, which contained two boxes of books and bundles of ancient documents.

"The Emir's library (Abou Yacoub, the Almohade) enriched itself with the spoils of the previous period, to the point of equaling, it is said, that of the Omayad Sultan Hakem II" (Millet, les Almohades, p. 101).

With time, the flow of students to the great cities raised a new problem for them; that of housing.

It was then that the Merinides actively undertook the task, as from the XIVth century, of

an efficient and permanent manner, the varied needs of the various social strata.

The distribution of daily soup to the people, of weekly foodstuffs, of special monthly rations in exceptional circumstances, there were the normal modes of assistance.

Hospitality centres, disseminated throughout the country, gave shelter to tramps and travellers passing through; from the times of the Merinides, the Sultans had never ceased to increase the number of public shelters and inns, reaching the furthest corners of the contryside. Also thanks to private hospitality, of which the Moroccans made, and still make, a point of honour, no one not even foreigners, could ever feel in any difficulty.

The chapels and mosques (of the Rif) says Moulieras in 1895 "serve as hostels for foreigners and students who receive hospitality there which is both free of charge and pleasant" (Moulieras, T. I, p. 56). Hospitality, given in each mosque, is considered as a sacred duty by all the inhabitants of Morocco (p. 62).

"It should be seen with concern, with what scrupulous loyalty, the Moroccans capitalist acquits himself of legal alms, that is to say the tithe on his income which he distributes himself to the poor, without State intervention, his conscience and God being his only Judges. With his continuous generosity, with this compulsory charity, towards all paupers, with this hospitality granted to all foreigners, the charity institutions, the health clinics of our Modern World have no other reason of existina than that of the relentless class struggles which seriously threaten our old Europe (Moulieras, T. II, p. 195).

Besides its role as an executive and regulating agent, the State undertook an important welfare role, granting the poor regular pensions, the students and professors, stipends which were often periodical, at times monthly. But State intervention was mainly represented by collective subsidies during periods of drought, famine and epidemics, or in other exceptional circumstances.

This feelina of solidarity in the Magrab people strenathtned by the absence of characterized social casts, goes together with a rare humanitarian sense.

The Moroccan slaves are in no way interested by freedom which they have no use for. Well lodged, well fed, well treated by their masters, they end up by considering themselves as part of the family they serve. Their emancipation thus becomes a source of trouble for them, of real danger (Moulieras, T. II, p. 63-64).

The charity institutions were even concerned with animals and birds; efforts were made to accumulate sizeable funds for their support. Disabled animals were the object of special care. There still exists, among the "habous" possessions at Marrakesh, a shop the rent of which was regularly devoted to this form of charity. One still remembers, in Fez, the famous hill called "Kodiat El Baratil" where compact swarms of birds of all kinds had taken the habit of coming to pick up grains, scattered to the four winds for that purpose.

"...Never does one see an Arab, says Gustave Le Bon, illtreating an animal, as is generally the rule with our European carters and coachmen. A society for the protection of animals would be perfectly useless among them. The East is the true paradise of animals." (Ibid, p. 376).

The Moroccan dynasties were not content to found or give their patronage to welfare institutions in the Magrab. Their social action was felt in other countries, where they have never ceased to create new "habous" in order to satisfy the requirements of the needy.

Together with this social security system, the State tried to offer a citizen jurisdictional warranties, by the rigorous choice of honest judges and the firm control exerted on the magistrature. The Sultan Moulay Ismail ordered a massive dismissal of all the cadis of the countryside, who were considered unsuitable.

Speaking of the Almohade Yacoub El Mansour, Millet, states that this ruler "addresses a circular letter to the cadis to remind them of the rules which must preside over the observance of justice, and he annouces the intention of punishing the dishonest caid." (Les Almohades, p. 112). Moslem law is ideal.

The Moslems are convinced of the universal influence of Muslem law, adaptable to all circumstances and to all periods, as attested by the resolution unanimously adopted during the final session of the International congress of comparative law, on 7th July 1951: "...It has clearly appeared that the principles of Moslems law have an unquestionable value, and that the truth of the schools within this great juridical system implies a wealth of remarkable legal ideas and techniques enabling this Law to satisfy all the adjustment requirements made necessary by modern life."

Before the wave of xenophobia caused by the Christian invasions on the Moroccan coasts, invasions of which a sizeable number bear the character of true crusades, most of the Magrab authors respectfully speak of "the people of the Book." Quoting Idrisi, the famous Moroccan geographer, Quatremere notes that "in the whole course of his work, he shows with respect to Christianity and the Christians the rarest impartiality, and this at a time when the conquest of the Crusades in Palestine and those of the Castilians in Spain, has exasperated the Moslems to the highest degree."

The Jews expelled from Andalusia by the Christian kings became the object of kindly hospitality everywhere in the Magrab up to Debdou, which received a good number of them with open arms.

The greater part of the Moroccan Jews descend from the Jews exiled from Europe in the Middle Ages: England (in 1290), France (in 1395), Spain (in 1492). Godard—Histoire du Maroc, p. 15 (see also: l'Etude sur l'hygiène et la Médecine au Maroc by (Raynaud)—adds Italy (1242), the Netherlands (1350) and Portugal (1476), p.

Moulay Ismail, presented by some as a brutal and blood-thirsty man, is defined by some Christian Chronicles as "the greatest protector of the Franciscans, because he gave them privileges which no Christian nation would have dared to demand for them." The Alaouite Sultan promulgated two "dahirs" (dated 20th December, 1711 and July 1714) in which the death penalty was formally decreed a gainst all those who "undertook to molest the Christians or to insult them.".

The Jews were the Sultan's subjects and, as such, were subject to the general regime; however, on 5th February, 1884, the Sultan Sidi Mohammed Ben Abderrahman promulgated a "dahir" officially consecrating the assimilation of the Israelites to the Moslems, the ones and the others being placed on an absolutely equal footing.

Thus, throughout one thousand years, Christians and Jews were able to enjoy, side by side with the Moslems, a peaceful and quiet life which rare upheavals upset superficially at times. But these periodical crises fitted into the general framework of social life, and were in no way tinted with racial or confessional rancour.

SOCIAL ASPECTS OF OUR CIVILIZATION

The old Moroccan authors of Annals and Chronicles were rarely interested in the cultural branch of Magrab history, and even less in its purely social part. Only the political or economic aspects were to retain their attention. History is thus fatally limited, in their writings, to a battle-history encrusted at times by digressions of a litterary or social nature. It is therefore not easy, due to lack of precise documents and solid information, to draw a general and clear picture of the general lines which must have characterized the social and cultural fields of the Magrab civilization. We will nevertheless attempt a more or less complete synthesis, moving from the few elements which are to be gleaned here and there in the thick mass compiled by our authors.

It is especially, by a living illustration that we believe it useful to proceed, because this is a method where we have the most chance of remaining objective, while giving the audience the opportunity of appreciating and judging the mode and level of life in the Old Magrab, the mechanism of social insurance, the means of security which the Moroccan citizen enjoyed with regard to the subversive and unhealthy elements which generally caused the uprising of the lowest strata of Medieval society. This society suffered a thousand ills, which worsened its classical calamities: hunger, sickness, ignorance and arbitrariness. Morocco at times represented one of the rare islands in the civilized world enjoying a comparative healthiness and a more or less stable social balance. The State rarely had to intervene: the wheels of society meshed curiously well under the effect of spiritual factors, the reflections of which, now tarnished, still mark Moroccan social life.

The description which Idrisi offers of the Magrab in the 7th century gives an impression of general prosperity. The geographers of the Medieval period have not failed to praise this rich country where people lived in peace and dignity. H. Terrasse was forced to recognize this.

It was mainly independent institutions, operating under the form of "habou" foundations, which actually took care of assisting the nonfavored inhabitants of the nation. A whole range of needy people benefited from this aid, going from paupers, widows and orphans, to the blind and the sick. Private initiative was ingenious in undertaking all possible ways of meeting, in

and solidarity between nations found its expression in the sincere impulse which brought them to the rescue of a State in distress. Morocco knew how to pass the sponge over past rancours, when its enemy was going through a crisis and already, right in the XIIth century, there was a development of "confidential political relations between princes who were opposed to each other with regard to their religious beliefs".

Thus, the Magrab could not imagine international solidarity of a purely confessional nature. Religious considerations do not appear to have dictated to the Moroccan rulers their international policy in the major Mediterranean conflicts. The fact is that the geographical nearness of the Magrab to the West, their historical mixing, without undermining our strong affinity with the East, represent a vital aspect of our vocation. The essential feature of this integral part of the free world which Morocco represents, is that of forming a point of contact with the most neuralgic area of Mediterranean and Atlantic Europe, a bridge between the Arab and Western worlds.

Our Mediterranean vocation has on the other hand been emphasized by these exchanges between the Magreb and the West; exchanges which we would never have ceased to carry on for our mutual benefit if there had not been "the colonial accident" which, with its expansionist movement, has to disrupt the transcendental course of our history. Both sovereign, independent from each other, treating on an equal footing, the West and the Magrab could not fail, with the strengthening of the notion of interdependence to enhance their reconciliation and achieve, through free ties, a harmonious and long-lasting equation. Interdependence cannot have an adequate basis if not within the framework of a peaceful and sovereign cooperation; because cooperation is only fruitful to the extent that the parties, enjoying their full and whole liberty, and feeling all freedom of action, are open to compromise. Mutual respect and the acknowledgement of the legitimate rights and aspirations of the people certainly represent the best basis on which to establish and develop interdependence.

By recovering the fullness of its sovereignty, Morocco reappears in its true light; it once again becomes what it has always been, before having suffered the intrigues of the colonial period, that is to say the sincere ally of the West, to which it is linked by those imponderable elements which are the outcome and the reflection of a long life in common.

THE SPIRIT OF TOLERANCE IN THE MOSLEM MAGRAB

Islam, with its simple dogma, accessible to all, without a hierarchy, without formalism, was able to conquer a greater part of Humanity, in the record period of a few decades. History has rarely given the impression of such a clear spontaneity in the peaceful conquest of hearts. "Never has the Arab, acknowledges E.F. Gautier, in all the fervour of his new faith, dreamt of eradicating by bloodshed a competing faith"; this is because "tolerance is related, he specifies further, to the deepest concepts and instincts of the Old East" (Mœurs et Coutumes des Musulmans, pp. 207-214).

If the Moslem preached Islam, he has always abstained from exerting pressures on the hearts of the unbelievers. When the Islamic World was at the peak of its power and expansion, Christian and Jewish communities enjoyed within it a happy and peaceful life.

The Islamic conquests aimed neither at exploiting the conquered lands nor at implanting the Arabic element, through massive immigration. For the whole of North Africa, the number of Arabs never exceeded 110,000 up to the IXth century, most of them residing in Tunisia.

The learned scholars of Moslem Law have always been impermeable to the idea of "Islam, the only State religion." When, in the Middle Ages, the Ottoman Sultan Sellim wished to apply the principle of a Moslem empire, the "Cheik El Islam" of the time was categorically opposed to the idea, underlining the respect recognized by Islam for freedom of conscience.

In the Magrab, the Jews have lived side by side with the Moslems since the VIIth century. They were admitted very early within the walls of Fez, which was nevertheless a holy city. Already around the year one thousand, the Jewish colony of the Idrisside capital numbered 5,000 members who freely celebrated their creed, in synagogues built right in the medina. On the other hand, one of the quarters of Fez, called the "quarter of the Church", seems to have grouped the Christian inhabitants of the City.

In 1492, when the Castilian persecutors were venting their wrath against the Jews and Moslems in Andalusia, the preacher Al Maghili one of the cadis of the Empire, was exiled from Fez, for having undertaken an antisemitic compaign.

dated regimes, solemnly condemned by universal conscience.

Morocco has often given proof of an acute international sense From the XIth century, it gave free access to foreign tradesmen who did not delay in setting up trade establishments. It is then that, for the first time, the problem arises of how to protect the ligitimately acquired interests of foreign nationals. Our sovereigns made no difficulty for the acknowledgement of these interests; better still, they treated these foreginers with extreme solicitude: the royal decrees characterized by a fatherly benevolence granted them a broad freedom of action and gave them solid guarantees. The foreigners were placed, as well as their possessions, "under this high royal expressed—as Latrie said —by the word protection for the Christians and aman for the Arabs". The same author specifies that "the evil actions of the Moslems with respect to them were subject to the severeness of law".

The Magrab law acknowledged "individual responsability and freed the compatriots of the delinquent from all collective responsibility". This was a principle of great practical significance and all the more precious since it was rarely respected and applied outside Morocco.

The Moroccan people, jealous of their freedom and sovereignty, knew how to respect the rights, the freedom and the dignity of others. Latrie points out that so long as the Europeans "avoided provoking the susceptibility of the Moslems, so long as they respected the spirit and the letter of the traeties accepted by their rulers, they found in the population and in the Magrab governments the most equitable respect and protection".

Ignoring any religious prejudice, Morocco, a Moslem country, has never ceased having constant and friendly relations with all countries, including the Vatican. Its rulers, in their diplomatic relations with the Christian world, drew their inspiration only from the principle of international justice, being only concerned with maintaining their sovereignty. Racial or confessional considerations were never taken into account, in the Magrab concept of foreign diplomacy and politics. It is sufficient to consult some archives kept in the European chancelleries, in order to be convinced of the high esteem which Morocco enjoyed within the Christian commmunity. The letter of Gregory VII to Ennacer in 1776 is "the most precious monument of this time and the most curious sample of the easy and friendly correspondence which existed between the popes and a few African sultans". Addressing himself to the Sultan, the Pope tells him in particular: "The nobles of the city of Rome having heard, through us, of the act which God inspired you, admire the loftiness of your heart and express their praise to you".

This sympathy "which perhaps no Roman pope had ever expressed so affectionately to a Moslem prince" emphasizes the intimate cordiality of the links between Christianity and Islam, of which the Almohades were then the renowned representatives.

On the other hand, Morocco was a land of refuge forthe Christians oppressed by the great lords of feudal Europe. "European knights or princes, displeased with their suzerains, were able to abandon their fiefs and go to Africa to serve the Moslem kings" (Latrie) European armies, including knights and high lords, were in the pay of the Almohades and the Merinides, the Church itself, as well as the Christian governments, having permitted their recruitment in Europe. After the Crusades, Europe, while treating with the Sultans of Egypt and Syria, opens a new era with the Magrab emirs, of peaceful and commercial relations.

After the XIIth century, many were the European ships to call at Moroccan harbours and to leave them freely. Western chronicles noted already that, during this period one was far from the times when the Christian ships thought they were acting dangerously by risking a journey along the African coasts. Even in cases of aggression on the part of European ships, the Moroccan defenders showed no hatred at all in their reaction: they were content to settle matters equitably.

The protection for people and for the goods of merchants, whatever their nationality was, in the eyes of the Magrab people, so natural and so necessary for trade that il was granted to all foreigners "even when the treaties authorized the Arab government to refuse it."

These are a few isolated examples which illustrate the legal system regulating, for nearly one thousand years, the relations between the Europeans and the Arabs of North Africa; The whole set of principles and customs, to the definition of which the preponderant role of the Magrab is obvious, has contributed to the formulation of some rules of contemporary international law.

These illustrations emphasize the international sense which had often inspired the Magrab rulers, whose high concept of mutual aid

tians of Sicily, at the summit of Norman civilization (Ibn Jobeir). Everything in Brazil was the image of our Medieval society, from the social behaviour of the ladies of society who adopted the habit of sitting cross-legged on carpets of Moroccan style, to the outside aspect of the countryside. Notwithstanding the climatic differences, the countryside borrowed, with Spain and Portugal, once again Christians as go-betweens, the agricultural mechanisms and techniques of the Magrab.

"Moorishness" enjoys, in America, a strong reputation. The verb "maurijar" is, in Portuguese, synonymous with acting; throughout America, the expression "working like a Moroccan" has become proverbial. In Portugal, it has not been overlooked that the inhabitant of the South, among which the descendants of the Moroccan conquerors are to be found, are imbued, more so than their fellow contrymen of the North, with an exceptional spirit of initiative and enterprise, together with a shrewdness, an endurance to work, a persistance in exerting efforts and a longevity comparable to that observed in the Moroccan Atlas.

We are even in a position to pretend, together with Western Authors, that if the Portuguese navy was able to cross the Atlantic and reach America, this was thanks to Arab methods of navigation which had become a science. Ibn Majdd, who has left famous works on the "navigation art" was the navigator of Vasco Da Gama (1469-1524), who discovered the route to India in 1498, through the Cape of Good Hope.

These are some features of this Atlantic vocation of the Magrab, which appears more real than ever in the present international situation.

CONTINUITY OF RELATIONS BETWEEN MAGRAB AND THE WEST

Interdependence, in its present scope and effects, may be considered as a modern concept. But seen from the standpoint of peoples' rights, it already appeared, though vaguely, as a form of altruism; the very essence of this concept, which is as old as the world in its principle and its ideal, resided in the common good will, vital source of the eternal and peaceful nature of relations between nations.

An agreement may always be reached so as to create a certain form of association between States, but this association will thrive only as a function of a certain state of mind to be created and developed among the partners. This is why interdependence, in the first place, has a psychological basis which conditions the harmonization of the interests in play. Good faith and mutual respect of sovereignties are as many warranties for the formulation of a policy of reconciliation between people.

For us Moroccan, this sincere impulse towards the full international blossoming of our Being, was only lead astray by that series of foreign intrigues against our sovereignty, intrigues which ended up by numbing us into our isolation, at the end of the last century, anachronistically closed within ourselves.

Some think it possible to perceive in the Magrab soul, desirous of freedom, an inborn inclination towards fanatism and xenophobia. Moving from a few isolated facts taken from the historical mass, or from a present situation poorly interpreted, they conclude that these feelings are inbred in the Arab mind; by objectively analyzing Magrab's history, it is necessary to observe that the accidental flourishing of these inclinations strangely coincide with the birth of colonialism. The feelings which since then were provoked in the minds of the Moroccans as a result of the aggressiveness of certain Powers, the underhand manœuvres against their independence and integrity, must have gone through "ups and downs", according to the attitude which, later on, was to be assumed by a Europe more or less inclined not to recognize the rights of the Magrab, as a sovereign entity. The pseudo-fanatism which was presented as the natural expression of an intolerant and narrow mind was nothing but the reaction against the aggressor, and not against the foreigner.

Speaking of Morocco, De Foucauld said: "The conqueror is feared more than the Christian is hated" (Reconnaissance, p. XVI).

When the causes of mistrust disappear, the Magreban becomes once again what he has always been, a man who is highly sociable, imbued with spontaneous amability and with essentially kindly feelings. But since the end of last century, some circles had the offensive mania of stigmatizing any patriotic impulse shown by the Africans or the Asians, strongly accusing them of fanatism each time they expressed the noble aspiration towards a free and sovereign life. Any national movement which had not the fortune of having roots in Europe, was systematically given the label of extremism, in the eyes of those who, defying the principles of international morals, as well as those of logics, insisted on preserving out-

BY ITS WESTERN VOCATION,
MAGRAB IS THE POINT OF CONTACT
BETWEEN TWO WORLDS

Morocco is the only Arab country, and one of the rare countries in the world, to have a doube maritime opening. Dominating the Atlantic for close of five-hundred kilometers, it represents a strategic platform. The privilege of this position, at the crossroads of two international seas, which are the most active in the world, was enhanced when the Straits became a vital corridor between the Mediterranean countries and the New World.

This fortunate position, on one of the great passages of the universe has not failed to influence deeply the historic destinies of the Magrab which was soon to take on the role of mediator and syncretizing element between two worlds. The fourfold vocation of Morocco (African, Oriental, Mediterranean and Atlantic) has made it the meeting point of two civilizations which have never ceased to operate the one with respect to the other, since several centuries, in order to give Humanity an eclectic synthesis of universal significance.

The Atlantic calling of Morocco explains, in part, the irradiation abroad of our Civilization, the echoes of which were to propagate across the oceanic darkness, strongly affecting with their vigorous impact, as early as the XVIth century, the social and economic life of people newly conquered by the deeply orientalized Iberian latinity.

Some even believe that, by the intermediary of the Magrab, Arab orientalism has conquered the New World, since nearly a thousand years now. Direct Arab ventures, which as early as the Xth century, started from the Atlantic coasts of Morocco (Safi) are supposed to have preceded the European adventure in America.

Renan, author of the work "Averroes and averroism", quotes a letter of Cristopher Columbus where he recognizes having drawn his knowledge of the possible existence of solid land across the Atlantic from the treatise "El-Kouliat" by Ibn Rochd.

One fact remains however certain, which is that on the one hand the Arabs had at least envisaged exploring the Atlantic and on the other, had established arsenals on the Ocean coasts and created squadrons for the defence of the Moslem West. Morocco rarely used its Atlantic harbours during the three centuries during which it dominated Andalusia: contact through the Mediterranean was more practical.

But later, the relations of the Magrab with some Atlantic countries, like Denmark, Sweden, England and Holland, encouraged it to make increasing use of the harbours which stretched along our Atlantic coastline. The United Provinces (Holland) was among the first Atlantic countries to establish close relations with Morocco represented by regular traffic, through the Channel, a traffic to which the Treaty of 1610 gave a truely preponderant role. The most important harbours were opening onto the Atlantic Ocean: Safi, Agadir and Massat. Later Salé will become and will remain for nearly a century, the most active harbour of the Magrab. Tangiers, Larache and Arzila (respectively freed from the Iberian yoke in 1684, 1689 and 1691) mark, by their own activity, this Atlantic vocation of the Magrab, which will take over all Moroccan trade. In 1845, the Atlantic harbours received, the visit of 223 European ships. Mogador will remain active up to 1911, when 462 ships entered its port. The exports of Morocco represented at the time three times the imports. This is a concrete argument against those who present the Magrab as a country walled into isolation. It is time that the Magrab, harassed by European intrigues, had been forced at one time, to retire withen itself. There was even a time when, obsessed by the demands of some Latin countries, the Magrab turned exclusively to the Protestant countries looking into the Atlantic, such as England, Sweden and Denmark, with which it signed trade and friendship treaties. A few years before his death (in 1786), the Sultant Mohammed Ben Abdallah signed a trade and navigation treaty with the United States for fifty years, which was renewed in 1836.

Far from having lived isolated from the Modern world, or even of having remained indifferent to the evolution of European and American politics, Morocco was following, with lively interest and true sympathy, the movement of emancipation of the people across the Atlantic. It was the first to recognize the independence of the young United States Republic.

But from the XVth century. the Magrab civilization, so far restricted to the Mediterranean, was able to penetrate up to Latin America brought there by the Iberic conquerors of the New World. For over three centuries (after the XVIth century), Brazil, for instance, was systematically subject to the Andalusian influence. All aspects of American society became impregnated with a Moorish flavour which was more or less emphasized. The Brazilian women veiled like those of the Magrab, shaped the way of life in the Moroccan style, similarly to the Chris-

Set deeply in the African mass, Marocco enjoys a key position which overlooks two of the most active and civilized sectors of the world: the Mediterranean and the Atlantic.

Morocco, which for over a thousand years has carried the banner of Moslem civilization, remains today a point of contact between two worlds and an essential "geometrical locus" for international relations.

Through Tangiers, its diplomatic capital, Morocco holds one of the keys of the Mediterranean. Suez is no more for the Eastern basin (which in the Middle Ages was a true Arab sea) than what Tangiers and Gibraltar are today for the Western basin. The two "extremities" of the Arab world which dominate such a neuralgic area, are called upon, in the present circumstance, to play a role of paramount importance in Mediterranean dealings, which might become inadequate, if not completely insignificant, without the equal and sovereign participation of all the Arab countries which from Tangiers to Damascus, mark out in a continuous stretch close on three fifths of the Mediterranean coast. This is a living reality which should have dominated all the Western minds. Today, the Arab world undertakes the excellent initiative of bringing the Mediterranean countries together in a world conference, with a view to defining the real danger which threatens this region which has become, with the frictions of the cold war, one of the most neuralgic in the world.

The African mission in the Magrab took the form of an irradiation reaching the Niger river Southward and the Nile Eastward. Under the Almoravides, already, the Magrab empire encompassed Algiers and the Sahara up to the Soudan, that of the Almohades extended from Castile to Tripoli, "uniting the Moslem West, for the first time, under the same power". The Merinide influence will exert itself, later, both in the Soudan and in Egypt. A major part of black Africa will be subject to Shereefs and dominated by a pashalik regime up to 1893. In brief, Morocco has always been "the nucleus and the live force" of the greatest empires which ever extended their domination over the African lands of the Setting Sun. This eminent role which the "Fortunate Empire" has never ceased to play, until recently, was all the more real since, as from the year 1250 after Christ, when Egypt itself fell under Turkish domination, "there were no longer any politically independent Arab states if not in the Magrab" (Max Vintejoux). The Magrab is the only African state which, overcoming the ups and downs of an eventful evolution, was able to maintain, since the time of the Arab conquest, its territorial integrity and its full independence. One fact remains as a reason of astonishment in the annals of all nations, which is that the Magrab has always managed "to seal its political unity, even to the point of anarchy" (L. Provençal).

However, there is no need to go back to the pre-islamic period in order to stress the oriental destiny of the Magrab.

Out of the Berber soul shaped by the new faith, emerged a feeling of spontaneous nostalgic quietude. Morocco, which at the time was identified with the Imazigh world, finds in the simplicity of Islam, with its flexibility and tolerance, the inexpressible ferments for the unity of which the tribal individualism hampered the implementation. A new current, at that time, restored the natural contacts between the two worlds. By receiving the first elements of the Eastern Civilization renewed by the Arab genius, the Magrab reaches the destinies which, since thirteen centuries, have never ceased to be its own. From then on, Morocco reinstalled in its true being an indelible constant aim, in all the impulses of its behaviour: that of aligning itself with the East.

Already a good thousand years ago, Fez, the living image of the great Islam capitals, represented "a miracle of adaptation to the Oriental state" (Gautier). By introducing in the life and in the art of the Mediterranean the last oriental elements, the Berber Almohades achieved "the syncretism of the Moslem civilization of the West".

As a matter of fact, nearly all the great Moroccan cities bore the mark and the sign of the East; it is not wrong that some geographers were to compare Fez to Damascus, Rabat to Alexandria and Marrakesh to Baghdad.

This constant tendency of Morocco towards the Eastern traditions became increasingly vigorous throughout the centuries, up to the Merinide era, when the Moslem civilization finally crystallized into strongly orientalized national institutions.

The irradiation of this orientalization process which started with the Berber dynasties themselves, had repercussions in all branches of activity. Saturated by the vitalizing effect of the oriental influence, the Magrab enabled the East to benefit from its syncretizing initiatives. The Magrebans have been, for over three centuries, the African continuators of the Arab mission in the Mediterranean, thus giving the proof of an essential aspect of their calling.

IPALMO

Istituto per le relazioni tra l'Italia e i Paesi d'Africa
America Latina e Medio Oriente

COLLOQUIO INTERNAZIONALE

"L'incontro tra cultura araba e cultura dell'Europa mediterranea
nell'epoca contemporanea"
(Firenze 14, 15, 16, dicembre 1972)

"The Magrab civilization, its African Mediterranean vocation
and its contribution to the civilization of the modern world"

ABDEL - AZIZ BENABDALLAH

(Le Maroc dans les premières années du XVIe siècle, p. 43). Tout ce qui est en dehors d'indications précises et d'applications pratiques, « le laissa indifférent et sceptique ». La Description est « le seul traité méthodique et original qui fut publié au XVIe siècle, en Europe, sur la géographie du Maroc, et qui sera, durant trois siècles, la source presque unique ».

Il ressort donc de ce bref exposé, que l'œuvre arabe, orientale et maghrébine, a joué un rôle décisif, dans l'élaboration de la science géographique et de la cartographie du Monde, au Moyen-Age.

Dans notre ouvrage en français intitulé « L'Art Maghrébin», nous avons longuement parlé des aspects essentiels les plus évocateurs de l'art, surtout sous les Mérinides, au XIVe siècle, art syncrétisé alors en art hispano-mauresque strictement méditerranéen.

Malgré l'influence andalouse, cet art se rehaussait d'une teinte particulière ; au souci de la statique et de l'équilibre des forces qui anime l'architecte chrétien, se substitue, chez l'architecte musulman, outre la solidité de la charpente, le sens ornemental et le foisonnement décoratif. Les Arabes font l'admiration de l'Occident par leurs encorbellements, leurs stalactites, leurs coloris, l'allure parfois majestueuse de leurs formes, leur style incomparable. Dans l'art architectural, en pleine maturité, malgré l'abus dans les arabesques, l'excès dans le décor, le dérèglement dans les détails et la qualité médiocre des matériaux, « l'ensemble demeure clair, les proportions équilibrées, le décor parfaitement adapté aux espaces qu'il remplit ; par-dessus tout, l'effet de polychromie est d'une sûreté et d'un tact parfait » (2). L'art mérinide rayonna en Berbérie et en Orient, par son grand prestige et sa richesse inimitable. Ce fut une œuvre hispano-maghrébine où les mêmes empreintes marquaient les monuments dans les deux rives méditerranéennes. Cette harmonie artistique est due à la présence de l'architecte andalou dont l'influence se faisait, partout sentir (3).

Quoique devant tant à l'art oriental, l'art mérinide « exportait en Orient ses modèles et y faisait apprécier ses œuvres ». Mais, de par même sa maturité, cet art porte en soi ses germes de mort, les mobiles de sa décadence. Dès la fin du XIVe siècle, il avait, pourtant, épuisé ses forces. Les troubles qui marquèrent le siècle suivant ne permirent plus la création de grandes œuvres.

Analysant les aspects de la civilisation maghrébine sous les Mérinides, H. Terrasse (3) montre le caractère hispanique et citadin de cette civilisation où, dès la fin du XIIIe siècle, les formules classiques se fixent et finissent par s'ankyloser.

«Malgré le mécénat des meilleurs souverains saâdiens, ceux-ci n'ont pas présidé — pense H. Terrasse — à la renaissance de la Civilisation musulmane du Maroc. La Civilisation et l'art étaient déjà tournés vers le passé et les quelques influences étrangères qu'ils reçurent ne purent ni changer vraiment le fond ancien, ni porter le germe d'une fécondité nouvelle ». Ce serait donc, — d'après Terrasse — « un art sans sève, hanté par les modèles du passé ». Mais, grâce aux Turcs, « un contact indirect et passager fut rétabli avec les arts de l'Islam oriental ». Les traces de cette influence se voient dans le décor monumental où passent quelques thèmes égypto-syriens ou persans, surtout dans certains arts industriels, en particulier la reliure, les tapis et dans le costume masculin ».

Mais de toute façon, l'art maghrébin, épuisé par les dynasties précédentes, se chargea alors d'ornements, perdit de sa sobriété et gagna en splendeur.

H. Terrasse a essayé de présenter la synthèse de l'art hispano - mauresque, sous les Alaouites, quatre siècles après la chute de Grenade. D'après lui, les formules architecturales se figent.

Mais si, sous les Alaouites, cet art continue à s'enliser dans un traditionnalisme où les thèmes classiques se figent, d'un autre côté, un certain mouvement semble, depuis l'indépendance du Maroc, en 1956, s'orienter vers des options où l'empreinte arabe est profondément marquée par une teinte orientalo - méditerranéenne. **Une forte vitalité décèle chez nos artistes, un génie créateur, un réel talent de reproduction éclectique, une sorte de synthèse artistique, qui constituera le catalyseur le plus sûr pour l'éclosion d'un art nouveau où les données de tous les siècles s'harmoniseraient dans un alliage pragmatique avec la statique moderne.**

De cette restauration appropriée, naîtra cette originalité qui doit marquer l'art maghrébin moderne, pleinement méditerranéen.

Le bien-être qui doit se généraliser dans un cadre assez homogène, s'inspirera alors de l'esthétique, pour une vie meilleure. Le sens du beau et le besoin de confort, doivent présider à la rénovation de la société marocaine de demain.

(2) Histoire de l'Afrique du Nord, p. 456.
(3) Histoire du Maroc, T. 2, p. 76 et suivantes.

« L'arabe, dit-il encore, est un pur et désintéressé instrument linguistique de transmission internationale des découvertes de la pensée... La survie internationale de la langue arabe est un élément essentiel de la paix future entre les nations ».

L'arabe « présente l'avantage, dit Montagne, d'être le véhicule d'une civilisation universelle et de se prêter à l'expression d'une pensée religieuse ou politique » (Les Berbères et le Makhzen, R. Montagne, p. 52).

Quant à la contribution du Maghreb dans l'élaboration de la science, notre ouvrage sur l'histoire de la médecine et de la pharmacopée au Maroc, dépeint, dans une esquisse vivante, le processus de la recherche scientifique. Pour ne citer que les études dans le domaine de la géographie, on peut souligner que les explorateurs occidentaux des temps modernes ont trouvé à leur disposition une documentation précieuse, non seulement sur l'Asie, l'Afrique et l'Europe orientale et centrale, mais également sur l'Occident auquel Kazouini a consacré au XII[e] siècle, tout un ouvrage. Mais, ce furent surtout les travaux arabes, sur les régions inconnues d'Afrique et de l'Océan Indien, qui inspirèrent le géographe occidental.

Idrissi, qui naquit à Ceuta, en 1100 après J.-C., appartenait à cette dynastie arabe qui avait islamisé le Maghreb et forgé, très tôt, son unité nationale. Ses audacieuses pérégrinations à travers l'Andalousie, l'Afrique du Nord, l'Asie mineure, et, probablement, la France, l'Italie, l'Allemagne et l'Angleterre, ne tardèrent pas à attirer sur lui l'attention de Roger II qui avait fait de son petit royaume de Sicile, un des îlots de la Civilisation orientale. Sur la demande du roi normand, Idrissi entreprit l'élaboration de sa célèbre « Nozhat » qu'il dut terminer avant 1154, date de la mort du souverain mécène. Ce chef-d'œuvre tient, d'après Amari, « le premier rang parmi les travaux géographiques du Moyen-Age » (Histoire des Musulmans de Sicile). Un abrégé latin en fut publié par Jaubert, à Paris en 1619, mais une traduction de l'ouvrage complet sera publiée, deux siècles plus tard (1836-1840) par les soins de la Société Géographique de Paris.

Idrissi construisit, sous forme de disques, parallèlement à cet ouvrage, une sphère céleste et une représentation du monde connu de son temps. La supériorité de précision d'Idrissi sur Ptolémée est évidente ; pour ne citer qu'un exemple, les tables dressées par le géographe grec, présentaient, pour la seule distance séparant Tanger d'Alexandrie, une erreur de 18° de longitude, alors qu'entre Tanger et Tripoli de Syrie, les tables arabes contiennent une erreur inférieure à 1°. Le géographe marocain a relevé toute une série d'erreurs et de fausses interprétations commises par son prédécesseur, sur la géographie de la Méditerranée. C'est lui, et non pas directement Ptolémée, qui a été « le professeur de géographie de l'Europe », dira E.F. Gautier qui affirme encore que « pendant trois siècles, l'Europe n'aura de carte du Monde que celle d'Idrissi » (Mœurs et Coutumes des Musulmans, p. 239). Durant les temps modernes, l'explorateur maghrébin « jouissait comme géographe, d'après Dozy et Goeje, d'une grande réputation en Asie, en Afrique et en Espagne ». Reinaud qui avait jugé sévèrement le chef-d'œuvre d'Idrissi, dut cependant reconnaître : « Pris dans son ensemble, il est comme celui de Strabon, un véritable monument élevé à la géographie ».

L'œuvre d'Idrissi est originale : dans la cartographie marocaine, les contours des ports s'accusent pour la première fois, chez notre géographe, et « toute une nomenclature précise apparaît — dit Massignon — sur les bords rectilignes des fleuves et incurvés des chaînes de montagnes ».

Quant à Ibn Battouta, il naquit en 1304 après J.-C., dans la ville voisine : Tanger. A peine eut-il dépassé l'âge de 20 ans qu'il se lança dans une série de pérégrinations aventureuses, à travers les contrées les moins explorées. A Fès, sa dernière étape, le voyageur tangérois se fit rédiger (comme Marco Polo) le récit de son long périple qui a duré plus de 28 ans et totalisé 75.000 milles, par un secrétaire du Sultan mérinide, Ibn Jozey, affecté spécialement à ce travail. Cette célèbre relation fut publiée, vers le milieu du siècle dernier, par les soins de Defremery et Sanguinetti ; Gibb publiera en 1929, un abrégé en anglais, dans sa collection Broadway Travellers auquel il joignit une remarquable étude sur l'auteur.

Hassan Ibn Mohamed Al Ouazzan, dit Léon l'Africain, est né à Grenade probablement, vers 1495, mais fut élevé à Fès où il passa la fleur de sa jeunesse. A l'âge de 21 ans, il entreprit un voyage vers l'Est, mais fut fait prisonnier à Naples, en 1519, par des corsaires siciliens. C'est Ramision qui, dès 1550, publia la « Descrittione dell Africa » que Léon semble avoir rédigée, directement, en langue italienne et qui se divise en IX livres dont le premier est occupé par des considérations de géographie générale, ethnologique, climatique. Ce traité constituait, d'Après Massignon, un véritable « manuel pratique de la géographie de l'Afrique du Nord »

fait déjà anodin en soi, se justifiait alors par les entreprises ibériques contre le Maghreb ; le moins qu'on puisse attendre des Marocains, en l'occurrence, était de demeurer passifs — fait qu'on a considéré plus tard comme un encouragement tacite à l'égard des Moriscos, dans leur réaction légitime contre la marine chrétienne. On pourrait rétorquer que, si, à la rigueur, la course contre les escadres ibériques se justifiait, relativement du moins, pour des raisons particulières, elle serait inadmissible, à l'encontre de tous les chrétiens, en tant que tels. Mais pour mieux juger de la question, il faut se rappeler l'état d'esprit général qui régnait à l'époque, surtout dans le camp chrétien. Cette mentalité a été éloquemment décrite par le Père Dan qui affirmait qu' « on ne doit point imputer à blâme, les courses faites par les chrétiens contre les ennemis de la foi ». La piraterie chrétienne prenait donc l'aspect d'une véritable croisade contre l'Islam. Cependant les Maghrébins n'avaient pu participer, effectivement, à cette lutte de représailles, préoccupés qu'ils étaient, dans leur action directe, contre les enclaves créées par les Portugais et les Espagnols sur le littoral de l'Empire.

La piraterie s'inscrivait alors, comme phase essentielle, dans les manœuvres de guerre maritime de l'époque ; les corsaires tenaient en haleine les conquérants espagnols qui occupaient une bonne partie du littoral de la Berbérie.

Toujours est-il que les méfaits de ces pirates, relativement légitimés jadis par un jeu de représailles assez complexe, devenaient, avec le temps, une source d'ennuis pour le Maroc. Nos souverains n'y pouvaient rien, car la faute incombait à l'Europe qui, bravant l'autorité marocaine, reconnut aux corsaires dits marocains « pendant deux siècles, une existence légale et quasi officielle » (De Castries).

Les Africains, en général, n'avaient pas une vocation pour la piraterie. On est autorisé « à avancer — dit De Castries — que les pirates de Tripoli, de Tunis, d'Alger et de Salé, pour ne citer que leurs principales villes, ne se recrutaient généralement pas parmi les indigènes du Maghreb, et nous ajoutons : pas davantage parmi les Turcs, car ceux auxquels on donne ce nom étaient, pour la plupart, des renégats ou des descendants de renégats ». Le nombre des chrétiens ayant renié leur foi et fixés soit en Turquie, soit au Maghreb, « dépasse toutes les suppositions ».

Ce sont les « incorrections diplomatiques » — comme De Castries se plaît à les appeler — qui prolongèrent à l'encontre des autorités de Fès l'existence mouvementée de ces renégats hors-la-loi dont l'impunité sciemment recherchée, par certains gouvernements d'outre-mer, était destinée à provoquer et à justifier l'intervention étrangère.

L'influence de l'arabe devenait au Moyen-Age d'autant plus marquée qu'une bonne partie de l'Europe méridionale le considérait « comme le seul véhicule des sciences et des lettres ». Ses progrès furent tels que les autorités ecclésiastiques avaient dû faire traduire en arabe la collection des canons à l'usage des églises d'Espagne. Jean Séville se vit dans l'obligation de rédiger en arabe une exposition des Saintes Ecritures. En même temps, des livres de religion et de droit musulman étaient traduits en langue romaine ». (G. Rivoire). En Andalousie, tous les contrats étaient rédigés en arabe ; on en a découvert près de deux mille textes. « Les esthètes andalous avaient, les premiers, déclaré abandonner volontiers toutes les pauvretés de la littérature latine, pour quelques vers arabes » (Max Vintejoux). De même en Sicile, où le roi normand était vêtu à l'orientale, son manteau d'apparat était brodé de lettres arabes ; le sceau et les monnaies portaient des inscriptions bilingues. Bref, « l'arabe était devenu — affirme celui qui a eu le mérite d'approfondir, ce « Miracle Arabe » — une langue internationale du commerce et de la science ».

Déjà en 1207 après J.-C., on signalait à Gênes, un Institut pour l'enseignement de l'arabe. Plus tard, le Concile œcuménique de Vienne organisa cet enseignement en Europe, par la création de chaires dans chacune des principales universités d'Occident. Mais ce sera surtout au XVII[e] siècle que l'Europe du Nord et de l'Est s'engagera résolument dans l'étude et la propagation de la langue arabe ; ce n'est qu'en 1636 que le gouvernement suédois décréta l'enseignement de l'arabe ; on s'élança, dès lors, en Suède, dans l'édition des ouvrages de l'Islam. L'étude des langues orientales, dont l'arabe, fit son apparition en Russie, sous Pierre le Grand qui de Moscou, dépêcha en Orient cinq étudiants russes. En 1769, la reine Catherine en rendit l'enseignement obligatoire ; en 1816, une section des langues sémitiques s'érigea dans l'Université de Pétrograde.

Le professeur Massignon a déclaré à l'intention de ceux qui s'ingénient à minimiser la portée du véhicule de la pensée arabe, que « c'est en arabe et à travers l'arabe, dans la civilisation occidentale, que la méthode scientifique a démarré ».

core vierge, elle défendit seule par le sabre, le palais royal de Marrakech, pendant une demi-journée et tomba finalement sous les coups des Almohades qui prirent d'assaut la capitale en l'an 545 de l'hégire (11e siècle).

Sous les Almohades, Oum Hani, fille du cadi Ibn Atia donnait des cours, rédigea des ouvrages dans les diverses branches des sciences religieuses. C'est la mère d'Abou Jafar, médecin d'Al Mansour. Zaïneb, fille de Youssef l'Almohade, donna l'exemple en assistant aux conférences, organisées par Mohamed Ibn Brahim sur les sources de la Loi. Hafsa Errakounia, une des célèbres poétesses à l'époque, fut la préceptrice du Harem d'Al Mansour ; Oum Amr, fille d'Avenzoer en était le médecin ainsi que sa fille Bint Abi Al Alâ. Il y eut d'autres figures non moins brillantes, telles Warqâ, la poétesse de Fès, Amat Al Aziz, poétesse de Ceuta, Oum Al Alâ, originaire de Fès qui dirigea une école à Grenade, la fameuse traditionnaliste Mariem, fille d'Al Ghâfiqi qui présidait des conférences à Ceuta, et Khaïrouna la « savante » de Fès.

Sous les Mérinides trois femmes juristes brillaient : Fatima et sa sœur, filles de Mohamed El Abdousi ainsi qu'Oum El Banine, grand-mère de Zarrouk. Sârra El Halabia de Fès est une poétesse d'une grande culture littéraire.

Sous les Wattasides, Lalla Aïcha, dite Al Horra reçut, dès l'enfance, une éducation très soignée et dut parler couramment le castellan ; elle épousa l'allié de son père contre les Portugais, Ali Al Mandri, le restaurateur de Tétouan, où elle trouva le milieu andalou lettré et raffiné auquel elle est habituée. Elle s'initia aux intrigues de la politique, gouverna la ville en y exerçant une autorité souveraine ; la lutte contre l'envahisseur fut son principal souci ; à cet effet, ellle avait de nombreux vaisseaux toujours occupés à pirater sur les côtes espagnoles. Ses démêlés avec Don Alfonso, gouverneur de Ceuta, sont restés célèbres (Hespéris XLIII, p. 222).

Même activité débordante de la femme saâdienne tant dans le domaine intellectuel que dans les domaines social et politique.

Sous les Alaouites, le mouvement féministe fut inauguré par Khnatha, épouse de Moulay Smaïl, devenue « savante » (p. 105) ; conseillère très écoutée de son époux et plus tard de son fils, le prince Moulay Abdallah, elle promulgait elle-même des dahirs et des règlements administratifs.

Citant une femme de Fès, El Aliya, fille de Taïb ben Kirane, qui donnait des cours de logique à la mosquée andalouse, Moulieras dit : « Une femme arabe professeur de logique ! Qu'en pensent nos géographes et nos sociologues qui ont répété sur les tons les plus lugubres que le Maroc est plongé dans les ténèbres d'une barbarie sans nom, dans l'océan d'une ignorance incurable ? Une intelligente Marocaine plane dans les régions élevées de la science ». (Le Maroc Inconnu, t. 2, p. 742).

Malheureusement, le mouvement réactionnaire social reprenait le dessus au fur et à mesure que l'empire musulman se désintégrait politiquement. Il est curieux de constater que cette nouvelle ankylose coïncidait avec la naissance du colonialisme occidental. Sans aller jusqu'à imputer à l'impérialisme la responsabilité de cet état de chose, nous sommes, du moins, en mesure d'affirmer que les intrigues sournoises, sinon les actes d'hostilité déclarés de l'Europe, ont fini par provoquer un chaos politique qui allait bientôt exaspérer la régression sociale dont la femme fut l'une des victimes. Avec l'émancipation politique du Monde arabe, l'émancipation de la femme s'accélère dans un vaste mouvement de résurrection sociale. Un féminisme viril s'instaure en réminiscence d'un passé glorieux dont l'évolution a été faussée par les interprétations aberrantes de l'esprit de l'Islam. La femme musulmane saura profiter des bienfaits du modernisme occidental, en harmonie avec les impératifs de sa propre civilisation.

« Quant à la mission de la flotte maghrébine en Méditerranée, les escadres des Almohades avaient la maîtrise des mers — parce que leur flotte était la première de la Méditerranée, d'après André Julien —; le danger des corsaires européens n'était que relatif. Les Sultans almohades entretenaient même une milice, spécialement affectée à réprimer les courses des Chrétins et des Arabes à la fois. Mais plus tard, la supériorité de la marine occidentale donna « un certain avantage aux navigateurs et aux corsaires chrétiens, dont les rôles et les actes se confondaient trop souvent ».

La politique étrangère d'Abdel-Moumen imposait comme impératif, l'obligation de châtier, partout, les corsaires qui s'attaquaient aux marines chrétiennes. Les Almohades qui étaient bien pénétrés des exigences du trafic international (dont les musulmans avaient inculqué aux chrétiens certains de ses principes, d'après le témoignage de M. André Julien), se faisaient un strict devoir d'assurer, partout et toujours, la liberté et la sécurité des mers, dans l'intérêt même de leur commerce extérieur.

Les habitants de la côte marocaine abritaient les misérables pirates andalous, mais le

Ainsi l'influence de la civilisation maghrébine dépassa l'Andalousie et les pays nord-africains, pour atteindre le secteur oriental de la zone méditerranéenne jusqu'à Damas, en passant par le Caire. Le Maghreb a été donc le point de contact entre deux Mondes. « Ce fut par lui, dit André Julien, que la théorie de la musique, des intervalles et des modes pénétra d'Orient où elle s'était formée, en Espagne où elle demeure à peu près intacte ». Un Fassi, Mohamed Ben Abdelkrim, sut provoquer au 18e siècle, une heureuse révolution dans l'art sculptural égyptien dont les chefs-d'œuvre sont encore conservés au Musée du Caire. L'architecture maghrébine constituait, elle aussi, d'après Gsell, « un chef-d'œuvre de discipline harmonieuse ».

La femme arabe sut profiter de l'esprit libéral du législateur musulman. Dès les premières décades de l'ère hégirienne, elle put s'imposer par sa large et efficace participation, à côté de l'homme, dans la vie culturelle et sociale de la communauté musulmane. Aïcha, fille du 1er Kalife et épouse du Prophète, dut être élevée selon les nouveaux principes et réaliser l'idéal de la femme : à moins de 20 ans, sa profonde érudition fit d'elle une des plus brillantes figures de l'époque : les grands compagnons du Prophète venaient la consulter sur les questions juridiques, historiques, littéraires et même médicales. Désormais le champ d'action culturel de la femme s'élargit de plus en plus.

« La situation légale de la femme mariée, dit Le Bon, telle qu'elle est réglée par le Coran et ses commentateurs, est bien plus avantageuse que celle de la femme européenne » (G. Le Bon, p. 436).

C'est aux Arabes... « que les habitants de l'Europe empruntèrent, avec les lois de la chevalerie, le respect galant des femmes qui imposaient ces lois » (G. Le Bon, p. 428). « L'Islamisme a relevé la condition de la femme et nous pouvons ajouter que c'est la première religion qui l'ait relevée... Tous les législateurs antiques ont montré la même dureté pour les femmes » (Ibid, p. 430).

« L'esprit chevaleresque des Arabes, leur respect pour la femme sont très connus. Le Wali de Cordoue ayant, en 1139 — dit Gustave Le Bon — assiégé Tolède, appartenant alors aux chrétiens, la reine Bérengère, qui y était enfermée, lui envoya un héraut pour lui représenter qu'il n'était pas digne d'un chevalier brave, galant et généreux, d'attaquer une femme. Le général arabe se retira aussitôt, demandant pour toute faveur l'honneur de saluer la reine » (Civilisation des Arabes, p. 286).

La doctrine de Mohamed ne tarda pas à sombrer dans une grave stagnation sous l'effet des interprétations fallacieuses de quelques esprits dogmatiques, ridiculement formalistes. L'Islam s'enlisait peu à peu dans une ankylose dangereuse. Des esprits éclairés n'avaient pas hésité, alors à réagir vigoureusement dès le XVe siècle ; un mouvement féministe s'esquissait dans le Monde musulman, réagissant contre le parti puritaniste rétrograde dont l'action tendait à une claustration de plus en plus vigoureuse de la femme arabe. Des appels à la réforme, émanant de tous les coins de l'empire, prêchaient le retour au libéralisme social instauré par l'Islam dont les vrais principes commençaient alors à s'estomper. Cet énergique élan féministe porta ses fruits.

Grenade semble avoir été la cité littéraire féminine par excellence, L'épanouissement du génie féminin, dans les arts et les lettres, était dû aux larges libertés sociales dont jouissaient les Grenadines, d'après Prescott (Ferdinand et Isabelle, p. 192).

Quant à la femme marocaine, elle a, de son côté, joué un rôle des plus importants dans la vie sociale, littéraire, économique, militaire et politique du Maroc, à l'instar de sa sœur orientale et andalouse.

Parlant de la femme marocaine, Moulieras dit en 1895 : « La Musulmane est encore la reine de son foyer comme au temps des Abbassides et des Arabes antéislamiques » (Le Maroc Inconnu, p. 736).

La princesse Hosnâ, fut la conseillère politique de son époux, Moulay Idriss, roi du Maroc. On cite les noms d'autres conseillères des princes idrissides. De même Zaineb, épouse du premier Almoravide, Youssef Ben Tachfine, célèbre par sa beauté et la profondeur de ses vues politiques et administratives, ainsi que Tamime, fille de Tachfine et Kamar, épouse du prince Ali Ben Youssef qui ont été à la base du libéralisme féminin qui sera une des justifications de la campagne puritaniste menée par le premier Almohade contre le régime almoravide. Un des aspects de cette émancipation précoce de la femme citadine fut la condamnation du voile, réminiscence des mœurs sahariennes de la dynastie régnante. A la même époque, Hawwa El Massoufia donnait des conférences littéraires et sa sœur Zaïneb récitait par cœur des recueils de poésie. D'autres femmes s'ingéniaient à mettre timidement en branle un féminisme inspiré par l'apport générateur de la femme andalouse. Vanouh, fille de Bountian est une des figures les plus brillantes de l'époque almoravide. En-

Dans le domaine culturel, les efforts conjugués de la Nation et de l'Etat tendaient, depuis les Idrissides, à multiplier, partout, des écoles qui dispensaient un enseignement élémentaire. Pour les cycles secondaire et supérieur, les mosquées servaient de classes et de salles de conférence. Les oratoires qui se comptaient par centaines dans les grands centres (785, à Fàs, 3.000, d'après Dozy, à Cordoue) étaient autant d'institutions universitaires, qui se prêtaient à merveille, à l'enseignement traditionnel. Des cours étaient alors donnés à toute heure de la journée par des professeurs bénévoles, la mission didactique étant considérée comme une obligation religieuse dont chaque docteur de la loi devait personnellement s'acquitter. L'étudiant n'avait alors que l'embarras du choix. La Karaouyne ne constituait qu'une mosquée-école parmi les centaines éparpillées, jusque dans les centres isolés du bled. La Karaouyne était « la première école du monde » (Delphin, Fàs, Son Université - 1889).

Ces mosquées étaient dotées, pour la plupart d'une bibliothèque plus ou moins importante. On vient de découvrir, depuis une décade, dans un oratoire de Fès (sous le caveau des tombes), un grand meuble à rayonnage très bien conservé, sous un linteau sculpté, où se trouvaient deux caisses de livres et de liasses de documents anciens.

« La bibliothèque de l'Emir Abou Yacoub l'Almohade s'enrichissait des dépouilles de l'âge précédent, au point d'égaler, dit-on, celle du Sultan oméiade Hakem II » (Millet, Les Almohades, p. 101).

Avec le temps, l'afflux des étudiants dans les grandes villes souleva un problème nouveau : celui du logement.

C'est alors que les Mérinides s'attelèrent activement à la tâche, dès le XIVe siècle, pour créer des pavillons universitaires destinés à accueillir les étudiants qui affluaient des tribus voisines et même de l'extérieur.

Le bled ne manquait pas de centres scolaires propres. Au Sud même, 200 médersas florissaient.

Parlant des gens du bled, Moïse Nahon précise dans ses « Propos d'un vieux marocain » : « Beaucoup d'entre eux lisent et écrivent, tous honorent les lettrés. Ils manient leur langue avec une correction, une abondance, inconnues ailleurs chez les paysans ; ils sont doués d'un véritable génie grammatical. Ils saisissent au vol les subtilités juridiques et l'abstraction ne les rebute pas... Ils sont — dans leur milieu — mieux armés pour la vie réelle que, chez nous, bien des porteurs de parchemins » (p. 11).

« Il est réconfortant, précise-t-il ailleurs, de voir des paysans si frustes, distinguer une supériorité strictement morale, s'incliner devant un honnête homme, sans jamais s'arrêter à la couleur de la peau ni à l'humilité des origines. J'avoue qu'à cette occasion, je ne puis m'empêcher de songer aux lynchages de jaunes et de noirs, outre-Atlantique » (p. 47).

Il y eut, sous le 1er Almohade, une sorte « d'école d'administration marocaine », dont l'effectif qui atteignait déjà 3.000 étudiants, fournissait à l'Etat ses cadres supérieurs. Parallèlement aux sciences traditionnelles, on y donnait des cours d'équitation, de tir, de natation et de rame.

Fès demeura longtemps le centre intellectuel le plus actif du Maghreb. C'est elle qui hérita du rayonnement de Kairouan et des grandes cités andalouses. Sa fameuse université, une des plus vieilles du Monde, en fit une capitale de l'esprit où venaient se rallier les étudiants nord-africains, soudanais, libyens et même européens. Nous ne citerons que le cas du futur Pape Sylvestre II, qui après avoir appris — dit-on — à la Karaouyne les chiffres arabes, les introduisit, pour la première fois en Europe. Les Ulémas formés à l'Université de Fès jouissaient d'une grande réputation dans le Monde musulman. Dans le Maroc mérinide, les doctes de la loi ne se comptaient pas. Abou Hassan se fit accompagner, dans son expédition en Ifriqya, par 400 Ulémas dont l'immense érudition éblouit Ibn Khaldoun et l'attira vers Fès.

D'ailleurs le Maghreb a toujours été une pépinière de juristes. Pline le signalait déjà pour les temps antiques. L'Académie hébraïque de Fès a joué un rôle considérable dans la cristallisation de la loi talmudique.

Partout dans le Monde islamique, les hommes de lettres et les juristes maghrébins ont laissé des traces : le Berbère Ibn Kazzaz, expert en philologie arabe, eut le dessus sur de célèbres philologues orientaux comme le Bagdadien Saïd. Roudani de Marrakech vit ses ouvrages de physique et de Droit parvenir jusqu'aux Indes, après avoir forcé l'admiration du Moyen-Orient, par l'ampleur de leur documentation ; El Harrali éblouit les milieux intellectuels de Tunisie par son érudition encyclopédique ; El Maqqari tenait en haleine les milliers d'auditeurs qui se pressèrent autour de sa chaire, dans la mosquée de Damas.

généralement la règle chez nos charretiers et cochers européens. Une société protectrice des animaux serait tout à fait inutile chez eux. L'Orient est le véritable paradis des bêtes » (Ibid, p. 376).

Les dynasties marocaines ne se contentaient pas de fonder ou de patronner des œuvres d'assistance au Maghreb ; leur action sociale se faisait sentir dans d'autres pays où elles n'ont cessé de multiplier les habous pour subvenir aux besoins des nécessiteux.

Parallèlement à ce système de sécurité sociale, l'Etat s'efforçait d'assurer au citoyen des garanties juridictionnelles, par le choix rigoureux de juges intègres et le ferme contrôle exercé sur la magistrature. Le Sultan Moulay Ismaïl ordonna une révocation massive de tous les cadis de la campagne, jugés inaptes.

Parlant de l'Almohade Yacoub El Mansour, Millet affirme que ce souverain « adresse une circulaire aux cadis pour rappeler les règles qui doivent présider à l'observation de la justice et il annonce l'intention de faire rendre gorge aux caïds prévaricateurs » (Les Almohades, p. 112). La loi musulmane est idéale :

Les Musulmans sont convaincus de la portée universelle du Droit musulman, adaptable à toutes les conjonctures et à toutes les époques, comme en fait foi le vœu adopté à l'unanimité au cours de la séance finale du 7 juillet 1951, lors du Congrès International de Droit comparé : « ...Il est résulté clairement que les principes du Droit musulman ont une valeur indiscutable et que la variété des écoles à l'intérieur de ce grand système juridique implique une richesse de notions juridiques et de techniques remarquables, qui permet à ce Droit de répondre à tous les besoins d'adaptation exigés par la vie moderne ».

L'œuvre entreprise dans le vieux Maghreb en vue de protéger l'hygiène et la santé publique, loin d'être idéale, n'était cependant pas négligeable pour l'époque. Un maristân (hôpital) était fondé pour la première fois à Marrakech, sous les Almohades.

Parlant de cet hôpital, Abdelwahid El Marrakchi dit que Youssef « commença par choisir un vaste emplacement dans la partie plane de la ville... Il y fit planter toutes sortes d'arbres d'agrément et d'arbres fruitiers. L'eau y fut amenée en abondance et autour de toutes les chambres, sans préjudice de quatre bassins situés au centre de l'établissement et dont le principal était en marbre... Une rente quotidienne de trente dinars fut assignée pour la nourriture proprement dite, indépendamment des remèdes, drogues, onguents et collyres. Provision de vêtements de jour et de nuit, d'été et d'hiver pour les malades. Après sa guérison, le pauvre recevait en sortant une somme d'argent pour vivre jusqu'au moment où il pourrait se suffire... Tout étranger tombé malade à Marrakech y était porté et soigné jusqu'à son rétablissement. Tous les vendredis, le prince, après la prière, s'y rendait à cheval pour visiter les malades et prendre des nouvelles de chacun... » (Les Almohades, p. 130).

Cet hôpital « non seulement, dit Millet, en 1925, laissait bien loin derrière lui les maladreries et les Hôtels-Dieu de notre Europe chrétienne, mais ferait encore honte aujourd'hui aux tristes hôpitaux de la ville de Paris » (Ibid, pp. 129-130).

A Fès, un hôpital traitait les neurasthéniques en essayant d'agir sur les nerfs du patient par la musique andalouse.

Depuis le 11e siècle, le Maghreb a connu toute une lignée de médecins dont quelques-uns avaient une réputation universelle. Ibn Tofeil et Ibn Rochd, devaient jouer successivement le rôle de médecins officiels de la Cour Almohade. Averroès fut, le premier, bien avant William Harvey, à analyser, dans ses « Kolliat », le mécanisme de la circulation du sang chez l'homme. La famille des Beni Zohr comptait plusieurs praticiens, tant parmi les femmes que parmi les hommes.

Il est vrai que la médecine était encore à son stade empirique. « Il faut cependant noter — remarque J. Bensimhon (Maroc Médical, septembre 1951) — qu'en de nombreux cas, cette médecine élémentaire et tout empirique, appliquait des traitements dont l'efficience est, depuis, incontestablement reconnue ».

Les médecins du Maghreb ont, de tout temps, essayé d'enregistrer les résultats de leurs propres expériences, dans des ouvrages demeurés célèbres. Quelques spécimens sont toujours conservés dans les bibliothèques privées au Maroc et ailleurs.

Mais dans les siècles derniers, l'art médical dégénéra à tel point que les maristâns ne devaient plus jouer que le rôle de simples asiles où les patients étaient abandonnés à leur triste sort. Les sciences occultes et le cabalisme ont généralement fini par fausser les lois de la médecine, qui revient, de plusieurs siècles, en arrière. Rares devenaient les médecins animés d'un esprit réellement scientifique.

C'est, surtout, par une illustration vivante que nous croyons devoir procéder, car c'est là une méthode où nous aurons le plus de chance de rester objectif, en donnant à l'auditeur l'occasion d'apprécier et de juger, du mode et du niveau de vie dans le Vieux Maghreb, du mécanisme d'assurance sociale, des moyens de sécurité dont le citoyen marocain jouissait à l'encontre des éléments subversifs et malsains qui soulevaient généralement les bas-fonds de la société médiévale. Cette société souffrait de mille maux, que venaient aggraver ces fléaux classiques : la faim, la maladie, l'ignorance et l'arbitraire. Le Maroc constituait parfois un des rares îlots jouissant dans le Monde civilisé d'une relative salubrité et d'un équilibre social plus ou moins stable. L'Etat avait rarement à intervenir : les rouages de la société se coordonnaient curieusement sous l'effet de facteurs spirituels, dont les reflets devenus ternes marquent encore la vie sociale marocaine.

La description qu'Idrissi a faite du Maghreb du 7e siècle donne une impression de prospérité générale. Les géographes de l'époque médiévale n'ont pas manqué de vanter ce pays riche où les gens vivaient dans la paix et la dignité. H. Terrasse ne put s'empêcher de le reconnaître.

C'étaient surtout des institutions autonomes, fonctionnant sous forme de fondations habous, qui se chargeaient effectivement de l'assistance des éléments non favorisés de la nation. Toute une gamme de nécessiteux en bénéficiaient, allant des pauvres veuves et orphelins jusqu'aux aveugles et malades. L'initiative privée s'ingéniait à emprunter toutes les modalités possibles pour subvenir, de façon efficace et permanente, aux besoins variés des diverses couches sociales.

La distribution de soupes populaires quotidiennes, de vivres hebdomadaires, de dotations spéciales mensuelles dans les occasions exceptionnelles, tels étaient les modes ordinaires d'assistance.

Des centres d'accueil, éparpillés à travers le pays, donnaient l'hospitalité aux vagabonds et aux voyageurs de passage ; depuis le temps des Mérinides, les Sultans n'ont cessé de multiplier les asiles et les auberges publiques, jusqu'aux coins les plus reculés de la campagne. Grâce aussi à l'hospitalité privée, dont les Marocains se faisaient et se font toujours un point d'honneur jamais personne, même les étrangers, ne pouvait se sentir une gêne quelconque.

« Les chapelles et mosquées (du Rif), dit Moulieras en 1895, servent d'hôtelleries aux étrangers et aux étudiants qui y reçoivent une hospitalité aussi gratuite qu'agréable (Moulieras, T. I, p. 56). L'hospitalité, donnée dans chaque mosquée, est considérée comme un devoir sacré par tous les habitants du Maroc » (p. 62).

« Il faut voir avec quel empressement, avec quelle loyauté scrupuleuse, le capitaliste marocain s'acquitte de l'aumône légale, c'est-à-dire de la dîme de ses revenus qu'il distribue lui-même aux pauvres, sans l'intervention de l'Etat, sa conscience et son Dieu étant seuls juges. Avec cette libéralité continuelle, avec cette charité obligatoire envers tous les misérables, avec cette hospitalité accordée à tous étrangers, les bureaux de bienfaisance, les maisons de santé de notre Monde moderne n'ont plus de raison d'être que la lutte implacable des classes qui menace gravement notre vieille Europe » (Moulieras, T. II, p. 195).

L'Etat assumait, outre son rôle d'agent exécutif et régulateur, une part considérable dans l'assistance, en dotant les pauvres de pensions régulières, les étudiants et les professeurs de bourses souvent périodiques, parfois annuelles. Mais l'intervention de l'Etat se concrétisait surtout en subventions collectives à l'occasion des sécheresses, des disettes et des épidémies ou dans d'autres circonstances exceptionnelles.

Ce sentiment de solidarité chez le Maghrébin, renforcé par l'absence de castes sociales caractérisées, se double d'un sens humanitaire rare.

Les esclaves marocains ne tiennent nullement à une liberté dont ils ne sauraient que faire. Bien logés, bien nourris, bien traités chez leurs maîtres, ils finissent par se considérer comme faisant partie de la famille qu'ils servent. Leur affranchissement devient aussitôt pour eux source d'ennuis, de dangers réels (Moulieras, T. II, p. 63-64).

Les œuvres de bienfaisance se souciaient même des animaux et des oiseaux ; on s'ingéniait à constituer des fonds appréciables pour leur entretien. Les animaux infirmes faisaient l'objet d'un soin particulier. Il existe toujours, parmi les biens habous à Marrakech, un magasin dont les loyers étaient régulièrement affectés à ce genre de charité. On se rappelle encore, à Fès, la fameuse colline dite « Kodiat El Baratil » où des essaims compacts d'oiseaux de toutes sortes avaient pris l'habitude de venir s'approvisionner en grains, éparpillés à cet effet au temps de sécheresse.

« ...Jamais on ne voit un Arabe, dit Gustave le Bon, maltraiter un animal, ainsi que cela est

fonds du Vieil Orient » (Mœurs et coutumes des Musulmans, pp. 207-214).

Si le Musulman a prêché l'Islam, il s'est toujours abstenu de faire pression sur le cœur des infidèles. Quand le Monde de l'Islam était à l'apogée de sa puissance et de son épanouissement, des communautés chrétiennes et juives menaient, dans son sein, une vie heureuse et paisible.

Les conquêtes de l'Islam ne tendaient ni à exploiter les terres conquises ni à implanter l'élément arabe, par une immigration massive. Pour toute l'Afrique du Nord, le chiffre des Arabes n'a guère dépassé 110.000 jusqu'au IXe siècle, la plupart résidant en Tunisie.

Les doctes de la loi musulmane ont toujours été réfractaires à l'idée de l' « Islam, religion unique d'Etat ». Quand, au Moyen-Age, le Sultan ottoman Selim voulut en appliquer le principe dans l'Empire musulman, le « Cheikh El Islam » de l'époque s'y opposa catégoriquement, invoquant le respect reconnu par l'Islam à la liberté de conscience.

Au Maghreb, les Juifs ont vécu côte à côte avec les Musulmans depuis le VIIe siècle. Ils étaient admis, très tôt, dans les murailles de Fès, ville sainte pourtant. Déjà, vers l'an mil, la colonie juive de la capitale idrisside comptait 5.000 âmes qui célébraient librement leur culte, dans des synagogues élevées en pleine médina. D'autre part, un des quartiers de Fès, dit « quartier de l'Eglise », semble avoir groupé, dès cette époque, les éléments Chrétiens de la ville.

En 1492, alors que les persécuteurs castillans s'acharnaient en Andalousie contre les Juifs et les Musulmans, le prédicateur Al Maghili, un des cadis de l'Empire fut exilé de Fès, pour avoir entrepris une campagne antisémite.

Avant la vague de xénophobie provoquée par les invasions chrétiennes sur les côtes du Maroc, invasions dont un bon nombre revêtait le caractère de véritables croisades, la plupart des auteurs maghrébins parlaient respectueusement des « gens du Livre ». En citant Idrissi, célèbre géographe marocain, Quatremère note que « dans tout le cours de son ouvrage, il montre à l'égard du Christianisme et des Chrétiens, la plus rare impartialité, et cela à une époque où les conquêtes des Croisés dans la Palestine et celles des Castillans dans l'Espagne, avaient exaspéré les Musulmans au plus haut degré ».

Les Juifs expulsés d'Andalousie par les rois chrétiens furent l'objet d'une bienveillante hospitalité, partout dans le Maghreb, jusqu'à Debdou qui accueillit, à bras ouverts, bon nombre d'entre eux.

La majeure partie des Juifs du Maroc descend des Juifs exilés d'Europe au Moyen-Age : Angleterre (en 1290), France (en 1385), Espagne (en 1492). Godard - Histoire du Maroc, p. 15 (se réf. aussi à l'Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc par Raynaud) qui ajoute l'Italie (1242), les Pays-Bas (1350) et le Portugal (1476), p. 6).

Moulay Ismaïl, que d'aucuns présentaient comme un homme brutal et avide de sang, est qualifié par des chroniqueurs chrétiens, comme « le plus grand protecteur des Franciscains, car il leur donna des privilèges qu'aucune nation chrétienne n'aurait osé demander pour eux ». Le Sultan alaouite promulga deux dahirs (en date du 20 décembre 1711 et juillet 1714) dans lesquels la peine de mort était formellement décrétée contre tous ceux qui « s'aviseraient de molester les Chrétiens ou de les insulter ».

Les Juifs étaient les sujets du Sultan et, comme tels, furent soumis au régime général ; cependant, le 5 février 1884, le Sultan Sidi Mohamed ben Abderrahmane promulga un dahir qui consacra officiellement l'assimilation des Israélites aux Musulmans, mis les uns et les autres sur un pied d'égalité absolue.

Ainsi, pendant tout un millénaire, Chrétiens et Juifs ont pu mener, côte à côte avec les Musulmans, une vie paisible et tranquille, que de rares remous venaient parfois altérer superficiellement. Mais ces crises périodiques s'inscrivaient dans le cadre général de la vie sociale, et n'étaient nullement empreintes d'une rancune raciale ou confessionnelle.

ASPECT SOCIAL DE NOTRE CIVILISATION

Les anciens annalistes et chroniqueurs marocains se sont rarement intéressés à la branche culturelle de l'histoire maghrébine, encore moins à la partie purement sociale. Seuls les aspects politiques ou économiques devaient retenir leur attention. L'histoire se trouve ainsi fatalement circonscrite, chez eux, dans une histoire-bataille, incrustée parfois de digressions d'ordre littéraire ou social. Il ne nous est donc pas aisé, faute de documents précis et de renseignements solides, d'esquisser un tableau général et net sur les grands traits qui devaient marquer les domaines social et culturel de la civilisation du Maghreb. Nous tenterons, néanmoins, une synthèse plus ou moins complète, à partir des quelques éléments qui se trouvent éparpillés dans la masse touffue compilée par nos auteurs.

de leurs suzerains, purent abandonner leurs fiefs et venir en Afrique servir les rois musulmans » (Latrie). Des milices européennes, comprenant des chevaliers et de hauts seigneurs, étaient à la solde des Almohades et des Mérinides. L'Eglise elle-même, ainsi que les gouvernements chrétiens, en ont permis le recrutement en Europe même. Après les Croisades, l'Europe, en même temps qu'elle traite avec les Sultans d'Egypte et de Syrie, inaugure avec les émirs du Maghreb, une nouvelle ère de relations pacifiques et de rapports commerciaux.

A partir du XII^e siècle, nombreux devenaient les bâtiments européens qui se rendaient aux ports marocains et en partaient librement. Des chroniqueurs occidentaux constataient déjà, à cette époque, que l'on était bien loin du temps où les navires chrétiens croyaient faire un acte périlleux, en risquant un voyage sur les côtes d'Afrique. Même en cas d'agression commise par les navires européens, les défenseurs marocains ne se montraient nullement haineux dans la riposte : ils se contentaient de redresser équitablement les torts.

La protection pour les personnes et les biens des marchands, quelle que fut leur nationalité, était, aux yeux des Maghrébins, si naturelle et si nécessaire au commerce, qu'on l'accordait à tous les étrangers, « alors même que les traités autorisaient le gouvernement arabe à le dénier ».

Ce sont là quelques exemples épars, illustrant le système juridique qui régit, pendant près d'un millénaire, les rapports entre les Européens et les Arabes de l'Afrique du Nord. L'ensemble de ces principes et usages, dans l'élaboration desquels la participation prépondérante du Maghreb est évidente, a participé à l'élaboration de certaines règles du droit international contemporain.

Ces illustrations mettent en relief le sens international qui avait souvent animé les souverains du Maghreb dont la haute conception de l'entraide et de la solidarité entre nations, trouvait son expression dans l'élan sincère qui les portait au secours d'un Etat en détresse ; le Maroc savait passer l'éponge sur les vieilles rancunes, quand son ennemi traversait une crise et, déjà, en plein XII^e siècle, se nouaient « des relations politiques confidentielles entre princes opposés dans leurs croyances religieuses ».

Aussi, le Maghreb ne pouvait concevoir une solidarité internationale, de caractère purement confessionnel. Les considérations religieuses ne semblent pas avoir dicté aux souverains du Maroc leur politique internationale, dans les grands conflits méditerranéens. C'est que la contiguïté géographique du Maghreb à l'Occident, leur brassage historique, sans entamer notre forte affinité orientale, constituent un aspect vital de notre vocation. Le propre de cette partie intégrante du Monde libre qu'est le Maroc est de former un point de contact avec le secteur le plus névralgique de l'Europe méditerranéenne et atlantique, un pont entre les Mondes arabe et occidental.

Notre vocation méditerranéenne a été illustrée, d'autre part, par ces échanges entre le Maghreb et l'Occident, échanges que nous n'aurions guère cessé d'entretenir dans un mutuel apport, sans cet « accident colonial » qui devait, par son élan expansionniste, fausser le cours transcendant de notre histoire. Respectivement souverains, indépendants l'un de l'autre, traitant sur un pied d'égalité, l'Occident et le Maghreb ne peuvent, avec l'affermissement de la notion d'interdépendance, que renforcer leur rapprochement et réaliser, à travers des liens libres, une harmonieuse et durable équation. L'interdépendance ne saurait trouver un fond adéquat que dans une coopération sereine et souveraine ; car une collaboration n'est fructueuse qu'autant que les partenaires, jouissant de leur pleine et entière liberté, et se sentant toute latitude d'agir, consentent au compromis. Le respect mutuel et la reconnaissance des droits et des aspirations légitimes des peuples est, indubitablement, la meilleure base sur laquelle on pourrait asseoir et affermir les interdépendances.

En recouvrant la plénitude de sa souveraineté, le Maroc reparaît sous son vrai visage ; il redevient ce qu'il a toujours été, avant d'avoir souffert des intrigues de l'ère colonialiste, l'allié sincère de l'Occident auquel le lient des impondérables qui sont l'aboutissement et le reflet d'une longue vie commune.

L'ESPRIT DE TOLERANCE DANS LE MAGHREB MUSULMAN

L'Islam, au dogme simple, accessible à tous, sans hiérarchie, sans formalisme, a pu conquérir une grande partie de l'Humanité, dans l'espace record de quelques décades. L'Histoire a rarement donné l'impression d'une spontanéité aussi nette dans la conquête pacifique des cœurs. « Jamais l'Arabe, reconnaît E.E. Gautier, dans toute l'ardeur de sa foi nouvelle, n'a songé à éteindre dans le sang une foi concurrente », c'est que «la tolérance est liée, précise-t-il encore, aux concepts et aux instincts les plus pro-

concluent à l'inhérence de tels sentiments à l'esprit arabe ; en analysant objectivement l'histoire du Maghreb, force nous sera de constater que l'éclosion accidentelle de tels penchants coïncidait curieusement avec la naissance du colonialisme. Les sentiments provoqués, depuis, chez les Marocains par l'agressivité de certaines puissances, les menées sournoises contre leur indépendance et leur intégrité, ont dû connaître des « hauts et des bas », suivant l'attitude qu'aura prise, plus tard, une Europe plus ou moins portée à la méconnaissance des droits du Maghreb, en tant qu'entité souveraine. Le pseudo-fanatisme qu'on présentait comme l'émanation naturelle d'un esprit intolérant et étroit n'était qu'une réaction contre l'agresseur et non contre l'étranger.

Parlant du Maroc, De Foucauld dit : « On craint le conquérant plus qu'on ne hait le chrétien » (Reconnaissance, p. XVI).

Quand les causes de méfiance disparaissent, le Maghrébin redevient ce qu'il a toujours été, un homme imbu de haute sociabilité, d'amabilité spontanée et de dispositions éminemment bienveillantes. Mais, depuis la fin du siècle dernier, certains milieux avaient l'outrageante manie de stigmatiser tout élan patriotique chez l'Africain ou l'Asiatique, qu'ils taxaient résolument de fanatisme chaque fois qu'il exprimait la noble aspiration à une vie libre et souveraine. Tout mouvement national qui n'avait pas l'heur d'avoir des racines en Europe, se trouvait systématiquement entaché d'extrémisme, aux yeux de ceux qui, défiant les principes de la morale internationale, aussi bien que ceux de la logique, tenaient à perpétuer des régimes périmés, solennellement condamnés par la conscience universelle.

Le Maroc a fait, souvent, preuve d'un sens international aigu :

Dès le XI[e] siècle, il donna libre accès aux commerçants étrangers qui n'ont pas tardé à y établir des comptoirs. Ce fut alors que se pose, pour la première fois, la question de savoir comment devaient être sauvegardés les intérêts légitimement acquis par les ressortissants étrangers. Nos souverains ne firent aucune difficulté pour la reconnaissance de ces intérêts ; bien mieux, ils traitèrent ces étrangers, avec une extrême sollicitude : les édits royaux, empreints d'une paternelle bienveillance, leur accordaient une large liberté d'action et leur assuraient de solides garanties. Les étrangers étaient placés, ainsi que leurs biens, « sous cette haute main royale qu'exprimait — comme dit Latrie — le mot sauvegarde chez les Chrétiens et le mot d'aman chez les Arabes ». Le même auteur précise que « les méfaits des Musulmans vis-à-vis d'eux étaient passibles des sévérités de la loi ».

La loi maghrébine reconnaissait « la responsabilité individuelle et dégageait les compatriotes du délinquant de toute responsabilité collective ». C'était là un principe de haute portée pratique et d'autant plus précieux qu'il fut rarement respecté et appliqué hors du Maroc.

Le peuple marocain, jaloux de sa liberté et de sa souveraineté, savait respecter les droits, la liberté et la dignité d'autrui. Latrie constate que tant que les Européens « évitèrent de provoquer la susceptibilité des Musulmans, tant qu'ils respectèrent l'esprit et la lettre des traités acceptés par leurs souverains, ils trouvèrent dans la population, et dans les gouvernements du Maghreb, les égards et la protection la plus équitable ».

Faisant abstraction de tout préjugé religieux, le Maroc, pays musulman, n'a cessé d'entretenir des relations constantes et amicales avec tous les pays, y compris le Vatican. Ses souverains s'inspiraient, dans leurs rapports diplomatiques avec le Monde chrétien, du seul principe de l'équité internationale, ne se souciant que de la sauvegarde de leur souveraineté. Les considérations racistes ou confessionnelles n'entraient jamais en ligne de compte, dans la conception maghrébine de la diplomatie et de la politique étrangères. Il n'est que de compulser certaines archives tenues dans les chancelleries d'Europe, pour se convaincre de la haute estime dont jouissait le Maroc, au sein de la communauté chrétienne. La lettre de Grégoire VII à Ennacer en 1076 est « le plus précieux monument de ce temps et le plus curieux échantillon de la correspondance facile et amicale qui a existé entre les Papes et quelques Sultans d'Afrique ». S'adressant au Sultan, le Pape lui dit notamment : « Les nobles de la ville de Rome ayant appris, par nous, l'acte que Dieu vous a inspiré, admirent l'élévation de votre cœur et publient vos louanges ».

Cette sympathie « que jamais peut-être pontife romain n'a plus affectueusement marquée à un prince musulman », met en relief l'intime cordialité des liens entre la Chrétienté et l'Islam dont les Almohades étaient alors les représentants illustres.

Le Maroc était, d'autre part, une terre de refuge pour les Chrétiens opprimés par les grands seigneurs de l'Europe féodale. « Des chevaliers ou des princes européens, mécontents

sentaient, alors, le triple de ses importations. Voilà un argument concret à l'encontre de ceux qui présentent le Maghreb comme un pays muré, dans son isolement. Il est vrai que le Maghreb, pressé par des intrigues européennes, s'était vu contraint, un certain temps, à se replier sur lui-même. Il fut même un temps où, obsédé par les exigences de certains pays latins, le Maghreb s'adressa exclusivement aux nations protestantes riveraines de l'Atlantique, telles l'Angleterre, la Suède et le Danemark, avec lesquelles il signa des traités de commerce et d'amitié. Quelques années avant sa mort (en 1786), le Sultan Mohamed Ben Abdellah conclut, avec les Etats-Unis, un traité de commerce et de navigation pour 50 ans qui fut renouvelé en 1836.

Loin d'avoir vécu isolé du Monde moderne, ou même d'être resté indifférent à l'évolution de la politique européenne et américaine, le Maroc suivait, avec un vif intérêt et une réelle sympathie, le mouvement d'émancipation des peuples d'outre-Atlantique. Il fut le premier à reconnaître l'indépendance de la jeune République des Etats-Unis.

Mais dès le XV^{e} siècle, la civilisation maghrébine, cantonnée jusqu'ici en Méditerranée, put pénétrer jusqu'en Amérique latine, apportée par les conquérants ibériques du Nouveau Monde. Pendant plus de trois siècles (depuis le XVI^{e}), le Brésil, par exemple, a subi, systématiquement, l'influence andalouse. Tous les aspects de la société américaine s'imprégnèrent d'une teinte mauresque, plus ou moins accentuée. Les femmes brésiliennes, voilées à l'instar des Maghrébines, modelaient à la marocaine leur façon de vivre, comme faisaient les Chrétiennes de Sicile, à l'apogée de la civilisation normande (Ibn Jobeir). Tout au Brésil était à l'image de notre société médiévale, depuis le comportement social des dames mondaines qui prirent l'habitude de s'asseoir, les jambes croisées, sur des tapis de style marocain, jusqu'aux allures extérieures de la campagne. Malgré les différences climatiques, celle-ci empruntait sous couvert de l'Espagne et du Portugal, redevenus chrétiens, les mécanismes et la technique agricole maghrébins.

Le « Mauresquisme » jouit, en Amérique, d'une virile réputation. Le verbe « maurijar » est, en portugais, synonyme d'agir ; dans toute l'Amérique, l'expression « travailler comme un Marocain » est devenue proverbiale. Au Portugal, on n'a pas manqué de constater que les habitants du Sud, parmi lesquels se retrouvent les descendants des conquérants marocains, sont animés, mieux que leurs concitoyens du Nord, d'un esprit exceptionnel d'initiative et d'entreprise, doublé d'une perspicacité, d'une endurance dans le travail, d'une persistance dans l'effort et d'une longévité comparable à celle relevée dans l'Atlas marocain.

Nous sommes même en mesure de prétendre, avec des auteurs occidentaux que si la marine portugaise avait pu parcourir l'Atlantique et contacter l'Amérique, c'était grâce aux méthodes arabes de navigation érigées en sciences. Ibn Majid, qui a laissé des œuvres célèbres sur « l'art de naviguer », était le navigateur de Vasco de Gama (1469-1524), qui découvrit en 1498 la route des Indes par le Cap de Bonne-Espérance.

Tels sont quelques traits de cette vocation atlantique du Maghreb, qui semble plus réelle que jamais, dans la conjoncture internationale actuelle.

CONSTANCE DES RAPPORTS ENTRE LE MAGHREB ET L'OCCIDENT

L'interdépendance, dans l'actualité de sa portée et de ses effets, peut être considérée comme une notion moderne. Mais, envisagée sous l'angle du droit des gens, elle se présentait déjà, quoique vaguement, comme une sorte d'altruisme ; la quintessence de cette notion, vieille comme le Monde dans son principe et son idéal, résidait dans cette bonne volonté commune, source vitale de la pérennité et de la sérénité de tout rapport entre nations.

On pourrait toujours s'entendre pour créer une certaine forme d'association entre Etats, mais la viabilité d'une telle association demeure fonction d'un certain état d'esprit à créer ou à développer chez les partenaires. C'est pourquoi l'interdépendance a, avant tout, un fond psychologique qui conditionne l'harmonisation des intérêts en présence. La bonne foi et le respect mutuel des souverainetés sont autant de garanties pour l'élaboration d'une politique de rapprochement entre les peuples.

Pour nous, Marocains, cet élan sincère vers le plein épanouissement international de notre Etre, n'a été dérouté que par cette série d'intrigues étrangères contre notre souveraineté, intrigues qui ont fini par ankyloser notre isolement, à la fin du dernier siècle, en un repli anachronique sur nous-mêmes.

D'aucuns croient déceler dans l'âme maghrébine, avide de liberté, une propension innée au fanatisme et au xénophobisme. Partant de quelques faits épars dans la masse historique ou tirés d'une actualité mal interprétée, ils

Il y a déjà tout un millénaire, Fès, image vivante des grandes capitales de l'Islam, constituait un « miracle d'adaptation à l'Etat oriental » (Gautier). Introduisant dans la vie et dans l'art en Méditerranée les derniers éléments orientaux, les Almohades berbères réalisèrent « le syncrétisme de la civilisation musulmane d'Occident ».

D'ailleurs, les grandes cités marocaines portaient presque toutes la marque et l'empreinte orientales ; ce n'est pas à tort que certains géographes devaient comparer Fès à Damas, Rabat à Alexandrie et Marrakech à Bagdad.

Cette orientation constante du Maroc vers les traditions orientales se concrétisait de plus en plus, à travers les siècles, jusqu'à l'ère mérinide, époque à laquelle la civilisation musulmane se cristallisait définitivement sous forme d'institutions nationales fortement orientalisées.

Le rayonnement d'une telle œuvre d'orientalisation mise en train par les dynasties berbères elles-mêmes, se répercutait dans toutes les branches de l'activité. Saturé par l'apport oriental vivifiant, le Maghreb faisait bénéficier l'Orient de ses initiatives syncrétisatrices. Les Maghrébins ont été, pendant plus de trois siècles, les continuateurs africains de la mission arabe en Méditerranée, donnant ainsi la preuve d'un aspect essentiel de leur vocation.

PAR SA VOCATION OCCIDENTALE, LE MAGHREB EST LE POINT DE CONTACT ENTRE DEUX MONDES

Le Maroc est le seul pays arabe et un des rares pays du monde possédant une double fenêtre maritime. Dominant l'Atlantique sur près de cinq cents kilomètres, il constitue un tremplin stratégique. Le privilège de cette position, au carrefour de deux mers internationales, qui sont les plus actives du monde, se renforça le jour où le Détroit devint un couloir vital entre les pays méditerranéens et le Nouveau Monde.

Cette heureuse situation sur un des grands passages de l'Univers n'a pas manqué d'influer, profondément, sur les destinées historiques du Maghreb qui assuma, très tôt, le rôle de médiateur et de syncrétisateur entre deux mondes. La quadruple vocation du Maroc (africaine, orientale, méditerranéenne et atlantique) a fait de lui le point de contact de deux civilisations qui n'ont cessé d'agir, l'une sur l'autre, depuis plusieurs siècles, pour livrer à l'Humanité une synthèse éclectique d'une portée universelle.

La vocation atlantique du Maroc explique, entre autres, l'irradiation outre-mer de notre civilisation dont les échos se répercutèrent, à travers les ténèbres océaniques, pour aller marquer, de leur forte empreinte, dès le XVI^{e} siècle, la vie sociale et économique de peuples nouvellement conquis par le latinisme ibérique profondément orientalisé.

D'aucuns prétendent même, que par l'intermédiaire du Maghreb, l'orientalisme arabe a conquis le Nouveau Monde, depuis déjà près d'un millénaire. Des entreprises arabes directes, déclenchées, dès le X^{e} siècle, à partir des côtes atlantiques du Maroc (Safi), auraient devancé l'aventure européenne en Amérique.

L'auteur de l'ouvrage « Averroès et l'averroïsme » cita une lettre de Christophe Colomb où il reconnaissait avoir puisé ses connaissances sur l'existence éventuelle d'une terre ferme outre-atlantique, dans le traité « El-Koulliat » d'Ibn Rochd.

Un fait demeure cependant certain, à savoir que d'une part, les Arabes avaient, au moins, envisagé l'exploration de l'Atlantique et, d'autre part, établi des arsenaux sur les côtes de l'Océan et créé des escadres destinées à défendre l'Occident musulman. Le Maroc utilisait, rarement, ses rades atlantiques, durant les trois siècles pendant lesquels il a dominé l'Andalousie : le contact par la Méditerranée était plus pratique.

Mais plus tard, les relations du Maghreb avec certains pays de l'Atlantique comme le Danemark, la Suède, l'Angleterre et la Hollande l'incitèrent à profiter, de plus en plus, des rades qui jalonnent notre côte atlantique. Les Provinces-Unies (Hollande) étaient parmi les premiers pays atlantiques qui établirent avec le Maroc des rapports étroits concrétisés par un trafic régulier, à travers la Manche, trafic auquel le Traité de 1610 donna une véritable prépondérance. Les ports les plus importants étaient ceux qui s'ouvrent sur l'Océan Atlantique : Safi, Agadir et Massat. Plus tard, Salé deviendra et restera, pendant plus d'un siècle, le port le plus actif du Maghreb. Tanger, Larache et Arzila (respectivement libérés du joug ibérique en 1684, 1689 et 1691) marquèrent, par leur activité propre, cette vocation atlantique du Maghreb, devenue de plus en plus manifeste, par suite de la création de Mogador qui accapara tout le commerce marocain. En 1845, les ports atlantiques reçurent la visite de 223 navires européens. Mogador demeura active jusqu'en 1911, année à laquelle 462 navires entrèrent dans son port. Les exportations du Maroc repré-

Aspect andalou - maghrébin de la Civilisation Arabe (1)

par le professeur Abdelaziz Benabdellah

Profondément engagé dans la masse africaine, le Maroc occupe une position-clé qui surplombe deux des secteurs les plus actifs et les plus civilisés du monde : la Méditerranée et l'Atlantique.

Le Maroc qui, pendant plus d'un millénaire, a porté l'étendard de la civilisation musulmane, demeure toujours un point de contact entre deux mondes et un « lieu géométrique » essentiel pour les rapports internationaux.

Par Tanger, sa capitale diplomatique, le Maroc détient une des clés de la Méditerranée. Suez n'est pour le bassin oriental (qui fut, au Moyen-Age, une véritable mer arabe) que ce qu'est aujourd'hui Tanger et Gibraltar pour le bassin occidental. Ces deux « bouts » du Monde arabe qui dominent un centre aussi névralgique, dans la conjoncture actuelle, sont appelés à jouer un rôle des plus importants dans les tractations méditerranéennes qui risqueraient d'être inadéquates, sinon vides de substance, sans la participation égale et souveraine de tous les riverains arabes qui, de Tanger à Damas, jalonnent, sans discontinuité, près des trois cinquièmes de la côte méditerranéenne. C'est là une réalité vivante qui aurait dû s'imposer à tous les esprits occidentaux. Le Monde Arabe prend aujourd'hui l'heureuse initiative de réunir les pays méditerranéens, dans une conférence mondiale, en vue de définir le danger réel qui menace cette région devenue, avec les tiraillements de la guerre froide, une des plus névralgiques du monde.

La mission africaine du Maghreb s'est concrétisée dans une irradiation atteignant jusqu'au Niger, au Sud, jusqu'au Nil, à l'Est. Déjà, sous les Almoravides, l'Empire maghrébin englobait Alger et le Sahara jusqu'au Soudan, celui des Almohades s'étendait de la Castille à Tripoli, « unissant l'Occident musulman pour la première fois sous le même pouvoir ». Le prestige mérinide s'affirmera, plus tard, à la fois au Soudan et en Egypte. Une grande partie de l'Afrique noire vivra sous l'égide chérifienne et à travers un régime pachalik jusqu'en 1893. Bref, le Maroc a toujours été « le noyau et la force vive » des plus grands empires qui s'étendirent jamais sur les terres africaines du Couchant. Ce rôle éminent que l' « Empire fortuné » n'a cessé d'assumer, jusqu'à une époque récente, a été d'autant plus réel qu'à partir de l'année 1250 après J.C., date à laquelle l'Egypte elle-même tomba sous la domination turque, « il n'y eut plus d'Etats arabes politiquement indépendants qu'au Maghreb » (Max Vintejoux). Le Maghreb est le seul Etat africain qui, surmontant les cahots d'une évolution mouvementée, a su conserver intactes, depuis la conquête arabe, son intégrité territoriale et sa pleine indépendance. Un fait reste inouï dans les annales des nations, à savoir que le Maghreb est toujours parvenu à « sceller jusque dans l'anarchie, son unité politique » (L. Provençal).

Point n'est cependant besoin de remonter à l'époque anté-islamique pour mettre en relief les destinées orientales du Maghreb.

De l'âme berbère façonnée par la foi nouvelle, émanait un sentiment de quiétude nostalgique spontané. Le Maroc, qui s'identifiait alors avec le monde d'Imazigh, trouve, dans l'Islam simpliste, souple et tolérant, les ferments indicibles, pour cette unité dont le particularisme tribal entravait l'élaboration. Un courant nouveau rétablit alors les contacts naturels entre deux mondes. En recevant les premiers éléments de la civilisation orientale rénovée par le génie arabe, le Maghreb rejoint les destinées qui, depuis treize siècles, n'ont cessé d'être les siennes. Dès lors, le Maroc, réinstallé dans son véritable Etre, aura, pour tous les ressorts de son comportement, une constante indélébile : s'aligner sur l'Orient.

---

(1) Texte de la communication faite par le Professeur Abdelaziz Benabdellah au Colloque Culturel de Florence (14, 15 et 16 décembre 1972) organisé par l'I.P.A.L.M.O., sur le thème suivant : **La Civilisation maghrébine, sa vocation africano-méditerranéenne et sa contribution dans la Civilisation du Monde Moderne.**

jedes Wort, wo es im Satze steht, dort vernunftgemäss begründet ist.

Ausgehend von bestimmten ausnahmelosen Erscheinungen stellt der späte arabische Grammatiker in strenger Beweisführung eine unbedingte Sprachnorm auf. Während in der ältesten Periode der arabischen Grammatik diese dem Sprachleben so wenig gerecht werdende rationalistische Auffassung noch keine grosse Rolle spielte, wuchs sie sich später in geradezu hypertropher Weise aus. Die Grammatik ist nicht mehr erklärende Wissenschaft, sondern begründet und normiert.

Ein Beispiel ihrer Methode: Das arabische Fragewort **kam** „wievel?" hat den Akkusativ des Gezählten nach sich. Warum? **Kam,** sagt sich der arabische Grammatiker, steht statt einer Zahl. Der Fragende weiss nicht, ob es sich um eine kleine oder grosse Zahl handelt. Die Konstruktion der Zahlen ist bei den Zahlengruppen 3-10, 11-99, 100 ff. verschieden. Also ist es bei der Unbestimmtheit der Antwort das einzig Vernunftgemässe, die Konstruktion der mittleren Zahlengruppe zu wählen, 11-99. Diese Zahlengruppe regiert den Akkusativ, und deshalb hat ihn auch **kam.**

Dies ist ein typisches Beispiel für die Beweisführung der arabischen Grammatiker. Abweichungen von der ausnahmelosen Grundform werden mit Hilfe der Analogie als regulär bewiesen, indem eines oder mehrere Aehnlichkeitsmomente aufgezeigt werden. Aus der Aehnlichkeit zweier Grössen werden für die zweite dieselben Funktionen gefordert wie die erste sie hat. Dabei ist es unwichtig, ob sich die beiden Grössen überhaupt vergleichen lassen. Da alle Wörter aus vokalisierten Buchstaben bestehen und diese in den verschiedensten Wortklassen vorkommen, kann man auch Nomen und Imperfekt zueinander in Beziehung setzen. Aeussere und innere Aehnlichkeiten, je mehr sie beigebracht werden können, lassen auf gleiche Funktionen der verglichenen Glieder schliessen. Mit fünf Aehnlichkeitsmomenten wird dargetan, warum das Imperfekt beispielsweise dasselbe Vorrecht besitzt wie das Nomen, nämlich seine auslautenden Vokale zu ändern.

Die Begründungen werden aus allen möglichen Bereichen herangeholt. Im physikalischen Bereich geht die Ursache stets der Wirkung voran. Desalb ist es in der Sprache nicht erlaubt, in einer Bedingungsperiode den Wenn-Satz erst an zweiter Stelle folgen zu lassen. Er bezeichnet eine Ursache, muss also voraufgehen. Aus dem Bereiche des guten. Tons, der feinen Sitte, wird erklärt, wieso der Genitiv dem regierenden Wort folgen muss. Der Skave muss warten, bis sein Herr sich gesetzt hat. Genauso hat sich das regierte Wort hinter das regierende zu stellen, der Genitiv hinter das regierende Substantiv, das abhängige Wort hinter die Präposition.

So ist die arabische Sprache Inbild der Vernunft und Folgerichtigkeit des Denkens, der göttlichen Gerechtigkeit und Harmonie. Ausnahmen von den Regeln gab es in dieser Grammatik so wenig wie Ausnahmen von der Vernuuft im Leben. Spätere Grammatiker haben sogar die Abweichungen von der Regel wieder durch die Vernunft begründet. Wo aber auch der grösste Scharfsinn nicht ausreicht, gewisse Ausnahmen vernunftgemäss zu begründen, werden sie einfach aus dem Quellenmaterial gestrichen. Die Vernunft des Grammatikers steht über dem Material. Er wacht über die Vernunftgemässheit der Sprache und gleicht in diesem normierenden Tun dem Richter, der berufen ist, die Einhaltung der göttlichen Rechtsnormen sicherzustellen.

Welten trennen uns von dieser Methode und dieser Auffassung der Wissenschaft. Es ist für uns oft sehr schwer, diesen Gedankengängen zu folgen. Aus fremden Einflüssen ist diese Denkart, wie ich zusammenfassend feststelle, zumindest in der arabischen Nationalgrammatik nicht zu erklären. Griechische und arabisch-islamische Wissenschaft sind auf völlig verschiedenen Prinzipien aufgebaut. Ungerecht aber wäre es von uns, über diese Art wissenschaftlichen Arbeitens überlegen zu lächeln. Es entspringt einem hohen Motiv, der Zentralaufgage des Menschen im mittelalterlichen Islam, der ʿIbada, dem Dienst an Gott. Aus ihr folgt für den einzelnen die Pflicht zum korrekten Leben, für die Wissenschaft die Aufgabe, systematisch zu interpretieren, was Offenbarung und Tradition für die Einrichtung des korrekten Lebens ergeben. Im Erkunden und Bewahren der Offenbarung kommt der Grammatik als philologischer Wissenschaft eine hervorragende Rolle zu. Von hier aus erklärt sich vielleicht ihre spätere Erstarrung, hier lag aber auch der gewaltige Impuls zum Werk.

Der Spiegel, in welchem wir das Abbild der arabischen Sprache suchten, ist mehr als ein Spiegel im gewöhnlichen Sinn. Es ist ein Brennspiegel. Seine Leuchtquelle ist die Religion, von deren Strahlen die arabische Sprache im Brennpunkte eingeschmolzen ward zum Dienste an Gott.

Definitionen zeigen, freilich in merkwürdigem Zusammenhang und sich seltsam genug von ihrem Hintergrunde abhebend. So konnte schliesslich das Dogma von der Abhängigkeit der nationalarabischen Grammatik von der griechischen Philosophie entstehen, ganz im Gesensatz zur einheimischen. Tradition, für welche die nationale Grammatik eine autochthone Wissenschaft ist. Man hat mit diesem Dogma der Abhängigkeit die Fähigkeit verloren, die älteren Quellen unbefangen zu würdigen, und vergessen, dass diese vor jenem Zeitpunkt liegen, da das Eindringen griechischer Weltweisheit in den islamischen Gedankenkreis historisch beglaubigt ist. Dabei ist oft mit recht schwachen Argumenten gearbeitet worden, und wurde versucht, sogar Einwirkungen der lateinischen Grammatik auf die grammatische Begriffsbildung der Araber festzustellen, etwa im Vergleich von lat. terminus und arabisch harf. Harf bezeichnet ein kleines, dem Umfang nach nicht abgegrenztes Quantum von Gesprochenem bzw. Geschriebenem, von Buchstabe oder Konsonant angefangen bis Wort, Redensart, Phraze, Satz. Gerade diese Harf, das wir mit Partikel wiedergeben, der dritte Redeteil, ist in der ältesten Darstellung der arabischen Grammatik anders aufzufassen als dies gewöhnlich geschieht. „Die Wörter zerfallen in drei Klassen", sagt Sibawaihi, "Nomen, Verbum und Harf", und definiert Harf näher mit den Worten: „Harf steht zum Ausdruck von etwas Gemeintem, das weder Name noch Aktion ist". Harf ist damit etwas anderes als der isolierte Buchstabe oder die Buchstaben, die ein geschriebenes Wort bilden, einzeln für sich bedeutungslos sind. Alles, was nicht Nomen und nicht Verbum ist, gehört hierher und steht zum Ausdruck von etwas Gemeintem. Mit dem griechischen syndesmos hat Harf nichts zu tun. In Harf ma'na, wie der dritte Redeteil ursprünglich heisst, liegt das Hauptgewicht im zweiten Wort ma'na „Sinn". „Sinnbezeichnende Lautgruppe" dürfte den arabischen Begriff am besten wiedergeben. Jüdische Grammatiker verwenden oft einfach eine hebräische Uebersetzung dieses ma'na für den dritten Redeteil. Von einer Entlehnung aus dem Griechischen kann hier nicht die Rede sein. Und die Uebereinstimmung von arabisch Ism „Name" und griechisch onoma „Benennung einer Person oder eines Gegenstandes" alz Bezeichnung des ersten Redeteiles ist rein äusserlich. Mit dem griechischen rhema „das, was von jemand ansgesagt wird", hat der Name des zweiten Redeteiles im Arabischen, Fi^cl „Aktion", gleich gar nichts zu tun.

Das Subjekt is für den arabischen Grammatiker etwas ganz andeers als für uns. Der ursprünglich logische Begriff wurde von den Griechen auf die Gammatik übertragen und beizeichnet hier das Wort, von dem schlechthin etwas ausgesagt wird. Diesen einheitlichen Begriff des Subjekts kennt die arabische Grammatik nicht. Für sie ist der Satz kein Urteil, sondern eine Reihe von Wörtern, die einen Sinn geben. So unterscheidet sie verschiedene Arten von Subjekten, je nachdem was von ihnen ausgesagt wird. Wo das Verbum, arabisch Fi^cl „Tun", am Anfang, steht, heisst der zugehörige Subjektsnominativ arabish „das Handelnde". Wo der Satz dagegen mit dem Nomen beginnt, heisst Subjektsnominativ einfach „Wort, mit dem begonnen wird". Da aber in einem passivischen Satz das Subjekt kein „handelndes", sondern „leidendes" Ding ist, der Ausdruck „das Handelnde" also nicht passt, wird dieses Subjekt umschrieben als das „leidende Ding, von dem nicht genannt ist, wer ihm das Leiden zugefügt hat".

Diese fundamentalen grammatischen Begriffe liegen schon bei den älteren Systematikern vor. Der Umfang des zu bearbeitenden Materials war für sie äusserst begrenzt. Um so mehr musste bei ihnen und ihren Nachfolgern daher die zweite Voraussetzung wissenschaftlicher Arbeit überwiegen, der konstruierende und kombinierende Verstand. Das, was der Gelehrte von sich aus hinzutut, überwiegt dann bei weitem das Material.

Andere semitische Sprachen mit dem Arabischen zu vergleichen, haben sie sich nicht einfallen lassen, weil sie diese meist kaum kannten. Logische Kategorien auf dis Sprache anzuwenden, war ihnen nicht möglich, da ein System fehlte. Zudem stand ihr Arbeiten unter einem massgebenden Prinzip: Der Koran als Gotteswort ist wie Gott selbst die Vernunft schlechthin. Nun ist die Sprache des Korans Vorbild der arabischen Sprache, Muster ihres Ausdrucks. In ihre Bau muss sich daher allüberall die göttliche Vernunft bekunden. Haben die Griechen Sprechen und Denken, Sprachgesetze und Denkgesetze identifiziert, so galt den arabischen Grammatikern die Gleichung arabische Sprache = göttliche Vernunft. Aufgabe des Grammatikers ist es, hinter dem Schleier der Worte die Vernunft wiederzuerkennen, die „Geheimnisse der Sprache" zu enthüllen, die asrar al-^carabija. Der abendländische Grammatiker sucht aus den sprachlichen Erscheinungen Regeln herauszuarbeiten, die eine sprachliche Entwicklung zu erklären vermögen. Dem arabischen Grammatiker ist die Sprache so vernunftgemäss aufgebaut, dass er darüber hinaus die Vernunft dieser Regeln zeigen muss und nachzuweisen hat, dass

„Turan und China haben sich längst vertragen,
Und immer noch müssen 'Amr und Zaid sich
[schlagen."

Wo der arabische Unterricht nach den alten Vorbildern erteilt wird, schlagen sie sich noch heute.

Als etwas sich Wandelndes, Wachsendes ist die Sprache von den Muslimen nicht begriffen worden. Den Unterschied zwischen der Sprache und der Schrift als etwas Zufälligem, Erfundenem haben sie nicht erfasst. Ursache hierfür ist wohl auch hier der Koran. In seinem überlieferten Text liegt die Bedeutung eines jeden Wortes nicht so sehr in seinem gesprochenen Lautbild als in der bestimmten schriftlichen Ueberlieferungsform. Schrift und Sprache gelten als identisch. Die Grammatik wird nach der Textgestalt des Korans aufgebaut, nach dem Schriftbild also durch Sehen, nicht durch Hören nach den Lauten. Kleinste Einheit der Schrift ist der Buchstabe, im Arabischen gar nur der Konsonant. So ist für die grammatische Terminologie Laut und Konsonant dasselbe. Der Begriff Silbe als letzte Einheit der gesprochenen und gehörten Sprache ist dem mittelalterlichen muslimischen Grammatiker unbekannt. Die Sprache kennt keinen Terminus dafür. Da man nur nach dem Schriftbild arbeitete, musste auch der Begriff Vokal zunächst fehlen. Erst das Schriftzeichen, das später zur Bezeichnung der kurzen Vokale eingeführt wurde, erkannte man als Vokal an. Dies geschah aber nur, weil hier der Vokal durch ein besonderes Zeichen wiedergegeben wurde. Es bleibt erstaunlich, dass auf dieser Grundlage etwas unserer Lautlehre Vergleichbares geschaffen und sogar eine Lehre von den Vermassen entwickelt wurde, ohne dass man den Begriff Silbe kannte.

Ausser einem für unsere Anschauung unverständlich engen Begriff vom Material ist auch der äussere Ablauf in der Betrachtung der eigenen Sprache in Abendland und islamischem Morgenland völlig verschieden. Die Griechen, unsere eigentlichen Lehrmeister in der Grammatik, hatten vor der Erforschung der Einzelwissenschaften sich intensiv mit dem hinter den Einzeldinger liegenden Allgemeinen, mit den Grundfragen der Philosophie, befasst und namentlich die Logik aufgebaut. In ihrem Rahmen fand das in den Einzelwissenschaften, vor allem der Sprachwissenschaft erarbeitete Material einen festen Standort. Sprechen und Denken unterstehen nach griechischer Anschauung denselben logischen Gesetzen. Man konnte beide daher in denselben Kategorien erfassen. Urteil und Satz, Begriff und Wort sind ihnen identisch. Im Islam ist die Entwicklung genau umgekehrt. Dort wird zunächst das zu bearbeitende Sprachmaterial gesammelt. Dann erst, nachdem das Quellenmaterial vorliegt, wird eine Theorie der Sprache aus ihm abgeleitet. Diese theoretische Grundanschau-ung ist nicht unlogisch, aber nicht wie bei den Griechen rein formal logisch. Die arabischen Nationalgrammatiker berücksichtigen über das rein Formale hinaus auch den Inhalt und Sinn der Sätze. Der Grieche und mit ihm wir heutigen Abendländer sehen hinter dem Einzelnen das Allgemeine. Der muslimische Grammatiker vermochte sich nur schwer von dem gegebenen. Einzelnen zum Allgemeinen durchzuringen. Die Sprachtheorie der Griechen war, weil sie rein formal vorging, allgemein gültig und auf alle Sprachen anwendbar. Die Begriffe der arabisch - islamischen Sprachbetrachtung sind im Grunde nur auf die arabische Sprache anwendbar, denn sie entspringen nicht allgemein-logischen Prinzipien. So wird auch verständlich, warum es in den beiden anderen vom Arabischen abhängigen grossen islamischen Literatursprachen, dem Neuheimischen Sprachbetrachtung kommen konnte. Das indogermanische Neupersische liess sich eben nicht in ein System zwängen, das nur für das Arabische Geltung hatte.

Schon im Aeusseren weicht die Einteilung unserer Grammatiken von der muslimischen völlig ab. Entsprechend der logischen Gleichstellung des Wortes mit dem Begriff, des Satzes mit dem Urteil ist unsere Grammatik eingeteilt in Wortbildungs- oder Formenlehre und in Stazbildungslehre oder Syntax. Anders der arabische Nationalgrammatiker: Er unterscheidet nur die einzelnen Wörter rein grammatisch nach ihren verschiedenen Endungen und nach der Wirkung, die die Wörter im Satze zeigen. Dann genügt es, die Wörter rein äusserlich einzuteilen und kann unter den Wortarten sogar die Lehre von der Satzbildung behandelt werden. Denn die Wörter verändern sich in ihren Endungen je nach der Stellung, die sie im Satze einnehmen.

Mit der Einteilung der Wörter in Wortarten bin ich zum Ausgangspunkt des Ganzen zurückgekehrt. Das gesamte Sprachmaterial wird in drei Redeteile gegliedert, in Ism „Namen", Fi'l „Aktion", Harf, von uns gewöhnlich wiedergegeben durch Partikel. Es ist die Einteilung, die Reuchlin der nationaljüdischen Grammatik entnahm, die letztere der nationalarabischen verdankt. An diesen grundlegenden Begriffen der arabischen Grammatik hat man in früherer Zeit oft fremden, vor allem griechischen Einfluss feststellen zu können geglaubt. Im Abendland sind als erstes nur einige verhältnismässig späte grammatische Werke bekannt geworden, die deutliche Spuren aristotelischer

Der arabische Polyhistor as-Suyuti hat jede Wissenschaft definiert als den Teil des überlieferten Materials, der verstandesmässig bearbeitet ist. Seine Begriffsbestimmung schliesst die beiden Prämissen jeglicher wissenschaftlicher Arbeit mit ein: einmal die Tradition als das überlieferte und zu bearbeitende Material, dann den barbeitenden Verstand des Gelehrten mit seiner Gabe der Konstruktion und Kombination. Diese Begriffsbestimmung könnte ohne weiteres auch unsere bilden, und doch ist die islamische Wissenschaft, damit auch die nationale arabische Grammatik, in völlig anderer Richtung verlaufen als die abendländische. Wir suchen die Tradition, das überlieferte Material nach Kräften auszudehnen und zu mehren. In der Geschichte sind wir bemüht, immer neue Quellen zu erschliessen, un immer besser Schicksal ergründen zu können. In den philologischen Fächern streben wir danach, durch die Herausgabe der Sprachdenkmäler, durch die Aufnahme der Umgangssprache unsere Auffassung von der sprachlichen Entwicklung immer mehr zu vertiefen. Was dabei an Theorien aufgestellt wird, richtet sich ganz nach dem Material. Aendert sich das Material oder tritt neues auf, können diese Theorien sich unter Unständen entscheidend ändern. Anders die Wissenschaft des Islams: Das Material, das zu bearbeiten ist, had schon in der Vergangenheit zu einem bestimmten Zeitpunkt seine Begrenzung gefunden. Nachdem die ersten arabischen Philologen an Hand der damals anerkannten arabischen Literatur ihre grammatische Theorie aufgestellt hatten, ist dieses begrenzte Material allein massgebend geworden für den Aufbau des grammatischen Systems. Nach dem Vorbild dieser ältesten Philologen werden hinfort in der gesamten grammatischen arabischen Literatur ausser dem Koran nur die älteren Dichter und die wenigen ganz alten Prosatexte berücksichtigt, u.a. die Berichte über die Schlachttage der alten Araber, die alten Sprichwörter, die Dicta des Propheten Mohammed. Von der nach dem Omajjadenzeitalter in reichem Masse aufblühenden guten arabischen Prosaliteratur hat man für die grammatische Darstellung keinen Gebrauch gemacht. Dass man sie stets beiseite liess und dass die Epigonen des berühmten Sibawaihi nie aus dieser Prosa Belege für die grammatischen Erscheinungen zogen, hängt mit dem Beharrungsvermögen des Islams am einmal Gegebenen zusammen. Uebertragen hiesse das, den Schriftstellerkanon für die grammatische Darstellung des Griechischen auf die homerische Dichtung und die alte Lyrik zu beschränken, auf Herodot oder Thukydides aber zu verzichten. Da die Sprache des Korans allein als kanonisch und gut angesehen wurde und sich die Sprache des Volkes in Formenlehre und Stazbau stark von ihr unterschied, war es nur natürlich, wenn man es grundsätzlich ablehnte, Erscheinungen der Volkssprache für den Aufbau des grammatischen Systems zu verwenden.

Religiöse Erwägungen haben hier zur Einschränkung des Materials geführt. Schon im zweiten Jahrhundert nach der Hidschra macht sich zwar eine Opposition dagegen bemerkbar. Man wollte die Tradition ausdehnen, mehr Sprachgut für das grammatische System verwenden. Bald aber hatte der starre Ueberlieferungsgrundsatz über die Erweiterungs- und Neuerungstendenzen gesiegt — sogar in der Grammatik, in der wir zunächst keine Beziehung zur Religion erwarten würden, spiegelt sich der fortgesetzte Widerstreit, den wir in der dogmatischen und gesetzlichen Entwicklung des Islams kennen. Gesiegt haben die starren Anhänger des Alten. Die grossen Vertreter der nationalen Grammatik haben es darum stets abgelehnt, über die Sprache des Volkes oder etwa dessen Sprachfehler zu arbeiten. Sie haben eifersüchtig darauf gesehen, dass der Kanon der als Muster anzusehenden Sprachdenkmäler nicht ausgedehnt wurde. Sie haben deshalb in ihren Werken eigentlich immer nur dieselben Belege verwandt. Durch sie hat die Grammatik den Charakter einer normierenden Wissenschaft bekommen. Letztlich hat die Normierung mit ihrem fortgesetzten „es ist verboten" bewirkt, dass die arabische Hochsprache seit über dreizehnhundert Jahren im Grunde dieselbe geblieben ist.

Dass eine solche Wissenschaft ohne jeden lebendigen Zuwachs lebendiger Sprache allmählich trocken, mumienhaft wirken musste, ist leicht einzusehen. Einen Eindruck davon gibt in einer Erzählung seines Rosengartens der berühmte persische Dichter Sa'di im 13. Jahrhundert. Auf einer sicher nur der dichterischen Phantasie entsprungenen Reise nach Ostturkestan sah Sa'di in der Moschee von Kaschgar einen Studenten voll Eifer über ein Kapitel aus dem Lehrbuche des Zamachschari gebeugt. Hier muss ich einschalten, dass die arabische Grammatik etwa die Kasusbildung in kleinen paradigmatischen Sätzchen verdeutlicht. Man lernt die Kasusendungen im wirklich vorkommenden Sinnzusammenhang, nicht davon losgelöst. Und also hört Sa'di den Studenten lesen: „Daraba Zeidun 'Amran 'Zaid schlug den 'Amr', und hier ist 'Amr das Objekt und Zaid das Subjekt...". Im selben Jahr aber hatte der Herrscher von Turan endlich Frieden mit dem chinesischen Kaiser geschlossen. Und so redet Sa'di den jungen Mann in hintergründiger Ironie an:

Zwischen der indischen und der griechischen steht auch räumlich gesehen die nationale arabische Grammatik. Diese Zwischenlage hat die Frage nach einer möglichen Abhängigkeit der ersten arabischen Sprachgelehrten von fremden Vorbildern bis heute nicht verstummen lassen. Angesichts der Quellenlage wird sie mit cuellenmässiger Sicherheit endgültig wohl nicht entschieden werden können. Denn es ist nicht zu erwarten, dass wir über Chalil als dem eigentlichen Begründer der arabischen Grammatik hinaus noch einmal auf ältere Quellenwerke zu ihrer Erschliessung stossen werden. Wie ein Wunderbau tritt vielmehr schon im zweiten Jahrhundert nach der Hidschra, gegen Ende des achten Jahrhunderts nach Christus, das Gebäude der arabischen Grammatik vollkommen vor uns. Der Schüler des genannten Chalil der Perser Sibawaihi, hat es aufgerichtet. Sein grammatische Hauptwerk ist die erste zusammenhängende Darstellung der arabischen Sprache. Mit dem Tilel al-Kitab, zu deutsch "das Buch", ist es für die einheimischen arabischen Grammatiker zum Buche schlechthin geworden und ist für sie noch heute Autorität.

Um den Entwicklungsgang der reinsten aller arabischen Wissenschaften wuchert ein Kranz von Legenden. Abu l-Aswad ad-Du'ali, Parteigänger des späteren Kalifen 'Ali, Richter in dem aus einem Zeltlager arabischer Heeresverbände zur Grossstadt erwachsenen Basra im heutigen unteren Irak, dieser Abu l'-Aswad sei danach gefragt worden, wo er die grammatisch Wissenschaft gelernt habe, und habe darauf geantwortet: Von 'Ali, dem Kalifen selbst. Abu l-Aswad aber habe nie etwas von dem Gelernten preisgegeben, bis ihm der Statthalter des Iraks befahl, eine Art Sprachführer zusammenzustellen, der die Oeffentlichkeit zum Verständnis des Korans als des heiligen Buchs der Muslime führen könnte. Abu l-Aswad habe zunächst nicht gewollt, einmal aber gehört, wie jemand aus Sure 9 des Korans rezitierte: **anna llaha bari'um mina l-musrikina warasulihi. Rasulihi** zu lesen statt des richtigen **rasuluhu** wirkt an dieser Stelle wie eine Blasphemie, würde es doch nichts anderes bedeuten als dass Allah los und ledig der Götzendiener sei, und los und ledig seines Propheten. Abu l-Aswad habe sich darüber entsetzt und dem Statthalter zugesagt, den Sprachführer zu schreiben.

Der historische Kern der Legende ist unschwer zu erkennen. Es geht um die Bewahrung einer heiligen Ueberlieferung, um die Reinerhaltung des nach muslimischem Glauben in reinem Arabisch geoffenbarten Gotteswortes. Religiöse Beweggründe gaben den ersten Anstoss zu grammatischer Beobachtung. Die Sprache des Korans sollte vor der Verderbnis im Munde der zahlreichen Neubekehrten bewahrt werden. Der Zusammenstoss mit fremden Sprachen in den eroberten Ländern mag dabei das Nachdenken über die eigene Sprache noch gefördert haben, letzte Ursache für die Entstehung der nationalen arabischen Grammatik war er nicht. Denn anderswo hat zur gleichen Zeit etwa im abendländischen Mittelalter das Zusammentreffen mit fremden Sprachen nicht zur grammatischen Bearbeitung der eigenen geführt. Verschiedene Stufen derselben Sprache sind im Arabischen bereits vor dem Auftreten Mohammeds gegeneinandergestanden: hie eine in zahlreiche Dialekte gespaltene Umgangssprache, hie die aus der Vorzeit überkommene eigentliche altarabische Sprache, eine gehobene, in gewissem Sinne Literatursprache. Wann und wo sich diese Hochsprache herausgebildet hat, wann sie von allen Dialekten anerkannt und wann ihr Gebrauch unter bestimmten Voraussetzungen für verbindlich erklärt wurde, wird sich nicht ausmachen lassen. Zur Zeit Mohammeds war sie jedenfalls scharf getrennt von den Dialekten, eine Art Koine oder Gemeinsprache, angewandt in Dichtung und bei feierlicher Aussage. Die altarabische Dichtung mit ihren streng ausgebildeten Versmassen hat diese Sprache rein erhalten. Die Bedeutung der Dichtung als Ersatz für die in der Beduinischen Lebensform unmögliche bildende Kunst hat dafür gesorgt, dass sie stets lebendig blieb. Der Gegensatz zwischen der Volkssprache und der Sprache der Dichter und damit des Korans musste das Nachdenken über die eigene Sprache noch vertiefen. Sicherlich sind die berufsmässigen Koranrezitatoren zu gleicher Zeit auch Grammatiker gewesen. Denn die für die Regelung des öffentlichen und privaten Lebens massgebliche Interpretation des Korans konnte nur mit genauer Kenntnis der Hochsprache erfolgen. In den aufstrebenden Städten Kufa und Basra im unteren Irak entstanden Zentren der grammatischen Wissenschaft. Zuerst mag sie sich auf die Beobachtung der Sprache der Beduinen, auf die Sammlung und Erklärung der Dichter, der alten Kampfberichte, der Sprichwörter und Traditionen beschränkt haben. Von Kufa wissen wir, dass dort im wesentlichen nur gesammelt wurde. Die Gelehrten von Basra scheinen dagegen schon früh mit der Ordnung des Materials begonnen zu haben. Mit den Hauptvertretern der dortigen Schule, Chalil und Sibawaihi, ist die Systematisierung der arabischen Grammatik gewissermassen abgeschlossen.

Hier ist eine kurze Besinnung auf die Grundanschauungen der muslimischen Wissenschaft geboten.

SCHALL

Die arabische Sprache im Spiegel ihrer nationalen Grammatik

Wenn wir eine heutige Schulgrammatik des Lateinischen aufschlagen, um uns Auskunft zu verschaffen über die Wortarten als den Bestandteilen des Satzes, finden wir die Einteilung in Nomina, Verba und Partikeln vor. Die Merkmale, auf denen diese Einteilung beruht, sind äusserer Natur: die deklinierbaren Nomina und konjugierbaren Verba sind veränderliche Wörter, den Rest als die unveränderlichen Wörter fasst der Begriff Partikeln zusammen. Das Unterscheidungsmerkmal versagt für die weitere Unterteilung der Partikeln. Daher ist hier der Gesischtspunkt der Leistung im Satz eingeführt worden und werden die Partikeln gegliedert in Adverbien, in Präpositionen, in Konjunktionen und Interjektionen. So hat sich in dieser Liste der Wortarten oder Redeteile im Laufe der Geschichte schon sehr Verschiedenartiges unter sehr verschiedenen Gesichtspunkten zusammengefunden.

Gehen wir etwas über zwei Jahrtausende zurück zur ersten Grammatik des Abendlandes, der griechischen techne grammatike des Dionysios Thrax, sagt ihr Paragraph 11 u.a.: „Es gibt acht Redeteile, Nomen, Verbum, Partizip, Artikel, Pronomen, Präposition, Adverb, Konjunktion". Die römischen Grammatiker übernehmen die griechische Terminologie in genauester Uebersetzung. Das Vorbild des Dionysios Thrax wog so sehr, dass man an den acht Redeteilen unbedingt festhielt und statt ds Artikels, den es im Lateinischen nicht gibt, die Interjektion einführte. Autoritäten wie die spätantiken Grammatiker Donat und Priscian machten diese Lehre das ganze Mittelalter hindurch verbindlich. Von der eingangs erwähnten Dreiteilung ist, soweit ich sehe, zu dieser Zeit noch keine Spur zu finden.

Im Jahre 1506 begründet Johannes Reuchlin aus Pforzheim mit seinem Buche De rudimentis hebraicis die hebräische Sprachkunde bei den Christen. Auf Seite 551 kommt er auf die Redeteile des Hebräischen zu sprechen und schreibt: „Es gibt drei Redeteile: Nomen, Verbum und Consignificativum — wir würden dafür Partikel sagen. Das Nomen umfasst auch das Pronomen und das Partizip. Das Consignificativum umfasst folgende vier: Adverb, Konjunktion, Präposition und Interjektion." Die Einteilung unserer lateinischen Schulgrammatik stimmt mit der Reuchlins verblüffend überein. Nun fussten Reuchlin und die zeitgenössischen christlichen Gelehrten in ihrer Darstellung auch der Redeteile durchaus auf der nationaljüdischen grammatischen Bearbeitung des Hebräischen. Deren erste systematische Werke aber wurden in arabischer Sprache geschrieben und abgefasst unter dem Einfluss und nach dem Vorbild der nationalen arabischen Grammatik.

Der kleine Streifzug in der Geschichte der Grammatik hat uns auf den Zusammenhang mit einer beherrschenden Wissenschaft aus der Glanzzeit der arabisch-islamischen Kultur geführt. Einfluss und Nachleben dieser Kultur in der abendländischen Naturwissenschaft, in Mathematik und Astronomie, ihre Vermittlerrolle gegenüber dem griechischen Geisteserbe ist gemeinhin bekannt. Die bescheidene Spur des Nachlebens einer autochthonen arabischen Wissenschaft mitten in einer heutigen Schulgrammatik ist bisher wohl nicht in dieser Weise gesehen worden.

Die Erscheinung, dass ein Volk sich mit seiner eigenen Sprache beschäftigt, über sie nachdenkt und die Reflexionen in ein System zu bringen sucht, begegnet in dem mir überschaubaren Bereich unter den alter Völkern nur bei den Griechen und Indern. Auf die Rolle der nationalen griechischen Grammatik wurde schon hingewiesen. Den Griechen an Exaktheit überlegen und durchaus originell war die Tätigkeit der Inder auf diesem Gebiet. Gipfelnd im grammatischen Werke des Panini um die Mitte des ersten vorchristlichen Jahrtausends, haben die indischen Grammatiker der vergleichenden indogermanischen Sprachforschung den Weg geebnet. Die grossartigen Leistungen dieser Wissenschaft sind ers ermöglicht worden durch das Studium des Sanskrit und der diese Sprache schärfstens analysierenden, sie bis in die feinsten Einzelheiten durchleuchtenden indischen Grammatiker.

الفهـــرس الــعـــام

1) دراســـات وأبحـــاث

2) ابحـــاث عامـــة

3) نشاط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمكتب الدائم لتنسيق التعريب

صفحة

4) أبحاث ودراسات باللغات الاجنبية